



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تَشِيْرُ كَلَامِ الْبِرِّ

لِقَائِمِ الْبَشَرِ
عَبْدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُرْتَضَى

مَشْفُوعًا بِتَوْقَاتِهِ
الدُّكْتُورُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

١-٢

مَكْتَبَةُ الْمَشْرِقِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ بِبَابِ الْبُرْجِ
شَمَا - الْعُلَيْبِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تثبيت دلائل النبوة

كاتب:

قاضي عبد الجبار

نشرت في الطباعة:

دارالمصطفى صلى الله عليه و آله

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	تثبيت دلائل النبوة
٩	اشارة
٩	المقدمة
١٤	الجزء الاوّل
١٤	اشارة
١٤	باب [البدء بما فى القرآن من إكفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحيد ضعيف]
١٥	باب آخر [سلامته صلى الله عليه و سلم مع حرصهم على إيدائه]
١٦	و باب آخر [وعده و هو فى وحدته انه سيكون فى جماعات كثيرة]
٣١	و باب آخر [استرواح المشركين لأدنى غم يصيب الرسول]
٣٢	و باب آخر [عرض المشركين على الرسول ان يعبد آلهتهم و يعبدوا إلهه]
٣٤	و باب آخر [وعد الرسول اصحابه فى حال ضعفهم ان الله سينصرهم]
٣٥	باب آخر [اسراء الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى]
٣٨	و باب آخر [ما نزل بمكة فى رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا]
٣٩	باب آخر [ما كان بمكة من انشقاق القمر]
٤١	باب آخر [ما كان بمكة من غلبة الفرس على ارض الجزيرة ادنى ارض الروم]
٤٣	باب آخر [من اعلامه صلى الله عليه و سلم انقضاء الكواكب بمكة]
٥٢	و باب آخر [دعوة رسول الله على مضر و إمساك القطر عنهم]
٥٣	باب
٥٣	باب [ما كان بمكة حين بكى الرسول عليهم قوله تعالى: اقتربت الساعة]
٥٣	باب آخر [ما نزل بمكة من قوله تعالى «فاستمسك الذى اوحى إليك...»]
٥٤	باب آخر [من اعلامه قوله عز و جل «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ»]
٥٧	باب آخر [من اعلامه اخباره عن النصرانية و مذاهبها]

- و باب آخر [ما اشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام]..... ٦٥
- باب آخر [ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصارى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم] -- ٧٢
- باب آخر [اكفار الرسول صلى الله عليه و سلم للعرب و سائر الامم الاخرى و اسخاطها و كيف عصمه الله من اذاهم]..... ١٢٧
- و باب آخر [الاخوة و المودة التي كانت قائمة بين الصحابة]..... ١٣٣
- و باب آخر [افعال رسول الله و أقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعينه]..... ١٣٦
- باب آخر [كيف خاض الصحابة فى امر الامارة و لم يذكروا انه نص على أحد بعينه]..... ١٣٧
- باب آخر [كيف فكر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلك بعد تبين الحق]..... ١٤١
- و باب آخر [رفض على ما عرض عليه من المبايعه بالامارة بعد وفاة الرسول]..... ١٤٢
- و باب آخر..... ١٤٦
- و باب آخر [طلب ابى بكر من المسلمين اقلته و رفضهم ذلك]..... ١٤٧
- و باب آخر [اتمنى ابى بكر ان لا يكون قد ولى إمرة المسلمين]..... ١٤٧
- و باب آخر [كيف رد المسلمون الأمر الى عبد الرحمن بن عوف]..... ١٥٠
- فهرس الموضوعات «١»..... ١٥٩
- خطأ و صواب..... ١٦٠
- الجزء الثانى..... ١٦١
- اشاره..... ١٦١
- باب من ذكر اعلام النبوه و دلائل الرسالة..... ١٦١
- و باب آخر [ما أشار إليه الرسول و هو فى حال ضعفه من أن دينه سيعلب على الأديان كلها و يقهر الملوك جميعا]..... ١٦١
- و باب آخر [حول الآية الكريمة «فَاضْغُ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»]..... ١٧٦
- و باب آخر [حول الآية الكريمة «فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ»]..... ١٧٧
- و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» و كيف ورثها أصحاب الرسول صلى الله عليه و
- و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»]..... ١٨٣
- و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ»]..... ١٨٤
- و باب آخر [ما فى الآية الكريمة إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ مِنْ وَعْدٍ تَحَقَّقَ]..... ١٩١

- و باب آخر [ما فى الآيه «قُلْ لئن اجتمعَت الإنسُ وَ الجنُّ على أن يأتوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ ...» من تحد دائم لم يستطع أحد الوقوف أمامه] ----- ١٩١
- و باب آخر [علم الرسول صلى الله عليه و سلم حين تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أنهم لن يستطيعوا] ----- ٢٠٤
- و باب آخر [محاولة اليهود و النصارى فى المدينة القضاء على الإسلام و فشلهم] ----- ٢٠٥
- و باب آخر [بدر و ما فيها من آيات] ----- ٢٠٦
- و باب آخر [حول موقف اليهود و النصارى و عبد الله بن أبى سلول] ----- ٢١٠
- و باب آخر [محاولة اليهود قتل الرسول بالصخرة و اخباره تعالى بذلك] ----- ٢١٢
- و باب آخر [توعد اليهود و النصارى فى وقت كثر فيه ممالئوهم] ----- ٢١٢
- و باب آخر [اخباره تعالى عن المرتدين و أنه سيأتى بقوم يحبهم و يحبونه يجاهدون فى سبيله] ----- ٢١٣
- و باب آخر [حول غزوة أحد] ----- ٢١٥
- و باب آخر [دعوة الرسول لنصارى نجران للمباهلة و خضوعهم له] ----- ٢١٧
- و باب آخر [حول الآيه «الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ»] ----- ٢٢١
- و باب آخر [اخباره عن اليهود] ----- ٢٢٢
- و باب آخر [ما أرجف به المشركون بعد هزيمة المسلمين فى أحد] ----- ٢٢٢
- و باب آخر [حول الآيه «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ»] ----- ٢٢٣
- و باب آخر [قوله صلى الله عليه و سلم لعثمان بن أبى طلحة العبدرى بأن مفاتيح مكة ستكون له و حصول ذلك] ----- ٢٢٣
- و باب آخر [اخبار الرسول أصحابه أن الله سيمكن لهم فى الأرض و يستخلفهم] ----- ٢٢٨
- و باب آخر [قوله صلى الله عليه و سلم فى أوان ضعفه أنه سيعظم أمره و يعلو شأنه] ----- ٢٢٩
- و باب آخر [حول الآيه الكريمة «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» و كيف كان كما أخبر تعالى] ----- ٢٤٧
- و باب آخر [فى اخراج يهود بنى النضير من المدينة و ما فيه من آيات] ----- ٢٥٠
- و باب آخر [كيف أن معجزات الرسول يبنى بعضها عن بعض و ليس كذلك الأمور التى يسلم فرضها و يشمل وجوبها] ----- ٢٦٠
- و باب آخر [كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملك الروم و ملك فارس، و ما فيها من دلالات] ----- ٢٦١
- إشارة ----- ٢٦١
- [بين جرير بن عبد الله البجلي و اليهودى] ----- ٢٦٤
- [سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام فى السابقين و البدرين] ----- ٢٦٨

- ٢٦٩ [الرد على دعوى العصمة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه]
- ٢٧٣ [الرد على على أن الأئمة كانوا يعلمون المكاره التي كانت ستنزل بهم]
- ٢٧٤ [الرد على أن النجوم تدل على ما كان و يكون، أو أن الأئمة يعلمون الغيب]
- ٢٧٧ [الرد على ما تدعيه الشيع من المعجزات لعلى رضى الله عنه و أئمتهم من بعده و بيان أن عليا كان منكرا لمثل هذه الأقوال إنكارا شديدا]
- ٢٨١ [حول قولهم بأن الله حرم ذرية فاطمة رضى الله عنها عن النار]
- ٢٨٢ [حول الادعاء بأن لأهل بيت الرسول خمس أموال المسلمين]
- ٢٨٤ [الرد على الروايات التي زوروها من أن الفروض لا تجب على أهل بيته عليه الصلاة و السلام و شيعته]
- ٢٨٥ [حول تولية الخلفاء الراشدين صحابة رسول الله]
- ٢٩٣ [على رضى الله عنه استن بسنن أبى بكر و عمر رضى الله عنهما و عمل بها]
- ٢٩٦ [الرد على دعوى القرامطة أن الصحابة أخرجوا عليا لكرهتهم له]
- ٣٠١ [حول أقوال الباطنية و وسائلهم فى استدراج المسلمين الى التخلي عن حقائق الايمان و الفرائض]
- ٣٠٣ [كيف ظهرت الباطنية و قامت دولتهم فى المغرب ثم فى غيرها]
- ٣١١ [حول بعض الشكوك التي يطلقها الباطنية عن أحاديث الرسول ص و تعليق واسع حول التداوى و الأدوية و استعمالها]
- ٣٢٩ [أما شكك به الباطنية من زواج الرسول بابنة مولاة زيد بن حارثة]
- ٣٣١ [ادعواهم أن رسول الله عليه الصلاة و السلام كان يتستر على نفسه ببعض أفعاله]
- ٣٣٤ فهرس موضوعات الجزء الثانى
- ٣٣٦ [الفهارس]
- ٣٣٦ فهرس الأعلام
- ٣٦٤ فهرس الأماكن و القبائل و الأمم
- ٣٧٥ فهرس العقائد و الملل و النحل
- ٣٧٧ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

تثبيت دلائل النبوة

إشارة

نام كتاب: تثبيت دلائل النبوة

نويسنده: قاضى عبد الجبار

وفات: ٤١٥ ق

تعداد جلد واقعى: ٢

زبان: عربى

موضوع: رسول خدا صلى الله عليه و آله و سلم

ناشر: دار المصطفى

مكان نشر: شبرا- القاهرة

tthbit dlaa'l alnbouah

تأليف: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني

ترجمة، تحقيق: عبد الكريم عثمان

الناشر: دار المصطفى للنشر والتوزيع سعرا: \$١٣

النوع: ورقى غلاف فنى، حجم: ١٧×٢٤، عدد الصفحات: ٧١٨ صفحة الطبعة: ١ مجلدات: ٢

اللغة: عربى

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الإيمان بالنبوة أو قيام صلة بين الله و الانسان بواسطة احد عباده الذى نسميه نبيا او رسولا من أهم ما يميز الأديان السماوية عن غيرها من الديانات، إذ أن هناك أديانا كالبرهمية تؤمن بوجود الله لكنها تنكر النبوات و لا ترى حاجة لوجود هذه الصلة بين الله و الانسان، و حجتهم فى ذلك، أن ما أتى به الأنبياء إما موافق للعقل ففى العقل غنى عنه أو مخالف له فلا حاجة لنا به، لأن العقل هو المصدر الوحيد الذى نستدل به على حقائق الأمور.

و الحق أن من المستحيل ان تؤمن بفكرة وجود الخالق المدبر و لا تتبعها بالايمان برعايته لخلقه و تدبيره المستمر للكون. إذ ما الفائدة من الخلق اذا لم يعن الخالق بشئون خلقه، أما أن العقل قد يعارض ما تأتى به النبوة فليس هذا ضروريا، لأن جميع الأمور التى نزلت بها الرسالات السماوية يقرها العقل الذى يعتمد على تفكير علمى منظم، هذا بالاضافة الى ان لكل من العقل و الوحي ميدانه الخاص فى كثير من المسائل، و اذا امكن لنا ان نتوصل بالمنطق التجريبي و الرياضى الى حقائق علوم الكون و الحياة فإننا لا نستطيع بغير الوحي ان نتوصل الى حقائق ما وراء المادة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، المقدمة، ص: ٢

و الصلة بين الله و الرسل تتم بوسائل متعددة لن نبحت فى تفصيلها و انما سنلقى نظرة سريعة على أهم هذه الوسائل لتأخذ فكرة عنها. إن الوحي غالبا ما يبدأ بالرؤيا الصادقة، و فى قصص الأنبياء كثير من حوادث هذه الرؤى. و قد قص علينا القرآن كيف انها طريقه من طرق الوحي عند ما حدثنا عن ابراهيم و اسماعيل عليهما السلام، و كيف أمر ابراهيم بذبح ابنه «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي

أرى في المنام أنني أذبحك فأنظر ما ذا ترى، قال يا أبتِ أفعل ما تؤمر» (١).

وقد تكون وسيلة الاتصال الالهام في حالة اليقظة كما حدث للرسول محمد عليه الصلاة والسلام إذ أتاه هذا الالهام وهو جالس بين المسلمين وعبر عنه بقوله «هذا رسول رب العالمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها..».

وقد يكون الاتصال بأن يكلم الله الرسول مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام مما قص علينا القرآن قصته «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ...» (٢).

والطريقة المعتادة في حصول الاتصال بين الله والرسول هي الوحي بواسطة جبريل عليه السلام «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» (٣)، وكان جبريل أحيانا ينزل مجسدا ويراه المسلمون كما حصل

(١) الصفات ١٠٢

(٢) القصص من ٣٠-٣١

(٣) الشعراء من ١٩٣-١٩٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، المقدمة، ص: ٣

في حديث أركان الايمان والإحسان وأشراف الساعة الذي روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه.

ومن الطبيعي حين يدعى انسان ما انه يتصل بالله ويحمل منه الى الناس رسالة ترتب عليهم تكاليف واجبات ان يطالبه الناس بالدليل على صدقه، ولم ير القرآن في هذا ما يخرج على المعقول والمنطق حتى انه قص علينا ان ذلك حصل من بعض الأنبياء «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ، قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي» (١).

ومن هنا ظهرت الحاجة الى وجود ما يثبت النبوة، وتعد المعجزات من أهم الوسائل التي أنزلها الله على رسله ليقتنع الناس انهم لا يمثلون أنفسهم وإنما يمثلون الله تعالى، ولا شك ان الايمان بالرسول مرتبط ارتباطا وثيقا بالايمان بالله وبالغيب الذي يعتبر من اهم صفات المسلم التقى «الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» (٢).

والقرآن يتحدث عن مجموعة من المعجزات المادية منها والمعنوية. والمعجزة في حقيقتها هي الحادث الخارق للعادة والقوانين التي يلاحظها الناس وتسير عليها حوادث الكون يجريه الله تأييدا للأنبياء. وقد حاول البعض ان يعطى المعجزة صورة الأمر العادي الذي يحصل في الطبيعة بطريق الصدقة أو العلم، ولكن المعجزة في الواقع تفقد معناها وكونها دلالة على صدق النبي اذا فقدت الصفة الخارقة.

فاذا قال مدعى النبوة إن دلالة صدقي أن تطلع الشمس من المغرب وهي تطلع عادة من المشرق كان ذلك دلالة وتأييدا له، أما اذا أخبر قومه ان الشمس تطلع من المشرق فليس في طلوعها ما يثبت أى إعجاز.

(١) سورة البقرة ٢٦٠

(٢) سورة البقرة ١ و ٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، المقدمة، ص: ٤

ومن المعجزات المادية: ناقه صالح، وقد قص القرآن خبرها بقوله:

«قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ، مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ، وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (١). ومنها معجزة عصا موسى التي حدثنا القرآن خبرها بقوله: «قال لئن اتخذت إله غيري لأجعلنك من المسجونين، قال او لو جئتك بشيء مبين، قال: فأت به إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين، و نزع

يده فاذا هي بيضاء للناظرين». و منها معجزات عيسى عليه السلام، التي عنها القرآن بقوله: «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْمَكْمَةَ وَ الْمَأْبُورَ وَ أَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ أَتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

و الملاحظ ان معظم الأمم التي أتتها المعجزات اصرت على كفرها و إلحادها و لم تؤمن، و قد بين القرآن ان الهداية بيد الله، و أنه مهما تكن قيمة المعجزة فان نفوسا كثيرة لن تردع أو مؤمن «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقَالُوا: إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ» (٢).

هل هناك أبلغ من هذه المعجزة؟ إن البعض سيقول انه السحر او خداع البصر، لذلك فإنه تعالى يخبر الرسول بهذا المعنى بقوله: «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ، وَ آتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا، وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» (٣).

(١) الشعراء ١٥٣-١٥٦

(٢) الحجر ١٤

(٣) الاسراء ٥٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، المقدمة، ص: ٥

أما المعجزات المعنوية و العقلية فأهمها: القرآن الكريم الذي نزل على محمد عليه الصلاة و السلام. و نستطيع ان نلاحظ بهذه المناسبة ان هذه المعجزة ترتبط ارتباطا وثيقا بالرسالة. و المعجزات إما ذاتية تتعلق بنقل ماهية الرسالة او انها خارجة عن جوهرها، و معجزة القرآن من النوع الاول لأنها عقلية تخاطب الفكر البشري و تعتمد على الاقتناع العقلي اكثر مما تعتمد على القناعة الحسية التي هي اساس المعجزات المادية. و لا- شك ان البشرية- حتى بعثة الرسول- كانت قطعت شوطا كبيرا من الرقى العقلي، فأمكن ان تخاطب عقولهم مباشرة، و خطاب العقل أكثر شمولاً و دواماً و استقراراً، لذلك كان القرآن الكريم معجزة الرسول حتى أبد الدهر.

اختلف العلماء و الباحثون في حقيقة الاعجاز في القرآن، و يمكن ان نحدد آراء هؤلاء العلماء في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

١- اتجاه يرى ان المعجز في القرآن هو صياغته اللفظية الخارقة للعادة و بلاغته الواضحة التي اعجزت العرب ان يأتوا بمثله.

٢- و اتجاه يرى الاعجاز فيما ورد في القرآن من الإعلام عن الغيوب و عن حوادث الاعم السابقة و تاريخها و عقائدها، فقد أشار القرآن الى حوادث ستقع في المستقبل ثم وقعت كما حدث، مثال ذلك قوله تعالى: «الم، غلبت الروم في أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين».

فقد حصل ان الفرس غلبت الروم، فأخبر القرآن عن هذه الواقعة، و أنبأ ان الروم سينتصفون من خصومهم في بضع سنين، و تم ذلك فعلا؛ و بما ان الانسان لا يقدر على علم الغيب فان القرآن منزل من قبل الله و فيه من الاعجاز ما فيه. ثم إن القرآن تحدث عن تاريخ الأمم السابقة و أديانها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، المقدمة، ص: ٦

حديث العليم بكل صغيرة و كبيرة من احداثها و شئونها، و لما كان الرسول عليه السلام أمياً لم يطلع على كتب الأقدمين- التي لا تشير هي أيضا بدقة الى تلك الامور- فلا بد انه تعالى هو الذي اخبر نبيه بهذه الاشياء.

٣- و أخيراً فقد اتجه كثير من العلماء الى ان الاعجاز في القرآن هو فيما ورد فيه من انظمة انسانية بالغه الرقى لم يشهد الخلق لها مثيلاً في ضمان مصلحة بنى الانسان و تأمين حياته الخيرة، فقد ورد في القرآن انظمة لحياة الانسان في شتى ألوان النشاط البشري السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى و الاخلاقى و الروحى، و لما كانت هذه الانظمة يستحيل ان يقدر عليها اى انسان فلا بد ان يكون القرآن منزلاً من الله مثبتاً لرسالة الرسول.

و الواقع إن الاعجاز القرآني يشمل هذه النواحي جميعا: فهو في اللفظ العجيب و التركيب البلاغي البديع، و هو في اخباره عن الغيوب و انباء الامم السابقة، و هو في انظمته الرائعة السامية؛ و لا نستطيع ان نقول بحصر الاعجاز في جانب واحد، لأن القرآن معجزة الرسول الى الناس جميعا في مختلف ازمانهم و امكنتهم، لذا كان لا بد ان يحوى هذه الوجوه المتعددة، فاذا آمن العربي به لإعجازه البلاغي فقد يؤمن به الرومي لإخباره عن الامم السابقة كما قد يؤمن به الفارسي للأنظمة التي فيه، فالقرآن معجز كله، لفظا و معنى و نظاما. و بعد فإن الكتاب الذي بين ايدينا يبحث في النبوة و إثباتها، و قد عرض له القاضى «١» فى أكثر من موضع من كتبه، إلا انه تكلم عنه بالتفصيل فى كتابين:

(١) ضربنا صفحا عن التعريف بحياة القاضى و ثقافته و مؤلفاته لأننا عرضنا لذلك فى مقدمتنا لكتابه «شرح الاصول الخمسة» و سيصدر لنا قريبا كتاب خاص عن القاضى عبد الجبار، بالاضافة الى رسالة الدكتوراه التى كانت بعنوان «القاضى عبد الجبار و آراؤه الكلامية».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، المقدمة، ص: ٧

١- الجزء الخامس عشر من موسوعته الكبيرة «المفنى فى اصول الدين» و قد أسماه «النبوات».

٢- الكتاب الذى بين ايدينا «تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد».

أما فى الكتاب الاول فإنه يعنى بالحديث عن اساس نظرية النبوة و فكرة المعجزة بصورة عامة، ثم يفصل الحديث عن عدد من المعجزات الحسية و يبين اختلافها عن السحر و الشعوذة و الصدفة و خفة اليد.

لكنه فى كتابنا هذا يتحدث عن اثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم بصورة خاصة، و يلح على جانب الإخبار عن الغيوب سواء جاء فى القرآن الكريم او فى احاديث الرسول، فيتتبع هذه الاخبار مبينا الى اى حد يصدقها الواقع و التاريخ.

إن القاضى يؤمن بالمعجزات الحسية التى وردت فى القرآن و السنة الصحيحة يستنكر موقف البعض كالنظام من إنكارها، و يرى الإعلام عن الغيوب من اهم دلائل النبوة، كما ان القرآن فى رأيه حجة من نواح ثلاثة: فهو حجة «من طريق الفصاحة و البلاغة، و هو حجة لما فيه من الاخبار بالغيوب، و هو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل العقول» «١».

و حين تفصيل كلامه عن دلائل النبوة لا يلتزم القاضى البقاء فى نطاق الحوادث او الدلائل بل يعرج- كعادة القدماء- على كل ما يجد الحديث عنه ضروريا بالمناسبة.

(١) التثبيت ٤٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، المقدمة، ص: ٨

لذا فاننا نستطيع من خلال هذا الكتاب ان نتعرف على موقف القاضى من الاديان المختلفة: السماوية منها و غير السماوية، و موقفه من الفلسفة اليونانية، و من اخذ بها ممن يسمون بفلاسفة الاسلام، و اخيرا موقفه من الاتجاهات العقائدية الاسلامية المختلفة و خاصة الاتجاه الباطنى. و للقاضى مع هذه الاتجاهات جولات و مناقشات طويلة متشعبة.

حمل القاضى عبد الجبار على الفلسفة اليونانية عموما و بين ان كتبهم التى وصلت إلينا فيها الشىء الكثير من النقص و التحوير و التعديل اجراه أصحاب الاغراض و الاتجاهات العقائدية المختلفة لتأييد عقائدهم و آرائهم، و أفرد ارسطو بحملة عنيفة و خاصة فى كتابه «الآثار العلوية» و انتقد نظريته فى الكون و الكواكب و ما يراه من انها غير قابلة للقسم أو الزيادة او النقصان و انها حية عالمة سميعة بصيرة تخلق و ترزق و تحيى و تميت «١».

و من الغريب انه ينتقد نظرية الرازى فى اللذة و الألم، و قوله ان الله لا يستطيع ان يخلق الانسان إلا بالطريق الطبيعى، و يتهمه بالإلحاد،

و لكنه يتجاوز عن رأيه في النبوة مع انه يخالف الاتجاه الاسلامى العام فيه «٢».

أما الكندى فانه- برأى القاضى- احد الملاحدة الذين تظاهروا بالاسلام لكنهم ما فتئوا يكيّدون له و يمكرون به، و قد عرض لرأيه فى المد و الجزر و أن القمر سبب لحصولهما فشدّد النكير عليه.

و يظهر انه ينتقد فكرة القانون بصورة عامة لما كان يظنه من انها تحد من

(١) التثبيت ١٩٦

(٢) التثبيت ٢٩٣ ظ، ٢٩٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، المقدمة، ص: ٩

قدرة الخلق المطلق من قبل الله و كونه خالق للاثياء جميعا على الاستمرار و أنه يخلقها من لا شىء «١». و يبدو هذا واضحا من بيانه لفعل الاحراق بالنار «٢»، و حقيقة الشفاء بالدواء، و قد نبه الاطباء بهذه المناسبة الى ان مهمتهم يجب ان تنحصر فى معرفة العادات و التجارب فلا تتعدى ذلك الى الاهتمام بمعرفة اصول الأشياء «٣».

أما موقف القاضى من اصحاب النجوم و سائر من يدعى معرفة الغيب و المستقبل فقد كان شديد العنف عليهم، و لفت النظر الى حقيقة بديهة و لكنها لبدايتها قد تغيب على المرء، و هى ان المنجم «يكذب فى ألف شىء و يخطئ فى ألف شىء فلا يحفظ عليه لأن ذلك غير منكر منه، فاذا اتفق له الصواب فى شىء واحد تعجبوا و حفظ لقلته من مثله و لأنه اتى من غير معدنه «٤».

و لا ينسى القاضى ان ينكر على رجال الباطنية موقفهم فى التفرقة بين الصحابة و قولهم انهم ظلموا عليا رضى الله عنه، و بين بهذه المناسبة الصلة الوثيقة التى كانت تقوم بين الصحابة «٥». كما اتهم الباطنية بأنها كانت مستغلة من الملحدين و الذين لم تظمن قلوبهم بالايمان، اذ تستر هؤلاء بالباطنية و تظاهروا بالتشيع لعلّ لخدمه اغراضهم فى تحطيم الاسلام عن طريق تفريق المسلمين و إظهار الصحابة بمظهر المعتدين الخارجين على حدود الاسلام، و عدد القاضى منهم

(١) التثبيت ٢٩٧ ظ، ٢٩٨ و

(٢) التثبيت ٣٠٢ و

(٣) التثبيت ٢٩٩ ظ

(٤) التثبيت ١٨٨

(٥) التثبيت ١١٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، المقدمة، ص: ١٠

عددا من الفلاسفة و الكتّاب، كالحداد و الوراق و الحصرى و ابن الراوندى و جابر و ابن العميد.

و لم ينس القاضى ان يعرج على الديانات سواء منها غير السماوى كالديانات الفارسية و الهندية القديمة «١»، او السماوى فى اصوله كالنصرانية، و خص هذه الاخيرة بتفصيل طويل طريف و نظر إليها على انها امتداد للحضارة الرومانية و الفلسفة اليونانية، فالروم- فى رأى القاضى- لم ينتصروا و لكن النصرانية تروّمت فأخذت أخلاق الرومان و تقاليدهم و آراء الفلسفة اليونانية و عقائدها بما فيها عقيدة التثليث، «و هذا التثليث الذى للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه فى أن العقل و العاقل و المعقول تصير شيئا واحدا، و يقولون هرمس المثلث «٢»».

و لأهمية كتاب القاضى و طرافة الموضوعات التى تطرق لها، و الأسلوب الذى تناولها فيه، كان موضع ثناء العلماء و الكتّاب متقدميهم و محدثيهم، و قد اتنى عليه ابن العماد و ابن شهبه و ابن تيمية، و كتب عنه الشيخ الكوثرى فى مقدمة «تبين كذب المفترى»: «و لم نر

ما يقارب كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار في قوة الحجاج و حسن الصياغة في دفع شكوك المتشككين «(٣)». و الحق اننا نستطيع ان نعد هذا الكتاب الاول من نوعه في موضوعه، و لا نعلم بين ما وقع في ايدينا ما يفوقه او يصل الى مرتبته.

(١) التثبيت ٨٧، ٨٠، ٨٨

(٢) التثبيت ٨٠ و

(٣) مقدمة كذب المفترى ص ٢٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، المقدمة، ص: ١١

ورد هذا الكتاب لدى المؤلفين بأسماء متعددة، فابن الملقن في طبقات الشافعية و ابن العماد في شذرات الذهب و ابن حجر في اللسان يذكرونه باسم «دلائل النبوة». أما ابن شهبه في طبقاته فقد ذكر انه «تثبيت دلائل النبوة»، أما العنوان الذي كتب على الورقة الأولى من المخطوط الذين بين ايدينا فقد كان «تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد». و من الثابت لدينا ان «التثبيت» كتب بعد «المغنى»، يدل على ذلك ما ذكره القاضي نفسه في اكثر من موضع من الكتاب من انه كتبه سنة ٣٨٥ هـ «(١)» و من المعلوم لدينا انه انتهى من كتابة المغنى سنة ٣٨٠ هـ.

أما المخطوطة التي اعتمدنا عليها في النشر فهي مخطوطة شهيد على باستانبول و هي النسخة الوحيدة في العالم المعروفة حتى الآن. و قد جهدنا- قدر استطاعتنا- ان نقدم النص الصحيح لهذا الكتاب القيم، عازفين عن التعليق إلا- في الحالات التي لا بد فيها منه كالتعريف بعلم من الأعلام او فكرة من الأفكار، تاركين للقارئ الكريم ان يتتبع فكر القاضي كما أراد ان يعرضه و بحرية كاملة. و حرصنا أن نثبت في هامش الكتاب ارقام اوراق المخطوط ليسهل للباحث الرجوع إليه. و اذا كان لنا ما نرجوه فهو ان نكون قد أسهمنا- بنشرنا لهذا الكتاب- بإضافة لبنه جديدة الى صرح الثقافة الاسلامية، غير طامعين إلا بثواب الله و رضاه.

عبد الكريم عثمان بيروت- ٣٠ جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ ١٥ ايلول ١٩٦٦ م

(١) انظر التثبيت ١٩ ط، ٨٠ و

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٣

الجزء الأول

إشارة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلى الله على سيدنا محمد و آله، الحمد لله الذي منّ على عباده بإرسال رسله، و ختمهم بسيدهم محمد صلى الله و عليهم اجمعين، فأرسله بالهدى و دين الحق، «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (١).

هذا كتاب «تثبيت دلائل نبوة نبينا محمد» رسول الله صلوات الله عليه و سلامه، و الادلة على معجزاته و ظهور آياته، و الرد على من انكر ذلك.

باب [البدء بما في القرآن من إكفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحيد ضعيف]

فبدأ من ذلك بما فى القرآن، و بما يجرى مجراه مما يعلمه من سمع اخباره، كالعلم بالقرآن، فقد علم كل من اخباره صلى الله عليه وسلم انه ظهر بمكة، فأكفر اليهود و برىء منهم، و النصرى و الروم و برىء منهم، و الفرس و المجوس و برىء منهم، و الهند و برىء منهم، و قومه من قريش و العرب و برىء منهم، و عاب آلهتهم، و أكفر اسلافهم، و ضلل اديانهم، و فرق

(١) التوبة ٣٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٦:

آلافهم، و قال لهم: الله ارسلنى و اصطفانى من العالمين، و جعلنى حجة على كل من بلغته دعوتى من الاولين و الآخرين، و جعلنى خاتم النبيين و آخر المرسلين، و إن دينى يظهر على الاديان كلها، و ان كلمتى و كلمة اتباعى تملو، و إنهم هم الغالبون القاهرون المالكون.

و هو اذ ذاك فقير و حيد، اجير معيل، قد اغضبهم و غاظهم بهذه/ الدعوة، و ألبسهم الذل مع وحدته، و بالغ فى إسخطهم، فنهوه و زجروه، بعد ان عاتبوه و عدلوه؛ ثم توعدوه بالاستئصال و البوار، بعد ان رغبوه. فغلبهم على امره، و قال: إني قد قلت لربى حين ارسلنى: إني ان قلت هذا لقريش رضخوا رأسى، فقال لى: قل، و بلغهم، فسيغضبهم ذلك، و سيعثون مكروههم عليك، و سيتحزبون و يجلبون «١» فى عداوتك، و يجمعون العساكر لحربك، فأعصمك منهم، و أبعث جنودا لك منهم و من غيرهم، فتكون العقبى لك، فقال هذا و ما هو اشد منه.

يعلم ذلك كل من سمع اخباره ممن صدقه او كذبه، و هو لا يعتصم بمخلوق، و لا يصوب ملكا من ملوك عصره، و لا يلوذ بأحد من البشر.

بل قد رماهم كلهم عن قوس واحدة بالعداوة، و أسخطهم اجمعين، و بعثهم بهذا الصنيع على عداوته. ثم ما رضى ان يجعل ذلك قولاً ثم صفحا، بل خلده و دونه، و جعله كتابا يقرأ، و قرآنا يتلى، يسمعه عدوه و قال: ربي قال لى، و ربي و ربكم اوحى به لى، فقال: «و إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ» (٢) و قال: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

(١) جلب، توعد بالشر

(٢) الاسراء ٦٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٧:

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ «١».

فانهم «٢» زادوا غيظا عليه، و صاروا هم و اليهود و النصرى و الفرس و المجوس يدا واحدة فى عداوته، و طلب نفسه، و الحرص على قتله، و هم اشد الناس حقدا و أنفة و جبرية «٣» و طلبا بطائله، لا يقارون من عاب/ خيولهم و جمالهم فكيف بمن عاب آلهتهم و آباءهم و عقولهم و ضلل اديانهم، فعصمه الله منهم و هو رجل فريد بينهم، و هو فى مثوبة الموت، و خندق الخوف، و ذل اليتيم، و وحشة الوحدة، لا يعتصم منهم بمخلوق، فصرفهم الله عنه و هذه حاله، فلو لم يكن من آياته و دلائل نبوته الا هذا لكفى و أغنى و زاد على الكفاية، لأنه إخبار بغيوب كثيرة، لأنه قال لجميع قريش و لجميع العرب و لجميع اليهود و لجميع النصرى و لكل واحد منهم: لا تقتلوننى، مع ما قد جاءهم به مما قد غاظهم و أغضبهم، و هو فى هذا القول كالباعث لهم على نفسه، و كالحامل لهم على مكروهه و هو يذكروهم بذلك، فسلم منهم مع هذه الأحوال، فهذا باب كاف شاف.

باب آخر [سلامته صلى الله عليه وسلم مع حرصهم على إيذائه]

و هذا مقام لا- يقومه عاقل إلا ان يكون على غاية الثقة بالله عزّ و جل و السكون الى وعد الله لأنه لو لم يكن كذلك لم تلبث ان تغضب أمم

(١) المائدة ٦٧

(٢) فى الاصل، فإن

(٣) الجبرية و الجبرية: التكبير، انظر القاموس، مادة: جبر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٨

العرب و العجم لأديانهم، و يأنفوا لأنفسهم و آلهتهم، فيستأصلونه و يظلمونه «١» و يقتلونهم و يمحون أثره. فلما سلم مع الحرص على قتله، و آلت الامور الى ما قال، علمت و تيقنت أنه من قبل الله، لأن مثله فى هذا مثل من قال انى أخوض هذه النار المضرمة فلا تحرقنى، او كمن قال: أتردى من شاهق على / الأسنّة و انا عريان فلا تنفذ فى، او كمن قال: أدخل من هذه السباع الضارية الجائعة التى قد أغضبتها و قتلت اولادها و هى حريصة على افتراسى و محتاجة الى قتلى و الراحة منى فأسلم منها و لا تقتلنى، فهذا باب شاف.

و باب آخر [وعده و هو فى وحدته انه سيكون فى جماعات كثيرة]

و هو ما كان وعد و قال و هو فى وحدته، انى سأصير فى جماعات و عساكر فكان كما قال و أخبر، لأنه حين دعاهم أنكروا قوله و أكفروه و تلقوه بالردّ و التكذيب، ثم ما زال و نفر بعد نفر يجيونه، حتى صار فى عساكر، فاعتقدوا بصدقه و نبوته، و صاروا له جندا مطيعين، و حزبا متفقين، ينفقون أموالهم و يسفكون دماءهم فى طاعته، و يفرون من آبائهم و يقتلون أبناءهم و يفارقون أوطانهم لأجله و امثالا لأوامره، و أركى الأعمال عندهم ما أرضاه بلا دنيا بسطها فيهم، و لا اموال دفعها إليهم، و لا لرئاسة كانت له عليهم، بل كان يتيما فقيرا و حيدا معيلا محتاجا.

ثم جاءهم مجيئا ما جاء نبي قبله فى مثل حاله، فان موسى صلّى الله عليه و سلم أتى قومه من بنى إسرائيل، و هم اولاد الأنبياء، قد اعتقدوا الربوبية و عرفوا

(١) اصطلم الشيء: استأصله. انظر القاموس، مادة: صلّم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٩

الطريق إليها و اعتقدوا النبوة و عرفوا الأنبياء قبل موسى، كادم و نوح، ثم الى ابراهيم و إسحاق و يعقوب و الأسباط، و ألفوا عبادة الله، و اعتقدوا المعاد و عرفوه. ثم جاءهم فى ذل و أسر و قهر فى أيدي الجابرة من القبط و الفراعنة، يقتلون أبناءهم، و يستحيون نساءهم، و يمنعونهم الصنائع الشريفة و الاحتراف، و يقصرونهم على ضرب اللبن و قطع الأحطاب و الاعمال الشاقة المؤلمة، فجاءهم موسى بما يعتقدون من الربوبية و النبوة، ثم أخرجهم من الذلّ الى العزّ، و من الشقاء الى الرفاهية و الدعة، و من الفقر الى الغنى. ثم جاءهم من بعد موسى من الأنبياء بما جاءهم به موسى، الى أن انتهت النبوة الى المسيح عيسى بن مريم صلّى الله عليه و سلم، فأتى بنى اسرائيل بسنن موسى، و شرائع التوراة.

فقدم هو و الأنبياء قبله على أمر ممهد مألوف معروف، و على قوم قد ألفوا و عرفوا، و جاء محمد صلّى الله عليه و سلم قوما لا يعرفون الربوبية، و يعبدون الأصنام، و ينكرون البعث و المعاد أشد الإنكار، لا يعرفون نبوة و لا طهارة و لا صلاة و لا صياما و لا زكاة، أشد الناس نخوة و جبرية و أنفة، قساة جفاء، معاشهم من شن الغارات، يسفكون دماءهم و يندون ذريتهم فرارا من العار. و دعاهم صلّى الله عليه و سلم الى الربوبية، و الى الاقرار بالنبوة و البعث و القيامة، و أخذهم بالصدق و الوفاء و أداء الأمانة و الخضوع

للحق، وبالطهارة و الصلاة و الصيام و الاعتكاف و الزكاة، و صلوات الأرحام، و قطع السارق، و جلد/ القاذف و الزانى و شارب الخمر، و مساواة الموالى و الفقراء و الأعاجم و الضعفاء فى الدماء، و أخذهم بالبراءة من آلهتهم التى يعبدونها من دون الله، و من

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٠

آبائهم و من أديانهم، و بالإقرار بضلالهم، و التدين بالبراءة منهم، و ببذل دمائهم و أموالهم فى طاعته، و بمجاهدة الأمم و معادة الجبابرة و الملوك فى طاعته «١»، فأخذهم بكل شدة، و أخرجهم من الراحة الى الكد و من المسالمة الى العداوة، و أزمهم ما لم يكونوا ألفوا و لا عاهدوا، و أزمهم الكلف و المؤن، فأجابوه بهذه الشرائط، فكان مجيئه على الوجوه التى قدمنا ذكرها من آياته و دلائل نبوته صلى الله عليه، و لم نجعل طاعة اصحابه له و تصديق القوم له و مصيره فى عساكر و جماعات من دلائل نبوته إلا لأنه اخبر قبل ذلك ان هذا سيكون فكان كما اخبر و كما قال على تلك الوجوه التى شرحناها و بيناها. لأنه دعاهم الى امور و شرائط ظاهر التدبير و موجب الرأى و اقتضاء الحزم ألا يجيبوه و لا يتبعوه إلا ان يكون من قبل الله، و واثقا بوعد الله، فان سبيله فى ذلك سبيل من قال: هذه النملة الضعيفة تهزم هذه العساكر المعدة، او هذه الزجاجة الرقيقة ترض هذه الجبال الصلبة الشديدة، لأنه قد كان فى الضعف

(١) كانت الصبغة الغالبة على أديان العرب فى الجاهلية هى الصبغة الوثنية، أى عبادة الاوثان، الا ان هذا لم يمنع وجود عدد من الاديان الاخرى. فقد كان بين العرب صابئة يعظمون الكواكب و النجوم و يعبدونها، و دان بعضهم و خاصة فى البحرين بالمجوسية الوثنية، كما وجدت مراكز صغيرة لليهودية و النصرانية. و وجد بعض الافراد ممن اعتقد بتوحيد الله، و معظم هؤلاء كان متأثرا بالاديان السماوية السابقة، و منهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، و ورقه بن نوفل بن أسد، و عبد الله بن جحش، و عثمان بن الحويرث بن اسد.

و ليس غرضنا هنا تفصيل أديان العرب فى الجاهلية، فان ذلك يعرف فى مواضع من كتب العقائد و الديانات و خاصة كتاب الآراء و الديانات للنوبختى، و الملل و النحل للشهرستانى، و الفصل فى الملل و النحل لابن حزم.

الا اننا نحب ان نشير الى ان القاضى عبد الجبار تعرض لهذا الموضوع بالتفصيل فى الجزء الرابع من موسوعته الكبيرة المغنى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١١

و الوحدة على ما قد علمه الناس، ثم دعاهم الى ما يكرهون، و أخذهم بكل شدة، و فرض عليهم الامور الغليظة الصعبة على ما تقدم من شرح ذلك، فعلمت و تيقنت/ أنه نور الله و من قبل الله.

فإن قيل: أو ليس قد اباحهم الغنائم، فما تنكرون ان تكون اجابتهم له لهذه العلة؟ قيل له: هذا لا يسأل عنه من يعقل و لا من يفكر لأن القوم قد اعتقدوا صدقه و نبوته فكانت اجابتهم له لهذا و على هذا القربى الى الله عن رضى بذلك، فمن ادعى غير هذا فقد أنكر المعلوم، او يكون لم يسمع الاخبار. فهم إنما أجابوه على ان ينفقوا أموالهم و يسفكوا دماءهم و يقتلوا آباءهم و أبناءهم فى طاعته و لأجله، فكيف يسوغ لعاقل فكر و تدبر ان يقول إنما اجابوه طلبا للدنيا و رغبة فى الراحة و الدعة و الأمر بالصد من ذلك. و بعد فان لم يكن تبعوه «١» إلا- للغارة و للغنائم لكانوا يقولون له: حاجتنا إليك فى الغارة و الغنائم و نحن أعلم بها منك، و هى صناعتنا نحن و عادتنا، و ما الذى يدعونا الى اتباعك و ما معك و ما تبعك إلا- ان تبعنا على الغارة و الغنائم؟ أمن أجل سعة أموالك و كثرة كنوزك و مروج خيولك و اصطبلات دولك؟ أم لخزائن سلاحك. و من أخذنا بأن نكفر آباءنا و نشهد بضلالهم و نسحق أجلاءهم، و نسوء اختيارهم، و نعادي الأمم و جبابرة الملوك، و نسفك دماءنا فى طاعتك، و نقتل كل من عاداك و خالفك و إن كانوا آباءنا و أبناءنا أو إخواننا، و نفارق اوطاننا و أزواجنا، و نهجر اللذات من شرب الخمر و لبس الحرير و شفاء الغيظ بقتل/ من سبنا أو عاب آباءنا كعادتنا فى ذلك، ثم لا نحصل إلا على شىء اذا غنمناه بقوتنا و غلبنا عليه بأسيافا بعد المخاطرة بدمائنا

(١) في الأصل، تبعه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٢

أن نسلمه إليك فتعطينا بعضه، هذا لا يختاره بله النساء فكيف بالمهاجرين و الانصار الذين أجابوه فصار بهم في عز و منعة، و صبروا على تلك الشرائط التي شرطها.

و بعد فإن لم يكن نبيا فهم لا يدرون هل يصل الى غنيمته؟ و لعله لا يتم له شيء مما يعدّ، فما كانوا ليتبعوه لما يظنه الخصم، و لو لا أن هذا قد كان في أهل الذمة و طبقات الزنادقة، و تعدوا الى قوم زعموا أنهم من المسلمين لما ذكرناه، و لكنه شيء يستترلون به المسلمين الذين لا ينظرون فيما هذا سبيله، و يغترون بالظاهر.

هؤلاء الذين ادعوا أنهم من المسلمين، و أنهم من خاصة الخاصة «١»، و ممن قد عرف ما لا يعرفه غيره، و أن للأمور غوامض و بواطن قد عرفها، فيعتقد من يسمعه في المهاجرين و الأنصار الغافلة و البله و قلة العقل، و من تدبر، يعلم أنهم أوفر عالم الله عقولا، و أحسنهم تحصيلا، و أسرعهم استدراكا لخفيات الامور و غوامضها، لا فرق بين من رمى المهاجرين و الأنصار بذلك، و بين من رمى رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك. فإن آثار عقول المهاجرين و الانصار معروفة في أفعالهم، و تدبيرهم الدنيا، و سياسة أهلها، و ترتيب خواصهم و عوامهم، و أخذها من أيدي دهاة الملوك و عقلاء الناس، و تفصيل ذلك يطول.

فإن قيل: و من سلم لكم عقل صاحبكم حتى تقولوا إن من دفعنا عن عقول المهاجرين و الانصار كمن دفعنا عن عقل رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

(١) يقصد بهؤلاء الباطنية، فقد وقعوا بأكثر الصحابة و هاجموهم، فادعوا أن اسلامهم انما كان لمال او جاه، و لم يستخلصوا من الصحابة الا عددا محدودا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٣

قيل له: إن أعداءه لا يدفعونه عن ذلك، فإنهم قالوا: ما جمع المهاجرين و الانصار و هو فقير و حيد أجير معيل و قد دعاهم الى ما قدمنا و على الشرائط التي ذكرنا إلا بعقل وافر، و حلم واسع، و بلطف في التدبير، و حسن تأت و علم بالعواقب، و سعة في الفطن، و هذا قول عدوه فيه.

فأما ولّيه فيقول: هذا لا يبلغه عاقل بعقله، و لو كان أتم الناس عقلا، و أوسعهم علما و حلما، و أكثرهم مالا، و لا يكون هذا على تلك الشرائط إلا بتدبير الله عزّ و جلّ، الذي يملك العقول، و يقبّل القلوب، و بوحى منه عز و جلّ.

فإن زعم الأعداء أن الذي تم له كان مع قلة العقل و بالعجز فيه و الخبط فقد خرجوا من كل معقول، و تبرءوا من كل تمييز و محصول، و جعلوا أنفسهم ضحكة و أحلوا بها المكاره، و أعطوا خصمهم أكثر مما طلب، و شهدوا بأن الله قد نقض له العادات أكثر مما نقضها لأحد من الناس كلهم ممن ادعى النبوة و الحكمة و غيرهم لأنهم زعموا أنه تم له ما تم بتلك الشرائط و على تلك بعقل ضعيف و خلق سخيف و بالذهاب عن الحزم و الحلم و مع طول الغافلة، فاذا تبين عقله لمن تفكر من / عدوه، علم أن عقول المهاجرين و الانصار مثل عقله أو قريب منه، و كذا عقول قريش ثم العرب؛ فإن العقلاء و الحكماء يقولون: الأمم العاقلة هم:

العرب و الفرس و الهند و الروم، ثم قالوا: أعقل الاربع العرب و الفرس، ثم اختلفوا أيهما أعدل و أحكم و أفطن، الفرس أم العرب؟ و خاضوا في ذلك، و ذكروا ما لكل أمه من وصية و حكمه، و تدبير و سياسة، و هذا ما لا يدفعه العاقل المتفكر المتدبر.

فإذا كان عقل رسول الله صلى الله عليه و سلم قد عرفه عدوه و ولّيه، فمن هذا عقله

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٤

لا- يأتي تلك الامم و يستقبلها بتلك المكاره التي فصلنا و حاله في الوحدة ما ذكرنا ثم يقول: لا تقتلونني مع حرصهم على قتله، و

يقول:

ستصيرون أنصاري مع شدة ما دعوتكم إليه و هو غير واثق بما قال، و لا ساكن الى ما أخبر، ثم لا يرضى او يجعل ذلك كتابا يقرأ، و قرآنا يتلى، و يجعله في يد عدوه فيقول: «سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (١).

يريد بالآفاق: ظهور الاسلام عليها، و بلوغ دعوته إليها، لأنه قد كان وعد بذلك و هو بمكة، و حين ادعى النبوة، فكانوا يقولون: أ يطعم محمد أن يظهر على الآفاق؟ لا، و لا على مكة، و لا على دار من دور مكة؛ «و في أنفسهم» يريد: في اسلام من يسلم منهم بعد الرد و التكذيب/ و من يقيم على تكذيبه و يموت على شركه على ما لعله ان يرد تفصيله عليك.

و في هذا المعنى قوله عز و جل: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ» (٢) لأنه صلى الله عليه و سلم كان اذا ذكر ظهور دينه، و غلبه اصحابه، و قتلهم لأعدائه، استبعدوا هذا بل أحالوه، و قطعوا الشهادة بأن هذا لا يكون أبدا، فيقول في جواب ذلك: «خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون».

و في هذا المعنى قوله عز و جل: «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» (٣) يعنى هؤلاء: مثل أبى جهل، و أبى لهب،

(١) فصلت ٥٣

(٢) الأنبياء ٣٧

(٣) الانعام ٨٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٥

و عقبه بن أبى معيط، و الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل و أشباههم و أمثالهم من اعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم. فعزى الله نبيه، و بشره بقوم يطيعونه و يتبعونه، فيسر له المهاجرين و الأنصار كما وعده.

و قد أذكره بإنجاز هذا الوعد و وقوع الوفاء به، فقال عز و جل:

«وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (١) لأن اجتماع المهاجرين و الأنصار له، و اعتقادهم نبوته، و إخلاصهم في طاعته على تلك الشرائط التي تقدم ذكرها، و على الوجوه التي / قرر دعوته عليها لا يكون و لا يتم باتفاق جميع ما في الارض، و لا يكون ذلك إلا بتدبير الله و صنعه، و هو من آياته التي نقض العادات بها.

و مثله قوله: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ لِحِقَابِهِمْ وَ لَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٢) و هم قد كانوا عقلاء قد عرفوا هذا (٣)، و لا يجوز في العقل ان يقول رئيس قوم لأتباعه: قد كنتم اعداء يعادى بعضكم بعضا ثم صرتم اخوانا يخلص بعضكم لبعض المودة و بى هداكم الله و جمعكم

(١) الانفال ٦٢ و ٦٣.

(٢) آل عمران ١٠٣ و ١٠٤.

(٣) يشير القاضي الى الدعوة العباسية التي حمل العبد الأكبر في تأسيسها ابراهيم بن محمد ابن علي بن عبيد الله بن العباس، و قد بويغ بعده لأخيه أبى العباس عبد الله بن محمد و ذلك في سنة ١٣٢ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٦

و هو يعلم انهم يعلمون انه قد كذبهم؛ هذا في رئيس لا يدعى النبوة فكيف بمن يدعى الصدق و النبوة؟ و هذا قول قد سمعه عدو

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليهود والنصارى وقريش والعرب، وأخرسهم صدقه، وبهر عقولهم تمامه والوفاء به، لأنهم اجتمعوا له بتلك الشرائط التي قد تقدمت، وهو بخلاف اجتماع الاتباع لخطاب الملك وطلاب الدنيا.

فان قيل: أفليس علي بن عبد الله ابن العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابنه محمد وبنو محمد، كإبراهيم الامام وإخوته، كأبي العباس، وأبي جعفر، وغيرهما، قد كانوا مقهورين ومغلوبين بنبي أمية، فدعوا الى انفسهم بخراسان فأجبيوا، وصاروا في عساكر وجماعات، فغلبوا بنبي أمية على الملك، وقتلوه وأخذوا كل ما في ايديهم الا بلاد الاندلس من ارض المغرب، فلم لا يكون سبيل نبيكم وغلبته هذه السبيل؟ وإلا فقد لزمكم ان تقولوا بنبوته بنبي العباس كما قلتم بنبوته صاحبكم.

قيل له: قد فرغنا من هذا مرة وتبيننا الجواب فيه، وهو أنا لم نقل بنبوته محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه صارت له رئاسة و صار متبوعا وصارت له عساكر، ولكن لأنه أخبر بالأمر قبل كونها على غير مجرى العادة، بل على ما هو نقض للعادات، لأنه أتى الناس وهو وحيد فقير أجير، فأغضبهم و غاظهم و جادلهم و عادوه، وأخبر أنهم سيغلبون، وأنه يغلبهم و يقهرهم، وقالوا: بل نحن نغلبك و ندبرك، و كان موجب التدبير و مقتضى الحزم أن تكون الغلبة لهم لا- له، إلا- أن يكون من قبل الله و رسولا لله، لأنهم و اليهود و النصارى و الفرس و المجوس يد واحدة في عداوته و القصد

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧

لقتله و إطفاء نوره و لمنع اتباعه، و الرجال و الكراع «١» و السلاح مع عدوه لا- معه، فآلت الأمور الى ما قاله، و كما أخبر، و على ما فسر.

و لم تكن هذه سبيل بنبي العباس؛ فإنهم ما ادعوا نبوة و لا رسالته، و لا أتوا مثل ما أتى من الإخبار بالغيوب. و أخرى ان بنبي العباس قصدوا، المسلمين من اهل خراسان، الذين قد اعتقدوا نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتدينوا باقامته شريعته و حد حدوده، بانكار ما أنكره و باكرام من اكرمه، و إجلال من اجله، و باهانته من ارتكب الكبائر فشكوا إليهم ما نزل بنبي هاشم خاصة ثم بالمسلمين عامة من بنبي أمية. و بنو هاشم اذ ذاك كلمة واحدة، ما اختلفوا و لا تباينوا. فكان ولد العباس و ولد علي و ولد جعفر و ولد عقيل «٢» و سائر بنبي هاشم متفقين، و انما اختلفوا بعد مصير الدولة و الملك الى بنبي العباس أيام أبي جعفر المنصور، فجرى بينه و بين بنبي عمه من ولد الحسن ما هو معروف، فحينئذ اختلفوا، فذكر بنو هاشم لأهل خراسان ما صنعه بسر بن أرطاة بعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، و انه قصده و هو عامل امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه، فهرب من يده، و وجد له ابنين طفلين فقتلتهما و قتل جماعة من اصحابه «٣». و أذكروهم بقتل حجر بن عدي

(١) الكراع من الدابة: ما دون الساق، يريد القاضي ان يشير الى الخيل و غير ذلك من الحيوانات التي يتقوى بها على القتال. انظر لسان العرب، مارد كرع

(٢) يقصد: العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه و سلم، و علي بن ابي طالب، و جعفر بن ابي طالب، و عقيل بن ابي طالب رضي الله عنهم جميعا.

(٣) انظر لتفصيل هذه الحادثة الطبري ١: ٣٤٥١ و ٣٤٥٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٨

و أصحابه «١»، و بكر بلاء و من قتل من بنبي هاشم بها، و بقتل مسلم بن عقيل «٢»، و بالحره «٣»، و بعسكر التوابين «٤» من اهل عين الوردية، و بما أنزلوه بالكعبة في قتال آل الزبير «٥»، ثم بمن قتلوه من القراء او الفقهاء الذين ثاروا مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث «٦» في الانكار على الحجاج و عبد الملك بن مروان، و بقتل زيد بن علي و يحيى بن زيد «٧»، و بصنيع

(١) لتفصيل حادثه مقتل حجر بن عدى من قبل بسر بن أبى أرطأة عامل معاوية انظر الطبرى ٢: ١١١.

(٢) قتل مع الحسين رضى الله عنه سنة ٦١ هـ هو و اخوه و ابنه الطبرى ٢: ٣٨٨

(٣) الحره فى الأصل هى الارض ذات الحجارة السوداء النخرة كأنها أحرقت بالنار، و هناك أماكن كثيرة أطلق عليها هذا الاسم. و المقصود هنا حره المدينة حين وردها مسلم بن عقبه من قبل يزيد بن معاوية و كانت فيها وقعته الحره سنة ٦٣ هـ حيث استبيحت المدينة بعدها ثلاثة أيام.

انظر معجم البلدان ٢: ٢٤٧ و الطبرى ٢: ٤١٢ و ما بعدها.

(٤) المقصود بهم من خرج من اهل العراق يطلبون دم الحسين رضى الله عنه سنة ٦٥ هـ و قالوا: أخرجتنا التوبه من ذنبا و الطلب بدم ابنه نبينا صلى الله عليه و سلم. انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ٢: ٥٣٨-٥٧٦.

(٥) كان رمى الكعبه بالمنجنيق بأمر من الحجاج سنة ٧٣ هـ و قيل ٧٤، و كان اميرا لجيوش بنى أمية المحاصره لعبد الله بن الزبير فى مكه، و قد قتل عبد الله بن الزبير فى تلك السنه. ابو الفداء ١: ١٩٧.

(٦) خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج سنة ٧٥ و استولى على خراسان و غلب على الكوفه، لكن الحجاج قضى على حركته فى نفس السنه، و كان قد خرج مع الأشعث مجموعه من القراء و الفقهاء. ابو الفداء ١: ١٩٧.

(٧) زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ٧٩-١٢٢ هـ كان فقيها، و قرأ على واصل بن عطاء و اقتبس منه بعض آراء المعتزله. خرج على الامويين سنة ١٢٠ فى العراق و كان عامل الامويين فيه يوسف بن عمر الثقفى، و قد قاتله و الى الكوفه الحكم بن الصلت، و استشهد سنة ١٢٢ هـ. الطبرى ٨: ٢٦٠، ٢٧١، فوات الوفيات ١: ١٦٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ١٩

الوليد بن يزيد/ بن عبد الملك «١» و ما اتى من شرب الخمر و المجاهره بذلك.

فأثار بنو العباس و دعاهم اهل خراسان بذلك، فقدم بنو العباس على امر ممهّد و جند مجند، و على قوم مسلمين قد صدّقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و رضوا بما رضى رسول الله، و غضبوا مما يغضب منه رسول الله صلى الله عليه و سلم. فبنو العباس الى رسول الله نحوه، و بأتمته و المصدقين به استجاروا، فالذى تم لهم فيرسول الله صلى الله عليه و سلم تم، و بظله تفيثوا، و به تستروا، و هذه سبيل كل من ادعى بعده صلى الله عليه و سلم الامامه من بنى هاشم و من جميع قريش او ادعى انه من قريش.

و كلهم برسول الله صلى الله عليه و سلم تشبثوا، و به تستروا و استعاذوا و لاذوا، و لأجله تم لهم ما تم. و أنت تجد ذلك فى واحد واحد منهم فى مشارق الارض و مغاربها، و تعرف الحق منهم من المبطل، و الدعى من الصريح، فأين هذا من دعوة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سبيلها ما قدمنا و شرحنا.

فإن قيل: أو ليس مع ادعائه النبوة قد حمل السيف على من خالفه، و حارب بمن أطاعه من عصاه، فما تنكرون ان يكون الذى تم له من اوله الى آخره انما تم بالسيف و بالمكابرة، لا بالآيات و المعجزات؟

قيل له: ما انكرنا انه حمل السيف، و انما كلامنا فى الذين صاروا سيوفاه و عساكر/ و بهم استطال على عدوه، فإن هؤلاء قد أجابوه بلا دنيا و لا سيف كما قد قدمنا و بينا، و بمصيرهم الى طاعته صحت نبوته فظهرت دلائل رسالته، لأنه ما خلق قوما حملوا السلاح معه، و انما أجابه المهاجرون

(١) الوليد بن يزيد هو الخليفة الحادى عشر من خلفاء بنى أمية، تولى امره المسلمين سنة ١٢٥ هـ و عكف على شرب الخمر و سماع الغناء و معاشره النساء، و قد ثقل امره على الرعيه و الجند فثاروا عليه سنة ١٢٦ هـ بعد ان دعا يزيد بن الوليد بن عبد الملك الى نفسه، و قد قتل الوليد فى نفس السنه. تاريخ ابى الفداء ٢٠٥-٢٠٦.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٠

والأنصار الذين هم من قريش وغيرهم من العرب وقد أتاهم بإكفارهم وإكفار آبائهم على ما شرحنا وبيننا، وهو من الوحدة والفقر على ما ذكرنا، فمكث بمكة بعد ادعائه النبوة خمسة عشر سنة يدعو إلى دينه، فيجيبه النفر بعد النفر على خوف شديد، وقد تجردت قريش وغيرهم من أعدائه له صلى الله عليه وسلم ولمن اتبعه وأطاعه، فيقصدونهم بالضرب والتعذيب الشديد، ويمنعونهم الأقوات، ويتعاهدون على أن لا يبائعوهم ولا يشاروهم ولا يناكحوهم، وقد كتبوا في ذلك الصحف «١»، وقد قتلوا منهم قبل الهجرة رجالاً ونساءً وكانوا يرصدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدعائه إذا خرج إلى الموسم لدعاء الناس وإظهار ما معه وتلاوة القرآن، فيقولون للعرب: هذا منا وقد صبأ وهو ساحر كذاب، فلا تطيعوه ولا تسمعوا لما معه، فنحن اعلم به، وقد سفه احلامنا، وضلل ادياننا، واكفر آباءنا، وفرق آلفنا، وأفسد أحداثنا وعبيدنا ونساءنا.

ثم كان هو صلى الله عليه وسلم يرحم ويضرب الضرب المبرح، ويداس وي طرح على رأسه الفرث والتراب/ ويلقى من المكاره هو ومن اتبعه ما يطول شرحه «٢». فلم يكن لأصحابه مع شرفهم وشرف أهلهم قرار، ولا أمكنهم المقام للشدائد التي تنالهم، حتى فروا بأديانهم في الأمصار والبلدان حتى عبروا البحار وصاروا إلى أرض الحبشة «٣»، فتعرف قريش أخبارهم

(١) لما رأت قريش أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في ازدياد وان عمه ابا طالب يحميه منهم ائتمرت بينها ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا الى بنى هاشم و بنى المطلب و لا ينكحوهم و لا يبيعونهم شيئا و لا يبتاعوا منهم، و قد انحازت بنو هاشم و بنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه إلا عمه ابو لهب فانه ظاهر قريشا. و قد اقام المسلمون على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا. الطبري ١: ١١٩٠

(٢) انظر الطبري ١: ١١٩٨-١١٩٩

(٣) كانت الهجرة الاولى الى الحبشة في السنة الخامسة من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم، و قال بعض المؤرخين ان عدد المسلمين المهاجرون منها كانوا احد عشر رجلا و أربع نسوة. الطبري ١: ١١٨١، و قال بعضهم بل كانوا اثنين و ثمانين رجلا. الطبري ١١٨٣.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢١

و الى أين توجهوا، فترسل في طلبهم و تغرى بهم و تنفر عنهم و تنفق في ذلك الاموال. فأرسلوا الى النجاشي ملك الحبشة و هو اذ ذاك نصراني بمن ينفره عن المسلمين الذين فرّوا بأديانهم الى أرض الحبشة، و حملت إليه قريش هدايا و لاطفوه، و قالوا له: إن هؤلاء قوم منا، و قد اتبعوا رجلا منا فأفسدهم، و هو عدونا و عدو النصاري، و هو يقول في المسيح: أنه عبد مخلوق، فسلموهم إلينا.

و كان هناك عثمان بن عفان و معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و جعفر بن أبي طالب و معه أسماء ابنة عميس، و خالد بن سعيد بن أبي أحيمة، و الزبير بن العوام «١»، و عمار بن ياسر «٢»، و أبو حذيفة بن عتبة «٣»، و نحو مائة من وجوه المهاجرين، و كانت لهم مع رسول قريش الى النجاشي مجالس و خصومات طويلة، فصارت العقبي للمسلمين، و قامت حجتهم، و عرفها النجاشي ملك الحبشة فأسلم و استبصر «٤».

و ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على اهل المواسم اذا اجتمعت/ قبائل العرب، و خرج الى الطائف «٥» يدعو الى الله و يقول: أنا رسول الله

(١) الزبير بن العوام الصحابي المشهور المتوفى سنة ٣٦ هـ، و لمعرفة خالد بن سعيد بن ابي أحيمة (العاص) انظر الاصابة ١: ٩١، و لبنت عميس و جعفر الاصابة ١: ١١، و أسماء هي زوجة خالد بن سعيد.

(٢) عمار بن ياسر الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٧ هـ، و قد شهد بدرًا و أحدا و الخندق و ليلة الرضوان، انظر الاستيعاب بهامش

الاصابة ٢: ٤٦٩.

(٣) هو ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، هاجر الى الحبشة و معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

(٤) كان النبي صلى الله عليه و سلم يذكر النجاشي بالخير دائما، و قد نعاه بنفسه للمسلمين سنة تسع من الهجرة.

(٥) كان ذلك بعد وفاة ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه و سلم، فقد خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فرده سادتها: عبد

يا ليل بن عمرو، و مسعود بن عمرو، و حبيب بن عمرو ردا قبيحا، و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم يسبون و يصيحون به، حتى التجأ الى

حائط لعتبة ابن ربيعة و شيبه بن ربيعة. الطبرى ١: ١٢٠٠.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٢٢:

فمن يجيرني حتى أبلغ رساله ربي؟ و قریش تبعه و تمنع من اتباعه. و قد عرض نفسه على القبائل «١»، و معه ابو بكر الصديق و علي

بن ابي طالب، و عمه ابو لهب يقول لتلك القبائل: نحن اهل و أعلم به فلا تسمعوا منه و لا تقبلوا قوله، فتلقى تلك القبائل رسول الله

بالجفاء، و يقولون له: قومك أعلم بك، و لو كان عندك خير لا تبعوك، فأمسك عنا، الى ان انتهى الى ربيعة و الى ذهل بن شيبان،

فكلمهم و تلا عليهم القرآن، فقالوا: إنا على هذا الماء من ذى قار، و قد اخذ علينا كسرى ألا نحدث حدثا، و لا نؤوى محدثا، و هذا

الذي أتيت به و دعوت إليه تكرهه الملوك، فإن شئت ان نجيرك إلا من الملوك فعلنا، فقال صلى الله عليه و سلم: ما أسأتم بالرد إذ

أفصحتم بالصدق، إن هذا الدين لا يكون من اهل إلا من حاطه من جميع جوانبه، أ رأيتم إن أظهركم الله عليهم، و أورثكم ارضهم و

ديارهم و اموالهم و أفرشكم نساءهم أ تطيعونه و تعبدونه حق عبادته؟ فتعجبوا من قوله و من إقدامه على ان ملك كسرى يزول

بدعوته و يصير ملكه لأصحابه، استبعادا لذلك، و استعظاما لملك كسرى ان يزول بجابرة الملوك الأقوياء الاغنياء، فكيف يزول بهذا

الوحيد الفقير؟ ثم / يقولون هذا عاقل، و لم يكن ليقول هذا و يعرض نفسه للملوك إلا و هو على ثقة، ثم انصرف عنهم و ما اجابوه.

و ما زال يدعو و يعرض نفسه فى المواسم اذا اجتمعت العرب، الى ان لقيته الانصار «٢»، فسمعت منه و اجابوه و اسلموا، و خرجوا الى

المدينة

(١) انظر تفاصيل عرض النبي نفسه على القبائل فى الطبرى ١: ١٢٠٠-١٢٠٩.

(٢) كان اول من تلقى الرسول من اهل المدينة ستة نفر من الخزرج قدموا مكة فى موسم الحج، و عادوا الى المدينة بعد ان أسلموا،

فدعوا قومهم الى الاسلام، و توالى الوفود من المدينة الى مكة فى مواسم الحج اللاحقة، و كانت بيعة العقبة الاولى التى حضرها اثنا

عشر رجلا من الانصار، ثم كانت العقبة الثانية التى شهدها سبعون رجلا و معهم امرأتان من نساءهم. انظر تفاصيل ذلك فى الطبرى ١:

١٢٠٨-١٢٢٢.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٢٣:

و دعوا الى الاسلام، ثم عاد قوم آخرون فى سنة اخرى و بايعوه و هو مقيم بمكة، ثم عادوا فى سنة ثالثة مع آخرين فبايعوه و رجعوا

الى المدينة، و ظهر الاسلام بها.

و الانصار رضى الله عنهم انما هم قبيلتان عظيمتان من قبائل اليمن، ذو بأس و شدة و أموال، و ذو شوكة «١» شديدة و عدد و عدة، قد

ترددوا إليه، و سمعوا دعوته و احتجاجه، فأجابوه على البراءة من اديانهم التى كانوا عليها، و من آباءهم، و على ان يبذلوا اموالهم و

دماءهم، و على معاداة ملوك العرب و العجم فى طاعته و له و لأجله.

و كم قد اسلم و أجاب على هذه السبيل من قبائل العرب، كقبيلة اسلم، و كقبيلة غفار، و هما من قبائل خزاعة و كنانة «٢»، و كالذين

اسلموا من عبد القيس «٣» و هم من فرسان ربيعة و رجالهم، و من قبائل فزارة «٤»، و من قبائل جهينة، على هذه السبيل. و كم اسلم من

اهل اليمن من ملوكها من حمير و غيرهم، الى من اسلم من ملوك عمان من ولد الجلندى بن كركر «٥»

(١) كذا في الاصل

(٢) انظر اسلام قبيلة أسلم و قبيلة غفار و فزارة و جهينة و فضائل هذه القبائل في البخارى و مسلم باب المناقب.

(٣) و كان قدوم وفد عبد القيس في السنة العاشرة للهجرة.

(٤) كان اسلام فزارة و كثير من قبائل العرب في العام التاسع للهجرة، و كان على رأس وفدهم الى النبي خارجة بن حصن، الطبرى ١: ١٧٢٠.

و قد سمي العام التاسع بعام الوفود لكثرة ما ورد المدينة من قبائل العرب معلنة اسلامها.

(٥) انظر لفضل عمان و الجلندی صحيح مسلم في المناقب. و كان عمرو بن العاص رسولا من الرسول صلى الله عليه و سلم الى ملكى عمان جيفر و عبد بن الجلندی. السيرة الحلبية ٣: ٢٥٢.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٤

و كم قد اسلم من العجم و الانباط بصنعاء الذين كانوا جنود كسرى، و اخرجهم مع سيف بن ذى يزن لينتصروا له من ملوك الحبشة الذين قتلوا اباها. و لعل قصتهم ان ترد عليك بأكثر من هذا الشرح.

فالذين اجابوه صلى الله عليه و سلم و بهذه الشرائط و بلا حرب خلق كثير، و امم عظيمة هي مذكورة، يعرفها اهل العلم، و من اراد ان يعرف / ذلك حتى يصير فى مثل حالهم قدر على ذلك و وجد السبيل إليه. فهؤلاء الذين اسلموا لله و من خوف و تقربا الى الله، و هم عساكره.

و لما نشأت بدعة الخارجية «١» و هي اول بدعة نشأت في الاسلام، ثم بعدها و بعد دهر طويل نشأت بدعة الارعاء «٢»، ثم بعدها بدهر طويل نشأت بدعة القدر «٣»، و بعد بدعة القدر بدهر طويل نشأت بدعة الرفض «٤». فكان العلماء يقولون: لا تسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه و سلم فانهم اسلموا من خوف الله و أسلم الناس من خوف اسيافهم.

(١) طائفة من المسلمين كانوا من اصحاب على بن ابي طالب رضى الله عنه ثم خرجوا عليه بعد قبوله للتحكيم و اتهموه بالكفر لذلك و طلبوا منه ان يتوب و يجدد اسلامه، و قالوا ان مرتكب الكبيرة كافر. و قد حاول على ان يقنعهم فلم يستطع فحاربهم، ثم حاربهم خلفاء بنى أمية. لم يبق منهم الآن إلا عدد قليل فى عمان و ليبيا و الجزائر.

(٢) المرجئة على النقيض من الخوارج، فقد قالوا ان مرتكب الكبيرة مؤمن و انه لا يضر مع الايمان كفر، و هم على درجات فى عقيدتهم هذه.

(٣) يقصد من يقول ان العبد لا يقدر على فعله و ان افعال العباد مخلوقة من الله فيهم.

(٤) الراضة طائفة من الشيعة، و يسميهم القاضى احيانا بالباطنية، و اصح الاقوال فى سبب تلقيهم بذلك انهم طلبوا من زيد بن على بن الحسين (و تنسب إليه الزيدية) ان يسب ابا بكر و عمر فرفض ذلك فرفضوه، و لم نجد ضرورة لتفصيل القول فى هذه الطوائف لأنه ليس من مجال حديثنا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥

و فاض الاسلام بالمدينة و فى هذه القبائل، و أقيمت فيها الصلاة، و أدت الزكاة، و أقيمت الجماعات و الجمعة، و أقرئ القرآن، و صارت المدينة دار الهجرة؛ و رسول الله صلى الله عليه و سلم مقيم بمكة محصور فى الشعب يؤذى و يقصد بأنواع المكاره هو و من اتبعه، الى ان هاجر الى المدينة و معه ابو بكر الصديق الهجرة المعروفة.

فهؤلاء الذين اجابوا بلا- حرب، و قبل الحرب احتججنا، و هو موضع دلائلنا فى هذه الآية التى اخبر و هو فى تلك الحال انكم

ستجيوننى، و إن كانت لنا فى الحروب و المحاربين دلائل اخرى لعلنا نذكرها لك فى كتابك هذا ان شاء الله.
فإن قيل: أو ليس قد كان يدافع عنه عمه ابو طالب و إن كان على غير دينه، و يشفع الى قريش فيه، و يعاتبهم فى بابه، و يذكرهم بصدقه و أمانته و قد كان صلى الله عليه و سلم معروفا فيهم قبل الرسالة بمحمد الامين، و يسألهم الكف عنه و عن اذيته. و قد نصره ابو بكر الصديق و صدقه و كاشف «١» فى بابه، و أنفق ماله فى / نوائب الاسلام و فى عتق المعذيين فى الله و اتبعه من اهل مكة جماعة. و أسلم عمر قبل الهجرة و كاشف، و قال: لا نعبد الله سرا، فكيف ادعيتم له الوحدة و عليه الغلبة و هو بمكة؟
قيل له: قد علمنا انه حين دعا كان وحده و الناس كلهم على خلافه، و ليس فى اجابه هؤلاء و مدافعة ابى طالب طعن «٢» فيما استدللنا، بل هو من الدلائل على ما قال صلى الله عليه قبل ان يجاب انه يستجاب و ينصر، ثم مع

(١) كاشفه بالعداوة: باداه بها. انظر القاموس: مادة كشف

(٢) و قد كتب فوقها فى الاصل: به، و هى زائدة من الناسخ او المعلق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٦

نصرة هؤلاء و إجابتهم له صلى الله عليه و سلم و مدافعة ابى طالب، ما خرجوا و لا هو خرج من ان يكون و يكونوا بمكة مقهورين مغلوبين، حتى فروا من عدوهم بأديانهم.

فإن قيل: فاذا كان الله قد وعد هؤلاء الأنبياء بزعمك بالنصر و الظهور فلم يفزون من اعدائهم؟ فقد فرّ موسى من فرعون بنى اسرائيل ليلا و خفية و منع من إيقاد النيران لثلا يراها فرعون و جنوده فيستدلوا بها عليهم و معه الآيات و المعجزات، و فرّ عيسى من مكان الى مكان بزعمكم و زعم النصارى، فانها تقول فى اخبارها و أناجيلها ان يوسف النجار فرّ بعيسى و أمه الى مصر من بيت المقدس خوفا من هيريدس «١» ملك بنى اسرائيل، فأقاموا بها اثني عشر سنة و معه بزعمكم و زعم النصارى الآيات و المعجزات، و فرّ صاحبكم من قريش و أقام بالغار و معه ابو بكر ثلاثة ايام و معه كما زعمتم الآيات و المعجزات.

قلنا: ليس فى فرارهم طعن فى اعلامهم، و ما قالوا لا يفرو و لا يتوقى فيكون فى فرارهم تكذيب، فإن كل شىء و عدوا به و قالوه قبل ان يكون قد كان و تم على ما قالوه و شرطوه/ قبل ان يكون، و ليس فى فرارهم أيضا مقاربة لعدوهم و لا مداهنه، بل انما احتاجوا الى الفرار لترك المداهنه و المقاربة، و لشدة المكاشفة لعدوهم، و المبالغة فى اسخاطه و إرغامه، و لو قاربوا العدو و اتقوه لما احتاجوا الى الفرار.

فاحفظ هذا فانك محتاج إليه، فإن قوما زعموا انهم اتباع الأنبياء من المسلمين، اجازوا على انبياء الله و على من هو حجة الله على خلقه المداهنه

(١) هيرودس او هيرودوس هو حاكم فلسطين الرومانى آنذاك. و انظر لقصة هرب يوسف النجار و عيسى عليه السلام و أمه مريم: الاصحاح الثانى ١٣ متى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧

و المقاربة للمشركين و لأعداء الدين، و أن الأنبياء يمدحون المشركين و يزكون اعداء الدين و يظهرون ذلك، و يذمون المؤمنين و يتبرءون من الأنبياء و المرسلين خوفا من المشركين، و يزعمون ان حجتهم فى ذلك فرار رسول الله صلى الله عليه و سلم و استتاره فى الغار ثلاثة ايام «١». و قد بينا انه لا حجة لهم فى ذلك، بل هو الحجة عليهم، و أن الذى اخرج الأنبياء الى الفرار شدة المكاشفة، و ترك المقاربة، و قائل هذا لا يثق بأفعال الأنبياء و أقوالهم، و لا بتزكية من زكوه، و لا بلعن من لعنه، لأنهم قد قالوا انه قد يجوز ان يكون ظاهر الأنبياء بخلاف اسرارهم و ضمائرهم، و أيضا فان الأنبياء لا يجوز ان يكون ظاهرهم بخلاف باطنهم و إن خافوا و إن قتلوا،

و هذا اصل كبير فاعرفه.

فإن قيل: ادعيتم ان اعداء نبيكم من قريش و العرب و اليهود و النصارى حرضوا على قتله و هو بمكة، و هو فى تلك الحال من الوحدة و الذلة و ضعف الاتباع، فمن اعطاكم هذا، و من سلمه لكم؟

قيل له: ان من سمع اخباره و اخبار القوم معه يعلم ذلك، علما لا يرتاب به، كما يعلم انهم قد كذبوه و عادوه و اغضبهم ما اتاه و شرعه و دعا إليه، و لا فرق / بين من قال: انهم ما حرضوا على قتله، و بين من قال: و لا كذبوه و لا عابوه و لا برئوا منه، و لا انكروا شيئا اتى، و لا خالفوه، و ادعى انه هو أيضا ما خالفهم، و لا عاب اديانهم و آلهتهم، و لا ادعى النبوة، و لا خالفهم فى البعث و النشر. و قد حرضوا أيضا على ذلك و هو بالمدينة، و اعداؤه فيها معه من العرب

(١) يقصد بهؤلاء الباطنية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٨:

و اليهود و النصارى و هم كثير و نزول بالمدينة و حولها فى آطامهم و حصونهم محدقون بها كالإكليل، و قد غدروا به، و ارسلت قريش إليهم فى ذلك، و دست غير واحد، و كان من عامر بن الطفيل و أزيد فى الاحوال التى كان يكون فيها وحده فيصرفهم الله عنه بألوان الصرف، كما صرف ابا جهل و عقبه بن ابي معيط و الذين كانوا بمكة، كما هو مذكور. و كم دسوا له السم فى الطعام فصرفه الله عنه، و قد راموه منه فى طول حياته، و قد كان معهم و هو بالمدينة فى التبذل و التفرد و التطرح اكثر زمانه، على مثل حاله و هو بمكة. و انما كان يكون فى جماعة فى اسفاره و فى حروبه، فأما بيوتهم و حجرات نسائه فمن جريد النخل، و قد علم اهل العقل و التحصيل الفتك بجبايرة الملوك فى حصونهم و قصورهم و هم وراء الابواب الحديد، و قد تحرزوا بصنائعهم المشاركون لهم فى نعمهم بعبيدهم، كصنيع شيرويه بكسرى ابرويز «١»، و قبله من ملوك فارس من كانت هذه سبيله. و كما جرى على المتوكل من المنتصر، ثم على ولده، الى ما جرى من الفتك بمحمد بن المعتضد/ المسمى بالقاهر بالله، الى المتقى، و الى المستكفى، و الى ما جرى بالإحساء على ذكيره الاصفهاني من جنوده و اعوانه سنّى نيف و خمسين و ثلاثمائة للهجرة فى جوف داره و احصن قصوره، و حوله و فى حجرته و معه ممن له نوبة فى حراسته و حفظه من الرجال المتسلحين اكثر من الفين، فقتل وحده من بينهم، و رفع رأسه.

(١) يقصد الاشارة الى ما صنعه شيرويه فى سبيل الحصول على الملك، اذ شارك فى قتل ابيه كسرى ابرويز و كان من اعظم ملوك فارس، و قد عاصر الرسول كليهما و كانت هجرته عليه الصلاة و السلام ايام كسرى ابرويز. انظر الطبرى. ثم ما كان يفعله الخلفاء العباسيون فى سبيل الوصول الى الحكم من قتل آبائهم او اخوانهم او اقاربهم. و كذلك ما فعله خادم ذكيره (ذكرويه) الاصفهاني القرمطى من قتله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٩:

و ليس فى هؤلاء من اغضب الناس اغضاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا من ادعى دعواه، و لا من أذكر عدوه بعداوته و أيقظه و بعثه على قتله و خرج إليه بذات نفسه و ما يريد ان يعمل، مثل رسول الله صلى الله عليه و سلم. فانه أتاها على الوجه الذى ذكرنا فى الوحدة و الفقر و رماهم بتلك العداوة، ثم قال:

و لا تقتلونى، بل أنا أقتلكم و أسبيكم و أستبيح حصونكم، فكان كما قال.

فإن قيل: و من سلم لكم أن المهاجرين و الانصار كانوا يعتقدون نبوته و صدقه، سيما و فى اهل ملتكم اليوم من طوائف الشيعة من يقول: إن أبا بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعات و المهاجرين و الانصار ما آمنوا به قط، و لا اعتقدوا صدقه و لا تعظيمه و لا إجلاله و لا توقيره، و ما كانوا إلا زائرين «١» عليه، معتقدين تكذيبه و افتعاله و احتياله، و انما كان اتباعهم له هزآ به، و اغتيالاً له، و

سخرية منه، وإرسادا لزلالته وإفساد امره، ولإبطال تدبيره، ولمغالته على الرئاسة، وأنهم ما أقاموا له وزنا قط. وإنما كان الذين يعتقدون ما ادعيتم فيه نفرا يسيرا، كانوا مغلوبين مقهورين بهذه الجماعات من المهاجرين والأنصار، وأنهم خرجوا من الدنيا على حال القهر والغلبة من هؤلاء المهاجرين والأنصار، ومعهم بذلك روايات وأقوال ونصوص يدعون انها من صاحبكم، وتصنيفات قد ملأت الدنيا.

قيل له: إنا ما قلنا في أبي بكر وعمر وعثمان وتلك الجلة والوجوه من المهاجرين والأنصار انهم قد اعتقدوا تبرئته وصدقه، لمجامعة من ادعيت من الشيعة لنا، وإنما قلنا ذلك بالتأمل لأحوالهم وبالاستنباط الذي قد ذكرنا

(١) هذه الكلمة في الاصل تختلط مع زارين، والزئير صوت الأسد من صدره، والزائر اسم الفاعل. يعنى القاضى هنا بيان شدة موقف الصحابة بزعم الباطنية من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٣٠

لك، فلن يقدر ذلك في علومنا، ولن يوحشنا خلاف من خالفنا كائنا من كان من خلق الله، وقد شرحنا كيف كانت دعوته وعلى اي شرط كان إجابة القوم له؛ وقد علمنا قبل العلم بنبوته وصدقه انه صلى الله عليه وسلم قد كان يحب أبا بكر وعمر وعثمان، وتلك الجماعة من المهاجرين والأنصار يحبونه، ويواليهم ويوالونه، وأنهم كانوا ثقاته وبطانته وأمناءه على نفسه ودينه وأهله، وأنه صلى الله عليه وسلم كان أحب إليهم من اهلهم وآبائهم وأنفسهم؛ كما قد علمنا ان أبا جهل وأبا لهب، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن ابى معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، والعاص بن وائل، وابن العيطة، وأميه بن خلف، وأبى بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأولئك الملا من قريش، كانوا اعداءه، وكذلك الملا من اليهود، وكبنى قريظة، والنضير، وكبنى القعقاع، وكخير، وتلك القبائل من ثقيف، وغيرها من العرب، كانوا اعداءه وكان عدوا لهم يبغضهم ويبغضونه، ويعتقدون كذبه، وأنه مبطل، ولا فرق بين من ادعى في ابى بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعات من المهاجرين والأنصار انهم ما اعتقدوا نبوته، وبين من ادعى فيمن ذكرنا من قريش والعرب واليهود والنصارى انهم ما اعتقدوا بغضائه ولا كذبه؛ ومن انتهى الى هذا فقد بلغ الغاية فى الجهل، ولا فرق بين ادعى هذا على هؤلاء من المهاجرين والأنصار، ومن ادعى ان الروم والفرس والهند الذين كانوا فى زمانه و زمان نبوته ما اعتقدوا تكذيبه وإن كان قد ظهر منهم ما قد ظهر.

فإن قيل: فكيف صددت طوائف الشيع عن هذا؟

قيل له: هذا إنما يعرف بالتأمل والتدبر وإن كان يسيرا، فمن لم يتأمل ولم يتدبر ولم يستنبط يذهب ذلك عليه؛ ومما يزيدك علما بذلك، وأن باطن هذه الجماعة من المهاجرين والأنصار كظاهريهم، وسريرتهم كعلانيتهم،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٣١

و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليهم من آبائهم وأنفسهم، أنهم قد بقوا بعده وملكوا الأمر واستولوا عليه، وامتدت أيديهم الى ملوك الدنيا وممالكها، فجازوها وأنفقوها فى إعزاز دينه وتأكيد شريعته، وزهد وافى المباح المطلق، وحموا نفوسهم و أبناءهم منه، وأدخلوا الأمم من الفرس والروم والهند وغيرهم فى دينه، وفرضوا عليهم تصديقه وإجلاله، ومن أبى القبول جعلوا دمه له، وأوطنوا أعداءه وشائيه الذل والسيف فى مشارق الارض ومغاريها.

وقدم رحمك الله زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان أزهده الناس فيما تناحر الناس عليه وتطاعنوا فيه وتفانوا لأجله. فقد كان صلى الله عليه وسلم ملك من أقصى اليمن الى بحر عمان الى أقصى الحجاز الى عرار العراق، واستولى على جزيرة العرب وكانت مقسومة بين خمسة ملوك، لكل واحد منهم شأن عظيم.

هاداه غير واحد من الملوك، وجبى ذلك كله فبذله، وحمى نفسه منه وأهله، وخير أزواجه على إرادة الله ورسوله والدار الآخرة،

و على أن من أراد الحياة الدنيا و زينتها متعه و سرحه سراحا جميلا «١».

و كان صلى الله عليه و سلم مع هذا الملك العظيم أيبس الناس عيشا، و أخصنهم لباسا.

و اعتبر من ذلك ببرده الذى يلبسه خلفاؤنا من بعده و قيمته مقدار دانقين، و بقدره و خاتمه، و جميع ما صار عند خاصة أهله و عامة أنصاره. ثم توفى و لم يترك عينا و لا دينارا و لا شئد قصرا و لا غرس شجرا و لا شق لنفسه نهرا و لا استنبت لنفسه عينا و رغب لأهله و أصحابه فى مثل ذلك.

(١) نزلت آيات التخير فى سورة الأحزاب «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» الأحزاب ٢٨ و ٢٩.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٢

و ملك بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه جميع ذلك، و نفذ فيه أمره، و امتدت يده الى بنى حنيفه و قوم مسيلمه، و غزا فارس، و افتتح الحيرة و القادسية و عين التمر «١» و صاروا ذممة له، و جباهم الأموال العظيمة. و افتتح الشام و أوائلها و نفذ أمره فيها، فكان حاله فى الزهد تلك الحال التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قام بعده عمر رضى الله عنه فحوى ذلك كله، و افتتح الى اقصى الشام و أخرج ملوك الروم منها و اعتصموا منه بالخلجان و الجبال، و افتتح مصر و الصعيد الأعلى، و افتتح الجزيرة و العراق و السواد و فارس و كرمان و سجستان و كورة الاهواز، و ما سقته دجلة، و ما سقته الفرات/ و ما سقاه النيل، و حملت إليه خزائن الملوك و ذخائرهم، و مكث على ذلك عشر سنين ثم قبض و حاله فى الزهد تلك الحال.

ثم قام بعده عثمان رضى الله عنه، فحوى تلك الممالك كلها، و افتتح خراسان عن اقصاها، و أخذ ملوكها و أصفهان من الجبال، و فى زمانه قتل المسلمون يزدجرد بن شهريار ملك فارس، و افتتح اذربيجان، و افتتح ارمينية، و جرجان و طبرستان و غير ذلك، و استولى على ملوكها و ممالكها، و فتح المغرب و هى مسيرة سنين برا و بحرا و طولاً- و عرضا، و افتتح من جزائر البحر عدة جزائر عظيمة تكون مسيرة شهر طولاً و عرضا، و جبا ذلك كله، و مكث على ذلك اثني عشر سنة، و كانت مدته اطول، و امتدت يده،

(١) بلدة قريية من الأنبار غربى الكوفة سميت كذلك لكثرة التمر فيها، افتتحها المسلمون فى ايام ابى بكر على يد خالد بن الوليد فى سنة ١٢ للهجرة. معجم البلدان ٣: ٧٥٩، ارسل إليها معاوية النعمان بن بشير فأخذها من عامل على سنة ٣٩. الطبرى ١: ٣٤٤٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٣

و ملك و حوى اكثر مما ملكه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عمر رضى الله عنهما، ثم نفى يده من جميع ذلك و زهد فيه مع قدرته عليه و تمكنه منه و نفوذ أمره فيه، و صار عند قوم عمر أزهده منه، لأنه رحمة الله عليه برّ أقاربه من مال و ولأهم، و لم يفعل ذلك عمر، فكان زهده يصغر فى جنب زهد عمر.

ثم قام بعده على رضى الله عنه، فحوى جميع ما حواه الخلفاء قبله و جباه و نفذ أمره فيه، إلا- الشام، و مكث على ذلك نحو ست سنين، فنفض يده من جميعه و زهد فيه.

ثم اعتبر بزهد عمال ابى بكر و عمر و الخاصة من أعوانهما، كعتبة بن غزوان «١» و أبى عبيدة «٢» و معاذ بن جبل «٣» و شرحبيل بن حسنة «٤» و سعد بن ابى وقاص «٥» و عمار بن ياسر «٦»/ و بلال «٧» و النعمان بن

(١) هو عتبة بن غزوان بن جابر، يكنى أبا عبد الله و أبا غزوان، من حلفاء بنى نوفل بن عبد مناف، قديم الاسلام، هاجر الى الحبشة

الهجرة الثانية، وهو الذي مصر البصرة و اختطها، توفي في خلافة عمر و روى عن الرسول. الاصابة ٤: ٢١٥، الطبرى ٣: ٢٣٧٦.
(٢) ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، قديم الاسلام، هاجر الهجرتين و شهد بدرا و بشر بالجنة، مات فى طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ. الاصابة ٤: ١١.

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عدى، شهد المشاهد مع النبي و كان احد الذين أرسلهم رسول الله (ص) الى اليمن لدعوة اهلها الى الاسلام، روى عن النبي (ص) و مات بطاعون الشام سنة تسع عشرة او بعدها. الاصابة ٦: ١٠٧.

(٤) هو شرحبيل بن حسنة نسبة الى أمه على الأغلب، كان ممن سيره أبو بكر فى فتوح الشام، توفي بطاعون عمواس فى الشام سنة ١٧ هـ. الاصابة ٣: ١٩٩.

(٥) هو سعد بن مالك بن أهيب، احد العشرة و آخرهم موتا، كان اول من رمى بسهم فى سبيل الله واحد الستة اهل الشورى و قائد فتوح العراق، توفي بعد الخمسين من هجرة الرسول.
الاصابة ١: ٣٠.

(٦) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك حليف بنى مخزوم و أمه سمية مولاة لهم، كان من السابقين الاولين و ممن عذب فى الله، شهد المشاهد كلها مع النبي، استعمله عمر على الكوفة، قتل مع على بصفين سنة سبع و ثلاثين. الاصابة ٤: ٢٧٣-٢٧٤.

(٧) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص). الاصابة ١: ١٨٩.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٤

مقرن «١» و اخوته، و غيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم و شرح أحوالهم، و هو مذكور فى مواضعه، و لا يشك فى زهد هؤلاء إلا من شك فى زهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا يبلغ ذلك إلا الجاهل القليل النظر البطيء التأمل.

فأما من نظر و اعتبر و كان قصده التعرف و التبين، فان ذلك يفضى به الى العلم بأنه ما سحب نيبا قوم أزهد و لا أردع و لا أعلم من هؤلاء قبل ان يرجع الى قوله عز و جل: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (٢). فلو كان غرض رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه الدنيا و الملك لكانوا و إن ابتدءوا بذكر الزهد فى اول أمرهم إذا ملكوا و قدروا عليها قد ساروا فيها سيرة طلاب الدنيا و ملوكها و خطابها، و ما لبثوا ان تظهر سرائرهم و ضمائرهم عند القدرة. بهذا جرت العادة، و هكذا أخرجت العبرة، فان من تخلق للناس و تصبر خوفا منهم و اتقاء لهم و مداراة لهم، اذا قدر و تمكن تغير و زال عما كان، و ظهر مكنونه، فلما دام أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هؤلاء و اتصل على طريقه واحدة، علم العامل المتأمل ان سريرتهم كعلانيتهم، و ظاهرهم كباطنهم.

و قد رغب قوم منهم فى المباح و فيما أحله الله لهم، و لا لوم عليهم و لا تعنيف، و انما كان كلامنا فيمن زهد فى المباح المطلق منهم، و قد ملك هؤلاء ما لم يملك ابراهيم و إسحاق و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و داود و متى و عيسى، و إن كان الأنبياء خيرا منهم.

(١) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزنى، أخو سويد و اخوته، له ذكر كثير فى فتوح العراق و فارس. توفي سنة احدى و عشرين هجرية.

(٢) آل عمران: ١١٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٥

و انما ذكرنا هذا لأن اليهود و النصرى و المجوس و أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم يقولون جهارا، بحضرة المسلمين و فى دواوين السلاطين، و فى المحافل بحضرة الأمراء الأشراف: أما الاسلام فقد كفيناه و دفع بعضه بعضا، و قد كنا نقول سرا بيننا فى أصحاب محمد و نفسه أشياء تقولها اليوم الشيعة جهارا و تزيد علينا فيه، من ان اصحاب هذا الرجل و أتباعه و أنصاره ما كانت لهم

بصيرة في أمره ولا يقين مع الصحبة وطول المشاهدة ولا أقاموا له وزنا، وانما طلبوا الدنيا والنهب والفأرة، وقد بينا فساد ذلك، و فيه من البيان اكثر من هذا، وفيما ذكرناه كفاية.

فإن قيل: أفتستدلون على صحة دينكم بأن هؤلاء قد اعتقدوا بنبوّة صاحبكم و صدقه، وان ظاهرهم فيه كباطنهم، و هاهنا قوم من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية (١) والهند هذه سبيلهم في أديانهم.

قيل له: ما ندفع هذا ولا نمنع منه، ولا نستدل على صحة الاسلام باعتقاد المهاجرين والأنصار بنبوّة محمد صلّى الله عليه وسلم و صدقه و نبوته و زهده و زهدهم في الدنيا، وانما نعرف صحة الاسلام و انه دين الله بغير هذا. وانما كان كلامنا على من ادعى ان هؤلاء ما اعتقدوا صدقه ولا نبوته، فبيننا فساد قولهم و بطلان اعتقادهم و انه جهل، ثم صرنا الى ذكر الدلائل والأعلام.

(١) المنانية و المانية نسبة الى ماني بن بابك بن ابي رزام، يقال انه كان اسقفا ثم اتاه الوحي بتغيير ديانته. و من اهم مبادئه أن العالم كونين: احدهما نور و الآخر ظلمة، و كل واحد منهما منفصل عن الآخر. و قد فصل كتاب العقائد والفرق و أصحاب المقالات من الاسلاميين الحديث عن هذه النحلة. انظر الملل و النحل للشهرستاني، و الفهرست لابن النديم، و الآراء و الديانات للنوبختي، و المغنى للقاضي عبد الجبار الجزء الرابع، و غيرهم. و مجمل مذهب المنانية مستخرج من المجوسية و النصرانية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٦

فمن ذلك أشياء نزل القرآن بها قبل كونها.

فمن ذلك قصة ابي لهب، و قد كان من المؤذنين لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، و المجردين / في مكروهه و طلب نفسه، و في الصدّ عن اتباعه، فبشره الله بأن ذلك لا يضره صلّى الله عليه وسلم، و لا يغنى عن ابي لهب فيما قصد ما كسب من جاه و مال و أهل و ولد و صداقة و اخوان، و انه يخسر ذلك كله، و انه و امرأته يموتان على الكفر به و يصيران الى النار. نزل ذلك بمكة و هما حيان سليمان، فكان ذلك كله على ما قال و على ما أخبر و كما فضل و فسّر. و هذه غيوب كثيرة لا يكون مثلها بالاتفاق و لا بالحدس و لا بالزرق (١)، و لا يتفق لحدّاق المنجمين أقل القليل من هذا. و من عجيب الأمور انها نزلت بمكة، و تلاها رسول الله صلّى الله عليه وسلم، و سمعها ابو لهب و جميع أعداء رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قريش و العرب و غيرهم و هم أعوان ابي لهب، فهاجهم هذا القول في عداوته، و زاد في غيظهم و حقهم، و أذكروهم بنفسه و هو معهم و في أيديهم و في قبضتهم، فما ضره، و لا تمّ لهم أمر في الظفر بقتله، و لا على زلة يتبين فيها كذبه و سقوط قوله، و هذا لا يقدم عليه العاقل إلا و هو على غاية الثقة بما يقول، و رسول الله صلّى الله عليه وسلم ممن لا يدفع عدوّه عقله. و منذ نزلت هذه السورة و الى هذه الغاية يحرض أعداء رسول الله صلّى الله عليه وسلم ان يجدوا في ذلك مطعنا فما وجدوا. و قد رجع بعضهم الى بعض في ذلك و تشاوروا فيه، و تعاضدوا و تعاونوا، فكان عليه ما انتهى إليه كيدهم أن قالوا: لما رأى عمه و امرأته قد صمما في تكذيبه و عداوته قال ذلك فيهما.

(١) الزرق: الخداع، و في اللسان: رجل زراق اي خداع.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٣٧

قيل لهم: قبل كل / شيء قد تم ما قال على ما فسر و شرح، و حصل ذلك على وجه انتقضت العادة به، و ظنونكم هذه لن تقدر في هذا العلم، و هذا كاف في جوابكم.

ثم قيل لهم: قد صنع مثل صنيع ابي لهب خلق كثير فما قال هذا فيه، و منهم من أسلم. و أيضا فلو قال في ابي لهب انه يسلم قبل اسلامه و أسلم لأمكن الخصم ان يقول: ما في هذا دلالة، لأن الرجل عمه، و قد رأى اخوته حمزة و العباس و قد أسلما، و قد أسلم ولد أخيه ابي طالب جعفر و علي، فكيف لا- يسلم هو أيضا؟ فهذا كان أقرب و أظهر في الرأي و التدبير، فلم يقل ذلك و قال غيره و خلافه،

لتعلم ان هذا قول علام الغيوب و كلامه عز و جل.

و قالوا لو أسلم لكان له ان يقول: انما قلت انه سيصلى النار إن لم يسلم، و إن أقام على الكفر، كما قال: «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة».

قيل له: قبل كل شيء قد تم ما قال و ما وجد له خلف، و حصل على وجه انتقضت العادة به كما بينا و قدمنا، و أخذت أنت أيها الخصم تقول لو لم يكن هذا و يتم بأى «١» شيء كان يعتذر، و حصلت على تدبير ما لم يكن، و جهلت أيضا اللغوة و موضع العربية لأن قوله عز و جل:

«انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة» انما هو جزاء، و ليس بخبر عن احد انه سيفعل ذلك، و هذا كقول القائل: من سرق

(١) فى الأصل: بأن، و القراءة اجتهادية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٣٨

مالى قطعته، ليس بإخبار عن احد أنه سيسرق ما له، و يجوز ان لا يسرق ماله أحد البتة مع هذا القول.

و قوله تبارك و تعالى فى أبى لهب و امرأته انه: «ما أغنى عنه ماله و ما كسب» من تلك/ الأمور، و انه سيصلى و امرأته ناراً ذات لهب، إخبار عن أمور ستكون فكانت كما قال، كقوله عز و جل: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ «١»، و كقوله:

«سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤَلِّقُ الدُّبُرَ «٢». و كقوله عز و جل فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ «٣». فهذا باب.

و باب آخر [استرواح المشركين لأدنى غم يصيب الرسول]

و هو أن قريشا و العرب لما أعتهم الحيل فى أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، كانوا يستروحون الى أدنى غم يناله صلى الله عليه و سلم، فمات ابنه ابراهيم و هو أكبر ولده و به كان يكنى، و مات ابنه عبد الله، فسرت قريش بذلك، و قال بعضهم لبعض: ابشروا فقد انتبر محمد، فأنزل الله عز و جل: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحَرِ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» «٤». فانبرت ديانات قريش و العرب كلها و بطلت عن آخرها، و لم يبق على ذلك الدين عين تطرف، و تم أمره صلى الله عليه و سلم و سطع نوره و علا و قهر.

(١) آل عمران ١٢

(٢) القمر ٤٥

(٣) الاسراء ٥١

(٤) الكوثر ١ و ٢ و ٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٣٩

و فى هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون؛ ثم وردت على وجه يغيظ و يغضب و يبعث على الوثوب به و على قتله و على إطفاء نوره، و قد حرضوا على ذلك فما تم. و هذا قول لا يورده العاقل على الوجه الذى أورده رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا و هو على غاية الثقة بالله و السكون الى ما يوحى إليه عز و جل، و رسول الله صلى الله عليه و سلم ممن لا يدفع عدوه عقله، و كانت قريش تقول فيه لما مات بنوه: محمد صبور «١»، أى منقطع الأصل منبتر الذكر.

و قيل لأعرابي: كيف نخلك؟ فقال: صبر أسفله و عشب أعلاه، أى ضعف أصله و عشب أعلاه فبطل كله و زال الانتفاع به.

و الكوثر هو على وزن فوعل، كنوفل و حوقل، و هو الكثير من الجميز خاصة. فيريد عز و جل: إنا أعطيناك الكثير من التأيد و النصره و الحجّة و العزّ و الثواب و الأجر، و فيه دلالة على بطلان قول من قال:

إن أبا بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعات من المهاجرين و الأنصار كانوا أعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و شائنيه، و أنهم قصدوا تغيير القرآن، و تبديل دين رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و إماتة نصوصه، و دفع وصيته و خليفته، ففعلوا ذلك و قهروا و غلبوا و كانت الغلبة لهم، و خليفة رسول الله هو المغلوب المقهور، و هم الغالبون القاهرون، و ان خليفة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و وصيه ما تمكن الى ان خرج من الدنيا.

قلنا: فلو كان الأمر كما قلتم لكان هذا قد كذب و كان يكون: إن

(١) جاء في لسان العرب: الصنبور: النخلة المنفردة من جماعة النخل، و رجل صنبور: فرد ضعيف ذليل لا اهل له و لا عقب و لا ناصر. لسان العرب مادة صنبور

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص٤٠:

شانتك هو الأقهر و الأغلب و الأظهر، و أنت الأبر، فلو أنصفوا و تدبروا القرآن لما قالوا في المهاجرين و الأنصار هذا القول.

و باب آخر [عرض المشركين على الرسول ان يعبد آلهتهم و يعبدوا إلهه]

و هو ان قريشا لما حرضوا على قتل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و إبادته و إطفاء نوره، و على التنفير منه و الصد عنه و الله تعالى يصرفهم بألطفه عنه مشوا إليه، و هم: الوليد بن المغيرة، و عقبه بن ابي معيط، و النضر بن الحارث بن كلدة، و أمية بن خلف، و عتبة بن خلف، و الجماعة من قريش، قالوا: يا محمد، انك قد سفهت أحلامنا، و كفرت أسلافنا، و عبت آلهتنا و أدياننا، و شئت كلمتنا، و قطعت أرحامنا، فهلّم الى أمر يكون بيننا و بينك، فتعبد أنت آلهتنا التي نعبدها و نعبد إلهك، و تعبد آلهتنا التي كنا عبدناها و نعبد إلهك، ثم تعبد ما عبدنا و نعبد ما عبدت؛ فإن كان معنا خير كنت قد أصبت منه، و ان كان معك خير كنا قد أصبنا منه، و تكون كلمتنا سواء، و تسالمننا و نسالمك، و تكون لنا و نكون لك؛ فأنزل الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ» فأخبر انه لا يصير و لا يجيب الى ما قالوا، و لا يقبلهم بهذا الشرط، و لا يكونون على هذا الوجه عابدين لله على الوجه الذي عبده، فكان كما قال.

و في هذا غيوب كثيرة مفصلة جاءت كما أخبر، و هذا لا يكون إلا من علام الغيوب، و لو لم يكن من آياته إلا هذا لكفى و أغنى. فهذا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص٤١:

يدلّك على خضوع قريش و اليهود و النصارى و جميع اعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و انقطاعهم في يده، و انه لا مطعن في آياته. و لهذا المعنى قال الله:

«فَلَا تُطِيعِ الْمُكذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» (١)، أى لو قاربتهم و أحببتهم الى ما دعوك لأجابوك، و لو داهنتهم لداهنوك. فتأمل قوله:

«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» كيف يجبههم بالإكفار و التجهيل و التضليل، و هم أشد عالم الله أنفه و نخوة و جبرية، و دفاعا عن انفسهم، و مواثبة لعدوهم، و هو بمكة معهم و فى ايديهم و فى قبضتهم، و العزة و الغلبة و الكثرة لهم لا له، فهيجهم على نفسه بهذا القول، و بعثهم على مكروهه، فنجاه الله منهم.

و هذا قول/ لا يقوله عاقل و حاله ما وصفنا إلا و هو على غاية الثقة بالله، بدفعه عنه، و رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ممن لا يدفع

عدوه عقله، فمن أى شيء تعجب رحمتك الله؟ أمن إقدامه، أم من مصير الأمر الى قوله و حكمه. فاعرف هذه القصة و احفظها فانها عظيمة جليئة، و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من قرأ سورة «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فكأنما قرأ ثلث القرآن». و كان يقال فى صدر الاسلام ل «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» و «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» المقشقشتان «٢»، اى هما براء من الشرك، يقال للجرح اذا برأ و اندمل: تقشش الجرح.

(١) القلم ٩

(٢) قشش: فى اللسان يقال تقشش الجرح: تعرض قرحه للبرء، و القشششة: تهيو البرء، و المقشقشتان: قل هو الله احد و قل اعوذ برب الناس لأنهما كانا يبرأ بهما من النفاق، و قيل: هما قل يا أيها الكافرون و قل هو الله احد. اللسان مادة قشش.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٤٢:

و قوم من الكتاب و عمال السلطان يعرفون بنى ابى البغل «١»، يدعون انهم من المسلمين و من الشيعة و هم يميلون ميل القرامطة، و يلزمون صنعة النجوم، و بقاياهم بالبصرة فى سكة قريش، و منهم ابو محمد بن ابى البغل، و هذا خلقه و صنعته، و هو حى الى هذه الغاية و هى سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة، يقولون فى «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»: هى من البوارى و من الأشياء التى لا معنى لها، و يتحدثون بذلك فى دواوينهم و محافلهم، و يضربون فى ذلك الأمثال؛ و هذا لجهلهم بالأسباب، و لو كان لهم تحصيل و تدبير و قصدوا الانصاف و طلبوا العلم من موارده لعلموا ان هذا من معجزاته، و لكن العجب قد شغلهم، و هم يعدون انفسهم من الخاصة و هم أسقط من سقاط الغوغاء، و لو لا ان هذا شىء قد شاع فى الكتاب و أشباههم فى جميع البلاد لما ذكرته لك، و لكنه شىء قد دار و صار اهل الذمة مع القرامطة يلقون/ به العامة و الضعفاء من المسلمين، و ليس للاسلام قيم و لا ناصر بل كل السيوف عليه، فالله المستعان.

و أخرى تبين لك جهل هؤلاء و نقضهم و نقض كل طاعن فى القرآن، ان الذى جاء بهذا القرآن ادعى انه كلام الله و قوله، و ان الجن و الإنس لا يأتون بمثله و لا بمثل سورة منه و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و انه حجة الله على خلقه الى يوم القيامة؛ و قد سمعه الناس كلهم منه، و قد

(١) ورد فى الفهرست تحت عنوان ابن ابى البغل: اسمه محمد بن يحيى بن ابى البغل و يكنى ابا الحسين، استدعى من اصفهان، و كان يلى الوزارة فى ايام المقتدر، و كان بليغا مترسلا فصيحا من اهل المروءات، و كان شاعرا أيضا موجودا مطبوعا، فله ديوان رسائل كتاب رسائله فى فتح البصرة.

الفهرست ١٩٧.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٤٣:

طالبهم ان يأتوا بمثل سورة منه فلم يأتوا مع شدة الحاجة الى ذلك، و قد بذلوا ما هو أعزّ و أعظم فى دفعه و إبطال أمره من الأموال و الأنفس و الأولاد. و اذا كان هذا شأنه من السخف و الركاكة، و فيه الكذب و التناقض على ما يدعى هؤلاء، أعداء الاسلام، فكيف يحتج عاقل بما هذا سبيله؟ و كيف لم يقل أعداؤه له: تتحدانا بشىء ركيك بارد غث متناقض؟ و كيف لم يقل أعداؤه له ذلك؟ و كيف يتبع و يطاع من هذا سبيله؟ و كيف لم يقل أعداؤه لأتباعه: يا ويحكم فارقتم دينكم، و أنفقتم أموالكم، و سفكتم دماءكم، و عاديتهم الأمم، و اتبعتم رجلا حجته هذا القرآن و فيها الكذب و التناقض؟ و مثل هذا لا يطاع و لا يتبع، بل يكون فى سقوط المنزلة بمحل من يركب قصبه و يركض فى الاسواق و يقول: انا الملك، و انا الأمير، و يشتم الملوك و الأمم و الرؤساء، و يتعادى خلفه الصبيان؛ و مثل هذا لا يعاديه أحد و لا يضربه و لا يسبه فضلا ان يقتله، لأنه لا يضّر احدا و لا يغضب عاقل من فعله و قوله و إن شتمه

و تواعده. فلم غضب أولئك العقلاء من قريش و العقلاء من العرب و الدهاء من اليهود و النصارى و طبقات الأمم و الملوك منه و من أفعاله، و بذلوا أموالهم و أولادهم و دمائهم فى عداوته و فى الصدّ عنه و المنع من اتّباعه، و رحلوا الى الملوك يشكونه و يضجون منه، و يبعثونهم على قتله، و يخوفونهم سطواته و غلبته على ممالكهم؟ فقد رحلت قريش الى النجاشى ملك الحبشة فى هذا، و رحلت نصارى العرب الى قيصر ملك الروم فى هذا، و قد صار النصر بن الحارث بن كلدة الى الفرس فى هذا، و كان من كسرى أبرويز فى هذا ما هو مذكور و لعله ان يرد عليك، و هذا مع «١» انه جواب لكل عدو لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فهو كاف.

(١) فى الاصل: مع ما

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٤٤

و باب آخر [وعد الرسول اصحابه فى حال ضعفهم ان الله سينصرهم]

و هو ما وعد اصحابه من المهاجرين و الأنصار و المكيين فى حال ضعفهم ان الله سينصرهم و يمكنهم و يقويهم و يظهرهم، فيقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر، و تكون العقبي لهم؛ و تلا بذلك القرآن و خلدته و أسمعته عدوه و وليه، فقال عز و جل:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ. وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ... «١» الى قوله: وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ؛ فتمكن أصحابه و خلفاؤه، فأقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، و أمروا بالمعروف، و نهوا عن المنكر، و كانت العقبي لهم».

و فى هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون فكانت كما فضيل و كما أخبر و فسر، لتعلم ان هذا قول الله و كلامه، و ان محمدا رسوله.

و هذا فى سورة الحج و هى مكية، و لو كانت مدنية لكان فيها من الدلائل مثل ذلك، و لكنها اذا كانت مكية كانت آكد فى الحجّة لأن ضعفهم إذ ذاك أشد، «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ» «٢»، و لقولهم: «رَبَّنَا اللَّهُ»، و لكفرهم بديانات قريش و العرب هم المهاجرون

(١) الحج ٣٩ و ما بعدها

(٢) الحج ٤٠، و الآيات هى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لَا - دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صِيْلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» ٢٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٤٥

خاصة. و فى هذه الآية دلالة على صحته إمامه أبى بكر و عثمان و على رضى الله عنهم، و شهادة بأنهم أئمة هدى، و أن طاعتهم طاعة الله، لأنهم من المهاجرين و المكيين و التابعين و من الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق لقولهم: «رَبَّنَا اللَّهُ»، و هم الذين تمكنوا و تولوا الأمر و دعوا الى الله و فعلوا ما قال الله، كما هو مذكور فى الآية.

و لو كانوا منافقين أو مشركين أو مرتدين كما تدعى ذلك عليهم طوائف الراضية لكان هذا الخبر قد أخلف و كذب، و لكان الذى أتى به و تلاه ليس بنبى بل كذاب، لأن هؤلاء الذين تملكوا و تمكنوا و كان الأمر و السلطان و القهر و الغلبة لهم؛ فزعمت الراضية

انهم بدّلوا القرآن و أحرقوه، و غيروا النصوص، و عطلوا الدين، و غيروا الطهارة و الأذان و المواقيت و الصلاة و الصيام و المناكح و الطلاق، و أماتوا السنن، و أحيوا البدع؛ و كان خليفة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و وصيه «١» مغلوبا مقهورا يظهر ما يظهر من الشرك، و يجوز أحكامهم عليهم، فأين صدق هذه الآيات.

و قد كان ينبغي أن يكون/ على ما يدعيه الراضة أن تكون التلاوة:

«و الذين إن مكناهم فى الأرض عطّلوا الصلاة و الزكاة و أماتوا النصوص و قهروا الوصى المنصوص عليه، و أمروا بالمنكر و نهوا عن المعروف» فتعلم أن هؤلاء قد ذهبوا عن القرآن و فارقوا الدين، و تعلم ان هؤلاء السلف على الحق، و ان الله تولى نصرهم كما وعدهم، و الله لا ينصر إلا أولياءه و أحبائه و أهل طاعته. و قد كان المهاجرون يحتجون بهذا.

قال صعصعة بن صوحان «٢»- و قد كان رحل الى عثمان فى شأن قوم كانوا

(١) يقصدون عليا رضى الله عنه.

(٢) انظر الطبرى حوادث سنة ٣٣، ففيه تفصيل حادثة النفر الذين اخرجهم سعيد بن العاص-

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٤٦

قد أساءوا فسيرهم و حالهم معروفة:- ما رأيت أسرع جوابا من امير المؤمنين عثمان، قلنا له: أخرجنا من ديارنا أن قلنا ربنا الله، فقال: كذبت ليست لك و لأصحابك و لكنها نزلت فينا معشر المهاجرين، أخرجنا من ديارنا ان قلنا ربنا الله، فمننا من مات بأرض الحبشة، و منا من مات بالمدينة، فنصرنا الله و مكنا، و أقمنا الصلاة و آتينا الزكاة، و أمرنا بالمعروف و نهينا عن المنكر، و كانت العقبي لنا. و هذا لا يذهب على متأمل و إنما ذهب على اهل الغافلة.

باب آخر [اسراء الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى]

و هو انه صَلَّى الله عليه و سلم أسرى به فى ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم عاد من ليلته الى مكة، و مدة السفر فى ذلك مقدار شهرين اى ذهابا و إيابا، و هذا لا يفعله الله إلا للأنبياء فى زمن الأنبياء. و لما عاد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم تحدث بذلك فى أهله، فقالت له أم هانئ بنت ابي طالب: لا تتحدث بهذا، فو الله لا صدقك الناس، و ليكفرن بك من / آمن بك، و ليكذبنك من صدقك. فقال صَلَّى الله عليه و سلم: ان ربي أمرنى ان أخبر الناس بذلك و ان ابا بكر يصدقنى و يشهد لى. فخرج و أخبر قريشا بذلك فسرهم هذا، و قالوا: الآن يظهر كذبه و ينقطع الناس عنه، قوموا بنا الى صاحبه ابن ابي قحافة لنخبره بما قال صاحبه. و كان ابو بكر

- من الكوفة بعد ان اتهموا بالشغب فيها، و كان فيهم: مالك بن الاشر، و ثابت بن قيس، و كميل ابن زياد النخعي، و صعصعة بن صوحان.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٤٧

ثقل الوطأة على قريش و أعداء رسول الله، فانه كان يدعو الى نبوته، و يخطب بآياته، و كان وجيها فى الناس، عالما بقريش، باين الفضل فيهم، فكانوا يقصدونه بالمكاره لهذه الخصال التى كانت تضرهم. و قد استدعى خيارهم و جوههم الى الاسلام، و أنفق ماله فى نوائب الاسلام و نصرته، و كانوا يطلبون شيئا يصدّه عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و يمنعه من اتباعه. فأتوه و قالوا له: يا ابا بكر، ما زال صاحبك حتى أتى بكذبة خرج بها من أقطارها. قال ابو بكر: حاشاه، و ما هو؟ قالوا: زعم انه أسرى به فى ليلة الى بيت المقدس. فقال ابو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق.

قالوا: يا ابا بكر، أتصدقه في هذا والعير تطرد في ذهابها شهرا، وفي رجوعها شهرا، أ يبلغه في ليلة واحدة؟ قال ابو بكر: انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة واحدة فأصدقته، وبعد السماء عن الارض اكثر من بعد بيت المقدس من مكة؛ قوموا بنا إليه نسأله عن ذلك. فأتوه، فقال له ابو بكر: ما شيء بلغني عنك يا رسول الله انك أتيت بيت المقدس في ليلتك؟ فقال: نعم يا ابا بكر، صليت بكم في هذا الوادي، فأتاني آت، فأيقظني وأخرجني وجاء بدابته فقال: اركب فأرقت «١»، فقال لها جبريل: اسكني، فما حملت خيرا منه. فسارت بي، و اذا حوافرها تقع مدى/ بصرها، و كنت اذا أتيت صعودا قصرت قوائمها، و اذا أتيت حدودا طالت قوائمها، فأتيت بيت المقدس؛ و ذكر صلاته و دخوله إليه و رجوعه. فقال له ابو بكر: يا رسول الله، هل تستطيع ان تصف لنا بيت المقدس؟ فقال: نعم. فوصف مدخله و المسجد

(١) ارفقت الناقه اذا رعت وحدها و الراعى ينظر إليها، و تعنى هنا النفور و الترك.

انظر القاموس. مادة: رقص.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص٤٨:

و سقوفه و ما فيه شيئا شيئا، و كان إذ ذاك في أيدي الروم، و كان ملك الشام لهم و بعضه في أيدي اليهود، فقال ابو بكر: أ تسمعون؟ و كان فعل ابو بكر ذلك ليعرف الناس صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما ادعى. فقالت قريش: فان لنا عيرا بالشام عرفت خبرها؟ فقال: نعم، مررت بهم في ذهابي، و هم في موضع كذا، و قد نذ لهم بعير من حس دابتي فدللتهم عليه، و رجعت عليهم و هم نيام و قدح فيه ماء و قد خمروه، فنزلت و كشفته و شربت و خمرت.

ثم قال: و آية اخرى أنهم يردون عليكم يوم كذا وقت طلوع الشمس، و تقدم غيرهم من ثنية كذا، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان، إحداهما برقاء و الأخرى سوداء. فأرصدت قريش لذلك اليوم، فقال قائلهم:

هذه الشمس قد طلعت، و قال آخر: و هذه العير قد أقبلت و أمامها الجمل الأورق و عليه الغرارتان كما وصف. و سألوهم عن البعير الذي نذ و عن القدح الذي كان فيه الماء فأخبروهم بذلك كما وصف، و أنهم وجدوا القدح فارغا بعد ان كان فيه ماء.

فتأمل ما في هذا من الآيات و المعجزات و العلامات الواضحات البينات التي لو لم تكن إلا هذه لكفت و أغنت في الدلالة على نبوته. فمنها مصيره و رجوعه في ليلة واحدة، و منها إخباره بالوقت التي ترد فيه عير قريش على أي سبيل ترد/ فكم في هذا من الغيوب.

فإن قيل: و من سلم لكم أن هذا قد كان على ما وصفت لنا، و كيف علمتم هذا، و ما طريق العلم به؟

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص٤٩:

قيل له: قبل كل شيء قد علمنا انه صلى الله عليه و سلم قد احتج بالإسراء و جعله قرآنا يتلى «١»، و قد سمع هذا جميع اعدائه من قريش و اليهود و النصارى و هم معه و جيرانه و أشد الناس عليه و أحرصهم على عثرة تكون له او عيب يكون فيه، و هنالك اصحابه و من قد اعتقد صدقه و نبوته و لم يتبعه إلا لأنه نبي صادق و عاقل لا يحتج على عدوه و وليه بما لا يقوم برهانه، ثم لا يرضى أو يأتي في ذلك بقرآن يتلى و يضيفه الى ربه و يستطيل بذلك على عدوه و وليه، و ليس معه في ذلك إلا الدعوى الخالية من كل الحجج؟ هذا لا يفعله عاقل، و عقل رسول الله صلى الله عليه و سلم عند عدوه فضلا عن وئيه فوق العقول.

و أخرى أن من فعل هذا على ما يدعيه الخصم لا يتبعه احد و لا يصدق احد بل يرجع عنه من قد اتبعه، إذ ليس معه إلا الدعوى على ما يدعيه الخصم، و كل احد يمكنه ان يدعى انه قد أسرى به في ليلة واحدة من البصرة الى بيت المقدس او من العراق الى بلاد الهند و ما تبينت بما هذه سبيله، فتعلم ان الحججة بذلك قد قامت و اتضحت.

و أخرى ما جرى بين قريش و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بين قريش و أبي بكر الصديق، و ما كان في ذلك من طول المراجعة، و من عنى بذلك يعلم ان الأمر كما حكينا و وصفنا علما يقينا لا يرتاب به، كما يعلم فرار المهاجرين الى ارض الحبشة، و

إخراج قريش عمرو بن العاص و عمارة ابن الوليد بن المغيرة في طلبهم، و ما كان لهم معهما مع النجاشي من

(١) تناولت سورة الاسراء قصة الاسراء بقوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٠

المخاطبات / و المراجعات، الى ان صارت العقبي للمسلمين. و كما يعلم خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم الى المواسم و عرضه نفسه على القبائل، و ما كان له معهم من المحاورات و المراجعات و المخاطبات. و كما يعلم خروجه الى الطائف و عرضه نفسه، و ما كان له معهم من المراجعات و المخاطبات.

و كما كان له مع قريش بمكة في حفل بعد حفل و مرة بعد مرة، و في مشيهم الى ابي طالب ليكفه عن مخالفتهم و تجهيلهم و ذكر آلهتهم، و ما تعاهدوا عليه من عداوته و عداوات اصحابه، و من التجريد في قصدهم بالمكارة، و ما كتبوه في ذلك. و في ترك مبايعتهم و مناكحتهم و معاملتهم، و ما أشبه ذلك من الخطوب التي كانت منهم. فمن رسخ فيما هذا سبيله، عرف قصة الاسراء و ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك مما تقدم ذكره، و من لم يكن هذه سبيله لم يعلم، و لكل احد سبيل الى ان يعلم ذلك.

فتأمل رحمك الله ما في ذلك، و قول أم هانئ، و احتجاج قريش في ان المسير في ذلك يكون في شهرين فكيف تم في ليلة واحدة، و مطالبتهم بالحجة في ذلك، ثم سألتهم عن غيرهم التي بالشام، ثم مصيرهم الى المكان في الوقت الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن العير ترد فيه و تفقد صورتها و ما تقدمها، ثم سألتهم اهل العير عن القدح لتعرف عقول قريش و شدة فطنتها و عنايتها بأمر النبي و التفقد لأحواله.

و انظر كيف قد سألوا عن ذلك مما يمكن العاقل ان يسأل عنه و يتكلم فيه.

و انظر الى فطنة أم هانئ بنت ابي طالب و خوفها مما يخاف مثله، و أن هذا الأمر إن لم يقم على الدعوى به حجة لم يصدقه احد، بل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥١

يكذبه/ من صدق به و يكفره من آمن به، لتعلم كذب الحداد، و أبي عيسى الوراق «١»، و الحصري، و ابن الراوندي «٢»، و هؤلاء علماء الإمامية و رؤساؤهم، و عليهم يعولون، و الى كتبهم يرجعون.

و لكل هؤلاء كتب يطعنون فيها على الأنبياء، و يدعون على قريش و العرب الجهل و البلادة و الغباء و ان رسول الله صلى الله عليه و سلم خدعهم و سخر منهم.

و هذه الكتب منقوضة قد نقضها غير واحد من المعتزلة، و المطاعن على الأنبياء، كلهم انما هي من جهة هؤلاء الشيع، و الإمامية تواليهم و ترجع الى اقوالهم، فاعرف هذا فإنه من العجائب و بك الى معرفته أشد الحاجة.

فمن كتب الحداد في هذا الشأن كتابه «الجاروف» و كتابه «الاركان»، و كتاب الحصري «في تسوية اصحاب الكلام بالعوام»، و كتاب «الزمردة» و كتاب «غريب المشرقي» و كتاب ابي عيسى الوراق، و كتاب حنين «البهائم»، و كتاب «التاج» في القدم لابن الراوندي، و «الزمردة» و «الفريد» و «التصفح» و كتاب «نعت الحكمة» في الطعن في حكمه الله، و كتاب «الدامغ» يطعن فيه في القرآن و غير ذلك من كتبهم.

(١) ابو عيسى محمد بن هارون الوراق المتوفى سنة ٢٤٧ هـ. منهج المقال ٣٢٨

(٢) هو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي، ذكره القاضي في الطبعة الثامنة من رجال الاعتزال، و ذكر انه أُلحد و خرج عن الدين

كما ذكر انه يقال بأنه تاب آخر عمره. من كتبه التاج في الرد على الموحدين، و الدافع في الرد على القرآن، و الفريد في الرد على الأنبياء. المنية و الأصل ٩٢.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٢

و فضيحتهم في هذه الكتب واضحة، و ليس لرسول الله صلى الله عليه و سلم اعداء مثلهم، و الشيع تتوالاهم لأنهم عملوا كتباً لهم في الطعن في المهاجرين و الأنصار.

فمن هذا العجب، ان قوما يدعون انهم من المسلمين يوالون هؤلاء و يرجعون الى كتبهم، فتبين رحمك الله الحال في ذلك، لتعلم انه لا يطعن على المهاجرين و الأنصار إلا من يطعن على الأنبياء صلوات الله عليهم، و إنما تستر هؤلاء الملحده و الزنادقة بالتشيع و الإمامة ليستوى لهم الطعن على الأنبياء و تشكيك المسلمين في الدين فاعلم ذلك!.

و باب آخر [ما نزل بمكة في رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا]

و هو ما نزل بمكة في رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا، و ان الله سيذيقهم من عاجل الخزي في الدنيا، و قد صنع مثل صنيعهم قوم علم الله انهم يدخلون في الاسلام فلم يأت من عند الله فيهم ما أتى في اولئك. فمن ذلك ما نزل في أبي جهل: «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَا كُنَّ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى. أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» (١). فقال أبو جهل:

لم يهددني رب محمد و أنا أعز اهل البطحاء و أكرمهم؟ فأنزل الله في استهزائه بالزقوم و قوله: انه التمر بالزبد فقال: «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ. خُذُوهُ فَاغْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءٍ

(١) القيامة ٣١ و ما بعدها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٣

الْحَمِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ. ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (١) أي بزعمك.

نزل هذا كله فيه و هو يومئذ حي سليم، فأذقه الله حر الحديد بيدر، و مات على الكفر كما قال و كما أخير.

و نزل في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة من قريش:

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» (٢). الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْأُخْطُمَةِ» فمات على كفره.

و منهم النضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار، و كان شديد الرد على الله و على رسوله، شديد العداوة و الإرصاء. و قد كان رحل في عداوة رسول الله صلى الله عليه و سلم الى فارس، و طلب ما يكيده به الاسلام و المسلمين، فوجد احاديث رستم و إسفنديار و الفرس (٣)، فاشتراها و قدم بها مكة فجعل يتحدث بها. و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قام من مقعده خلفه فيه النضر/ و حدثهم بتلك الأحاديث و قال: حديث محمد عن عاد و ثمود و الأمم من هذا، بل هذا احسن. فأنزل الله فيه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا

(١) الدخان ٤٣ و ما بعدها

(٢) ذكر الطبرى في تفسير سورة «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ» ان بعض المفسرين قالوا: عنى بالآية رجلا من اهل الشرك بعينه، فقال بعضهم هو جميل بن عامر الجمعي و قال آخرون هو الاخنس ابن شريق. الطبرى ٣٠: ١٦٢.

(٣) ذكر ابن النديم كتاب رستم و اسفنديار بين اسماء الكتب التي ألفها الفرس. الفهرست لابن النديم ٤٢٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٤

هُزُوا أَوْلِيَكُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ» (١)، و نزل فيه غيرها أيضا. وقيل: يوم بدر أصابته جراحة ذهب بقحف رأسه، و حصل مع المسلمين في جملة المأسورين و قال: لا أذوق لهم طعاما و لا شرابا ما دمت في أيديهم، فمات من الضربة و صار الى النار بعد ان أذاقه الله العذاب المهين في الدنيا كما قال و كما اخبر. و منهم الوليد بن المغيرة المخزومي، و كان من الأشداء على المسلمين، فقال لقريش حين حضر الموسم: ان الناس قادمون عليكم و سائلوكم عن صاحبكم، يعني رسول الله صلى الله عليه و سلم، فما ذا تقولون؟ قالوا: نقول مجنون، قال: يكلمونه فلا- يجدونه مجنونا، قالوا: نقول شاعر، قال: فهم اصحاب الشعر يقولونه و يروون بسيطه و هزجه فلا يجدونه شاعرا. قالوا: فنقول كاهن، قال: فقد رأوا الكهنة و تكلفهم و كذبهم. قالوا: فما نقول يا ابا عبد شمس؟ ففكر و قدر و نظر و عبس و بسر (٢) كما وصفه الله تعالى في سورة المدثر، ثم قال: «إِنَّ هَذَا إِلَّا سَخِرٌ يُؤْتَرُ». و كان له عدة بنين، و كان ذا مال واسع، فكان بنوه يحضرون و يشهدون عقلاء، فأنزل الله فيه:

«ذرنى و من / خلقت وحيدا. و جعلت له مالا ممدودا. و بنين شهودا.

و مهّدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيد. كلا انه كان لآياتنا عنيدا».

الى قوله: «سَأُضِلِّيهِ سَقَرًا» (٣) فلم يزد الله مالا و لا ولدا بعد هذا كما أخبر، ثم مات كافرا كما قال الله. و قد كان عند نزول ذلك حيا سليما.

(١) لقمان ٦

(٢) قد تشبه الكلمة في الاصل ب: و بصر، و الصحيح ما اثبتناه

(٣) الآيات من سورة المدثر، و أكثرها حول الوليد بن المغيرة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٥

فانظر كم في ذلك من الآيات من الإخبار بالغيوب، و من عجزهم عن القرآن ان يأتوا بمثله في الفصاحة و البلاغة و الجزالة، فلم يتأت لهم ذلك مع حاجتهم إليه و اجتهادهم فيه. و فصاحة القرآن و جزالته و بلاغته دلالة اخرى غير دلالة الإخبار بالغيوب.

باب آخر [ما كان بمكة من انشقاق القمر]

و هو ما كان بمكة من انشقاق القمر؛ فان رسول الله صلى الله عليه و سلم مرّ بمكة في ليلة قمرء و معه نفر من اصحابه، فاجتاز بنفر من المشركين، فقالوا له: يا محمد، إن كنت رسول الله كما تزعم فاسأل ربك ان يشقّ هذا القمر، فسأل الله ذلك فشقه، فقال المشركون: ساحروا بصاحبكم من شتم فقد سرى سحره من الارض الى السماء. فنزلت القصة في ذلك (١).

و هذا من الآيات العظام و البراهين الكرام على صدقه و نبوته صلى الله عليه و سلم.

فإن قيل: و من أين لكم ان القمر قد انشق له كما ادعيتم؟ أ تعلمون ذلك ضرورة أم بدلالة؟ أو ليس النظام (٢) قد شك في هذا و قال: لو كان قد انشق لعلم بذلك اهل الغرب و الشرق لمشاهدتهم له؟ و هذا شيء سيكون عند قيام الساعة و من أسراط/ القيامة، فبأى شيء تردون

(١) انزل الله في انشقاق القمر سورة القمر و أولها: اقتربت الساعة و انشق القمر. و ان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر.

(٢) هو ابراهيم بن سيار ابو إسحاق النظام، احد أئمة المعتزلة المشهورين، انفرد بأراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة سميت

النظامية. توفي سنة ٢٣٢ هـ. الاعلام ١: ٣٦.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٦

قوله و تبيين غلطه إن كان قد غلط؟ قيل له: ما نعلم ذلك ضرورة و لكن نعلمه بدلالة، فمن استدلل عرف، و من لم يستدل لم يعرف، و من قصر عن الاستدلال و النظر غلط كما غلط ابراهيم النظام.

فوجه الدلالة على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد احتج بذلك على المسلمين و المشركين و تلا هذا القول عليهم من سورة القمر: «اقتربت الساعة».

و لم يكن ليقدّم و يحتج على العدو و الولي بما لا حاجة فيه، و يشير الى أمر ظاهر يشار إليه و يشاهده الناس، فلو أراد ان يكذب و يردّ قوله ما زاد على هذا؛ هذا لا يقع من عاقل و لا يختاره محصل كائنا من كان، فكيف يقع ممن يدعى النبوة و الصدق و هو أشد حرصا بالناس كلهم على تصديقه و اتباعه؟ فلو أراد ان يكذبه و يردوا قوله ما زاد على هذا، و هذا لا يذهب على متأمل.

فإن قيل: فما تنكرون على من قال انه صلى الله عليه و سلم، ما احتج بهذا على نبوته؟ قيل له: لا فرق [بين] «١» من ادعى ذلك او ادعى في جميع ما أتى به من القرآن و غيره انه ما احتج بشيء من ذلك على صدقه و نبوته.

و مما يزيدك علما بذلك و يبين لك غلط النظام و جهل كل من ذبّ عن ذلك قوله تبارك و تعالي: «اقتربت الساعة و انشق القمر. و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر» فانظر كيف قال: اقتربت الساعة، و أخبر عن امر قد كان و مضى، ثم قال على نسق الكلام:

(١) ما بين القوسين اضافة من عندي ليتصل الكلام.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٧

«و انشق القمر»، فجاء بأمر قد كان و انقضى و مضى فنسق على الماضي بالماضي، و لو كان على ما ظنّ النظام لقال: اقتربت الساعة و انشقاق القمر، او كان / يقول و سينشق القمر، فلما لم يقل ذلك و قال:
و انشق القمر، علمت انه اخبر عن شيئين واقعين قد وقعا و كانا و حصلا.

ثم قال على نسق الكلام: «و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر» فأخبر انها آية مرئية و حجة ثابتة. ثم قال على نسق الكلام: «و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر. حكمة بالغة فما تغني النذر»، و هذا لا يقال فيما لم يقع و لم يكن. فتأمل هذا التقريع و التعنيف لتعلم انه امر قد كان، و لا يسوغ ان يقال في امر لم يكن، و لم يقع هذا القول.

و أيضا فإن ما يقع في القيامة و عند قيام الساعة لا يكون حجة على المكلفين، و لا يعنفون في ترك النظر و التأمل له، فإن التكليف حينئذ زائل مرتفع.

فأما قول النظام: فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس، فليس هذا بلازم، لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد و إنما هو شيء حدث ليلا و ما كان عندهم خبر بأنه سيحدث و سيكون في وقت كذا فينظرونه، و اذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه. يزيدك بيانا ان القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد و نفر اليسير لنومهم «١»، فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد ان رآه اولئك القوم الذين طلبوه.

(١) و قد تقرأ: لتوهم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٨

و أيضا فقد يجوز ان يحجبه الله عز و جل لمصالح العباد إلا عن أولئك القوم، لأنه قد يجوز ان يكون في بعض البلاد من المكذبين و المحتالين في تلك الساعة من لو رأى ذلك لقال: انما انشق شهادة لي على صدقي، و لا يكون ما ذكره النظام قد جاء في ذلك من

هذا الوجه أيضا، و بطل ما توهمه.

و مدار/ الأمر ان يكون هذا أمرا قد كان، و قد ذكرنا الدلالة على كونه فلا عذر لمن شك فيه.

و من الدلالة أيضا ان ذلك قد كان، ان الصحابة بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قد تذاكروه فما فيهم من شك و لا ارتاب و لا توقف، بل وقع إجماع منهم على كونه و وقوعه، فلا معتبر بمن جاء بعدهم ممن خالفهم.

و قد ذكر انشقاق القمر على بن ابي طالب، و عبد الله بن مسعود، و جبير بن مطعم، و ابن عمر، و ابن عباس، و أنس بن مالك، و خطب الناس مدينه بن مالك بالمدائن و ذكر فيه انشقاق القمر. و كانوا يقولون:

خمس قد مضين: الروم و القمر و الدخان و البطشة و اللزام «١»، يتذكرون هذا بينهم رحمة الله عليهم. و قد ذكرنا ما في العقل من الحجة في ذلك، و هي تلزم كل عاقل بلغته الدعوة، سواء كان من المسلمين او من غيرهم،

(١) يقصد بالروم غلبة الفرس على الروم و ما تنبأ به القرآن من غلبة الروم بعد ذلك في سورة الروم، و القمر حادثه انشقاق القمر الذي ورد في القرآن في سورة القمر، اما الدخان فما ورد حوله في سورة الدخان، و أما البطشة فيقصد بها وقعة بدر لقوله تعالى: «يوم نبطش البطشة الكبرى»، و أما اللزام فقد قيل ان المقصود بها بدر أيضا، و قد ذكر ذلك ابن الاثير في النهاية ٤: ٥٦.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٥٩

و في ذلك أتم كفاية. ثم ذكرنا تذاكر الصحابة بذلك و هي دلالة اخرى، إذ لا يجوز ان يقول عاقل بحضرة جماعة، و قد أقبل على من يحدثه:

قد كنا في وقت كذا حتى حدث كذا و كذا- و هو يستشهد بالذي حدث بحضرتهم و يدعى عليهم و ما عندهم علم- فيمسكون عن تكذيبه و الرد عليه. ثم ذكرنا الاجماع السابق من الصحابة ليتأكد ذلك على كل من كان من اهل الصلاة.

باب آخر [ما كان بمكة من غلبة الفرس على ارض الجزيرة ادنى ارض الروم]

مما كان بمكة. و هو ان الفرس غلبت الروم على ارض الجزيرة و هي أدنى ارض الروم و ممالكها من سلطان فارس، فسّر ذلك مشركي قريش لشدة فارس على الاسلام و المسلمين، و كانت الروم ألين كتفا على المسلمين لأنهم اهل كتاب، و كانوا يصغون/ الى ما يرد عليهم من أخبار رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و ما يدعو إليه و ما يأمر به و ما ينهى عنه و كيف سيرته، و يتعجبون من ذلك و يستحسنونه، و يكون من ملكهم ما لعله يرد عليك. و ساء المسلمين ظهور فارس عليهم، فأخبر الله نبيه صَلَّى الله عليه و سلم ان الروم ستظهر على فارس بعد سبع سنين، و ان غم المسلمين سيعود فرحا، و أنزل بذلك قرآنا يتلى، فقال عز و جل: «الم. غلبت الروم في أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين. لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر «١» من يشاء و هو

(١) في الاصل: ينصر الله، و هو خطأ

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٠

العزير الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون». فلما نزلت هذه الآية تلاها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم على ابي بكر الصديق، و بشره و بشر المسلمين؛ فخرج ابو بكر الى المشركين و أخبرهم بذلك و توعدهم و جادلهم و أغضبهم و أغاظهم. فقال أبي بن خلف: و الله لا- تغلب الروم اهل فارس و لا تخرجهم من أرضهم. فقال ابو بكر: بل تغلبهم و تخرجهم، فإن شئت بايعتكم، فبايعه على تسع من الإبل الى ثلاث سنين. ثم دخل ابو

بكر على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: انها سبع سنين فزده في الخطر «١» و مدّ في الأجل.

فرجع ابو بكر الى أبي بن خلف فاستقاله فأقاله، وقال: ان الذي يجيء به صاحبك باطل. فعاوده ابو بكر المبايعه و زاد في الأجل اربع سنين، و زاد في الخطر / ثلاثا من الإبل، و أخذ أبي ابا بكر بكفيل، لأن ابا بكر على الهجره مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، و قد كان يذكر هذا و قد بدأ في فرار المسلمين بأديانهم، فأقام له ابو بكر عبد الله ابنه كفيلا، و أخذ ابو بكر أبي بن خلف بذلك فأقام له ابنا كفيلا، فأخرجت الروم فارس من أرضها يوم الحديبيه، فأخذ عبد الله بن ابي بكر من أبي بن خلف و كان الخطر إذ ذاك مباحا طلقا.

فانظر كم في هذا من دلالة و آية بيئه، و أنه اخبر ان الروم ستغلب فارس، و أن ذلك سيكون بعد سبع سنين، فكان كما اخبر و على ما فصل

(١) تخاطر: تراهن، و الخطر: السبق يتراهن عليه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٦١

و بين، و البضع فوق الثلاث و دون العشر، و انظر الى هذا الإقدام و هذه الثقة من رسول الله، و انظر الى قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»، يريد بهذا النصر ظهور حجة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم و ما أقدم عليه أبو بكر و جاهد المشركين و بايع، فهذا المراد بالنصر لا بظهور الروم على فارس لأن ذلك معصية، و فارس و الروم كفار و الله لا ينصر الكفار بعضهم على بعض. و انظر الى هذا التقرير و التوبيخ و تأكيده الوعد بقوله:

«و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم.

وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون» و انظر كيف يستخف بهم و يستجملهم و هم يسمعون و هو معهم و في قبضتهم و في أيديهم و الغلبة لهم، و انظر كيف يقول له في آخر السورة: «فاصبر إن وعد الله حق و لا يستخفنك الذين لا يوقنون»، فتأمل هذا البيان/ و هذا الافصاح و هذه المكاشفة و الاستظهار و العلو و الاستطالة بالحجة و العلم بهذا، و انه قد كان على ما ذكرنا و بينا يجري مجرى العلم بقصة المهاجرين الى ارض الحبشة و نظائرها مما قدمنا في قصة الاسراء و غيرها، فاحفظه و ارجع إليه.

و تأمل حال أبي بكر الصديق في الاسلام و إسلامه في اول الاسلام و في حال ضعفه و قلة اهله و غلبة الشرك و المشركين عليهم، و في الحال التي قد كان المستبصر فيها لا يظهر دينه و يخفى ما في نفسه، و انظر الى بصيرة هذا الرجل و مكاشفته و استبداله بالمسالمة عداوة و بالراحه شقوة و بالغنى فقرا و بالكرامة هوانا، كل ذلك للإسلام. ثم كان لسان المسلمين و أكبر داعية للرسول و أجل أعضاده و أنه أعوانه، لم يقم مقامه احد من المسلمين و لا سد مسده و لا حلّ من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم محله. و انظر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٢

الى مقامه في شأن الاسراء، و في شأن الروم، و في غير ذلك مما يطول شرحه. و انما احتجنا الى ذكر هذا و التنبية عليه لأننا في زمان يقول الكثير من اهله انه ما أسلم قطّ و ما زال عدوا لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم و للمسلمين، و أن عداوته كانت أشد و أضر من عداوة ابي جهل و عقبه ابن ابي معيط و أمثالهم، و أن القرآن كان ينزل على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم و سلم ياكفار أبي بكر و عمر و عثمان و سعد و سعيد و أبي عبيدة و عبد الرحمن «١» و الجماعة من المهاجرين و الأنصار، و كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يتلوه في المحاريب و يسمعه الناس / كلهم و يحفظهم إياه، و أنه مكث نيفا و عشرين سنة يفعل ذلك. و عند العلماء و الفقهاء و أهل التحصيل و الانصاف، انه كان يتقدم المسلمين في الاسلام، و أنه كان أشدهم غنى، و أن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضى الله عنه كان يقدمه و يقدم عمر على نفسه و يفضلهما على منابره و هما من الأموات، حتى يقول ابو القاسم البلخي «٢»:

و من يفضل أمير المؤمنين لا يمكننا ان ندفع قوله، ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر و عمر، و لا يدفع هذا من له بالعلم بصيرة أوله فيه نصيب و لكنه عندنا ما أراد نفسه، و قد كانت الشيعة الاولى تفضل

(١) سعد بن ابى وقاص الصحابى الجليل المتوفى سنة ٥٥ هـ. و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى، احد العشرة المبشرين بالجنة توفى بعد الخمسين من الهجرة، و أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح، احد المبشرين بالجنة و فاتح الشام و امين توفى سنة ١٨ هـ. و عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى احد العشرة المبشرين بالجنة، لعب دورا كبيرا مع رجال الشورى بعد وفاة عمر حتى بايع لعثمان رضى الله عنه بالخلافة توفى سنة ٣٢ هـ.

(٢) هو عبد الله بن احمد بن محمود، ابو القاسم البلخى او الكعبى، احد أئمة المعتزلة، له فرقة تنتسب إليه، و كان يفضل عليا رضى الله عنه. انظر تاريخ بغداد ٩: ٣٨٤، و وفيات الاعيان ١: ٢٥٢، و الاعلام ٤: ١٨٩.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٦٣

أبا بكر و عمر عليه. قال: و قال قائل لشريك بن عبد الله «١»: أيهما أفضل؟ ابو بكر أم على؟ فقال: ابو بكر، فقال له السائل: أ تقول هذا و أنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشاعى من قال مثل هذا، و الله لقد رقى امير المؤمنين هذه الأعواد فقال: ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر و عمر، أفكنا نردّ قوله؟ أفكنا نكذبه؟ و الله ما كان كذابا.

ذكر هذا ابو القاسم البلخى فى النقض على ابن الراوندى إغراضه على ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، فى كتابه «فى نظم القرآن و سلامته من الزيادة و النقصان». و ينبغى ان تعلم ان الذين وضعوا هذا انما قصدوا به رسول الله صلى الله عليه و سلم و أهل بيته لشدة عداوتهم له و تستروا بالتشيع، و كان غيظهم على ابى بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعة لأنهم هم الذين اشتملوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حياته و نصره، ثم كانوا بعد وفاته أشد نصرة فى دينه منهم فى حياته، و أحذقوا بأبى بكر/ فغزاهم، و قتل مسيلمة، و أسر طليحة، و رد الردة، و غزا فارس و الروم، و أذل أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم بكل مكان. و استخلف عمر، فأزال ملك فارس و هو أشد الملوك و أدخل ملكه فى الاسلام، و ألحق ملوك الروم بجزال الروم و خلجانها و أخرجهم من الشام و مصر و من الجزيرة و أدخل هذه الممالك فى الاسلام، و قتل الشرك و أماته و أحيا الاسلام و بثّه و نشره و بسطه و بناه و شيده و جعله عاليا على الأديان كلها و ظاهرا على أمم الشرك جميعها. فغاظهم ذلك أشد الغيظ، و لم يمكنهم المكاشفة بشتم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاشتفوا

(١) شريك بن عبد الله: هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعى، عالم بالحديث و فقيه و لى القضاء للمنصور العباسى فى الكوفة سنة ١٥٣ توفى سنة ١٧٧ هـ. تذكرة الحفاظ ١: ٢١٤، و وفيات الاعيان ١: ٢٢٥.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٦٤

منه بشتم هؤلاء و غزوا من لا يعرفهم و قالوا لهم: ما هذا القرآن بشىء، و هو مغير لا تقوم به حجة، و الاسلام مبدل، و الفقهاء جهال كفار، الى غير ذلك مما هذا سبيله و شرحه يطول، فاعتزوا بهم و قبلوا منهم و صدّوهم عن الاسلام فأوردوهم ما أصدردهم. و أنت تجد كثيرا من ذلك فى التفسير لأبى على «١»، و فى نقضه الإمامة على ابن الراوندى، و فى غيرهما من كتبه، و فى كتب غيره من المعتزلة و الله أعلم.

باب آخر [من اعلامه صلى الله عليه و سلم انقراض الكواكب بمكة]

فمن اعلامه التى حدثت و هو صلى الله عليه و سلم بمكة، انقراض الكواكب و امتلاء السماء بها من كل جانب على وجه انتقضت به

العادة و خرج عن المعتاد. و هذه آية عظيمة، و بينة جلية، و واضحة جسيمة.

و قد نطق القرآن بها فقال حاكيا عن الجن: «وَأَنَا لَمَسِينَا السَّمَاءَ / فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهْبًا. وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا» (٢).

فان قيل و من أين لكم هذا و قد سبقكم زمانه و نحن لا نؤمن بكتابكم و لا نقر بنبيكم؟ و خبرونا عن طريق معرفتكم بذلك هل هو ضرورة

(١) هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٣٥-٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة في عصره و إليه تنسب الجبائية. نسبته الى جبي من قرى البصرة، و تفسيره المذكور من اهم مؤلفاته، استفاد منه من بعده القاضي عبد الجبار و الحاكم ابو السعد و الزمخشري. وفيات الاعيان ١: ٤٨٠. دائرة المعارف الاسلامية ٦: ٢٧٠.

(٢) الجن ٨ و ما بعدها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٥

أم اكتساب؟ قيل له: العلم بذلك طريقه الاستدلال و الاكتساب، و يتهيا لكل عاقل من كافر و مؤمن ان يعرف ذلك و يجب عليه ان يعرف، و سبيله سهلة قريبة، فمن نظر و استدل عرف، و من لم يستدل لم يعرف.

و الدليل على ان ذلك قد كان، ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد تلا هذه السورة و احتج بذلك على العدو و الولي، فعلمنا انه أمر قد كان و وقع، فإن الحجة به قد قامت و ظهرت و قهرت، لأنه لا يجوز ان يقصد عاقل الى قوم يدعوهم الى صدقه و نبوته و يحرص في أجابتهم الى طاعته و الانقياد له و يريد منهم ذلك ثم يقول: من علامة نبوتى و دلائل رسالتى ان النجوم لم تكن تنقض و انها الآن قد انتقضت، و هو يعلم انهم يعلمون ان هذا أمر لا اصل له و أنه قد كذب فيما ادعى. هذا لا يقع من عاقل كائنا من كان، فكيف بمن يدعى النبوة، و عقله العقل المعروف الراجح الموصوف، ثم يقصد الى امر ظاهر مكشوف فى السماء البارزة للخلق أجمعين المشاهدة للأولين و الآخرين، سيما و العرب أعلم الناس بالكواكب و الأنواء و مطالعها و سيرها، و الثابت الراكذ الذى/ لا يغيب منها. و قد كتب الناس عنهم علمهم بذلك، و دونوا منه شيئا كثيرا، و أكثرهم مأواه تحت السماء، هى تسقفهم، و رؤيتهم لها و لكواكبها امر دائم متصل لا يفتقر، و قد سبقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى السن و الزمان و العلم بالكواكب، فكيف يقدم على قوم هذه سبيلهم فيدعى هذه الدعوى و هم من العداوة له و الطلب لعثراته و زلاته، و لأمر ينفرون به اصحابه عنه على حال لا مزيد عليها؟ فأين كانوا عن هذا الكذب الظاهر الذى لا ينفع معه صدق يقدمه و لا صدق يكون بعده؟ و من هذه سبيله لا يكون لها رئاسة، و لا يتبعه احد، و لا يكون له قدر. و قد يتبعه قوم عقلاء ألباء «١» فضلاء لأنه

(١) ألباء: جمع لبيب. انظر القاموس المحيط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٦

نبي و لأنه صادق، و طاعة لله و تقربا الى الله، و استبدلوا باتباعه بالعز ذلا و بالراحة كدا ابتغاء مرضات الله، و تكلفوا فى اجابته بتلك الشدائد التى قد قدمنا شرحها، فكيف اقاموا عليه و هو يكذب هذا الكذب الظاهر.

و هناك من اعدائه قريش و العرب و اليهود و النصارى و كيدهم عظيم، كيف لم يوافقوا على هذا و يجمعوا الناس عليه؟ و كيف لم يقولوا لأصحابه و هم إخوانهم و اولادهم و منهم: يا هؤلاء، فارقتم أديانكم، و جهلتم اسلافكم، و اكفرتم آباءكم و شهدتم عليهم بالفضيحة، طاعة لرجل فرض عليكم مجاهدة الأمم، و بذل دمائكم و اموالكم فى ذلك، و ألزكم التكليف الشديدة من شريعته، و هو يكذب هذا الكذب البارز للعقول/ و الأبصار؟ و فى تركهم لذلك دليل على صحة هذه المعجزة.

و أعجب الامور انه يتلو عليهم قول الله جل و عز: «فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (١) اى لا يجدوا بك كذابا، و لا يجدون فى قولك كذبا و إن حرصوا على ذلك و استفرغوا وسعهم، و لو قدروا ان يجدوا له عثرة او ذلة او ادنى شبهة لما واثبه قبل الناس كلهم إلا اصحابه، و لا قبله إلا خاصته و ثقاته و بطانته.

فإن قيل: فلعلهم لم يفعلوا هذا به و إن وقفوا على كذبه لثلا- يفضحوا أنفسهم و يشتموا عدوهم، و لثلا- يقول الناس لهم خدعتم فامسكوا لهذا.

قيل له: هذا لا- يسأل عنه مميز، لأنه إن كان قد كذب فأقاموا عليه و قد عرفوا كذبه، فقد تعجلوا الفضيحة بإقامتهم عليه و أشمتوا بنفوسهم

(١) الانعام ٣٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٧
الاعداء، [و خسرو الدنيا و الآخرة «١»].

و جواب آخر:

و هو ان هؤلاء الذين اتبعوا الاعلام التى كانت معه من القرآن و غيره و قد شهدوا على انفسهم و آبائهم بأنهم كانوا فى ضلال و باطل و فضائح و ما استنكفوا من الرجوع عن ذلك، فلو حسوا «٢» بأدنى شبهة فضلا عن كذب لبادروا و رجعوا و كان ذلك ارواح لهم، و أخف عليهم، و أبين فى عذرهم و قيام حجتهم، فان مراجعة الحق اولى من التماذى فى الباطل.

و جواب آخر:

و هو انهم لو وقفوا على امر يرتاب به لسألوه عنه، و عنف بعضهم بعضا فى الاقامة عليه و فى ترك قتله و البراءة منه،/ و لأذاعوه و أظهره و إن ضرهم و غمهم و ساءهم، فان الجماعة الكبيرة لا- يجوز ان تكتم ما قد عرفت و إن ساءهم و إن ضرهم و إن ذهب برئاستهم و حط من اقدارهم. فأعرف هذا فانه اصل كبير. هذا فيما يقفون عليه خاصة، فكيف بأمر الشهب و هو شىء يعرفه الناس عامة من ولى و عدو، فتعلم انها آية عظيمة و حجة ظاهرة.

و انظر كيف اوردها و أدل على العدو و الولى و استطال بها فقال: «قل أوحى إلى انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى الى الرشده فأمننا به و لن نشرك بربنا احدا. و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا. و أنه كان يقول سفيها على الله شططا، و أنا ظننا ان لن

(١) ما بين القوسين كتب قريبا من حاشية الورقة، فيحتمل ان تكون من الاصل او ان تكون من المعلق على الكتاب.

(٢) حسست الشىء: احسسته، و حسست به ايقنت به. انظر القاموس المحيط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٨

تقول الانس و الجن على الله كذبا. و أنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا. و أنهم ظنوا كما ظنتم ان لن يبعث الله احدا.

و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا و شهبا. و أنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. و أنا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا» فانظر كيف ذكر هولها و عظمتها و ارتياح الجن و الانس لحدوثها، و انهم لا يدرون لأى شىء حدثت و هل حدوث ذلك لعذاب اهل الارض بذنوبهم، أم لموعظتهم و إرشادهم.

و قد جاء مع هذا أيضا ان «١» الكواكب لما انتفضت اخذ الناس فى الخروج من / اموالهم، و قالوا: ما حدث هذا إلا لفناء الدنيا و

انقضاء مدتها، فقال عبد نائل بن عمر و الثقفى (٢) لأهل ثقيف: أمهلوا فإن افادة المال بعد اتلافه تشق و تصعب، فانظروا الى الكواكب المنقضة، فإن كانت من الكواكب المعروفة المتقدمة فهو لفناء الدنيا، و إن كانت كواكب الآن حدثت و الآن خلقت فهو لأمر. فحدثت إحدى الليالى، فنظروا فإذا هى كواكب الآن حدثت، فأمسكوا عن اموالهم و ترقبوا ما يأتيهم من الاخبار، فاذا قد اتاهم ان رجلا من قريش بمكة قد زعم ان الله ارسله الى خلقه لينذرهم، فقالوا: لعل هذا الانقضاض شاهد لهذا المنذر، و تبركوا برأى هذا الرجل المشير و صار مفخراله و لولده من بعده، حتى يقولوا لثقيف ابونا الذى حبس عليكم اموالكم.

(١) فى الاصل: من، و لعل الصحيح ما اثبتناه.

(٢) انظر ما اورده ابن كثير فى تفسير سورة الجن عن هذه الحادثة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٦٩

فإن قيل: او ليس قد ذكر ان فى شعر الشراء الأولين ذكرا لانقضاض الكواكب، و فى كتب العجم ذكر لذلك.

قيل له: إن ابا على و ابنه ابا هاشم (١) و اصحابهما قالوا: ما ننكر ان يكون قد كان قبل مبعث النبى شىء من انقضاض الكواكب، و لكننا قد علمنا بالدليل الذى قدمنا انه قد حدث عند مبعث النبى شىء انتقضت به العادة، و امتلأت السماء به، فتلك الزيادة على الامر المعتاد هى الحجّة؛ فصار ذلك بمنزلة الطوفان، فإن الماء قد كان قبل نوح عليه السلام يزيد زيادات كثيرة معروفة معتادة، فلما جاء نوح صلى الله عليه زاد/ الماء زيادة انتقضت به العادة و خرج عن الأمر المعتاد، فكانت تلك الزيادة هى الآية و هى الحجّة. فليس فى شعر الشعراء و لا فيما وجد فى كتب القدماء مطعن فى هذه الدلالة، و لا تكذيب لهذا الخبر، و هذا جواب سديد شاف كاف، لأن النبى صلى الله عليه و سلم انما احتج بامتلاء السماء بالشهب لا بالأمر المعتاد، هذا لا يفعله عاقل و لا يقع منه كائنا من كان، فكيف بمن يدعى الصدق و النبوة و يريد من الناس كلهم تصديقه و اتباعه، فلا يجوز ان يحتج عليهم بأمر قد عرفوه قبل ان يخلق و يخلق آباؤه فيقول: هذا من آياتى و من اجلى حدث و بسبب تصديقى خلق، فيكون بمنزلة من قال: من الدلالة على نبوتى ان الشمس ما كانت تطلع عليكم و انها الآن قد صارت تطلع.

فأما ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله، فانه يذكر فى كتاب «الحيوان» انقضاض الكواكب، و ذكر ما فيه من الآية و الحجّة فى النبوة،

(١) ابو هاشم الجبائى هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى (٢٤٧- ٣٢١ هـ) من كبار رجال المعتزلة له طائفة تنتسب إليه تسمى بالبهمية، و يعتبر القاضى عبد الجبار من تلاميذه و رجال مدرسته. وفيات الاعيان ١: ٢٩٢ و تاريخ بغداد ١١: ٥٥.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٠

و ذكر الشعر الذى ذكر فى هذا المعنى لهؤلاء الشعراء، فقال هو و ابراهيم النّظام و غيرهما: إنه ليس فى هذا الشعر امر يبين قد اراد به صاحبه انقضاض الكواكب و لكنه امر محتمل. و ذكروا فى بعض هذا الشعر أنه مولد و قد قيل فى الاسلام، قاله بعض الزنادقة و نسبه الى الأوائل، و ذكروا فى بعضه ان قائله و ان كان كافرا جاهليا فقد ادرك المبعث و أوائل المبعث؛ فأبطلوا ان يكون فى هذا متعلق/ او يحتاج فيه الى جواب.

و استبعد ابو عثمان ان يكون هذا امر قد كان ظاهرا قبل الاسلام، قال:

و إلا فآين كان القدماء من الشعراء، كامرئ القيس و من تقدمه، و كنانة و زهير (١) و شعراء القبائل القديمة، كيف لم يذكروا هذا فى اشعارهم و هو أمر بارز لأبصارهم؟ و هم قد شهوا بالحيات و العقارب و الجعلان و الخنافس و البراغيث و بالقمل و بكل شخص و بكل ما دب و درج؟ و ليس ببعيد ما قاله. فأما جواب أبى على و اصحابه: فما نبالى و لو كان الشعر ملء الدنيا للأوائل، فما له فى هذا

تأثير.

قال ابو عثمان: و أما ما يدعى من ذكر الشهب في كتب العجم الاوائل فهو امر لا سبيل الى العلم به لأنها منقولة في الاسلام، و انما نقلها الواحد بعد الواحد من أعداء الاسلام، و من هو اشد الناس حرصا على تكذيب النبي صلى الله عليه و سلم و تشكيك المسلمين، فهو لو كان عدلا مسلما ما علم ذلك بخبره، فكيف و حاله ما وصفنا؟.

و بعد فمن اين لنا انه عليم باللغتين و يقصد واضعى الكتب حتى يوثق بنقله و بأخباره؟ و هو كما قال ابو عثمان، فإن هذه الكتب التى وضعت في الاسلام،

(١) يقصد زهير بن ابى سلمى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٧١

و نسب بعضها الى الهند، و بعضها الى الروم، و بعضها الى اليونانية، و بعضها الى القبط، و بعضها الى النبط، و بعضها الى الفرس، فانما وضعها الواحد بعد الواحد، و زعم انه وجده لأهل تلك اللغة، و زعم انه عالم بتلك اللغة فنقله، فهو امر لا يقع به علم و ليس معنا اكثر من دعوى هذا الواضع، فبمقدار ما يكتبه و يترجمه و يلقيه الى الوردقين فيدور/ فى ايدى الناس فيقول من لا- علم له و لا- عادة له بمجالسة المعتزلة و من اخذ عنهم و من لا سبيل له الى طرق اهل العلم: هذا من كتب الأوائل؛ فاعرف هذا، فانه باب كبير و كل احد أمس الحاجة إليه فان الجهل و ترك التأمل غالب على الناس، و أعداء الاسلام كثير، و هم بينهم، يكيدونهم بأنواع الكيد من حيث لا يشعرون.

فمن ذلك خطب و رسائل و وصايا و حكم وضعت فى ايام بنى العباس و نسبت الى أمم العجم، لا سبيل الى العلم بما ادعوا واضعوها من أنهم وجدوها للأوائل، و انما كان غرضه شغل الناس عن القرآن و عن عهود رسول الله صلى الله عليه و سلم و وصايا السلف بعده، و لعله انما اخذ ذلك و حصل معانيه من القرآن و من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و غير اللفظ و نسبه الى أمم العجم و العلماء. و أهل التحصيل يتهمون عبد الله بن المقفع فيما وضعه من «كلىة و دمنة» و كتاب «اليتيمة»، و ما زعم انه وجده للفرس، فقالوا: ما معنا فى هذا اكثر من الدعوى، و هو رجل بليغ اللسان بليغ العلم، فارسى الأصل، قد جرى من المجوسية على عرق، فقد كان فيها طويلا، و هو كثير الرواية لأدب العرب و علومها، متعصب لقومه، قد أسلم بعد الكبر، و كان متهما فى دينه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٧٢

و هكذا قالوا فى ابان بن عبد الحميد اللاحقى «١». و قد وضع سهل بن هارون بن رهبونه «٢» الكاتب الفارسى صاحب المأمون، كتاب «ثغرة و ثعلبة»، يعارضه به كتاب «كلىة و دمنة»، و جعله على ألسن الطير و البهائم، و ذكر فيه حكم العرب كما صنع ابن المقفع «٣» فى كلىة و دمنة عن هذا/ الذى سماه برزوى الطيب، فقدمه فى صدر الكتاب كأنه ما أراد إلا تشكيك أهل الديانات و أتباع الأنبياء صلى الله عليهم فى اديانهم. و قد دار فى أيدى قوم من المنجمين كتاب زعموا انهم وجدوه لجابان منجم كسرى ملك فارس، و قد أخبر فيه بزعمهم أن نبوة تحدث فى العرب يكون مدة صاحبها كذا و كذا سنة. فذكر ايام رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم ايام ابى بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على رضى الله عنهم، و لم يذكر اسماءهم، و فصل من أحوالهم و سيرهم و أعمالهم شيئا كثيرا. فافتتن به المنجمون حتى ظنوا ان «٤» صنعتهم حق، و أنها تؤدى الى علم، و فتنوا بذلك خلقا كثيرا مما لا يدري من الامراء و الوزراء و طبقات الكتاب، و جعلوا ذلك شاهدا لصناعة النجوم و نفقوها، فجرى ذلك بحضرة رجل من علماء المعتزلة فقال للمنجم الذى احتج بذلك فى صحة صناعة النجوم و هو إسحاق بن فليت اليهودى احد

(١) هو ابان بن عبد الحميد بن لاحق، شاعر مكة، اتصل بالبرامكة و مدحهم و نظم لهم كلىة و دمنة شعرا و كتبا اخرى فارسية، توفى

سنة ٢٠٠٥ هـ. دائرة المعارف الاسلامية ١: ١٦ و الاعلام ١: ٢٠.

(٢) كاتب بليغ فارسي الاصل، و من واضعى القصص، و لاه المأمون رئاسة خزائن الحكمة، و كان شعوبيا يتعصب للعرب على العجم.

معجم الأدباء ٤: ٢٥٨، فوات الوفيات ١: ١٨١.

(٣) كتب المعلق في حاشية الكتاب العبارة التالية: «في نسه ذلك الى المفيد و قد قال الناس ان الذى حكاه عن هذا الرجل الذى سماه».

(٤) فى الاصل: أنهم، و لعل الصواب ما اثبتناه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٣

رؤساء المنجمين فى زمانه ببغداد، و كان يتقدم عند كثير منهم على رؤساء منجمى زمانه و من كان فى عصره كابن زكريا «١» النوبختى، و كابن فرخان شاه النصرانى «٢» و غلام زحل «٣»: من اين لك يا أبا الطيب ان هذا الكتاب وضعه جانان لكسرى؟ فقال هذا مشهور دائر بين المنجمين لا يشكون فيه، فقال له: عن هذا و صحته سألتك، هل هو اكثر من انك وجدت كتابا مكتوبا منسوباً الى جانان منجم كسرى؟ من اين ان هذا كما كتبه هذا الكاتب و أخبر به هذا المخبر و ما معنا و ما معكم اكثر من الدعوى؟ و انما هذا رجل وجد كتابه فى الاسلام/ و فى ايام بنى العباس و فى زمان الديلم منها، و ادعى فيه انه قديم و جده فارسياً فنقله، و انما وضعه بعد ان مضت ايام رسول الله صلى الله عليه و سلم و ايام خلفائه و ايام بنى أمية و الصدر الكبير من بنى العباس و عرف ذلك و تيقنه، فوضع الكتاب بعد ذلك، و حذف اسماء القوم ليظن انه قد وضعه قبل ان يخلقهم الله، فيدعى من يقرأ كتابه ممن لا علم له له الصدق و الحذق، و لصنع النجوم الصحة. و إلا- فأرنا إن كان قد اخبر فيه عمن يأتى من الخلفاء او غيرهم، او ذكر ايامهم و اعمارهم على التحقيق كما ذكرها عمن تقدم، حتى يكون لك فى ذلك شبهة، فتحير ابن فليت من هذا بعد الخطاب الطويل، و لان بعد شدته، و سكن بعد نزوته، و قال: لعل الأمر ان يكون كما قلت، فقال له المعتزلى: ما اسرع ما رجعت عن تلك الدعوى، فقال: انا اخبرك، قد قرأت اربع نسخ من

(١) فى الاصل ابن كريا، و لعله ابن زكريا النوبختى.

(٢) ابن فرخان شاه النصرانى: هو ابن نضير بن فرخان شاه المنجم الاعجمى المتوفى سنة ٣٦٧. القفطى ٣٥٦.

(٣) هو عبيد الله بن الحسين ابو القاسم المعروف بغلام زحل، قال القفطى من افاضل الحساب و المنجمين، توفى سنة ٣٧٦. تاريخ الحكماء ٢٢٥، الفهرست ٣٩٥.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٤

هذا الكتاب المنسوب الى هذا الرجل، و كلها مختلفة، و قد ذكر فيها ان البيت يسقط حجه و تعظيمه، و انا اتوقع كل سنة و اسأل عن الحاج فاذا هو لا ينقطع حجه. و لم يكن بنا قول ابن فليت و لا استدلاله فانه ليس بشيء قوى، و يمكن الخصم ان يدعى ان ذا سيكون، او يشغب بغير هذا، و لكن الذى ذكره واضع الكتاب ليس فى صنع النجوم شىء منه و من الاصابة على طريق التفصيل، و انما تتفق لهم الاصابات عن غير علم كما تتفق للعابيين الخاتم و الزوج و الفرد، و للمتفائلين/ برؤية الثعلب، و للمتطيرين بالغراب و البوم، و ما يتفق لهؤلاء من الاصابة اكثر و احسن و اسرع لحذاق منجمى الملوك، و هذا يكفيك فى بطلان صنع النجوم، و لم تكن فى الرد عليهم، و لكن عرض هذا فذكرناه، و ستجد فى الرد عليهم اكثر من هذا.

و لكن ذكر الكتاب المنسوب الى جانان و امثاله، يضعه أعداء الأنبياء ليشكوا فى اخبارهم، و ليجعلوا صوابهم جارياً مجرى إصابتهم المنجمين، و لينفقوا صنع النجوم، و ليرغبوا الناس فى الفرع إليهم و فى التعويل عليهم و يستأكلوهم، و لتتم حيلتهم عليهم و هذا الجنس يسميه المنجمون الهاذور، و أنت تجد هذا كثيرا، فيقولون: قال ما شاء الله ابن أبرى اليهودى «١» فى القرانات كذا و كذا و قد

صح، وقال الحسن بن سهل و الفضل للمأمون «٢»: كذا و كذا قبل

(١) و اسمه ميثا بن ابرى المنجم اليهودى المشهور، عاش زمن المنصور و بقى حتى ايام المأمون.

قال القفطى: و كان فاضلا اوحد زمانه فى الاخبار بأمر الحدثن و كان له خطر قوى فى سهم الغيب و من مؤلفاته كتاب القرانات. تاريخ الحكماء للقفطى ٣٢٧

(٢) هما اخوان من اصل مجوسى، اسلما و اشتهرا بالذكاء و الادب و الفصاحة، و وزرا للخليفة المأمون العباسى، و كان الفضل يلقب بذى الرئاستين.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٧٥

أن يكون فكان كذلك.

و ربما وقع لبعض المؤرخين و الاخباريين ممن لا علم له بصنعة الكلام مثل هذه الكتب و الاخبار فيذكرها و يضمونها كتبه، فيقرؤها من لا علم له و لا سأل العلماء عنها فيتحير و يضل. و قد صنع الناس فى الاسلام مثل هذا، فقصدوا الى امور قد كانت و وقعت فعملوا فيها اشعارا و نسبوا الى قوم قد تقدموا و ادعوا انهم قد عرفوها قبل ان تكون، كما صنعوا فى قصيدة نسبوا الى رجل يقال له ابن ابى العقب ذكر فيها دولة بنى العباس و كيف ابتدأوها، و ذكر جماعة من خلفائهم و ابن ماتوا و ابن قبورهم، و ادعوا انه اخذ هذا عن الأئمة و عن الاوصياء، و هو امر لا اصل له و كذب لا يشك/ فيه، و انما سبيله ما ذكرنا، فاعرف ذلك فانه باب كبير، و المخرق به و المشاكل به كثير، و للجهل به ضلت طوائف من هذه الأمة ممن خالف المعتزلة من طوائف الشيع و غيرهم.

و هذه سبيل الكتب المنسوبة الى اليونانية كأفلاطن و أرسطاطالس و غيرهم، فانها نقلت فى الاسلام، و ناقلوها و مدرسوها انما هم الواحد بعد الواحد الذين لا يعلم بأخبار جماعتهم شىء، و هم مع هذا أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم و أشد الناس حرصا على التشكيك فى الاسلام و صد أهله عنه، و هم يتسترون بالنصرانية و النصرارى لا يرضونهم، و يشهدون عليهم بالاحاد و تعطيل الشرائع و الطعن فى الربوبية و فى جميع النبوات، و قد حرموهم و نهوا عنهم، كقسطا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٧٦

ابن اقا «١»، و حنين بن إسحاق و ابنه إسحاق «٢»، و قويرى «٣»، و متى بن يونس «٤»، و يحيى بن عدى «٥»، و هؤلاء مع قتلهم ما جمعهم زمان واحد.

و كان يوحنا القس «٦» مدرس أقليدس و المجسطى و غيره يقول: قد حذف الذين نقلوا كتب هؤلاء كثيرا من ضلالهم و فاحش غلطهم عصبية لهم و ابقاء عليهم، و اعاروهم و اعطوهم ما ليس لهم من معانى الاسلاميين و بيانهم، و العدو اذا كان متدينا لم يؤمن حنقه، فكيف بمن لا يعتقد معادا، و لا يرجو حسابا، و لا يخاف عقابا.

ثم عدت الى ما كتب عليه من ذكر الشهب.

و قد تصفح العلماء الكتاب المعروف بالعلوى «٧» المنسوب الى ارسطاطالس

(١) هو فيلسوف شامى نصرانى، اشتهر بالترجمة من اليونانية الى العربية، و برع فى علوم كثيرة. عاصر يعقوب بن إسحاق الكندى. انظر تفصيل كتبه فى الفهرست ٤١١، و القفطى ٢٦٢.

(٢) انظر ترجمة حنين بن إسحاق و ابن إسحاق فى هامش ص ٥٣.

(٣) و اسمه ابراهيم قويرى و يكنى ابا إسحاق، ممن اخذ عنه علم المنطق، و عليه قرأ ابو بشر متى بن يونس. الفهرست ٣٦٧، و طبقات الأطباء ٧٧.

(٤) ابو بشر متى بن يونس النصراني المنطقي. قال القفطي: و كان بيغداد في خلافة الراضى بعد سنة عشرين و ثلاثمائة و قبل سنة ثلاثين و له مناظرة جرت بينه و بين ابن سعيد السيرافي النحوي. القفطي ٣٢٣.

(٥) هو ابو زكريا يحيى بن عدى بن حميد بن زكريا المنطقي، قال ابن النديم: و إليه انتهت رئاسة اصحابه في زماننا. قرأ على ابي بشر متى و على ابي نصر الفارابي و على جماعة مذهبه من مذاهب النصارى يعقوبية. الفهرست ٣٦٩.

(٦) يقصد يوحنا بن ماسويه، كان نصرانيا شماسا سريانيا في ايام الخليفة هرون الرشيد، و قد ولاه ترجمة الكتب الطبية القديمة، و له في تاريخ الحكماء للقفطي ترجمة طويلة. انظر القفطي ٣٨٠.

(٧) يقصد كتاب الآثار العلوية لأرسطو، نقله الى العربية ابو بشر متى. الفهرست لابن النديم ٣٥١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٧

فإنه نقله بعض هؤلاء لبعض الخلفاء من بنى العباس ليتحفه به، فما وجدوا فيه ذكرا مصرحا لانقضاء الكواكب، و إنما هو قول محتمل يتأوله بعضهم و يدعى انه أراد به ذلك، و هو بأنه شيء يثور من الارض و يرقى الى الجو / أشبه.

و قد كان هرون الرشيد ضغط الروم و حاصرهم في بلادهم و اذ لهم الى ان اجابوا الى اداء الجزية و اتقوه بها فأخذها منهم، و كتب إليهم كتابا بين لهم توحيد الله و انفراده بالقدم و صدق نبيه صلى الله عليه و سلم، و ذكر فيه قطعة كافية حسنة من اعلام النبوة و أنفذه الى ملك الروم مع رجل من المعتزلة إما معمر او غيره، و الكتاب إنشاء ابي الربيع محمد بن الليث الكاتب القرشي «١»، و هو موجود في رسائل تاج الاصفهاني «٢» لا اشك، و قد حدثني بعض اهل العلم انه مذكور في «المنثور و المنظوم» لابن ابي طاهر «٣». و قد ذكر في هذا الكتاب آية الشهب و انقضاء الكواكب و استوفى الحجة فيها، و لم ينفذ هذا الكتاب الى ملك الروم إلا بعد تصفح كتب الاعاجم و استقصاء كل ما يمكن

(١) هذا ابو الربيع محمد بن الليث الخطيب، كتب ليحيى بن خالد، و له ولاء بني أمية، و كان بليغا مترسلا كاتباً فقيها متكلماً، ذكر له صاحب الفهرست كتاب «جواب قسطنطين عن الرشيد» و لعله هو المقصود هنا. إلا ان صاحب الفهرست يضيف رواية تشير الى ان نسبه يتصل بدارا، احد ملوك الفرس، بعد ان ذكر انه كان شديد الميل على العجم و أن البرامكة كانوا يكرهونه لذلك. ابن النديم ١٧٥.

(٢) هو محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهاني، معتزلي و من كتاب الكتاب. كان عالماً بالتفسير و غيره من صفوف العلم توفي سنة ٣٢٢.

ذكر له ياقوت في معجم الادباء كتابا باسم «مجموعه الرسائل» لعله هو المقصود هنا. «٢٨٠ هـ». معجم الادباء ٦: ٤٢٠

(٣) هو احمد بن طيفور الخراساني مؤرخ و أديب، له كتاب تاريخ بغداد، و أما كتاب المنثور و المنظوم فيقع في اربعة عشر جزءاً. ياقوت ١: ١٥٦.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٨

ان يقال، لتعلم صحة هذه الآية و خوض العلماء فيها قديماً.

و قد قال ابو علي رحمه الله و اصحابه كما قد ذكرنا عنهم ما لا يضرنا و لو ذكر الاوائل كلهم الحجة في الزيادة الناقضة للعادة و امتلاء السماء به عند مبعثه.

و قد جاء في الاثر ان كوكبا انقض فقال النبي صلى الله عليه و سلم: ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية «١»؟ فقال اصحاب ابي علي لأصحاب ابي عثمان «٢»: هذا يدل على انه قد كان لانقضاء الكواكب اثر ثم زاد في المبعث زيادة انتقضت العادة به، فقال اصحاب ابي عثمان: إنما اراد النبي صلى الله عليه و سلم بقوله لهم: ما كنتم تقولون في ذلك في الجاهلية، يريد قبل اسلامهم و قبل تصديقهم له. و على كلا القولين فالآية ثابتة و الحجة قائمة، و ليس / في هذا خلاف في كونها و وقوعها.

و أما ارسطالس هذا فلا معول على ما يقوله، و إن كان اصحابه قد صدقوا عليه فهو غير كامل العقل، لأنهم حكوا عنه ان هذه الاجسام العلوية من الشمس و القمر و الكواكب لا يجوز ان تنقسم و لا تتجزأ و لا تتبعض، و ان الشمس ليست حارة و محال ان تكون حارة، و ان هذه الاجسام محال ان تكون حارة او باردة، او رطبة او يابسة، او ثقيلة او خفيفة، او لينه او خشنة، و محال ان تكون هذه الكواكب اكثر مما هي بكوكب واحد، او ينقص منها كوكب واحد، و محال ان تكون الشمس اكثر مما هي او اقل، و محال ان يكون لها لون او ريح او طعم.

(١) انظر لما ورد في انقضا الكواكب من آثار تفسير ابن كثير ٤: ١٩٢ و ٤٢٩.

(٢) يقصد اصحاب ابى على الجبائى و أبى عثمان الجاحظ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٧٩

و هذا الذى احاله هذا الرجل جوازه قائم فى العقل، يعلمه كل عاقل من عالم و جاهل، و نظار و غير نظار، فإن كان عاقلا و بلغ به المحل و اللجاج الى أن ركب هذه المجاحدة و المكابرة فيما هو فى فطر العقول كلها و فى اوائلها، فمن يعده او يعتد بقوله او يذكره فيمن يرد عليه و يتتبع عوراته و هو عورة كله من اوله الى آخره؟ و لو لم يكن له من الجهل و الخروج من العقل إلا- هذا لكفاه و أغناه، بل لو قسمت هذه الجهالة على جميع اهل الارض، من اولهم الى آخرهم لحطت منازلهم، و اسقطت اقدارهم، حتى لا يعدوا فيمن ينقض عليه و يرد قوله. كيف، و له من الجهالات المستخفة المسقطه غير هذا مما إن طلبته وجدته و وقفت عليه.

و من جهله انه اعتقد ان السماء و الشمس و القمر و الكواكب، عاقله مميزة سميعة بصيرة ضارة ناعمة تحيى و تميت، و ان كل حادثة فى هذا العالم من فعلها و تأثيرها. و العلم بأن السماء و الشمس و القمر و النجوم جمادات و موات كالعلم بأن شعاع الشمس و شعاع القمر و ضوء الكواكب و البرق و الغيم و الريح و المطر و البحر و الماء و الهواء و الارض و النار جماد موات، و لا فرق بين من ادعى فى الارض و النار و الماء و الهواء و النبات ذلك او ادعاه فى الكواكب، بل كانت دعواه فى الطعام و الشراب و الهواء و اشبه ذلك انها حية قادرة ناعمة ضارة تحيى و تميت اجدر و أدخل فى الشغب ممن ادعى ذلك فى الشمس و القمر و السماء و الكواكب، فيقول: وجدت الهواء حيث كان جاز ان يكون معه الحيوان، و حيث لا- يكون لا- يكاد يوجد حيوان، و إذا ركد مرض الأصحاء و نهك المرضى و تعفن عنده الثمار و الطعام و النبات، فعلمت انه حى سميع بصير قادر يحيى و يميت.

ثم يصير الى الماء فيقول: عند وجوده يوجد الحيوان و النبات و عند عدمه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٨٠

يتلف الحيوان و النبات، فعلمت انه حى ناطق سميع بصير نافع ضار.

ثم يصير الى الارض و مرافقها فيذكر منها مثل ذلك، لما فيها من النبات و المعادن.

و كذلك فى النار قال: أ لا ترى انها تعقد شيئا كالبيض و ما أشبهه، و تحل شيئا كالنحاس و الرصاص و الذهب و الفضة و ما أشبه ذلك، و تبيض شيئا و تسود شيئا، فعلمت ان هذه الأشياء كلها حية ناطقة سميعة بصيرة فعالة.

و هذا قول مانى، حتى قال فى اجسام العالم كلها و فى كل جزء منها، حتى قال ذلك فى الحديد و الحجارة و الحطب. و المنانية تقول فى الاصوات التى تسمع عند قلبى السمسم و الباذنجان و اصوات/ غليان القدور و اصوات الحطب عند التشقيق، هذا كله صراخ و ضجيج منها، لما تجره من الآلام.

و المنانية تزعم ان الفلاسفة عنها اخذت هذه المذاهب، و انما ذكرت لك بهذا المكان لتعرف مقدار عقول الزنادقة و الملحدة، و لو لا- فتنة قوم من الرؤساء و الكتاب و الوزراء بهم لما ذكرناهم، و لكن هؤلاء لغافتهم و سوء تمييزهم قد اغتروا بهم لما ذكرناهم. و صارت هذه الباطنية تدعو إليهم، و تضع الروايات الكاذبة عن اهل البيت فيهم، فوجب ان نذكرهم بما فيهم و يصدق عليهم، ليعرفهم

الناس.

و باب آخر [دعوة رسول الله على مضر و إمساك القطر عنهم]

و من آياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، انهم لما كذبوه و آذوه فى نفسه و اصحابه دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، و ابعث عليهم سنن كسنى يوسف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٨١

فأمسك عنهم القطر حتى جفّ النبات و الشجر و ماتت الماشية، و حتى اشتوا القد «١» و أكلوا العلهر «٢»، و تفرقوا فى البلاد لشدة الحال. فوفد حاجب ابن زرارَةَ الى كسرى فشكا إليه ما نالهم، و سأله ان يأذن له فى الرعى بالسواد و رهنه قوسه، و هى قصة معروفة نزل بها القرآن و جرى فيها الخوض، و هو قوله عز و جل: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» «٣». و الدخان الجذب «٤»، ثم سمي دخانا لأن الغبار يرتفع فى عام الجذب فيكون كأنه دخان، و لذلك سميت سنة الجذب غرباء لارتفاع الغبار فيها، و هذا شيء قد كان و مضى، و لا يجوز ان يكون هذا مما لم يأت، لأنه عز و جل يقول: «يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» «٥». ثم ورد على نسق / «إِنَّا كاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ، يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ» يعنى يوم بدر، و هذا كله يدل على ان الدخان قد انقضى و مضى، و انه بدعائه، لأن العذاب فى الآخرة لا يجوز ان ينكشف و لا يخف. و قد قال فى هذا: «إِنَّا كاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» و العود الى المعاصى فى الآخرة لا يقع أيضا. و كان انكشاف العذاب عنهم بدعائه أيضا، فأتاهم الغيث و كثر، ثم عادوا الى طغيانهم.

(١) القَدّ فى الاصل هو القطع المستأصل او المستطيل او الشق طولاً، و يطلق على جلد النحلة. انظر القاموس المحيط.

(٢) فى حاشية الكتاب ان العلهر هو الدم يخلط بالوبر.

(٣) الدخان ١٥ و ما بعدها تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ج ١ ٨١ و باب آخر دعوة رسول الله على مضر و إمساك القطر عنهم ص : ٨٠

(٤) فى الحاشية: الدخان، الجذب

(٥) الدخان ١٥ و ما بعدها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٨٢

قال اصحاب عبد الله بن مسعود «١»: كنا عند عبد الله جلوسا و هو مضطجع بيننا، فأتى رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند ابواب كندة- يعنى الكوفة- يقصّ، يزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، و يأخذ المؤمنين منه كهية الزكام. فقال عبد الله:- و جلس و هو غضبان- أيها الناس اتقوا الله، و من علم شيئاً فليقل بما يعلم، و من لا يعلم فليقل الله أعلم، فإن الله قال لنبىه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) «٢». إن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعا كسنى يوسف صلى الله عليه، فأخذتهم سنة حسدت كل شىء حتى اكلوا الجلود المنتنة و الجيف، و ينظر احدهم الى السماء فيرى دخانا من الجوع؛ فأتاه ابو سفيان بن حرب، فقال: يا محمد إنك حيث تأمر بالطاعة و بصله الرحم، و إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. قال ابن مسعود:

فكانت الدخان سنين كسنى يوسف عليه السلام فكشف عنهم، أ ما ترونه قال: (إِنَّا كاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) بعد ان قال له: فارتقب فارتقب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و وقع، ثم دعا فكشف. و البطشة/ الكبرى يوم بدر. و قد مضت آية الروم و آية الدخان و البطشة و الزلام.

باب

و من آياته بمكة، أنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم لما جمعهم و وعظهم و دعاهم الى اتباعه و مفارقه ما هم عليه من ديانات آباؤهم ردوا قوله، و مشى بعضهم الى بعض و قالوا:

(١) اسلم بن مسعود قديما و هاجر الهجرتين و شهد بدرا و المشاهد كلها، و لازم النبي صلى الله عليه و سلم. و حدث عنه الكثير، ثم شهد فتوح الشام، عينه عثمان على الكوفة ثم عزله، توفي سنة ٣٢ هـ. الاصابة ٢: ٣٦٠
(٢) سورة ص ٨٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٨٣
(افشوا و اصبروا على آلهتكم، أ جعلَ الأَلِهَةَ إِلَهًا وَاِحِدًا؟) «١» و توعدهم بكثرتهم و عزهم و أموالهم، و وثقوا بذلك، و غرهم ما رأوا من ضعف رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و وحدته و توعدهم رسول الله و هو في تلك الحال، فأَنْزَلَ اللهُ (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَخْزَابِ) فكان كما أخبر و كانت العقبي له.

فتأمل الامر في ذلك تجده عظيما لأنه توعدهم بالحرب قبل الحرب و قبل الجماعة و في حال الضعف، و هو معهم و في أسرهم و في قبضتهم، فبعثهم على قتله و استئصاله، و هيجهم على بذل المجهود و استفراغ الوسع في مكارهه، و هذا لا يقع من عاقل إلا ان يكون واثقا بالله، ساكنا الى تنزيله و وحيه.

و اذا وقيت النظر حقه لم تجد لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم في اخوانه من التبيين و المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين نظيرا في الضعف و الوحدة، و من خالف قومه تلك المخالفة و هاجهم و أسخطهم ذلك الاسخاط، و اخبرهم بما سيكون من قوته و غلبه الجبارة من الأمم قبل ان يكون ذلك او يكون له اماره تقتضى، فصارت الامور في القوة و الظهور الى ما قال، فابتداء ابتداء الشمس و امتداد النهار.

باب [ما كان بمكة حين بكى الرسول عليهم قوله تعالى: اقتربت الساعة]

مما كان بمكة، حين تلا عليهم سورة «اقتربت الساعة» و قص عليهم أمة أمة من الذين كذبوا الرسل، و ما نزل بهم من النكال و البوار، الى ان انتهى الى قوله: (أ كَفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ

(١) سورة ص ٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٨٤
جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ «١» فكان إدلالهم بكثرتهم و كثرة من يساعدهم على عداوته و محاربتة، و انه ان صارت له جماعة فجموعهم أكثر، و الأموال و السلاح و الكراع و العدة معهم لا معه، فكان ظاهر الرأى و مقتضى الحزم ان يكون لهم لا له، إلا ان يكون من الله عز و جل مالك القلوب و ناقض العادات لأنبيائه، فكان كما قال، و كانت العقبي له.

باب آخر [ما نزل بمكة من قوله تعالى «فاستمسك الذي اوحى إليك...»]

مما نزل بمكة قوله: «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَبيدُكَرُّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» «٢» أى شرف و نبل و جلاله، فهو عز و معجز. ثم قال: «و سوف تسألون» أى عن شكر هذه النعمة، فكان كما أخبر و كما فسر فان القرآن بان آياته، و

ظهرت بيناته، وقامت حجته، و كملت النعمة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى صحابته به، فشفروا و عزوا بمكانه، و ذلك من الأمور البينة الواضحة؛ فانك تجد الفقهاء و العلماء قد أجزلوا القرآن و من قرأ القرآن و من عرف علوم القرآن، و لهذا قال عز و جل لقريش فى ابتداء المبعث: «قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» (٣) يريد القرآن، و انه عز و نبل و شرف، و ستشرف به امم ممن / تمسك به و دعا إليه، و قد فاتكم ذلك لإعراضكم، فكان ذلك كما أخبر.

(١) سورة ص ١١

(٢) الزخرف ٤٣

(٣) القمر ٤٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٨٥

و فى هذا المعنى قوله عز و جل «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ» (١) فتأمل ما فى هذا، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عرف العزَّ بالأبوين كما يعرف من رباه أبواه؛ فان أباه مات و هو حمل، و ماتت أمه و هو رضيع، فاواه الله اكرم إيواء، فلما كمل، آتاه النبوة و عصمه و صانه، و أخبره ان الآخرة خير له من الأولى، فإن آخر أمره فى عاجل الدنيا فى النصره و العز، و ثواب الآخرة خير من الأولى؛ «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ»، أى ذاهبا عن النبوة لا تدرى ما هى و لا تعرف القرآن. و فى مثل هذا المعنى قوله عز و جل: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) فإن ذكره ارتفع بالصدق و الوفاء و قيام الحجته، فما وجد له اعداؤه كذبه و لا ذله و لا هفوة مع حرصهم على ذلك، و ما بارت له حجة، و لا زلت له قدم، و لا أسكنه خصم، مع كثرة الخصوم له، و طلب العلل و طول المجادلة.

باب آخر [من اعلامه قوله عز و جل «قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن»]

من اعلامه، و هو قوله عز و جل «قُلْ: لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم ليغض ظهيرا» (٢) و فى هذا إخبار عن غيوب كثيرة، لأنه قال لكل واحد من الإنس و الجن: إنك لا- تأتى بمثل هذا القرآن و لا أحد يأتى بمثله فى كل حال منفردين و لا مجتمعين، فما أتوا به مع حاجتهم الى ذلك و شدة حرصهم عليه، أ فمن هذا تعجب؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك و هو لا يعرف العرب كلها و لا

(١) الضحى ٦

(٢) الاسراء ٨٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٨٦

يحصى قبائلها/ و رجالها و نساءها، و الفصاحة و البلاغة مشبوتة فى رجالها و نساءها و عبيدها و إمائها و عقلائها و مجانينها، و قد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم فى اللغة و البلاغة قبله، و هو منهم تعلم، و هو عاقل، فلو لا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك، سيما و الذى ادّعاه امر عظيم و خطب جسيم، و هو النبوة و الصدق و العصمة و نفاذ امره فى النفوس و الأموال و وجوب طاعته على كل احد الى ان تقوم الساعة، و حجته فى ذلك كله هذا القرآن؛ و هذه من الآيات التى نزلت بمكة، و لو نزلت بالمدينة او أين نزلت لكانت الحجته بذلك قائمة لا تأثير للأماكن فى ذلك و لا للأزمنة، و إنما نذكر الأماكن لأن الأعداء لما أفلسوا و افتضحوا، أخذوا فى تشكيك الملوك و المترفين و من يحب الرخص و من لم ينظر و يتأمل و يسمع من العلماء، أن هذا القول إنما قاله فى آخر امره و فى آخر عمره.

واعلم أن القرآن حجة من ثلاثة أوجه: فكل سورة منه حجة من طريق الفصاحة والبلاغة، وهو حجة لما فيه من الأخبار بالغيوب، وهو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل العقول، فإن ذلك جاء على طريقة انتقضت به العادة، وقد مرّ بك طرف منه في المصباح «١»، ولعل أكثر منه أن يرد عليك، فانما أنت في ذكر الأخبار بالغيوب وما يجري مجراها، ثم نصير إلى البابين الآخرين وإلى مسائل الخصوم في ذلك والأجوبة عنه إن شاء الله.

من دلائله وإعلامه صلى الله عليه وسلم، وهو إخباره عما في الكتب المنزلة وما تضمنته من / خلق آدم صلى الله عليه، وما كان له مع الملائكة صلوات الله عليهم،

(١) لعل القاضي يقصد بالمصباح اسم كتاب له، إلا أننا لم نعثر لهذا الكتاب على أثر في كتب القاضي التي اطلعنا عليها ولا في الكتب التي نقلت عن القاضي أو ذكرته.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٨٧.

ومع ولده، ومع إبليس، وما كان لنوح مع قومه، ثم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، وموسى، وهرون، وغيرهم من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو ما قرأ تلك الكتب ولا عرف ما فيها ولا اختلف إلى أهلها ولا اختلفوا إليه، فتعلم أنه ما علم ذلك إلا بوحي الله إليه وإطلاعه عليه، وهي أخبار كثيرة لا يقع الصدق فيها إلا بالوحي من الله عز وجل.

فإن قيل: أين لكم أنه ما قرأ الكتب، ولا كان يختلف إلى أهلها ولا اختلفوا إليه وأنتم ما أدركتم زمانه، وقد قال له عدوه: «وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» «١» وقالوا: «إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» «٢»؟

قلنا: ما ادّعينا أن خصومه ما ادّعوا ذلك عليه، وليس دعواهم حجة عليه، بل لما انقطعوا وقامت حجته ادّعوا هذا عليه، ونحن وإن لم نكن في زمانه صلى الله عليه وسلم، فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتبها ولا اختلف إلى أهلها، ولا اختلفوا إليه، ولا تلقى ذلك عن أحد من الناس، لأنه ما من أحد يطلب فنا من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات؛ فأول ذلك أن يكون طالبا وسائلا عمن عنده هذا الأدب وهذا الفن من العلم والأدب، ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم، فيكون تارة مبتدئا، ثم متوسطا ثم ماهرا متقدما. وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه، لا يجوز أن يذهب عليهم، ولا يجوز أن يخفى ولا يكتم عن أحد كائنا من كان. فلو كان قد

(١) الفرقان ٥.

(٢) الفرقان ٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص ٨٨.

تعاطاه صلى الله عليه وسلم / ثم اكتتم عليه، لكان ذلك من أكبر آياته وأعظم معجزاته، فإذا العادة قد انتقضت به، فقد اعطاه الخصم أكثر مما ادعى، ولو جاز أن يخفى ذلك ويتستر على أحد من الناس، لما استتر ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم لأن عدوه وطالبه والمتبع لأمره والمفتش عن أحواله من قريش والأقربين من أهله ومن دهاة اليهود والنصارى وغيرهم كثير، والطلب منهم شديد ودعواه النفسية عظيمة، وقد ادعى عليه الفرية والكذب لنفسه الصدق، وحجته عليه ألا يكذب في شيء ولا يناقض، ثم إن الذين اتبعوه لأنه نبي وصادق.

وقد عرف عدوه ووليه منشأه ومتقلبه ومثواه، ومعهم سافر، وبينهم تربي ونشأ، وأزواجه إنما هن بنات أعدائه وأوليائه الذين اعتقدوا صدق نبوته، وهن ممن يعتقد صدقه ونبوته، فمن هذه سبيله، يتعلم الكتابة بالقلم الواحد أو بالأقلام المختلفة، ويكتب و يقرأ، ويختلف إلى أهل هذه اللغات ويصحبهم يأخذ عنهم، ويتستر ذلك على أهله ونسائه وعدوه ووليه؟ هذا لا يعتقده من تأمل

الامور و تدبرها. بل لو كان ذلك له صلى الله عليه و سلم يوما واحدا او ساعة واحدة، لعلم به الأولون و الآخرون للاحوال التي اختص بها مما قدمنا ذكره. و لا فرق بين من ادعى هذا عليه، او ادعى انه قد كان مرة تهوّد و أظهر اليهودية، و خرج فأقام مرة ببابك، و مرة بيت المقدس، و أنه كان مرة تنصير و لبس المسوح و أقام في البيع، و خرج مرة و أقام ببلاد الروم و صام صوم النصرى و أقام أعيادهم و كان يحلق وسط رأسه كصنع الرهبان، و أن ذلك/ كله تم له و خفى على اهله و نسائه و عدوه و وليه.

فتأمل رحمك الله هذه الآية فإنها عظمة جلية، و لو لم يكن له الا هي لكفت و أغنت. و انظر كيف يقول، قد اقتص قصة نوح عليه السلام ثم قال في آخرها: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ. مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٨٩

قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا. فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ «١») و انظر كيف يقول له:

إن هذا ليس من علمك و لا من علم قومك، و العدو و الولي يسمع ذلك.

و تأمل قوله عز و جل في قصة يوسف عليه السلام (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ) «٢» ثم عزاه و قال له: آياتك بينة و حجتك قائمة و إن عصوك، فما هاهنا شبهة في مخالفتك، و لا أمر يصد عن اتباعك، و لست اول من قامت حجة فلم يتبع، فقال له: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ. وَ مَا تَسْتَأْذِنُ لَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَ كَأَيُّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» «٣».

و انظر كيف يدل و يستطيل و يصول على العدو و الولي بأن هذا إنما ناله بالوحي، و انه ما قرأ كتابا و لا خط، و أنه قد كان في غفلة من هذا فقال:

«وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ. وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذْ لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ» «٤».

و قال له في أول سورة يوسف: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ» «٥». ثم يقول في آخر السورة: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ

(١) هود ٤٩ و ما بعدها

(٢) يوسف ١٠٢

(٣) يوسف ١٠٤ و ما بعدها

(٤) العنكبوت ٤٨

(٥) يوسف ٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٠

يُؤْمِنُونَ» «١».

و تأمل قوله عز و جل في سورة القصص: «وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ «٢»» الى قوله: «وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ. وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» و انظر الى هذا الاحتجاج بأنه ما نال هذا و لا عرفه إلا بوحي من الله.

و انظر الى قوله في سورة طه: «وَ قَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ، أَوْ لَمْ تأتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى «٣»». فتأمل هذا الاستعلاء على العدو و الولي بأن من آياته و علاماته ما في الصحف الأولى.

و كان مما طعن به ابن الراوندى فى هذه الآيه ان قال: إن كان معرفته بهذا دلالة على نبوته فمعرفة اليهود بذلك دلالة على نبوتهم، و هذا جهل من هذا الأحمق، لأن اليهود قد قرءوا ذلك و كتبوه و اخذوه عن آبائهم و شاهدوه فلا يكون حجة لهم، و هذا ما قرأه و لا كتبه و لا اخذه عنهم و لا عن احد من الناس كما دلت عليه العقول، فهو حجة عليهم و على غيرهم، و لو ان إنسانا ادعى النبوة، و جعل دلالته بأن اخبرك عن كتاب معك ما قرأه و لا وقف عليه و إنما وقفت أنت عليه فيما لا يقع بالاتفاق و لا بالحدس، لكان ذلك دلالة فى نبوته و لم يكن دلالة لك، و كذلك إذا اخبرك عما اكلت و شربت و ادخرت، و لكن اشتبه على هذا الملحد لفرط جهله و بعده من التحصيل، و لو لا ان الاشعريه و الراضيه و النصرى و الزنادقة يرون هذا الرجل بعين المحصلين لما ذكرنا اسئلته لركاكتها، و لكنه صنف شيئاً للمشبهه،

(١) يوسف ١١١

(٢) القصص، الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦

(٣) طه ١٣٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩١

و شيئاً/ للمجبرة، و شيئاً للراضيه، فسروا به لنقصهم، و شهدوا له بالحدق لفرط غباوتهم و انهم لا يعرفون الاسلام و أهله، فمن اظهر لهم التصويب قبلوه لضعفهم و سوء احوالهم، و قبله اليهود و النصرى و حدقوه، لأنه شتم محمداً رسول الله و أظهر تكذيبه، و هو فقد شتم ابراهيم و إسحاق و يعقوب و موسى و هارون و يحيى و عيسى و جميع النبيين صلوات الله عليهم اجمعين و كذبهم، و لكن اليهود و النصرى بلا- حجة و لا- بصيره فى مخالفتهم المسلمين، فمن عادى محمداً صلى الله عليه و سلم تولوه و إن كان عدواً لأنبيائهم، كما لا بصيره لأهل بدع الاسلام من المشبهه و المجبره و الراضيه. و هذه السور مثل القصص و هود و يوسف من المكيات فاعلم ذلك.

باب آخر [من اعلامه اخباره عن النصرانية و مذاهبها]

من آياته و اعلامه، و هو إخباره عن النصرانية و مذاهب النصرى من هذه الطوائف الثلاث منهم، و هى الباقيه القائمه الراهنه فى قولهم ان المسيح عيسى ابن مريم هو الله، و ان الله ثالث ثلاثه؛ فان هذه الطوائف الثلاث من الملكيه و يعقوبيه و النسطوريه «١»، لا يختلفون فى ان المسيح عيسى بن مريم ليس بعبد صالح و لا بنى و لا برسول، و انه إله فى الحقيقه، و الله فى الحقيقه، و انه هو خلق السموات و الارض و الملائكه و النبيين، و انه هو الذى أرسل الرسل و أظهر على ايديهم المعجزات، و ان للعالم إلهها هو آب و والد لم يزل، غير مولود، و انه قديم خالق رازق، و إله هو ابن مولود، و انه ليس باب و لا- والد، و انه قديم حى خالق رازق، و إله هو روح قدس ليس باب و والد

(١) سيأتى تفصيل هذه الطوائف فيما بعد.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٢

و لا ابن مولود/ و انه قديم حى خالق رازق، و ان الذى هو ابن نزل من السماء، و تجسم من روح القدس و من مريم البتول، و صار هو ابنها إلهها واحداً و مسمى واحداً و خالقا واحداً و رازقا واحداً، و حبلت به مريم و ولدتها، و أخذ و صلب و ألم «١»، و مات و دفن، و قام بعد ثلاثه ايام و صعد الى السماء و جلس عن يمين ابيه. فحكى قولهم فى ان المسيح هو الله و ان الله ثالث ثلاثه. و هكذا مذهبهم فى الحقيقه و لا يكادون يفصحون به، بل يدافعون عن حقيقته ما امكنهم، حتى ان ارباب المقالات و اهل العناية به

من المصنفين لا يكادون يحصلون مذهبهم، و إنك لتجد النظارين منهم و المجادلين عنهم اذا سألتهم عن قولهم فى المسيح، قالوا: قولنا فيه انه روح الله و كلمته مثل قول المسلمين سواء، او يقول: إن الله واحد. و تجده صلى الله عليه و سلم و قد حكى حقيقة مذهبهم، و لم يكن من المجادلين و لا من المتبئين، و لا ممن يقرأ الكتب و يلقي اهلها، و لا من المتكلفين، و لا كانت مكة و الحجاز اذ ذاك بلاد فيها شيء من هذا، فانتشر هذا عنه صلى الله عليه و سلم، و فتش الناس عنه بعد ذلك فوجدوا الأمر كما قال و كما فصل، بعد الجهد و طول الاستقصاء فى الطلب و التفطيش. و ما اكثر ما تلقى منهم فيقول: ما قلنا فى المسيح انه الله، و لا قلنا: إن الله ثالث ثلاثة، و من حكى هذا عنا فقد أخطأ و كذب، ليعلم ان وقوف محمد صلى الله عليه و سلم هذا انما هو من قبل الله عز و جل، و ان ذلك من آياته.

فإن قيل: فإن قولهم فى هذا و أن الله ثلاثة أقانيم جوهر واحد، كقول المسلمين بسم الله الرحمن الرحيم، و كقولهم فى الله أنه حى قادر عالم.

قيل له: هذا غلط على النصارى، و ليس قولهم فى التوحيد من قول

(١) ألم الرجل يألم ألما، فهو ألم. اللسان ١٤: ٢٨٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٣

المسلمين بسبيل، و إنما يقول هذا من يروم المغالطة و الفرار من فحش المقالة، لأن الله عند المسلمين هو الرحمن و هو الرحيم و هكذا العالم القادر، و هى ذات واحدة لها صفات كثيرة، و أسماء كثيرة. و عند النصارى، أن الله الوالد ليس هو الابن المولود، و لا يجوز ان يكون الأب الوالد ابنا مولودا، و لا الابن المولود أبا والدا، و كذا روح القدس، و من قال غير هذا فليس من النصارى؛ فان بليت منهم بمن هذه سبيله أعنى الجحود لهذه المقالة الفاحشة فقل: إن كنت تريد أن هذا قولك و كذا تختار فما يدفعك عن هذا؟ فأما ان يكون هذا قولاً للنصارى فهذا كذب و بهت، و لو أسلم نصارى عصرنا كلهم لما خرج هذا من ان يكون قولاً لمن سبق و تقدم من هذه الطوائف الثلاث، فاعلم ان هذا هو مذهبهم فى التثليث، قد حصل العلم به و لهم فيه ضرب أمثال، و ذلك فى تسايحهم و أقاويلهم فى عباداتهم، ألا- ترى انهم يقولون فى تسيحة القربان فى الساعة التى يكونون فيها خاضعين يتوقعون بزعمهم نزول روح القدس لقبول فاتور القربان: ليتم علينا و عليكم نعمة الرب يسوع المسيح بن مريم و محبة الله الأب و مشاركة روح القدس أبدا الى دهر الدهرين.

و يقولون فى تسيحتهم التى يسمونها تسيحة الإيمان التى وضعت بنيقية (١) من بلاد الروم، و هذا كان بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، حين جمعهم قسطنطانوس ابن فيلاطس (٢) ملك الروم، الذى أمه هيلانة الحرانية

(١) عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بدعوة من الامبراطور قسطنطين، و كان يضم ٣١٨ اسقفا، ابرز اعضائه آريوس الكاهن الاسكندرى الذى تبنى رفض تساوى عناصر الثالوث النصرانى، و قال بأن جوهر الابن غير مساو لجوهر الأب و انه مخلوق.

(٢) هو قسطنطين الكبير، ابن قسطنطين خلود، و والدته هيلانة و كانا ميالين للمسيحية. بقى و ثنيا حتى سنة ٣٠٨ ثم بدأ يفكر فى جعل المسيحية دينا للدولة و خاصة بعد رؤيا الصليب-

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٤

الفندقية، جمعهم ليعملوا تقريرا فى ايمانهم يحملون الناس عليه و يأخذونهم به فمن أبى قتلوه، و اجتمع عنده نحو ألفى رجل، فقرروا تقريرا ثم رفضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة رجل و ثمانية عشر رجلا و هم يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير، و هم يسمونه سنهودس، فكان تقريرهم لهذه التسمية و هى أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها و هى:

«نؤمن بالله الأب الواحد، خالق ما يرى و ما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح بن الله بكر أبيه و ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم و خلق كل شىء، الذى من أجلنا معشر الناس و من أجل خلاصنا نزل من السماء، و تجسد من روح القدس و من مريم البتول، و صار انسانا، و حبلت به مريم البتول و ولدته، و أخذ و صلب و قتل امام فيلاطس الرومى، و مات و دفن و قام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب، و صعد الى السماء و جلس عن يمين ابيه، و هو مستعد للمجىء تارة اخرى للقضاء بين الأموات و الأحياء.

و نؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذى يخرج من ابيه، روح محييه، و بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، و بجماعة واحدة قديسيه سليحيه (١) جاثلقيه، و بقيام أبداننا، و بالحياة الدائمة الى أبد الأبدين».

فتأمل هذا الشرح و هذا التفصيل و الكشف فى التثليث و التشبيه، و كيف

- العجيب- فى زعمه- سنة ٣١٢ قبل المعركة مع مسكنتى. و قد اصدر منشورا بحرية التحول للديانة المسيحية سنة ٣١٣ م. انظر تاريخ الكنيسة المسيحية، الكسندروس مطران حمص ص ٢٢٠ و ما بعدها. و لقب هيلانة بالفندقية لأنها كانت تعمل فى فندق بحران.

(١) سليحية: نسبة لكتاب السليح لولص، و هو يتألف من ٢٤ رسالة. انظر الفهرست لابن النديم ٤١. و قد ورد فى الكتاب احيانا باسم السليح و احيانا باسم السليحين.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٥

يعتقدون فى الله حقيقة المدبرين المصنوعين من النزول و الصعود و الولادة و غير ذلك.

فان قالوا: فانا لا نقول انها ثلاثة آلهة، فكيف يحكون عنا التثليث؟

قلنا لهم: انكم قد أعطيتونا معنى التثليث و أشعثموه و استوفيتم حقائقه، و منعمتم/ بعض العبارة عنه، أ لا ترون انكم تقولون إله هو أب والد حى قادر قديم عالم خالق رازق، و إله هو ابن مولود كلمة حى قديم خالق رازق ليس باب و لا والد و لا يجوز ان يكون والدا و لا أباً، و إله روح قدس حى عالم قديم خالق رازق. ثم قلتم هى ثلاثة أقانيم، فقلتم فى كل واحد منها انه إله و رب و قديم، و امتنعمتم من الاقرار بالجملة و قد أعطيتم التفصيل، و ما مثال ذلك إلا كمن قال: عبد الله العربى (١) رجل و انسان و جسم و شخص، و خالد الفارسى (٢) رجل و انسان و جسم و شخص، و زيد الرومى رجل و انسان و جسم و شخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال، و ثلاثة أناس، و ثلاثة اشخاص، و ثلاثة اجسام. فقلتم: لا، بل هم رجل واحد. قلنا: لا يؤثر امتناعكم من اطلاق هذه العبارة فى شىء قد أشيعت حقيقته. و فيهم من يمتنع من ان يقول فى كل واحد من هذه الثلاثة انه غير صاحبه، ثم يقولون:

ما شبهنا و لا مثلنا، فكانوا كالمشبهه الذين يقولون: إله يصعد و ينزل و يقعد على العرش، ثم يقولون: ليس كمثل شىء.

و الذى يمنع النصرارى من اطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة و ان كانوا قد اعطوا معنى ذلك، إلا لأنهم صدقوا بكتاب الله عز و جل التى صدق

(١)- بحط مخالف، و فوق السطر.

(٢)- بحط مخالف، و فوق السطر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٦

بها المسيح عليه السلام، و هى مملوءة بتوحيد الله و تفرد به بالقدم، و انه لا يشبه الأشياء، و انما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح، فأرادوا حمل بدعتهم فى الشرك على ما فى كتب الله فلم يتم ذلك و حصلوا على محض الشرك و التشبيه/.

فإن قيل: قد لعمرى صدقتهم فيما حكيتهم من التثليث، فإن الملكية تقول فيه: إنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و ان القتل و الصلب

و الولادة وقعت عليه بكماله؛ و يعقوبية تقول: حبلت مريم بالإله، و ولدت الإله، و قتل الإله، و مات الإله، فما عندكم فى النسطورية؟ فإنهم قد قالوا فى المسيح انه مركب من نوعين و أقنومين «١» و طبعين، من إله و من انسان، و ان الولادة و القتل إنما وقعتا بالانسان و هو الذى يسمونه الناسوت.

قيل له: لو كانت النسطورية تقول فى المسيح كما يقول المسلمون لما قدح ذلك فى الخبر و لا اثر فى العلم لأن التثليث قد وقع، كيف و النسطورية ترجع الى القول فى المسيح الى قول اخوانهم من الملكية و يعقوبية، فيقال للنسطورية قد قلمت إنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و قلمت إنه إله تام من إله تام، ثم قلمت إن لاهوته مولود من قبل الأب و ناسوته مولود من قبل الأم، و الولادة قد احاطت به من كل وجه و من كل جهة؛ و أيضا فإنكم تمدحون الإله بالولادة كما يمدحه المسلمون بتزييه عن الولادة، و تقولون لو لم يكن والدا لكان عقيما، و كل حى لا يكون والدا وإنما ذاك لتقص و آفة و عاهة. فلا ينبغي ان تغالطوا عن حقيقة قولكم.

ثم يقال لهم: اخبرونا عن مريم هل حبلت بالمسيح فى الحقيقة، و ولدت

(١) فى الاصل: أقنومين

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٧

المسيح فى الحقيقة، و ربت المسيح و اطعمت المسيح فى الحقيقة، و هى / أم المسيح فى الحقيقة؟ فإن قالوا: ولدت ناسوت المسيح او حبلت ناسوت المسيح قلنا: لم نسألكم عن هذا، فإن ناسوت المسيح عندكم ليس هو المسيح و إنما المسيح هو اللاهوت، و لاهوت المسيح عندكم ليس هو المسيح إنما هما مجموعهما المسيح، اجيبونا، فان كانت مريم قد ولدت المسيح فى الحقيقة و حبلت بالمسيح فى الحقيقة، فقد حبلت بالإله و الانسان و ولدت الإله و الانسان، و هى أم الإله و الانسان، و قد قتل الإله و الانسان، و ألم الإله و الانسان، و مات الاله و الانسان؛ فقد تبين ان قولكم و قول الملكية و يعقوبية فى ذلك سواء. و إن قالوا ما ولدت المسيح فى الحقيقة، و لا هى أم المسيح فى الحقيقة قلنا لهم: فليس هذا قول احد من النصارى و لا قول المسلمين أيضا بل هو قول اليهود، فانهم قالوا: إن مريم ما حبلت به.

و إن قالوا: نقول هى أم المسيح على المجاز، و مات المسيح فى المجاز، قلنا لهم: لم نسألكم عن المجاز، إنما سألنا عن الحقيقة، فانه على هذا التقدير ربما أيضا يكون حمل مريم من غير ذكر مجاز، و إحيائه الموتى مجاز، و جميع ما يدعونه له مجاز، و هذا لا سبيل إليه، لأنهم إن قسموا أفعاله من من لاهوته و ناسوته و جب ذلك كله، لأنه اذا احيا الموتى و أظهر الآيات فانما ذلك فعل اللاهوت و اللاهوت وحده ليس بمسيح، و اللاهوت ما رآه الناس فلا يجوز ان يقال رأى المسيح، و إذا أكل و شرب و نام و استيقظ فذلك فعل الناسوت و الناسوت وحده ليس بالمسيح، فقد و جب / جميع ما قدمناه

و هم لا يصيرون إليه و لا يلتزمون، و من صار إليه خرج عن النصرانية و عن جميع اقوال المثلاثة. و قد علمت ان حقيقة قولهم ما فى تسيحة ايمانهم و هى اصل الاصول، و ليس لأحد من طوائفهم عنها و لا عن شىء منها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٨

معدل، و إنما وضعت حين صار الملك الى هذا القول، و حين خالفهم آريوس «١» الافصاح بالمذهب و لرفع التأويل و الأوهام فى المقالة.

و عند هذه الطوائف الثلاثة، ان المسيح صار مسيحيا و إليها خالقا رازقا معبودا حين بشر الملك أمه و ساعة الحمل به، فاتحد به الإله فصار جميعا مذ ذاك مسيحيا واحدا و إليها واحدا، و أن الاتحاد ما انتفض عندهم و لا بطل، و لا خرج عن المسيحية و الإلهية لا فى حال الحبل و لا فى حال الولادة و لا فى حال النوم و لا فى حال الأكل و لا فى حال البول و التغوط و لا فى حال المرض و لا فى حال

القتل ولا في حال الموت، وأنه في جميع هذه الأحوال مسيح وإله ورب معبود وخالق ورازق ومدبر. ويقولون: هو احيا نفسه بعد الموت لأنه محال عندهم ان يحيى الموتى غير المسيح، وقد علمت تسيحة الايمان وتفصيلها فارجع إليه، ففيه أتم كفاية لتعلم مغالطة النسطورية وجميع من يجادل عن النصرانية. وقد قال فولوس «٢»- وهم عندهم فوق الأنبياء وقد ذكر صنيع اليهود بالمسيح:-

(١) في الاصل ايرىوس، وهو آريوس الكاهن الاسكندري، وقد كان احد الذين وجدوا ان في القول بأن أقانيم الثالث المقدس لها جوهر إلهي واحد مساو اي: ثلاثة آلهة إله واحد، فيه تناقض كبير، فنأدى بأن الله الأب وحده هو الإله الحقيقي بالمعنى الخاص الصارم، وابن الله- بزعم النصارى- والروح القدس كائنات إلهية بالدرجة الثانية، لها طبيعة تختلف عن طبيعة الأب ومخلوقة. وقد عقدت عدة مجامع كنيسة فازت في بعضها آراء آريوس وخذلت في بعضها الآخر. المرجع السابق ٢٢٠ وما بعدها.

(٢) يقصد بولص الذي يلقيه النصارى بالرسول، فقد كان من عادة العرب ان يقلبوا الباء فاء حين الترجمة عن اللغة اليونانية، فقالوا: افلاطون و فيلاطس. و بولص مجموعة من الرسائل ملحقه بالعهد الجديد تحت اسم اعمال الرسل.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٩٩

لو علموا لما صلبوا رب المجد الذي له الحمد والبركات ابد الدهر. وقال / أيضا:

الذى ليس بمعين عوين، والذى ليس بمحسوس حس، والعالى على الزمان أبتدى، وابن الله صار ابن الانسان، وألم الذى لم يكن يألم و والده الله، فتأمل ما في هذا فانه يفصح بأن الله لم يكن يعاين فصار يعاين، ولم يكن يحس فصار يحس ويدرك، وأنه كان قبل الزمان فابتدى و صار فى الزمان، وألم الذى لم يكن يألم، وابن الله صار ابن الانسان، و صار ابن الانسان ابن الله و والده الله، وهذه صفات المسيح الذى هو عندهم الله و ابن الله. قالوا:

وقد قال الآباء- وقد ذكروا ما صنع فيلاطس الرومى و اليهود:- انهم لما صلبوا رب المجد عرفوه.

قالت النصارى هذه كلها اقاولنا وفيها حقيقة مذهبا.

قالوا وقد قال الفاضل يوانس: المساوى للأب جاء الى العالم فى الرحم البتول، و كان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم و إسرائيل و داود، و هو ابن الله قبل ان يدعى ابن ابراهيم و داود. وقالوا: فهذه حقيقة ديننا، فان جاء فيه ان الله انسان او من جنس الناس، او أنه يتقلب فى الصور والهيئات و يتنقل و يتشكل لم ننفر من ذلك، و لم ندع ما اسسه الآباء و القدوة لما يوجب الجدل و يلزم فى النظر. فتأمل هذا، و قولهم: المساوى للأب جاء الى العالم فى الرحم البتول و كان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم و إسرائيل و داود و هو ابن الله قبل ان يدعى ابن ابراهيم و داود، لتعلم ان اعتقادهم و قولهم ان هذا الذى ولدته مريم هو ابن الله و هو الله، و أنه مثل الأب الذى فى السماء على العرش عندهم، و أن هذا هو الذى لم يزل، و أن الذى حدث و تجدد ولادة مريم له، و أن ابراهيم و إسرائيل و داود انما صاروا آباءه من قبل أمه لأنها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٠٠

من بنى اسرائيل، و أنه كان ابن الله قبل ان يكون ابن ابراهيم و إسرائيل و داود.

قالوا: وقد قال علماءنا و من هو القدرة عند جميع طوائفنا: يسوع فى البدء لم يزل كلمة، و الكلمة لم تزل لدى الله، و الله هو الكلمة، و يسوع هو عيسى بالسريانية «١». قالوا: فذاك الذى ولدته مريم و عاينه الناس و كان بينهم هو الله و ابن الله و هو كلمة الله.

قالوا: وقد قال يوحنا السليح «٢»: إنا نبشركم بالذى لم يزل من قبل، و أنا رأيناه بأعيننا، و حسسناه بأيدينا. قالوا: فما فيمن هو الحجة لجماعتنا الا من يكشف الامر كشفا لا يتعرض لتأويله الا من يكابر عقله.

ف عندهم ان القديم الأزلى خالق السماوات و الأرض هو الذى عاينه الناس بأبصارهم، و لمسوه بأيديهم. قالوا و قد قال أرميا النبى و قد

ذكر المسيح و البشارة به: هذا الهنا و لا نعوذ معه غيره، و انه فى آخر الزمان تراءى على الأرض و تردد مع الناس، فتأمل هذا الكشف. قالوا: و قد قال بطرس «٣» و هو بكر ايماننا و اصل بيعتنا لما سئل عن ابن الله لا عن ابن الناس، و عن كلمة الله لا عن كلمة الناس فقال: هو الذى كان بين الناس و تردد معهم، و أبرأ الذين نكأهم الشرير. قالوا: و قد خاطب الناس / من بطن أمه مريم، فقال للأعمى: أنت

(١) يثبت القاضى كلمه يسوع بالالف قبلها و احيانا دونها، و قد اثبتناها بحذف الالف.

(٢) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل، و له مجموعة من الرسائل ملحقه بالعهد الجديد، مات سنة ٤٤ م. تاريخ الكنيسة ٣٤.
(٣) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل، و له مجموعة من الرسائل ملحقه بالعهد الجديد، مات سنة ٦٦ او ٦٧. تاريخ الكنيسة ٣٣.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٠١

مؤمن بابن الله، قال الاعمى: و من هو حتى أو من به؟ قال: قد رأيت و هو المخاطب لك، قال: آمنت يا سيدى، و خر ساجدا. قالوا: فما الذى بقى من الافصاح بأن الذى حبلت به مريم و كان فى بطنها هو الله و ابن الله و كلمة الله. قالوا: و قد قالت أم يحيى بن زكريا- و قد دخلت على مريم و هى حبلت بالمسيح، و أم يحيى حبلت به- ان هذا الذى فى بطنى قد سجد للذى فى بطنك. قالوا: فما الذى يبقى فى البيان فى ان الإله المعبود الذى هو الله و ابن الله و كلمة الله هو الذى حبلت به مريم و ولدته.

قالوا: و لما عمده يوحنا فى الأردن تفتحت ابواب السماء و نادى الأب:

هذا ابنى و حبيبى الذى سررت به نفسى. و نزل روح القدس فى صورة حمامة و رفرت على رأس المسيح، قالوا: فالتمتعده هو الله الابن، و المنادى هو الأب، و النازل هو روح القدس، و انظر كيف يفردون كل واحد منهم بصنع غير صنع صاحبه. قالوا: و فى البشارة به حين قال جبريل لمريم: ها أنت تحلين و تلدين، قالت له: كيف يكون هذا و ما مسنى رجل؟ فقال لها: ربنا معك، و الهنا معك، و أيدى العلى تحلّ عليك، و روح القدس تأتيك، و الذى يولد منك قدوس و ابن الله يدعى، قالوا: فقد خبرها بأنها تحبل بابن الله لا بابن الناس، و انها تلد ابن الله لا ابن الناس، و ان الله معها. قالوا و لا نريد بقولنا معها و مع ابنها بمعنى التأييد و النصر و المعونة كما يكون الله/ مع الأنبياء و الصالحين و المؤمنين، لأن المسيح عند طوائفنا الثلاث ليس بنبى و لا بعبد صالح، بل هو رب الأنبياء و خالقهم و باعثهم و مرسلهم و ناصرهم و مؤيدهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٢

و رب الملائكة؛ و لا- هو معها و مع ابنها بمعنى الخلق و التدبير و التقدير كما يكون مع سائر إناث الحيوان من الناس و الكلاب و الحمير و الخنازير بالخلق و الصنع و التقدير، و لكنه معها لحبلها به و لاحتواء بطنها عليه، فلماذا فارقت جميع اناث الحيوان، و فارق ابنها جميع النبين، فصار الله و ابن الله الذى نزل من السماء و حبلت به مريم و ولدته و المولود منها الهنا و مسيحا واحدا و ربا واحدا و خالقا واحدا مذ وقت بشارة جبريل عليه السلام لها، لا يقع بينهما فرق، و لا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه، و لا فى الحبل، و لا- فى الولادة، و لا- فى حال نوم، و لا- مرض، و لا- صلب، و لا موت، و لا دفن، بل هو متحد به فى حال الحبل، فهو على تلك «١» الحال: مسيح واحد، و خالق واحد و إله واحد، و فى حال الولادة كذلك، و فى حال الموت و الصلب كذلك.

قالوا: فمننا من يطلق فى لفظه و عبارته حقيقة هذا المعنى، فيقول: مريم حبلت بالإله، و ولدت الإله، و مات الإله؛ و منا من يمنع هذه العبارة و يعطى معناها و حقيقتها، فيقول: مريم حبلت بالمسيح فى الحقيقة، و ولدت المسيح فى الحقيقة، و هى أم المسيح فى الحقيقة، و المسيح إله فى الحقيقة، و رب فى الحقيقة، و ابن الله فى الحقيقة، و كلمة الله فى الحقيقة، لا ابن لله فى الحقيقة إلا هو، و لا أب

للمسيح في الحقيقة إلا- هو، ولا أم للمسيح إلا مريم. قالوا: فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال/ فيها: إنها حبلت بالإله، وولدت الإله، وقتل الإله و ألم الإله، و مات الإله، و انما ينعون اللفظ و العبارة فقط.

(١) في الاصل: فهو تلك

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٣

قالوا: و انما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا لثلاثا يتوهم علينا إذا قلنا: حبلت بالإله، و ولدت الإله، و مات الإله، و ألم الإله، إن هذا كله حلّ و نزل بالإله الذي هو أب، و لكننا نقول: حلّ هذا كله و نزل هذا كله بالمسيح، و المسيح عندنا و عند طوائفنا إله تام، و إله حق من إله حق، من جوهر أبيه.

قالوا: لا- نريد بأنه معنا على معنى النصر و التأييد و لا معنى الخلق و التدبير، لأنه مع جميع الأنبياء و الصالحين كذلك، و مع جميع المخلوقات بالخلق و التدبير، و كأن يكون قولنا و قول المسلمين و اليهود واحدا في التوحيد.

قالوا: و الآباء و القدوة منا يقولون: ابن الله يدعى ابن الانسان، و ابن الانسان يدعى ابن الله، و آدم الجديد هو الإله الألم الذي قتل و مات.

قالوا: و عندنا ان المسيح قال: ابن البشر هو رب السبت «١». و قال أيضا: أنا أبى و أبى بى، و لا يعرف احد الأب إلا الابن، و الابن لا يعرفه إلا الاب، و انك إله بى و أنا بك «٢». و قال: انا فى ابى، و ابى فى. و قال:

انا قبل ابراهيم، و قد رأيت ابراهيم و ما رآنى، فقال له اليهود: كذبت، كيف تكون قبل ابراهيم و أنت من ابناء ثلاثين سنة، فقال: انا عجت طينه آدم و بحضرتى خلق، و انا أجيء و اذهب و اذهب و أجيء «٣». قالوا: و هذا القول عندنا للمسيح فى الحقيقة، و لو كان قولاً للإله الذى ليس هو المسيح

(١) «ابن الانسان هو رب السبت». انظر انجيل لوقا الاصحاح السادس.

(٢) الاصحاح العاشر من انجيل لوقا

(٣) انجيل يوحنا الاصحاح ٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٤

لما كان له معنى. و عندنا ان المسيح بن آدم و ربه و خالقه و رازقه و ابن ابراهيم و ربه و خالقه و رازقه، و ابن اسرائيل و ربه و خالقه و رازقه، و ابن مريم و ربها و خالقها و رازقها.

قالوا: و قد اعتل لنا من يناظر عنا بأن الله والد فى الحقيقة و ان تولد ابنه منه كتولد ضياء الشمس من الشمس و كتولد الكلمة من العقل، و نحن فما قلنا: إنه والد و له ولد فى الحقيقة بهذا الاعتلال، بل لما قدمنا من قول الآباء و القدوة. و على ان هؤلاء قروا بهذا القول من التشبيه لله بالمتناسلين المتناكحين من المخلوقين، فشبوه بالموات و الجماد، فوقعوا فى شر ما هربوا منه و دفعوا الضرورة، لأن مريم قد ولدت المسيح إله الكل و لادة صحيحة فى الحقيقة معقولة، و لادة الاحياء الناطقين بغير تناكح و لا تناسل، و من قال إن مريم ما حبلت بالمسيح فى الحقيقة، و لا ولدت المسيح فى الحقيقة، و لا هى أم المسيح فى الحقيقة، فليس من طوائف النصارى. و كذا من قال ليس المسيح إلهها فى الحقيقة، و لا ربا للخلائق فى الحقيقة، فليس من الملكية و لا من يعقوبية و لا من النسطورية.

قالوا: و قد قال القدوة عندنا: إن اليد التى سمرها اليهود فى الخشبة هى اليد التى عجت طين آدم و خلقتة، و هى اليد التى شبرت السماء، و هى اليد التى كتبت التوراة لموسى.

و قالوا: و قد وصفوا صنيع اليهود بالمسيح: إنهم لطموا الإله و ضربوه على رأسه، و عجب لإله يضرب على رأسه. و تعالوا فانظروا الى

الإله يلطم و يضرب على / رأسه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٥

قالوا: و في بشارة الأنبياء، ان الاله يجيء، و تجبل / به امرأة عذراء و تلده، و يؤخذ و يصلب و يقتل.

قالوا و لنا سنهودس قد اجتمع عليه نحو سبعمائه من الآباء و القدوة، فيه ان مريم حبلت بالاله و ولدته و ارضعته و سقته و اطعمته، و هذا دون ما في تسيحة الايمان من الولادة و القتل و الألم و الصلب و الموت و الدفن.

قالوا: و أقاويلنا كلها من اولها الى آخرها التي ذكرناها لكم من اصل ديننا و حقيقة مفصحة بذلك، فهذه حقيقة ديننا و ايماننا و لنا من هذا المعنى من السرياني و العربي اكثر مما ذكرناه.

فهذا يرحمك الله كما ترى و تسمع، فلو لا ان رأينا قوما عقلاء يقولون هذا، و سمعناه منهم حين فتشنا عما قاله الله و حكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد و اخرجوه من غوامض اسرارهم، لما صدق الناس ان في الدنيا من قال هذا او نطق به.

و إذا تأمل العاقل الأمور و فتش و طال بحثه و جهد، رأى الجهل في الأمم و الاقاويل المشتملة على الحق كانت في الامم قبل الاسلام.

فالفلاسفة تدعى في هذه الاجسام الجماد و الموات من الشمس و القمر و الكواكب و السماء أنها حية عاقلة مميزة تخلق و ترزق و كانوا لها عابدين، و النصرى كما قد علمت، و المجوس «١» عندها ان الاله غالبه الشيطان و نزل الى الارض «٢»، و كانت الحرب بينهما ألف سنة، و ان الشيطان غلبه و حاصره

(١) المجوس احدى فرق الثنوية الفارسية و هي: المانوية و المزدكية و المرقونية و الماهانية و المجوس و القلاصية. و هي تتفق في امور و تختلف في امور، و اهم ما تتفق فيه القول بأصلين للوجود هما: الخير و الشر او النور و الظلمة.

(٢) كتب في الحاشية: في اعتقاد المجوس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٦

في جنته مع ملائكته و ان الملائكة عند ذلك سعوا بينهما في الصلح و وقعت المهادنة بينهما/ على شرائط معروفة مذكورة عند من حكى المقالات، و شرحها يطول «١»، ثم رجع عندهم بملائكته الى سمائه غير انهم ما قالوا قتل كما قالت النصرى، و لا بلغوا الى هذا و ان كانوا قد فحشوا في القول.

و قد كانت القبط تقول بإلهية فرعون صاحب مصر، و المنانية من الزنادقة فقولها في نحو من قول المجوس، و أقاويل الهند في البد معرفة.

فلما جاء الاسلام بتلك الانوار، و بأن من كان جسما و محتاجا لا يكون إلهها و لا يفعل جسما كما قدمت لك في «المصباح»، و هو أيضا مذكور في غيره. و كان من رحمه الله بخلقه ان سلطان الاسلام ظهر على الاديان كلها، و كان حملة السلاح هم الأتقياء و الأولياء العلماء الفقهاء، فاستحيا اهل البدع منهم فانقبضوا و كانت لهم هيبه التقوى. فمات اولئك رضى الله عنهم و طال العهد، و صار بعدهم ملوك جابرة غير انهم كانوا حملة الاسلام.

ثم لم يزل الأمر يتناقص، فصارت السيوف كلها على الاسلام، و مات أهله، و صار في الزندقة و الإلحاد السيف و الملك فعادوا الى ما كانوا عليه من الجاهلية.

ألا ترى ان من بالإحساء من القرامطة و الباطنية «٢» لما غلبوا شتموا الأنبياء، و عطلوا الشرائع، و قتلوا الحجاج و المسلمين حتى أفنواهم، و استنجوا بالمصاحف

(١) كتب في الحاشية: في اعتقاد القبط.

(٢) كان ابتداء ظهور القرامطة في الربع الرابع من القرن الثالث الهجري، وكانت دعوة سرية تسترت بستار التشيع و نكب العالم الاسلامي ببلائها مدة طويلة، و كان من اهم زعمائها زكية الاصفهاني او زكرويه بن مهرويه الذي قتل سنة ٢٩٤. انظر تاريخ الطبري.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٧

و التوراة و الإنجيل، و جاءوا بزكية الاصفهاني المجوسي «١» و قالوا هذا هو الإله في الحقيقة و عبده، و كان لهم معه ما هو مذكور معروف.

و مثل هذا/ صنع ابو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار «٢» حين ظهر بجبال لاعة من ارض اليمن، و كذا صنع من كان منهم بالجند «٣» و عدن من ارض اليمن، و سبوا العلويات، و كل هؤلاء كانوا في اول امرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة، و أن المهدي ارسلهم.

و كذا صنع من كان منهم برقاده و القيروان من ارض المغرب، الى ان قام ابو يزيد مخلد بن كداد «٤» بمن معه و حاربهم خمس سنين و ضيق عليهم كما صنع الأصفر بأهل الإحساء «٥»، فلما انكشف أمر أبي يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء و تعطيل الشرائع، و صاروا يخدعون الناس سرا و ينقلونهم عن الاسلام بالحيل و الأيمان من حيث لا يشعرون شيئا شيئا، و انبثوا و انبسطوا، و بثوا ذلك في ممالكهم، و يقصدون بدعوتهم الديلم و الأعراب و كل من يقل بحثه و نظره و له رغبة في الدنيا و شغل بها.

(١) كتب في الحاشية: «جاء القرامطة بزكية الاصفهاني المجوسي و قالوا: هذا هو الإله».

(٢) الحسن بن زاذان المتوفى سنة ٣٠٢ هـ من اتباع ميمون القداح ارسله الى اليمن فخرج فيها و استولى على قسم كبير منها.

(٣) موضع في اليمن، و رسمها في الاصل: الجبد.

(٤) ورد هذا الاسم في تاريخ ابن خالدون غير مرة «كراد»، و في عقد الجمان «كندار» و في العبر للذهبي «كيداد»، و لعل الأصح ما اثبتناه هنا «كداد». و هو من الخوارج الصفوية.

انظر ابن خالدون ٤: ١٤٠، و عقد الجمان حوادث سنة ٣٣٤، و العبر للذهبي ٢: ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥٧.

(٥) يقصد ابا الفضل بن زكريا المجوسي الاصفهاني، كان قدم من اصفهان و موه على القرامطة ابي سعيد الجنابي و اخيه ابي طاهر و اصحابهما فاتخذوه كاله. و سبب تلقيه بذلك انه كان يلبس عمامة صفراء و ثوبا اصفر، قتله القرامطة بعد ذلك في أوائل الربع الثاني من القرن الرابع الهجري. انظر تجارب الأمم لمسكويه ٥٢-٥٥ و ما بعدها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٠٨

ثم يقطعونهم عن البحث و النظر بالعهود و الايمان المغلظة، و من دخل بلدانهم و شاهد عساكرهم و تأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم، بل من سأل و استبحث يعلم ذلك و إن لم يصبر إليهم. و قد صاروا حرما للملحدة و الزنادقة و الفلاسفة و الدهرية و جميع اعداء الاسلام، فمن هاجر إليهم أمن في إلحاده و قال ما شاء كيف شاء، فيا لها مصيبة بذهاب الاسلام و موت اهله و قلة العارفين به و بحقوقه، فان من بقي ممن يظن انه من اهله فمنهم من يشبه الله بخلقه، و منهم / من يجوره في حكمه و إلى غير ذلك.

و باب آخر [ما اشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام]

و هو ان هذه الطوائف الثلاث من النصارى أشد عالم الله تعظيما للمسيح و تحققا به و حبا له، يدعون انهم شيعة و اتباعه، و انهم اطوع الناس له، و ان ما هم عليه عنه اخذوه، و به اقتدوا فيه، و على وصاياه عملوا. و قال صلى الله عليه و سلم: ان المسيح عبد الله و رسوله أتى الناس بما جاءهم الأنبياء قبله، من آدم و نوح و ابراهيم و اسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و

غيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين، من الدعاء الى عبادة الله و توحيده وحده، و الاخلاص له وحده بالعبادة و القدم و الربوبية؛ و ان النصرى قد كذبوا عليه، و بدّلوا دينه، و عطلوا وصاياه، و انهم ضاهوا بقولهم قول الذين كفروا من قبل، الذين اتخذوا المخلوقات آلهة و أربابا و دعواها و تضرعوا لها، كالفلاسفة و الصابئين من اهل حران (١)، فانهم

(١) سمى صابئة حران بذلك لأنهم كانوا يسكنون مدينة حران من ارض الجزيرة، و قد عرفوا بعبادة الاجرام السماوية السبعة، و هذه العبادة بقيه من الديانة الآشورية و البابلية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٠٩

اعتقدوا في الشمس و القمر و الكواكب و السماء ما قدمنا ذكره، كالقبط الذين قالوا في فرعون ما ذكرنا، و كغيرهم؛ فقد قال بر بوبية المخلوقات و المخلوقين خلق كثير، و شرح احوالهم يطول؛ و ان المسيح صلى الله عليه و سلم عدوّ لهؤلاء النصرى و برىء منهم فوجد الناس الأمر كما قال، و على ما شرح و فصل، فكم في هذا من عجب، انه رجل عربى أمى يخبر عن رجل قد سبقه بنحو الف سنة، و لسانه غير لسانه، و بلده غير بلده، و قومه غير قومه، يخبر عنه بأمر كان عليها.

و قد وجد صلى الله عليه و سلم أمما ممن كانوا قبله يدعون التحقيق بهذا الرجل و هم على منهاجه و طرائقه، فلو كان منقولاً لتهيب الاقدام على ذلك، و كان لا يأمن ان يكون القوم الذين سبقوه في الزمان و تحققوا بهذا الرجل قد صدقوا عليه، و انهم أتباعه كما ادعوا فلا يأمن ان يظهر كذبه، سيما و قد ادعى الصدق و النبوة و الرسالة على اهل الارض كلهم و عقله الذى لا يدفع. فانظر كيف يتعرض لعظيمات الأمور، و جسيمات الخطوب.

و حكى عن ربه عز و جل ان النصرى ليسوا على شىء مما (١) جاء به احد من الأنبياء، فقال: «وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» (٢) فأقدم على أشياء قد تدبر بها العقلاء و جبابرة الملوك قبله و فيه فضائحهم و هتكهم، فيؤخذ الامر كما قال، فلو لم يكن إلا هذا من أعلامه لكفى و شفى و أغنى.

(١) فى الاصل: ما

(٢) الزخرف ٤٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٠

فإن قيل لكم و من اعطاكم ان دين المسيح خلاف دين النصرى، و أنهم قد خالفوه؟

قلنا: من تأمل الامر وجددهم اشد الناس خلافا عليه و أطراحا لوصاياه فى الاصول و الفروع جميعا. فأما فى الاصول فقد آمنوا و عبدوا ثلاثة آلهة و ثلاثة أرباب كما قدمنا و تبينا، و لا يختلفون فى ان المسيح عيسى بن مريم ليس بنبى و لا عبد صالح، و أنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و أنه إله تام من إله تام، و انه خالق السماوات و الارض و الاولين و الآخرين و رازقهم و محيهم و مميتهم و باعثهم و حاشرهم و محاسبهم و مثيهم و معاقبهم. و قد ذكرنا ما يقوله النسطورية من انه إله مركب من نوعين / و طبيعتين، و بينا ما يرومونه من المغالطة. فإن قالوا: فإننا لا نفرده واحدا (١) من هذه الآلهة بالعبادة بل نعدها كلها بعبادة واحدة، قيل له: ان هذا لا يخرجكم من ان تكونوا قد اشركتم فى القدم و اشركتم فى العبادة، و لا يقدح فيما حكينا عنكم، لأنه يصح ان نعبد مائة الف معبود بعبادة واحدة. و على انا نجدكم تفردونها و كل واحد منها بالانعام و الايمان كما هو مذكور فى تسيحة الايمان و تسيحة القربان، و تفردونها أيضا بالصنع و الأفعال و الخلق و التدبير، كما قلت فيما كان منها من الافعال حين عمده يحيى مما تقدم ذكره، و تقولون ان النازل من السماء حتى صار فى بطن المرأة و صار هو و ابنها بالاتحاد الذى فعله إلهها واحدا و مسيحا واحدا، و انه هو الذى اظهر الآيات فى الارض، و هو المقتول المصلوب، و هو الذى احيا نفسه بعد الموت، و صعد الى السماء، و جلس عن يمين ابيه. فهذه

الافعال كلها الابن فعلها لا الأب.

(١) في الاصل: واحد

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١١

فإن قالوا: كل فعل من هذه الافعال قد فعله الآلهة الثلاثة.

قيل لهم: هذا خلاف النصرانية وهو بين فيما قدمنا وذكرنا عنهم؛ وأيضا فان فعلا واحدا لا يصح ان يفعله أكثر من حى واحد، و مقدورا واحدا لا يصح ان يقدر عليه أكثر من قادر واحد، وهو مبين فى كتب العلماء، و النصرارى لا تفهم ذلك و لا تحوجك إليه. و اعلم ان النصرارى تعتقد ان الأب قد اختلج من ملكه كله و جعله لابنه، فهو يخلق و يرزق و يحيى و يميت، و قد سمعنا هذا ممن يحتج لهم و يخبر عنهم، و هو أيضا بين فى تسيحة/ ايمانهم. ألا تسمعهم يقولون: و نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله بكر ابيه، و ليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر ابيه، الذى بيده اتقنت العوالم و خلق كل شىء، الى قولهم: و هو مستعد للمجىء تارة اخرى للقضاء بين الاموات و الاحياء. و يقولون فى عباداتهم و صلواتهم و مناجاتهم: أنت أيها المسيح يسوع تحيينا، و ترزقنا، و تخلق اولادنا، و تقيم اجسادنا، الى غير ذلك مما هذا سبيله و يطول ذكره، فيبناهم يفردون كل واحد منها بفعل، و يبناهم يقولون: ان الامر كله قد رجع الى الابن و كله شرك.

فان قيل: فما الذى عندكم عن المسيح مما يخالف هذا و ما حكيموه عن النصرارى؟

قلنا: أما فى الاصول فانه قال لهم: الله ربي و ربكم، و إلهى و إلهكم، فيشهد على نفسه انه عبد الله مربوب مدبر مصنوع، كما شهد عليهم انهم كذلك، و انه مثلهم فى العبودية و الضعف و الحاجة، و ذكر انه رسول الله الى خلقه، و ان الله ارسله كما ارسل الأنبياء قبله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٢

فذكر يوحنا فى انجيله ان يسوع المسيح قال فى دعائه: ان الحياة الدائمة انما تجب للناس بأن يشهدوا انك أنت الله الواحد الحق، و انك ارسلت يسوع المسيح «١»، فانظر كيف يخلص التوحيد و يدعى النبوة. و ذكر يوحنا انه قال لبنى اسرائيل: تريدون قتلى و انا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقول «٢». و ذكر أيضا انه قال: انى لم أجدى لأعمل بمشيئة نفسى و لكن بمشيئة من ارسلنى «٣». و قال عليه السلام: إن الكلام الذى تسمعونه منى ليس هو لى و لكن من الذى ارسلنى و الويل لى إن قلت شيئا من تلقاء نفسى «٤». و كان عليه السلام يواصل العبادة فى الصلاة و الصوم و يتنفل و يقول: ما جئت لأخدم و إنما جئت لأخدم، و قال: إنى انا لست ادين العباد و لا احاسبهم بأعمالهم و لكن الذى ارسلنى هو الذى يلى ذلك منهم «٥». هذا فى انجيل يوحنا. و فيه أيضا ان المسيح قال: انهم يا رب قد علموا انك أرسلتني و قد ذكرت لهم اسمك «٦»، و قال المسيح: ان الله الواحد رب كل شىء أرسل ابن

(١) انظر انجيل يوحنا الاصحاح ١٢ فقرة ٤٤ و ما بعدها، و الاصحاح ١٧ فقرة ٢:

«و هذه هى الحياة الابدية ان يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك و يسوع المسيح الذى ارسلته».

و فى الاصحاح ٣، ٣٦: «الذى يؤمن بالابن له حياة ابدية».

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح ١٨ فقرة ٣٧

(٣) المرجع السابق.

(٤) انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ فقرة ٢٤

(٥) انجيل يوحنا الاصحاح ١٣ فقرة ٤٧ و ٤٨

(٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٧ فقرة ٢٥ و ما بعدها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٣

البشر الى جميع العالم لينقلوا الى الحق «١». و قال أيضا: ان الاعمال التي أعملهن هن الشهادات لى بأن الله أرسلنى الى هذا العالم. و قال أيضا: ما أبعدنى ان احدثت شيئا من قبل نفسى، و لكننى اتكلم و اجيب مما علمنى ربي.

و قال أيضا: ان الله مسحنى و ارسلنى و انما اعبد الله الواحد ليوم الخلاص.

و سأله عن الساعة متى هى فقال أنا لا اعلم متى ذلك و لا احد من البشر، و لا يعلم ذلك إلا الله وحده. و قال: ان الله عز و جل ما أكل و لا يأكل، و ما شرب و لا يشرب، و لم ينم و لا ينام، و ما ولد و لا يلد و لا يولد، و لا رآه احد، و لا يراه احد الامات. و قال له رجل: يا أيها الخبير علمنى، فقال له المسيح: لا تقل لى هذا، فانه لا خير الا الله. و قال له رجل: مر أخى يقاسمنى تركه أبى، فقال: و من جعلنى عليكم قاسما. و قال فى دعائه لما سأل ربه ان يحيى الرجل الميت الذى يقال له إيلا عازر، يا إيل «٢»: انا اشكرك و احمدك، انك تجيب دعائى فى هذا الوقت و فى كل وقت، فأسألك ان تحيى هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل انك ارسلتنى و انك تجيب دعائى «٣». و قال فى دعائه و قد خاف الموت و لم يزل/ يواصل الصلاة و التضرع و الدعاء و البكاء، يا إيل: ان كان من مسرتك ان تصرف هذه الكأس المرأة عن احد فاصرفها

(١) ورد حول هذا المعنى فى انجيل يوحنا عدد من العبارات منها: «انا لا اقدر ان افعل من نفسى شيئا، كما اسمع أو من، و دينونتى عادلة لأننى لا اطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى ارسلنى».

يوحنا، الاصحاح ٥ / ٣٠. و منها: «لأن الاعمال التى اعطانى الأب لأكملها، هذه الاعمال بعينها التى اعلمها هى تشهد لى ان الأب قد ارسلنى، و الأب نفسه الذى ارسلنى يشهد لى. يوحنا ٥، ٣٦ و ٣٧.

(٢) إيل لفظه آرامية تعنى البطل، ثم اصبح يعنى بها بطل الابطال، ثم اصبحت تطلق بمعنى الله.

(٣) انظر تفصيل ذلك فى انجيل متى، الاصحاح ٨، و انجيل يوحنا، الاصحاح ٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٤

عنى، و ليس كما أريد انا بل كما تريد أنت. و كان يرمى من فمه كعلق الدم جزعا من الموت، و يعرق و يقلق «١». و كان اذا ذكر البعث و القيامة و الحساب يكون منه البكاء و القلق و الجزع ما لا يكون من احد، و يكون من صلاته و صيامه و عبادته و خشوعه ما لا يكون من احد من زمانه.

و مثل هذا من أقواله و افعاله اكثر من ان يحصى، و هو معهم و فى أنجيلهم، حتى لقد احصى اهل المعرفة و العلم، فوجدوا المسيح عليه السلام له من الاقرار على نفسه بالعبودية و الضعف و الحاجة و الفقر و الفاقة، و لله عز و جل بالغنى و الربوبية، ما لم يكادوا يجدونه لأحد من الأنبياء و الصالحين، ثم تقول فيه النصارى ما قد سمعت.

فإن قالوا: فقد حكى متى عنه فى انجيله انه قال لتلامذته: سيروا فى الارض و عمّدوا العباد باسم الأب و الابن [و] «٢» روح القدس. و حكوا عنه انه قال: انا كنت قبل ابراهيم، و ما اشبه ذلك.

قيل له: ليس المسيح اول من كذب عليه و انتم تعلمون ان مانى القس يدعى التحقيق بالمسيح، و انه من اتباعه، و انه ليس احد على شريعته و وصاياه الا هو و اتباعه، و ان الانجيل الذى معه هو انجيله. و هو يذكر عنه انه كان يحرم على الناس كلهم و على نفسه النساء و ذبائح الحيوان و اكل اللحمان، و ان هذا ما حلّ قط و لا يحل، و يلعن كل من احلّه. و انه كان تبرأ/ من ابراهيم و موسى و هرون و يوشع و داود، و من كان يرى ذبح الحيوان و أذيته و اكل اللحمان و غير ذلك. و يستشهد على ذلك بمواضع من الاناجيل

(١) انظر تفصيل ذلك في انجيل متى، الاصحاح ٢٧، و انجيل لوقا، الاصحاح ٢٣، و انجيل يوحنا، الاصحاح ١٩، و انجيل مرقس، الاصحاح ١٥.

(٢) الواو إضافة على الاصل يقتضيها السياق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٥

التي معكم، و عندكم انه قد كذب على المسيح و افترى و اخطأ فيما تأول، و ان تزكية المسيح لهؤلاء الأنبياء امر ظاهر لا ينصرف عنه التأويل.

قلنا: فهذه سبيلكم في دعاويكم على المسيح و انتم في هذا اشد فضيحة من المنانية، لأن تصديق المسيح للأنبياء و شهادته بما شهدوا به من توحيد الله و إفراده بالقدم و الربوبية و الحكمة أبين من كل بين و أوضح من كل واضح.

و العقلاء يردون المجهول بالمعلوم، و ما التبس بما اتضح، و ما يحتمل بما لا يحتمل. و قد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون الى ألفاظ في التوراة و في كتب الأنبياء متحمله، يحملونها على ظنونهم السيئة و بدعهم هذه الفاحشة، فيقولون: انما اراد ابراهيم و موسى و هارون و سائر الأنبياء و هو ما أردناه من ان الله ثالث ثلاثة، و أن الأرباب جماعة، و أن الله يصعد و ينزل و يولد و يقتل. فيقصدون الى ما في التوراة من أن الله قال نريد ان نخلق بشرا على صورتنا و مثلنا «١». فيقولون: هذا خطاب من جماعة، أما ما تسمعونه يقول: نريد، و لم يقل: أريد ان أخلق بشرا مثلي، لتعلموا أن الآلهة جماعة، و أنهم على صور و هيئات كهيئات الناس، و ما أشبه هذا من الألفاظ المحتملة.

حتى تعدوا الى القرآن فقالوا: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، قالوا:

فهذا خطاب من جماعة لا- من واحد. و قالوا في قوله عز و جل «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ» «٢» قالوا فهذا أحد الآلهة و الأرباب يقسم بالأرباب.

(١) جاء في التوراة في سفر التكوين، الاصحاح الاول: «و قال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا».

(٢) المعارج ٤٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٦

و قالوا في قوله عز و جل: «وَ الْإِمْ و مَا وَلَدَ» / «١» قالوا: فإنما الإله يقسم بنفسه و ولده. فيقولون: محمد قد جاء بالنصرانية و بمذهبا، و لكن اصحابه لم يفهموا عنه. و يقولون في قوله عز و جل: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» «٢».

قالوا فهذا الذي نقوله نحن: أنه من جوهر أبيه، و لا نريد بقولنا منه أنه بعضه و لكنه من جنسه و مثله. فيقصدون الى أقوام كإبراهيم و الأنبياء صلوات الله عليهم و أمثالهم قد عرفت مذاهبهم و مقاصدهم فينصرفون عنها بالتأويلات و محتمل الألفاظ. و مذاهبهم قد تحصلت حصلا لا يحتمل التأويل، لأن العلم بأن المسيح كان في توحيده على مناهج ابراهيم و موسى و هارون و داود و محمد صلى الله عليهم لا- يرتاب به من عرف أخبارهم و سيرهم و دعوتهم قبل العلم بنبوتهم. فاعرف هذا فانه اصل كبير يعرفه من تأمل و أراد التبين و قد اعتقل في مثله خلق كثير من العقلاء.

ثم هناك من الكذب على الأنبياء فضلا من التأويل لما في كتبهم، كقولهم ان الأنبياء قالوا قبل مجيء المسيح: ان الله سيجيء و تحبل به امرأة عذراء، و يؤخذ و يصلب و يقتل و يموت و يدفن. هذا مما هو اكثر من ان يحصى.

و يقال للنصارى لا فرق بين من ادعى على المسيح انه ادعى الربوبية و أن الله ولده و أنه ابنه على ما تعتقدون و تدعون، و بين من

ادعى انه هو وضع تسيحة الايمان و تسيحة القربان، و أنه اتخذ البيعة، و جعل عيده يوم الاحد، و أخذ الناس في زمانه بأن يقولوا: يسوع المسيح إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و أنه كان يأخذهم بأن يقسموا بعبد يسوع و عبد المسيح، و أنه

(١) البلد ٣

(٢) النساء ١٧١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٧

أحل الخنزير و أكله، و صلى الى المشرق، و عطّل الختان/ و الوضوء و الطهارة و غسل الجنابة، و أخذ اصحابه بصيام الخمسين، و شرع ذلك و دعا إليه، و من بلغ هذا فقد تناهى في المكابرة و المجاهدة، اللهم إلا ان لا يكون يعرف اخبار المسيح و النصرى في زمانه، و النصرى بعد موته و مضيه، و لا عنى بذلك. فسبيل من ادعى عليه ما يدعى عليه هذه النصرى و ما تحكيه عنه و تتأوله عليه، كسبيل من ادعى عليه الامور التي قدمنا ذكرها.

و في النصرى قوم استبصروا و أسلموا و تتبعوا المواضع و الألفاظ التي تدعيها النصرى على المسيح، و قالوا لهم: ما نعلم المسيح قال ذلك، و لو قاله لما ضاق مجازة و تأويله، كقولهم انه قال: ابن البشر رب السبت، و أنى قبل ابراهيم و أنى بأبى و أبى بى، و ما اشبه ذلك. فقالوا لهم: فى التوراة ان موسى إله فرعون و إله هرون، و أن هرون رسول موسى الى فرعون، و أن يوسف قال للمصريين: ان العزيز ربهم. و ذكروا لهم عن ابراهيم و لوط و داود و سليمان و عن غيرهم من الأنبياء شيئا كثيرا، و لا حاجة بك الى ذكره و معرفته، و لو عرفته لم يكن به بأس، و لكن ارجع ابدأ الى اصل الدعوة و النحلة، و المعروف من قول النبى، ورد المجهول بالمعلوم، و قد استغنيت عن التأويل كما تقدم لك.

و مثل هذا ما يدعيه المنجمون على على رسول الله صلى الله عليه و سلم انه كان يذهب الى ما يذهبون، لأنه قال فى كتابه: «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ» (١) و أنه قال: «فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ» (٢) و «فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» (٣)

(١) الصفات ٨٨

(٢) القمر ١٩

(٣) فصلت ١٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٨

و غير ذلك. فقال لهم اهل العلم: قبل كل شىء قد عرفنا من / دعوة هذا الرجل و قصده قبل المعرفة بنبوته أن ما يكون فى غد لا يعلمه ملك معزب و لا نبى مرسل، و لا يعلمه إلا الواحد المنفرد بالقدم، فلا وجه للتعليق عليه بظواهر الألفاظ و بالتأويل، هذا لا يفعله عاقل و لا يذهب الغلط فيه على محصل، و إنما يخادع بهذا اهل الغافلة.

و كذا قالوا الباطنية و من سلك سبيلهم: فى ان باطن الصلوات أشخاص و كذا العبادات، و ان لكل ظاهر باطنا، غير ما عليه الفقهاء و العامة.

فقالوا لهم: ادعيتم أنكم من المسلمين و قد علمنا من دعوة هذا النبى صلى الله عليه و سلم قبل العلم بنبوته ان ما حرّمه من الزنا و اللواط و الربا و الخمر و الخنزير و الامهات و البنات و الأخوات و غير ذلك محرم على كل عاقل بلغته دعوته كائنا من كان، و انه على ما عليه الفقهاء و العامة، و انه لا تأويل لذلك و لا باطن، و أن جميع ما اوجبه من الطهارات و الصلوات و الصيام و العبادات لا تسقط عن عاقل كائنا من كان على ما عليه الفقهاء و العامة لا تأويل لذلك و لا باطن، و ان من قال: لهذه الأشياء باطن او تأويل، فقد كفر و أشرك و خرج من الاسلام خروجا ظاهرا.

ولا حاجة بنا الى ان نبين لكم تأويل الآيات التي سألتكم عنها، فقد علمنا من قصده صلى الله عليه وسلم ان مراده في ذلك غير مرادكم، و قصده غير قصدكم. مثل هذا قالوا لمن قال من هشام بن الحكم «١» و اتباعه حين قالوا: إن الله لا يعلم ما يكون قبل ان يكون، لأنه قال: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ

(١) هشام بن الحكم (١٩٠ هـ) كان شيخ الامامية في عصره، ولد بالكوفة و سكن بغداد و انقطع الى يحيى بن خالد البرمكي. له مؤلفات كثيرة. انظر: منهج المقال ٣٥٩، لسان الميزان ٦: ١٩٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١١٩

وَ الصَّابِرِينَ «١» و أنه / يفعل الجور و الظلم. و لمن قالوا: يأمر بالفسق لقوله:

«أَمْرُنَا مُتَرَفِّهِيهَا فَفَسَّقُوا فِيهَا «٢»» فاعرف هذا فانه اصل كبير.

ثم رجعنا الى قولنا في النصارى.

فان قيل: كل هذا [الذى] «٣» حكيتموه عن المسيح موجود فى الكتب التى مع النصارى، فكيف جعلتم ما حكاه نبيكم عن المسيح و عنهم من معجزاته و آياته؟ قلنا: قد فرغنا من هذا غير مرة و بينا ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم ما قرأ الكتب و لا قرئت عليه، و لا اختلف الى اهلها و لا اختلفوا إليه، و لا عرف ذلك إلا بوحي، و ان كان موجود فى كتبهم. كما انه لم يعرف قصة نوح و ابراهيم و يوسف و موسى و هرون إلا بالوحي، و ان كانت مذكورة فى كتبهم.

فإن قيل: لعمرى إن من عرف دعوة المسيح يعلم ان دعوته الى توحيد الله كدعوة موسى و هرون و محمد و أمثالهم من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين، و أنه برىء من دعوة هذه الطوائف من النصارى كبراءته من دعوة المنانية، و كبراءة محمد و موسى و هرون من ذلك اجمع. و لكن قد جاء عنه انه كان يقول فى الله [أنه] «٤» ابوه، فيقول: ارسلنى ابى، و قال لى ابى، و مثل هذا كثير، فما عندكم فيه؟

قيل له: إن كان قد قال هذا فلا حجة للنصارى فيه، لأنهم قد قالوا إنه قال لنا: أنا أذهب الى ابى و أبيكم، و ربى و ربكم فلم يجعل لنفسه مزية عليهم، فإن وجب ان يكون هذا القول إلها و ربا و معبودا، و جب ان

(١) محمد ٣١

(٢) الاسراء ١٦

(٣) إضافة على الاصل يقتضيها السياق.

(٤) إضافة على الاصل يقتضيها السياق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٢٠

يكونوا هم كذلك، و قد قال بعض الناس: إن/ الابن فى اللغة العبرانية التى هى لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص، و ان الأب قد تقع على السيد المالك المدبر؟ قالوا: و قد قال فى التوراة: إن اسرائيل ابنى و بكرى و أولاده ابنائى؛ و على دعوى النصارى تجب لهم الإلهية و قد قال ايشيعيا النبى عليه السلام فى كتابه: إن الله ابو جميع العالم، و انتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى فى انجيله عن المسيح انه قال: طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فإنكم تسمون ابناء الله. و قال متى فى انجيله: ان المسيح قال للناس: ان اباكم السماوى واحد فرد. و قالوا: ان المسيح كان يقول فى صلاته التى كان يصليها و يعلمها الناس: قولوا يا ابانا الذى فى السماء أنت قدوس اسمك، عزيز سلطانك، نافذ امرك فى السماوات و الأرض، لا يعجزك ما طلبت، و لا يمتنع منك ما أردت، فاعفر لنا ذنوبنا و خطايانا و لا تعذبنا بالنار «١». فينبغى على قول النصارى ان تكون هؤلاء كلها آلهة و أربابا، لتعلم ان اسم

الأب يقع في تلك اللغة على السيد و المالك.

و قال المسيح لبنى اسرائيل: لو كنتم ابناء ابراهيم لأجبتونى فانى ابن ابراهيم. و قد علمنا ان بنى اسرائيل كلهم اولاد ابراهيم، و إنما اراد انكم لو كنتم اولياء ابراهيم.

و أيضا فان النصرى تذكر عن بولص انه ذكر فى الرسالة فقال بأن الروح نفسها تشهد لأرواحنا انا ابناء الله. و هم يقولون فى الاشرار: انهم/ ابناء الشياطين و مثل هذا كثير فى لغتهم، و استعمالهم فى الابن بمعنى الولي المخلص، و فى الأب بمعنى السيد المالك الرفيع، و لهذا تقول النصرى فى الجاثليق ابونا،

(١) انظر نص الصلاة فى انجيل متى، الاصحاح ٦، الفقرات من ٩-١٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٢١

فهذا كله فى استعمالهم. و لكنهم لما اعتقدوا فى الله عز و جل انه رجل و انسان و شخص و ما هذه سبيله لم يرضوا «١» ان يجعلوا له ابناء إلا بالحقيقة من طريق الولادة «٢» و التناسل كما تقدم بيان ذلك لك. و هم يقولون: ان الله الأب قال لابنه يسوع المسيح انى ولدتك قبل ان اخلق كوكب الصبح.

و ليس فى هذه الطوائف الثلاث من النصرى من يقول: إن المسيح ابن الله على طريق التشريف و المجاز، بل هو إله تام من إله بام، و إله حق من إله حق، من جوهر ابيه. فاعرف هذا.

باب آخر [ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصرى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم]

من هذا الجنس، و هو ان هذه النصرى و اليهود جميعا يدعون فيلاطس الرومى ملك الروم اخذ المسيح يتظلم اليهود منه و سلمه إليهم، فحملوه على حمار و جعلوا وجهه الى عجز الحمار و جعلوا على رأسه اكليل شوكة، و طوفوا به تنكيلا. و انهم كانوا يقفدونه «٣» من ورائه و يأتونه من تلقاء وجهه فيقولون له: يا ملك بنى اسرائيل من صنع هذا بك؟ سخرية منه «٤». و انه لما ناله من الكدّ و الشقاء عطش و استجدى و قال لهم: اسقونى ماء، فأخذوا الشجر المر و اعتصروه و جعلوا الخل فى ذلك العصير و أعطوه، فأخذه/ و هو

(١) عبارة لم يرضوا مكررة فى الاصل.

(٢) فى الاصل: الولاد.

(٣) قفده: صفعه على قفاه بباطن كفه. انظر القاموس المحيط.

(٤) جاء فى انجيل متى، الاصحاح ٢٧: «فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية و جمعوا عليه كل الكتيبة و فروه و ألبسوه رداء قرمزيا و صنعوا اكليل من شوكة و وضعوه على رأسه و قصبته فى يمينه و كانوا يجثون قدامه و يستهزءون به قائلين: السلام يا ملك اليهود و بصقوا عليه و أخذوا القصبه و ضربوه على رأسه». و انظر ما يماثل هذا الصدد فى انجيل مرقس الاصحاح ١٥ و انجيل يوحنا الاصحاح ١٩.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٢٢

يظنه ماء فغب فيه فلما وجد مرارته مجه فسعطوه به و عذبوه يومه و ليلته «١».

فلما كان من الغد و هو يوم الجمعة الذى يسمونه جمعة جشا سألوا فيلاطس ضربه بالسوط فضربه، ثم اخذوه و صلبوه و طعنوه بالرمح

وما زال يصيح وهو مصلوب على خشبة يا إلهي لم خذلتني يا إلهي لم تركتني، الى ان مات و نزلوا به و دفنوه «٢». و ادعى اليهود و النصارى العلم بذلك و المعاينة و المشاهدة، و انهم قد تلقوا ذلك الجمهور «٣» عن الجمهور، و الامم عن الامم، و صار النصارى خاصة يسخرون من المسلمين اذا قالوا ما كان هذا من شيء، و يقولون: أى فائدة لصاحبكم فى مكابرة الأمم المجمع على ذلك، و قد سبقوه و كانوا قبله، و هم اهل هذا الرجل و اصحابه، و بينهم ولد، و معهم نشأ، و قد أجمع على ذلك عدوه من اليهود و وليه من النصارى، فأنكر نبيكم.

و هل هذا إلا كما قيل: رضى الخصمان و أبى القاضى. فنظر اهل العلم فى قوله صلى الله عليه و سلم، فاذا هو قد اخبر انهم قد قالوا ذلك و هم لا يعلمونه، و ما معهم علم به و لكنه ظن يظنونه، فاذا الامر كما قال و كما اخبر، و العلم بأن الاعتقاد هو علم او جهل او ظن لا يعلمه إلا من قد صحب المتكلمين و النظارين و انقطع الى صنعة الكلام و مهر فيها و كد، و هذا رجل متكلف، فيعلم انه ما علم هذا إلا بالوحى من قبل الله و هذا من آياته العجيبة.

(١) جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح ١٩: «فلكى يتم الكتاب قال: انا عطشان، و كان اناء مملوءا خلا فجاءوا بسفنجة من الخل و وضعوها على زوفا و قدموها الى فمه».

(٢) جاء فى انجيل متى، الاصحاح ٢٧: «نحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا:

ايلى ايلى لما شبقتنى، اى الهى الهى لما ذا تركتنى». و فى انجيل مرقس الاصحاح ١٥: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: الوى الوى لما شبقتنى، الذى تفسيره الهى الهى لما ذا تركتنى».

(٣) فى الاصل: عن الجمهور

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٢٣

و تأمل الى إقدامه / على أمتين عظيمتين من اهل التحصيل و العقل، قد أجمعوا على امر و سبقوه فى الزمان، و هو اشد الناس حرصا على تالفهم و إجابتهم و استمالتهم، فأكذبهم و ردهم، و لو كان متقولا لتهيب و لم يقدم على ذلك خوفا من ان يكون الامر كما قالوا و كما ادعوا فيبين كذبه و يرجع عنه من قد تبعه، لأن الأنبياء يجوز ان يقتلوا و يصلبوا، بل قد قتل قوم منهم.

و أيضا، فليس فى قتل المسيح طعن عليه و لا قدح فى امره، و ما به حاجة الى مخالفتهم فى ذلك، بل قد كان ينبغى ان يكون الى تصديقهم فى ذلك أحوج، ليكون تشييعه على النصارى اقوى، لأنهم قد اعتقدوا فيه انه إله و رب و قد رأوه أسيرا مقهورا فى يد عدوه و مصلوبا و مقتولا، و يزيد شناعته على اليهود لأنهم قد قتلوا نبيا آخر مضافا الى غيره من الأنبياء الذين قد قتلوه قبل المسيح. فتجنب صلى الله عليه و سلم هذا كله مع الحاجة إليه، و قال: قد ادعوا أنهم قد علموا ذلك و ليسوا به عالمين و لا متفقين، و ما معهم فيه الا الظن فقال:

«وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَيَّبُوهُ وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ. وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ. وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» «١» أى ليس ثم يقين و لا سكون نفس، تقول العرب فى الخبر المتيقن قتله علما و قتله يقينا. ثم قال: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» أى صانه و عظمه ان تناله يد عدوه بالقتل و الصلب، لأن الظن قد يصدق تارة، و قد تجتمع الجماعة الكبيرة فتصدق المخبر الواحد من طريق حسن الظن بخبره، و يكون قد صدق فيما أخبر، فيكونوا صادقين و إن لم يعلموا صدقه، و ان ظنوا ان اعتقادهم لذلك علم. فانظر الى ذلك كيف بينه من كل وجه.

فإن قيل: و من ابن لكم ان الجماعات من اسلافهم ما شاهدوا ذلك و لا عاينوه كما ادعوا؟ قيل له: من تأمل علم بعقله ان الامر كما قال صلى الله عليه و سلم لا كما قالوا، لأن تلك الجماعات لو قد كانت شاهدت ذلك و علمته لكان من لقيهم و سمع منهم فى مثل حالهم فى العلم بذلك، فكان يكون كل من لقي النصارى و اليهود و سمع ذلك منهم عالما بذلك، فكنا نكون فى مثل حالهم فى العلم بذلك. ألا ترى أنا لما اخبرناهم بقتل حمزة و جعفر و عمر و عثمان و عليّ رضى الله عنهم شاركونا فى العلم بذلك و صارت حالهم فى ذلك مثل حالنا، فلما رجعنا الى انفسنا فلم نجدنا عالمين مع مخالطتنا لهم و كثرة سماعنا منهم، علمنا انهم ليسوا بذلك عالمين، و أن اعتقادهم لذلك ليس بعلم. فبهذا الدليل علمنا صحة دعواه صلى الله عليه و سلم و كذب دعواهم فى انهم بذلك عالمين.

و بهذا الاعتبار تعلم رحمك الله بطلان دعوى من ادعى من اليهود ان موسى صلى الله عليه شافه اسلافه الذين كانوا معه و هم ستمائة ألف رجل شاب سوى / المشيخة و النساء بأن شريعته مؤيدة الى أن تقوم الساعة، و أنه لا يحل تغيير شىء منها البتة و أن من ادعى خلاف ذلك فقد كذب و كفر. و ادعت اليهود انهم بذلك عالمون، فقلنا: لو كنتم بذلك عالمين، و كان اعتقادكم لذلك علما، و قد حجكم من لقيتم من اسلافكم لكنتم حجة على اهل زمانكم، و كان يعلم ذلك بقولكم و أخباركم كل من شرح ذلك منكم، فلما كنا بذلك غير عالمين فإن اعتقادكم لذلك ليس بعلم. ألا ترى أنا و كل من يسمع منكم يعلم ان موسى عليه السلام كان يدعى انه رسول الله، و أن الله اصطفاه و أرسله، و أنه صلى الله عليه كان يحرم الأمهات و البنات و الأخوات و الميته و الخنزير و ذبائح الوثنيين، الى غير ذلك مما حرمه، و أنه كان يقيم السبت.

فلو كان ما ادعيتهم من تأييد شريعته لكان علمنا به كعلمنا بما قدمنا، بل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٢٥

كان يكون اقوى من العلم بذلك، فلما لم يكن كذلك علمنا و تيقنا ان موسى عليه السلام ما قال ذلك و لا دعا إليه و لا فرضه و أن الامر لم يعجز المجرى الذى ادعيتموه.

يزيدك وضوحا لذلك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم لما عهد ان شريعته مزيدة علم ذلك كل من سمع الاخبار ممن صدقه او كذبه، فلو كان الامر كما ادعوا لعلمنا ذلك بأخبارهم كما علموا ذلك من شأن نبينا ياخبارنا اياهم و بسماعهم ذلك منا.

و هذا اصل كبير سيملك ان تعنى به و تكبر مراعاتك له، فبه تعلم / أيضا بطلان دعاوى النصارى فى ادعائهم قيام المسيح من قبره، و أنه عليه السلام أقام معهم بعد قيامه من قبره اربعين يوما ثم صعد الى السماء و هم يرونه.

و هم يؤكدون هذا الكذب بأن يجعلوا له عيدا فى يوم بعينه.

و بمثل ذلك تعلم بطلان دعواهم ان الخشبة التى صلب عليها المسيح وضعت على ميت فاذا هو حيّ يسعى، و أن هذا كان بيت المقدس جهارا فى يوم شهادته النصارى و اليهود و الروم و أمم لم يحصها إلا الله لكثرتها. و لهذا نظائر من دعواهم.

و به تعرف بطلان دعاوى المجوس لزرادشت المعجزات.

و بمثل هذا تعلم بطلان دعاوى الرافضة ان النبى صلى الله عليه و سلم استخلف امير المؤمنين عليا على امته، و فرض طاعته عليهم أجمعين من الأحرار و العبيد و الرجال و النساء و جعله حجة عليهم. و ادعوا انهم قد علموا ذلك ياخبار جماعات اخبروهم بذلك، و

أن اعتقادهم بذلك علم. فقلنا: لو كنتم بذلك عالمين و كان اعتقادكم لذلك علما، لساويناكم فى العلم بذلك لكثرة سماعنا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٢٦

منكم و الخوض معكم فيه، فلما لم يكن كذلك، علمنا و تيقنا ان ذلك امر لا أصل له.

و العلم ببطلان دعاوى الرافضة فى ذلك أقوى و اظهر و الادلة عليه أكثر، لقرب عهده و كثرة الخوض فيه، و لأن الذى ادعى ذلك لم يكن يدعيه و لا يذهب إليه، و لأمر كثيرة. و الأدلة على ذلك اكثر من الأدلة على / غيره.

و الرافضة تسأل في ذلك عما تسأل عنه اليهود و النصارى و المجوس في الطعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم و في نبوته. فيقولون لما اعتقدتم صدق محمد و نبوته فقال لكم: ان المسيح لم يصلب و ان موسى لم يقل ان شريعته مؤبده و صار إقراركم بذلك ناقضا لقولكم و مفسدا لدينكم، و مبطلا لأصولكم [ذهبت عنه «١»] و لم تعترفوا به.

قيل لهم: قد عرفناكم انا انما عرفنا بطلان هذه الدعاوى بذلك الاستدلال و الاعتبار الذى قدمنا و شرحنا قبل العلم بنبوته صلى الله عليه و سلم و قبل المصير الى قوله و قول اصحابه، حتى لو استدلت الملحده كما استدللنا لعلمت من ذلك ما علمنا، و حتى لو لم يبعثه الله تبارك و تعالى حتى يعتبر معتبر و يستدل مستدل لعلم بطلان هذه الدعاوى كلها لأننا وجدنا أمما امثالنا و فى زماننا يدعون امورا و عهودا قد كانت فى العصور الخالية التى قد سبقتنا ادعوا العلم بها، فرجعنا الى عقولنا و اخترنا فدللت العقول على ان اعتقادهم لذلك ليس بعلم، و ان خبرهم بذلك ليس بصدق، و انه لم يكن هناك شىء مما ادعوه ينقل إليهم، و انما هم قوم شبه لهم فاعتقدوا امورا تموهت عليهم فسموا اعتقادهم علما و خبرهم نقلا.

(١) الكلمتان مكررتان فى الاصل.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٢٧

و أيضا، فلو كنا انما نعرف بذلك خوف الفضيحة فى بطلان ديننا فقد كان ينبغى ان نكون بذلك عالمين و ان لم نعرف، كما يعلم اللص انه سرق و ان لم يعترف خوف الفضيحة/.

و أيضا فان كان الناس قد علموا أننا قد علمنا فوجدنا و كابرنا فقد تعجلنا الفضيحة و علم الناس جميعا ببهتنا و مكابرتنا فما سلمنا من الفضيحة المعجلة، و هذا لا يذهب فسادة على عاقل نظر و تدبر.

فان قالوا: فأنتم بذلك عالمون و ان لم تعترفوا، قيل لهم: إنا إذا رجعنا الى انفسنا علمنا كذبكم على ضمائرنا، و كفى بذلك علما لنا بكذبكم علينا و بهتكم لنا، فانا لا نعلم ذلك بل لا نعتقد، فضلا ان نعلمه. بل نعتقد و نعلم بطلان ذلك، كما نعلم ان للعالم صنعا و انه واحد و ان محمدا صلى الله عليه و سلم رسوله الى خلقه.

و أيضا، فان الجماعات الكبيرة لا تجوز ان تكتم ما قد رأته و سمعته و ان ضررها ذلك و ان ساءها، كما لم تجوز ان تفتعل ما لم يكن فتقول: قد كان و رأينا و سمعنا و ان كان ما رأته و لا سمعت و ان سرها ذلك و نفعها، و هذا فى الكتمان اقوى و اظهر و ابين، لأن الكتمان اثقل، و الصبر عليه اشد، و الحفظ له اصعب، و الناس الى القول اسرع، و هم عليه اخف، و لهم فيه فرح و استرواح، و علتهم فى الكتمان كالكرب و الألم، فيستروحون باذاعته و ينفجون بالقائه، حتى انهم ليتحدثون بما فيه زوال نعمهم و سفك دمائهم، و حتى لقد ادعينا «١» ان ينكتم ما بين السلطان و وزيره و امثال ذلك ممن يجوز عليهم الكتمان، فان الكتمان قد يجوز على الواحد و الاثنى و النفر

(١) كلمة مطموسة بالمداد، و القراءة اجتهادية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٢٨

اليسير. و كذا الافعال و ان كان الافعال امكن من الكتمان. و لهذا/ يتوصى العقلاء بالصمت و الكتمان ما لا يتواصون بالقول، و يحذرون منه ما لا يحذرون من القول، حتى ان الصمت و الكتمان لا يجوز إلا فى عقلاء الرجال و فى افراد الناس، و هو فيهم أقل من القليل.

فاعرف هذا فان هؤلاء الملحده كأبى عيسى الوراق، و الحداد، و ابن الراوندى، لما لم يجدوا فى رسوله الله مطعنا ادعوا انه قد كانت له فضائح و اكاذيب و حيل وقف عليها اصحابه و اهله و كنتموا ذلك لحبهم له و لئلا يفتضحوا باتباع كذاب. و انما يجوز ان ينكتم ما

يكون بين اثنين من النفر اليسير مدة ما ثم يظهر، فأما ما يكون بين الجماعة فانه لا ينكتهم، ولا يطمع العاقل في كتمانهم ولا يحدث نفسه به و ان ضرره و ان ساءه. ألا ترى ان النبي صلى الله عليه و سلم، جاء باكفار اليهود و النصارى و المجوس، و بالبراءة منهم، و سفك دمائهم، و سبى ذريتهم، و استباحة اموالهم، و يأخذ الجزية من اهل عهدهم، الى غير ذلك مما شرعه من مكارههم، و كل ذلك قد ضرهم و ساءهم و ذهب برئاستهم و اسقط من اقدارهم، و قد ودوا أن ذلك لم يكن قط، و ان الله قد رفعه من قلوبهم و من قلوب الخلق اجمعين، و هذا علموه حين نطق به النبي صلى الله عليه و سلم و قاله و شرعه و هو وحيد ضعيف فقير، و هم قد نقلوا ذلك و أذاعوه و نشره و تحدثوا به مع ما عليهم فيه، و الدولة و العز و الغلبة إذ ذاك لهم لا له.

و هذا حال امير المؤمنين مع معاوية و بنى أمية فإنهم قد كرهوا عقد أهل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٢٩

المدينة له بعد عثمان، و كرهوا ما دعا إليه من تضليلهم، و ما/ فرضه من مجاهدتهم و قتالهم و ما بينه من نقضهم و تسفيهم، و ودوا ان ذلك لم يكن، و ما طمعوا في كتمان شيء من ذلك و لا فيما كان له من الفضائل، و انه صلى الله عليه من البدرين و السابقين، و من الفقهاء و الزهاد و الاولياء، و من العشرة و من اهل الشجرة و من اهل الشورى، و قد ساءهم كل هذا فما أمكنهم مع الملك و الدولة ان يدفعوه عن شيء منه مع محبتهم لدفعه عنهم و مع كراحتهم لكونه، و لا- ان يدخلوا معاوية و هو سيدهم و رئيسهم في المهاجرين و لا في الانصار، و قد ودوا ان ذلك قد كان، و لا امكنهم ان يخرجوه من ان يكون من الطلقاء و أبناء الطلقاء.

و انظر الى الشعراء الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه و سلم من قريش و من غيرهم، و من الكتب التي وضعها الملحده و طبقات الزنادقة، كالحداد، و أبي عيسى الوراق، و ابن الراوندى، و الحصرى، و آمالهم في الطعن في الربوبية و شتم الأنبياء صلوات الله عليهم و تكذيبهم، فإنهم وضعوها في ايام بنى العباس و في وسط الاسلام و سلطانه و المسلمون اكثر مما كانوا إذ ذاك و أشد ما كانوا لهم القهر و الغلبة و العز، و الذين وضعوا هذه الكتب أدل ما كانوا، و انما كان الواحد بعد الواحد من هؤلاء يضع كتابه خفيا و هو خائف يترقب، و يخفى ذلك عن اهله و ولده، و لا يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد ممن هو في مثل حاله في الخوف و الذل و القهر، ثم ينتشر ذلك في ادنى مدة و يظهر حتى يباع في اسواق المسلمين، و يعرفه خاصتهم و عامتهم، و يتحدثون به و يتقولونه و يذكرونه و قد غمهم ذلك و ساءهم، و ودوا ان ذلك لم يكن.

و كذا ما كان/ بالبحرين من ابى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى «١» و ولده،

(١) كبير القرامطة و معلى مذهبهم، كان دقاقا من اهل جنابة بفارس ثم انتقل الى البحرين-

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٣٠

و ما كان من ابى القاسم الحسن بن الفرخ بن حوشب بن زاذان النجار الكوفى بجنال لاعة و عدن لاعة من ارض اليمن، و ما كان من ابى الحسين محمد بن الفضل «١» بجيشان و الجند و المذيخرة من ارض اليمن، و ما كان لعبيد المتسمى بعبيد الله المهدي «٢» بأرض المغرب، و ما كان بمن بعده من هذه الطوائف فإنهم كلهم لما تمكنوا و قد كانوا في اول امرهم يتسترون بالتشيع، فلما ظهوروا و صاروا في جماعات و عساكر أغاروا على من جاورهم و قرب منهم، فشتوا الأنبياء و استنجموا بالمصاحف، و سبوا المسلمات و العلويات، و غزوا مكة. و كان غزو مكة لقرامطة البحرين خاصة من ولد ابى سعيد، و غدروا بالحجاج بعد ان امنوهم، و لهم في قصد الاسلام و مكاره المسلمين ما هو معلوم و مكتوب. و كل ذلك مما قد ضر المسلمين و كرهوه، و ودوا ان ذلك لم يكن، ثم هم يذكرون ذلك و يتقولونه و يدونونه، فتعلم ان الدول و الممالك و القهر و الغلبة لا- تغطى على الامور التي قد كانت و وقعت، و أن العقلاء لا يحدثون انفسهم بكتمان معيبيهم التي قد كانت و تحصلت و علم بها الناس مرة واحدة، و لا يحدثون انفسهم بكتمان مناقب اعدائهم و إن ساءهم و غمهم.

- تاجرا، و جعل يدعو الى نحلته، ظفر على عدة جيوش للخلفاء العباسيين ثم صالحه المقتدر. استولى على هجر و الاحساء و القطيف و سائر بلاد البحرين. قتله خادم له صقلبي سنة ٣٠١ هـ. مرآت الجنان ٢: ٢٣٨ و الاعلام ٢: ١٩٩.

(١) انظر كيفية اتصال احمد بن عبد الله القداح بمحمد بن الفضل هذا و تأثيره عليه و جلبه لصفه في الكامل لابن الاثير حوادث سنة ٢٩٦.

(٢) هو عبيد الله بن محمد الملقب بالمهدى، مؤسس دولة العلويين في المغرب و جدّ الفاطميين في مصر، في نسبه خلاف كثير. ولد بسلمية، و كانت دعاء ابيه قد مهدوا له الامر بالمغرب، بويع بالقيروان سنة ٢٩٧ و توفي سنة ٣٢٢ هـ. ابن الاثير الجزء الثامن حوادث سنة ٢٩٦ و ما بعدها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٣١

يزيدك علما بذلك ان للفرس و الروم و الهند محاسن و مناقب لا يسترها اعداؤهم من المسلمين و لا يكتُمونها و إن ساءتهم، و كذا ما للمسلمين و العرب من المحاسن و المناقب لا يدفعها اعداؤهم من هذه الامم، و لملوك بنى أمية مساوي و هفوات كانت مذكرة متداولة في ايامهم و في سلطانهم، و كذا لملوك / بنى العباس، و لملوك بنى أمية محاسن لا يدفعها اعداؤهم من ملوك بنى العباس. فاعرف هذا الباب و اطل فكرك فيه لتعرف غلط الملحده، و تعرف بطلان دعاوى الشيع ان المصدر الاول من المسلمين غيروا النصوص و القرآن، فبدلوا و وضعوا ما لم يكن، و نسبوه الى النبي صلى الله عليه و سلم، و أخذه عنهم التابعون، و صار فيمن بعدهم من العلماء و طبقات المتكلمين و الفقهاء فظنوه ديننا و ليس كذلك. و أن هذه الحيلة قد تمت على المعتزلة و الفقهاء و على اصحاب الحديث و المرجئة و الخوارج، و خفي عليهم موضع الحيلة في ذلك، و أن سلطان ابى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم غطى ذلك و منع من ذكره، و أن عليّ ابن ابى طالب رضى الله عنه لما ملك سلك سبيل الخلفاء و قبله و ما امكنه إظهار تضليلهم الى ان خرج من الدنيا، لأن اعوانه و جنده كانوا شيعة ابى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم فلو أومى الى تضليلهم لقتلوه و أبادوه، فالحجة في بطلان دعاويهم هذه كالحجة على الملحده و جميع اعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم. على ان هذا الطعن على السلف انما وضعه لهم الملحده الذين قدمنا ذكرهم فلكلهم كتب في نصره دعاوى الرافضة على المهاجرين و الانصار، و هم خدعهم و لقنهم هذه المطاعن لفرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فتمت حيلتهم عليهم و هم لا- يشعرون. على انهم لا- ينفصلون عن مطاعن الملحده على رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أقاموا على بدعهم هذه، و الحجة عليهم اكثر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٣٢

منها على كل مبتدع، كما ان الحجة على الشيع اكثر من هذا.

ثم عدت الى اليهود و النصارى فيما ادعوه من الصلب و غيره مما [قدمنا] «١» / فليل لهم: إذا كان العلم بذلك قد شاع في الامم و علمه العقلاء الذين سمعوا به [لكان] «٢» محمد صلى الله عليه و سلم و من كان في زمانه من الامم [الذين] «٣» صدقوه و اعتقدوا نبوته قد علموا ذلك لا محالة فكيف ادعى ان ذلك لم يكن، و هل يفعل هذا عاقل كائنا من كان، فكيف يعاقل يدعى النبوة و الصدق و يريد من الامم كلها تصديقه و اتباعه و هو اشد الناس حرصا على اجابتهم. و كيف اتبعته تلك الجماعات من قريش و الأوس و الخزرج و اليهود و النصارى مع كثرتهم في جزيرة العرب، و هم يسمعونه يكذب و يبهت و هو يعلم انهم يعلمون انه قد كذب في ذلك، و هذا لا يكون مثله و لا يقع من العقلاء. و من تدبر الأمور يعلم جهل من ادعى علم اليهود و النصارى بما قدمنا بأدنى تأمل، و كيف لم يجر في هذا قول معه فيقول له اعداؤه من قريش و غيرهم: ادعيت الصدق و النبوة ثم كذبت الكذب الظاهر و بهت الأمم البهت المكسوف، فقلت:

المسيح لم يقتل و لم يصلب، و هذه الامم كلها تعلم ذلك علما لا يرتاب به كما تعلم ان موسى و عيسى كانا فى الدنيا، و من كانت هذه سبيله لم يصدقه عاقل و لم يكن له رئاسة، و كيف لم يقولوا لمن اتبعه: يا هؤلاء، اكفرتم آباءكم، و ضللتكم اسلافكم، و انفقتم اموالكم، و عاديتكم ملوك الارض و جابرتها و جميع الامم، و سفكتم دماءكم فى طاعة كذاب قد عرفتم كذبه و بهته. و قد قيل لبعض مجادلى اليهود و نظارهم ممن قد قرأ الكتب، و اكثر الاختلاف الى العلماء و كتب كتبهم، و ادعى انه يتقدم على / علمائهم من اهل

(١) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

(٢) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

(٣) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٣٣

عصره: أليس انما يعرف الاخبار من تأخر عن تقدم؟ فقال: بلى، قالوا له: أليس اليهود الذين كانوا مع محمد صلى الله عليه و سلم و فى زمانه قد علموا ان موسى قد قال إن شريعته مؤبده؟ فقال بلى: فليل له: فلم لم يقولوا لمحمد أنت قد زكيت موسى و صدقته و و ثقته و هو قد قال و وصى بأن شريعته مؤبده؟

و فى هذا كفاية فى كذبك و بطلان قولك، و هذا امر ظاهر بين يستدركه رعن النساء فضلا عن عقلاء الرجال، فأين كانوا عنه و قد خرجوا معه و فى عداوته الى شذائد الامور، من شتمه و هجوه و الغدر به و مساعدة قريش فى محاربه و بذل الاموال و المهج فى مكارهه؟ فقال: قد قالوا ذلك له و أقاموا الحججة به عليه، فليل له: من اين لك العلم بهذه الدعوى؟ فقال: قد علمت ذلك، فليل له: فلم لم يعلمه خصومك كما علمته؟ فقال: مجته الاسماع، فليل له: ما تزيد على الدعاوى: فإنك ادعيت ان ذلك قد كان، فليل لك من اين لك العلم به و لم لا علمه خصومك؟ فادعيت ان الاسماع مجته، فانتقلت من الدعوى الى دعوى، و قرنت الدعوى بدعوى، و لا فرق بين دعواك هذه و بين دعوى من ادعى ان اليهود حين قالوا هذا له أحيا الله موسى و هرون و أظهر على ايديهما الآيات و المعجزات فكاشفا محمدا و شافهاه و أقاما الحججة عليه بمشهد من اليهود و من اصحابه، و ان ذلك قد كان و علم و لكن مجته الاسماع، فما اتى بشيء.

و اعلم ان اقوى حجج اليهود هو دعواهم ان موسى نص على ذلك و وصى به و قد مر / لك الكلام عليه من غير وجه فما يحتاج فى الرد على اليهود اكثر منه.

فإن قيل: فأنتم قد طالبتهم هذه الطوائف التى ادعت هذه الدعوى و ادعت العلم بها، فقلتم لليهود و النصارى: لو كان علمكم بالصلب لهذا الشخص

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٣٤

قد حصل لكم ياخبار جماعات كثيرة شاهدت ذلك لعلنا ذلك بخبركم و بسماعنا منكم كما علمتم ياخبارنا لكم قتل جعفر و حمزة و عمر و عثمان و على رضى الله عنهم، و قلتم: لو نصّ موسى النص الذى تدعونه و كنتم قد علمتم ذلك ياخبار الجماعات لكم لعلنا ذلك بخبركم كما علمتم ياخبارنا اياكم عن نبينا ان شريعته مؤبده. و قلتم للامامية و طبقات الرفضه: لو كان النبى نص على ما تدعون و وصى امته بذلك و فرضه عليهم، و كان اعتقادكم لذلك علما حصل لكم من قبل الجماعات التى اخبرتكم بذلك، لعلنا ذلك ياخباركم ايانا و سماعنا منكم كما علمتم و علمنا نص عمر على اهل الشورى، و كما علمتم و علمنا نص اهل المدينة على الامام على رضى الله عنه بالخلافه بعد عثمان، و كما علمتم و علمنا نص ابى بكر على عمر، و نصّ معاوية على يزيد، و نص عبد الملك على الوليد، و نص المنصور على المهدي، فلم لا علم لليهود و النصارى و الرفضه ان هذه الامور لم تكن كما علمتم.

قيل له: لو كانت، ل جاءت مجيء امثالها مما ذكرناه و تحصل العلم بها لنا كحصوله في تلك الأمور، و إنما يعلم ان ذلك لم يكن بما يستدل به كما استدللنا، و من لم يستدل جاز ان يعتقد ان ذلك قد كان و إن لم يكن لتركه النظر و الاستدلال، و يكون اعتقاده لذلك ليس بعلم و خبره ليس بصدق و إن ظنه علما و صدقا.

و لسنا ندعى على هذه الطوائف انها كلها/ قد علمت و كابرت، و هذا يكون الاصل فيه ان يخبر به الواحد و الاثنان او النفر القليل، فيقولون:

أخذنا هذا عن جماعات كثيرة فيصدقهم من سمعهم و بحسن الظن بهم، و يأتي «١» من بعد هؤلاء فيصدقهم، و يكثر من يعتقد ذلك، و يقول: من

(١) في الاصل: و يأتي

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٣٥

قبلي قد اخذ هذا عن جماعات، فتكثر اهل هذه الدعاوى بعد ذلك و يغترون بكثرتهم.

و ربما كان اصل المقالة تأويل آية من كتاب او من قول من يقتدى به فيعتقد التالي له انه نص فيقول: قد نص موسى او عيسى او محمد صلى الله عليهم على كذا في آية كذا في يوم كذا و يذكر ذلك القول. و ذاك القائل ما اراد بقوله ما اراده هذا المتأول و لا قصد قصده. مثل ما اولت القرامطة في قوله تبارك و تعالى «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» قالوا: فقد أخبر أن من دخل مكة يأمن من القتل و الخوف و نحن نرى الناس فيه يخافون و يقتلون، فقد ظهر كذبه، فإننا قد قتلنا المسلمين فيه، و لكن اتباع محمد صلى الله عليه و سلم حمير لا يعقلون «٢». و الله تبارك و تعالى ما اراد ما ظنوا، و لا هذا خبر و إن كان لفظه لفظ الخبر، و إنما هو امر بأن من دخله فينبغي ان يؤمن و لا يخاف و لا يحل لأحد ان يخيفه. و هذا مثل قوله «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ» «٣» و ما اشبهه، فإن ظاهر هذا الخبر و معناه الامر، أى يجب على المطلقة ان تتربص، و على الوالدة ان ترضع. و لكن الباطنية يقصدون البوادي و العجم و من لم يشتغل بالعلم فيخدعونهم بأنواع الخدائع، و يحلفونهم على كتمان ما يسمعون، فيغترون بهم. و هم افسدوا من بالبحرين، و كان ابتداء امرهم معهم التشيع، ثم رقومهم درجات الى ان جاءوهم و جاهروهم/ بتكذيب الأنبياء، فصار بتلك النواحي عداوة الاسلام مناكدة الى هذه الغاية.

و لإفراط جهل هؤلاء ما تم عليهم، و لإفنى نص القرآن جواز القتل

(١) آل عمران ٩٧

(٢) ان القاضي كعادته يستعرض أقوال الخصوم و افتراءاتهم مهما كان فيها من إيذاء للمسلمين ليرد عليها بعد ذلك.

(٣) البقرة ٢٢٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٣٦

في المسجد الحرام. أ ما تسمع قوله عز و جل «وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» «١» فأى شأن أبين من هذا.

و مثله قوله عز و جل: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» «٢» و قد قتل قوم ممن آمن بالنبي صلى الله عليه و سلم قبل الهجرة و قتل فيه منهم قبل الفتح، و قد قتل هو صلى الله عليه و سلم يوم الفتح فيه قوما، و الأمر في ذلك ظاهر، و لا يذهب مثل هذا إلا على الغاية في الغافلة. فإن كان الامر على ما ظنه هؤلاء الجهال، فكيف لم تقل قريش و العرب و اليهود و النصارى و أعداء رسول الله الذين كانوا معه و هم في طلب عثرة تكون له مثل ما قاله هؤلاء الجهال و أنكروا عليه ذلك.

و مما قاله هؤلاء الزنادقة أيضا: أن محمدا قد رجع عما كان يدعيه من اليقين في امره و أظهر الشك بقوله في كتابه: «و ما أدري ما يُفعلُ بي و لا بكم» (٣) و قال: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» (٤).
ف قيل لهم: إن كان أفاد بهذا الذي ظننتم، فلم لا كان أعداؤه من قريش و الأعراب و اليهود و النصارى انكروا ما انكرتم؟
و كذا نقول لمن قال: إن اصحاب محمد صلى الله عليهم و سلم ارتد و ابعده، ف قيل له: من أين لك هذا؟ قال من نص القرآن لأنه قال: «أفان مات

(١) البقرة ١٩١

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) الاحقاف ٩

(٤) يونس ٩٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٣٧

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» (١)، فيقال له: أنت اسوأ حالا- في هذا من اولئك، لأن هذا ليس بخبر و لا ظاهره الخبر، و انما ظاهره الاستفهام، و الله لا يستفهم لأنه بكل شيء عليم، و انما المراد به التثبيت و التنبية كما قال:
«و ما جعلنا ليشرٍ من قبلك الخلد أ فإن ميت فهُمْ الخالدون» (٢) اى لا يخالدون و لا ينبغي / لهم الخلود، و كذلك اولئك لا يرتدون و لا ينبغي لهم ان يرتدوا. و لما قال بعض المبتدعة بالتشبيه، و تأولوا النصوص قلنا لهم هذا.
و قد كثرت البدع و الكذب على الأنبياء بما لم يقولوه و لا- أرادوه، و يدعون المبتدعة أن لهم سلفا امثالهم حتى يتصلوا بالانبياء فتغرم كثرتهم و تغرم زعمائهم.
على ان النصارى لو رجعت الى أخبارها و الى ما فى أنجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسح، اذا كانت هذه الأناجيل معولهم.

لأنهم لما انتهوا الى ذكر المقتول المصلوب و الصلبوت قالوا: إن اليهود (٣) قصدوا فى خميس الفسح الى هيريدس صاحب فيلاطس ملك الروم، و قالوا:

هاهنا رجل منا قد أفسد أحداثنا و غرهم و لنا عليك فى الشرط ان تمكننا ممن هذه سبيله لننفذ حكمنا فيه؛ فقال لأعوانه: اذهبوا مع هؤلاء فهاتوا خصمهم، فخرج الاعوان مع اليهود فصاروا بباب هذا السلطان، فأقبل اليهود على الأعوان فقالوا لهم: هل تعرفون خصمنا فقالوا: لا، فقال اليهود

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) الأنبياء ٣٤

(٣) جاء فى الحاشية: «فى كيفية صلب اليهود رجلا على انه المسيح»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٣٨

و لا نحن نعرفه، و لكن امشوا معنا فإننا لا نعدم من يدلنا عليه.

فمشوا، فلقيهم يهوذا سرخوطا و كان احد خواص المسيح و ثقاته و كبار اصحابه واحد الاثنى عشر، فقال لهم: أ تطلبون يسوع الناصرى قالوا:

نعم، قال: فمالى عليكم إن انا دللتكم عليه؟ فحل بعض اليهود عن دراهم كانت معه فعد ثلاثين درهما و سلمها إليه و قال: هذه لك.

فقال لهم: هو كما قد علمتم صديقي و أستحي ان اقول هذا هو، و لكن كونوا معي و انظروا الى الذى اصافحه و أقبل رأسه، فاذا أرسلت يدي من يده فخذوه.

فساروا معه و قد كثر الناس بيت المقدس و اجتمعوا إليه لإقامة هذا العيد من كل مكان فصافح يهوذا سرخوطا رجلا و قبل رأسه / و أرسل يده من يده و غاص فى الناس، فأخذه اليهود و الاعوان، فقال المأخوذ: ما لكم ولى؟
و جزع جزعا شديدا؛ فقالوا له: السلطان يريدك، فقال: مالى و للسلطان؟

فجاءوا به فأدخلوه على هيريدس و قد طار عقله خوفا و جزعا و هو يبكي فما يملك نفسه، فرجمه هيريدس لما رأى به من الخوف، فقال لهم: خلوا عنه، و استدناه و اقعده و بسطه و سکن منه و قال له: ما تقول فيما يدعى هؤلاء عليك من انك المسيح ملك بنى اسرائيل، هل قلت هذا او دعوت إليه؟

فأنكر ان يكون قال هذا او ادعاه و مع هذا فما يسكن قلبه، و هيريدس يسكنه و يقول له: اذكر ما عندك [من حجة «١»] إن كان لك، فلا يزيد على إنكاره و انه لا يقول ذلك، و انهم هم الذين يقولون ذلك لا هو، و انهم قد ظلموه بهذه الدعوى و تقولوا عليه، فقال هيريدس لليهود: ما أراه

(١) فى الاصل: و حجة، و لعل الصواب ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٣٩

يوافقكم و لا يقول ما تدعونه و ما أراكم إلا متقولين عليه ظالمين له، هاتم الطست و الماء لأغسل يدي من دم هذا الرجل.
و وجه فيلاطس ملك الروم الكبير الى هيريدس يقول له: بلغنى ان اليهود رفعوا إليك خصما لهم فيه أرب و معرفه فأنفذه الى لأفاته و أنظر ما عنده، فأنفذه إليه؛ فأدخل على فيلاطس و هو فى حالة من الجزع و الخوف و الفلق، فسكنه الملك و سأله عما ادعاه عليه اليهود من انه المسيح، فأنكر ان يكون قال ذلك و لم يزل يسأله و يباسطه ليدكر ما عنده و ما معه و ليسمع منه حكمة او يستفيد منه أدبا او وصية فما وجد عنده شيئا، و لا زاده على القلق و الخوف و الجزع و البكاء و الانتخاب فرده الى هيريدس و قال له: ما وجدت فى هذا الرجل ما قيل فيه و ما عنده خير، و نسبه الى النقص / و الغباء، فقال هيريدس: الآن هو الليل فاذهبوا به الى الحبس، فذهبوا به.
فلما كان من الغد بكر اليهود و أخذوه و شهروه تلك الشهرة، و عذبوه و نالوه بأنواع العذاب، ثم ضربوه فى آخر النهار بالسوط، و جاءوا به الى مبطنه و مبقلة «١» و صلبوه و طعنوه بالرمح ليموت بسرعة، و ما زال يصيح بأعلى صوته و هو مصلوب على خشبة: يا إلهى اخذلتنى؟ يا إلهى لم تركتنى؟

الى ان مات. و ان يهوذا سرخوطا لقي اليهود و قال لهم: ما ذا صنعتم بالرجل الذى اخذتموه امس؟ قالوا: صلبناه، فتعجب من هذا و استبعده، فقالوا له:

قد فعلنا، و إن اردت ان تعلم ذلك فصر الى المطبخ الفلانية، فصار الى هناك، فلما رآه قال: هذا دم برىء، هذا دم زكى، و شتم اليهود، و أخرج الثلاثين درهما الذى اعطوه دلالة فرمى بها فى وجوههم و صار الى بيته

(١) المبطنه مكان البطيخ، و المبقلة مكان البقل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤٠

فخنى نفسه «١».

(١) نثبت هنا ما جاء فى الاناجيل حول ما عرضه القاضى من تسليم يهوذا للمسيح، و الاشارة التى اعطاها لهم ليتعرفوا عليه، و ما جرى

بعد ذلك من اخذه الى هيرودس و بيلاطس، و ما دار بين السيد المسيح و هؤلاء من حديث، و لا نريد ان نعلق على ما نوره و انما سنكتفى بوضع هذا كله امام القارئ ليقارن و يتدبر. ما ورد حول تسليم يهوذا للمسيح: «حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر (اصحاب المسيح) الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى الى رؤساء الكهنة و قال:

ما تريدون ان تعطونى و أنا اسلمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة، و من ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه». متى، الاصحاح ٢٦، الفقرات ١٤ و ١٥ و ١٦. «ثم ان يهوذا الاسخريوطى واحدا من الاثنى عشر مضى الى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، و لما سمعوا فرحوا و وعدوه ان يعطوه فضة» مرقس، الاصحاح ١٤ الفقرات ١٠ و ١١. و مثل ذلك فى انجيل لوقا، الاصحاح ٢٢ فقرات ٣ و ٤٥: «و كان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه. فأخذ يهوذا الجند و خداما من عند رؤساء الكهنة و الفريسيين و جاء الى هناك بمشاعل و مصاييح و سلاح. فخرج يسوع و هو عالم بكل ما يأتى عليه و قال لهم: من تطلبون؟ اجابوه: يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: انا هو، و كان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم. فلما قال لهم انى انا هو رجعوا الى الوراء و سقطوا على الارض. فسألهم أيضا من تطلبون فقالوا:

يسوع الناصرى، فأجاب يسوع: قد قلت لكم انى انا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون» يوحنا، ١٨: ١-٨. و أورد انجيل لوقا حادثة القبض على المسيح على النحو التالى:

«و بينما هو يتكلم اذا جمع و الذى يدعى يهوذا واحدا من الاثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع: يا يهوذا بقبلة تسلّم ابن الانسان. ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة و قواد جند الهيكل و الشيوخ المقبلين عليه كأنه على لص: خرجتم بسيف و عصى. اذ كنت معكم كل يوم فى الهيكل لم تمدوا على الايدى و لكن هذه ساعتكم و سلطان الظلمة». لوقا، الاصحاح ٢٢:

٤٧-٥٣. مع بيلاطس و هيرودوس: «فقام كل جمهورهم و جاءوا به الى بيلاطس. و ابتداءوا يشتكون عليه قائلين: انا وجدنا هذا يفسد الامة و يمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك، فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجابه و قال: أنت تقول، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة و الجموع: انى لا أجد علة فى هذا الانسان، فكانوا يشددون قائلين: انه يهيج الشعب و هو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا. فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل: هل الرجل جليلي؟ و حين علم انه من سلطنة هيرودوس ارسله الى هيرودوس اذ كان هو أيضا ملك الايام فى اورشليم. و أما هيرودوس لما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل ان يراه لسماعه عنه اشياء كثيرة و ترجى ان يرى آية تصنع منه و سأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء، و وقف رؤساء الكهنة و الكتبة يشتكون عليه باشتداد فاحتقره هيرودوس مع عسكره و استهزأ به و ألبسه لباسا لامعا و رده الى بيلاطس ... فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة و العظماء و الشعب-

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤١

فانظر كم فى هذا من عجب:

منها إقرار اليهود و الروم انهم ما عرفوه، و اخرى ان الذى دلّ عليه لو كان ظاهر العدالة لما عرف بخبره و لا بشهادته شىء، و اخرى جزعه و قلقه و إنكاره، و لو كان هو المسيح لأخبر بذلك و لقال: انا هو الذى بشر بى الأنبياء، و انى كذا و كذا، سيما و الحاكم بينه و بين اليهود ملك الروم و هم اعداء اليهود، و كان قد اقام الحجّة عليهم، هذا لو كان نبيا «١»، فكيف و هو عند النصارى إله، فإن الأنبياء يبدؤون الدعوى و الحجّة عند من لم يسأل ذلك فكيف بمن يسأل و يرغب إليهم.

و أخرى ان يهوذا سرخوطا قال: هذا دم برىء، و برىء منهم ورد الدراهم و رجع الى بيته و قتل نفسه ندما على ما كان منه. فقلنا للنصارى:

فكم فى هذا من دلالة على ان المقتول المصلوب غير المسيح، فأنتم لا-الى/ حجج العقول ترجعون، و لا-الى ما كتبتم و سطرتم تتدبرون، و لا على ما نعلم تعولون، و لكنكم تمشون مكين على وجوهكم.

و فى الانجيل معهم ان المسيح اخذ صندوقا يخزن فيه الذهب و الفضة و كان خازنه يهوذا سرخوطا الساعى به، و ان امرأة زانية اهدت

إليه طيبا

- و قال لهم: قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب و ها انا قد فحصت قدامكم و لم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه و لا هيرودوس أيضا. لوقا، الاصحاح ٢٣: ١- ١٥.

«و فى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ألولى ألولى (و فى انجيل متى ايلى ايلى: اى الهى الهى) لم سبقتنى، الذى تفسيره الهى الهى لما ذا تركتنى. فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا:

هو ذا ينادى ايليا (و فى انجيل يوحنا: انا عطشان) فركض واحد و ملأ اسفنجة خلا و جعلها على قصبه و سقاه» .. مرقس، ١٥: ٣٣- ٣٥.
(١) فى الاصل: نبى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤٢
قيمته ثلاثمائة دينار، و جعلت تمسح به قدميه و تمسح شعرها بأسفل قدميه، و ان شمعن جاء و أنكر ذلك عليه، و قال: هذا سرف و فساد، و كان ينبغى ان تتصدق بثمان هذا على الفقراء «١».

ولهذا ما قالت طائفة من اليهود ان يسوع «٢» بن مريم هذا الذى يعتقد المسلمون و النصرى ربويته الذى صلب و قتل هو ابن يوسف النجار، و هو رجل من اليهود برّ تقى صارت له رئاسة فى اليهود، فحسده بعضهم للرئاسة و سعى به و أذله الى ان قتل مصلوبا. و هو ما ادعى ما يقوله النصرى و لا ما يقوله المسلمون من انه المسيح و انه نبى. قالوا ألا ترون انه قد سئل عن ذلك عند هيريدس و عند فيلاطس و أنكر ذلك كله، و لو كان نبيا لاحتج بحجة و آيات، و البشارات به و أنه مولود من غير ذكر.

قالوا: و مما يؤكد هذا، ان النصرى قد كتبت فى انجيلهم ان يسوع هذا قال لأصحابه: ما يقول الناس فىّ؟ قالوا: منهم من يقول: إنك إلبا و منهم من يقول: انك يوحنا الصانع، قال: فأنتم اصحابى ما تقولون فىّ و من انا عندكم؟ قالوا: الذى عندنا انك المسيح، قال: لا تقولوا هذا.

قالت هذه الطائفة من اليهود: أ ما ترونه قد نهاهم ان يقولوا «٣» انه المسيح، فما الذى يبقى بعد هذا من البيان. قالوا: و قد خصمه اليهود ثلاث سنين، و رفعوه الى الملوك فما حصل عليه إقرار انه ادعى انه المسيح

(١) انجيل متى الاصحاح السادس و العشرون.

(٢) ورد اسم المسيح عليه السلام على اشكال متعددة، فقد رسم اسمه احيانا: يسوع، و احيانا يشوع و احيانا اخرى ليسوع، و قد اثبتناها جميعا يسوع لشهرة هذا اللفظ.

(٣) فى الاصل: يقولون

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤٣

و لا انه نبى، و لا شهد عليه بذلك وليه/ و لا عدوه. و الآيات و المعجزات التى تدعيها النصرى له لا أصل لها ما ادعاها هو و لا احد من اصحابه فى زمانه و لا فى الفرق الذين يلونهم، و إنما ادعى له ذلك بعد مضيه و مضى أصحابه بالأزمان و الأحقاب، كما ادعت النصرى ذلك لبولص اليهودى «١» و هو معروف الحال و الحيل و الكذب و السقوط، و كما ادعوا ذلك لجورجس «٢» و الابامرقس «٣»، و كما يدعون فى كل زمان لرهبانهم و رواهبهم و كله لا أصل له. فاحفظ رحمك الله هذا فانه يؤكد الحال فى ان المسيح لم يصلب، و أن المصلوب غيره صلى الله عليه، و هو شديد على النصرى من كل وجه.

و فى الانجيل ان المسيح كان قائما فى ناحية فى موضع الصلب، و أن مريم أم المسيح جاءت الى الموضع فنظر إليها المصلوب فقال لها و هو على الخشبة:

هذا ابنك، و قال للمسيح: و هذه امك، و أن مريم اخذت بيده و مضت من بين الجماعة «٤».

و فى الانجيل أيضا ان المسيح مات من غير ان يمسه شىء، و فيه ان امرأة سامرية قالت للمسيح: أنت رجل يهودى و نحن لا نسقى اليهود الماء، فقال

(١) يقصد بولس، الشهير بالرسول فى تاريخ النصرانية و قد مر سابقا.

(٢) يقصد مار جرجس، الذى تنسب له النصرانية عددا من الخوارق، و تعتبره كنيسة انكلتره حاميا لها و كذلك تفعل كنيسة روسيا. و يظن انه ولد فى الرملة من فلسطين فى النصف الاخير من القرن الثالث للميلاد و يقال انه مات سنة ٣٠٣ م. دائرة معارف البستاني ٦: ٤٢٧

(٣) اسمه العبرانى يوحنا، و اسمه اليونانى مأخوذ عن الرومانى مرقس، يقال انه ابن اخت برنابا اللاوى القبرصى، و تقول كتابات الآباء المسيحيين انه كان مترجما لبطرس. انظر القول الصريح فى سيرة يسوع المسيح، ص ١٣ جورج فورد.

(٤) جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح ١٩-٢٦: «فلما رأى يسوع أمه و التلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه: يا امرأة، هو ذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هو ذا امك».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٤٤

لها: صدقت أيها المرأة فى جميع ما قلت.

و فيه أن المسيح قال لأصحابه: إن الكهنة و الربانيين جلسوا على كرسى موسى و هم يفتونكم فاقبلوا منهم فتياهم و لا تعملوا مثل أعمالهم، فإنهم يقولون و ما يعملون.

و فيه ان مريم المجدلانية و مريم الاخرى إنما امتنعنا من بعثه الطيب لسيدنا المسيح يوم السبت للسنة فى حفظ السبت.

و فيه ان المسيح قال: شبهت جلوس هذه القبيلة السوء بصبيان جلوس فى السوق يناديهم اصحابهم: غنينا لكم فلم ترقصوا و نحنا لكم فلم تبكوا، اناكم يحيى لا يأكل و لا يشرب / فقلتم: لا يأكل و لا يشرب، و اناكم من البشر اكل شروب فقلتم: اكل شروب يدخل بيوت الزناة و يجالس الخطائين.

و فيه انه مرّ «١» على شمعون الصفا فقال له: يا شيطان.

و فيه أنه قال لبنى إسرائيل: يا حيات، أولاد الافاعى، تقرأون الكتاب و لا تعقلون، تغسلون خارج الإناء و داخله مملوءة قدرا، تطلبون البر و البحر و السهل و الجبل صاحبا لكم، فلو أوجدتموه علمتموه طرائقكم حتى يصير شرا منكم، فلا أنتم دخلتم ملكوت السماء، و لا تركتم الناس يدخلون ملكوت السماء اذ لم تدخلوا.

فإن قال قائل: لعمري قد تبين ان النصرارى قد قالت فى عيسى بن مريم عليه السلام: انه ليس بنبى و لا رسول لله و لا بعبد صالح، و انه إله

(١) فى الاصل مرة، و لعل الاصح ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٤٥

و رب و خالق و رازق، و ان الله ثالث ثلاثة، و انه قتل و صلب. و قد قال صاحبكم فى كتابكم: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» «١» فقالت النصرارى: فهذا كذب، فانا و إن قلنا فيه انه إله فما قلنا فى أمه انها إله.

قيل له: ما خبر عنهم انهم قالوا ذلك، و ما هاهنا خبر فيقع فيه صدق او كذب، و إنما قال «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و ليس هذا خبرا، و لا من لا يعرف من العربية قليلا و لا كثيرا، و إنما ظاهر هذا القول الاستفهام و الاستعلام، و الله جل ثناؤه

لا يجوز عليه ذلك، لأنه إنما يستعلم و يستفهم من لا يعلم ما استفهم و سأل عنه، و إنما معناه التقرير لاستخراج الجواب من المسئول. و هذا كقوله لموسى صلى الله عليه: «وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى» (٢) و هو عز و جل اعلم بذلك من موسى. و لقوله لإبليس: «مَا مَنَعَكَ / أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» (٣) و اذ أمرك، و هو عز و جل اعلم من إبليس بالمانع له فقال للمسيح: هل قلت هذا في نفسك او في امك الوالدة لك و هى اخص الناس بك و أوجبهم حقاً عليك و أجلبهم عندك، لتبين براءة ساحته عليه السلام من كل وجه. فقد بطل ما ظنه السائل من ان هذا خبر و هذا جواب شاف كاف.

و أيضاً ففي النصارى من قد قال بمعنى هذا و ان لم يصرح بلفظه، لأنهم قالوا إن مريم صفت حين قبلت الجوهر الإلهي و ولدته، و كل جوهر لا يقبل

(١) المائدة ١١٦

(٢) طه ١٧

(٣) الاعراف ١٢، و قد اثبتت القراءتين: اذ امرتك و اذ امرك

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٤٦

إلا ما في جوهره و سنخه «١» و لا يلد إلا ما في جوهره، و هذا جواب ثان بين نيران فيهم من قد صرح بذلك. و هذا بين في كتب البيعة الموجودة بكور الالهواز و غيرها من كور العراق بالقلم السرياني، و قد ترجم منه في رسالة كتبها عبد يسوع بن بهرين اسقف حران و الرقة و المصير بعد ذلك مطرانا على الموصل و الجزيرة الى قس يعقوبى يقال له بادوس: أنت لا تنكر ان البتول الطاهرة إله كما تراه أنت، بل إنسان كما نراه نحن».

و هذا تصريح من هؤلاء بأن مريم إله و النسطورية تخالفهم في ذلك و تجادلهم، و هذا بين و انما ينكره من لا يعرف أقاويل النصارى و حقيقة النصرانية.

و على ان هذه الطوائف الثلاث منهم من يقول في مريم انها أم المسيح بن الله في الحقيقة و والدته في الحقيقة، لا أم لابن الله الالهى، و لا والدة لابن الله غيرها، و لا أب لابنها إلا الله، و لا والد لابنها إلا الله، و ان الله اختارها لنفسه و لولادة ولده و ابنه من سائر النساء، و لو كانت كسائر النساء/ لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، و انما اختصت بهذا لأنها حبلت بابن الله و ولدت ابن الله الذى لا ابن له فى الحقيقة إلا هو و لا ولد له إلا هو، و أنها على العرش جالسة عن يسار الرب والد ابنها، و ابنها عن يمينه. و هم يدعونها و يسألونها سعة الرزق و صحة البدن و طول العمر و غفران الذنوب، و ان تكون لهم عند ابنها و والد ابنها سورا و سنداً و ذخراً و شفيعاً و ركناً. فلو ان انساناً عظماً انساناً عشر هذا التعظيم و قال فيه عشر هذا القول لجاز في

(١) السنخ: الاصل، و من السن منبته، و من الحمى سورتها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٤٧

لغة العرب بل فى كل لغة ان يقال قد اتخذه إلهاً. ألا ترى الى قول الله تعالى «اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَ رُهبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» (١) و هم ما صاموا لهم و لا- صلوا و لكن قلدوهم، فحرموا عليهم الحلال فحرموه، و أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، و هذا دون ما قالوه فى مريم.

و فى هذا المعنى قوله صلى الله عليه و سلم: «تعس عبد الدنيا و تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة» (٢) لما غلب عليه حب ذلك و شغفه به صار كالعبد له، فلو لم يكن معنا تلك النصوص فيمن قال منهم إنها إله فكان معنا خبر و نص أنهم ما قالوا انها إله لجاز مع هذا التعظم ان يطلق، فكيف و ما اخبر انهم ما قالوا انها إله، و لقد عظموها و رفعوها على الملائكة و الأنبياء و قالوا فيها ما يقال فى

الإله، و سألوها ما يسأل الإله من العافية والكفاية في الدنيا والآخرة كما قد تقدم لك ذلك حتى ان يعقوبية لتقول في مناجاتها لمريم عليه السلام:

يا مريم يا والدة المسيح كونى لنا سورا و سندا و ذخرا و ركنا، و النسطورية تقول: يا والدة المسيح كونى لنا كذلك، و يأنون مسألة يعقوبية و يقولون لليعقوبية: لا تقولوا/ يا والدة الله و قولوا يا والدة المسيح، فتقول يعقوبية لهم: فالمسيح عندنا و عندكم إله فى الحقيقة فأى فرق بيننا و بينكم فى معنى هذا، و لكنكم أردتم ان تمخروا عند من لا- يعرف هذا من قولنا و قولكم فتوهمونه انكم تنتزهون عن هذا و أنكم تقاربون المسلمين فى التوحيد.

و اعلم ان أفجاج النصارى يعتقدون ان الله اختار مريم لنفسه و لولده

(١) التوبة ٣١

(٢) حديث تعس عبد الدنيا نار، هداية البارى الى ترتيب احاديث البخارى ١: ٣١٤ فى كتاب الجهاد باب الحراسة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤٨

و تحظاها كما يختار الرجل المرأة و يتحطاها لشهوته لها، و قد حكاها النظام و الجاحظ، و قال: إنما يفصحون بهذا عند من يثقون به. و قد قال ابن الإخشيد هذا عنهم فى «المعونة» و قال: إليه يشيرون، ألا ترى انهم يقولون لو لم يكن والدا لكان عقيما و العقم آفة، و هذا قول جميعهم و الى البضع يشيرون. و أنت تجد ذلك فى كتاب «المعونة» «١» و فى كتاب الجاحظ على النصارى، و أظن ابا جعفر الإسكافى قد ذكر هذا فى كتابه على النصارى، و كل من خالط الرهبان و أرباب البيع و طاولهم و أنسهم عرف ذلك منهم.

فإن قال قائل: ادعيتم ان هذه الطوائف قد خالفت المسيح فى الأصول و الفروع و قد عرفنا بما ذكرتم مخالفتهم له فى الاصول فمن اين لكم انهم قد خالفوه فى الفروع؟ قيل له: كان المسيح يتدين بالطهارة، و بغسل الجنابة، و بوجوب غسل الحائض، و هذه الطوائف لا- تختلف بأن ذلك ليس بواجب، و ان للانسان ان يصلى و هو غير مطهر و غير مستنج، و يصلى و هو جنب، و لا يختلفون فى ان الجنابة و البول و الغائط و غير ذلك لا يقطع الصلاة، و ان المصلى له ان يصلى و هو يبول و هو يتغوط و هو يجامع و ان كان الجماع فى زنى، فما هذا شىء يقطع الصلاة و لا يفسدها/ بل الافضل عندهم ان يصلى و هو جنب و هو يتغوط و يبول و يضطر، لأن ذلك ابعد من صلاة المسلمين و اليهود، و كل هذا خلاف صلاة المسيح.

و كان المسيح يقرأ فى صلاته ما كان الأنبياء و بنو اسرائيل قبله و فى زمانه، و فى زمانه يقرءون من كلام الله و من قول الله من التوراة و من زبور داود،

(١) المعونة: اسم كتاب لأبى الاخشيد و هو: احمد بن على، يتكلم على مذهب المعتزلة، و له آراء خاصة يخالف بها الكثيرين منهم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٤٩

و هذه الطوائف من النصارى انما تقول فى صلاتها كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون و يصلون بهم، فجرى مجرى النوح و الأغاني فيقولون: هذا قداس فلان، ينسبونه الى الذين وضعوه.

و هم يصلون الى المشرق و ما صلى المسيح الى ان توفاه الله إلا الى المغرب و بيت المقدس، و قبله داود و الأنبياء «١» بنو اسرائيل، و قد اختتن المسيح و اوجب الختان كما اوجبه من قبله موسى و هارون و الأنبياء، و ما صام هو و اصحابه الى ان خرج من الدنيا الا اليوم الذى صامه بنو اسرائيل.

فأما هذه الخمسون يوما التى تصومها النصارى، و صوم نينوى، و صوم العذارى، فما صام شيئا منها قط، و لا اكل فى الصوم ما يأكلونه، و لا حرم فيه ما يحرمونه، و لا اتخذ يوم الاحد عيدا قط، و لا بنى بيعة قط، و لا عطل يوم السبت ساعة واحدة، و لا اكل خنزيرا قط بل

حرمه و لعن أكلته كما فعل الأنبياء قبله.

و النصرارى تزعم انه رقى مريم المجدلانية فأخرج منها سبع شياطين، و ان الشياطين قالت له: اين نأوى؟ فقال لها: اسلكى هذه الدابة النجسة، يعنى الخنازير. و حرّم ذبائح من ليس من اهل الكتاب و حرم مناكحتهم، و سار فى المناكح و الطلاق و المواريث و الحدود سيرة الأنبياء قبله، و ليس عند هؤلاء النصرارى على من زنى او لاط او افترى او سكر حدّ البتة و لا عذاب فى الدنيا و لا فى الآخرة. و فى الجملة إن المسيح جاء لإحياء التوراة و إقامتها، و قال: إنما جئتكم

(١) فى الاصل: و بنى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٠

لأعمل بالتوراة و بوصايا الأنبياء قبلى، و ما جئت ناقضا بل متمما، و لأن تقع السماء على الارض ايسر عند الله من ان تنقض شيئا من شريعته موسى، و من نقض شيئا من ذلك يدعى ناقصا فى ملكوت السماء. و ما زال هو و أصحابه كذلك الى ان خرج من الدنيا و قال لأصحابه اعملوا كما رأيتمونى اعمل و وصوا الناس بما وصيتكم به، و كونوا معهم كما كنت معكم، و كونوا لهم كما كنت لكم. و ما زال أصحابه بعده على ذلك و كذلك، ثم الذين بعد القرن الاول من أصحابه، ثم من بعدهم بالدهر الطويل. ثم اخذوا فى التغيير و التبديل، و البدع فى الدين، و طلب الرئاسة، و التقرب الى الناس بما يهونون، و مكايده اليهود و شفاء الغيظ منهم و إن كان فيه ترك الدين. و هذا بين فى الاناجيل التى معهم و إليها يرجعون، و فى كتابهم المعروف بكتاب افراسكس «١»، فان فيه ان قوما من النصرارى خرجوا من بيت المقدس و أتوا انطاكية و غيرها من الشام؛ فدعوا الناس الى سنه التوراة، و الى تحريم ذبائح من ليس من أهلها، و الى الختان، و الى اقامة السبت، و الى تحريم الخنزير، و الى ما حرّمته التوراة. و ان ذلك شق على الامم و استثقلوه، فاجتمع النصرارى ببيت المقدس، و تشاوروا فيما يحتالون به على الامم ليحببونها و يطيعونها، فأوجب رأيهم مداخلة الامم و الترخّص لهم و الانحطاط فى اهوائهم، و ترك مخالفتهم، و الاختلاط بهم، و الأكل من ذبائحهم، و التخلّق بأخلاقهم، و تصويبهم فيما هم عليه. و أنشئوا فى ذلك كتابا. و قد قال بولس فى الكتاب الذى يسمونه السليح: انا قلت لهم الى كم تهودون الناس؟ و قال فى السليحين: كنت مع اليهودى يهوديا و مع الرومى روميا،

(١) اى كتاب الحواريين، انظر الفهرست ص ٤١

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٥١

و مع الارمائي ارمائيا «١». و بولس هذا عندهم اجلّ من موسى و هارون و داود و جميع الأنبياء، و إذا قرئت رسائله و كلامه فى البيعة قاموا قياما اعظاما و اجلالا له و لكلامه؛ و لا يفعلون ذلك بالتوراة التى هى عندهم كلام المسيح و هو كتبها لموسى و أرسله الى خلقه و خلق له البحر و قلب له العصا حية، و لا فى الاناجيل و فيها كلام المسيح. و هو يقول لليهود: التوراة سنه حسنة لمن عمل بها، و يقول للروم و غيرهم من اعداء موسى و الأنبياء:

التوراة مهبجة للبشر، و إذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل بر الله و تمّ فضله، هذا كله مع النصرارى و أعظم منه و أفحش. و قد عملوا عمل المسيح بالتوراة و وصيته الناس بالعمل بها.

انظر كيف ينسلخ الناس من العمل بشرائع الأنبياء الذين يدعون انهم عليها و يخرجون منها، و اعتبر و كن على حذر، فقد بدت هذه السيرة فى هذه الأمة، فكم فيهم ممن قد عطل وصايا النبى صلّى الله عليه و سلم و نبذ سنته و هجر كتابه لأنه زعم انه مغير مبدل، و آخر يقول له باطن غير ما عليه الفقهاء و العلماء، الى غير ذلك من انواع البدع التى قد نشأت فى الاسلام و غلب أهلها بالكثرة اهل الحق فيبدعونهم و يسبونهم و ينفروا عنهم، و هكذا تتغير ملل الأنبياء عليهم السلام و يموت العلم، كما قال رسول الله صلّى الله عليه و

سلم: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال، ولكن يموت العلم بموت العلماء، فإذا ماتوا اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (٢) / ثم

(١) على هامش الصفحة كتب: «الأرمائي من يعبد الكواكب والأوثان» بخط مختلف عن خط الاصل، و يظهر انه خط ناسخه، او المعلق عليه.

(٢) كتب الناسخ على هامش الصفحة: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من صدور الرجال الى آخره» والحديث في الجامع الصغير (شرح المناوي) ٣: ٢٧٢ رواه الامام احمد في سنده و البخارى و مسلم و الترمذى و ابن باجه عن ابن عمرو باسناد صحيح.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٥٢

المستأكله و من تكسب بالدين، و قد قال الله عز و جل: «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأخبار و الرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله» فهؤلاء العباد و هؤلاء العلماء و قد عرفك الله حال كثير منهم، فكيف بمن ليس بعالم و لا عابد. فاحذر كما حذر ك الله، و اقبل وصية رسول الله عليه السلام.

واعلم ان دين المسيح و ديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير و لم تتبدل جملة واحدة و لكن شيئا بعد شىء، و فى كل عصر و فى كل حين حتى تكامل تغييرها، و ما زال اهل الحق فيها يقلون و اهل الباطل يكثرون حتى غلبوا و مات بهم الحق. فكان اصحاب المسيح بعده مع اليهود و بنى اسرائيل فى كنائسهم يقيمون صلاتهم و أعيادهم فى مكان واحد و بينهم الخلاف فى شأن المسيح، و كانت الروم تملكهم، و كانت النصرارى تشكو اليهود الى ملوك الروم، و تبدى لهم الضعف الذى فيهم و تسترحمهم فيرحمونهم، و كثر هذا فكانت الروم تقول لهم:

بيننا و بين اليهود عهد ان لا نغير اديانهم، فلو خرجتم من اديانهم و فارقتموهم و صليتم الى المشرق كما نصلى و أكلتم ما نأكل و استبحتم مما نبيح نصرناكم و أعززناكم، و لم يكن لليهود عليكم سبيل بل صرتم اعز منهم.

قالوا: نفعل. قالوا فاذهبوا فهاتوا اصحابكم و هاتوا كتابكم. فجاءوا بأصحابهم فأخبروهم بما كان بينهم و بين الروم، و قالوا لهم هاتوا الانجيل و قوموا حتى نصير إليهم، فقال اولئك لهم: بئس ما صنعتكم و لا يحل لنا ان نمكن الروم الانجاس من الانجيل و قد خرجتم انتم من الدين / بإجابتكم الروم، و لا يحل لنا مخالطتكم، بل وجبت البراءة منكم و منعكم من الانجيل و الوصول إليه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٥٣

فوقع بينهم الخلاف الشديد. و عادوا اولئك الى الروم و قالوا لهم: أعدونا «١» على اصحابنا هؤلاء قبل اليهود، و خذوا لنا منهم كتابنا، فاستتر اولئك من الروم و فروا فى البلاد. فكتب الروم فيهم الى عمالهم بنواحي الموصل و بجزيرة العرب. فطلبوا، فوقع منهم قوم فأحرقوا و قوم فقتلوا، و اجتمع الذين أجابوا الروم و تشاوروا فيما يعتاضون عن الانجيل إذ قد فاتهم، فتقرر رأيهم على أن ينشئوا انجيلا. و قالوا إنما التوراة موالد الأنبياء و تواريخ اعمارهم فبنى الانجيل على ذلك، و يذكر كل واحد منا ما حفظه من ألقاظ الانجيل و مما تحدث به النصرارى عن المسيح. فكتب قوم انجيلا. ثم أتى من بعدهم قوم و كتبوا انجيلا، و كتبوا عدة أنجيل، و سقط عنهم الكثير مما فى الأصل. و كان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف امورا كثيرة فى الانجيل الصحيح فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم، و لم يكن فى ذاك ذكر الصليب و لا الصلبوت، و هم يزعمون انها كانت ثمانين انجيلا، فلم تزل تقل و تختصر حتى بقى منها اربعة انجيل لأربعة نفر عمل كل واحد فى عصره انجيلا، و جاء من بعده فرآه مقصرا فعمل انجيلا هو عنده أصح من انجيل غيره و اقرب الى الصحة. ثم ليس فيها انجيل بلغه المسيح التى كان يتكلم بها هو و أصحابه و هى العبرانية لغة ابراهيم الخليل و سائر الأنبياء، بها تكلموا و بها نزلت كتب الله على هؤلاء و غيرهم من بنى اسرائيل، و بها خاطبهم الله، فتركها هؤلاء. و قد قالت العلماء لهم: عدو لكم معشر النصرارى عن

اللغة العبرانية و هي لغة المسيح و الأنبياء قبله عليهم السلام/ الى صائر اللغات حتى

(١) هكذا في الاصل، لعلها: ساعدونا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٤

ما من نصراني يتلو هذه الأناجيل في فرض من فروضه بلغة العبراني حيلة و مكيدة و فرارا من الفضيحة. فقال الناس لهم: انما وقع العدول عنها لما قصده أصحابكم الأولون من الادغال في المقالات، و احتيالا في تدليس ما وضعوه من الأكاذيب و ستر لما احتالوا طلبا للرئاسة، و ذلك ان العبرانية هم كانوا اهل الكتاب و اهل العلم في ذلك الزمان، فغير هؤلاء نفر اللغة بل عدلوا عنها كلها لثلا يفهم اهل العلم مذهبهم و قصدهم لسترها فيفتضحوا قبل تمكن مذهبهم و لا يتم لهم. فعدلوا الى لغات كثيرة ما تكلم المسيح و أصحابه بها، و ليس اهلها من اهل الكتاب، و لا لهم علم بكتب الله و شرائعه، كالروم و السريانيين و الفرس و الهند و الارمن و غيرهم من الأعاجم، و تليسا و احتيالا لستر العورة و تمام البغية في طلب الرئاسة من اولئك القوم القليل الذين طلبوها بالدين. و لو لا ذلك للزموا لغة ابراهيم و ولده و المسيح الذين بهم قامت البيئنة، و عليهم أنزلت الكتب، و كان ذلك أولى بإثبات الحججة على بنى اسرائيل و كفر اليهود اذا ادعوا بلسانهم، و نوظروا بلغتهم التي لا يمكنهم دفعها. فاعرف هذا فانه اصل كبير.

و اعلم رحمك الله، ان هذه الطوائف الثلاث من النصراني لا تعتقد ان الله أنزل على المسيح انجيلا و لا كتابا بوجه من الوجوه، بل عندهم ان المسيح خلق الأنبياء و أنزل عليهم الكتب، و ارسل إليهم الملائكة. و انما معهم اربعة أناجيل لأربعة نفر، كتب كل واحد منهم انجيله في زمانه، و جاء من بعده فما رضى انجيل غيره، و كان انجيله أولى. و هم يتفقون في مواضع و يختلفون في مواضع، و في بعضها ما ليس في بعض، و هي حكايات قوم رجال و نساء من اليهود و الروم و غيرهم انهم قالوا كذا، و فعلوا كذا، و فيها من المحال و الباطل و السخف و الكذب الظاهر و التناقض البين شيء كثير. و قد تتبعه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٥

الناس و أفردوه، و اذا قرأه المتأمل عرف ذلك. و فيها شيء من كلام المسيح و وصاياه و أخباره قليل. فإنجيل منها عمله يوحنا، و انجيل منها عمله متى، ثم جاء بعدهما مرقس فما رضى بانجيلهما، ثم جاء بعدهم لوقا فما رضى بتلك الاناجيل فعمل انجيلا آخر، و كان عند كل واحد من هؤلاء ان صاحبه الذي تقدم و عمل انجيلا أنه قد ضبط أشياء و أخل بأشياء، و غيره اعرف و اضبط.

و لو كان من قبله قد ضبط و اصاب لما احتاج ان يعمل هو انجيلا آخر غير انجيل صاحبه، و ليس احد هذه الاناجيل شرحا للآخر، كما يشرح من تأخر كتاب من تقدم فيحكي كلامه على وجهه ثم يشرحه. فاعرف هذا و انما وضعه لأن غيره قد قصر.

و عند هؤلاء الطوائف من النصراني ان هؤلاء الاربعة اصحاب المسيح و تلاميذه، و هم لا يعلمون و لا يدرون من هم و لا معهم في ذلك إلا الدعوى فقط، بل قد ذكر لوقا في انجيله انه ما رأى المسيح، فقال لوقا مخاطبا للذي عمل له انجيله و هو آخر من عمل من الاربعة: «عرفت رغبتك في الخير و العلم و الأدب فعملت هذا الانجيل لمعرفتي و لأنى كنت قريبا الى الذين خدموا الكلمة و رأوها» (١). فهو قبل كل شيء قد أفصح بأنه ما رأى الكلمة - يعنون بالكلمة المسيح - ثم ادعى انه رأى من رأى المسيح، و ليس هاهنا إلا دعوى بأنه رآهم و لو كان ثقة لما علم بخبره شيء، و مع هذا فقد ذكر ان انجيله أولى من انجيل غيره. فلو تأمل النصراني لعلموا انهم ليسوا على شيء من هذه الاناجيل التي معهم، و لا معهم علم مما يدعيه اربابها

(١) كتب الناسخ في الهامش: الاناجيل الاربعة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٦

و الواضعون لها، و ان الامر في ذلك على ما ذكرنا. و هو معلوم مذکور في انصرافهم عن ملء المسيح الى مذاهب الروم و تغيرهم و

تعجلهم المنافع بسطانهم و اموالهم.

وقد كان بولص هذا يهوديا خبيثا شريرا، ساعيا في الشر، و معينا للأشرار، و نائرا في الفتن، طالبا للرئاسة و الدولة، محتالا فيها بكل وجه، و كان يقال له و هو يهودى: شاءول، و كان يعين على النصارى. ثم خرج عن بيت المقدس و غاب غيبه طويله، و عاد الى بيت المقدس و أخذ يعين النصارى على اليهود و يقول لهم: قولوا كذا، و اصنعوا كذا، و فارقوم و قاربوا الامم التى تعادى اليهود. فقال له اليهود: كيف صرت نصرانيا و ما الذى دعاك الى هنا؟ فقال: الله تبارك و تعالى دعانى الى ذلك، و كان من قصتى انى خرجت من بيت المقدس أريد دمشق، فأدركنى الليل بظلمته و هبت ريح عظيمه و ذهب بصرى، و نادانى الرب و قال لى: يا شاءول أ تلاطم الأشقاء تؤذى اصحاب ابنى؟ فقلت: يا رب قد تبت، فقال لى:

ان كان كما تقول فاذهب الى حاييم اليهودى الكاهن ليرد إليك بصرى، فذهبت إليه و خبرته، فمسح يده على بصرى فسقط منه مثل قشور البيض و فلوس السمك، و أبصرت كما كنت، و ان الله استدعانى إليه الى السماء، فأقمت عنده فى السماء اربعة عشر يوما، و وصانى بأشياء كثيرة، و قال لى: فيكم أمورا قبيحة لا اقولها لكم «١». فسخر منه اليهود و تعجبوا من حمقه و قحته، و صاروا به الى صاحب

(١) جاء فى انجيل لوقا: «اذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة فى الامور المتبقية عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين و خداما للكلمة، رأيت انا أيضا اذ قد تتبعت كل شىء من الاول بتدقيق، ان اكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به» الاصحاح الاول ١-٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٧

قيصر ملك الروم عليهم، و كانوا إذ ذاك / مغلوبين مع الروم. فقالوا له:

أ ما تعرف شاءول هذا؟ فقال: بلى، اعرفه بالشر و هو يجيئنا فى السعايات بالناس. فقالوا له: انه قد ادعى كذا و كذا، و ذكروا له ما قال. فاغتاظ الرومى منه و أمر به فبطح ليضرب، فقال له: أ تضرب روميا؟ فقال:

أو رومى أنت؟ قال: نعم، انا على دين قيصر ملك الروم و برىء من اليهودية، فكف عنه لدخوله فى دين الملك، و قال له: ها هنا مركب يأخذ الى القسطنطينية و أنت رومى و على دين الروم، فكن هناك ان كنت كما تقول، فقال: افعل، أنفذنى الى بلاد الروم. فصار الى القسطنطينية، و تردد الى الروم، و لزم باب الملك و أغرى الروم باليهود، و ذكرهم عداوتهم لهم، و ما صنع بنو اسرائيل بهم، و من قتلوا منهم، و خوفهم شر اليهود، و انهم لا يأمنون دولتهم و الكزة عليهم، و ذكر لهم كثرة اموالهم.

و من عادة الروم لا تحتجب نساؤهم عن الرجال، و تركب امرأة الملك فى موكب الملك مكشوفة الوجه، و تخاطب الناس، و تأمر و تنهى، فتقرب بولس هذا إليها و خاطبها فى شأن اليهود. و من عادة الروم أن لا- يحل للرجل ان يتزوج بأكثر من امرأة واحدة ثم لا يفرق بينهما طلاق و لا هرم و لا عيب من العيوب بوجه و لا سبب، و لا يحل له غيرها الى ان تموت.

و نساء الروم تبغضن ديانات الأنبياء من بنى اسرائيل لما فيها من إباحة الطلاق و أن للرجل ان يتزوج ما أطاق المئونة.

فقيل الشاؤول: أنت من امه هذا سبيلها، فقال: لا، و ما يحل للرجل اكثر من امرأة واحدة على احكام الروم، فنفق على النساء بهذا. و قرب من امرأة الملك فخاطبت الملك فى غزو بين اسرائيل، و ذكرت له ما يقول شاءول، و سألته ان يسمع منه ففعل. و تقرب إليهم/ بأن تسمى بولص و هو

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٥٨

من اسماء الروم، و الروم تكره الختان شديدا فى الرجال و النساء، و تبغض الامم الذى تفعله. فقالوا لبولص فى ذلك، فقال: نعم، هو ما ترون، و ما يجب عليكم ختان، و إنما يجب على بنى اسرائيل فانها امه قلقتها فى قلوبها.

و الروم تأكل الخنزير، فقال: ما هو حرام و ما يحرم على الانسان شىء يدخل جوفه و إنما يحرم عليه الكذب الذى يخرج منه، و بنو اسرائيل لا تأكل ذبائح الوثنيين و من ليس من اهل الكتاب و الروم ليس كذلك، فصوبهم بولص فى هذا و نفق عندهم بكل شىء و ما خالفهم فى شىء، و كانت ديانات الروم اذ ذاك منتشرة أكثرهم يعظم الكواكب و يعتقد فيها انها تحيى و تميت و تنفع و تضر و لهم عندها هياكل و قرابين، و منهم من كان على دين اليونانيين من ان هذه الكواكب حية ناطقة رازقة و هى الأرباب، و يعتقدون صحة السحر، بالجملة إن دياناتهم كلها باطله ضعيفة فاسدة. و كان بولص يذكر لهم فضل المسيح و زهده و انه كان مجاب الدعوة و كان يحيى الموتى، فكانوا يجتمعون إليه و يستمعون منه، و كان محتالاً لا خبيثاً، و كان الروم تصلى الى مشرق الشمس و لا ترى وجوب الوضوء و لا- غسل الجنابة و لا الحائض و لا التوقى من البول و الغائط و الدم و لا تراه فحشا، و ان الروم تزوج الوثنيين و سائر الامم و بنو اسرائيل لا تفعل ذلك، فقالت الروم لبولص فى ذلك، فقال: تزوج المؤمنة بالكافر فانها تطهره و لا ينجسها و الولد بينهما طاهر. و قال: هذا انما تحرمه التوراة، و التوراة شر كلها و اذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل برّ الله و تم فضله. فاختلع بولص من ديانات المسيح/ و صار الى ديانات الروم. فاذا تبينت الامر وجدت النصرارى تروموا و رجعوا الى ديانات الروم و لم تجد الروم تنصروا. ثم قبل الملوك سعايات بولص باليهود و اخذ برأيه فيهم، فصار إليهم و قتل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٥٩

منهم القتل العظيم و اخذ اموالهم و استصفاهم و عاد من عندهم بالرغائب، فقامت سوق بولص فيهم و ازدادوا له حبا، و هذا الملك الذى غزا بنى اسرائيل يقال له ططس «١». و قد كان للروم ملك يقال له بيلاطس خرج الى الشام بعد المسيح عليه السلام و بعد اصحابه بالمدد الطويلة، و كانت له امرأة ببلاد الروم فماتت، فأراد ان يتزوج امرأة مكانها، و من عادة الروم ان يعترض الرجل المرأة اذا اراد التزويج و يقبلها و يستقصى تفتيشها فإن صلحت له تزوجها، و ان لم تصلح تركها. فوصف لبيلاطس امرأة بحران يقال لها هيلانة «٢» تكون فى فندق بحران- و الفندق هو الخان- فأشخصها و قلبها و ارتضاها و تزوجها- و كانت نصرانية- فحظيت عنده، و سألته إعزاز النصرارى و الاحسان إليهم، فقال لها: إن اليهود يزعمون ان اصحابك هؤلاء اصحاب حيل و طلاب دنيا و رئاسة، فقالت: كذبوا، و انما اجيئك بهم لتراهم. فانتهمت بجماعة من الرهبان و قالت له: انظر إليهم و الى مسكنتهم و ضعفهم لتعلم كذب اليهود عليهم. فرحمهم و رق لهم و ظن الجميل بهم، فأعزهم و صانهم و مكن لهم فى ممالكة بالشام و بلاد الروم، و احسن إليهم، فانبسطوا و كثروا و استطالوا على اليهود/. و كان لهذا الملك اولاد من المرأة التى كانت قبل هيلانة، و ولد له من هيلانة هذه ابن يقال له قسطنطينوس. و قد كان امر بولص عظم ببلاد الروم مع العامة و الغوغاء و استهواهم بما يجرى مجرى الرقى و الطب و الشعبة و السحر، و الروم الارمن تصدق بهذا كله و هى امه مفرطة الجهل بعيدة مما يستدرك بالفكر و النظر، يغلب عليها

(١) و قد ارسل بولص الى تيطس رسالته المشهورة حوالى سنة ٦٥ م

(٢) فى الاصل: هيلانية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٦٠

الفدامة و البلادة سيما فى العامة فهى لا تعرف إلا المهن و الصنائع، و ان كانت ملوكها تتقدم فى ظاهر الحياة الدنيا و تدبير الملك. ففطن بعض ملوكهم لبولص و تصفح احواله و حصّله و علم انه محتال ممخرق طالب دنيا و رئاسة، فأحضره و سأله عن الختان فذمه و ذم اهله و من يفعله فسأله عن المسيح هل اختتن؟ و هل كان مختوناً؟ و هل كان اصحابه من الحواريين كذلك؟ قال:

نعم ثم كشف عنه فإذا هو مختون، و وجده قد ساعد الروم فى دياناتها و هى خلاف ديانات المسيح و اصحابه و انها كفر و ضلال عند المسيح و اصحابه، و قد كان اصحاب بولص فى رجليه داء الفيل و هو يدعى انه يطب و يبرى فأمر الملك به فصفع و حلقت لحيته و صلب. فقال لهم: لا تصلبوني طولا كما صلب ربنا المسيح، و لكن اصلبوني عرضاً. و الملك الذى صنع هذا ببولص يقال له بيرن،

ففترت النصرانية بلاد الروم و انكسروا. و ملك أولاد بيلاطس بعده، و انتهى الملك الى ابنه قسطنطينوس، و كان ظاهره على ديانات الروم غير ان والدته هيلانة هذه قد/ غذته بحب الصليب، و عودته عادة النصارى و ما يقولونه فى المسيح، و ظهر فى جسمه برص و كانت الروم لا تملك عليها من به برص، بل كان محرما عندها تملك البرص. فغمه ذلك و أهمه و كتمه و انطوى على قمع الروم و صرفها عن هذا الرأى فى كراهة تملك البرص، و كانت تغزوهم امم فاتفق غزو السرجان و البربر إياهم فعبأ عساكره على هياكل الكواكب، و قصد الى مشيخة الروم و الراسخين فى ديانات الروم و انفذهم الى العدو، و لم يستظهر لهم على عدوهم بالمكايد و الجواسيس كما يفعل الملوك و من يدبر العساكر فتم عليهم ما يكرهون من القتل و انهزام من بقى فكان يظهر الحزن و الكابة و يقول: قد استظهرنا و عبأنا على هياكل الكواكب التى تعظمها و قد عظمتها آباؤنا قبلنا، و قربنا لها القرايين، و ما نراها تنفعنا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٦١

و لا تغنى عنا، و ما زال يدبرهم بهذا التدبير و يقول هذا القول، و انه ما ينبغى ان يعبد احد ما لا ينفعه، و هذا وقت الحاجة و اوان الشدة فما تدفع هذه الكواكب عنا، فينبغى ان يستبصر الانسان و يعبد ما ينفعه و يدفع عنه. ثم قال: هاهنا امرأة رأت فى منامها قائلاً يقول لها استنصروا بهذا، و اخرج إليهم صليبا. و اتفق موت امير الجند الذى غزاهم فانصرفوا عنهم، فقال هو و من كان على رأيه و هواه هذا بركة الصليب. و كانت عادة الروم ان تجعل على راياتها الأهلئ و ما هو على صورة الهلال تبركا بالقمر و النجوم و لأن القمر/ اخف الكواكب سيرا، فحطوها و جعلوا مكانها الصلبان فهم على هذا الى هذه الغاية.

ثم ابتدأ فى التدبير فى نقل الروم عن تعظيم الكواكب الى تعظيم الصلبان، و كان الفلاسفة فى بلدتهم كثيرين، و كانوا يعظمون الكواكب، و يدعون انها حية ناطقة، و يستطيون على الناس، و يدلون على الملوك، و يدعون انهم أخص الخاصة، و لا يتكسبون، و يعتادون البطالة، و يعولون على اموال الناس، و يفسدون الأحداث و من يصغى إليهم من ملك او سوقة، و يدعون العزائم و الطلسمات و انهم ينفعون بها و يضررون، و انهم يدركون علم المغيبات بصنعة النجوم، و يهلون بالهندسة و الأشكال. و كان قسطنطينوس هذا خبيثا مفكرا صبورا متصفحا امر هؤلاء الفلاسفة و ما يدعونه فى النجوم و الطلسمات فوجده باطلا كله، وجد القوم محتالين ممخريين و مفسدين، فابتدأ فى قتلهم على طبقاتهم، و فى احراق كتبهم و ابطال هياكلهم. فمكث على ذلك حتى خلت أبنيته منهم، و كانت مدينة الفلاسفة فما بقى منها إلا- حرث و دباغ و صباغ، و جعل الهياكل التى كانت للكواكب يباعا، و أسكنها الرهبان و قال: هؤلاء المساكين أرجى من اولئك الجهال الممخريين الكذابين، و سلط

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٢

الرهبان و العامة عليهم فى كل مكان، لا- يظهرون بكتاب طب و لا هندسة إلا أحرق و بادر على من كان على رأى الفلاسفة فتراهم منهم، و أعان عليهم، و انبسط أمه هيلانة فى ذلك، و بسطت الرهبان و النصارى/ و استعدادتهم «١» من كل مكان فجعلتهم اصحاب اخبار لابنها و أعوانا، و استظهرت بهم، و اظهر هو تعظيم المسيح و الصليب، و أقام ديانات الروم على حالها كما كانت من الصلاة الى المشرق و غيرها مما تقدم ذكره، فما أزال إلا عبادة الكواكب و ما زاد إلا تعظيم المسيح و القول بربوبيته، و تعظيم الصليب. و لم يكن هذا بالبعيد عن الروم لأن من اعتقد فى الكواكب و هى جماد موات أنها أرباب و تنفع و تضر لم يبعد عنهم ان يقولوا فى انسان حى عاقل مميز قد قيل لهم انه كان يحيى الموتى، و انه إله، و انه و ابوه و زوجته خلقوا الكواكب. و كان هذا سهلا على اهل المغرب، ألا ترى ان القبط و من بمصر كانوا يعتقدون إلهية فرعون و انه لا- إله لهم غيره. و سار قسطنطينوس هذا الى الجزيرة فقصد حران و أعمالها و كانوا فى تعظيم الكواكب أشد مما كان بأثينية و بلاد الروم، فوضع فيهم السيف حتى أبادهم، و هرب من هرب منهم فى الجبال فطلبهم بنفسه، و كانوا يعيبون البرص فكان له فيهم فضل حرص، فقال له قواده: لا تبعث فى طلبهم فان الثلج الذى فى هذه الجبال سيهلكهم، فان بقيت منهم بقية جعلناهم حجامين للروم و جميع النصارى و اصحاب الصوامع و الرهبان ليعرف منهم حقيقة النصرانية و ما ينبغى ان يقرر مما يؤخذ الناس به فلا يتجاوزونهم، و ان من تجاوزه قتل. فاجتمع عنده نحو ألفين من رؤسائهم و قرّر

أشياء

(١) استعداه: استغائه. انظر القاموس المحيط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٣

من تسيحة الإيمان، و كان فيهم من يخالف اولئك و يقول: كلمة الله مخلوقة و ان المسيح كلمة الله و كان هناك إيرلس و مقدنيوس، و أونامس، و أولوفريانوس و اصحابهم، ممن يقول: الكلمة مخلوقة و كلام الله و قوله خلق من خلقه، فشغبوا عليهم و وقف الأمر و بطل ذلك التقرير.

ثم اجتمع بعد ذلك ثلاثمائة و ثمانية عشر رجلا بنيقية من بلاد الروم و عملوا تسيحة ايمانهم التي قد ذكرت، فأتوا بها قسطنطينوس فأخذها و عمل عليها و أخذ الناس بها فمن لم يقبلها قتله. فاحتاج اولئك ان يظهروا قبولها خوف السيف، و أبطل ما سواها عن التقرير، و حصل من كان على دين المسيح في كل مكروه، و اخذوا بتعظيم الصليب و أكل الخنزير و ديانات الروم، و كان من لا يأكله يقتل. و كان في الصابئين من اهل حران من لا يأكل الباقلاء و يزعم انه عدو للفلك لأنه مكعب و الفلك كروي، فكان يطبخ الباقلاء في ابواب البيع و يجمع الناس إليها و يقال لهم: اخرجوا و لا يبقى منكم احد إلا اكل الباقلاء و من لم يأكله قتل و رمى برأسه، و هناك سيافه قد جردوا سيوفهم فمن لم يأكله قتلوه.

و لم يزل قسطنطينوس في الملك خمسين سنة مشغولا بقتل من لم يعظم الصليب و لم يقل بربوبية المسيح حتى تأكد ذلك و تمكن، و اوصى الملوك بعده بذلك و أكد عليهم و عهد فيه إليهم و قال: هو أولى من تعظيم الكواكب و آراء الفلاسفة، و أوثق هذا العهد على اولاده و قواده و اوليائه و جعل الملك في اولاده. و الروم يصفونه بالحزم و الشهامة/ و انه فيهم كاردشير بن بابل «١»

(١) ذكر الطبري ملكين من ملوك فارس بهذا الاسم، احدهما: اردشير بن بابك بن ساسان-

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٤

ملك فارس في الفرس. و قام اولاده بعده في الملك فأكدوا عهده و قرروا في كل حين شيئا بعد شيء في النصرانية الى ان جاء ملك منهم فرأى ان يجعل يوم الأحد عيدا لهم يجتمعون فيه كما لليهود يوم السبت، و كان هذا بعد قسطنطينوس بالدهر الطويل. و عملوا لذلك سنهدوس، و كان للروم و اليونان عيدا يسمونه ميلاد الزمان و هو عند رجوع الشمس في كانون، فجعلوه ميلاد المسيح و زادوا و نقصوا، و هو عيد لهم عظيم و هو الذي يقيمه النصارى و يسمونه الميلاد و ليلة الميلاد و هذا سببه و أصله، و ما كانت النصارى في زمن المسيح و اصحابه من بعده يعرفون هذا العيد و لا- يقيمونه. و كان للروم و الصابئين ايام يصومونها تجرى مجرى التقرب الى الكواكب يمسون فيها عن اكل اللحم، فلما صاروا الى القول بالهية المسيح أقاموها ثم زادوا فيها من اشياء و نقصوا، و هم اليوم يصومونها خمسين يوما الى زوال الشمس ثم يفطرون في بعض الأيام، هكذا يصومون ببلاد الروم.

و الروم هم الأصل في هذه الطوائف الثلاثة من النصارى، ثم تفرعت منهم اليعقوبية أصحاب يعقوب، ثم من بعد اليعقوبية النسطورية و هم اصحاب نسطورس و هم يختلفون في الصيام، فإن هؤلاء الذين بالعراق لا يصومون في كل يوم نصفه كما تصوم الروم، و لهم ايام، أعنى الذين ببلاد الاسلام، ينظرون فيها بعد صلاة العصر يتحسون الخمر في البيعة و هو القربان عندهم، و قد قال بولص: إن دم هذا الشراب هو دم الرب و هذا/ البرشان هو لحم الرب فمن

- ابن عم دارا بن دارا و المطالب بدمه و هو من ملوك فارس الاوائل و الموصوفين بالشدة و الشجاعة.

و ثانيهما اردشير بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن هرمز بن ساسوبو بن اردشير بن بابك و هو احد احفاد اردشير الاول، و قد وصف

بالبطش و الشجاعة أيضا. و الاول اكثر شدة و لعله هو المقصود هنا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٥

ارتاب في ان هذا لحم الرب و دمه فلا يأخذه و لا يذقه و ان ذلك لا يحل له.

و البرشان «١» هي اقراص تخبز و تحمل الى البيعة و تترد في الخمر و تؤكل تقريبا.

و المسيح عليه السلام ما صام هو و أصحابه إلا الصوم الذي صامه بنو اسرائيل.

قالت هذه الطوائف من النصارى: إن كان المسيح ما صام هذه الايام الخمسين فقد صام حين اسره الشيطان اربعين يوما بلياليها

فجعلناها نحن خمسين يوما، قلنا: هبنا صدقناكم في ذلك فمن اين وجب عليكم مثل ذلك و انتم تقولون ان موسى صام ثمانين يوما

بلياليها فلم يطعم فيها شيئا البتة و كان ذلك في دفعتين، و زعمتم ان ايليا «٢» صام اربعين يوما بلياليها فما وجب على قوم موسى الصيام

الذي صامه موسى و لا عليكم صيام ذلك. و بعد، فقد عاد المسيح إليكم حين اطلقه الشيطان و بقي معكم فما صام صومكم هذا و لا

امركم به و لا صام هو و أصحابه إلا صوم بنى اسرائيل، فعضلتم الصوم الذي تعلمونه يقينا و صمتم صوما ما صامه و لا امركم به.

و في انجيلهم ان الشيطان اسر المسيح و حصره اربعين يوما ليتمحنه، و ان المسيح امسك عن الأكل و الشرب خوفا من ان تتم عليه

حيلة الشيطان، و انه قال له و هو معه و في يده: إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزا، فقال له المسيح مجيبا: أن مكتوب أن

حياة الانسان لا تكون بالخبز بل بكل كلمة تخرج من الله. ثم ساقه الشيطان الى مدينة بيت المقدس فأقامه

(١) كتب في الاصل في الحاشية: البرشان

(٢) في الاصل: ايليا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٦

على قرنة الهيكل و قال له: إن كنت ابن الله فارم نفسك / من هاهنا فانه مكتوب ان الملائكة توكل بك فلا تعثر رجلك بالحجر، قال

المسيح:

و مكتوب لا- تجرب الله إلهك. ثم ساقه الى جبل عال فأراه جميع ممالك الدنيا و زخرفتها و قال له: إن خررت على وجهك لى

ساجدا جعلت هذه الدنيا كلها لك كما جعلتها لمن قبلك، فقال له المسيح: اغرب أيها الشيطان فانه مكتوب اسجد للرب إلهك. ثم

بعث الله ملكا اقتلع الشيطان من مكانه و رماه الى البحر و أطلق السبيل للمسيح «١». فهذا من الجهل الذي خبرتك انه مكتوب في

اناجيلهم و هو زعموا حجتهم في صومهم، فهل سمعت بشيطان يأسر إلهه و يحصره و ينقله من مكان الى مكان و يطعم في إلهه ان

يستعبده و الشيطان لا يقدر ان يأخذ حمار اليهودي، و عند النصارى انه قد اخذ ربه الى ان جاء الملك فخلصه و فك اسره. و عند

النصارى ان المسيح لما ظهر ربط الشيطان عن الخلق و أطفأ ثائرته و أزال اذاه و شره، و هاهنا يقولون اشد ما كان قوة عليه و تسلطا

عليه و هو ربه و إلهه، ففكر و اعجب.

و كان للروم و الصابئين دخن و بخورات في الهياكل للكواكب و الأصنام،

(١) جاء في انجيل متى: «ثم اصعد يسوع الى البرية من الروح ليغرب من ابليس، فبعد ما صام اربعين نهارا و اربعين ليلة جاع اخيرا.

فتقدم إليه المجرب و قال له: ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزا، فأجاب و قال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان

بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة و اوقفه على جناح الهيكل و قال له: ان كنت ابن الله فاطرح

نفسك الى اسفل لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته بك فعلى ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب

أيضا لا- تجرب الرب إلهك. ثم اخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا و أراه جميع ممالك العالم و مجددها و قال له: اعطيك هذه

جميعها ان خرت و سجدت لى، حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد و اياه وحده تعبد» الاصحاح الرابع من انجيل متى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٧

و هى قائمه عند النصارى ما عطلوها، و هى فى البيع يسمونها دخنة مريم و بخور مريم، و ما عرفته مريم و لا المسيح ساعة قط و لا اصحابه، و لا استعملوا ذلك، فجعلوا هذا بخور مريم كما جعلوا صومهم للمسيح، و كما جعلوا الخمر و القربان لحمه و دمه. و كانت الروم مع عبادتها الكواكب تعظم الأصنام و تصورها فى الهياكل، فبقيت على ذلك/ بعد اجابتها الى تعظيم الصليب، و ما كان منهم فى ذلك قصور، و المسيح و أمه و أصحابه عوضا من تلك الأصنام. ثم تركوها شيئا شيئا على الايام و الدهور.

و هم كانوا يستبيحون الزنا و لا- يمتنعون منه فبقوا على ذلك بعد تعظيم المسيح فهو مبثوث بينهم و فى مدنهم و أسواقهم منتشر، يقولون: المرأة اذا لم يكن لها زوج و لم تختر الزوج و آثرت الزنا فهى املك بنفسها و لها ان تفعل ذلك، و الملك يسعر ذلك، و يقيم له الحكام و الولاة فلكل إنزلة تكون من الرجل فلس واحد، و كل اربعة افلس قيمتها دائق فضة. و للقحاب فى بلدانهم اسواق كثيرة، و لهن دكاكين، تفتح حانوتها و تترين و تجلس على بابه بارزة مكشوفة. و ليس عندهم فى كشف السوءة و العورة من الرجال و النساء تحريم و لا خطر، بل المرأة الحرة منهم تزف الى زوجها راكبة فتمر بالناس فى الاسواق مكشوفة الوجه و الرأس، و قد ارسلت صفائرها و تجددت بها، و أبدت محاسنها كلها لينظر كل احد إليها، و يقال ان الغالب على ذوات الأزواج العفاف، فأما من ليست بزوجة فحالتها كما وصفنا، و ربما كانت تزنى فى بيت ابويها، و من جاء من هؤلاء الزوانى بولد حملته الى البيعة ان شاءت و سلمته الى البطرك و المطران و القس، و قالت: قد وهبت هذا للمسيح ليكون خادما له و قيما فى البيعة، فيجزونها خيرا و يقولون لها: قديسة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٨

طاهرة مباركة، هنيئا لك رضى المسيح و ثوابه و يدعو الناس لها و يهنئونها بالثواب، و هناك من المرضعات و الكاملات لمثل أولاد «١» الزنا هؤلاء جماعة.

و هم يأبون الختان،/ و يخصون الاطفال، و إذا سبوا المسلمين نظروا الى اطفالهم فخصوا منهم القطعان الكبيرة و ألقوهم، فموت منهم الكثير. و هم يدعون الرأفة و الرحمة و كانوا فى اول الاسلام يحترزون على الاسارى لقوة الاسلام و ضعفهم ليفادوا بهم، فلما ساءت سيرة ملوك الاسلام و قلت مبالاتهم به، و صار يغزوهم مثل على بن حمدان «٢» سيف الدولة، و من بمصر اعداء المسلمين يقبضون اوقاف الثغور، هان المسلمون على الروم، و هم يقولون دولة الاسلام قد زالت منذ نحو ثمانين سنة، و أنت اليوم فى نحو سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة.

ثم عدت الى ذكر سيرة النصارى، و ليس الخصاص من شريعة التوراة و لا إباحة الزنا لتعلم ان الروم ما تنصرت و لا اجابت المسيح، بل النصارى ترومت و ارتدت عن دين المسيح و عطلت اصوله و فروعه و صارت الى ديانات اعدائه و هو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى، فعلوا هذا طلبا للرئاسة و عاجل الدنيا كما قد وجدته فى كتبهم و فى إقرارهم مما تقدم ذكره لك.

(١) فى الاصل: هؤلاء أولاد

(٢) على بن حمدان سيف الدولة: يقصد على بن عبد الله بن حمدان التغلبى، ابو الحسن، سيف الدولة الحمدانى، كان شجاعا مهذبا على الهمة، اجتمع على بابه عدد كبير من شيوخ العلم و الادب و كان له مع الروم وقائع كثيرة. و يظهر ان حملة القاضى عليه لأنه كان على خلاف مع البويهيين الذين كانوا يحكمون مقر الخلافة العباسية و المشرق الاسلامى و كانت له معهم وقائع و حروب أيضا، فالقاضى هنا ينتصر لحكومته و سلطانه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٦٩

و هذا التثليث الذى للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من ان العقل و العاقل و المعقول تصير شيئا واحدا، و يقولون: هو من المثلث، و هو من فيلسوف قديم «١». و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» «٢» و قال كعب بن مالك الانصارى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

«ما ذئبان جائعان ارسلتا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال و الشرف لدينه» و قال ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما ذئبان ضاريان فى حظيرة وثيقة يأكلان و يفريان «٣» بأسرع هلاكا من حب الشرف و المال فى دين المرء المسلم «٤». و مثل صنيع بولص مع الروم فى مساعدتهم على دينهم و مفارقة دين المسيح صنع مانى القس، و هو رئيس المنانية «٥»، و هذا كان بعد بولص بالدهر الطويل، و كانت له الرئاسة، و صار مطرانا على النصارى بالعراق فى مملكة الفرس بعد ان كان قسا، و اختلط بالفرس، و مدح الانوار و ذم الظلام على ما يذهب إليه المجوس، و مدح زرادشت نبى المجوس، و قال: النور اختاره و أرسله

(١) يقصد هرمس المثلث، و كان كتاب الطبقات المسلمون يذكرون ثلاثة اشخاص بهذا الاسم: اولهم هرمس الذى كان قبل الطوفان، و هو اول من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية و ينسبون له امورا كثيرة، ثم هرمس الثانى: من اهل بابل و كان بارعا فى علم الطب و الفلسفة و طبائع الاعداد و تلميذ فيثاغورس الأثرماتيقي. و أخيرا هرمس الثالث و يسمى أيضا هرمس المثلث الحكمة، و كان فيلسوفا طبيبا و يظهر ان هذا هو المقصود هنا. انظر طبقات الاطباء لابن جليل ٥- ١٠، و طبقات الحكماء لابن القفطى ٣٤٦- ٣٤٩، و الفهرست لابن النديم ٥٠٨ تجارية.

(٢) من حديث انس رضى الله عنه، اخرجه رزين. انظر تيسير الوصول ١١٠

(٣) يفري: يهلك

(٤) رواه الامام احمد بن مسند و الترمذى عن كعب بن مالك باسناد صحيح. المنادى على الجامع الصغير ٥: ٤٤٥

(٥) سبق التعريف بمانى و المنانية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٠

الى المشرق، و أرسل المسيح الى الغرب. و ذم ابراهيم و إسماعيل و الأنبياء الذين صدقهم المسيح، و كانت الفرس تبرأ منهم، فساعدهم مانى و تقرب إليهم بدمهم و قال: الشيطان ارسلهم، و كان من يكتب: من مانى عبد اليسوع كما كان بولص يكتب، و كان يتشبه به و يقفو اثره. و أخذ الأبتاق و هو كتاب زرادشت نبى المجوس «١»، و هو كتاب ليس بلغة الفرس و لا بلغة اللغات البتة، و لا يدرى احد ما هو و هو الزمرمة، و إنما يحكون لفظه و إن كانوا لا يدرون ما هو. فادعى مانى القس انه قد وقف عليه و علم ما هو، و ادعى مانى انه رسول النور، فوضع لهم جهالات، و قال: هذا تفسير الأبتاق، و استهوا العامة و قامت سوقه فيهم و أطاعوه، و ادعوا له بالمعجزات و الآيات.

فأخذه بعض ملوك الفرس ليمتحنه، و فتش عن احواله، فاذا هو كذاب و ممرق طالب رئاسة يتقرب الى الفرس / و المجوس بما يهونونه لينفق عليهم مما ليس هو من دين المسيح، فقتله كما فعل ذلك الملك ببولص. و بقى اصحاب مانى بعده يدعون نبوته و يقررون رسائله و إنجيله، و لعل رسائله تزيد على السليحين و رسائل بولص، و كثير من هذه الطوائف الثلاث يعتقد مذهبه و ما يكاد يظهره خوفا من النصارى و من المسلمين ممن منهم فى بلاد الاسلام، لأنه لا ذمة المنانية عند المسلمين «٢».

و من سيرتهم ان النساء الديرانيات العابدات و من انقطع الى البيع و العبادة،

(١) فى الاصل على هامش الصفحة كتب احد قراء التثبيت «الأبتاق كتاب زرادشت»، و قد سبق التعريف بالمجوس و عقيدتهم.

(٢) فى الاصل على هامش الصفحة كتب احد قراء التثبيت «لا ذمة للمنانية عند المسلمين»، و قد سبق التعريف بهذه النحلة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧١

يظن على العزّاب و الرهبان، و يخرجون الى الحصون التي فيها الرجال العزّاب ييحبون لهن انفسهن ابتغاء وجه الله و الدار الآخرة و الرحمة بالعزّاب، و من فعل هذا منهن كان عندهن مشكورا محمودا على هذا الفعل و يدعا له، و يقال لها: لا ينسى لك المسيح هذه الرأفة و الرحمة.

و عندهم انه لا يحل للرجل اكثر من امرأة واحدة، و لا يحل له أن يتسرى و لا بطأ بملك اليمين، فإن صادق امرأة أو خادمة لم يكن بذلك بأس و لا عار، و هذا مشهور ببلاد الروم كشهرة الزنا.

و لقد تحدث مصبح الطائي، و أبو عبد الله الحسين بن الصقر، و عبد الرحمن صاحب ابن الزيات و غيرهم من الغزاة، و ممن اقام بالقسطنطينية السنين الكثيرة في الأسر و غير الأسر، فإنهم لطول الشقاء و عدم من بعث المسلمين في فداء او غزو، اظهروا النصرانية تقيّة، و انتشروا بينهم، و اختلطوا بهم.

فحدث من حدث منهم بعض من تنصر من الشجعان بعد الشدة و طول الشقاء، قال: فأعطاني الملك و أجزل و قال لخدمه و أعوانه: انظروا لهؤلاء المتنصرة نساء من ذوى اليسار يتزوجون بهن لتحسن احوالهم، فقال رجل منهم:

فلأنه قد مات ابوها، و لها ضيعة و مواش و أموال كثيرة تزوجها بهذا، و أشار إليّ، فزوجوني بها. فاذا هناك جمال و مال كثير فأقمت معها مسرورا ثم ضرب الملك بعثا على جماعة انا منهم ليخرج الى مكان فيه زرع مستحصد يخاف عليه العدو أن يمنعهم منه، و يكون مقامنا اربعين يوما، ثم يأتي بعدنا عسكر يقوم مقامنا و نرجع الى اهلنا. فخرجنا، و أقمنا هذه المدة، ثم جاء العسكر فسألت بعض الواردين عن اهلي و منزلي، فقال لي: قد تزوجت امرأتك بعد خروجك، فاستثبت ذلك جيدا ممن ورد فأخبرت بهذا،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٢

فأخذني ما اقامني و أقعدني؛ فلما رجعت الى البلد عدلت عن منزلي و نزلت سوق الدواب، فسأل اهلي عن الواردين من اهل عسكرنا فأخبروهم بسلامتي و ورودي، فتعرفوا مكاني فإذا أم امرأتى قد جاءتنى و معها موكب عظيم من نساء الجيران عليهن البزة الفاخرة و الحلبي، فقالت لي حماتي: ما لك عدلت عن منزلك و أهلك و نزلت هاهنا و نحن نتعرف أخبارك و نشتاقتك، فقلت: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ١ ١٧٢ باب آخر ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصارى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم ص : ١٢١

ما اصنع بامرأة غبت عنها فتزوجت بعدى، أنا على أن ادخل على الملك و اكسر بحضرتة سيفى و أقطع زنارى و أعرفه ما جرى على. فقالت «١» لى اخطأ من قال هذا، ما تزوجت امرأتك و كيف تتزوج رومية بزوجين، إنما ذلك صديقها، لما غبت جاء و نزل عندها. فلما علمنا بقدمك حمل فراشه و انصرف، و استشهدت بأولئك النسوة و الجيران، فشهدن انه ليس بزوج و إنما هو صديقها، و إذا ليس / عندهم ان بهذا بأسا و لا عارا. ثم اقبلت حماتي تقول: لى قم الى بيتك فانظر الى المكنوز و النيذ و ما خلفته تجده لم ينقص بل هو محفوظ موفر، و إذا هى تبشرنى [فيما إذا] «٢» أن صديق امرأتى قد كفانى مؤونتها فى غيبتى و تسرنى بهذا أو تمن به على. و قال اولئك النساء و هن حليلات و أزواج كبار الناس، قم عفاك الله الى بيتك، فما هاهنا شىء يكره و لا ينكر، فقامت و حملت اثقالى و صرت الى منزلى و أنا مقيم على امرأتى، و ما اجد شيئا، و زالت الغيرة. ثم قال يا ابا الفتح: ما يدخل احد بلاد الروم إلا و قد طابت نفسه باتخاذ امرأته الأصدقاء، و زال عما كان عليه و امحت الغيرة من قلبه، و زال عن الحمية و ما كان عليه و هو مسلم.

(١) فى الاصل: فقال لى

(٢) هكذا وردت العبارة فى الاصل

فإن قالوا: مبتدع في دين النصرانية كما مثل ذلك مبتدع في الاسلام، قيل له: إن الروم قد كانت قبل التنصر تأكل الخنزير، و تستعمل الخصاء، و تغزو الامم، و تسيى و تقتل و تسترق، و ترى في الزنا ما قد ذكرنا، و تسير السيرة التي وصفنا. و لما تنصرت دامت على تلك السيرة فما زيلتها و لا زالت عنها، فمتى كان هذا الابتداع. و لا فرق بين من ادعى هذا، و ادعى ان الروم كانت على خلافه و رجعت إليه لما تنصرت، و من انتهى الى هذا فقد جحد و كابر و ليس مع المكابرة مناظرة.

و مما يحتج به النصارى و هو اكبر شبههم في دينهم، و أجل ما يلجئون إليه، و هو عمدة الخواص و العوام منهم، ان يقولوا: النصرانية دين صعب ضيق، قد أجابت إليه الأمم الكبيرة و الملوك بلا- إكراه و لا سيف و لا قهر و لا غلبة، و ما كانوا ليجيوا الى ذلك إلا بالآيات و المعجزات التي ظهرت على أيدي/ الدعاء إليها من الرهبان و الرواهب.

قيل له: قد بينا و عرف تبديل النصارى لدين المسيح و ميلهم الى ملوك الروم، و قد شرحنا ذلك و عرفناه، فلا نجد إلا النصارى ترومت و لم تنصر الروم. و أصل طوائفكم هم الروم، فهذا شاف كاف. و لو لم نعلم هذا و كيف الحيلة فيه من اوله الى آخره لما كان يشكل علينا أيضا بطلان هذا الاحتجاج و فساده، و أن اهل هذا الدين لا يظهر الله على ايديهم معجزة، و لا ينقض على يد احد منهم عادة؛ كيف و المعجزات لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام و في زمانهم.

ثم يقال للنصارى: إنكم ادعيتهم الصحة لدينكم بالكثرة و الملوك الذين تدينوا بدينكم، و الكثرة لا تكون دلالة في صحة الديانة، و إنما يدل على

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٤

صحة الديانة الحجة و البرهان لا غير ذلك، سواء كان اهل ذلك الدين قليلا او كثيرا. و قد كان المسيح و من اتبعه قليلا و الروم و اليهود هم الاكثر و أصحاب الملك، فيدل هذا على قياسكم انه لم يكن له معجزة. ثم يقال لهم:

انتم تدعون المعجزات و الآيات لرهبانكم و رواهكم و رؤسائكم في كل زمان و أنها لا تنقطع و لا ترتفع، و ها انتم قد أجبتم الى هذه الديانة و لم تروا معجزة و لا آية، فكذا من قبلكم قد أجاب على هذه الصفة و في هذا أتم كفاية لمن أراد الحق.

و هم في كل حين يجتمعون اذا ارادوا امر تحليل شىء او تحريمه، و يكون لهم فيه سنهوس «١»، و تفسيره الاجتماع للتقرير، فيفعلون ذلك، فاذا تقادم عهده، قالوا: هذا ما حرّمته تلك الجماعة إلا بظهور آية او معجزة، ألا ترى ان الجثلة و المطرنة «٢» قد كانت جائزة عندهم فيمن له الأهل و الولد، فصار الجثلة و الرؤساء يجعلون الرئاسة في اولادهم و يوصون بها في ذريتهم، فاجتمع النصارى و عقدوا تحريمها فيمن له اهل و ولد و عرف التزويج، فصار ذلك دينا لهم فاجتمعوا عليه و عملوا به من غير آية و لا معجزة.

و قد كان تزويج الأختين بالأخوين مباحا عندهم، فجرى من أختين كاتتا عند اخوين عداوة ادت الى معاداة بين الأخوين، فاجتمعوا و حرموا ذلك، و صار لهم دينا يعملون به و ان لم يروا فيه آية و لا معجزة. و قد كان تزويج بنت الأخ عندهم مباحا فجرى فيه نسب استنصر به بعضهم، فاجتمعوا

(١) كتب في الحاشية: تفسير سنهوس

(٢) الجاثليق بفتح الفاء: رئيس النصارى يكون تحت يد بطريق انطاكية، ثم المطران تحت يده، ثم الاسقف، ثم القسيس، ثم الشماس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٥

و حرموا ذلك، فصار لهم دينا بغير آية و لا معجزة. و هذا منه ما فعلوه قريبا و في الاسلام في دولة بني العباس. و مثل ما فعل مطران سمرقند فانه حرم على اهلها الفراه و زعم ان روح القدس تنزل في هذه الحمامة، فقبلوا ذلك منه و صبروه دينا.

و اذا اختلطت بهم و فتشتهم و دخلت بينهم و لا بست الجثلة و الرهبان وجدت هناك من الكذب و الجهل و الحرص على الدنيا و طلب الرئاسة و الجمع و المنع أمورا كثيرة، فان الواحد منهم يترهب و ما معه شىء و يصير كلا على غيره، و ما تمر الأيام حتى صار ذا

مال كثير حتى ربما مات عن عشرات ألوف، ثم يقال لهم: انتم طوائف كثيرة و بينكم خلاف كبير في اصل الديانة، تضلل فيه الملكية اليعقوبية، و كذا النسطورية لا ترضى مذاهب الملكية و اليعقوبية، و كل هذه الطوائف تدعى لرهبانها/ و رواهبها و رؤسائها المعجزات و الآيات، و كذا المنانية، فعلى قياسهم الحق في طائفة واحدة و الباقية كذبت فيما تدعيه لهم.

و قد قال بعض الحكماء هاهنا ديانات و مقالات تعرف كذب اهلها بأدنى تأمل:

منها: النصرانية، فانهم يدعون الآيات لكبرائهم، و انها لا- تنقطع في زمان من الأزمنة، و ان الذين اجابوا الى النصرانية انما اجابوا بالمعجزات، فيقال لهم: انتم اجبتم إليها و لم تروا آية و لا معجزة.

و منها، اصحاب النجوم، فانهم يمحرقون و يدعون بالاصابات لأوائهم، فيقولون: حكم جانان لكسرى بالدول و انتقالها، و للملوك في موالدها، فما أخطأ في حرف واحد، و كذا كنهك منجم الهند لملوك الهند، و كذا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٦

ذوروثيوس لملوك الروم، و بطليموس لملوك القبط «١». و ربما عملوا بذلك كتباً، و قصدوا الى دول و ممالك قد كانت، و وجدت، و عرفت الحوادث فيها و أعمار ملوكها الخاصة و العامة، فيذكرون الجمل منها و لا يفصحون بأسماء ملوكها، لئلا يعرف فيه كذبهم. فيقرأ هذه الكتب و الدفاتر الغر الغافل عن احتيال المحتالين او تقرأ عليه، فيظن ان هذا قد ذكره المنجمون في سالف العصر قبل ان ان يكون، فيعتقد في أحكام النجوم الصدق، و ان اهلها قد تكلموا بعلم. فيقال لهم: إن الكواكب و السماء ما ارتفعت و لا زالت و لا انتقضت، و هي كما كانت، فهاتوا و اخبرونا عما سيكون، او عما قد كان و وجد مما تشهدونه بعيونكم، و تلمسونه بأيديكم، فإننا نعد الى دفتر ضخيم مكتوب فيه فنقول لحذاقكم: خذوا طواعكم و أخبرونا/ كم ورقة هو، و كم سطر في كل ورقة فإننا نجد كذبكم فيه عياناً و حساً، و ما تحتاجون الى الإخبار عن نجم يطلع بعد سنة او عشرين سنة، و تخبرونا عن تلك الحوادث، فإننا قد قربنا الأمر عليكم لتعلموا ان هذه الدعوى كذب و مخاريق و حيل على الناس، و لتعلموا بكذب أولكم و آخركم.

فإن قالوا: لم تقتصرون منا على العلم بورق هذا الدفتر دون الأسطر و الحروف التي فيه؟ قلنا: إن مثل هذا و أكبر منه قد يصيب فيه الصبيان و الجهال الذين يلعبون بالخاتم و الزوج و الفرد بالاتفاق، فهاتوا ما يتجاوز اصابات الصبيان و الجهال و المجانين ان كنتم صادقين، و ان كان صنعتمكم حقاً؛ و هذا ما لا سبيل لكم إليه، و فضيحتكم فيه كفضيحة النصارى.

فان قالوا: قد يكون لنا اصابات في مواليد و مسائل؟ قلنا: قد يكون

(١) انظر ترجمة كنهك الهندي في الفهرست لابن النديم ص ٣٩٢، و ترجمة ذوروثيوس (في الاصل ذروسيوس) في الفهرست ص

٣٨٩، و كذا ترجمة بطليموس ص ٣٨٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٧٧

ذلك في قليل من كثير تخطئون فيه، و في جمل دون تفصيل، و الذي يأتي به الأنبياء فلا يخطئون في شيء منه مع كثرته، و الذي يتفق لكم من ذلك كما يتفق للغباب الذين ذكرنا، و كما يتفق لأصحاب الفأل و لمن يضرب بالحصا و البعير بالنظر في الكف و بزجر الطائر، و ما يتفق لهؤلاء من الإصابة أكثر من الذي يتفق لكم، و هم فيه أسرع، و أحوالهم فيه أكشف، و كما يتفق لبعض من يلقي الثعلب من السعادة، و لمن يلقي البوم من المحنة، و كما يتفق في رقى الهند و النصارى و المعزّمين من العافية و الإفائة، فيدعى اولئك ان هذا انما كان عن رقايم و عزائمهم، و ان ما هم عليه حق، و انهم قد نطقوا/ بعلم.

و منها، اصحاب الطلسمات «١»، فانهم يمحرقون و يقولون: إن الاسكندر شكا الى أرسطوطاليس بعد الماء عنه و عن عسكره عند لقاء عدوه، فعمل له طلسم سار الماء بمسيره و وقف بوقوفه، و انه قال له و قد ورد على بحر إن تشاغل بعبوره أبطأ عليه وفاته إدراك عدوه، فقال له: أيما احب إليك أيها الملك، ان اعمل طلسم تسير بعسكرك على وجه الماء كما تسير على وجه الارض، او اجمع

بين الشيطان لتعبيره، فقال: تجمع بين الشيطان فانه أقرب في المسافة، فجمع له بين الشيطان فعبر. و أن غير واحد قد عمل طلسمًا للقطعان من البقر والغنم و أمثالها من الحيوان، فتبعته و سارت بمسيره. و أنهم يعملون الطلسمات للبق و العقارب

(١) الطلسم و الطلسم في علم السحر: خطوط و اعداد يزعم كاتبها انه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطباع السفلية لجلب محبوب او دفع أذى، و هو لفظ يوناني، و قد يقصد به الغامض المبهم من الامر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٧٨

و الجراد و غير ذلك، فيصرفونها عن بلد بلد؛ و أن من عرف صنعة النجوم تأتي له ذلك. فقيل لهم: هذه كلها مخاريق، و إذا اردتم ان تعرفوا كذب اوائلكم فاعرفوه بكذبكم في زمانكم، فإن الكواكب ما بقيت و لا زالت، فهانوا شيئاً من هذا، و في تعذره عليكم دلالة على كذبكم و كذب اوائلكم.

فإن قالوا: بلاد حمص لا يكون بها عقرب، و إن دخلت إليها عقرب ماتت و انما هذا طلسم عمل لها، قلنا: قد بينا كذبكم حسا كما بينا كذب النصارى و المنجمين، فإن كانت حمص لا يعيش بها عقرب فان هذا من فعل الله تبارك و تعالى، قد يميت بعض الحيوان إذا صار في بعض الأماكن لتدبير له عز و جل هو اعلم به، و لمصلحة فيه. أ لا ترى ان بلاد الروم لا تكاد تبقى بها الجمال مع حرصهم في بقائها، حتى قال من لا يعلم: ان هذا لشدة البرد، فقيل له: فبلاد الترك / أشد بردا و بها الجمال، و الأتراك بالرى «١» إذا قطنوا بها فما يكادون يبقون بل يتماوتون، و الاصفهاني إذا أراد السفر الى الرى اوصى. و ما هذا الطلسم، و أرض مصر و غيرها من مواضع شتى لا يكاد يكون بها مطر. و ما ذاك الطلسم، و أرض العراق مع كرمها و طيب مائها لا ينبت بها الفلفل، و لا الدار فلفل، و لا العود و لا الزنجبيل و لا الدارصيني، و لا الزعفران، و لا سنبل الطيب، و لا يكون في انهارهم العنبر.

(١) الرى: بلدة عظيمة في ذلك الوقت، فتحها المسلمون في خلافة عمر رضى الله عنه، و اصبحت حاضرة اسلامية في القرن الرابع الهجرى حتى لقد فاقت بغداد نفسها في كثير من الاحيان. انظر: ابن الاثير الكامل ٩: ٢٣٥، السمعاني الانساب ٢٣٢، احسن التقاسيم للمقدسى ٣٨٥-٣٩٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٧٩

او ترى هذه الطلسمات وضعت بالعراق و اناث البغال لا تكاد تحمل بل لا تكاد تهيج. أ فترى هذا الطلسم و أودية العراق لا يكون فيها التماسح، و هو بمصر كثير. أ فترى هذا الطلسم وضع بالعراق لئلا يكون فيه هذا، او وضع بمصر حتى لا يفارقها. و هذا التماسح في نيل مصر، و هو في بعض المواضع بها دون بعض، و بأرض الكوفة و البصرة و واسط و بغداد و سر من رأى و مصر و القيروان، و هذه كلها أمصار اسلامية، و وضعت في الاسلام، و خطت في الاسلام، فحدثت امور كثيرة في احوال الحيوان ابداع مما يدعونه لحمص و غيرها بلا طلسم.

و المجوس تدعى ان لهم منتظرا حيا باقيا مهديا من ولد بشتاسف بن بهراسف يقال له أبشا وثن «١»، و انه في حصن عظيم من خراسان و الصين، و معه كثير، كلهم ثقات امناء اخيار، لا يكذبون و لا يعصون الله، و لا يقع منهم خطيئة صغيرة و لا كبيرة، و أن دعوتهم مجابة «٢»، و لهم دلالات و آيات و معجزات، و انهم صاروا الى ذلك المكان عند زمن زرادشت الذى تدعى نبوته، و انهم انوار ساطعة، و انهم من الجمال و الحسن و النظارة على امر عظيم، و أنهم لا يبكون و لا يهرمون و لا يموتون، و أن أبشا وثن لا يحتاج الى اكل و لا الى شرب، و لا يكون منه بول و لا غائط و لا شئ من الأذى. هذا الذى أتقنه مما قد ذكره أذرباذ بن أميد الموبذ في وصفه أبشا وثن، انه لا يأكل و لا يشرب و لا يبول و لا يتغوط، فأما اصحابه

(١) في الهامش كتب الناسخ ما يلي: «المجوس ينتظرون رجلا من ولد بشتاسف يقال له أبشا وثن.

(٢) نشأت في ايران فكرة كان لها اثرها في كثير من الديانات هي فكرة المخلص او المهدي الذي سيعود يوما الى العالم ليزيل الشرور و يحل العدل محل الجور و ينقذ البشر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٠

فلست اتيقن انه وصفهم بأنهم لا يأكلون ولا يشربون، و يغلب على ظني انه قد وصفهم بذلك، فأما العصمة و ان اصحابه بمثابة، فما اشك فيه.

ف قيل للمجوس: اذا شئتم ان تعرفوا اول امركم فاعتبروه بآخره تجدون بطلانه واضحا بينا، كما يجدونه النصارى و المنجمون «١» و أصحاب الطلسمات.

فإنكم تدعون ان قوما في زماننا هذه صفاتهم و أحكامهم، و عليكم في هذا فضل مزية في الباطل، فإنكم امم كبيرة قديمة تخبرون بكون هؤلاء في الدنيا معنا و في زماننا، و انهم يخرجون مع ابشاوثن هذا فيكلمون الارض كلها، و يعيدون المجوسية و ديانات الفرس و ملكها الذي أزاله الاسلام كما كانت. فقد كان ينبغي ان كان هذا في الدنيا هاهنا قوم يدعونه ان نعلمه بخبركم، و في عدم العلم بذلك دليل على انه امر لا- اصل له، و ما في الدنيا انسان يدعى هذا، و لكنه شيء وضعه لكم الواحد و الاثنان و نفر اليسير، فصدقتموه و احسنتم الظن بهم، و انتشر فيكم، و هو كذب و انتم لا تعلمون انه كذب، كما اصاب النصارى و غيرهم ممن كانت هذه سبيله.

و كذا لمن ادعى ان معنا و في زماننا إماما معصوما قد أقيم لنا و هو الحجّة علينا و على اهل الارض بأسرهم، قيل لهم: انتم امم كثيرة عظيمة بالعراق و بالشام و بفارس و بمصر و المغرب و الحجاز و اليمن و البحرين و كور الأهواز/ و بالجبال و الديلم و خراسان و كلكم يخبرنا بأن في الدنيا رجل هذه سبيله، و يدعو الى نفسه، و كلكم اصحابه و ينتظروه و يدعو إليه. و تصنيف الكتب في ذلك قد ملأت الدنيا، و نخاصم في ذلك، فلو كان في الدنيا انسان هذه

(١) في الاصل: المنجمين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٨١

سبيله لعلمنا ذلك بخبركم و بما نسمعه منكم و ان لم نصدقه فيما ادعى، و لم نقبل قوله و لم نر شخصه، و ان لم نسمع كلامه. أ لا ترى ان نبينا محمدا «١» صلى الله عليه و سلم لما ادعى انه رسول الله الى الخلق اجمعين و انه الحجّة عليهم علم ذلك من دعواه كل من بلغه خبره ممن صدقه او كذبه، و من رآه و من لم يره، و كذا العلم بمسيلمه و ما ادعاه و ان كذبه الناس كلهم. بل لو اخبر جماعة عن امرأة من وراء حجاب بصلاح او صلاح لعلم الناس ذلك بخبرهم اذا كانوا عالمين بما أخبروا، فكيف و انتم امم كثيرة عظيمة قد «٢» طبقت الارض و البر و البحر و السهل و الجبل، تعتقدون ذلك، و تخبرون به، و تدعون إليه، و تزعمون انكم اصحاب هذا الرجل و اتباعه، فلا يزداد من تأمل و نظر و اعتبر إلا علما بأن ليس في الدنيا انسان يدعى ذلك و لا يدعو إليه. فلو نظرتم و انصفتم لعلمتم ان اول امركم مثل آخره في الباطل، و ان النبي صلى الله عليه و سلم ما تدين بما تدعون و لا دعا إليه. لا هو و لا احد من اصحابه. فإن قيل: فلو قال لكم قائل و أنتم أيضا اول امركم مثل آخره، إذ ليس في زمانكم من معه معجزة و لا آية، فأولكم هذه سبيله ما كان يكون جوابكم؟

قيل له: لا سؤال علينا في هذا، لأننا نمنع ان يكون مع احد بعد نبينا آية او معجزة، و ما ندعى انه آية و معجزة فهو ما علمه كل من سمع الاخبار، و هو هذا القرآن و ما جاء مجيء القرآن، و نقول: لا حجة على الخلق إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم وحده، فعرفت

الفصل بيننا وبين من ذكرنا.

(١) في الاصل: محمد

(٢) في الاصل: فقد

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٢

و جواب آخر، و هو ان كل من سمع اخبار النبي عليه السلام فمن صدقه او كذبه يعلم باضطرار انه كان يدعى النبوة، و يدعى ان معه آيات و دلالات و معجزات. فان قالت النصارى: نحن اولنا المسيح و هو سلفنا، و أنتم تقرون ان معه آيات و معجزات، فكيف قلتم ان اولنا مثل آخرنا؟

قيل لهم: و من سلم لكم ان المسيح عليه السلام سلفكم، و نحن فقد دفعناكم عن هذا، و بينا انكم قد خالفتم المسيح عليه السلام في أصوله و فروعه، و نقضتم عهوده، و عطلمت وصاياه بيانا لا يمكنكم دفعه، و نحن فما علمنا ان المسيح نبى و انه قد كان معه آيات و معجزات بقولكم، و لا بنقلكم، و لا بدعواكم، و انما علمنا ذلك بقول نبينا صلى الله عليه، و لكن ادعيتم ان هذه الأمم ما اجابت الى النصرانية إلا- بالآيات و المعجزات التي ظهرت على بولص و جورجس و أبا مرقس و أمثالهم، و دونتم ذلك في كتبكم كما دونته المناينة و المجوس و غيرهم، و ادعيتم ذلك في كل زمان، و الناس معكم و يشاهدونكم فلا يرون لذلك اصلا و لا اثرا، و لا يرون إلا السيف و القهر و العسف و ان اول هذا الامر ما كان إلا بالسيف و القهر كما قد بينا، و هو قائم باق ما زال و لا حال بل زاد، و نحن فقد وجدناكم نزلتم على اهل المصيصة، و عين ذربة، و جزيرة اقريطش، و جزيرة قبرس «١»، و جزيرة أرواد، و الثغور

(١) في الاصل: قفرس، اما عين ذربه فقد اثبتها ياقوت بالالف المقصورة ذربي و قال:

بلد بالثغر من نواحي المصيصة، و المصيصة و طرسوس من ثغور الشام بين انطاكية و بلاد الروم.

اما اقريطش (كريت) فهي جزيرة بالبحر المتوسط، اول من غزاها من المسلمين معاوية ثم فتح قسما منها الوليد بن عبد الملك و تم فتحها بأمر المأمون الخليفة العباسي. و ارواد جزيرة صغيرة في البحر المتوسط مقابل طرسوس من سوريا. و سميظاط او سميساط مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات. و حصن منصور من اعمال ديار مضر غربي الفرات قرب سميساط. و سيمون او سيمان نهر كبير بالثغر من نواحي المصيصة قرب انطاكية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٣

الشامية، و الثغور الجزيرية، و ثغور ارمينية، و أذربيجان، و ما يكتر احصاؤه، و ما قد قدره اهل الخبرة الى هذه الغاية، و مقداره الف فرسخ مائت، و عمارته متصلة و مقدار السبي و الأسر نحو عشرين الف الف انسان، لا يقرون على الاسلام، بل يدخلون في النصرانية كرها، بالرهبة و الرغبة، و كذا من دخل في ذلك من البرغر و البرجان كله بالإكراه و السيف، و إن طالت مدته، و تناسى الناس كيف جرى ذلك.

و ادعيتم أن هؤلاء انما دخلوا في النصرانية بالآيات و المعجزات، و أن البطرك وافي من بلاد الروم، فنزل و جنده و عليه الجوزبا و الكتين و الودار و على رأسه القبع و في يده الكرار، فأقام موتاهم من المقابر، فقاموا بأسرهم من تلقاء انفسهم و صاروا الى بلاد الروم. و وافي ميخائيل الراهب الى اهل المصيصة فقلب سيحون زيتا، و جعل اغنامهم كلها خيلا، فقاموا كلهم من تلقاء انفسهم فقبلوا الصليب، و صاروا الى بلاد الروم. و كذا اهل سميصاط و حصن منصور، فليس عندهم في الكذب و البهت شيء، و هم قوم يكذب لهم رؤساؤهم فيقبلون ذلك الكذب عنهم، و قل مصر من هذه الأمصار و ثغر من هذه الثغور إلا و قد ترددت إليه ملوك الروم السنين الكثيرة، و نزلوا عليه الأعوام المتواليه، و رعوا زروعهم و حصروهم و منعوهم الأقوات، حتى اكلوا الكلاب و السنابير و الميتة، و قتلوهم

جوعا و عطشا، و قتلوا مقاتلتهم، و سبوا ذريتهم، و قادوهم بالسلاسل و الحبال، و أنزلوا بهم من المكاره ما يطول شرحه، و كذا امرهم من اوله الى آخره. و ليس / سيف حمل بباطل فى جميع الأزمان مثل سيف النصرانية كما قد بينا ذلك، و حيث لا يكون لهم ملك و لا سيف فإن من أسلم منهم يمنعون اهله، و يبطلون ديونه، و يذمون به بكل فاحشة، و يسعون فى كل ما يقدرون عليه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٤

من مكارهه و اضراره، و هذا أيضا ضرب من الاكراه.

ثم يقال لهم: هذه المنانية قد غلبت على المشرق، و ليس معهم سيف و لا مال، و يدعون ان دينهم اضيق الاديان و أصعبها، و أنهم لا يأكلون اللحم و لا- يؤذون شيئا من الحيوان، و لا- يأكلون إلا- ما انتبهت الارض. و عبادتهم من الصوم و الصلاة كثيرة عظيمة، و لا يدخرون الأموال، و يدعون ان المعجزات اضطرتهم الى هذا الدين، و هم يدعون ان المستبصرين من رهبانكم و رؤسائكم منهم، و يدعون هرابذة المجوس «١». قالوا: و لكن ليس لنا عند المسلمين ذمة كما لليهود و النصارى و المجوس، و متى أظهرنا لهؤلاء ديننا قتلونا، قالوا: و كذا يصنع بنا ملوك الروم. و يذكرون من آيات مانى و معجزاته انه كان نورا خالصا كله و أنه لم يكن له فى الشمس ظل، و أن الملائكة كانت تأتيه و تحمله حتى تصعد به الى الشمس فيصير فيها، و أصحابه يشاهدونه، و أنهم نقلوا ذلك الجمهور عن الجمهور، و الجماعات عن الجماعات، و يدعون لأتباعه المعجزات، و يدعون مع ذلك انهم اصحاب المسيح و على دين المسيح، و أن الانجيل الذى معهم هو الحق دون ما معكم، فينبغى ان يكونوا على قياسكم محقين، و أن ذلك انما تم لهم بآيات و معجزات كما ادعيتم ذلك، و لهم كتب مدونة فى آياته و معجزاته، و لعلها/ اكثر من السليحين الذى لكم، و من الآيات التى تضيفونها الى جميع من دعا الى النصرانية، مذ كانت النصرانية.

و هذه الهند، و هى امم عظيمة لعلها تزيد على امم النصارى «٢»، و لهم

(١) كتب المعلق على هامش الكتاب: هرابذة المجوس.

(٢) فى الاصل: للنصارى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٥

العقول و الحكم التى لا- تكاد تدانيها عقول الارمن و الروم، يعبدون البددة قبل تنصر الروم بالدهور الكثيرة، و ليس يدعون الناس باتباعهم لا بسيف و لا برغبة و لا بالرهبنة، و من دخل فيه لم يمنعه، و هم يدعون ان اصنامهم تكلمهم و تأمرهم و تنهاهم، و تبدرهم بالأمور قبل كونها، و تأتيهم بالأمطار و ما يسألونها من الرخاء و النعم، و تدفع عنهم السوء، و تشفى مرضاهم، و يحملون زمناهم على الجنائز الى سوق الاصنام فينقحون و يرجعون على اقدامهم، و يدعون انها تحيى الموتى، و لهم رقى يدعون انها تشفى و تحيى، فينبغى ان يكون هؤلاء محقين صادقين.

و المجوس تدعى لزرادشت من المعجزات و الآيات اكثر مما يدعيه النصارى لمن دعاهم الى النصرانية، و يقولون: نحن لا نكره احدا على الدخول فى ديننا و لا نرغبه فيه، و هو دين خصنا الله به، فمن دخل فيه لم نمنعه، و إنما نقاتل و نحمل السيف على الامم لتأدية الخراج و الدخول فى الطاعة فقط، فأما لأجل الدين فلا نحارب. و عقول الفرس و حكمتها و تحصيلها قد عرفه الناس، و كثرة و سع ممالكها فوق ممالك الروم بطبقات، فينبغى على قياسكم ان يكونوا محقين و صادقين.

فان قلت لهم: لكم ملوك عتاه جابرة هم ادخلوكم بالقهر و السيف و الرغبة و الرهبة فى هذا الدين، قالوا لكم: أما الدين فما تعرضوا لإدخال الناس فيه و لا/ اشتغلوا به، و إنما كان أخذهم للناس بالسمع و الطاعة و الخضوع للملك، و هذا معروف.

و العيان و الموجود من دين النصرانية و ما عليه هذه الطوائف لهم القهر و الغلبة و السيف مذ كانت الى هذه الغاية، و ما هاهنا سيف حمل بباطل إلا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٨٦

سيف النصرانية من اول امرها الى هذه الغاية.

وقد دعا واحد من اليهود الخزر وهم امم كثيرة فأجابوه ودخلوا في دينه عن قرب، وفي ايام بنى العباس و دولتهم، ولو أراد مريد ان يدعى انهم إنما اجابوا إلا بالآيات والمعجزات كما يدعى النصرارى لمن تنصر لأمكنه ذلك وكان اولى بالشغب من النصرارى، فإن هذا رجل واحد قصد الى ملك عظيم الشأن، و الى قوم اولى بأس شديد، فأجابوه بلا غلبة ولا سيف، و تحملوا ما في شريعة التوراة من الشدة بالختان و الوضوء و غسل الجنابة و تحريم الأعمال في السبت و الأعياد، و تحريم ما في هذه الشريعة من الحيوان، الى غير ذلك.

ولعل اليهود تدعى لهذا الداعي الآيات والمعجزات، فمنهم من يجيزها للصالحين منهم و هذا اولى بالشبه مما تدعيه النصرارى، و لكن النصرارى الكذب و أشد جرأة على ادعاء ما لم يكن.

ثم يقال للنصارى: ادعيتم لدينكم الضيق و الصعوبة، و قلتتم: هذا أحد الأدلة على صحته و على ان الامم لم تقبله و لم تدخل فيه إلا بالآيات، فقد عرفنا من قولهم في الآيات، و لو كان ضيقا صعبا شديدا لما دل ذلك على صحته فإن دعواهم هذه كدعواهم المعجزات. / و ليس يدل على صحة الدين ضيقه و صعوبته، بل ربما احتال الممخرق و المبطل على صحة ما يدعو إليه بالتصوف و التقشف و كثرة العبادة و المضايقة فيما يدعو إليه الى ان يتمكن، ثم يظهر مساوئه، و يكون ذلك له شبهة على من يرى ذلك و يسمعه، و النفوس ترحم المتصوف و المتقشف المواصل الصلاة و الصيام و إن كان مبطلا، و يحسن ظنهم فيه، و يسرعون الى القبول منه قبل النظر في حاله، و يكتفون بما يظهر منه عن البحث عن حاله، و في النظر و البحث شدة و مشقة، و تنفر نفوسهم عن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٨٧

حامل السيف و إن كان محقا.

و على ان ديانات المنائية اضيق من ديانات النصرانية لأنهم يحرمون اكل جميع الحيوان و ركوبه و أذيته بكل وجه، حتى انهم يحرمون قتل السباع و الحيات و العقارب و يصبرون على أذيتها و يحرمون ادخار الاموال، و يوجبون من الصوم و الصلاة اكثر مما توجهه النصرارى، و يحرمون المناكح كلها و لذات النفوس، فينبغى ان يكون دين هؤلاء هو اصح من النصرانية بألف طبقة.

و الهنذ لها عبادات كثيرة و زهد عظيم، لا يدانيه ما يفعله أزهد رهبان النصرارى. [و الهنذ لها عبادات كثيرة] «١» و توجب في دينها قتل انفسها، و تحرق انفسها بالنيران و هم احياء، و اذا مات رئيسهم احرقوه و احرقوا معه احبابه و اصدقاءه و خاصته و زوجته، يفعل ذلك بها ابوها و امها و اهلها، و ليس في دين النصرانية شىء من هذا، فينبغى ان يكون دين المنائية هذا «٢» اصح من مذاهب هذه الطوائف النصرانية.

على انا لا- نعرف دينا اوسع و لا اخص و لا أسهل من دين النصرارى، إذ ليس فيه زاجر مخوف كالحدود المكتوبة، و لا النار، و لا عذاب الآخرة، و ان اشد العذاب في الآخرة ان المعاند الذى قد عرف الحق و تركه، يلحقه غم مدة ثم ينجلي و ينقضى، فأما من لم يعاند، و ان اخطأ، و ان كان مع اعتقاده مخالفا لدين النصرارى فليس عليه خوف و لا عقاب، اذا كانت نيته سليمة و اعتقد الشىء على انه حق و ان كان باطلا. و اما النصرارى فليس

(١) لعل العبارة مكررة من الناسخ

(٢) فى الاصل: و هذا، و لعل السياق يقتضى حذف الواو.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٨٨

عليهم خوف، و لا يؤخذون بذنب من الذنوب، و قالوا لأن الرب الذى هو الأب «١» انما ارسل ابنه ليصلب و يقتل ليحمل خطايانا و

يغفر ذنوبنا. فليس دين يغرى بالقيح، و يبعث على ارتكاب الفواحش، و يهيج على الفساد اكثر من دين النصرانية، و هم يدعون فيه الضيق قحة منهم و مباهته، و هو كما ترى، و انما يدعون لأهله و لمن دعا إليه المعجزات لأنه ليس فيه حجة و لا على صحته دلالة. ثم نقول للنصارى: أ عندكم ان من حمل السيف كان مبطلا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فالمسيح اول المبطلين، لأنه «٢» عندكم ارسل موسى عليه السلام و غيره من الأنبياء بالسيف و قتل الرجال و النساء المخالفين له، و احل له فى بعض الحروب قتل الرجال و كل امرأة ضاجعت رجلا- و استبقاء الأبقار، و احل له الغنائم و اخذ الاموال و دفعها الى بنى اسرائيل، و كذا سائر الأنبياء الذين تتولونهم و تقولون إنهم على الحق، الى ان جاء المسيح و ظهر للناس،/ و قال: ما جئت مخالفا لموسى و لا للتوراة و انما جئت متمما، و لأن تسقط السماء على الارض ايسر عند الله من ان يحل شىء مما عقده موسى، و من حل و لوالدى هو، و اخذ من ناموس موسى يدعى ناقصا فى ملكوت السماء «٣».

ثم ليس عند هؤلاء اخذ الجزية ممن ملكوه و قدروا عليه و لا إقراره على

(١) فى الاصل: الابن

(٢) فى الاصل: لأنهم

(٣) جاء فى انجيل متى الاصحاح الخامس فقرة ١٧ و ما بعدها: «لا- تظنوا انى جئت لأنقض الناموس او الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء و الارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى و علم الناس هكذا يدعى اصغر فى ملكوت السماء».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٨٩

دينه، و ليس إلا الإجابة الى الدين او القتل، و هذا اعظم و أشد و أغلظ من دين الاسلام و شريعته.

و نراكم تدعون للمسيح الرأفة و الرحمة، و تزيهه عن فعل الألم و الشدائد و المضار و الهموم، و هو عندكم قد شرع التوراة و احكامها و حدودها، و غرق اهل الارض فى طوفان نوح، و عندكم ان هذا الموت و الجذام و البرص و العمى و الصمم و إنزال الجرب و الاسقام و انواع الألم بالبهايم التى ما عصت من فعله، ثم اباح ذبحها و اكل لحومها و إيلاها بالكبد و الركوب و الحمل عليها الى غير ذلك مما قد فعلوه، فأين الرأفة و الرحمة، و أين هذا ما أباحه نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من قتل من كفر بالله و افسد فى الارض، هذا و لو «١» كنتم ترون المسيح نبيا مرسلا لما وجب ان تعيبوا حمل السيف لأنه قد جاء و صوب حمل الأنبياء قبله للسيف، و اباحة الحيوان، و ان الامراض و الاسقام من الله و من قبل الله، فكيف و انتم [تدعون ان الفاعل لذلك جميعه هو المسيح] «٢» فما سمع بقوم هم اجهل و أوقح و أبهت من النصارى، إذ هذا قولهم و هم يعيبون حمل محمد صلى الله عليه و سلم السيف على من كفر بالله و عبد الاوثان و الكواكب و النيران من دون الله و كذب بهم/ و بهتهم اكثر من هذا. فإن قالوا: إن هؤلاء الأنبياء حملوا السيف بأمر الله، قيل لهم: فقد بطل ان يكون حمل السيف باطلا من كل وجه على ما ذهبتم إليه، و وجب ان يراعى حامله، فإن كان قد حمله بحجة كان محقا. فينبغى ان ينظروا فى اعلام محمد صلى الله عليه و سلم و معجزاته و آياته،

(١) فى الاصل: لو، و قد أضفنا الواو لما يتطلبه سياق الكلام.

(٢) وردت هذه العبارة فى الاصل على النحو التالى: «تدعون انه هو الفاعل لذلك جميعه المسيح له».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٩٠

و يعلموا «١» انه مثل من تقدمه من الأنبياء.

و تدعون التصوف و التقشف و طول الصيام و الصلاة، و النهى عن حمل السيف. و ليس فى دين النصارى و المنانية و الديسانية و

اشباههم حجة، فهم يخذعون الناس بلبس الصوف وإظهار الزهد.

ومثل هذا من جهلهم ومخاريقهم انهم يعيرون محمدا صلى الله عليه وسلم باتخاذ النساء، وهم يعلمون ان آدم ونوحا و ابراهيم و لوطا و إسحاق و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و داود و يوشع و غيرهم ممن يقولون بنبوته و يشهدون بصواب مذهبه، قد اتخذوا من الأزواج و السرارى مثل ما اتخذ هؤلاء، بل فيهم من قد اتخذ في ذلك اضعافا مضاعفة كما كان لداود و أمثاله. و الروم هم اصل النصرانية و لكنهم لم يجدوا في رسول صلى الله عليه وسلم مغمزا فعابوه بحمل السيف و اتخاذ الأزواج، و هم يعيرون هذا منه صلى الله عليه و يدعون ان الله قد اتخذ مريم اما لولده و اتخذ الولد لنفسه و ان لم يسموا «٢» مريم زوجة.

و من عجيب ديانتهم، ان المذنب منهم يقول للقس و الراهب: اعمل لى مغفرة و توبة و تحمل ذنوبى، و يجعل له على ذلك جعالة على مقداره فى الغنى و الفقر، فيسقط القس كسائه و يأخذ الجعالة ثم يقول للمذنب: هات الآن و اذكر لى ذنوبك/ ذنبا ذنبا حتى اعرفها و أتحملها. فيبتدئ ذلك المذنب رجلا كان او امرأة ملكا او سوقة فيذكر ما قد فعله شيئا شيئا، حتى يقول: هذه هى كلها، فيقول له القس: انها عظيمة و لكن قد تحملتها

(١) فى الاصل: و يعلمون

(٢) فى الاصل: يسمون

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٩١

و غفرت لك، فأبشر. و ربما جمع الكساء من اطرافه و وضعه على ظهره و قال: ما اثقل ما فى هذا الكساء من الذنوب. و من المأثور عنهم و الشائع عليهم ان المرأة تقر عند القس بذنوبها، فتقول: أصابنى رجل فى يوم كذا فيستفهمها كم مرة فتقول: كذا و كذا، فيقول لها: اخبرينى هذا الرجل نصرانى او مسلم، فربما قالت: مسلم، فيستعظم هذا، و يستريدها فى الجعالة، فان زادته، و إلا غضب و انطلق و هو يقول: قد زنى بها المسلمون و تريد ان اغفر لها و إنما اعطتنى كذا و كذا، فترده و تزيد و ترضيه. هذا من دينهم الذى الذى يدعون ضيقه، و يدعون انه على دين المسيح، و هذا لا يجوز ان يكون دينا له صلى الله عليه. و قد قيل لبعض قسوسهم ما هذا من التوبة؟ فقال: و ما وجه تركنا لهم لا نسألهم عن ذنوبهم و نطعمهم فى غفرانها، فإننا لو لم نفعل ذلك و نأخذ المال منهم لافتقرت البيع.

و قلّ ما تجد منهم من يخاف عذاب الآخرة، لأنهم يعتقدون ان المسيح إنما قتل نفسه ليقبهم من الذنوب و العذاب، و أنه جالس على يمين ابيه، و أمه جالسة مما يلى يساره فهى تتلقى الذنوب اذا طلعت و تقول لابنها: سل يا بنى أباك الرب غفرانها، فهو عندهم يغفرها و يسأل أباه غفرانها.

و الملوك بمصر و الشام و العراق و الجزيرة و فارس و ما و الى ذلك يعولون على النصرارى فى الكتابة و الوزارة و الجبهة. فلهم الرئاسة على المسلمين، يجبون اموالهم و يأخذونها منهم بالضرائب/ الموضوعه على كل شىء مما لم ينزل الله

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٩٢

به سلطانا، فيذلون بها الاسلام، و ينفقونها فى مكاره المسلمين.

و للفرس أيضا مثل هذه الفضائح التى تقدمت للنصارى، و هو ان زرادشت قد شرع لهم تطهير الحائض و النفساء و التى قد مات جينها فى بطنها ببول البقر «١» يتولى ذلك منها الهربد بعد ان يجردها و يعريها، و يباشر ذلك منها بيده و رأى عينيه، فيبركها و يغسل ذلك المكان بيده، و ربما جزعها منه جزعا و اخذ على ذلك الجعالة على مقدارها. و اول ما يأخذ الخلعة التى عليها اذا جردها للتطهير، و اقل ما يأخذ على افقر فقير اربعة مثاقل فضة. و زعم الفرس و المجوس انه كان يرتفع لموبدان موبذ فى ايام ملكهم من هذا الوجه اربعة ألف ألف دينار ينفقها على الهرابذة، و شرع لهم بالإلنجاب على زوج المرأة اذا غاب عن امرأته او عجز عن بضاعها، ان

يوكل في نيكها من يختاره من أصدقائه و ثقائه و رفقائه.

و لم نكن في الرد على المجوس و لا النصرارى، إنما قصدنا البيان انهم مخالفون للمسيح و دينه في الأصول و الفروع.

فهذا يرحمك الله اصل مذهب النصرانية، و مذهب القراء و الزهاد منهم.

فأما اهل الجدل و النظر و من يتجرد في نصره النصرانية و يضيف الكتب في ذلك فكلهم ملحد و زنادقة، و يكذبون المسيح و جميع الأنبياء عليهم السلام، و يستجهل الشرائع و من يعمل بها فلا تكاد تجد فيهم إلا من هذه سبيله، مثل: قسطا بن لوقا، و حنين بن إسحاق، و ابنه إسحاق، و قويرى، و متى الجرمانى و هو المكنى ابو بشر بن يونس الذى فسر كتب الملحد،

(١) كتب المعلق في الهامش: «تطهير الحائض و النفساء ببول البقر في شرع المجوس».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٩٣

و هلك في سنّى نيف و عشرين و ثلاثمائة، و بعده يحيى بن عدى، و عنه اخذ هؤلاء الملحد «١» / الذين في زمانك، و مذهبهم لا يقوم بالجدل.

و اذا قيل لهم: قالوا: حجتنا في ذلك على لسان أرسطاطالس و من قوله و من أصوله، و أرسطاطالس لا يؤمن بكتاب و لا نبى و لا شريعة، و ينكر فلق البحار، و انقلاب العصا حية، و إحياء الموتى، و ولادة مريم من غير ذكر.

و يرى ان التصديق بذلك جهل و حمق و قلة عقل. فانظر من أولى بقله العقل، هو او من يجعله حجه لدينه و يأخذ عنه، فما بعد هذا في فضيحتهم شىء.

فاعرف هذا من طريقتهم، فقد تبين لك ان ديانات هؤلاء النصرارى خلاف ديانات المسيح و وصاياه و عهوده، و علمت علم محمد صلى الله عليه و سلم بذلك، و ان علمه به من قبل الله، و انه من معجزاته.

و النصرارى تقول: لعمرى إن المسيح ما عمل طول حياته بشىء مما نحن عليه، و كذا تلاميذه من بعده فما لزموا شريعة التوراة و لكن من أتى بعدهم نقلونا و قالوا لنا قد قال المسيح: اعملوا بعدى بما ترون، قلنا: قد صدقتموهم في دعاويهم و هم قد جاءوا بالرئاسة عليكم و التحكم فيكم و فى أموالكم.

فإن قالوا: إننا لم نقبل منهم إلا بالمعجزات، فقد فرغنا منها و بينا كيف كان الأصل من قسطنطينوس بين هيلانة «٢» و بينا ان المسيح و صاهم بشريعة

(١) كتب المعلق في الحاشية: «الذين يكذبون المسيح و جميع الأنبياء عليهم السلام، و يستجهلون الشرائع مثل قسطا بن لوقا».

(٢) فى الاصل رسمت هيلانية، اما قسطنطينوس فقد رسمت فى الاصل على النحو التالى:

قسطنيطوس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ١٩٤

موسى عليه السلام، و ان يعملوا بما رأوه يعمل طول حياته بما قدمناه؛ من تجريد التوحيد، و تنزيه الله عز و جل، و بإقامة الشريعة كما بينا.

و حديث انتقالهم فى كتابهم المعروف بأفراسكس و فى السنهدوس الذى لهم، و انما هم ينهون من لا يعرف، و يقولون: نحن على شريعة المسيح، فإذا وافقهم العارف بذلك، قالوا: قد انتقلنا بالآيات و المعجزات، فإذا عرفهم حال قسطنطينوس بن هيلانة و ما فعله و جميع هذا الذى بيناه، قالوا:

نهينا عن الجدل و البحث و التفتيش.

و من عجيب أمورهم ان معهم و فيما حفظوه عن المسيح انه عليه السلام قال لهم: انكم تأتونى يوم القيامة، و ليحشرنّ إلى سكان الارض فيقومون عن يمينى و شمالى، فأقول لأبناء الشمال: لقد كنت جائعا فما أطعمتمونى، و عريانا فما كسوتمونى، و مريضا فما عدتمونى و لا- داوئتمونى، و محبوسا فما زرتمونى، فيكون من جوابهم ان يقولوا لى: متى كنت يا سيدنا مريضا او عريانا او جائعا او محبوسا؟ ألم نكن باسمك نتبأ، و باسمك نشفى المرضى و نقيم الزمنى، و باسمك نطعم الجياع، و نكسو العراء، و نداوى المرضى، و باسمك نأكل و نشرب؟ فأقول لهم: قد كنتم تذكرون اسمى و لا تشهدون علىّ بالحق، ابعدوا عنى يا عاملى الإثم. ثم اقول لأبناء اليمين: هلّم أيها الصالحون الى رحمة الله و الى الحياة الدائمة، و ليس هاهنا من يطعم و يكسو او يداوى المرضى و يأكل و يشرب باسم المسيح و يفعل ذلك للمسيح إلا هؤلاء الطوائف من النصارى. فهذا نصّ واضح ببراءة منهم، و عداوته لهم. و الروم تأكل الخنزير و جميع الحيوان و ذبائح الناس كلهم، فتبعوا الروم فى هذا كما تبعوهم فى غيره. فاذا قيل لهم فى ذلك، قالوا: إن شمعون الصفا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٩٥

رأى فى المنام، و اذا ثوب مربوط بأربعة اطرافه و هو ينزل من السماء الى الارض، فيه كل الدواب ذوات الاربع القوائم و زخارف الارض، و طير السماء، و حيوان الماء. و سمع صوتا يقول: قم يا شمعون، قم اذبح و كل، فقال شمعون: حاشا لى يا رب، فإنى منذ قط لم أكل شيئا نجسا، فعاد الصوت/ المرة الثانية يقول له: لا تنجس ما طهره الله. و هذا عندهم رآه شمعون بعد موت المسيح و رفعه. قلنا: فقد شهد شمعون ان هذا مما حرمه المسيح و نجسه، فقد اكد فضيحتكم اذ هو ما جاء الا بالتمام لا بالتغيير و النسخ. و العجب ان معهم فى أشعيا النبى «١»، أن شر الأمم و أنجس الأمم و أحبب الأمم، هذه الأمة ذات القلفة، الآكلة للخنزير، و كل البهائم. و هذا هو صفتهم.

و فى النصارى من يزيد فى الكذب و المخرفة و يقول: انما قتل اليهود المسيح لأنه أحيى الموتى و أقام الزمنى «٢» فى يوم السبت، و هذا دليل على انه أحل السبت، و نسخ ما فى التوراة. قلنا: قد بينا ما فى الأناجيل و فى أفراسكس من وصايا المسيح بالتوراة، و ما عمله، مما فيه بطلان هذه الدعاوى.

(١) فى الاصل: شعيا بدون ألف

(٢) جمع زمين: و هو المريض الميئوس من شفائه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ١٩٦

و مما يزيد فى البيان عن كذبهم قول متى فى انجيله: «ان المسيح كان يتمشى بين الزروع يوم السبت، و كان تلامذته قد جاعوا، فجعلوا يفركون السنبل و يأكلون، فلما رأى الأحبار ذلك قالوا له: إن تلاميذك هو ذا يفعلون ما لا يحل لهم فعله فى السبت، فقال المسيح: فما قرأتم ما صنع داود إذ جاع، كيف دخل بيت الله و أكل من خبز مائدة الرب الذى لم يكن يحل له أكله، ما خلا الكهنة فقط.

و قال لهم أيضا: «و ما قرأتم فى التوراة ان الكهنة فى الهيكل يحلون الهيكل و ليس عليهم لوم». فانظر كيف بين ان هؤلاء ما حلوا «١» السبت و لا ما فى التوراة، و أنهم انما عملوا بما يحل فى التوراة، و لكنكم انتم جهلتم، فلو كان قد نسخها لقال لهم: انما فركوا السنبل فى السبت لأن الله قد نسخ ذلك على يدي، و لم يحتج الى تبين حال الاضطرار.

و ذكر متى فى انجيله ان المسيح لما أبرأ الرجل الأمثال قالت له اليهود:

هل يحل الإبراء فى السبت؟ فقال لهم: اذا وقع لأحدكم كبش فى البئر أ ما تستخرجونه، فالإنسان أفضل من الكبش، و أنه قد يجوز أن يفعل الفعل الجميل فى السبت، فلو كان حل السبت لقال ذلك و أظهره و لم يحتج، و قد قال لوقا فى انجيله: ان المسيح كان يعلم فى

يوم السبت في بعض الكنائس، و كان هناك امرأة بها مرض منذ ثمانية عشر سنة، و كانت منحنية، و لم تك تستطيع ان تبسط قامتها، فلما رآها المسيح قال لها: ايتها المرأة قد اطلقت من مرضك، فعوفيت من ساعتها. فقال رئيس اليهود: إن الايام التي يجوز فيها العمل ستة ايام ففيها تعالجون لا في السبت، فقال له المسيح: أما يطلق

(١) هكذا في الاصل، و لعلها أحلوا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٩٧

احدكم ثوره او حماره عن المعلف في يوم السبت و يذهب به و يسقيه الماء، فهذه التي هي بنت ابراهيم عليه السلام، و قد ربطها للشيطان منذ ثمانية عشر سنة لا يجب ان تطلق عن الأسر. فلو كان كما قال هذا الكذاب، لقال: السبت منسوخ، و كل الاعمال فيه جائزة مباحة.

و ذكر متى في انجيله: ان المسيح خبر ببلاء ينزل بأصحابه و جلاء، ثم قال لهم: صلوا لله و ارغبوا إليه ان لا يكون هربكم و جلاؤكم في يوم السبت و لا في الشتاء. و هذا قاله لهم عند فراقه إياهم و وداعه لهم، لتعلم تأكيد لإقامة السبت من بعده و التمسك بشرائع التوراة، و انما امرهم مسألة/ الله ألا- يكون هربهم في يوم السبت، لأنه لا- يحل لهم ان يحملوا في يوم السبت شيئا من امتعتهم و أموالهم، و انما يحل النجاة بالنفس لا غير. و كل هذا بين رفض النصارى لدين المسيح.

و اذا قيل لهم: لم تصلون الى المشرق و قد علمتم ان المسيح لم يزل يصل الى بيت المقدس الى ان خرج من الدنيا، و انما المشرق قبله الروم؟ قالوا:

لأن الله خاطب الأنبياء من قبل المشرق، و بعضهم يقول: ان المسيح لما صلب أمال وجهه الى المشرق فلهذا صلينا الى المشرق، فقيل لهم: فمن أعلم بالمصالح أنتم أم المسيح، و قد علمتم و تيقنتم انه ما صلى الى المشرق، و لكنكم صرتم الى ديانات الروم و فارقتم دين المسيح.

و في الانجيل سألته السامرية: ارى انك نبى أنت، آباؤنا انما سجدوا في هذا الجبل، و أنتم تقولون: إن الموضع الذي يجب السجود فيه انما هو اورشليم قال لها يسوع: ايتها المرأة «١» صدقت «٢»، أما [إن] «٣» بين اتباعه [من] «٤» لا

(١) في الاصل: الامرأة

(٢) في الاصل: صدقتي

(٣) زيادة على الاصل يقتضيها السياق

(٤) زيادة على الاصل يقتضيها السياق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ١٩٨

يسجدون للرب لا في هذا الجبل و لا في اورشليم.

فانظر الى الافصاح و البيان في هذا، ان المسيح إنما كان يصل الى اورشليم و هو بيت المقدس، ليعلم انهم خالفوا ما كان عليه. و قد ذكرت لك انه ما قصدنا بيان فساد النصرانية، إنما قصدنا البيان عن مفارقتهم لدين المسيح و مخالفتهم له في الاصول و الفروع جميعا مع شدة تحققهم به، و أن علم محمد صلى الله عليه و سلم بذلك انما هو من قبل الله عز و جل، و أن ذلك من معجزاته و آياته و إن كان قد اتفق من حكايات اقوالهم و الرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب، سيما حكاية تسابيحهم و أقاويل رؤسائهم. فاحفظ بذلك فانك لا تكاد تجده/ في كتاب، و بك الى حفظه امس الحاجة.

فأما المسألة لهم و الرد عليهم فكثير.

فمن ذلك، كتاب الجاحظ، وكتاب آخر له يعرف بالرسالة العسليّة، ولأبي جعفر الاسكافي، ولأبي بكر احمد بن علي بن الإخشيد قطعة حسنة في كتاب المعونة. ولأبي عيسى الوراق كتاب عليهم، ولأبي علي كتاب عليهم، ولأبي هاشم مسألة في البغداديات، وفي أصول ابن خلاد وفي شرحه، وفي الايضاح لأبي عبد الله البصري، رحمه الله عليهم اجمعين، كلام عليهم (١).

(١) ابو بكر الاخشيد احد رجال الفكر الذين أيدوا المعتزلة في بعض أقوالهم وخالفهم في بعضها توفي سنة ٣٢٠ هـ. اما ابو علي و ابو هاشم فهما من كبار رجال الاعتزال وقد سبق التعريف بهما، اما ابو عبد الله البصري فهو الحسين بن علي اكبر أساتذة القاضي عبد الجبار ومن كبار رجال المعتزلة توفي سنة ٣٦٧ هـ او ٣٦٩. و اما ابو علي بن خلاد فهو أيضا احد كبار رجال الاعتزال وهو صاحب كتاب الاصول والشرح في علم الكلام وهو احد أساتذة القاضي وقد عده في الطبقة العاشرة، اما ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي فقد كان احد أئمة الاعتزال، خلف حوالي سبعين كتابا في الكلام، توفي سنة ٢٤٠ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ١٩٩

وليس عندهم ان المسيح تكلم في المهدي، ولا اتى ببراءة ساحة أمه، وأكثر ما عندهم ان مريم عليها السلام كانت مملكة بابن عم لها يقال له يوسف ويعقوب النجار، وأنها كانت عنده، وأن الناس كانوا يرون ان المسيح ابن يوسف، الى ان عمده يوحنا في الاردن، وجاء الصوت من السماء: هذا ابني الذي سررت به نفسي. قالوا: فعلمنا انه ابن الله تعالى الله لا ابن يوسف النجار. قالوا: وكان هذا بعد ان اتى على المسيح ثلاثون سنة، وكان الناس لا يشكون انه ابن النجار الى ان جاء هذا الصوت بزعم النصارى، فأى سخف وضعه و طعن في حكمة الله اعظم من هذا، وهو عندهم رب العالمين، وقد خلى عباده يقذفون أمه.

وفريق منهم وهم الخاصة يذهبون الى ان ربهم يهودى بن يهودى، مولود من يهودية، و ان أمه امرأة يهودية، وقال متى في انجيله: لما ظهر الحمل بالمسيح بمريم البتول هم يوسف النجار بطلاقها، فأناه الملك في المنام فقال له: يا يوسف النجار لا ترتب بحليلتك مريم فإن الحال فيها من روح القدس، فأمسك عن طلاقها.

فانظر كيف يشهد بأنها حليّة يوسف النجار وزوجته،/ وانه هم بطلاقها واتهمها بالزنى وأراد طلاقها فرارا من العار.

وبعضهم يذكر في ترجمة انجيله: هذا ميلاد يسوع (١) بن يوسف النجار، ومتى يقول في انجيله: هذا ميلاد يسوع (٢) المسيح. وقال: يعقوب والد يوسف رجل مريم التي منها ولد يسوع المسمى مسيحا، فانظر كيف يحققون ان يوسف زوجها.

(١) في الاصل: ياشوع.

(٢) في الاصل: ياشوع.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٠٠

وفي الانجيل ان المسيح لما ولد ختن بعد ثمانية ايام، وان يوسف النجار اخذه مع أمه و خرج بهما الى مصر فأقام اثني عشر سنة، ثم اخذهما و ردهما الى بيت المقدس.

وفيه ان يوسف دخل بيته فقال لمريم: اين الصبي، يعنى عيسى المسيح، فقالت له: ظننته معك، فقال: و أنا ظننته في البيت عندك و معك، فقلقا لذلك و خافا عليه الضياع، فخرجا جميعا في طلبه، فقال يوسف النجار:

لمريم خذى أنت طريقا و آخذ انا طريقا آخر، فلعل واحدا منا يجده.

فمشيا متحرقين، فلقيته مريم أمه فقالت: يا بنى، اين تكون؟ ظننتك مع ابيك و ظنك ابوك عندي فلما لم يرك قلقتنا فأخذ ابوك في طريق و أخذت انا هذا الطريق، فأين كنت، و مع من كنت و ابوك متحرق عليك؟

فقال: كنت في بيت المقدس اتعلم.

و ذكر متى في انجيله: ان المسيح اجتمع مع اليهود و ضرب لهم الامثال، فلما فرغ المسيح من هذه الامثال تحول فدخل مدينته، و كان يعلم في كنائسهم فكانوا يتعجبون و يقولون: من اين لهذا هذه الحكمة، أليس هذا ابن يوسف النجار، أليس أمه التي تسمى مريم و اخوته يعقوب و شمعون و يهوذا و اخواته كلهن أليس هن عندنا، من اين لهذا هذا كله، و جعلوا يحتقرونه و يأتون فيه/ و يقدفونه، و المسيح يقول لهم: ليس من نبى إلا و يحتقر في مدينته.

و النصارى توافق المسلمين في ان المسيح ولد من غير ذكر، ثم يقولون في انجيلهم: إن يوسف النجار زوج مريم أم المسيح، و رجل مريم، و ابو المسيح، و انه كان يدعى بذلك و يعرف به غير متناكر بينهم، و أنه كان له إخوة و أخوات.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج 1، ص: 201

و فى أناجيلهم و أخبارهم انه لما طلب جاءته أمه مريم و معها أولادها يعقوب و شمعون و يهوذا، فوقفوا حذاءه، فقال لها و هو على الخشبة: خذى أولادك و انصرفى، فما الذى بعد هذا فى البيان ان مريم ولدت بعد المسيح من يوسف النجار هؤلاء الجماعة و كانوا إخوة المسيح من أمه، فأى فضيحة تكون أشبع من هذا.

و من عجب امر النصارى، ان اصحاب الأنجيل الاربعة قد قصدوا الى ذكر نسب يوسف النجار خاصة، و ليس فى ذلك نسب للمسيح اذ كان مولودا من غير ذكر، و انما يتصل نسبه الى سليمان بن داود عليهما السلام من قبل أمه لا من قبل احد من الرجال، و هذا تخليط بين و جهل ظاهر، و لذلك وجد اليهود السبيل الى الطعن فى المسيح.

و لتعلم رحمك الله، ان هذه الطوائف من النصارى أجهل عالم الله بالمسيح و اخباره و أخبار أمه، و ان كل واحد من اصحاب هذه الأنجيل إنما تلفظ ما كتبه بعد المسيح بالدهر الطويل، و بعد مضى اصحابه عمن لا يعرف و لا يحصل، و فيها من الاختلاف و التناقض لما هم عليه ما يطول شرحه.

و فى أناجيلهم ان المسيح أتاه قوم من اليهود يسألونه آية فقدفهم و قال مجيبا لهم: إن القبيلة الخبيثة الفاجرة تطلب آية و لن تعطى آية خلا آية يونان النبى، هذا على قولهم يدل انه ما معه آية بهذا الإفصاح، و أنه ما ادعى ذلك عند الحاجة إليه.

و النصارى لا تعرف الربوبية و لا تفرق بينهما و بين الانسانية و لا يقوم على احد حجة بنقلهم و ادعائهم إلا بآيات للمسيح، و لو لا شهادة رسول الله صلى الله عليه و سلم للمسيح عليه السلام بالنبوة لما عرف احد ذلك.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج 1، ص: 202

و من أكبر كيد رؤساء النصارى، ادعاء المعجزات لأنفسهم و لأمثالهم ممن سلف من رؤسائهم، و النصارى تقبل ذلك منهم بغير برهان و لا حجة، فاذا مات ذلك الرئيس من راهب او قس او مطران او جاثليق قعد راهب و قال:

أنا كنت أخدمه فرأيت منه العجائب، فترحموا عليه معشر النصارى، و توسلوا الى الله به فانه شاهد، فاشهدوا قبره و أكثروا زيارته. فيقول النصارى له:

يا ربانى «1» حدثنا بما رأيت منه فيمتنع و يقول: أعفونى من الشرح، و كلما تمنع لجوا فى مطالبته، فيقيم على الامتناع فيزدادون حرصا فى استخباره، فيقول: إنه فى حياته ما تحدث به فما أحببنا ان أتحدث به بعده، و إنما ذكرت لكم فضله لتتوسلوا الى الله به، فان صدقتمونى فافعلوا و إلا فدعوا فما يضرنى و ليس هى أعجوبة و آية لى و انما هى له، فيزدادون حرصا، فيقول:

قد كان انقطع بنا الزيت فى البيعة، و كان لا يطلب الزيت من احد و لا يدعنى أطلبه، فاذا كان الليل أشعل القنديل و قام الى جرة له فيها خل فيصبه فى القنديل فيصير من ساعته زيتا فيصطبح به كذا و كذا شهرا و قد كان فى الجرة أكثر من خمسين رطلا خلا و هو فى الجرة نأكله عند الافطار، و فى الليل/ اذا قلبه فى القنديل صار زيتا.

و يتحدث آخر عن راهب صحبه، يقال له أبا مرقس، و انه كان كثير العبادة، و أنه توكل على الله و ألقى نفسه فى البحر، و قال: يفعل الله بى ما شاء، إن شاء غرقنى و ان شاء نجانى و القانى حيث شاء من ارضه. قال: فما جسرت ان افعل مثل ما فعله، و أقمت بمكانى

بعده على ما في من وحشة فراقه مدة طويلة، ثم دعاني ما في من الوحشة له ان افعل مثل فعله، فإما

(١) في الاصل: يا ربن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٠٣

ان أغرق فأستريح من الوحدة «١». ففعلت و بقيت في البحر مدة، ثم ألقاني الله الى ارض لا اعرفها و لا بها ينوته يأكل منها حيوان؛ فأقبلت امشى فيها فوقعت عيني على شخص قائم يصلى فقصدت نحوه فاذا هو «أبا مرقس» صاحبي، فقلت له: رباني «٢»، مذ كم أنت هاهنا؟ قال: مذ فارقتك ألقاني الله الى هذه الارض، فقلت له: من اين تعيش و ليس هنا ينوته يأكلها حيوان؟ فقال: اذا كان العشاء التفت من صلاتي فأجد سمكة مشوية حارة في طبق رغيفين و سكرجة عسل، فأفطر على ذلك و يرتفع الطبق و لا ارى من يرفعه و لا من يضعه. فقلت له: هذا المقدار هو قوتك أنت و ان شاركتك فيه ضيقت عليك، فكيف اعمل انا و هذه ارض قفر، ما بها نبات و لا بها بيس «٣»، فقال: ما ادرى و ان شئت ان تقيم و تشاركني فيما يجيئني فافعل.

فأقمت، فلما كان العشاء اذ بطبقين و سمكتين و رغيفين و سكرجتين، أحدهما لي، و الاخرى له. فقال لي: قد جاءك من الرزق مثل ما جاءني، فأقمت معه كذا و كذا/ سنة، فمرض و وصاني بدفنه و أمرني انصرف بعد دفنه إليكم لأعرفكم خبره لتزدادوا بصيرة في دينكم، و لو لا وصيته لما فارقت المكان.

و يقول آخر من الرهبان لهم: أبشروا معشر النصارى، فإن دينكم الحق، فقد رأيت من العجب ما عرفت صحته، فيقولون له: مثل اى شيء رأيت فيقول: ليس هو شيء لي و إنما هو لغيري، و هو انى كنت في جملة الجاثليق فلان، فقال لي: يا اخى بلغنى عن مطران خراسان انه يأكل اللحم، فامض إليه و قل له: أ ما علمت ان المطران لا ينبغي له ان يأكل اللحم؟ فمضيت

(١) لعل في العبارة نقصا

(٢) في الاصل: ربن

(٣) في الاصل: أيبس

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٠٤

إليه فاتفق دخولى عليه و بين يديه مقلى مملوء عصافير قد قليت و هى حارة، و هو يأكل، فقال لي: كل، فقلت له: ابونا الجاثليق ارسلنى إليك يقول لك: أ ما علمت ان المطران لا ينبغي له ان يأكل اللحم، فقال لي: هكذا قال لك ابونا؟ فقلت: نعم، فرفع يده و قال لي: نعمل ما قال ابونا، و قال لتلك العصافير التى فى المقلى: كش، فتطايرت كلها، و رفع المقلى، فيصدقونه و يدونون ذلك، و يكتبونه. و يطراً على من بالعراق منهم و ما و الى العراق راهب لا يعرفونه، فيقولون له: و قد دخل البيعة: رباني، من أنت، و من اين جئت؟ فيقول: دعونى و أعفونى فيراجعونه فيقول:

ذنبى عظيم و فضيحتى فاحشة فلا تسألونى عن شيء، فيلحون فى سؤاله فيقول:

بشرط انكم تسترون على، فيقول: انا كنت رجلا يهوديا شديد البغض للنصارى و المسيح، و سمعتمهم يقولون فى الانجيل ان المسيح قال: من كان نصرانيا خالصا و قال للشجرة قفى على أمواج البحر/ و لا تبرحى، فانها تقف. و كنت لا اصدق بهذا فجئت الى الملك و قلت له: أنا رجل يهودى، و قد قلت ان المسيح قال لكم كيت و كيت، فإن صح هذا و رأيتة بعينى تنصرت من ساعتى. فوجه الملك الى السواد فجأوه بشيخ ضعيف البنية و عليه المسوح، فقال له: هذا رجل يهودى، و قد قال كذا و كذا، فهات ما عندك فى هذا، فأقبل الشيخ على و قال: يا هذا اتق الله، إن كنت متعتنا فامض بسلام و لا تؤذنا، و إن كان ما تقوله حقا و عن نية صادقة فعرفنى، فحلقت له على صدق نيتى، فقال لي: اذهب الى الصحراء فانظر اى شجرة شئت فعلم عليها و ارجع إلى معرفنى العلامة، فذهبت و

أعلمت على شجرة عظيمة و رجعت إليه فعرفته، فقال لي: تجيئني في غد حتى اريك شجرتك على موج البحر كما اقترحت. فجيئته من غد و أخذ بيدي و جاء بي

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٠٥

الى البحر فأراني الشجرة التي اعلمت عليها قائمة منتصبه على موج البحر فتنصرت، فأنا اسبح في الارض و أبكي على ذنوبي و ذهاب ايامي. فيصدقونه، و يكتبون ما قاله، و يكون مما يدرس في البيعة و يسمعه الرجال و النساء.

و يجيئهم آخر من الرهبان فيبكي، فيقولون له: من أنت، و ما يبكيك؟

فيقول: دعوني فإن مصيبي عظيمة، فيقال له: اذكرها يا بني، فيقول:

ما اعقل امرى، و ما ادري ما اقول، فيقولون له: على كل حال اذكر مصيبتك و عرفنا حالك، فيقول: او ليس قد مات ابونا جورجس؟ فيقال له: و من جورجس؟ فيقول صاحب البلا الفلاني و الصومعة الفلانية، فيقولون:

ما نعرفه، و ربما فيهم واحد يقول: قد سمعت به فيقول: فهل بلغتكم آياته و معجزاته، فيقولون: حدثنا بها، و اذكرها لنا. فيقول: ما «١» لي اذكرها لكم، ما انتم نصارى بل انتم خلاف النصارى، و لو كنتم نصارى لعرفتموه و عرفتم آياته و دلالاته. فيسألونه ذكرها فيأبى و يتمنع، فلا يزالون يراجعونه/ فيخبرهم ان الملك الفلاني ارسل فأشخصه، و قال له:

ارجع عن هذا الدين و أنا اعطيك و أكرمك و أشاركك في ملكي، فأبى، فحبسه في محبس وثيق ضيق، ثم طلبه من السجن فما وجدته في السجن، فلحق السجن من الملك كل ما يكره، و قال له: أنت اطلقته، و بث الرسل في طلبه فوجدوه في صومعته فأتوا به الملك فقال له: اخبرني عن السجن، أهو الذي اطلقتك؟ فيقول: لا، المسيح اخرجني، و فتح الابواب لي، و حجب الأبصار عني، فقال له الملك: انا الآن احبسك في محبس، فقل للمسيح يطلقك. فحبسه في محبس وثيق من وراء ابواب حديد مقلعة،

(١) في الاصل: لما، و لعل الصحيح ما اثبتناه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٠٦

ثم طلبه فما وجدته. فأرسل الى صومعته فإذا هو فيها، فجاء به، و قال له:

من اطلقتك فقال له المسيح: فرده الى الحبس و قيده و ثقله بالحديد و زاد في التوثق، ثم طلبه فما وجدته في الحبس، و الأبواب و الأقفال كما كانت، و وجد القيود؛ فأرسل في طلبه فوجدته في صومعته فجاؤوا به و قد اغتاط الملك مما يتم له، و من تخجيله له مرة بعد اخرى، فأمر فضربت عنقه و دفن فلما كان من غد يوم دفنه وجدوه في صومعته، و قيل ذلك للملك، فبعث و أحضره و قطعه إربا «١» و حمل و دفن فلما كان من غد وجدته في صومعته، و قيل ذلك للملك، فأرسل و جاء به و قطعه إربا «٢»، و دعا بنار فأحرقه و أمر برماده فألقى في البحر، فلما كان من الغد وجدوه في صومعته، فأرسل الملك و جاء به و اعتذر إليه و تنصر.

فيقول الراهب: و كل هذا كان منه و أنا معه و أشاهده منه و ما فعله الملك به، فمثل هذا لا ابكي عليه و لا تعظم مصيبي به. و أشد من هذا، جهلكم و غفلتكم حتى كأنكم ما انتم نصارى و لا سمعتم/ بالنصرانية، و يبكي، فيصدقونه و يعتذرون إليه من غفلتهم و جهلهم بهذا الرجل و بما كان معه، و يجتمعون:

رجالهم و نساؤهم و صبيانهم، و يسألونه ذكر ذلك لهم، فيعيده على فوج بعد فوج، فينصرفون عنه و قد صدقوه. و يبنثون و يتحدثون بذلك سرورا به، و يخالدون ذلك، و يجعلون لمثل هذا اعيادا، و يجعلون له أياما معلومة يقيمون هذه الاعياد فيها، و يعيدون حديثهم ليتطرًا ذكرها و ليسمعها من يشاء من ذراريهم، و يسمون ذلك ذكران؛ فيقولون: هذا ذكران جورجس

(١) في الاصل: اربا

(٢) في الاصل: ارايا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٠٧

و هذا ذكران ابا مرقس، و هذا ذكران فلان «١».

و يجيبهم آخر، فيقول: تدررون معشر النصارى لم صار في العرب و القبط و الحبشة و الفلانيين «٢» نصارى؟ فيقولون: لا، [فيقول «٣»] و لكننى أدرى و لو كنتم نصارى لدريتم، فيسألونه فيخبرهم. فيقول ان الآباء الأوائل باتوا ليلئ لسانهم واحد، فأصبحوا و قد نطق كل واحد منهم بلسان امء من الأمم، فانطلق كل واحد منهم الى تلك الأمة التى نطق بلسانها، فدعاهم بلسانهم، و أظهر لهم الآيات و المعجزات، و إلا فقولوا لنا: لم تنصرت الارمن و العرب و القبط و الحبشة؟ فيقولون له: صدقت، هذا برهان تير فيكتبون هذا و يدونونه و يجعلون له عيداً و ذكرانا، و هذا اصله و مخرجه و أوله. فإذا تخلد و انبث و مرّت عليه الدهور و أتت عليه الأعصار، ادعوا انه شىء كان أصله بمشاهدة الأمم لأن الكذب فيما تقادم عهده أمكن. و انما يجعلون له ذكرانا و عيداً و يوماً بعينه لتتم الحيلة فيه، و ليظن من يسمع انه ما جعل له عيد و يوم معلوم و تاريخ مؤقت محدود إلا و هو حق و له اصل ليتأكد/الكذب و يتم التمويه، و ليتصل البر و الصدقات على الرهبان فى هذه الاعياد. و الفطناء من النصارى يقولون: هذه الآيات و المعجزات انما هى من احتمالات الجثالثة و الرهبان و من يبغض العمل و يفر من الكد، و يسمونهم بلغتهم السريانية «عازق معناثا «٤»» معناه انه ترهب و لزم الدين ليأكل من غير ماله و يستريح من الكد، و الرهبان اذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول احدهم لصاحبه:

النصارى يفضلونك علينا، و يعطونك أكثر مما يعطونا، و مالك من فضل

(١) كتب المعلق فى الهامش: فى سبب ذكران النصارى.

(٢) هكذا فى الاصل

(٣) فى الاصل لا توجد كلمة فيقول، و هى اضافة منى ليستقيم الكلام.

(٤) كتب المعلق فى الهامش: عازق معناثا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٠٨

علينا، كلنا قد فر من العمل، و انما نحن نصلى للنصارى. و لهم من المكاشفات ما يطول شرحه، و لكن ليس متأمل و لا متخرق على الاسلام و لا متفقد «١».

و ربما ورد الراهب على النصارى بمثل ما قدمنا، فيقبل الرهبان بعضهم على بعض بالقول فيما بينهم: تأملوا هذا الفار من العمل بأى شىء قد جاء يخدع النصارى، و انظروا هل يكون له بخت. و ربما جاء الراهب الى الجاثليق بمثل هذ لينفق عنده، فيقول له الجاثليق: عزمت على الهرب من العمل، أنت عازق معناثا، فر بما بكى، و قال له: أبونا ما يحل لك ان تقول لى هذا، فيقول الجاثليق: يا أخى ما ينبغى ان تعمل معى هذا فأنا أعرف بالصنعة، هبنا خدعنا غيرنا، بعضنا يعرف بعضاً و الصنعة واحدة، و أنا عازق معناثا مثلك، فلا تبك.

و مثل هذا رحمك الله تجد كثيرا من القسيسين و الرهبان، اذا رأوا راهبا او جاثليقا او قسا او مطرانا قد ادّعت له المعجزات و نفق على النصارى، يقول بعضهم لبعض: انظروا بأى شىء نفق هذا على النصارى الجهال و نفذت حيلته فيهم و استوت له عليهم/ الرئاسة.

و كان متى بن يونس القس صاحب المنطق «٢» يقول عند مثل هذا: هذا بخت النغول «٣». و علماء النصارى يسرعون الى الإلحاد كما تقدم ذكره لك، و مما يدينهم من هذا الامر، ان موضوع النصرانية ان الآيات و المعجزات

(١) هكذا وردت العبارة فى الاصل

(٢) متى بن يونس النصراني (ابو بشر)، حكيم منطقي توفي ببغداد سنة ٣٢٨ هـ. ترجم عدة كتب في الفلسفة و المنطق الى اللغة العربية. انظر الفهرست ١: ٢٦٣، ابن ابي اصيبعة ١: ٢٣٥، القفطي ٣٢٣.

(٣) نغل الاديم فهو نغل اى فسد فهو فاسد، و النغل أيضا ولد الزانية. انظر القاموس المحيط تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٠٩

تكون في عبادتهم في كل عصر لا تنقطع، تدعى ذلك الملكية لعبادها، كما يدعيه باقى طوائفهم، و يدعون المشاهدة في كل زمان و أوان، مع إكفار بعضهم لبعض. و ليس فيهم احد رأى شيئا من ذلك، و ليس إلا الدعوى التي تقدم ذكرها و الذكران و الاعياد، فيلحدون و يظنون بما يدعى لموسى و هارون و عيسى عليهم السلام بمثل ما يدعى للربان.

و مما يؤثر ان النصراني جلسوا في ذكران جورجس، و ما جرى عليه من القتل مرة بعد مرة و هو يعود و يقوم من قبره الى الصومعة. فيقول قائل منهم: لو صدقنا انفسنا لعلمنا ان هذا كذاب لا اصل له، المسيح صاحب جورجس ذاق مر الحديد مرة واحدة فما عاد و لا تعرض لمثلها، فكيف بتعرض لها جورجس و هو دونه في الصبر و البصيرة، فأضحكهم.

و أكثر ما عند اهل البصائر منهم ان يقولوا: سيئنا ان نسلم للرؤساء و نقنع في الدين بالتقليد و لا نطلب فيه البرهان، فليس امر الشريعة و البيعة من امر الطبيعة في شيء. و هذا شيء ألقاه لهم هؤلاء الرؤساء الذين يستأكلونهم و يسخرون منهم، و أكثرهم ملحدة كما قدمنا. و هم يريدون بالطبيعة ما يقوله أرسطاطاليس و أمثالهم من الملحدة: في ان الشمس و القمر و سائر أجساد السماء لا يجوز ان تصدع و لا تتفرق، و لا ان تكون حارة و لا باردة و لا رطبة و لا يابسة و لا حلوة و لا حامضة/ و لا ثقيلة و لا خفيفة، و ما اشبه ذلك من جهالاتهم التي تزيد على جهالات النصراني أضعافا مضاعفة.

و يدعون انهم قالوا ذلك ببرهان. و ان الربوبية و النبوات و الشرائع لا يقوم عليها برهان فخاصة النصراني و رؤسأؤهم أجهل من عامتهم بطبقات.

و القبط تبغض بنى اسرائيل لما جرى عليهم و على فرعون من موسى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢١٠

فلما غلبت الروم على بنى اسرائيل و ملكت مصر و الشام و الجزيرة، و أخذت الناس بهذا الدين بالرغبة و الرهبة كما بينا و كما ترى و تشاهد، اسرعت القبط الى ذلك، و خالطت الروم قبائل العرب من غسان و غيرها بالشام فدعتها الى النصرانية، و بذلت لها الملك، و ذكروا لهم دين المسيح و ما يذهبون إليه من المعجزات التي ذكرناها، فسهل ذلك عليهم و هم كانوا عباد أصنام، فلم يبعد عليهم ذلك.

و قد صار في هذه الامة من يسلك هذا السبيل، و يؤكد دعواه بادعاء الآيات و المعجزات و التواريخ و الايام، كأدعاء الحنبلية ان المعتصم بن الرشيد لما ضرب احمد بن حنبل انحل عنه مئزره فخرجت كف فشدت مئزره، و ان المعتصم و تلك الجماعة من القضاة و الفقهاء و المحدثين لما رأوا ذلك راعهم و خلى المعتصم ضربه و خضع له و سأله بعد أن اعتذر إليه ان يحله فأجابه احمد الى ذلك، فخلع عليه و كرمه، و سأله ان يدعو له، و صرفه الى منزله.

و يدعون لمعروف الكرخي و غيره ما قد علمت «١».

و ادعى آخرون ان رسول الله «٢» صلى الله عليه و سلم استخلف على أمته رجلا بعينه، و ان امته اجابته الى ذلك و أظهرت السمع و الطاعة، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) كانت محنة الامام احمد بن حنبل (توفي سنة ٢٤١) بسبب موقفه الصلب الذي اتخذه في مشكلة القرآن هل هو مخلوق أم قديم، فقد كان من رأى المعتزلة اصحاب السلطة آنذاك ان كلام الله فعله فهو مخلوق، و قد حاولوا ان يأخذوا الناس و العلماء بعقيدتهم و

اضطر الكثيرون الى مجاراتهم بسبب ضغط خلفاء بنى العباس: المأمون و المعتصم و الواثق و بتأثير كبير وزرائهم احمد ابن ابى دؤاد، الا- ان الامام ابن حنبل رغم التعذيب على رأيه من انه لا يطلق على القرآن لفظا يرد فيه نص. و قد أحيطت محنته بمبالغات كثيرة، اما معروف الكرخي فينسب له الصوفية كثيرا من الكرامات، توفي سنة ٢٠٠ هـ (٢) عبارة «ان رسول الله» مكررة فى الاصل.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١١

عطلوا ذلك كلهم، و ارتدوا/ بأسرهم. و هذا قول الكاملي، و رئيس هذه المقالة ابو كامل معاذ بن الحصين النبهانى الكوفى. و قال هشام بن الحكم «١»:

قد ارتدوا كلهم إلا نفرا يسيرا، فانهم أقاموا على اعتقاد هذا النص بضمائرهم و قلوبهم دون الإظهار بألسنتهم. قالوا: و هذا اليوم هو يوم الغدير «٢»، و حين ظهرها هذه الطائفة فى سنى نيف و خمسين و ثلاثمائة للهجرة عتدوا فى ذلك اليوم ليؤكدوا كذبهم فى المهاجرين و الانصار فى انهم ارتدوا، فاعرف ذلك.

و الحنبلية و الإمامية يحتجون بكثرتهم و ان مقاتلهم قد غلبت على البلدان، و قد تقدم لك القول: ان الكثرة لا تدل على صحة النحلة و انما يدل عليها قيام الحجّة، و ان قلّ عدد العاملين. بل لو كان القائل بالحق رجلا واحدا، و قامت له الحجّة، لكان اولى بالحق و لو خالفه جميع اهل الارض. و قد قال أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه: إن الحق لا يعرف بالرجال، و لكن اعرف الحق تعرف اهله، و اعرف الباطل تعرف اهله.

و قد كانت الحنبلية تحتج على خصومهم من الرافضة بالكثرة و تفرع الرافضة بالقلّة، و الرافضة تحتج بأن الله قد ذم الكثرة و مدح القلّة و تتلو ما فى من القرآن، فلما اتفقت لهم منذ سنى و نيف و خمسين و ثلاثمائة للهجرة احتجوا بالكثرة،

(١) هشام بن الحكم الشيبانى: من كبار مفكرى الشيعة و متكلميهم توفي سنة ١٩٩ هـ.

منتهى المقال ٣٢٢-٣٢٣

(٢) يقصد غدیر خم، و هى بئر على ثلاثة اميال من مكة، و قد روى ان الرسول عليه الصلاة و السلام خطب المسلمين فكان من جملة قوله: «أ لست أولى بكم من انفسكم؟ فقالوا اللهم نعم، فقال: فمن كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه...» و هذا الحديث مشهور، و قد استدلل به الشيعة على ان الرسول عليه الصلاة و السلام قد نصّ على الخلافة من بعده لعلى رضى الله عنه، و لم يجد باقى المسلمين فيه اكثر من الدلالة على فضله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١٢

و كتب رؤسائهم القدماء مملوءة بذكر ذم الكثير و مدح القليل، فاعرف ذلك.

ثم يقال للإمامية: إن النص الذى ادعيتموه من النصوص التى تلزم الكافة من الرجال و النساء و الأحرار و العبيد و المسافرين و المقيمين و الخاصة و العامة، لو كان له أصل لكان العلم به عند كل عاقل سمع الأخبار كالعلم بأمثاله من نصوص الكافة و إن لم يعرف اليوم الذى كان فيه و لا المكان و لا عين اللفظ به، لأن قول النبى صلى الله عليه و سلم: فلان خليفتى عليكم/ و حجّة الله بعدى عليكم، كقوله: أنا رسول الله إليكم، و حجّة الله عليكم، و قد عرف هذا من نصوصه عليه السلام كل عاقل سمع الاخبار ممن صدقه او كذبه، و إن لم يعرف الوقت الذى قال هذا فيه و لا المكان، فإن عرفه كان من الفضل.

و هذا بين كاف، بل نصوص الإمامة و الرئاسة الصحيحة منها و الفاسدة إذا وقعت حصل العلم بها عند كل من سمع ذلك الخبر، ألا ترى ان نص عمر على على ابن ابى طالب رضى الله عنهما بالإمامة و الخلافة فى الشورى قد عرفه كل من سمع الأخبار، و كذا نص اهل المدينة عليه بعد عثمان، و نص ابى بكر على عمر، و نص الصحابة على ابى بكر، و نص معاوية على يزيد، و نص مروان على عبد

الملك، و نص عبد الملك على ابنه الوليد، و نص المنصور على المهدي. فلو كان النبي صَلَّى الله عليه و سلم قد نص على رجل من اصحابه بأى لفظ كان لكان العلم به اقوى من العلم بهؤلاء، لأنه ليس فى هؤلاء احد يعتقد فى نصح و فرضه ما يعتقداه المسلمون فى نصوص رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أوامره، و فى فقد العلم بذلك دليل على انه امر لا اصل له بوجه من الوجوه. و بمثل هذا يعلم ان أمير المؤمنين ما نص على ابنه الحسن رضى الله عنهما، و بمثل هذا نستدل على فساد قول أهل التناسخ و ما يدعونه على العقلاء من الاكوار و الادوار، و بمثله يعرف بطلان قول الملحده فى دعواهم فى النفس، و نزولها من عالم العقل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١٣

الى عالم الحس.

فإن قيل: إن هذا قد حسد الناس صاحبه، و نافسوه عنه، و دفعوه و منعه من استعماله و ذكره.

قيل له: انك لم تطعن فى الدلالة، بل تركت ذلك و ادعيت دعوى اخرى، فدعواك الحسد و المنافسة كدعواك/ النص، و هذا فيه أتم كفاية على بطلان قولك.

ثم يقال له: إن هذا الدليل قد دل على ان ليس هناك من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم نص على رجل بعينه ينافس فيه او يحسد لأجله، فلو اراد اصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أن يعصوا الله بتعطيل نصح على امير المؤمنين لما قدروا على ذلك، و لا وجدوا سبيلا إليه، لأنه شىء ما كان قط و لا وجد.

ثم يقال له: لو كان هناك نص حتى ينافس صاحبه او يحسد لما قدح ذلك فى العلم به، و لما زادته المنافسة إلا قوة. ألا ترى ان اهل المدينة لما نصوا عليه بعد عثمان قد نافسه معاوية و دفعه عن الخلافة فما اثر ذلك فى العلم بعقد أهل المدينة عليه، بل زاده قوة و نشره و بسطه. و قد عقد اهل الكوفة للحسن بعد أبيه رضى الله عنهما، فدفعه معاوية و نافسه و زاحمه و غلبه و غلبه، فما اثر ذلك فى العلم بالعقد له بل زاده قوة. و قد ترشح سعد ابن عبادة الأنصارى للخلافة بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و رأى نفسه أهلا لذلك، فدفعه أبو بكر الصديق عن ذلك و منعه منه.

و قد ادعى مسيلم النبوة فدفعه أبو بكر الصديق عن ذلك و منعه و قتله، و ادعى طليحة ذلك فمنعه ابو بكر و دفعه و أسره، فما أثر ذلك فى العلم بما

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١٤

ادعى هؤلاء و دعوا إليه بل زاده قوة و عرف الناس الدعوى و المدعى، و الرافع و المرفوع، و المانع و الممنوع، هذا و ليس لسعد احد يقول بامامته و لا يخاصم فيها، و لا يضع فيها الكتب، و لا يسير فيها الاشعار، و لا يقيم فيها المناحات، و كذا ما ادعاه مسيلم و طليحة، فعلمت ان هذا شىء ما فعله رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لا ادعاه، و لا ادعاه امير المؤمنين و لا دعا إليه، و لا كان احد من الصحابة يتدين بذلك، و لا يذهب إليه حرّ و لا عبد، و لا ذكر و لا أنثى. يزيدك وضوحا بذلك، ان امير المؤمنين لما عقد له اهل المدينة كان قوم معه و قعد قوم عنه فلم يكونوا معه و لا عليه و كانوا فى المدينة معه، كأسامة بن زيد، و محمد بن مسلمة، و سعد بن مالك، و غيرهم. ثم رجع قوم ممن كانوا معه فصاروا عليه، و هناك قوم لم يكونوا معه بل كانوا فى جميع الاحوال عليه، و يعلم بذلك كل عاقل سمع الأخبار.

و هؤلاء زعموا ان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قام بهذا النص الشامل العام، و عرف الناس هذا الفرض و قدره عندهم، و أذاه إليهم بحسب عمومته و شمولاه، و أعلمهم انه شىء يلزم كل واحد منهم، من حر و عبد و ذكر و أنثى و مسافر و مقيم و عليل و صحيح، و انهم أظهروا له القبول و الرضا، فلما مات ارتدوا كلهم و رجعوا عن هذا النص.

و قال هشام: ارتدوا كلهم إلا ستة نفر منهم، قلنا: فقد كان ينبغى ان يكون العلم بهذا عند كل من سمع الاخبار، و ان يكون اقوى و أقهر و اغلب من العلم بالذين قعدوا عن امير المؤمنين فلم يكونوا معه و لا عليه، و من العلم بالخارج الذين كانوا معه ثم صاروا عليه،

و من العلم بما كان بينه و بين معاوية، و من العلم بالتحكيم، و إلا فكنا نكون كمن قال: ترون الحصاة و هى على ابى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١٥

قيس «١»، و لا ترون أبا قيس، و هو مكان الحصاة لأن ذاك العقد من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم اعظم، و فرضه أعم و أشمل من النص على القبلة، و على صيام شهر رمضان، و على / الجمعة و غسل الجنابة. ألا ترى ان فرض القبلة يسقط عن خفيت عليه الدلالة و عن المتأنف «٢» و عن المسافر فى التطوع و لا يسقط عنه اعتقاد الإمامة و طاعة الإمام، و قد تسقط الجمعة عن المسافرين و المرضى و النساء و العبيد و لا يسقط عن احد منهم اعتقاد الإمامة و طاعة الامام، و قد يسقط الصوم عن المسافرين و المرضى و الحيض و لا يسقط عن أحد منهم اعتقاد الامامة و طاعة الامام، فلو كان كما ادعوا لكان العلم بذلك عند كل عاقل سمع الأخبار أقوى و أقهر و أغلب من العلم بالقبلة و بصيام شهر رمضان، و بالجمعة و بغسل الجنابة. و مثله فى النصوص، نص النبى صَلَّى الله عليه و سلم على انه رسول الله الى الناس جمعا، ألا ترى أن العلم بذلك حاصل عند كل عاقل سمع الأخبار، ممن صدقه او كذبه، فلو كان لهذا النص أصل لكان يعلمه كل عاقل سمع الأخبار و إن لم يقبله و إن لم يتدين به. كما علم اليهود و النصارى و المجوس انه عليه السلام نص على انه رسول الله إليهم، و أن طاعته عليه السلام تلزمهم و تجب عليهم، و فى عدم العلم بذلك دليل على أن هذا شىء ما فعله رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ساعة قط، و لا كان منه فيه إشارة و لا إيماء بوجه من الوجوه.

و لسنا نقول: إنه لو فعله لقلوبه و عملوا به، بل نقول: كان العلم يحصل

(١) ابو قيس: جبل بمكة سمي برجل من مذبح حداد لأنه اول من بنى فيه. القاموس ٢: ٢٣٨

(٢) المتأنف: المبتدئ، و الائتاف: الابتداء.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢١٦

به عند كل من سمع الأخبار و إن لم يعملوا به، و إن اجمعوا على تعطيله كما اجمعوا على تعطيل إمامة سعد بن عباد، و نبوة مسيلم و طليحة.

فاعرف ذلك.

و مما يزيدك بيانا، ان النبى صَلَّى الله عليه و سلم قد نصّ على اشياء، فلما قبض ارتدت العرب عن ذلك بألوان الردة، / فادعى مسيلم النبوة فى ربيعة بأرض اليمامة و ادعى مثل ذلك طليحة فى بنى اسد، و رجعت قبائل كثيرة من فزارة و قضاة و غيرهم ممن هو معلوم عن الشريعة كلها، و استتقلوا ما حرّم عليهم من الخمر و الزنا و الربا و السرقة و الغارة و غير ذلك، و ارتد من البحرين و بنو يربوع و غيرهم لمنع الزكاة، و قالوا لأبى بكر: نشهد الشهادتين، و نقيم الصلاة، و نجاهد معك العدو؛ فإن آبيت ذلك لحقنا بالعدو و حاربناك.

و أقام ابو بكر و المهاجرون و الانصار على الاسلام، و جاهدوا المرتدين كلهم، فحصل العلم بذلك عند كل من سمع الاخبار. فلو كان لما ادعاه هؤلاء القوم ادنى إشارة، لكان العلم بذلك مثل العلم بهذه الامور، بل قد كان ينبغى ان يكون اقوى و اقهر، و إنما هذا شىء ادعاه ابو كامل و هشام «١» بعد انقراض الصحابة، و التابعين و تابعى التابعين، و تابعى تابعى التابعين.

و على ان قوله عليه السلام: «أنت منى بمنزلة هرون من موسى»، «و من كنت مولاه فعلى مولاه»، و ما اشبه ذلك مما يجعلونه حجة فى دعاويهم، ليس من ألفاظ النصوص و الاستخلاف و الوصايا فى لغة و لا فى عقل و لا فى شريعة، و إنما هى فضائل ادخلها هؤلاء فى هذه الدعاوى، و انه امر

(١) سبق ان مر التعريف بأبى كامل و هشام بن الحكم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢١٧

لا- تقوم به حجة، ولا- يجدون فيه حيلة، فلجئوا الى التعلق بهذه الفضائل، وقالوا: هي نصوص، فلو لم يدلك على فساد قولهم إلا تعلقهم بهذه الاشياء لكفاك و أغناك.

وقد رفع الله قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون نصوصه و وصاياه بمثل هذه الالفاظ؛ يزيدك بيانا انه عليه السلام قد نص على خلق كثير بالولاية و الإمارة، فقال/ في غزاة مؤتة للجيش الذي أنفذه: اميركم زيد بن حارثة، فإن هلك فجعفر بن ابى طالب، فان هلك فعبد الله بن رواحة. و مثل ذلك فى الامراء و لعلمهم نحو ألف امير، ما فيه نص بهذه الالفاظ التى يدعونها هؤلاء.

وقد استخلف ابو بكر عمر بن الخطاب، و عمر اهل الشورى، فليس فيهم من قال من كنت مولاه ففلان مولاه، و كذا سائر من عهد الى احد لم يذكر هذا اللفظ، و هم عرب و فصحاء، و فى دعوة الاسلام، و ينتمون الى رسول الله و يؤكدون عقودهم بكل ما يقدرون عليه مما هو مستعمل فى اللغة و الشريعة؛ و هم لا يعرفون هذا اللفظ فى العقود، و انما هذه فضائل لا مدخل لها فى النصوص و الوصايا و العقود. و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجال كثير ما هو آكد و أشف من هذا و أوضح؛ ألا ترى انه قال: «اقتدوا بالذين من بعدى: ابو بكر و عمر (١)»، و قال عليه السلام: «هما كالملائكة و الأنبياء» فى قصة أسارى بدر، لما أشار عليه ابو بكر بالعمو عنهم

(١) انظر كتب المناقب و فضائل الصحابة فى كتب الحديث ففيها الكثير من الاحاديث فى فضائل الصحابة جميعا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢١٨

و استبقائهم، و اشار عليه عمر بقتلهم و استئصالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لأبى بكر و عمر إخوة من الملائكة و النيين تشبههما، فأبو بكر كميكايل فى الملائكة ينزل بالعمو و الرأفة و الرحمة، و هو كإبراهيم الخليل اذ يقول: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)»، و هو كالمسيح اذ يقول: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَ إِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)».

و مثل عمر مثل جبرائيل ينزل بالعقوبة و النعمة، و مثله فى الأنبياء كنوح اذ يقول: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٣)»، و كموسى اذ يقول: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَ اشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ (٤)». و إن الله ليشد فى هذا الدين قلوبا فيجعلها كالحجارة، و يلين فيه قلوبا/ فيجعلها ألين من اللبن. و شبّه عثمان بلوط عليه السلام، فانه لما اسلم آذته قريش، فهرب بدينه الى ارض الحبشة و معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و دعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم و عاتق عثمان و قال: «إنه لأول من هاجر بدينه مع اهله بعد لوط»، و قال عليه السلام: «من احب ان يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد (٥)»، و قال عليه السلام: «رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد، و كرهت لها ما كرهه ابن أم عبد (٦)»، و قال للأنصار:

«إنكم لتكثرن عند الفرع و تقلون عند الطمع»، «و لو سلك الناس شعبا

(١) ابراهيم ٣٦

(٢) المائدة ١١٨

(٣) نوح ٢٦

(٤) يونس ٨٨

(٥) رواه الامام احمد فى مسنده و ابن ماجه و الحاكم عن ابى بكر و عمر. انظر الزيادة على الجامع الصغير ٣: ١٤٨

(٦) رواه الحاكم عن ابن مسعود. انظر الجامع الصغير ٤: ٣٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢١٩

و واديا و سلكت الانصار شعبا و واديا لسلكت شعب الانصار و واديهم»، و قال: «الانصار كرسى و غيبى، و لو لا الهجرة لكنت امرأ من الانصار «١» و قال فى عمه العباس و فى تفضيله و تفضيل ولده الاقوال الكثيرة، و قال فى معاذ، و فى عبد الرحمن، و أبى عبيدة «٢»، و غيرهم من المهاجرين و الانصار ما هو معروف مكشوف لا- يشك فيه؛ فقد كان ينبغى على ما يدعى هؤلاء ان تكون هذه الفضائل نصوصا «٣» اذا كانت الالفاظ على خلاف ما يعرف منها فى اللغة العربية.

و هؤلاء يقولون: انتم لستم من العرب و لا تعرفون العربية، فلهذا ذهب عليكم ان قوله: «من كنت مولاه فعلى مولاه، و أنت منى بمنزلة هرون من موسى» [يعنى الاستخلاف] «٤».

قلنا قد فرغنا من هذا مرة و بينا ان هذا ليس من الفاظ الاستخلاف البتة، لا فى عقل، و لا فى لغة، و لا فى شريعة. و أيضا، فلو كان هذا من ألفاظ الاستخلاف لكان اولئك القوم الذين سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم قد عرفوا صدقه و قصده، فكان من بعدهم يعرف ذلك كما عرفوا و ان لم يكن من العرب و لا يعرف العربية، لأن مدار الامر فى ذلك/ و أشباهه على المعانى لا على الالفاظ. ألا ترى ان رسول

(١) لفضل الانصار انظر مناقب الانصار و الصحابة فى كتب الحديث.

(٢) انظر لفضلاء هؤلاء ابواب المناقب فى كتب الحديث، و انظر الرياض النضرة فى فضائل العشرة للطبرى.

(٣) فى الاصل: نصوص

(٤) فى العبارة نقص، و لعلها ان تستقيم باضافة «يعنى الاستخلاف» فى آخرها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٠

الله صلى الله عليه و سلم لما دعا و نص: أنى رسول الله الى الناس كافة، و أنه حجة الله على كل ما يأتى الى يوم القيامة، و انه لا شىء معه و لا- بعده، و جميع ما دعا إليه و حرمه من المحرمات، علم ذلك من قصده و ما عناه و أرادته كل عاقل سمع اخباره من العرب و الروم و الفرس و الهند و القبط و الأرمن، ممن يحسن العربية و ممن لا يحسنها و لا يدور لسانه بها، و لا يحسن [التلفظ] «١» بقول رسول الله، و لا- يحسن يتلفظ بشىء من المحرمات؛ كل قد عرف ذلك من قصده بإشارة الخرس الذين بلغتهم الدعوة من المؤمنين و الكافرين. فيعلم بطلان هذه الدعاوى.

بل لو تكلم صلى الله عليه و سلم بما لا يعرفونه فى اللغة، و قصد به معنى من المعانى، و نقلهم عما يعرفون فى لغتهم لعرفوا قصده و مراده. ألا ترى ان الوضوء فى اللغة انما هو التنظيف، فجعله اسما لغسل هذه الأعضاء الاربعة لعرفوا قصده، و ان لم يكن قبل ذلك فى اللغة. و الصلاة فى اللغة: الاتباع و الدعاء، لا يعرفون إلا هذا، فجعل صلى الله عليه و سلم هذا اسما للتوجه الى القبلة بعد الوضوء مع الركوع و السجود، فعرفوا قصده و إن لم يكن ذلك فى لغتهم.

و كذا الزكاة، انما هى فى اللغة اسم لزيادة و النماء فى المال، فجعله اسما «٢» لما يؤخذ من اموالهم، فعرفوا قصده، و عرف من بعدهم ممن بلغه خبرهم مثل ما عرفوا، فيعلم ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ما عنى بالأخبار التى يروونها عنه ما ظنوه و عنوه.

و قد دعا امير المؤمنين على بن ابي طالب الى نفسه، و فرض على الناس

(١) اضافة على الاصل

(٢) فى الاصل: اسم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢١

طاعته، وابتلى بمن خالفه،/ و بمن قعد عنه، و بمن ضلله، و بمن ارتد عنه من اصحابه؛ فما احتج على مخالفه إلا بالاختيار، و ان طاعته قد وجبت لأنه قد بايعه الذين بايعوا ابا بكر، و عمر، و عثمان. و قد احتج لنفسه، و احتج عنه ولده و شيعته و أهل بيته، و كاتب معاوية و راسله. ثم صار الى الشام، و احتج على اهل الشام و اهل البصرة و اهل النهر هو و أصحابه؛ فما احتجوا في مكاتبه و لا في مراسله و لا- في مشافهه، إلا- بأنه قد بايعه الذين بايعوا ابا بكر و عمر و عثمان و انه لا تحل مخالفته كما لم يحل مخالفتهم، و لا يذكرون في احتجاجهم كما يذكر هؤلاء من الآيات و لا من الاخبار، و لا قوله «من كنت مولاه»، و لا «أنت منى بمنزلة هرون من موسى»، مما يحتجون به. فلو كانوا هؤلاء شيعته رضى الله عنه لسلوكوا سبيله و اقتفوا اثره؛ فقد بلى من هذا الأمر، و من خلاف الناس عليه، و من رجوع اصحابه عنه، و من اكفارهم له، ما لم يبتل به ابو بكر، و لا عمر، و لا عثمان، و لا احد من اهل الشورى و البدرين. و قد بالغ في اقامة الحجج عليهم و كلهم من اهل القبلة و اهل الصلاة و الى القرآن يرجعون، و بأحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم يحتجون، و الحجج من قبله يطلبون؛ فما قال قط و لا ولده و لا من يحتج عنه من اهل بيته: ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد قال في: «من كنت مولاه فعلي مولاه» و لا «أنت منى بمنزلة هارون من موسى»، و هذا نص منه على استخلافه، و هذا شيء تأويله النص، و باطنه الاستخلاف.

و لا قال هو و لا احد من اصحابه و من يحتج له: لم تكفروني و تضللوني و النبي قد استخلفني و نص عليّ و شهد بعصمتي، و أنى لا أخطئ و لا أزل و لا أضلّ و لا يقع منى معصية لله. و هو رضى الله عنه أعلم بدين الله و بالحجة، و أفاقه و أبصر و أشجع، فلو كان لذلك أدنى إشارة/ من رسول الله صلى الله عليه و سلم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٢

لاحتج بها و بينها قبلوا ذلك منه أو لم يقبلوا. و في هذا أتم بيان و أوضح حجة. و أعلم، أن هؤلاء يحتجون مذ زمن ابن الراوندى: ان رسول الله صلى الله عليه و سلم و سلم نص عليه نصا مكشوفاً لا يحتمل التأويل، فقال: عليّ بن ابي طالب الخليفة عليكم من بعدى، و قال لهم: «سلموا عليه بإمرة المؤمنين» (١)، و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قام فيه في مقام بعد مقام، و في عام بعد عام، نحو مائة مقام مذ بعثه الله بمكة و المدينة، و السفر و الحضر، الى ان توفاه الله؛ فينبغي ان لا- تكلمهم إلا- في هذا النص المكشوف المعروف، و تقول لهم، المصير الى الأمر المكشوف و الحجج الواضحة اولى بنا و بكم من المصير الى المشكل الملتبس الذى يحتمل التأويل، فإن الكلام عليهم حينئذ يكون اوضح و أقصر؛ فيجرب هذا مثل نصه عليه السلام على النبوة.

و هم يفرون شديدا من هذا النص المكشوف مع من يعلم و يحصل، فإن ابتليت منهم بمن يقول: لا أتكلم في النص المكشوف بهذا، فقل له: إن كنت لا تتكلم فيه فسلم لنا بطلانه و كذب من ادعاه و ادعى نقله. فان قال: لا أسلم، قيل له: ليس يخلو من ان يكون حقا و صدقا فينبغي أن تصير بنا إليه، أو كذبا و باطلا فينبغي ان تتبرأ منه و تخطئ من احتج به. فإن قال: كذلك أفعل، قيل له: فهذا شيء قد ادعته أمم عظيمة،

(١) ان اكثر الاحاديث التى رويت فى خلافة على ضعيفة او موضوعة، و على فرض صحتها فانها تشير الى الخلافة على اهله صلى الله عليه و سلم، منها: «ان اخى و وزيرى و خليفتى من اهلى و خير من اترك بعدى يقضى دينى و ينجز موعدى على». انظر تنزيه الشريعة عن الاخبار الشنيعة لعلى بن القرن الكتاني، الجزء الاول، فقيه الكثير من هذه الاخبار.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٣

و ادعت معرفته و نقله. فإن قال: هم كذاك يدعون، و إنما وضعه لهم واحد من الناس و قال لهم: إن هذا قد قاله النبي صلى الله عليه و سلم و نقلته عنه الامم فأحسنوا به الظن و صدقوه و إن كان لا أصل له.

قيل له: و كذلك ما تدعيه أنت من التأويل في الآيات/ و الأحاديث التي تحتج بها، ما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لا امير المؤمنين بها ما تعنيه أنت و تعتقده، و إنما هي فضائل، و لكن هشام بن الحكم قال هي نصوص و النبي صَلَّى الله عليه و سلم اراد بها الاستخلاف؛ فأحسن به قوم الظن فقبلوا ذلك منه و اعتقدوه و ادعوا انهم و من قبلهم قد نقل ذلك عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و ليس هناك شيء ينقل و لا يكتب، و لكنهم قوم سموا اعتقادهم نسا و دعواهم نقلا، كما يدعى اليهود ان موسى عليه السلام نص لهم على تأييد شريعته؛ و كما يدعون هم و النصراني من الصلب و كما يدعى النصراني خاصة قيامه من قبره و انه عليه السلام أقام معهم اربعين يوما ثم صعد الى السماء و هم يرونه؛ و كما ادعوا ان هيلانه الحرائية وقع إليها [الخشبة] «١» التي صلب عليها المسيح مع خشب غيرها فلم تعرفها و أشكلت عليها فامتحت ذلك بجنازة مرت بها، فجعلت تضع عليها خشبة بعد اخرى من خشب المصلين، فلم يقيم الميت إلا بآخر خشبة، قالوا: فعلت انها هي الخشبة التي صلب عليها المسيح. فقالوا:

و قد شهد هذا الأمم الكثيرة بيت المقدس من اليهود و الروم غير ان اليهود كتموا ذلك، و يسمون هذا اليوم: عيد الصليب «٢»؛ و يوم قيام المسيح من قبره بزعمهم عيد السلامة. و لهم مثل ذلك كثير، و هذا امر لا

(١) في الاصل: الصليب، و قد صححها المعلق بالخشبة.

(٢) في الحاشية عنون الكاتب او المعلق لهذا البحث بقوله: عيد الصليب عيد السلامة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٤

أصل له، و انما هو موضوع لهم أحسنوا به الظن كما اصاب هؤلاء الراضية من اصحاب النص.

على ان هشام بن الحكم قد أقر بذلك فقال: قد ادركت الشيعة في الصدر الاول و هم يتولون أبا بكر و عمر و عثمان و يصوبونهم، و يقولون: هؤلاء ما دفعوا امير المؤمنين عن حقه و مقامه، و انما دفعه المنافقون/ الذين كان القرآن يهتف بهم فنظر هؤلاء فاذا ليس احد أحق بالإمامة بعد على منهم، فقاموا ذلك المقام بحق.

و قال هشام بن الحكم: و منهم من قال: لما رأى الوصي علي بن ابي طالب المنافقين قد أزالوه عن موضعه، قدّم أبا بكر و استخلفه ليكون بمكانه الى ان يتمكن فيزيله.

قال هشام: و هذا كله تزيق و تلفيق دعاهم إليه الجبن من الإقدام على التبرؤ من ابي بكر و عمر و عثمان و المهاجرين و الانصار و لو عرفوهم كما عرفتهم أنا لأقدموا على البراءة منهم «١».

و قد ذكر هذا أيضا ابن الراوندي في كتابه «الإمامة» الذي نصر فيه قول الراضية في البراءة من المهاجرين و الانصار و حكاها عن هشام. فهذا ما أقر به الخصم فكيف ما لم يقر به؛ و لو لم يقر به لعلمنا ان الامر كذلك. و هشام انما كان في ايام بني العباس و هلك في دولة هارون

(١) علق الناسخ او المعلق على هذا بقوله: «لعن الله ناقل هذا القول و قائله، حيث كانوا يطلبون تغريب شمس الدين و إطفاء انوار الاسلام و المسلمين، عذبهم الله تعالى و أقوالهم، و أطفالهم و آثارهم آمين، آمين، آمين».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٥

الرشيد، لتعلم ان الذي ادعى النص و جزأ الناس على شتم ابي بكر و عمر و عثمان و المهاجرين و الأنصار هشام بن الحكم، و هو ابتداء و وضعه، و ما ادعى هذا النص و الاستخلاف احد قبله.

و لو كان هشام من اهل القبلة، لما كان دعواه و دعوى مائة ألف معه مثله حجة، فكيف به و ليس من اهل القبلة، و هو معروف بعداوة الأنبياء، و قد أخذ مع ابي شاعر الديصاني «١» صاحب الديصانية «٢» و كان معروفا به و بصحبته، فادعى انه من الشيعة، فخلصه بعض

اصحاب المهدي حين ادعى انه يتشيع لبني هاشم فلم يصلبه مع ابي شاعر.

وقد ذكره العلماء بالمقالات بمذهب الديصانية، و ذكره الحسن بن موسى النوبختي في كتابه «في الآراء والديانات» (٣) حين نقض عليه/ مذهبه في ان الله جسم و نور يتحرك؛ فقال له الحسن: هذا مذهب المانوية نعوذ بالله من موافقتهم. و انما ذكرنا الحسن بن موسى، لأنه من الراضة.

وقد حكى عن هشام أيضا ابو عيسى الوراق، و ابن الراوندي، و أبو سهل بن نوبخت، و هؤلاء كلهم رافضة. و الذين حكى هشام عنهم من الشيعة أن المنافقين أزالوا امير المؤمنين عن مقامه، فقد غلطوا أيضا، فإنه قد بينا ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان منه نص في ذلك فيزيه احد من الناس.

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧

(٢) الديصانية احدي فرق الثنوية، و تعتبر اصلا للمانوية و انما اختلفت الفرقان في كيفية اختلاط النور بالظلمة. انظر الفهرست ٤٨٨
(٣) من كبار المتكلمين و مؤرخي الفرق، و يعتبر كتابه «الآراء والديانات» من اهم ما كتب حول الاديان و المذاهب و الفرق. انظر الفهرست ٢٦٥-٢٦٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٢٦

و أيضا، فإن الغلبة بعد موت رسول الله صلى الله عليه و سلم لم تكن للمنافقين و انما كانت للبدرين و المهاجرين و الانصار، الذين يعتقدون نبوته صلى الله عليه، و صدقه، و إقامة نصوصه، و إحياء شريعته، و إذلال عدوه، و إعزاز وليه، و هم الذين ردوا الى الاسلام من ارتد من العرب، و غزوا من أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم ملوك الفرس و الروم و الهند و الترك و سائر الامم المشركين و أدخلوهم في دينه و أدخلوا بلدانهم في ممالكة صلى الله عليه و سلم، و انما يدعى أن الغلبة كانت للمنافقين من لا علم له و لا تحصيل عنده.

و كان هشام يقول: لعمرى إن علي بن ابي طالب رضى الله عنه ما احتج في إمامته بنص النبي صلى الله عليه و سلم و لا بوصيته في الأمة إليه، و أنه كتم ذلك خوفا من المهاجرين و الانصار، فأمسك و سكت. قيل له: قد فرغنا من هذا، و بينا ان ليس هناك نص و لا وصية و لا شيء يكتم و لا ينقل.

و أيضا، فان امير المؤمنين ما سكت و لا أمسك، بل تدين بالاختيار و أظهره و جعله الحججة على من خالفه و قال: وجبت طاعتي و إمامتي لأنه بايعني اهل دار الهجرة الذين / بايعوا ابا بكر و عمر و عثمان، فوجبت طاعتي و إمامتي كما وجبت طاعتهم، و حرمت مخالفتي كما حرمت مخالفتهم، و أعاد هذا و أبداه في خطبه و كتبه و جعله الحججة؛ فمتى سكت و أمسك.

و أيضا، فلم يكن سلطان ابي بكر و عمر و عثمان و علي سلطانا يخاف فيه محقق و لو كانت امرأة ارملة ذمية، فضلا عن غيرها. ألا ترى ان الأنصار قد تكلموا مع سعد بن عبادة و العباس و بني هاشم و أبي سفيان و بني عبد مناف في الإمامية بما ارادوا، و كلموا أبا بكر و نابذوه الى ان أقام الحججة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٢٧

و عارضوه في انفاذ جيش أسامة بن زيد و قالوا له: ليس علينا في هذا الوقت من الروم خوف، و لا حاجة بنا الى غزوهم في هذا الوقت و العرب قد ارتدت و أحاطت بنا، فدع هذا الجيش يكون لنا، فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول و الوحي ينزل عليه: أنفذوا جيش أسامة و نقول نحن لا نرى ذلك، برأينا؛ فقال له قوم: فأقم على جيشه اميرا مكانه احسن منه فإنه حدث و في جيشه المشيخة و الكهول، فقال: أ يوليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنزعه انا، لا يحل هذا.

و لما جاء الذين منعوا الزكاة و نزلوا على المهاجرين و قالوا لهم: قولوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم يعفينا من الزكاة فانا

نقيم الصلاة و نجاهد معكم، فان لم يفعل صرنا مع العدو و حاربناكم. فمشوا الى ابى بكر رضى الله عنه، و سألوه أن يقبل ذلك منهم، فقال: لا- أفعل، و لا يحل لى هذا و لا لكم، قالوا: فنحن فى قلة و العرب قد ارتدت، فمن نقاتل و من ندع؟ لا طاقة لنا بقتال الناس كلهم، فاقبل منهم الى ان تنكشف هذه الفتن فانا قد خفنا على المدينة و على ائقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و أئقالنا، فقال: ما كنت لأفعل و لو بقيت وحدى، انى إن قبلت رأيكم نقضت/ الاسلام عروه فعروه. أيها الناس، إن مات رسول الله نبيكم صلى الله عليه و سلم، و كثر عدوكم، و قل عددكم، ركب الشيطان هذه منكم؛ و الله ليظهرن الله دينه على الدين كله و لو كره المشركون، و ليستخلفنكم فى الأرض كما وعدكم، و تلا قوله عز و جل: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١)» و قوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) التوبة ٣٣ و الصف ٩.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٨

لَيْسَ تَخْلِفْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَ لَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَ لَيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعِيدٍ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا (١)» و قوله: «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيهَا كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢)». و قالوا له: أفتقاتلهم و تقتلهم و قد قالوا: لا إله الا الله؟ قال: انها غير مقبولة منهم لأنهم منعوا الزكاة؛ قالوا: فتقتلهم على ابن لبون (٣) و على الحقه و الشاة و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله الا الله، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم (٤)» فقال ابو بكر فان فيه: إلا بحقها، و هذا من حقها. فطال ما بينهم فى ذلك، فحين اقام الحججة صاروا الى قوله.

و لما فتح الفتوح و واتته (٥) الاموال من كل وجه سوى بين الناس فى العطاء، فعارضوه فى ذلك، و قالوا: سويت بين من اسلم الآن و بين من سبق و بين من نصر و هاجر، فقال: هؤلاء عمال الله و أجورهم على الله، و انما الدنيا بلاغ؛ و الله لو شئتم معشر الانصار ان تقولوا: طردتم فأويناكم و خذلتهم فصرناكم

(١) النور ٥٥

(٢) البقرة ٢٤٩

(٣) ابن لبون من الإبل: ما له ستان، و الحقه من الإبل بنت ثلاث.

(٤) حديث متواتر، رواه الستة باسناد صحيح. انظر الجامع الصغير شرح المناوى ٢: ١٨٨

(٥) و اتته فى الأصل،، لعل اضافة الواو تجعل اسياق اكثر انسجاما.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٢٩

و أفقرتم فواسيناكم، و انى لأجد/ مثلنا و مثلكم فى قول طفيل الغنوى:

جزى الله عنا جعفرًا حين شرفت (١) بنا فعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يحلونا و لو ان اماناتلقى الذى يلقون منا لملت

فذو الحظ موفور و كل مقسم لدى حجرات آثفات (٢) أظلت و راسلته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و عليها و قالت:

ما بالك خليفة رسول الله و رثت رسول الله دوننا، فقال: ما ورثته، قالت: فأين نصيبنا من امواله بخير و فدك، فقال: انى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «هذا المال لمحمد و آله حياته، فاذا مات فهو الى والى الامر بعدى، فان كان معك من رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد صرت الى قولك؛ و الله ما اريد شاهدا معك غيرك. فرجع الرسول فقال: تقول لك فاطمة:

لا- و الله ما معى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لكن رسول الله دخل علينا و هو يتلو: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله و للرسول و لذى القربى و الأيتامى و المساكين و ابن السبيل، كنى لا يكون ذولمة بين الأغنياء منكم» (٣)، فقال: ابشروا آل محمد بالغنى. قال ابو بكر: إن كان بكم الغنى و لكم الغنى. ثم صار إليها ابو بكر و سألها عن عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما معى اكثر مما قلت، فقال: إذا لم يكن معك عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كنت لأدع ما اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول احد.

و كلمه العباس فى ذلك و طالبه بالحجة، فذكر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) و وردت فى موضع آخر «ازلقت». انظر فتوح البلدان ٣١

(٢) و وردت فى موضع آخر «ارفات».

(٣) الحشر ٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٠

و قال: انا اوجه هذا المال/ فى الوجه التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها فيها، ورد ابو بكر هذه الاموال الى على بن ابي طالب و قال له: افعل فيها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله. و كذا فعل امير المؤمنين رضى الله عنه حين صارت إليه الخلافة بعد عثمان، و هو فعل الخلفاء الاربعة و جميع الصحابة و التابعين بعدهم، فاعرف ذلك.

و عارضوه حين شاوورهم فى استخلاف عمر، فقال له قوم: هو الخير بعدك غير أن فيه شدة و هو مهيب، و فى الناس الأرملة و الضعيف و ذو الحاجة، فاستعمل علينا من هو ألين منه كنفًا؛ و كانت لهم معه فى ذلك مطالبات و مراجعات و عمر يسمعها و يعلمها، الى أن قال لهم ابو بكر: انما أستعمله عليكم لأنه أقواكم عليكم و أنفعكم لكم و أردكم عليكم، شهيدى الله: ما أردت إلا ذلك، و قد خاب من تزود من أعمالكم بظلم، إن عمر ليس ولدى و لا من اهلى، و انما أردت الخير لكم؛ و إنى قد رمقته فكنت اذا لنت فى الشىء أرانى فيه الشدة، و اذا أشددت أرانى فيه اللين، و لو قد وليكم للان و اشتد.

ثم قال: ان عمر لا- يأنف من التعلم، فحين أقام الحجة سلموا و رضوا. ثم عهد تلك العهود المعروفة، و كم من شىء قد عارضوه فطالبوه بالحجة مما هو اكثر من هذا.

و معارضتهم لعمر فى امر السواد «١»، و فى فتوح الشام، و فى تأمير الامراء، و فى الفتوى و القضاء؛ حتى كان يعارضه فى ذلك المرأة و البدوى فضلا عن المهاجرين مما هو معروف الى ان يقيم الحجة او يرجع الى قول من معه الحجة.

(١) يقصد هنا اختلاف من آراء المسلمين فى امر سواد العراق لما فتح الله على المسلمين العراق و فارس، فقد كان من رأى البعض توزيعه على المسلمين، بينما رأى عمر رضى الله عنه ابقاء الأرض فى ايدى اصحابها ليستفيد من خراجها المسلمون جميعا و قد وافقه المسلمون على رأيه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣١

و عثمان، فقد عارضوه فى إتمام الصلاة بمنى، و فى الحمى، و فى الحكم بن ابي العاص، و فىمن ولاه من اهله، و أخذوه بإقامة الحدود عليهم، و بإقامة الحجة فيما يأتيه بما هو معلوم «١».

و على رضى الله عنه قد عارضوه فى تولية أقرابه و فى الحكم الذى أنفذه بما هو معلوم؛ حتى كان يجرى على هؤلاء الخلفاء الاربعة من صغار رعيتهم فى الفروع و فى صغار الامور ما هو معروف، فكيف يجوز ان يتوهم عاقل تدبر أمورهم و عرف سيرهم. أنه قد كان اقل من الناس فخافهم ان يذكر لهم الحق، او ينطق بحضرتهم، او يتوقى ان يذكر ان يذكر لهم عهدا من رسول الله (صلى الله عليه و

سلم) او وصية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ هذا لا- يظنه الا اجهل الناس بهم و بأحوالهم، او عاقل بقيس أحوالهم بأحوال من رأى و سمع من الجبابة و ولاة الجور، فاعرف هذا.

و انما القى هذا الى الإمامية فيما صنّفوه لهم قوم من أعداء الأنبياء ادعوا التشيع و تستروا بالرفض، لينفروا الناس عن شيد الاسلام و بناه و نصر الرسول في حياته و بعد موته، لينخرجهم من الاسلام من حيث لا يشعرون.

و كما صنّفوا في تهمة المهاجرين و الانصار فقد صنّفوا أيضا في تهمة الأنبياء

(١) مجموع المآخذ على عثمان رضى الله عنه ثمانية عشر هي:

ضربه لعمار بن ياسر، و لابن مسعود، و جمع القرآن و توحيد في مصحف واحد، و أنه حمى الحمى و أجلى ابا ذر الى الربذة، و أخرج من الشام ابا الدرداء، ورد الحكم بعد ان نفاه الرسول، و أبطل سنة القصر في الصلوات في السفر، و ولى معاوية و مروان و الوليد بن عقبه، و أعطى مروان خمس افريقية، و ضرب بالعصا و علا على درجة رسول الله في المنبر، و لم يحضر بدر، و لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهمزان، و كتب الى ابن ابي سرح في قتل البعض. و قد رد ابن العربي على هذا كله في كتابه القيم: العواصم من القواصم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٢

و شتمهم و تكذيبهم، و أنهم قد كانوا يتكلمون بالكذب و بالبهت بحضرة أمهم فيسكتون عنهم خوفا منهم؛ و هذا فعله بالانبياء عمر بن زياد الحداد، و أبو الوراق، و أبو الحسين بن الراوندى، و أبو سعيد الحسن بن على الحصرى، و جابر بن حيان، و هشام بن الحكم، و أمثالهم، كما قد عرفه العلماء «١»، و كل هؤلاء الذين طعنوا على ابي بكر و عمر و المهاجرين و الانصار لفضل غيظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لأن هؤلاء قاموا بأمره و نصره في حياته، و قاموا بدينه بعد وفاته و بثوه في مشارق الارض و مغاربها، و قتلوا أعداءه صلى الله عليه وسلم من العرب و ملوك الفرس و ملوك الروم و ملوك القبط و ملوك الهند و الترك و أمم الشرك و أدخلوا امهم في دينه صلى الله عليه وسلم.

فهذا ذنبهم عند علماء الرافضة، و لكن عوامهم لا يفطنون. و لهذا قالت العلماء حين حدثت هذه البدع: لا تسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم أسلموا من خوف الله و أسلم الناس بعدهم من خوف أسياهم. ثم يقال لهؤلاء:

قد وجدنا امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه مكاشفا بالحق في جميع احواله، لا يخاف من احد من المخلوقين و ان كان وحده و الناس عليه؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه بمكة و هي إذ ذاك دار كفر فما خافهم و لا فارقهم مع وحدته و تفرده، و قد كاشف معاوية و هو في مائة ألف سيف، و لعنه بلسانه، و قنت عليه في صلاته، و ضربه بسيفه، و بين له و إن علم انه لا يقبل، و قد كاشف الخوارج و برىء منهم و ان علم انهم لا يقبلون و هم كانوا

(١) سبق ان عرفنا بهؤلاء الأشخاص، اما جابر بن حيان فهو ابو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفى، قال ابن النديم: «و اختلف الناس في امره»، فقالت الشيعة: انه من كبارهم، و زعم الفلاسفة انه كان منهم، و ذهب اهل صناعة الذهب و الفضة الى انه رئيسهم. و ذلك انه كان واسع الثقافة، له باع طويل في التأليف في مختلف العلوم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٣

أصحابه و بهم صال على عدوه و استطال، و أقام على مخالفتهم و إن فرقوا عنه اصحابه و إن قتلوه «١»، فما قاربهم في كلمة، لأنهم قالوا له: إن تب من الحكومة رجعتنا لك كما كنا و قاتلنا عدوك، و إن أبيت اقمنا على حربك و قاتلناك حتى نفتلك او تقتلنا، فقال لهم: انتم دعوتمنى الى الحكومة، قالوا: صدقت فقد تبنا و ما كان لنا ان ندعوك و ما كان لك ان تجيبنا و لا تحكم الرجال في دين

اللّه، فقال: بل كان لى ان احكم، فلو كان ذلك معصية لما أجبتمكم إليه، و من زعم ان الحكومة ضلال فهو أضل، و من زعم انى ارجع عنها فقد كذب. فصبر رضى الله عنه على ذلك و لم يقاربهم فى لفظه تحتل التأويل، لأنه لو قال انا تائب الى الله من كل ذنب و خطيئة و هو يعنى غير الحكومة، لكان اللفظ يحتمل، و يتلافهم و يردهم و يكون بهم فى عسكر عظيم/ كما كان قبل رجوعهم عنه، و يصول بهم على عدوه. فلم يفعل، و أقام على حربهم، الى ان قتلهم و قتلوه رضى الله عنه؛ فما لان فى كلمة تحتل التأويل، ليبيّن للأولين و الآخرين امر الدين، فما داراهم و لا قاربهم مع حاجته إليهم و خوفه من أسياهم؛ فهو ما كان يخاف الجابرة و الأحياء الذين هم فى عساكر و يخافهم الناس فكيف يخاف من ابى بكر و عمر و عثمان فى حياتهم و بعد مماتهم، و هم فى حياتهم و سلطانهم ما خافهم محق قط و إن كان عبدا او امرأة ارملة ذمية. و انما يقول هذا من لا- يعرف عليا و لا ابا بكر و لا عمر و لا عثمان؛ فعليك بالمعرفة فانها حياة، و الذهاب عن طلبها موت، و قد علم اهل المعرفة و العناية ان عليا كان فى زمن ابى بكر و عمر و عثمان فى علو الكلمة و نفاذ الامر مثله فى سلطانه، و أنه كان فى سلطان هؤلاء أنفذ امرا و أعلا قولا و أبسط لسانا منه فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى حياته.

(١) لعلها: قاتلوه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٣٤

و لا- فرق بين من ادعى ان عليا كان يخاف من هؤلاء الخلفاء او ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يخافهم أيضا، و أنه من خوفهم كان يشهد لهم بالجنة و يزيهم. و هذا لازم لهم، بل هو قول الرافضة لأنهم قالوا: ان على بن ابى طالب حجة الله على خلقه كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنه معصوم كعصمة الأنبياء. و قالوا مع هذا: قد زكى ابا بكر و عمر و عثمان، و صاهر بعضهم، و صلى خلفهم، و حج معهم، و دخل الشورى و عمل بالاختيار، و صلى خلف صهيب كما وصى عمر، و أطاع عمر كما وصى ابو بكر، و عمل لهم اعمالا كثيرة، و أظهر تركيتهم، و مدحهم بايمانهم و إن كانوا كفارا، كل هذا خوفا منهم و ممن بعدهم من شيعتهم فما تبين/ الحق الى ان خرج من الدنيا. قلنا: فاذا كان هذا هو الحجة و المعصوم و القائم مقام الرسول فعل هذا بغير حق، لم نأمن أن يكون كل من صاهر النبى و مدحه و نص عليه و شهد له بالجنة و أمر الناس بطاعته ان لا يكون هذا حاله، و أنه فعل مثل فعل هذا الحجة، و هذا ما لا حيلة لهم فيه، و فيه فساد الديانات كلها، و إلى هذا قصد هشام ابن الحكم حين وضع هذه البدعة فاعرف ذلك «١».

(١) وردت بهامش اللوحة ١١١ التعليق التالى:

رحمك الله يا سيدنا اقضى قضاء الحكم القاضى عبد الجبار، أحسنت فى حججك على الفاسقين الملاعين الكلاب المارقين الكاذبين الخاطئين المنحرفين عن الحق الخبثاء الروافض، كتبهم الله تعالى و أبعدهم، حيث يفسقون اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم رضى الله عنهم اجمعين، قلت: ما رأيت كلام رد على الملاعين الروافض أحسن و أدق و أثبت و أقوى و أنجح من هذه الحجج التى ذكرها القاضى عبد الجبار المعتزلى فى كتابه هذا، فلا بد للمعتنى بردهم ان ينظر فى هذا الكتاب المبارك، و هذا قليل الوجود و غير معلوم لأ- كثر الناس، و لو علموا اسمه لا- يعلمون ما فيه من الفوائد الكثيرة، فاحتفظ و كرر نظره. و لكن مؤلفه مشهور بالاعتزال فان تاب منه فمحله الفردوس الأعلى فى مقام المقدمين ان شاء الله حيث نفع المسلمين بهذه الحجج و الله اعلم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٣٥

باب آخر [اكتاف الرسول صلى الله عليه و سلم للعرب و سائر الامم الاخرى و اسخاطها و كيف عصمه الله من اذاهم]

قد علمت الحال التي ابداهها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حين ادعى النبوة و دعا الى الله، فانه اكفر الامم كلها و تبرأ منها و اسقطها و اسخطها و اغضبها، فما اعتصم بمخلوق كما قد تقدم ذكر ذلك. فكانت العرب و اليهود و النصارى و قريش و غيرهم يدا واحدة في عداوته و طلب عثراته و الحرص على قتله، و هو بينهم على وحدته، فيصرفهم الله عن ذلك بوجوه لا- هو يعرفها و لا هم، و بوجوه يعرفها و يعرفونها. غير انهم قد كانوا ينالونه بالشتيم و الضرب و يلقونه بالأرض و يدوسونه بأقدامهم و يلقون القرث و التراب على رأسه، ثم صار الواحد بعد الواحد و النفر بعد النفر يجيونه و هذه حاله، فيلقون معه الضرب و الهوان، و يعذبون و يجاعون و يحصرون في الشعاب، و منهم من يقتل، و لا يمكنهم المقام معه بمكة فيهربون بأديانهم، و يعبرون البحار، و النبي صَلَّى الله عليه و سلم مقيم بمكة معه ابو بكر و نفر يسير.

و كان يخرج في المواسم الى العرب، و يتلو القرآن، و يدعو الى الله، و يقيم الحج، و قريش من اهل بيته يخرجون الى العرب يقولون لهم: لا تسمعوا منه فانه ساحر كذاب و نحن اهل بيته و أعرف به، و يقولون: «لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» و يمنعونه صَلَّى الله عليه و سلم/ من البيان و الاستيفاء، و ربما شغلوه بالضرب، يتولى ذلك منه عمه ابو لهب و أشباهه، فيقول له العرب:

اهلك اعلم بك، ما نجيبك، فاذهب عنا فقد عاديتنا و خالفتنا و اسمعتنا في آلهتنا و آبائنا و أنفسنا ما لا نحب، و تستجيب له القبيلة بعد القبيلة من قبائل طيء و قبائل اسلم. و تسامعت به قبائل عبد القيس من ربيعة فأتوه و سمعوا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٦

منه و اسلموا طوعا بهذه الشروط، و تسامعت به بنو قبيلة من قبائل الاوس و الخزرج فأتوه و سمعوا منه القرآن و الحج فأسلموا، و رجعوا الى قومهم فجاؤوا بهم إليه عاماً بعد عام فأسلموا و بايعوه، و رجعوا الى قومهم و هم قبائل كثيرة فأسلم اكثرهم طوعا بهذه الشروط.

و هاجر اصحابه الى المدينة بعد الذين هاجروا الى ارض الحبشة، و قال الانصار للنبي صَلَّى الله عليه و سلم: انا كثرة و نمنع منك و نجاهد الأمم كلها معك و نطيعك في المحيا و بعد المحات و لا تأخذنا في الله لومة لائم؛ فأخذ ذلك عليهم و انصرفوا. ثم صار إليهم مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه، و صار في عز و منعة و في عسكر، و دعا الى الله، و كانت له غزوات و وقائع، و ما زال امره يقوى حتى دلت اليهود و النصارى في جزيرة العرب و هم قبائل كثيرة، حتى ادوا إليه الجزية، و حتى صار من لا يعتقد نبوته في جزيرة العرب لا يمكنه اظهار ذلك لكثرة المهاجرين و الأنصار و أمثالهم ممن يعتقد نبوته و صدقه، و حتى غزا الروم غزاة تبوك و هي آخر غزواته في ثلاثين ألفاً غير من خلفه من عماله و اصحابه في جزيرة العرب و هي «١»، اوسع من بلاد الروم.

و قبض صَلَّى الله عليه و سلم بالمدينة و الغلبة فيها لمن يعتقد صدقه و نبوته من المهاجرين و الانصار و اتباعهم/ و امثالهم، و هم الذين احاطوا بأبى بكر و أقاموه خليفة و غزوا من ارتد عن دين رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حتى غلبوهم و أذلّوهم و قتلوهم، و غزوا فارس و الروم و امم الشرك و جميع اعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أذلّوهم

(١) في الاصل: و لها، و لعل الصحيح ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٧

و قتلوا ملوكهم و ادخلوهم طوعاً و كرهاً في دين رسول الله و في شريعته و ادخلوا بلدانهم في بلدان الاسلام، و لم يكن لهم شغل إلا اعزاز دينه، و إقامة نصوصه، و احياء شريعته و بثها و نشرها و إظهارها، و إعزاز من اقام دينه و اذلال من تعرض لامانة شىء منه. و كانوا بعد وفاته اشد بصيرة منهم في حياته، لأنهم كانوا في حياته يتكلمون على تدبيره، فلما مات، و صار الامر إليهم، زاد تيقظهم،

فرفضوا كل راحة، و هجروا كل لذة، و قصدوا لإقامة نصوصه و احياء شريعته الى ان يلقوا الارض كلها بذلك؛ و ما عندهم عمل ازكى من هذا.

و انما يظن ان نصوصه كانت تبدل و ان كتابه كان يغير و ان بنته كانت تلطم، الذى لم ينظر و لم يتدبر، و هو كمن قال انه صلى الله عليه و سلم كان بالمدينة يضرب و يشتم و يداس بحضرة المهاجرين كما كان بمكة، و هذا لا يظنه إلا الغاية فى الجهل بشأن المهاجرين و الانصار.

فان قيل: او ليس قوم موسى قد عبد قوم منهم العجل فى حياته و حياة اخيه هرون، فلم انكرتم ان يرتد المهاجرون و الانصار عن دين محمد صلى الله عليه و سلم، او ليس قد كانوا على ذلك قادرين؟ قيل له: إن هذا السؤال لا يسأل عنه من فهم ما قلنا، لأننا لم نقل:

ان هؤلاء ما ارتدوا من طريق التزكية لهم، و لا من طريق حسن الظن بهم، و لا لأنيهم ما قدروا على ذلك؛ بل قد كانوا على ذلك قادرين و لكنهم ما اختاروا ذلك و لا فعلوه، كما علمنا ان صاحبهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما رجع عما كان عليه و ان كان على ذلك قادرا، و ان كان عدوه قد ادعى عليه انه رجع و اظهر الشك فى امره بقوله: «ما أدري ما يفعل بي

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٨

و لا بكم» (١) و بقوله: «فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسيئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك» (٢). و هذا قد ادعاه عليه رؤساء الرافضة الذين قدمنا ذكرهم.

و لا تكون الردة بالقياس فيقال: كما ارتد قوم موسى ينبغي ان يرتد قوم محمد صلى الله عليه و سلم؛ هذا لا يظنه إلا الغاية فى الجهل و البله و النقص، و هؤلاء قالوا: كما قتل يزيد بن معاوية الحسين فينبغي ان يكون ابو بكر قد ضرب فاطمة و قتل الحسن، فالعلم بأنه عليه السلام ما رجع عن دينه و أن ابا بكر و عمر و المهاجرين و الانصار ما رجعوا عن دينه بعده قبل العلم بنبوته و صدقه و أنه دعا الى حق، و العلم بإقامة ابي بكر و عمر و المهاجرين و الانصار على دينه عليه السلام كالعلم بإقامته هو على ذلك، و العلم بذلك قبل العلم بنبوته.

و ما منزلة من ادعى عليهم ذلك إلا كمن قال لنا: كنت بالقسطنطينية من بلاد الروم فوجدتهم يشتمون بولص و يبرؤون منه و يبسقون (٣) على الصليب، فقلنا له: كذبت، فقال: و لم كذبتمنى و ما كنتم معى، او ليس بولص كافر يستحق الشتم و يجب ان يبسق على الصليب و لا يعظم؟ قلنا: و إن لم نكن معك فعقولنا معنا، و علمنا ان الغلبة هناك لمن يعظم الصليب و بولص (٤).

(١) الاحقاف ٩

(٢) يونس ٩٤

(٣) يبسقون: اى يبصقون

(٤) لم نحاول ان نعلق على ما يورده القاضى حول ما يوجهه الرافضة الى الخلفاء الراشدين من اتهامات لأن القاضى يتبنى وجهة نظر اهل السنة تماما، و فى شرحه ما يكفى عن التعليق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٣٩

او بمنزلة من قال لنا: كنت بالأندلس فوجدتهم يلعنون معاوية و يبرؤون منه و من مروان بن الحكم و ولده كما يفعل ذلك بالكوفة و المدينة، لقلنا:

كذبت، فقال: انتم لم تكونوا معى فصدقونى او شكوا فى خبرى، قلنا: / و إن لم نكن معك فعقولنا معنا، و قد علمنا ان الغلبة هناك لمن يقول بإمامة معاوية و مروان و ولده.

فهذه سبيل من ادعى على ابي بكر و عمر و المهاجرين و الانصار ما يدعيه الراضة.

و من عجيب امورهم قولهم: هذا كعبادة قوم موسى العجل، فيجعلون الردة و الكفر و الايمان بالقياس، و الذي اخبرنا ان قوم موسى عبدوا العجل هو الذي عرفنا بعقولنا ان اصحاب محمد صلى الله عليه و سلم اقاموا على دينه، و الذي عرفنا بالخبر ان يزيد بن معاوية قتل الحسين و اشخص ذريته الى الشام هو الذي عرفنا بعقولنا ان ابا بكر ما ضرب فاطمة و لا قتل المحسن؛ و هذا في القياس كمن قال: اذا كان يزيد بن معاوية قد غزى المدينة و مكة و استباحهما ان يكون ابو بكر قد فعل مثل ذلك، و اذا كان معاوية قد قتل عمار بن ياسر ان يكون ابو بكر «١» قد قتل العباس بن عبد المطلب، و اذا كان معاوية قد قتل ولدين لعبد الله بن العباس ان يكون ابو بكر قد قتل اربعة اولاد من ولد العباس، و ان يكون عمر و عثمان قد فعلا مثل ذلك؛ او كمن قال اذا كان بنو اسرائيل قتلوا الانبياء ان يكون اصحاب محمد صلى الله عليه و سلم قد فعلوا ذلك.

(١) في الاصل: ابا بكر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٠

و قيل أيضا للراضة: اذا كان ابو بكر قد ضرب فاطمة و قتل المحسن فقد كان ينبغي ان يحصل العلم بذلك عند كل من سمع الأخبار، و ان يكون العلم بذلك مثل العلم بقتل يزيد الحسين، و مثل قتل معاوية حجر بن عدى، و عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل. بل كان ينبغي ان يكون العلم بما ادعيتهم اقوى من العلم بهؤلاء القتلى، لأن هذه الحادثة التي ادعيتموها على ابي بكر كانت بالمدينة، و قد شهدها العباس و ولده، و علي بن ابي طالب و ولده، و عقيل و ولده، و جميع بن هاشم و مواليهم و نسائهم، و جميع المهاجرين و الانصار و اولادهم و نسائهم؛ و قد كان بالمدينة حين توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم اكثر من مائة ألف إنسان، فكان يكون العلم بهذا اقوى مما «١» كان بكر بلاء، و لكن دعاوى الراضة في ضرب فاطمة عليها السلام و قتل ولدها و أمر ابي بكر خالد بن الوليد بقتل علي بن ابي طالب، كدعواهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم النصوص التي يدعونها، و كل من تأمل امرهم تبين له بطلان ذلك و وضع له وضوح الشمس.

و مما يزيدك بيانا بشأن هؤلاء الخلفاء و المهاجرين و الانصار و لزومهم لوصايا رسول الله صلى الله عليه و سلم، ان عثمان بن عفان لما اتم الصلاة بمنى انكر عليه للوقت على ابن ابي طالب بحضرة الناس كلهم فقال له: أ لم تصل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم هاهنا ركعتين؟ قال: بلى، قال: أ فلم تصل مع ابي بكر هاهنا ركعتين؟

قال: بلى، قال: أ فلم تصل مع عمر هاهنا ركعتين، قال: بلى، قال:

أ فلم تصل بنا هاهنا شطر خلافتك ركعتين؟ قال: بلى، قال: فلم اتممت، و ما عذرك في ذلك؟ قال: نكحت امرأة بمكة و سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من تأهل بأرض فهو من اهلها، و لى مال بالطائف نويت مطالعتها؛

(١) في الاصل: ما

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤١

و بعد، فقد بلغني عن طعام من اهل اليمن انهم قالوا: صلاة المقيم ركعتان، هذا امير المؤمنين عثمان يصلى ركعتين. و لما نهى عثمان عن القرآن «١» و أمر الناس بإفراء الحج بلغ ذلك عليا، فدخل عليه فقال له: بلغني انك نهيت من القرآن، ثم قال علي: ليبيك اللهم ليبيك بحجة و عمرة، فقال له عثمان: لم فعلت هذا و قد نهينا عنه؟ قال: ما كنت لأدع شيئا أجازه رسول الله صلى الله عليه و سلم لقول احد.

و لما ادعى على الوليد بن عقبه عامل عثمان على الكوفة و أخوه لأمه شرب الخمر، قال له علي أشخصه فاسمع الشهادة، فأشخصه و

سمع الشهادة فجلده على يده، و الوليد من اشراف قريش، و قد كان رسول الله / صلى الله عليه و سلم يستعمله، و استعمله عمر و عثمان، و هو كثير الفتوح فى الاسلام، و هو اخو امير المؤمنين فما تهيبه.

و لما تكلم من تكلم فى عثمان لأنه ولى أقاربه و آثرهم، و قالوا لعلنى إن عمر لم يفعل مثل هذا بأقاربه، فقصدته على و قال له: ورائى قوم و قد كلمونى فيك و ما ادرى ما اقول لك؟ ما نعرف شيئاً تجهله، و لا ادلك على امر لا تعرفه، ما سبقناك الى أمر فنبلغكه، و لا خلونا بأمر فنخبرك به، و لا خصصنا بأمر دونك، و إنك لتعلم ما نعلم. و الله ما ابن ابى قحافة بأولى من عمل الحق منك، و لا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، أنت أقرب الى رسول الله صلى الله عليه و سلم رحماً و قد نلت من صهره ما لم ينالاه، فالله الله فى امرك فانك و الله ما تعلم من جهل، و لا تبصر من عمى، و إن الحق لواضح بين، و إن اعلام الدين لقائمة. فقال له عثمان: لقد علمت ليقولن الذى قلت،

(١) القرآن: اى ان يقرن الحج بالعمرة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٢

و لو كنت مكانى ما عتقتك و لا اسلمتك، و لا جئت منكرا ان وصلت رحماً، و سددت خلة، و آويت ضائعا، و وليت شبيها بمن كان عمر يولى. أنشدك الله يا على، هل علمت ان المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فهل علمت ان عمر كان يوليه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومنى أنت ان وليت ابن عامر مع رحمه و قرابته؟ فقال له على: سأخبرك، إن عمر كان من ولّاه فإنما يطأ على سماخه، إن بلغه حرف جلبه و بلغ منه الغايه، و أنت لا تفعل ذلك، ضعفت و رفقت على اقاربك. فقال له عثمان: و هم اقاربك أيضا، فقال له على: أجل، إن قرابتهم منى لقريبه و لكن الفضل فى غيرهم، قال له عثمان: هل تعلم ان عمر استخلف معاوية؟ قال: نعم، قال: فقد استخلفته كما استخلفه، قال له على: انشدك الله، هل تعلم ان معاوية كان أخوف من عمر من أرفا غلام عمر من عمر؟ قال عثمان: نعم، قال له على:

فإن معاوية لا يخافك و يقتطع الأمور دونك، و يقول للناس: هذا امير المؤمنين عثمان.

و كان على يعنفه فى أقاربه، و يقول له فى وجوههم: لا يغلب عليك مروان و الوليد و سعيد «١»، لا تطعمهم؛ فيقول أهله له: هذا قوله لك فى وجهك و وجوهنا فكيف بما يقوله للناس من ورائك و أنت امامه و ابن عمه؛ فيقول لهم عثمان: هو انصح لى منكم. و كان على رضى الله عنه يوافق على صغار الأمور و كبارها و يدبر أمره، فإذا لم يقبل منه فى أمر من الأمور عنفه و لامه و قعد عنه، فيرسل إليه عثمان و يجيء به، فيقول له: قعدت عنى و كنت لأبى بكر و عمر انصح، و أنا

(١) يقصد مروان بن الحكم، و الوليد بن عقبه، و سعيد بن العاص.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٣

أولى بذلك منك، و أنا امامك و ابن عمك، فيقول له على: كانا يقبلان و لا تقبل، أكون معك على امر فيجئك مرران و سعيد و الوليد فيزيلانك عنه.

ثم يقول على رضى الله عنه للناس: من عذيرى من هذا؟ أكون معه على أمر فيدع رأبى و يأخذ برأى مروان و الوليد، فإن قعدت عنه يشكونى و يقول:

قطعت رحمى و لم تقض حق بيعتى.

فانظر كيف يصنع به الأمور الصغار التى غيرها اولى، و يأخذه بما هو أفضل، و يشير عليه ان يسير بالمسلمين سيرة ابى بكر و عمر، و أن يأخذ بالفضل و لا يترخص و لا يزول من سيرتهما، فأى عاقل تدبر و فكر يقع له ان هؤلاء كانوا يظلمون بنت رسول الله صلى الله

عليه و سلم و يبدلون القرآن و يعطلون النصوص و يغيرون الشريعة فيسكت عنهم.
و بمثل هذا كانت تشير عليه عائشة رضي الله عنها، و تحذره مخالفة سيرة ابي بكر و عمر، و بهذا كتبت إليه أم سلمة: أي بني، ما لي ارى رعيتك/ عنك مزورين، و عن جنابك نافرين، لا تعف سييلا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لجنبها «١»، و لا تقدح بزند كان اكباها «٢»، و توح حيث توخى صاحبك فإنهما ثكما الأمر ثكما و لم يظلما «٣» و السلام. فأجابها بالجواب المعروف «٤». و عتب قوم عليه ان حمى الحمى، و ما رآه في خمس إفريقيه كما فتحها، و فيمن سيره من اللعابين بالحمام و الرامين بالجلاهق «٥» فيما كان في الكتاب

(١) في القاموس: لحب: سلك، و اللحب: الطريق الواضح.

(٢) في القاموس: كبا الزند لم يور.

(٣) في القاموس: ثكم آثارهم: اقتصها، و ثكم الطريق: لزمه.

(٤) أم سلمة هي هند بنت أبي أمية، احدى زوجات الرسول (ص)، و كانت قبله عند ابي سلمة عبد الله بن الاسد المخزومي توفيت سنة تسع و خمسين هجرية.

(٥) الجلاهق: البندق الذي يرمى به

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٤

المنسوب إليه في شأن محمد بن ابي بكر الصديق و النفر المصريين؛ و هي كانت الطامة في السخط عليه و النكير له، و ما اقر بأنه كتب الكتاب و لا قامت عليه بينه، فقالوا: كاتبك كتبه فما اقر كاتبه، و قال لهم: الخط قد يشبه الخط. فلم يزل الانكار عليه في هذه الأمور الى ان اغتيل بالسحر و قتل.

و ليس في هذه تعطيل نص و لا- تبديل قرآن و لا- تغيير شريعته، و انما هي امور من طريق الرأي و الاجتهاد كان له أن يفعلها فجرى عليه. هذا كله في شيء هذه سبيله، و هو الخليفة و السلطان و الملك، و إليه السوط و العصا و بيده الضر و النفع، مع شرف رهطه و قرب قرابته و ظهور ثروته و كثرة عدوه و أعوانه و من تعصب له، فكيف يتوهم عاقل تدبر، ان النصوص كانت تعطل و القرآن يغير و الشريعة تبدل و هم سكوت.

و هذا على بن ابي طالب مع فضله و زهده و علمه و سوابقه و آثاره الجميلة في الاسلام و قريب قرابته، قد انكروا عليه ان ولي اقاربه، فقيل له: علام قتل عثمان بالأمس؟ اي لأنه ولي اقاربه، فقال لهم: ما علمت إلا خيرا، فإن انكرتم فأنكروا. و لما بعث الحكم ارتدوا عنه «١»، و قالوا: ضعفت و حكمت الرجال في دين الله و ما كان ذلك لك،/ و شككت في نفسك؛ فتب الى الله و إلا- قاتلناك و جاهدناك، او تقتلنا او نقتلك. فقال لهم: لو كانت الحكومة معصية لما جئت إليها و كان لي ان احكم، و قد امر الله بالحكومة في شقاق يكون بين المرأة و زوجها و في ارنب تصاب في الحرم

(١) يقصد قصة التحكيم المشهورة، و ذلك حين ألح اهل العراق على علي بقبول التحكيم الذي عرضه معاوية، فارسل ابا موسى الاشعري بالحاح منهم و كان يريد ارسال عبد الله بن العباس، و بعث معاوية بدهية العرب عمرو بن العاص، و كان ما كان من الحادثة المشهورة و ما تلاها من خروج الخوارج على علي و تكفيره لقبول التحكيم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٥

تساوى ربع درهم؛ فقال عز و جل: «يحكم به ذوا عدل منكم»، فكيف بإمامة قد اشكلت على المسلمين فقاتلوه و قاتلهم، و قتلهم و قتلوه، في امر ليس فيه تعطيل نص و لا تغيير قرآن، و إنما هو شيء من طريق الاجتهاد، و كان له رضي الله عنه ان يفعله. و قد بلغوا في

الانكار عليه هذا المبلغ، فكيف بتغيير القرآن و النصوص و ظلم ابنه رسول الله صلى الله عليه و سلم، لتعلم فحش غلط هؤلاء القوم، و ان ابا بكر و عمر و عثمان و عليا رضى الله عنهم لو راموا بأجمعهم تعطيل نص لرسول الله، او تغيير آية واحدة من كتاب الله، او ظلم امرأة ارملة ذمية لقتلوا بأجمعهم. و قد عرف اهل العلم و التحصيل، ان اهل البصائر، و من يعتقد دين محمد صلى الله عليه و سلم و نبوته و صدقه و اجلال من اجل و تعظيم من عظم و إهانة من اهان في زمن ابي بكر و عمر اكثر و أوفر، و الغلبة لهم، و الامر بأيديهم، و هم كانوا الظاهرين القاهرين، و هم ولوا ابا بكر و عظموه و اجلوه و قدموه تقربا الى الله، لأن رسول الله قد كان يقدمه و يعظمه و يجله و يكرمه؛ و لهذا كان يقول الرؤساء في ذلك الزمان من اقارب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد رأوا تعظيم المهاجرين و الأنصار ابا بكر، و طاعتهم له، و تنفيذهم وصاياه و وصايا خليفته بعده: كان و الله حلوا في افواههم، جليلا- في اعينهم، مهيبا في صدورهم، على سكون ريحه و لين جانبه. / فلا تظن ما يقول طوائف الامامية و الرافضة فيهم إلا الغاية في الغافلة و ترك النظر؛ و تعليل الرجال هو الذى يوقع الناس في الضلال.

و باب آخر [الاخوة و المودة التي كانت قائمة بين الصحابة]

إن بين ابي بكر و عمر و تلك الجماعة و بين بنى هاشم مع اخوة الاسلام فضل مودة و صداقة، يمدح بعضهم بعضا و يزكى بعضهم بعضا، و يتصاهرون،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٤٦

و يرى بعضهم بعضا أهلا للإمامة و الولاية، و ينصح بعضهم بعضا. ألا ترى أنهم بايعوا ابا بكر، و صلوا خلفه، و غزوا معه؛ و نفذوا وصيته بعد موته في عمر، فاجتمعوا كلهم في طاعته؛ و نفذوا وصايا عمر بعد موته و صلوا خلف صهيب، و رجعوا الى عبد الرحمن كما وصى، فغزا امير المؤمنين على بن ابي طالب مع ابي بكر رضى الله عنهما الربذة و الى ذى القصة «١».

و لما هم ابو بكر بالخروج عن المدينة و المسير الى اصل الردة، اخذ امير المؤمنين على بنان فرسه و قال له: اقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم أحد: شتم سيفك، و ارجع مكانك، و متعنا بنفسك، و أنا أقول لك: أنفذ جيشك و ارجع الى المدينة، فإنك إن هلكت لم يكن للاسلام بعدك نظام، فقبل رأيه و رجع.

و قد غزا غير واحد من بنى هاشم في زمن عمر، و في غزواته هلك الفضل ابن العباس بالشام في طاعون عمواس في خلافة عمر، و قد خرج العباس معه الى الشام و غيره من بنى هاشم، و خلف عليا أميرا على المدينة في بعض خرجاته الى الشام، فانه خرج إليها اربع مرات، فدخلها في بعضها، و في بعضها لم يدخل، و زوجه امير المؤمنين على ابنته أم كلثوم و أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم،/ و كان له منها زيد و رقية.

و قبل ذلك ما زوج رسول الله صلى الله عليه و سلم ابا بكر الصديق اسماء بنت عميس الخثعمية، و كانت تحل من رسول الله صلى الله عليه و سلم محل ابن الأخوات و تختص به و بنسائه و تكون في بيوته. و كانت من المهاجرات بديتها الى ارض الحبشة و إلى المدينة، و كانت قبل ذلك امرأة جعفر بن ابي طالب، و كان له منها

(١) انظر الطبرى ٣: ٢٤١ و ٢٤٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٤٧

غير واحد من الأولاد، فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر كافل بنى هاشم و مربى ابنائهم، فربى أولاد جعفر بن ابي طالب و كفلهم و أدبهم، منهم: عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب، و أخوه محمد. و كان عبد الله بن جعفر يذكر من بر ابي بكر بهم و رأفته و تأديبه لهم ما يطول شرحه. و خلف امير المؤمنين على و عمر على المدينة في خروجه الى جسر مهران «١»، و أشار عليه حين تكاتبت

الأعاجم بإخراج المسلمين من ديارهم «٢»؛ و كان يزدرجد بن شهريار ملك فارس الذي أخرجه عمر من ملكه حيا مقيما عند خاقان ملك الترك و قد صاهره يستعينه على المسلمين، فراسل أهل مملكته بإخراج المسلمين من ديارهم، و أنه يوافقهم فى الجيوش و يسير الى المدينة فيقتل عمر و يستأصل الاسلام، فكتب المسلمون الذين فى ممالك الفرس الى المسلمين بالكوفة بهذا، و كتب أهل الكوفة الى امير المؤمنين عمر، فخطب الناس و قال: أيها الناس، إن الشيطان قد جمع جموعه، و إن الأعاجم من أهل جرجان و طبرستان و الرى و أصفهان و همدان و نهاوند، قد تكاتبوا و تعاهدوا فى اخراج المسلمين من ديارهم و قصدهم الى بلادكم، و هذا يوم له ما بعده، فأشيروا علىّ.

فقام طلحة بن عبد الله، فقال،/ فجزاه خيرا ثم امره بالجلوس، ثم قال:

أشيروا علىّ، فقام عثمان بن عفان، فقال: أرى يا امير المؤمنين ان تكتب

(١) سمي الجسر بذلك لأن قائد الفرس كان مهرا بن مهر بنداد الهمذاني و كان قائد المسلمين المثنى بن الحارث، و سميت المعركة معركة جسر مهرا. و كان عمر رضى الله عنه قد هم بالخروج مع المسلمين فى تلك الموقعة.

(٢) كان ذلك فى سنة ١٩-٢٠ للهجرة. فقد تكاتب الفرس و أهل الرى و قوس و اصفهان و همذان و الماهى و تجمعوا الى يزدرجد آخر ملوك فارس. فبعث عمر بعد مشورة الصحابة بجيش و لى عليه النعمان بن مقرن المزنى. فتوح البلدان، ٤٢٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٨

الى أهل اليمن فيسيروا إليك من يمنهم، و إلى أهل الشام فيسيروا إليك من شامهم، و تسرى بأهل هذين «١» الحرمين و أهل المصريين: الكوفة و البصرة، و تلقى العدو بنفسك، فاذا رآك فى جموعك و عساكرك هاله أمرك، و قل هو و جيوشه فى أعين المسلمين، ففعلت و فعلت، فجزاه خيرا و أمره بالجلوس، ثم قال: أشيروا علىّ، فقام على بن أبى طالب، فقال له: يا امير المؤمنين، أما ما كرهته من مسيرهم فان الله عز و جل لذلك أكره، و إنك يا امير المؤمنين إن سيرت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ديارهم، و إن سيرت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ديارهم، و إن سرت بأهل الحرمين انتقضت العرب عليك، فكان ما وراءك اهم لك مما بين يديك، و إن رآك العدو ازداد كلبه عليك و قال لأصحابه: هذا واحد العرب فان قطعتموه قطعتم العرب كلها. و لكن أرى ان تكتب الى أهل اليمن، فيكون ثلثهم فى أهل عهدهم و ثلثهم فى ثغورهم و يسير منهم الثلث إليك، و تكتب الى أهل الشام بمثل ذلك، و تقيم بمكانك و تنفذ اميرا يلقاتهم، فان هلك أمفدت اميرا مكانه، فقد علمت أنا كنا فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم نقاتل بالبصرة لا بالكوفة، فجزاه خيرا و أمره بالجلوس، ثم قال: هذا و الله هو الرأى؛ إن انا أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ديارهم، و إن سيرت أهل الشام من شامهم سارت الروم إليهم، هذا و الله هو الرأى ان ساعدتمونى عليه، فقالوا: نساعدك، فعمل على ذلك، و أنفذ الجيش، و أقام على ما اشار عليه علىّ؛ و كم له معه مثل هذا، و شرحه/ يطول.

و كم قد أشار عليه العباس و نصح له مما هو مذكور معروف عند العلماء،

(١) فى الأصل: هذه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٤٩

و كم قد اشارا جميعا على عثمان و غيرهما من بنى هاشم، و كم قد غزا الحسن، و الحسين، و عبد الله بن جعفر، و عبد الله بن العباس، و غيرهم من بنى هاشم مع امراء عثمان الى خراسان و غيرها، و كم كان يقول عمر على المنبر: أفضانا علىّ، و يقول: لا تكون نازلة لا يشهدا على بن أبى طالب؛ و ولاه القضاء بالمدينة، و تولى، فكان يقضى و يفتى، و استسقى بالعباس، و ألحق الحسن و الحسين فى العطاء بالبدرين، و لما دوّن الدواوين، كتبوا اسمه فى اول الديوان، فقال لهم: لم فعلتم هذا؟ فقالوا له: أنت امير المؤمنين، فقال:

ابدؤوا بطرفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هاشم و زهرة، وضعوا عمر و آل عمر حيث وضعهم الله، و أدخل عليا في الشورى: و كان لعلّي في اولاده من يسمي أبا بكر و عمر و عثمان كما يسمي الرجل اولاده بأسماء أحبابه و أئمته، و قد كان للحسين عليه السلام ولد يقال له ابو بكر قتل معه بكر بلاء، و كان ليلى بن الحسين ولد اسمه عمر، و قد كان في أولادهم مثل هذا كثير، و شرح هذا يطول، و كذلك شرح ما كان بينهم من المودة و الصداقة و حراسة بعضهم لبعض، و مدح بعضهم لبعض يطول، و للعلماء فيه كتب مفردة مخلدة، أنت تجدها اذا طلبتها. و لكن طال العهد و غلب الجهل، فظن من لا علم له انهم كانوا متباعدين متباغضين، و أن الذي كان بينهم من العداوة و البغضاء أشد مما كان بينهم و بين معاوية و ولده و مروان بن الحكم و ولده كما ظنت المنانية و من ذهب مذهبا، ان عيسى بن مريم «١» عليه السلام كان عدوا لموسى و هرون و داود و سليمان، و أنه كان يحرم أكل اللحمان و ذبح الحيوان، و كما يظن من لا يعلم ان هذه الطوائف من النصارى على دين المسيح و في طاعته. و للبغضاء رحمك الله حال مبينة، و للمحبة آثار و أعلام. ألا ترى ان

(١) في الأصل بعد كلمة مريم لفظه كان، و هي زائدة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٠

معاوية و آل ابي سفيان و آل مروان، لَمَّا ابغضوهم و عادوهم، ما ذكروهم في الإمامة و لا رجعوا إليهم في القضاء و الفتوى، بل لعنهم و حاربوهم و قتلوهم، و وصوا اولادهم بذلك، و كذا فعل بنو هاشم من ولد العباس و ولد ابي طالب بنى أمية. فإن قالت الراضية: إنما صنع ابو بكر و عمر هذا بنى هاشم حيلة و خديعة و ليخرجوهم من الرئاسة، قيل لهم: من الحيلة و الخديعة ان لا يدخلوهم في الشورى، و لا يبنوها عليهم في الرئاسة و لا يستسقوا بهم، و لا يستشفعوا الى الله بجاههم و مكانهم، و لا يشهدوا لهم بالجنة، و لا يسيروا إليهم بالعلم و المعرفة؛ ألا ترى ان معاوية لما عاداهم ما جعلهم اهلا للخلافة، و لا ذكرهم للرئاسة، و لا استسقى بهم، و لا استفتاهم، و لا استقضاهم، و لا شهد لهم بالجنة، بل كانت سيرته فيهم ما قد علم الناس؛ و لا فرق بين من ادعى هذا، او ادعى ان ما كان من مدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهله و أصحابه انما كان على طريق المداراة و الخديعة، او ادعى ان ما كان من معاوية [مع] «١» آل بنى هاشم إنما كان على طريق الرأفة و الرحمة.

و بعد فما لأبي بكر و عمر على قولكم الى مداراة الناس و خديعتهم في بنى هاشم، و عندكم ان الناس قد علموا ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استخلف عليا و نص عليه، و عرف الكافة انه الحجّة على العالم. ثم ان ابا بكر دعاهم الى خلاف ذلك فأجابوه بأسرهم على قول بعضكم و هم الكاملة، و على قول الهشامية اجابوه إلا نفرا يسيرا كانوا مغلوبين. و دعاهم هو و عمر بعده و عثمان بعدهما الى تغيير القرآن و الشريعة، من الطهارة، و الأذان، و الصلاة

(١) اضافة على الاصل يقتضيها السياق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥١

و مواقيتها، و الصيام و مواقيته، و الموارث، و المناكح، و الطلاق، و العتاق، الى غير ذلك، فأجابوهم إليه. و ما سمع الناس بأعجب من امر هؤلاء القوم في دعواهم على ابي بكر و عمر، انهم إنما زكوا بنى هاشم مثل العباس و علي و غيرهما، و أدخلوهم في الشورى، و قدموهم في القضاء و الفتوى و الرئاسة، للنقص منهم، و الحيلة عليهم؛ و هو كمن قال: ان ابا بكر و عمر و عثمان اخذوا الروم و العجم و ملوك العرب بالدخول في دين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و إدخال اممهم في دينه، و الشهادة برسالته، و إقامة شرائعه، و موالة اوليائه، و مجاهدة اعدائه، انما فعلوا ذلك عداوة له صلى الله عليه، و للحيلة عليه، و اخراجه من الرئاسة و النبوة، و لإماتة ذكره؛ و كل امرهم عجب و خروج عما يعقل و يفهم.

فإن قالوا: إنما أدخله عمر في الشورى وقال يصلح للخلافة والرئاسة ليمحو نص النبي عليه واستخلافه له، قلنا: فإن ذلك قد أمحي على قولكم وأجابه الناس إلى محوه وإزالته، فما حاجته إلى ادخاله في الشورى لو لا محبته له والتنبية على فضله، ولو أراد أن يخرج من الرئاسة لما أدخله في الشورى، ولا قال أنه يصلح للخلافة والرئاسة؛ وإنما الشورى وضعها عمر ليطلب الناس من يصلح في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم للقيام بأمر أمته عليه السلام، وليرجعوا إلى وصاياه وعهوده فيمن يصلح لذلك في دينه وشريعته؛ فلو كان هناك منصوص عليه، أو من فيه أدنى إشارة، لما أدخله عمر في الشورى والرئاسة إن كان/ يريد أن يميت ذلك على ما يدعونه عليه، وهذا لا يظنه عاقل، وهو كمن قال إنما استسقى بالعباس واستشفع إلى الله به ليميت ذكره ويخرجه من الفضل والرئاسة ومن استخلاف النبي له ونصه عليه، فإن الراوندية

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٢

من شيعة بني العباس تدعى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على العباس واستخلفه وجعله وارث مقامه، وأن الخلافة تكون في ولده إلى يوم القيامة، كما تدعى ذلك الرافضة في أمير المؤمنين.

وبعد فإن كان الذي صنعه عمر في الشورى حيلة على أمير المؤمنين ليخرجه من الرئاسة، فلم دخل هو وقبله، وصلى خلف صهيب، ورجع إلى عبد الرحمن في الاختيار، فكيف شعرتم بهذا وخفي عليه.

فإن قالوا: فعل هذا خوفاً وتقية، فقد بينا أن سلطان هؤلاء الخلفاء الأربعة ما كان سلطاناً يخافه محقّ ولو كان عبداً أو ذمياً، وكشفنا ذلك من غير وجه. واعلم أن الكلام إذا انتهى إلى مثل هذا فليس إلا السكوت، فإن شرح المشروح والمجازبة في أمر المكشوف عناء وادخال له فيما يغمض ويخفي، فارجع رحمك الله إلى ما كان من أبي بكر وعمر وقول بعضهم في بعض وصنع بعضهم ببعض، تجدهم أولياء وأخواناً واصدقاء، وقد تقدم لك في صدر هذا الكتاب أن أبا بكر وعمر وتلك الجماعة من المهاجرين والأنصار كانوا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحبهم ويودهم، ويوجب على الناس محبتهم، ويفرض عليهم مودتهم، وكانوا يحبونه، وهو أحب إليهم من آبائهم وأنفسهم، ويحبون من أحب، ويغضون من ابغض، وإن العلم بذلك قبل العلم بنبوته، فارجع إليه.

و باب آخر [أفعال رسول الله وأقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعينه]

وهو أن أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وصاياه وعهوده، تشهد بأنه ما عهد في رجل بعينه، وأن الأمر في الخلافة بعده إلى خواصه وأصحابه ليختاروا من يرون، وأن الخلفاء بعده يجوز عليهم الخطأ والزلل؛ ألا تسمع

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٣

قوله صلى الله عليه وسلم «١»: «أنفذوا جيش أسامة» وقوله: «لا تتركوا بعدى في جزيرة العرب دينين، ولا تجمعوا فيها دينين» «٢» وقوله: «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا لكم فخذوا سيوفكم على عواتقكم فأيدوا خضراءهم، وإلا فكونوا أشقياء حزائين تمشون خلف أذناب البقر، وتأكلون كدأ أيديكم. أطيعوهم ما أطاعوا الله ورسوله، فإذا عصوا الله ورسوله فلا طاعة لهم عليكم؛ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» «٣».

وقوله: «هذا الأمر في قريش ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، وإذا عاهدوا وفوا؛ فإن لم يفعلوا ذلك، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم صرف ولا عدل».

ومثل هذا من أقواله كثير، ويعلم هذا من دينه، كما يعلم من دينه أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وأن اليمين على المنكر والبينة على المدعى، والنفقة على الزوج دون المرأة، وما أشبه ذلك من شريعته. وهذه الوصايا منه إنما هي لأصحابه وخاصة، فمن أشكل عليه بعد هذا أنه ما نص على رجل بعينه، وأن الخلفاء بعده يجوز أن يقع منهم الخطأ والزلل، وأنه ليس فيهم من يؤمن منه ذلك، فقد

اشكل عليه الواضح من شريعة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم / و جلى سيرته، و المكشوف عن شريعته و وصاياه.

(١) فى الحاشية كتب: وصايا رسول الله (ص)

(٢) انظر طبقات ابن سعد. الجزء الثانى القسم الثانى ص ٢٤ بلفظ آخر «لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان».

(٣) انظر شرح الجامع الصغير للمناوى ١: ١٤٩، و خضراءهم اى سوادهم و دهماءهم.

و هنالك احاديث كثيرة فى هذا المعنى، كلها تضع شرطا فى التبعية لقريش هى الاستقامة على الحق و التقوى و الرحمة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٤

فإن قيل: كيف اشكل هذا على هؤلاء القوم؟ قيل له: ليس يعرف هذا بكمال العقل و ان كان واضحاً، و انما يعرف بكثرة السماع و حسن الاصغاء و التأمل، و جودة التحصيل و صحة النقل.

ألا ترى ان فى هؤلاء من يقول: ان فى القرآن زيادة، و فيهم من يقول:

فيه نقصان، و فيهم من يقول: للطهارة و الصلاة و الصيام و سائر الشريعة باطن يخالف ما عليه الفقهاء و العامة، و الى ما يذهب اهل التناسخ و قوم من الصوفية. و كل من جالس العلماء و كثر سماعه و جاد تحصيله، يعلم علماً يقينا ان هذا خلاف دين النبى صَلَّى الله عليه وسلم؛ و قد عرف اصحابه من سيرته جواز الاختيار فى الائمة و الامراء، و عملوا بذلك فى حياته صَلَّى الله عليه وسلم. ألا ترى انه لما نفذ عسكراً لغزو الروم قال لهم: اميركم زيد بن حارثة، فإن هلك فجعفر بن ابى طالب، فإن هلك فعبد الله بن رواحة؛ فهلك هؤلاء الامراء الثلاثة فاستعمل الجيش بعدهم خالد بن الوليد المخزومى اميراً عليهم، فدبرهم و ساسهم و لقي العدو بهم، فما انكر النبى صَلَّى الله عليه وسلم ذلك بل صوبهم، و سعى خالد بن الوليد سيف الله. و قد كان النبى صَلَّى الله عليه وسلم انفذ عملاً لآبى موسى الاشعري اميراً على جماعة فهلك، فاستعملوا بعده ابا موسى، فما انكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ذلك بل صوبهم؛ بل انهم انما فعلوا هذا لأنهم قد عرفوه من سيرته.

و قد ولى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ابو العلاء بن الحضرمي «١» البحرين، و انفذه فى

(١) أرسل الرسول (ص) العلاء بن الحضرمي الى المنذر الساوي بالبحر بالكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى المنذر ساوي. سلام عليك فاني احمد الله إليك الذي لا إله الا هو، و اشهد ان لا إله الا و ان محمدا عبده و رسوله. أما بعد، فإنى اذكرك الله عز و جل فان من ينصح فانما ينصح لنفسه و ان من يطع رسلى و يتبع امرهم فقد أطاعنى و من نصح لهم فقد نصح لى، و ان رسلى قد اثنوا عليك خيراً، و انى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه، و عفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم، و انك مهما تصلح يغفر لك عن عملك، و من اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية». السيرة الحلبية ٣: ٢٥٢.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٥

جماعة، و عهد إليه عهداً معروفاً، و قال صَلَّى الله عليه وسلم / فى هذا العهد: و انا اشهد الله على رجل وليته امراً من امور المسلمين فلم يعدل فيه قليلاً كان أم كثيراً فانه لا طاعة له، و هو خليع محاولتيه، و انى قد برأت المسلمين الذين معه من عهدهم و ايمانهم منه و من ولايته، فليستخبروا عند ذلك الله ثم ليستعملوا عليهم افضلهم فى انفسهم؛ و اشباه هذا فى وصاياه و عهوده و سيره كثيرة، و أنت تجده متى طلبته، و فيما معك اتم كفاية.

باب آخر [كيف خاض الصحابة فى امر الامارة و لم يذكروا انه نص على أحد بعينه]

و هو ان الصحابة قد خاضوا في باب الامارة في مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم و قبل ذلك في ازمان مختلفة، و جرى لهم من الخوض في ذلك اكثر مما جرى لهم من كل شىء في كبار الامور و صغارها، فأقوالهم و أفعالهم افعال من لا عهد عنده في رجل بعينه؛ و ان الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم يجوز ان تقع منهم المعاصى و الخطايا.

فمن ذلك، ان الصحابة سألوا عليا في مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا:

كيف اصبح رسول الله يا أبا الحسن؟ فقال: اصبح رسول الله بحمد الله بارئاً، فقال له العباس: أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أعرفه في وجه بنى عبد مناف، و إنى لأرى رسول الله صلى الله عليه و سلم سيتوفى في وجهه هذا، فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه و سلم نسأله فإن كان هذا الامر فينا علمنا، و إن كان في غيرنا امرناه فوصى الناس بنا. فقال له على: ما كنت لأسألها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإننا إن سألناه فقال ليست فيكم منعناها الناس و قالوا: رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ليست فيكم، و الله لا سألتها ابدا.

فانظر كم في هذا من بيان على صحة ما قلنا؛ فهذا العباس، و هذا على،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٦

و هؤلاء الصحابة، فلو كان النبي صلى الله عليه و سلم / قد نص لما جاز ان يذهب علمه عنهم، أو لو قال قولاً يحتمل تأويله هذا المعنى لما ذهب عنهم، فإن البحث و النظر و الخوض يخرج خفيات الأمور و يذكر بغوامضها و بما قد تقدم عهده و زمانه، فكيف بالشىء الواضح القريب العهد، و رسول الله صلى الله عليه و سلم حى بينهم، فكيف لم يقل على للعباس: يا عم، أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد نص على و جعلنى حجة على العالم و استخلفنى و ولدنى على امته الى يوم القيامة، و كيف نسيت مع قرب العهد، أو ليس قد قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، و «أنت منى بمنزلة هرون من موسى»، و هذا نص و استخلاف. فإن كان امير المؤمنين على رضى الله عنه نسي ان النبي صلى الله عليه و سلم استخلفه كما نسي العباس فكيف لم يذكرهما الصحابة و هم يسمعون ما يجرى، و هذا لا يخفى على متأمل، فقد وجدت رحمك الله عليا و العباس و الصحابة قد اطبقوا على ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ما نص و لا استخلف رجلاً بعينه، و لا قال قولاً قصد به هذا المعنى. فان قيل: و من سلم لكم ان هذا قد جرى بين على و العباس رضى الله عنهما؟ قيل له: إن هذا كالذى جرى فى السقيفة و فى الشورى، لا يرتاب بذلك اهل العلم، و العجب انكم تقولون أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه» و تنكرون مثل هذا و هو أصح، و العلم به اقوى، و ما زال ولد العباس و ولد على من قديم الدهر يتذاكرون هذا الذى جرى من آبائهما فى أنهما أصوب رأياً، و يخوض اهل العلم فى ذلك، كالشعبي و عبد الرزاق (١)، و إنما يذهب مثل هذا على معاند أو من لا نصيب له

(١) الشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميرى (ابو عمرو) راوية من التابعين، و هو من رجال الحديث الثقات توفى سنة ١٠٣ هـ. تهذيب التهذيب ٥: ٦٥

و اما عبد الرزاق فهو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى (ابو بكر) من حفاظ الحديث الثقات. له «الجامع الكبير» فى الحديث. توفى سنة ٢١١ هـ، تهذيب التهذيب ٦: ٣١٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٧

فى العلم.

و فى هذا الباب، ان النبي صلى الله عليه و سلم لما مرض جزع اصحابه لمرضه، فكانوا معه و حوله و مسجده بهم مثل الرمانة، و عنده فى بيته ازواجه و عماته و بناته، فكان/ اذا وجد خفاً خرج فصلى بهم، فاشتد به يوماً مرضه فقالوا:

الصلاة يا رسول الله، فقال: ما أستطيع الخروج، صلوا، قالوا: يا رسول الله من يصلى قال: يؤذن بلال و يصلى أبو بكر.

ففى قولهم: من يصلى، دليل على انه ما استخلف رجلا بعينه، لأنه لو كان فعل ذلك لما قالوا من يصلى ولا خفى عليهم مكانه، كما لا تخفى عليهم القبلة وقد فرغ لهم منها، فلا يقولون الى اين نصلى. و أكد ذلك أيضا بقوله: يصلى بكم ابو بكر، ولو كان قد استخلف رجلا بعينه لقال:

او ليس قد استخلفت عليكم عليا، فكيف نستيم مع قرب العهد، ولأمر عليا بالصلاة.

فان قيل: و من سلم لكم هذا، وإنما عائشة قالت له لا رسول الله، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احس به خرج و صرفه. قيل لهم: انه ليس لرسول الله عهد اوثق و لا عهد اوضح من عهده الى ابى بكر فى الصلاة بالناس فى مرضه، فانه عقد كان منه فى بيته و بحضرة أصحابه، الذين صفتهم على المحافظة على دينه الصفة التى قدمنا، و العلم بذلك يجرى مجرى مرضه فى بيت عائشة و دفنه فيه، و مجرى العلم بأن ابا بكر و عمر دفنا عنده؛ و العجيب ممن يقول: قد علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من كنت مولاه فعلى مولاه و على منى بمنزلة هرون من موسى، و قال:

انفذوا جيش اسامه، و ينكر امر ابى بكر فى الصلاة بالناس، و هذا من

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٨

العناد الشديد و الجهل الفاض، و هو كمن قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختار أبا بكر للهجرة معه و لا كان معه فى الغار، و لا اختصه بأن يكون معه فى العريش يوم بدر دون الناس كلهم، و لا كان معه فى بيعه الرضوان، و لا اقامه مقام نفسه فى الحج بالناس فى سنة تسع و لم يقدم غيره فى ذلك، و هو اول امير حج بعده صلى الله عليه وسلم فى حياته من المدينة.

و لقد امر ابو بكر بالصلاة، فصلى بجميع اصحابه و أهل بيته كالعباس و على و جميع بنى هاشم و مواليه، و هو ينظر إليهم من بيته و فى مسجده و هم يصلون خلف ابى بكر، فصلى بهم ابو بكر [عدة] «١» ايام. ففى بعض تلك الايام يخرج رسول الله و يصلى معهم، و فى بعضها يخرج و قد فرغ ابو بكر فيجلس معهم، و فى بعضها يحس به ابو بكر فيتحنى و يقدمه و يصلى بهم. لا يتدافع اهل العلم من الصحابة و التابعين و الذين يلونهم و الذين يلونهم فى ذلك. و لقد صلى بهم ابو بكر الظهر فى اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه و قبل البيعة له بذلك العهد الذى كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينازعه فى ذلك احد.

و قد روى هذا الحديث و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر بالصلاة على بن ابى طالب، ذكر ذلك فى خلافته و على منبره مرات كثيرة، و رواه العباس و ابنه عبد الله، و ذكره عمر على منبره فى خلافته، و رواه ابو عبيدة، و عبد الله بن مسعود، و أنس بن مالك، و البراء بن عازب، و سالم بن عبد الله، و عبد الله بن زمعة، و من لا يحصى كثرة من المهاجرين و الانصار. و انما كان سبب ذكرهم له، لأنهم كانوا يذكرون مرض رسول الله و كيف صنع، و انما

(١) فى الاصل فراغ املائته بعده، و يمكن ان يقرأ بدونها فنقول حينذاك: فصلى بهم ابو بكر أياما.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٥٩

يظن ان ابا بكر تقدم فصلى بالمهاجرين و الانصار بغير عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، من لا يعرف المهاجرين و الانصار، و شدة بصائرهم، و إعظامهم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوم فيه احد مقامه سيما فى خاصته بغير امره.

و بعد فان مسجده فى بيته و نصب عينيه، يسمع و هو فى بيته صوت من فى مسجده و يراهم، و أمره لأبى بكر/ بالصلاة بحضرة اصحابه، و يسمع ذلك جميع ازواجه و بناته و عماته، فقد كنّ فى مرضه هذا اجتمعن كلهنّ عنده فى بيت عائشة. و كان امره له بذلك مرة بعد مرة، فان الصحابة كانوا يدخلون فى اوقات الصلاة فان وجد خفاً خرج معهم، و إلا قال لهم:

يصلى بكم ابو بكر. و كان فى اول امره امر بذلك، قالت عائشة: يا رسول الله، إن ابى رجل أسيف «١» لا يستطيع ان يسمع الناس، فلو امرت غيره، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك و لم يجبهأ إليه، فاستعانت ببعض ازواجه عليه ليشفعها و يأمر غير ابى بكر

بالصلاة، فردّهن رسول الله و غضب و قال:

يأبى الله و المؤمنون غير ابى بكر، إلكنّ عنى صويحبات يوسف. فهذا الذى كان من عائشة فادعوا عليها ما لم يكن، و هذا شأنهم. و لقد قيل لعائشة لم كرهت ان يصلى ابوك بالناس فى مرض رسول الله صلّى الله عليه و سلم و راجعت رسول الله صلّى الله عليه و سلم فى ذلك حتى غضب؟ قالت: ظننت بحدائثه سنى انه لا يطيق ذلك، و أن المسلمين يتشاءمون به. و قد قال بعض العلماء فى قول رسول الله صلّى الله عليه و سلم: إلكن عنى صويحبات يوسف، ان اولئك النساء ظنن ان يوسف عليه السلام إذا دفع الى شدة

(١) الرجل الأسيف: الشيخ الفانى و السريع الحزن و الرقيق القلب، انظر قاموس المحيط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٦٠

يضعف و يجيب الى المعصية فلم يكن كما ظن، فأراد رسول الله ان ابا بكر سيدفع الى شدائد فيصبر و يحتمل. ثم يقال لهم: و كيف طمع ابو بكر ان يتقدم بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلم و قد علم ان رسول الله صلّى الله عليه و سلم قد استخلف عليا و عرفهم انه حجة الله عليهم و على رسول الله و جميع الصحابة حضور شهود، كيف يتوهم عاقل هذا؟ و بعد فكيف اقر رسول الله صلّى الله عليه و سلم عائشة/ فى ازواجه و اقام عليها و قد ارتدت بهذا الصنيع، و قد قال الله عز و جل: «وَ لَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» «١»؟

فادعيتم ان ابا بكر اغتصب هذا المقام، و ان ذلك بلغ رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و انه غضب من ذلك و انكره، و خرج و عزل ابا بكر، و انكر على الصحابة طاعتهم لأبى بكر فى الصلاة خلفه؛ هذا امر عظيم، و مراجعات كثيرة، إذ لو كانت لكان العلم بها اقوى من العلم بما كان من المراجعة لرسول الله صلّى الله عليه و سلم من المراجعة و المناقلة يوم الحديبية مع سهيل بن عمرو «٢» و ما اشبه ذلك، و لكن مذاهبكم مقصورة على دعاويكم. و من العجب كونكم ما ادعيتم ان رسول الله صلّى الله عليه و سلم لما غضب و خرج و عزل ابا بكر ان يكون قد قدم عليا فصلى بالناس لىتم بهتكم، بل لو كنتم صادقين فى دعوى النص عليه لكان هذا وقت تقديمه و الغضب لأجله لو ادعيتم ان رسول الله صلّى الله عليه و سلم لم يختر

(١) الممتحنه ١٠

(٢) كان سهيل بن عمرو سفير قريش الى الرسول يوم الحديبية، و قد عرض على الرسول الانصراف عن مكة ذلك العام على ان يأتيها فى العام الذى يليه و على ان يقوم بينه (ص) و بين قريش صلح متصل عشرة اعوام. و قد حدثت أثناء المفاوضات مراجعات من المسلمين و احداث تجدها فى كتب السيرة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٦١

بيت عائشة لمرضه و دفنه و الموت فيه و انما اختار بيت ابنته فاطمة و لكن ابا بكر مضى و اغتصبه و حمله و جاء به الى بيت عائشة، فهذا رحمك الله من الأدلة التى تشهد ان رسول الله صلّى الله عليه و سلم ما استخلف عليا و لا نص عليه كما يدعى هؤلاء و انما ينكرون الاخبار.

فان قالوا: لو كان رسول الله صلّى الله عليه و سلم ما استخلفه لعلمنا باضطرار انه لم يستخلفه.

قيل لهم: ما لم يفعل رسول الله صلّى الله عليه و سلم لا يعلم بالاضطرار، انما يعلم بالاستدلال، فمن استدلل علم و من لم يستدل جاز ان يظن انه قد فعل.

و لو كان فعل شيئا أو فرض شيئا على الامة من سائر احكام الشريعة لجاى مجيء العلم كما جاى غيره، و هذا هو الاصل كما شرحنا و

قدمنا.

باب آخر [كيف فكر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلك بعد تبين الحق]

من هذا، ان الانصار لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنوا لفراقه، فاشتد حزنهم وعظمت مصيبتهم، فقالوا هداانا الله به، و جمع ألفتنا بدعوته، وعظمت علينا بركاته. فرجع بعضهم على بعض فقالوا: احمداوا/ الله فقد قبض وهو عنكم راض، فقالوا: الحمد لله، ولكن قد وترنا الأمم، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف، ولا بد لنا من امير نقيمه فنغزوا معه ونجاهد، فقال قائل منهم: لا بد لكم من هذا، فأقيموا رجلا منكم.

فانظر كيف أفصحوا بأنه لم يستخلف، ولو كان كما يدعون هؤلاء لفيل لهم ذلك ورد عليهم هذا القول والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن بعد، وكيف لم يستدل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٦٢

عليهم بالآيات والأحاديث التي تروونها وتستدلون انتم بها فلو لم يكن إلا هذا لكفى في الدلالة على بطلان ما يدعونه هؤلاء، وما يدعيه العباسية والبكرية.

فإن قيل: فالنبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «الأئمة من قريش» في الجماعات الكثيرة وقد ذهب هذا على الانصار، فما تنكرون ان يكون قد نص على علي والعباس وأبي بكر وذهب عنهم؟

قلنا: لا ندعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأئمة من قريش» في الجماعات الكثيرة، ولا قام فيهم خطيبا كما تقولون في دعواكم لعلي، ولا اخذته على الناس، ولا هو أيضا من فرض الكافة، وانما هو من فرض الفقهاء والخاصة، فيعقده اربعة نفر أو خمسة لواحد، وهو يجري مجرى قوله عليه السلام:

«لا وصية لوارث» (١)، و «أهل ملتين لا يتوارثون» (٢)، و «الخراج بالضمان» (٣)، وليس كذلك ما يدعونه من انه نص على رجل بعينه وفرض طاعته على جميع أمته وجعله الحجة عليهم بعده، فأوجب على الرجال والنساء والأحرار والعبيد والمقيمين والمسافرين طاعته، وأعلمهم هذا الغرض وأداه إليهم بحسب وجوبه وشمول عمومته، فجرى في الغرض مجرى قوله:

«انا رسول الله إليكم وحجة الله عليكم»، فهذا لا يذهب على النفر اليسير ممن هو دون الانصار في الرتبة والاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول:

«الانصار كرشى وعيبتى» (٤)، يريد بذلك انهم موضع سرى وخاصتى،

(١) حديث لا وصية لوارث في الجامع الصغير، في الدار قطنى عن جابر ٢: ٥٠٢

(٢) ورد معنى هذا الحديث بلفظ آخر في الجامع الصغير ٢: ٥٠٥، مسند ابن حنبل والبخارى ومسلم وابى يعلى عن اسامة.

(٣) الحديث في شرح الجامع الصغير ١: ٥٢٥، عن مسند ابن حنبل، والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن عائشة،

(٤) انظر الحديث في مناقب الانصار من صحيح مسلم وغيره

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٦٣

فأين/ فرض هذا من قوله: «الأئمة من قريش» (١)، ومع كون هذا من فرض الخاصة، فعند الحاجة ذكر وقبلة الأنصار كلهم وعملوا به، فلو كان دعواكم انتم أيضا كذلك لكان قيل وعمل به مثل هذا. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ١ ٢٦٣ و باب آخر رفض على ما عرض عليه من المبايعة بالامارة بعد وفاة الرسول ص : ٢٦٣

و باب آخر [رفض على ما عرض عليه من المبايعه بالاماره بعد وفاة الرسول]

من هذا ان العباس و بنى هاشم بلغهم قول الانصار و ما عزموا عليه، فما أنكروا قولهم ان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قبض و لم يستخلف، و ان الإمامة تجب بالاختيار، بل مدحهم العباس و أثنى عليهم و أقبل على علي و قال له: قد كنت قلت لك و رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حي عليل انطلق بنا إليه نسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا لم تنازع فلم تفعل، و الآن فامد يدك أبايعك فيقال: هذا عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان.

فتأمل رحمك الله هذا البيان و هذا الإفصاح من الجميع، ان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ما نص و لا استخلف، فكيف لم يقل على لعمه: كيف نقول إنك لو بايعتني ما اختلف علي اثنان و رسول الله قد عقد لي و جعلني الحجة و قد خالفوني. و انما كان قوله رضى الله عنه للعباس لما قال له امدد يدك: هذا امر المسلمين، و ما كنت لأفتات عليهم بأمر، فإن ارادوني فقد عرفوا مكاني.

(١) انظر الجامع الصغير شرح المناوى ١: ٤٢٧، و فى الحاكم و السنن الكبرى عن على. قال الحاكم: صحيح، و نعقب بأنه منكر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٦٤

فقال له: أقبل فانهم لا يخالفونك و لا يكرهونك، و قال له ابو سفيان:

اقبل يا ابا الحسن ما يقول ابو الفضل و انا أبايعك، فقال له العباس: اقبل فهذا شيخ بنى عبد مناف يبايعك أيضا، فقال ابو سفيان علي بنو عبد مناف كلها، بل علي قريش ان تابع و لا تخالف، فقال له العباس: افعل، فقال:

لا يا عم إلا عن ملاء من المسلمين.

فانظر كيف بين رضى الله عنه امر الامامة للمسلمين و باختيارهم، و انه لا يبادر الى القبول لثلا يظن به الحرص على الامارة، فقال له قائل من بنى هاشم: فأخبر الناس أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم جعلها/ فى بنى هاشم، فقال رضى الله عنه: و الله لئن كنت أول من آمن به فلا اكون أول من كذب عليه.

و مقام آخر، و هو ان العباس خرج الى ابى بكر و هو فى المسجد فأخبره بما بلغه عن الانصار، و سأله ان يمضى إليهم و يبين لهم، لعلم العباس بعظم قدر ابى بكر فى المهاجرين و الانصار. فنهض ابو بكر و تبعه عمرو و أبو عبيدة، و صاروا الى الانصار، فأنكر عليهم ابو بكر ما عزموا عليه، فعجبوا من إنكاره و قالوا: لم تنكر ان تكون الامارة فينا، فقد مضى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و ما استخلف، و قد قال فينا كذا، و مدحنا بكذا، فقال ابو بكر:

صدقتم، و قد قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: و لو سلك الناس شعبا و واديا و سلكت الانصار شعبا و واديا لسلكت شعبا الانصار و واديهم؛ ثم قال ابو بكر و لكن هذا الامر ينبغى ان يكون فى الحى من المهاجرين من قريش، فلا تنفسوا عليهم الامارة: أسلمنا قبلكم، و قدمنا الله فى القرآن عليكم، و ما كان فى قريش نفاق.

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: فإن ابيتم فمنا امير، و منكم امير. ثم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٦٥

اقبل على قومه من الانصار فقال لهم: البلاد بلادكم، و البادية باديتكم، و أتم شعب الاسلام الذى لجأ إليه، و إنما عز الاسلام بأسيافكم، فإن ابى هؤلاء [ان] «١» يكون منا امير و منهم امير فأخرجوهم من بلادكم، ثم اقبل على المهاجرين و قال: إن شئتم اعدناها جذعة، انا عزيزها المرجب و جذيلها المحكك «٢».

فقال ابو عبيدة: الله الله معشر الانصار، إنكم اول من نصر و أزر فلا تكونوا اول من بدل و غير، و قال ابو بكر لسعد بن عباد: قد علمت يا سعد إن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قال «٣»: «الناس تبع لقريش، فخير الناس تبع لخيارهم، و شرارهم تبع لشرارهم»

«٤» قال: صدقت، فقال بشير بن سعد الانصارى: والله لئن كنا اولى فضيلة فى جهاد عدونا فما أردنا بذلك الارضاء ربنا والكدرح لأنفسنا، وما ينبغى أن نستطيل على الناس، فالمنة لله ورسوله علينا. ورجع الانصار عما كانوا عليه، وأقبلوا على ابى بكر وقالوا: من ترضى لنا يا ابا بكر، فقال: رضيت لكم عمرو أبا عبيدة، إن رسول الله اتاه قوم فقالوا: ابعث معنا امينا حتى امين فبعث معهم ابا عبيدة، و قد قال فى عمر كذا و كذا، فقال عمر: اما انا فلأن اضجع فأذبح فى غير

(١) زيادة على الاصل يقتضيهما السياق

(٢) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود يكون فى وسط مبرك الابل تحتك به و تستريح إليه، و يضرب به المثل فى الرجل يشتفى برأيه. و العذيق تصغير عذق وهو النخلة نفسها، والمرجب:

الذين تبنى الى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله و لعزه على اهله، فضرِب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه أهله. انضر لمناقشة الحباب بن المنذر الطبرى ٣: ٢٢٠

(٣) كتب فى حاشية الصفحة: قال رسول الله (ص): الناس تبع لقريش.

(٤) فى شرح الجامع الصغير للمناوى ٢: ٤٦٢. وقد ورد فى مسند ابن حنبل و مسلم عن جابر. بلفظ آخر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٦٦

مأثم احب إلى أن اتقدم قوما فيهم ابو بكر، و لكن أنت يا ابا عبيدة ان شئت بايعتكم، فقال ابو عبيدة لعمر: ما سمعت منك فهة «١» فى الاسلام قبلها، أ تقول هذا لى و فيكم الصديق و ثانى اثنين إذ هما فى الغار، و خليفة رسول الله، و قد أمنا حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال عمر: معشر الانصار، قد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قدم ابا بكر و اقامه مقامه فى الصلاة بالناس، فأيكم تطيب نفسه ان يتقدم على من قدمه رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: معاذ الله أن نتقدم ابا بكر، فقال بشير بن سعد الانصارى ثم الخزرجى: قوموا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم فبايعوه، فانثالوا على ابى بكر و مدوا يده فقبضها و قال: بايعوا عمر او ابا عبيدة، و دفعهم عن نفسه بجهد، و قبص يده فمدها عمر، فقال له ابو بكر: أنت أنت يا عمر، أنت اقوى و أشد، فقال عمر: شدتى لك أنت احق، أنت خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، رضيتك لنا؛ فما زالوا به حتى بايعوه.

فانظر الى طول هذه المراجعة بين المهاجرين و الانصار و هم يطلبون و يفتشون ما يجوز فى دين رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يرجعون الى أفعاله و وصاياه، و يبتغون مرضاته، هل تجد احدا منهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم نصا على رجل بعينه او ما يشبه النص او ما تأويله النص من انه كتاب الله او من حديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و العهد قريب و هو يوم موته، و لم يدفن بعد، و هذا موضع الحاجة الى ذكر ذلك؛ و المناظرة و المباحثة تذكر بالأمر البعيدة و تخرج الغوامض فكيف بالأمر الواضح مع العهد القريب؟ و ما أراد الانصار بالبدار الى إقامة امير يكون على الناس إلا الله، و إلا إحياء الاسلام

(١) الفهة من العى و الغلط

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٦٧

و قمع اعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم، لينضبط الأمر و لا ينشر «١»؛ فقد كان معهم و حولهم اليهود و قبائل العرب من النصارى، و قد كانوا راسلوا ملوك الروم و أطعموهم فى الاسلام، و مسيلمه مقيم على حربهم و كذا طليحة، و قد ارتد من ارتد، فكان الصواب فى المبادرة الى إقامة امير، فلما قيل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد قال: الأئمة من قريش سمعوا و أطاعوا، و قصدوا الى افضل قريش فى انفسهم فعدوا له و قاتلوا بين يديه كما كانوا يقاتلون بين يدي رسول الله، و تفانوا فى طاعته؛ و لو أرادوا الملك و الدنيا لما أطاعهم المهاجرون و لا غيرهم، فإن البلاد بلادهم، و البادية باديتهم، و البأس و النجدة و الكثرة لهم و فيهم، و انما

المهاجرون ضيفانهم و نزال عليهم، و بهم عزوا، و بهم صار رسول الله صلى الله عليه و سلم فى عساكر و جماعات، و بهم غزا العدو و قد كان صلى الله عليه و سلم و هو مقيم بمكة منذ دعا الى النبوة خمسة عشر سنة يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب، و يتلو القرآن، و يدعو الى الله؛ فسمعتهم/ قبائل الأوس و الخزرج، و أصغوا الى دعوته، و أجابوه الى معاداة ملوك الأمم و جابرة الأرض فى طاعته، و أن ينفقوا اموالهم، و يسفكوا دماءهم فى نصره دينه، و أن يطيعوه حيا و ميتا. فلما أجابوه الى ذلك، أمر اصحابه بالهجرة إليهم، فقبلوهم و أظهروا الاسلام فى المدينة و فى قبائلهم و بواديهم، فهاجروا إليهم فوفوا بجميع ذلك، و كان باطنهم فى الايمان كظاهريهم، فلهذا أسماهم الله الانصار و كذا المهاجرون، و لهذا قال الله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، يَبْتَغُونَ فُضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (٢) فأخبر عز و جل عن صحة نياتهم و صدق

(١) يقصد: كى لا يتفرق المسلمون

(٢) الحشر ٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٦٨

ضمايرهم، و شهد لهم بالصدق، ثم ذكر الانصار و قال: «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١)، لأن الانصار كانوا بالمدينة قبل المهاجرين، فلما جاءهم المهاجرون أحباب رسول الله صلى الله عليه و سلم آثروهم على انفسهم بمنزلهم، و شاطروهم اموالهم بطيب من انفسهم، فشهد لهم بالفلاح، و فرض على من جاء من بعدهم مولاتهم و الاستغفار لهم فقال: «و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»، و أمرهم بالتعود من بغضهم و عداوتهم، فهؤلاء الذين قاموا بدين رسول الله صلى الله عليه و سلم بعده، و هم الذين اختاروا أبا بكر، و القرآن مملوء بمدحهم و الثناء عليهم، و أنت تحفظه؛ فارجع الى ما فى سورة بعد سورة من ذلك و تدبره، فذكر جميعه يطول و لا يحتمله/ هذا الموضع.

فهم لما بايعوا ابا بكر سكت نفوسهم، و باتوا و كأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يمت و لم يفقد من بينهم، فهذا الذى قصدوا بالبدار، و هم كانوا اعلم بما يباشرونه و يقولونه، و قد علموا انهم قد و تروا الامم كلها فى طاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ فقد خلفهم و لا امير عليهم، فخافوا ان يبيتوا و قد فقدوا نبهم و ليس عليهم امير فينشر امرهم، فلشدة اهتمام هؤلاء بحراسة الاسلام بادروا الى من يعقدون له، و إنما ذكرت لك هذا لتعرف الحال فإن من لا يعلم و من همه الطعن فى الاسلام يدعى عليهم انهم إنما فعلوا ذلك حبا للدينا و لسرورهم بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا غتباطهم بالراحه.

(١) الحشر ٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص ٢٦٩

و أنت تجدهم و قد شهدت افعالهم بأنهم بعد موته اشد حبا له، و اشد بصيرة فى دينه.

ثم إن ابا بكر عاد من السقيفة و قام خطيبا، و أخبر المهاجرين بما كان و قال: و الله ما اردت الامارة، و لا نويتها، و لا تمنيتها فى يوم و لا ليلة، و لا رغبت فيها، و لقد حرصت أن اجعلها فى عمر فما تركت، و إنما قبلتها خشية الفتنة، و لأنه لم يكن على امير، و قد رجعت اموركم إليكم فاقبلوني و ولوا من شئتم. فقال له على: و الله لا يقبلونك و لا يستقبلونك، رضيك رسول الله لدينا فرضيناك لدينانا، قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك، فصوب الصحابة جميعهم قوله و استحسونه (١).

و انظر اعترافهم ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد اعطى ابا بكر اكثر مما اعطوه، و عجب على رضى الله عنه من طمع الانصار فى

الامارة وقال: أما سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوصيكم بالانصار خيرا، اقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم» (٢)، فلو كانوا هم الامراء لكانت الوصية لهم لا فيهم، ولكن نتجاوز لهم كما وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله يرحم الانصار.

فان قال: انهم لم يعارضوا أبا بكر / خوفا و تقيء، فقد بينا غير مرة ان سلطان هؤلاء الخلفاء الاربعة لم يكن سلطانا يتقيه محق. وقيل: إن ابا سفيان لقي على بن ابي طالب بعد البيعة لأبي بكر فقال له: يا ابا الحسن، ما بال هذا الأمر في اقل حي من قريش، إنما هي بنو عبد مناف، إن شئت ملأتها على ابي بكر خيلا و رجلا، فقال له على: ما

(١) كتب في الحاشية: صوابه ان مقامه بعد قتل مسيلم

(٢) انظر الحديث في مناقب الانصار.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٠

اريد ذلك، إنا رأينا ابا بكر لها اهلا، و اني لأعد بيعتي له من جهادي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم اتى ابو سفيان العباس و بنى هاشم فقال: ما لنا و لأبي فضل «١»، إنما هي بنو عبد مناف، يا بنى عبد مناف ذبوا عن مجدكم و انصحو عن سؤددكم، و لا تخلعوا تاج الكرامة إذ ألبسكم الله فضلها، انها عقب نبوة، من قصر عنها اتبع، و من ذب عنها اتبع؛ فقال العباس: إن الاسلام قيد الفتك و أخذ بعنان الباطل، فأمهل نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الأمر مخرج نسط اكفا للجد لا نقبضها او نبلغ المدى، و إن تكن الاخرى فلا لقله في العدد و لا وهن في الأيد. فأنكر على قول ابي سفيان، و نهى بنى هاشم عن الخلاف، و قال لهم: عرجوا عن طريق المنافرة و حطوا تيجان المفاخرة. و قال لأبي سفيان: يا ابا سفيان، إن المسلمين قوم نصحه و إن تباعدت انسابهم، و ان المنافقين قوم غشش و ان تقاربت انسابهم، يا ابا سفيان، طالما عادت الاسلام و اهله فلم يضره ذلك شيئا، انا وجدنا ابا بكر لها اهلا، و لو لم نره اهلا لما وليناه.

و قد ذكر من هذا امير المؤمنين على رضي الله عنه بعد مضي عثمان في رسالته الى معاوية إذ يقول له في فصل منها: و قد كان ابوك اتاني حين ولّى ابو بكر رحمه الله الناس، فقال أنت احق بهذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهل ابايعك و انا بذلك على من خالفك، فكرهنا ذلك مخافة الفرقة، فكان ابوك اعرف بحقنا منك، فإن تعرف منه ما كان يعرف تصب رشداك، و إلا فسيغني الله عنك.

و قد ذكر معاوية هذا المعنى لابن عباس و بنى هاشم حين اخذ الأمر من الحسن، فقالوا له: اغتصبت و أخذت ما ليس لك، فقال لهم: إن كان امر الخلافة يستحق بالقرابة دون الرضا و الاجماع فما منع العباس منها و هو

(١) كذا في الاصل، و لعلها بكر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧١

عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد ضمن له ابو سفيان بنى عبد مناف؟ فكان جوابهم ان ذاك امر رضيه المهاجرون و الانصار و اجمع عليه المسلمون، و أنت فما رضيناك.

و ما كنا في صحة امامة ابي بكر، و إنما كنا في ان الصحابة في كل زمان و أوان يخوضون فيمن يصلح للامامة و لا يذكرون عهدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في انسان بعينه مع حاجتهم الى ذلك، بل يجمعون على العمل بالاختيار، فعرض لنا ما كان بين بنى عبد مناف، فذكرنا قول بنى هاشم، و ان ابا سفيان احب ان تكون الخلافة في بنى هاشم لأنهم اهله و أقاربه من بنى عبد مناف، و لأن السؤدد و الرئاسة كانت فيهم قبل الاسلام.

ولهذا قال خالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم على اليمن وقد قدم بعد وفاته وقد بايع الناس أبا بكر، فعجب من كون الخلافة في أبي بكر دون العباس أو علي أو عثمان فهؤلاء اعمام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وبنو «أ» اعمامه، فقال لعثمان وعلي وقد أتياه ليسلما عليه حين قدم من سفره: أرضيتم بنى عبد مناف ان يلى امركم بنو تيم، فقال علي: رضينا، فقال خالد: انتم الشجر الطوال ذوات الظلال فاذا رضيتم رضينا.

فولايه ابي بكر، وتقدمه على اهل رسول الله وأعمامه وبنى اعمامه/ وهم كثرة وفي عزة ومنعة وفيهم اليسار وليس لأبي بكر شيء من ذلك من العجائب، ولهذا قال ابو قحافة وقد جال الناس جولة وهو بمكة: ما هذا؟ قالوا: مات رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، قال: فما صنع الناس بعده قالوا: اقاموا ابنك مقامه، قال: أ فرضيت بنو عبد مناف؟ قالوا: نعم، قال: أ فرضيت

(١) في الأصل: بنى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٢

بنو المغيرة؟ فقالوا: نعم، قال: و دانت لرجل من تيم؟ قالوا: نعم، قال: فلا مانع لما أعطى الله.

فعجب ابو قحافة من تقدم ابنه والسيادة والرئاسة انما كانت في بنى عبد مناف و بنى المغيرة من بنى مخزوم دون بنى تيم، فلما قدم المهاجرون والأنصار و من كان على دين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ابنه ابا بكر، علم ان ذلك الإسلام و من قبل الله، و ان ابنه قد كان اولى بالحسد والابعاد، ولكن القوم رجعوا في توليته الى الدين و الاسلام دون الأحساب والأنساب.

و لما بلغ اهل اليمن والبحرين و عمان قالوا لعمال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: هذا الذى بايعه الناس بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ابنه او اخوه؟ فقبل لهم: لا، قالوا:

فأقرب الناس منه؟ قيل: لا، قالوا: فما شأنهم؟ قيل: اختاروا أخيرهم فأمروه عليهم، قالوا: لن يزالوا بخير ما صنعوا هذا.

فتأمل رحمك الله حال القوم لتعرف حقيقتها وتعلم انها بالضد مما قاله هؤلاء، فقد طال العهد و قل التأمل.

و باب آخر

و هو ان أبا بكر غزا اليمامة، و مسيلمة، و ربيعة، و طلحة، و بنى اسد، و تلك القبائل المرتدة، و مانعى الزكاة، مع إذعانهم بإقامة الصلاة، و أنكروا رضى الله عنه «أ» تغيير دين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، و أنه لا يقرهم على ترك خصلة واحدة من دينه و لا تعطيل شيء منه، و قد غزاهم بالمهاجرين و الانصار و نكل بهم كل التنكيل، و قتلهم ألوان القتل، و صنع بالرجال و النساء منهم

(١) في الأصل: عنهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٣

من النكال ما يطول شرحه لأنهم غيروا دين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، و عطلوا حدوده، فما استطاعوا ان يقولوا لأمرأى ابي بكر لم تنكروا علينا هذا و أنتم قد عطلتم نصوص صاحبكم، و غيرتم دينه، و بدلتم كتابه، و انصرفتم عن وصيه و عمن استخلفه، و ضربتم ابنته، و قتلتم جنينها في بطنها، و هذا موضع حاجة هؤلاء إليه، و لو كان لذلك ادنى اشارة لعولوا عليه و استراحوا إليه، فعلمت ان ما يدعيه هؤلاء لا اصل له.

و لو كان بدا منهم شيء لكان العلم به اقوى مما كان بين امير المؤمنين و أهل النهر، و بينه و بين اهل الشام و غيرهم.

و باب آخر [طلب ابى بكر من المسلمين اقالته و رفضهم ذلك]

ان ابا بكر لما قتل مسيلمه، و أسر طلحة، و رد اهل الردة، و استولى على جزيرة العرب الاسلام و أنفذ جيوشه الى العراق و استظهر المسلمون، قام فى المسلمين خطيبا فقال: ان اموركم قد عادت إليكم و بحمد الله استظهرتم على عدوكم فأقبلونى فقد تقلدت امرا ما لى فيه راحة و لا يدان الا بمعونة الله، فقال له على رضى الله عنه: ما يقيلونك و لا يستقيلونك، و ما منك بدل و لا بدل عنك حول، و مشى فى الناس ثلاثا يستقيل فما اقالوه.

و باب آخر [تمنى ابى بكر ان لا يكون قد ولى إمرة المسلمين]

ان ابا بكر لما مرض مرض موته قال: يا ليتنى يوم ظلته بنى ساعدة قد كنت وليت عمر او ابا عبيدة، فكنت أكون وزيرا خيرا من ان اكون اميرا، و ليتنى حين بعثت خالد الى الشام كنت بعثت عمر الى العراق فكنت تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٤

قد بسطت يمينى و شمالى. ثم عزم على استخلاف خليفه يكون بعده، و أخذ يشاور فى ذلك؛ فقال لرهط من المسلمين: إن وليت عليكم رجلا منكم أترضون؟ فقال على بن ابى طالب: لا إلا ان يكون عمر، فأمسك؛ ثم خلا بعبد الرحمن بن عوف و شاوره فى عمر و أخذ رأيه فيه ثم قال له: اكنتم يا ابا محمد ما كان بيننا الى ان ا قوله لك، ثم شاور عثمان بن عفان، ثم شاور اسيد بن حضير فى رهط من الأنصار فى ذلك، فقال له اسيد: ما اعلمه إلا الخيرة بعدك لو لا ما فيه من شدة فقال له ابو بكر: يا ابا يحيى انى قد رمقته، فكنت اذا شددت فى الشىء ارانى فيه اللين، و إذا نلت فى الشىء ارانى فيه الشدة، و لو قد وليكم للان و اشتد.

ثم اظهر ابو بكر الامر للناس و ذكر لهم رأيه فى عمر، فقال طلحة و غيره: ان عمر رجل مهيب، له هيبه و ليس بخليفه، فكيف اذا صار خليفه؟ فاعدل بنا عنه الى رجل هو اخفض جناحا و ألين جانبا فكان جواب ابى بكر ما قد تقدم؛ فكيف يظن عاقل تدبر الامور ان هناك رجلا قد اقامه رسول الله صلى الله عليه و سلم و فرغ لهم منه، و كلهم و معهم ذلك الرجل الذى يدعى هؤلاء، يطلبون رجلا يصلح فى دين رسول الله و عند رسول الله للقيام بأمر امته؟ و هل هذا إلا كفائل قال فى جماعه كثيرة قيام فى الشمس و هم يطلبون الشمس و يسألون عن الشمس، و تأمل الحال، و كيف ينطق كل واحد بما عنده و بما يراه، غير راهب و لا خائف من الأنصار و من المهاجرين و من ابى سفيان و من بنى هاشم و من خالد بن سعيد لتعلم سلطان هؤلاء الخلفاء كيف كان.

فكان المسلمون يفرغون الى ابى بكر فى كل صغير و كبير، فيقول لهم:

أ تظنون انكم تجدون عندى ما كنتم تجدونه عند رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا تجدون

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٥

ذلك، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يأتيه الوحى، و إنما انا مثلكم، فان احسنت فأعينونى و إن زغت فقومونى؛ و يسأل عن مسأله فيقول: اقول فيها برأى، فإن يك صوابا فمن الله، و إن يك خطأ فمنى و من الشيطان، فيستحسن المسلمون هذا منه و يحمدونه عليه، و لا يقول قائل كيف يزيغ إمام المسلمين و كيف يخطئ، و عند الإمامية ان إمام المسلمين لا يخطئ و لا يزل.

و قد قال عمر أيضا مثل قول ابى بكر مرات كثيرة، و قال عثمان مثل ذلك.

و ما بلى به على / و ما قاله فى هذا الباب فأكثر مما ابتلى به أبو بكر و عمر و عثمان، فإنه ابتلى من اهل زمانه و من اصحابه طول خلافته بالإضلال و الإكفار فما احتج هو لنفسه بالنص و لا بالعصمة، و لا احتج له من فى زمانه ممن كان يخاصم عنه من ولده و أهل بيته و شيعة بشىء من ذلك، و كانوا و كان هو أيضا لا يابون ان يجوز عليه ما يجوز على اهل الشورى و على الخلفاء قبله.

و كان ما يتدين به من الاختيار اكثر و أشهر مما كان من الخلفاء قبله، و لهذا قالت العلماء: إن العلم بأن رسول الله ما نص على على و

لا استخلفه اقوى من العلم بأنه ما نصّ على بلال، أو عمار، و أبي ذر، او ابن مسعود، فانه رضى الله عنه قد بقى بعد الخلفاء خليفة و إماما معه مائة الف سيف تطيعه، و قد نازعه خلق كثير فى الإمامة و ناظروه، و ادّعوا عليه الخطأ و الضلال و الإكفار، فما ادّعى النص و لا العصمة و لا احتج فى مشافهة و لا مراسلة و لا مكاتبه بشيء من ذلك، بل كان يحتج بأن طاعته و جبت لأنه بايعنى الذين بايعوا ابا بكر و عمر و عثمان، فوجبت طاعته كما و جبت طاعتهم.

و من نعمه الله على المسلمين ان بقاءه رضى الله عنه بعد الخلفاء خليفة و إماما و سلطانا و معه مائة الف سيف تطيعه، فما سار فى تركات رسول الله صلى الله عليه و سلم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٦

إلا سيرة ابي بكر و عمر و عثمان، و لا حبا السواد و مصر و فارس و أرمينية و أذربيجان و خراسان إلا ما حباه الخلفاء قبله، و لا قرأ إلا المصحف، و لا أقرأ اولاده و الناس الا هذا المصحف، و ملك الارض كان كله بيده إلا كرة فلسطين، و أقام التراويح بنفسه و أقامه عماله فى ممالكة كلها، و كان يقيم إماما للنساء فى التراويح، و أثنى على الخلفاء قبله بما يطول شرحه و قد ماتوا و بلوا، و هو يلعن معاوية و يبرأ منه و هو حى و معه اكثر من مائة الف / سيف، و كذا صنع بالخوارج. فهو لا يخاف الجبابرة الاحياء، و عند الإمامية انه قد خاف الموتى و هو سلطان عظيم الشأن، و قد بينا ان هؤلاء فى حياتهم و سلطانهم ما كان يخافهم محق «١».

فإن قيل: و من سلم لكم انه كان يقيم التراويح، بل يقول انه قد نهاهم عنها، فقالوا: وا عمراه، فلما قالوا ذلك، اقامها لهم.

قيل له: لا فرق بين من ادعى هذا، او ادعى انه قد كان نهاهم عن هذا المصحف فقالوا وا محمداه، او قال: قد كان نهاهم عن هذه الصلاة و قال لهم:

لها باطن و هى شخص، أ لا تسمعونه يقول: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، و لا ينهى إلا الشخص كما يدعيه عليه الاسماعيلية فصاحوا وا محمداه، او كمن ادعى انه كان يعيد فى آخر ذى الحجة و يقول: هذا اليوم الذى نصّ على فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم و استخلفنى كما يفعل الامامية ذلك فى زماننا ببغداد، و انه كان يقيم المناحات بالشعر على فاطمة و ابنها الحسن الذى زعم الامامية ان عمر قتله، كما يفعل الامامية ذلك ببغداد و الكوفة. و بأى شيء يعلم العاقل

(١) فى الاصل: يخاف، و لكن السياق يقتضى ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٧

المتأمل ان العباس و ولده و بنو هاشم كانوا يقيمون التراويح الا و العلم الذى يعلم به ان عليا كان يقيمها بنفسه و عامله قرظه بن كعب «١» بالكوفة و عامله بالبصرة و بمكة و المدينة و سائر بلدان الاسلام التى فى ملكه و سلطانه اقوى و اقهر.

و لو ادّعى مدّع ان ابن مسعود بالكوفة و ابا عبيدة و معاذ بن جبل بالشام كانوا لا يرونها و لا يقيمونها، هل كانت الدلالة على بطلان دعواه الا- ظاهرة، و الدلالة على بطلان من ادّعى ذلك على امير المؤمنين اقوى و اقهر. و العجب ان رؤساءهم و الذين لقنوهم هذا/ المذهب قد قالوا: انه اقام التراويح.

و إذا قيل لهم: هبكم انكم ادعيتم انه كان فى زمن ابي بكر و عمر و عثمان كان مغلوبا مقهورا، فما باله حين مات هؤلاء [و] «٢» صارت الخلافة إليه و صار السلطان بيده و الفىء يجبى إليه فيعطيه من يرى و هو فى العساكر و الجيوش، لم يدّع «٣» النص و تعطيل التراويح و يظهر المصحف الذى تدعون و يسير فى اموال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما تدعون و يظهر البراءة من ابي بكر و عمر و عثمان سيما و قد ماتوا، كما اظهرها فى معاوية و الخوارج و هم احياء و فى عساكر؟

قالوا: ما فعل ذلك و لا قدر عليه لأن جنده و أعوانه من المهاجرين و الانصار و التابعين بعدهم كانوا اولياء ابي بكر و عمر، فلو اتهموه ببغضهم لقتلوه، فما زال مظهرنا لنصرتهم و موالاتهم الى ان خرج من الدنيا.

قالوا: وكذا فعل الحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين.

(١) في الاصل: كعب بن قرظ، والصواب ما اثبتناه، وهو احد كبار مساعدي علي بن ابي طالب رضي الله عنه و حضر معه صفيين سنة ٣٧هـ.

(٢) في الاصل: صارت

(٣) في الاصل: يدعى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٨

والآن يدعى هذا المدعى في هذا الزمان انه كان قد نهى عن التراويح، فلما صاحوا و اعمره خافهم فتقدم و اقامها لهم، فما جرى كلامهم على تحصيل و لكن كما يسنح لهم.

و مما كان ينبغي ان يقدم قبل هذا، ما كان من عهد عمر حين جرحه فيروز النصراني، فانه ورد على علي و المهاجرين و الانصار و جميع المسلمين من ذلك ما ذهلت له عقولهم أسفا عليه؛ فانه قد كان دوخ ملوك الفرس و الروم و أذلهم، و غلب على ممالكهم، و ألجأهم الى الهرب، و بلغت خيوله افريقيه و أوائل خراسان و أوائل الهند، فذل الشرك كله به، و غزا الاسلام بمكانه و سلطانه. فخاف المسلمون ان تكثر ملوك الشرك عليهم بفقده، فاجتمعوا و انفردوا عنه / مفكرين، و أملوا ان يتدئ و يستخلف عليهم. فدخل عليه أهل الامصار فقالوا له: أوصنا يا امير المؤمنين، قال: أوصيكم بالقرآن فتمسكوا به، فيه هدى الله نبيكم و هداكم من بعده، و فيه نجاتكم، قالوا:

أوصنا، قال: أوصيكم بالمهاجرين و الانصار و ذكر فضلهم، قالوا: أوصنا، قال: أوصيكم بالعرب فإنهم مادة الاسلام، قالوا: أوصنا، قال: أوصيكم بدمتكم فإنهم ذمة نبيكم و قوت عيالكم، قالوا: أوصنا، قال: قوموا عني و إقامت عنكم. فلما رآه اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يذكر أحدا للخلافة دخلوا عليه، و ابتدأ ابن عباس يسأله الاستخلاف؛ و افتتح الكلام، فقال:

قد توليتها حياتي و اجتهدت لكم رأيي و نصحت لكم جهدي و منعت نفسي و أهلي، و أرجو ان انجو منها كفافا لا علي و لا لي؛ فأثنوا، و ابتدأ علي يبشره عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة، و قال له: و أشار الى ابن عباس يشهد علي رسول الله صلى الله عليه و سلم بمثل ما شهدت، و شيع غيرهما ذلك و سألوه الاستخلاف، فقال: ما أحب ان اتحملها حيا و ميتا، قالوا: بل تفعل، و لك في ذلك

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٧٩

الاجر؛ انظر يا امير المؤمنين لأمة محمد صلى الله عليه و سلم، فقال: دلوني على من أستخلف، فقال له المغيرة: انا أدلك عليه: عبد الله بن عمر، فقال له عمر: و الله ما أردت بذلك الله، فقال له ابن عباس: يا امير المؤمنين، و ما يمنعك من إخوانك، و أشار الى علي و عثمان و عبد الرحمن و تلك الجماعة، فقال عمر:

إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، و إن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني أن رسول الله ما استخلف و أن ابا بكر استخلف - ثم قال:

هي في واحد من هؤلاء الستة الذين شهد لهم / رسول الله بالجنة و قبض و هو عنهم راض: علي و عثمان ابنا عبد مناف، و سعد و عبد الرحمن خالا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و طلحة و قايه رسول الله. ثم حذر كل واحد منهم من خلق كرهه له. و قال لعلي: إن وليت هذا فاعدل و لا- تحمل بنى هاشم على رقاب الناس، و قال لعثمان مثل ذلك، و قال له:

لا- تحمل بنى ابي معيط على رقاب الناس، ثم اقبل على عمار و مقداد في ان يكونا في ثلاثين من المهاجرين، و قال لأبي طلحة

الانصارى: إن الله لم يزل يعز هذا الاسلام بقومك فكن في خمسين منهم، فإذا مت فليصل على صهيب، و ليصل بالناس الى ان يقيموا خليفته، و كونوا عليهم رقباء لثلا يستبد مستبد، و قال: لا يأتى اليوم الثالث إلا و قد أقمتم احدا من هؤلاء الستة خليفته، و جدوا فى امركم، و جاهدوا عدوكم.

فلما قبض أنفذوا وصيته كما رسم، فكم فى هذا من شاهد على بطلان دعاوى هؤلاء القوم، و ما حاجة الصحابة ان يختار لهم عمر خليفته و قد فرغ لهم من ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قائم العين نصب اعينهم. و أعجب من هذا قول عمر و هم يسمعون ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ما استخلف، و أعجب منه ان الذى يدعون ان رسول الله استخلفه معهم فى ان رسول الله ما استخلف،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٨٠

و أن الخلافة بالاختيار لا بالنص، و أنها فى واحد منهم و فيهم الهاشمى و الاموى و الزهرى و التيمى و الاسدى، ففيمن كانت منهم كان صوابا، لا ينكر ذلك احد من المسلمين. و أعجب من هذا قوله لعلى: ان ولو ك فاعدل و لا تحمل بنى هاشم على رقاب الناس، فكيف لم يقل له: ما أحتاج الى توليتهم لى؛ و لأنى رسول الله و اختارنى و شهد بعصمتى،/ و كيف تقول هذا لى؛ و كيف تقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما استخلف؟

و باب آخر [كيف رد المسلمون الأمر الى عبد الرحمن بن عوف]

ان عليا و الجماعة ردوا الامر الى عبد الرحمن ليختار واحدا منهم للخلافة و عليهم الرضا بحكمه، فقال لهم: تكلموا فأخبروا الناس بذلك، فتكلموا، و قام امير المؤمنين على رضى الله عنه، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه ثم قال: لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه و سلم عهدا لجالدنا عليه حتى نموت، او قال لنا قولنا انفدنا قوله على رغمناء، لن يسرع احد قبلى الى صلته رحم و دعوة حق، و الأمر إليك يا ابن عوف و على صدق اليقين و جهد النصح و أستغفر الله لى و لكم. فلم يقل «١» رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ولّاه و لا ولى عليه.

ثم انظر فى باب آخر فى امر عثمان و ما لحقه فى آخر امره من الإعراض و الخصومة، حتى تجرأ عليه العبيد و النساء و الصغير و الكبير، هل قرعه احد من خصومه و أعدائه بأنه جلس فى غير مجلسه؟ و قد بالغوا فى التشنيع عليه، و هو كان يسمى الخليفة المستضعف، فكيف لم يتقدم الخليفة المنصوص عليه فيأخذ الامر من هذا الذى قد قهر و حصر.

(١) فى الاصل: يقول

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٨١

و أعجب من هذا، ان المصريين أتوه رضى الله عنه بعد ان مضى عثمان فقالوا: امدد يدك بنايعك، فقال: ليس هذا إليكم، هذا للمهاجرين و الانصار، من أمره اولئك فكان اميرا. فانظر كم يقول إن هذا امر المسلمين و أنه بالاختيار. ثم ان المصريين انصرفوا عنه، فجاء المهاجرون و الانصار، فقالوا: امدد يديك بنايعك، فقال لهم: اختاروا غيرى تبايعونه و أبايه، فلأن اكون لكم وزيرا خير من ان اكون اميرا، فدفعهم عن نفسه، فعادوه فقال لهم: إن عمر كان رجلا- مباركا/ و قد جعلها شورى، قالوا: فأنت من الشورى و قد رضيناك، فقال: اختاروا غيرى، فدفعهم، فعادوا فقال: قد علمتم انى اسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه امركم، قالوا: قد رضيناك، فدفعهم و مشى الى طلحة و الزبير فعرضها عليهما، و قال: من شاء منكما بايعته، فقالا: لا، الناس بك ارضى، فترددوا إليه و هو أبى و يقول: اختاروا غيرى فيقال انهم اختلفوا إليه بعد مضى عثمان ثمانية ايام، و منهم من يقول [] «١» يوما و هو يقول: اختاروا غيرى ابايه و تبايعونه.

هذا، و قد مات ابو بكر و عمر و عثمان و ما هناك سلطان و لا خليفة، فأين ما ادعيتموه؟ ثم انه لما اتوا و ألحوا عليه فقال بعد الحمد و الثناء و الصلاة:

أيها الناس، ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه و اتقاهم لله، و لا- يحل بعد إلا برضى المهاجرين و الانصار، فاذا رضوا لم يكن الخيار، فان شغب شاغب استتيب، فان ابى قوتل حتى يفىء الى امر الله.

(١) فراغ فى الاصل، و القول الصحيح ما ذكره القاضى من ان عثمان رضى الله عنه قتل يوم ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ. و ان عليا رضى الله عنه ببيع يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة. انظر الطبرى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٨٢

فانظر الى هذا البيان و الكشف، و ان الامامة بالاختيار، و انها الى المهاجرين و الانصار، فقالوا نبايعك على كتاب الله و سنة رسول الله، فإن لم تف فلا بيعه لك، قال: نعم.

ثم خطبهم فقال بعد الحمد و الثناء و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم مقدار نعم الله على الخلائق برسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم قال: ان الله يعلم انى كنت كارها للولاية على امه محمد عليه السلام حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ايما وال ولى الامر بعدى اقيم على حد الصراط، و نشرت الملائكة صحيفته، فان كان عادلا انجاه الله بعد له، و ان كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة حتى تترايل ما بين مفاصله، ثم تتحرق به الصراط فيكون اول ما يتقى به النار انفه و حر وجهه، و لكن / لما اجتمع رأيكم لم يسعنى ترككم. اقول ما سمعتم، و استغفر الله لى و لكم.

فانظر الى هذا ففيه اتم كفاية، و انظر الى بيانه ان الامام يجور و يخطئ و يزل.

و خطبته المشهورة بالعراق التى لا يستطاع دفعها:

أيها الناس، انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم بايعتم ابا بكر فبايعت و رضيت، ثم بايعتم عمر فبايعت و رضيت، ثم بايعتم عثمان فبايعت و رضيت، حتى إذا مضى عثمان تداكتم على كتداك «١» عرف الصبح، فمددتم يدي فقبضتها و قلت: اختاروا لأنفسكم فأبيتم الا- مبايعتى، حتى اذا كثر الجمع و وطىء الحسبان و شق عطافه، فأبيت الا أن تكون بيعتى ظاهرة مكشوفة على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى مسجده، فبايعنى كل، لا أرى منكرا، فلما قلدتمونيها

(١) تداكتم: تهالكتم. و فى الحاشية كتب: صوابه تهالكتم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٨٣

نكت ناكثون ممن بايعنى و قسط قاسطون، فلم اجد إلا قتال من بغى و محاكمة من اعتدى الى كتاب الله؛ و ليس يجب انكار امامة من عقدت له الامامة إلا أن يجور فى حكم، او يعطل حدا، او يضعف عن القيام بها؛ فو الله ما عطلت لكم حدا، و لا جرت عليكم فى حكم، و لا- ضعفت عن القيام بالامامة، فأوجبوا لى على انفسكم مثل ما او جبتموه لمن تقدمنى من ابى بكر و عمر و عثمان يرحمهم الله.

فانظر كيف يذكروهم ببيعة الخلفاء قبله و رضاه بهم، و يجعلهم إجماعا و حجة على الأمة، و يذكر انه صار إماما ببيعتهم له، و أنهم هم قلدوه إياها، و أنه لا يحل انكار امامة الامام الا ان يجور فى حكم او يعطل حدا او يضعف عن القيام بها، و أن هذا جائز على كل امام بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو رضى الله عنه اعلم بنفسه و بدينه و أفعه فى دين الله، فينبغى الرجوع الى قوله لا الى قول هؤلاء. و قد قال فى خطبة له بالمدينة و هو يأمر الناس بتفقد افعاله و أحكامه: رحم الله رجلا رأى حقا فأعان عليه، و رأى جورا فردّه،

و كان عوناً بالحق على من خالفه.

وقد قال الحسن ابنه رضى الله عنهما لأهل الكوفة حين استنفرهم الى ابيه: يا أيها الناس، إن امير المؤمنين يقول انى خرجت مخرجى هذا ظالماً او مظلوماً، و انى اذكر الله رجلاً رعى الله حقاً إلا نفر، فان كنت مظلوماً أعاننى، و إن كنت ظالماً اخذ منى. و من مقاماته بالبصرة يوم الجمل بعد انقضاء الحرب فقال: اين مثنوى القوم؟ قالوا: صرعى حول الجمل، فقام خطيباً فقال بعد حمد الله و الثناء:

توفى رسول و لم يعهد إلينا فى الامارة عهداً فتبع اثره، و لكننا رأيناها من

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٤

تلقاء انفسنا، فان يك صواباً فمن الله، و إن يك خطأً فمننا و من الشيطان.

استخلف ابو بكر و يرحم الله ابا بكر فاستقام و أقام، ثم استخلف عمر و يرحم الله عمر فاستقام و أقام، ثم ضرب الدين بحرانه، يرحم الله من يشاء و يعذب من يشاء.

ثم القول الذى كان يقوله و يعيده و بيديه و يذكر ايام الإلفه و الاستقامة و ما حدث بعد ذلك من الخلاف فى آخر ايام عثمان: سبق رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صلى ابو بكر، و ثلث عمر، ثم خبطتنا فتنه فما شاء الله «١» - قوله ما شاء الله على طريق الاستغاثة بالله لأن الله يشاء نصره الحق و لا يشاء الله الباطل - أى اللهم افعل ما تشاء، قد قال الحسن البصرى فيما حكاه الله عن احد الرجلين: «و لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ» «٢» اى ما شاء الله من شكره و حمده و الرجوع إليه.

و لما فرغ امير المؤمنين / من امر البصرة و بلغه خلاف معاوية و ندب الناس الى حربه، دخل عليه ابن الكواء و قيس بن عباد اليشكرى و هناك اصحابه فقالوا له: أخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت، تضرب الناس بعضهم ببعض ليتبين الناس أمورهم فتستولى بها عليهم، أمن رأى رأيت حين تفرقت الأمة و اختلفت الدعوة أنك احق الناس بهذا الامر، فإن كان رأيا رأيت أجبتك فى رأيك، و إن كان عهداً عهدك إليك رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنت الموثوق به و المصدق المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه.

(١) فى الحاشية: قوله ما شاء الله على طريق الاستغاثة

(٢) الكهف ٣٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٥

قالوا: فتشهد امير المؤمنين و حمد الله و قال: لأنا و الله اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه، اما ان يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا و الله، و لو كان عهد من رسول الله ما تركت أخا تيم ابن مرة «١» و لا- ابن الخطاب على منبره و لو لم آخذ الا بيدي هذه، و لكن نبيكم نبى الرحمة لم يقتل قتلاً و لم يمت فجأة، مرض ليالى و أياماً، يأتيه بلال يؤذن بالصلاة فيقول له: ائت ابا بكر- و هو يرى مكانى - فلما قبض الله نبيه عليه السلام نظرنا فى امرنا، فإن الصلاة أعظم الاسلام و قوام الدين فرضينا لديانا من رضى رسول الله صلى الله عليه و سلم لديننا، فولينا ابا بكر امورنا، فأقام بين أظهرنا:

الكلمة جامعة و الامر واحد، لا يختلف عليه منا اثنان، و لا يشهد أحد منا الى صاحبه بالشرك و لا يقطع منه البراءة، فكنت و الله آخذ اذا اعطانى، و أغزو اذا أغزانى، و اضرب بيدي هذه الحدود بين يديه.

فلما قبض ابو بكر ظن ان عمر اقوانا عليها و أحمل لها منا فولاهما عمر، فأقام عمر بين أظهرنا: الكلمة جامعة و الامر واحد، لا يختلف عليه منا اثنان و لا يشهد احد منا على صاحبه بالشرك، فكنت و الله آخذ اذا اعطانى و أغزو اذا أغزانى، و اضرب هذه الحدود بين يديه.

فلما حضرت عمر الوفاة ظن انه إن يستخلف خليفة فيعمل ذلك الخليفة بخطئه إلا لحقت عمر فى قبره، فأخرج منها ولده و اهل بيته و

جعلها في سته رهط من قريش، و كان فينا عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لكم الى ان ادع لكم نصيبي منها على ان اختار لله و لرسوله و المسلمين، فقلنا: نعم، فأخذنا ميثاقه على ذلك، و اخذ ميثاقنا على ان نسمع و نطيع لمن ولاه امرنا،

(١) يقصد أبا بكر الصديق رضى الله عنه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٦

فضرب بيده على يد عثمان، فنظرت في امرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى، و اذا ميثاقى لغيرى فى عنقى، فأديت الى عثمان حقه، و كنت اضرب بين يديه الحدود.

فلما قتل عثمان رحمه الله، نظرت فاذا الخليفةان «١» اللذان اخذاها من رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعهد فى الصلاة قد هلكا و لا عهد لهما و اذا الخليفة الذى اخذها بمشورة المسلمين قد قتل و خرجت ربقتة من عنقى و قتل و لا عهد له.

فلما قتل، بايعنى اهل هذين الحرمين: مكة و المدينة، و اهل هذين المصرين البصرة و الكوفة؛ فجاء معاوية يقاتلنى مع اهل الشام و كنت احق بالامر منه:

كنت مهاجرا و كان اعرابيا، و كنت سابقا و كان طليقا، و كان لى الصحبة؛ قالوا: صدقت، أنت احق من معاوية.

فتأمل هذا الشرح و الكشف و حصّل ما فيه، فلو لم يكن معك غيره لكان فيه اتم كفاية؛ و إنما سألوه هل معه فى ذلك عهد من رسول الله صلى الله عليه و سلم ألقاه إليه وحده كما سأل عمران/ بن حصين و أبو الأسود الدؤلى عائشة و طلحة و الزبير كل واحد منهم على انفراده، هل معه العهد من رسول الله فى مسيره فكلهم قال: لا.

فإن قيل: قد علمنا انه كان يأخذ اذا اعطوه، و يقيم الحدود بين ايديهم، و يعينهم، فمن اين لنا انهم غزوه؟ قلنا: لو لم يكن معنا خبر بأنهم قد غزوه إلا هذا لكفى و أغنى.

و كان رضى الله عنه قد انكر من معاوية تبسطه فى زمن عثمان فتنكر له، و أشار عليه بعض اصحابه فقال: أنت بقية الناس و لك حق الطاعة،

(١) فى الاصل: الخليفة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٧

فأقر ابن عامر «١» و معاوية و غيرهما فانهم يبايعون لك الناس، و يهدءون البلاد و يسكنونهم. فقال له: و الله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيى و لا وليت هؤلاء و لا مثلهم يولى، و الله لا اداهن فى دينى و لا اعطى الدنى فى امرى.

و كان المغيرة هو الذى اشار عليه بهذا، فلما قدم ابن عباس من مكة استشاره امير المؤمنين فقال: ما ترى فقد اشار المغيرة بإقرار معاوية، فقال:

قد نصح لك يا امير المؤمنين فافعل و اقبل، فقال: و الله ما اشك ان ذلك خير فى عاجل الدنيا لأصحابها، و ما الذى يلزمنى من الحق و المعرفة ألا-اولى منهم احدا، فإن قبلوا ذلك فخير لهم، و إن ادبروا بذلت لهم السيف، و ما على إلا الاجتهاد. فقال له ابن عباس: خلنى اوله ثم انزعه من غير نقصان و لا إثم، فقال: لا افعل، ما كنت متخذ المضلين عضدا، اخاف ان يظلم مسلما او معاهدا فأجده فى صحيفتى، لا اوليه ساعة واحدة.

فراجعه ابن عباس فقال: لا يظلم، فقال: لا أشرك فى امانتى الا من ارضاه.

فانظر الى هذه المكاشفة بالحق فى جميع اموره لتعلم فريه من نسبه الى الخوف من المخلوقين و قولهم انه كان يقى نفسه بدينه. و كان رضى الله عنه اذا سئل المدارة و خوف من / الخلاف يقول: ابا الموت تخوفوننى، فو الله ما أبالى سقطت على الموت أم سقط الموت

علي، و كان يقول: عليّ آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، و مذ امره الله و نهاه ما رأى منكرا قط و لا

(١) يقصد عبد الله بن عامر بن كريز، عامل عثمان على البصرة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٨

سمعه إلا ردّه و أنكره، و لا رأى معروفا إلا شيده و قوّاه و نصره. و كان ظاهره كباطنه، و سره كعلائته. و كان لا يخاف الجبابرة الطغاة الذين يخافهم البشر فكيف [يخاف] «١» ابا بكر و عمر و عثمان، و لا يخاف سلطانهم محق و لو انه عبد او امرأة او ذمي كما تقدم شرح ذلك؟ لتعلم ان معونته لهم و نصرته لسلطانهم و طاعته لهم في حياتهم و تنفيذه وصاياهم بعد موتهم لأنهم أئمة هدى. و قد كتب رضى الله عنه الى معاوية «٢»: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان. اما بعد، فان بيعتي بالمدينة لزممتك و أنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار و لا للغائب ان يرد، و إنما الشورى للمهاجرين و الانصار، فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان ذلك رضى لله، فان خرج من امرهم ردوه الى ما خرج منه، فان ابى قاتلوه على ابتغائه غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى و أصلاه جهنم و ساءت مصيرا.

فما دخل معاوية فيما دخل فيه المسلمون، فان احب الامر إليّ فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء، فان تعرضت قاتلتك و استعنت بالله عليك، فقد اكرت في قتله عثمان يرحمه الله. فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم الى احملك و إياهم على الحق و على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن، و لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان رضى الله عنه. و اعلم يا معاوية انك من الطلقاء

(١) اضافة على الاصل يقتضيها السياق

(٢) كتب في الحاشية: كتاب على رضى الله عنه الى معاوية

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٨٩

الذين لا يحل لهم الخلافة و لا يعرض فيهم الشورى، و قد اتاك و من قبلك جرير بن عبد الله «١»، و هو من اهل الايمان و الهجرة فبايع، و لا قوة إلا بالله.

فانظر هل يحتج الا بالاختيار و بالشورى و بالاجماع و بسنة الخلفاء قبله، فهم عنده حجة و قدوة، و كم يقول و يبين ان الامامة الى المهاجرين و الانصار فمن بايعون و عقدوا له كان اماما؛ فهو يحتج بأن طاعته طاعة الخلفاء قبله، و عند الامامية ان التدين بالاختيار و بالشورى و الاقتداء بأبى بكر و عثمان شرك و كفر، و هم مع هذا يدعون انهم شيعة لأمير المؤمنين، فهل سمعت بأعجب من هذا. و انظر مكاشفته بالحق لمعاوية، و قوله في كل انسان ما فيه، و قوله له انك اظهرت الطلب بدم عثمان و ما ذاك قصدك و نيتك، و انما نيتك و قصدك و ضميرك الملك و الدنيا، و لم يكن لك سابقة في الدين تحل لك بها الخلافة، فما تأخذه رضى الله عنه لومة لائم و لا يتقى احدا من المخلوقين. و كان يقول:

أيها الناس، انما اهلك من كان قبلكم خبث اعمالهم حين لم ينههم الربانيون و الأحبار فيأمرؤا بالمعروف و ينهوا عن المنكر، فان ذلك لن يقدم من أجل و لن يؤخر رزقا. و كان يقول: لا خير في قوم لا يرون الامر بالمعروف و النهي عن المنكر فرضا، و لا خير في قوم يأمن بينهم اهل المعاصي و يعملون بينهم بالكبائر. و كان يقول: قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أقرب الشهداء منى و أفضلهم عندى بعد حمزة و جعفر من قام الى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله» «٢».

(١) هو جرير بن عبد الله البجلي المتوفى سنة ٥١ هـ.

(٢) انظر شرح الجامع الصغير ١: ٦٤. وقد اورده الحاكم عن جابر بلفظ آخر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٩٠

و كم له رضى الله عنه مثل هذا الكتاب الى معاوية، يمدح فيه الخلفاء قبله، و يذم معاوية، و كم له من الرسل إليه فى هذا المعنى، و ما رضى من إنكار المنكر حتى سافر الى اهله بعد المكاتبه فشافههم به. فسار الى معاوية و نزل بصفين، و أقام نحو الشهرين لا يحارب/ و لا يقاتل، و يقيم الحجّة على معاوية، و يبين براءته من دم عثمان و من خذلانه، و انه قد بذل لعثمان النصره فأباها عثمان و كره القتال، و أراد ان ينصرف القوم عنه راضين بغير قتال، و انه ما ظن و لا- ظن عثمان انه يقتل، و ان القوم اغتالوه و تسلقوا عليه و قتلوه ليلا. و يستشهد على ذلك المهاجرين و الانصار، ثم يحلف بعد هذا و يقول: و الله ما قتلت عثمان و لا مالات على قتله و لا رضيت و لا هويت، و يلعن قتله عثمان و يقول: اللهم العن قتله عثمان فى الليل و النهار و البر و البحر، و يرفع يديه بذلك حتى يبين ما تحت منكبيه.

و قد فعل مثل ذلك بالبصرة، فقال معاوية نحن نصدقك، و لكن فى عسكره شناه عثمان و غزاته يسلمهم إلينا. الى ان قال اهل الشام تخلى معاوية على الولاية و هو يسمع لك و يطيع، فقال: لا افعل، و سألوه فى ذلك فما أجاب. فأتاه و فد اهل الشام و فيهم رجل يقال له حوشب ذو ظليم له قدر و نباهة، فقام فقال: ألا ترى يا على ان الله قد قسم لك قسما حسنا فخذ به بشكر، إن لك قدما فى الاسلام و سابقه و قرابة من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صهرا و تجربة و سنا، فإن تلتف بيننا غدا فإنه لبوار العرب و ضيعة الحرمات، و لكن انصرف راشدا و خل بيننا و بين شامنا و احقن دماءنا و دماء اصحابك.

فقال له رضى الله عنه: إنك لم تأل عن النصيحة بجهدك، و لو علمت ان

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٩١

ذلك يسعنى فى دينى أجبتك و لكان اهون على من المؤمنة، و لكن الله لم يرض لأهل القرآن ان يعمل بمعاصى الله فى اكناف الارض و هم سكوت لا يأمرؤن بمعروف و لا ينهون عن منكر، و اعلم يا حوشب انى قد ضربت الامر ظهره و بطنه و أنفه و عينه، حتى لقد منعنى من نوم/ الليل، فما وجدته يسعنى إلا قتالهم او الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم، فكان معالجة القتال اهون من معالجة الاغلال، و كانت مؤونات الدنيا اهون على من النار.

فتأمل ما فى هذا القول من الانوار و الحجج الشاهدة بطلان دعاوى هؤلاء القوم، فانهم زعموا انه مكث خمسا و عشرين سنة مع ابى بكر و عمر و عثمان و قد كفروا و ارتدوا لا- ينكر عليهم بل كان اكبر اعوانهم، و هو يقول هذا القول. و كان اصحابه يقولون لأهل الشام- مثل عمار بن ياسر، و قيس ابن سعد، و شريح بن هانئ، و عدى بن حاتم، و صعصعة بن صوحان، و الأشتر-: ان عليا اذا ظهر سار فيكم سيرة ابى بكر و عمر، و ان معاوية لا يفعل ذلك، انما يريد العاجلة و يطلب الدنيا، و ان صاحبنا كان يتقدم عند ابى بكر و عمر و يرجعان الى رأيه، و قولهم «١» ان صاحبنا من البدرين و المهاجرين و ليس صاحبكم كذلك. فانظر بأى شىء يمدحونه و بأى شىء يحتجون له لتعرف بطلان دعاوى هؤلاء القوم، فانهم يقولون: الحجّة فى إمامته نصّ النبى عليه، و ظهور المعجزات عليه بعد النبى صلى الله عليه و سلم، و هو رضى الله عنه لا يذكرها هو و لا يحتج بها و لا يعرفها، و لا احد من ولده و أهل بيته و شيعة فى زمانه.

(١) فى الاصل: و قوله، و لعل الصواب ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٩٢

و لما رفع اهل الشام المصاحف و قالوا: بيننا و بينكم ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم، ردونا إليه فقد رضينا به، و هذا كتاب الله؛ فما قال لهم هو و لا- اصحابه: فرسول الله قد نصّ على و قال من كنت مولاه فعلى مولاه، و هذا نصّ او تأويله النص او معناه

النص، او آية كذا او حديث كذا، فما احتج عليهم لا هو ولا شيعته الذين قتلوا بين يديه بشيء مما يذكره هؤلاء. ولما قال له اصحابه: ضعفت و سكنت في نفسك حتى حكمت الرجال/ في امرك، و أى حاجة كانت بك الى هذا و قد بايعك المهاجرون و الانصار، و ما احوجنا و اياك الى امام مثل عمر يسوسنا و يسوسك، و قد كفرت بما صنعت. فما احتج عليهم لا هو ولا من كان يحتج عنه مثل ابن عباس و صعصعة بأنى معصوم و لا أخطئ و لا اعصى، و ان النبى صلى الله عليه و سلم قد نص على و قد رأيت المعجزات او قد بلغتكم، و ما احتج عليهم الا بما قد تقدم لك في كل وقت و كل حال. و كان يقول و الله لتخضبن هذه من هذه و يشير الى لحيته و هامته، فيقول له اصحابه: لو علمنا من ذلك لأبدنا و أبرنا «١»، فيقول: كيف تقتلونه و لم يقتلنى، فيقولون: يا امير المؤمنين اوص و استخلف، فيقول: ما اوصى رسول الله فأوصى و لا استخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستخلف، فيراجعونه فيرجع عليهم بمثل ذلك ثم يقول: ان ادع فقد ترك من هو خير منى، و ان أستخلف فقد استخلف من هو خير منى. و لما ضرب به ابن ملجم الملعون دخولوا عليه، فقالوا: استخلف، فقال: لا، انا دخلنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلنا يا رسول الله: استخلف فقال: لا، اخاف ان تفرقوا عنه كما تفرقت بنو

(١) فى القاموس: أبر القوم: اهلكهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٩٣

اسرائيل عن هرون، و لكن ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يخبر لكم. قال امير المؤمنين فعلم [الله و الله] «١» فى قلوبنا خيرا فاختر لنا ابا بكر، ثم اقبل على صعصعة بن صوحان و كان فى القوم فقال: و لكن يا صعصعة، ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يخبر لكم. فتركه ثم عاودوه فما فعل، و سأله أن يشير عليهم بأحد فما فعل، فقالوا له: ان فقدناك يا امير المؤمنين فلا نفقدك ان نبايع الحسن، فقال لا آمركم و لا انهاكم. فعادوا القول فقال كذلك انتم ابصر، و كان آخر عهدهم به، و قبض صلوات الله عليه، فلم يقل «٢» غير هذا. فإن قالوا: فانا/ لا نقبل هذه الاخبار، قلنا: لو قلم انه ما جرى بينه و بين العباس ما قلنا، و لا كان من الانصار فى السقيفة ما ذكرنا، و لا كان من ابى بكر و الصحابة فى استخلاف عمر ما قلنا، و لا- دخل على فى الشورى، و لا- صلى خلف صهيب، و لا رجع الى عبد الرحمن، و لا- سأل القوم عمر أن يستخلف عليهم و لا قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى و ان اترك فقد ترك من هو خير منى، بل ما وضع عمر شورى اصلا، و هذا كله كذب، ما كان عندنا فى ذلك الا ما عندنا فى انكاركم ما كان من امير المؤمنين. و كذا لو قلم ما كاتب معاوية، و لا رفع معاوية المصاحف، و لا كان من امير المؤمنين و بين اصحابه الذين صاروا خوارج ما ذكرنا، و لكنكم لو سلمتم هذا لبطل مذهبكم، و لو انصفتم لتركتموه و صرتم الى مذاهب امير المؤمنين و هى هذه التى قد ذكرناها، و ما شأنكم إلا انكار «٣» ما قد كان و ادعاء ما لم يكن، و ما لو كان له اصل لكان العلم به قد قهر.

(١) كذا فى الاصل، و لعلها: الله ان

(٢) فى الاصل: يقول

(٣) فى الاصل: الانكار

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٩٤

و فى اقل قليل مما كتبت دليل على بطلان دعاويهم، و انما ذكرنا لك هذا فى هذا الموضوع لأنك طلبته و ذكرت حاجتك إليه. و كثيرا تسأل الامامية عما كان من عثمان فى تولية اقاربه و غير ذلك، و فى سير طلحة و الزبير و عائشة الى البصرة، و ما ذاك الا لضعفهم و انقطاعهم لأن عثمان لو لم يول اقاربه و لم يصنع ما صنع لكان كافرا مشركا عندهم بادعائه الامامة لنفسه و لأبى بكر و عمر، و لو كان طلحة و الزبير و عائشة فى عسكر امير المؤمنين و فى المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم امامة ابى بكر و

عمر و عثمان، فكلام الامامية/ في هذا الكلام مسلم لو كلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، او كلم النصارى في استحلالهم الخمر، و انما يكلم في هذا من قال: لا- ذنب لعثمان إلا- ما اتاه من الحمى و تولية الاقارب و لو لا ذلك لكان مثل عمر، و من قال: لا ذنب لطلحة و الزبير و عائشة إلا مسيرهم الى البصرة و لو لا ذلك لكانوا مثل ابى عبيدة و عبد الرحمن و ابن مسعود.

فاعرف هذا و لا تكلمهم فيه البتة، و كلمهم فيما يدعونه من النص فهو الاصل. و اما طلحة و الزبير و عائشة فانهم انما سلموا علينا لأنهم سلموا على امير المؤمنين، و توليناهم و زكيناهم لأنه زكاهم و تولاهم و مدحهم و ترحم عليهم بعد كان منهم بالبصرة و بعد موتهم، فلو عاديناهم لكانا قد خالفناه و سرنا بغير سيرته و سلكتنا غير سبيله، و نحن لا نرى خلافه، بل هو إمامنا و سيدنا و القدوة عندنا، و هو الذى ظاهره كباطنه و سريره كعلائته.

و هذا كلام مع الخوارج فيقال لهم: على بن ابى طالب إمام هدى، و انما برئتم منه و ادعيتم انه كفر بالتحكم و قبل ذلك كان مرضيا، و قد زكى هؤلاء قبل التحكيم، و قد وجب عليكم الاقتداء به. فإن قالوا: و متى كان تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٩٥

هذا منه؟ قلنا: قد كان يتصفح القتلى بعد انقضاء الحرب، فمر بطلحة و هو صريع فنزل إليه و اخذ رأسه فى حجره و مسح التراب عنه و قال: يرحمك الله يا ابا محمد، يعز علي ان اراك قتيلا تحت نجوم السماء و فى اودية الارض، ثم انشد:

فتى كان يديه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى و يبعده الفقر و امر بجمع القتلى و صلى عليهم و امر بدفنهم، و دخل عليه ولد طلحة فأذناه و قربه/ و قال له: يا ابن اخى، خذ كتابى الى قرظة بن كعب الانصارى ليرد عليكم اموالكم و ما اخذ منها، فما امرته بإدخال يده فيها، انما اردت قبضها لثلاث تمتد إليها ايدى السفهاء و ليحفظها عليكم، اتبسط يا ابن اخى فى الحاجة تكون لكم فانى ارجو ان اكون انا و طلحة و الزبير من الذين قال الله: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (١).

و لما قيل له رضى الله عنه: قاتل الزبير بالباب يستأذن، انزعج هو و أولاده حزنا عليه و إنكارا لقتله، و صار عندهم مأتم و مصيبة عظيمة، و قال: كيف قتله و ليس من اقرانه؟ قالوا اغتاله و معه سيفه، فقال:

خذوا السيف منه و بشروه بالنار، فأخذ السيف منه؛ فما زال امير المؤمنين يقرب السيف و يقول كم كربة كشفها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لم يأذن له فى الدخول عليه. ثم دخل عليه بعد ذلك مع الناس فقال: نحن اهل البلاء فلم نجفا؟ قال: من تكون؟ قال: قاتل الزبير،

(١) سورة الحجر ٤٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ١، ص: ٢٩٦

قال امير المؤمنين: بفيك الحجر، بفيك الحجر، ليلج قاتل الزبير النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لكل نبى حوارى، و حوارى الزبير. و سمعته يقول: الزبير فى الجنة و طلحة فى الجنة، فقال ابن جرموز: انما قتلته أبتغى بقتله عند علي الزلفه فبشرنى بالنار، و ندم على قتله، و صار ينكر ان يكون قتله.

و جهز عائشة بكل ما تحتاج إليه، و شيعها هو و أولاده و قال لأخيها و من خرج معها: بلغوها، و وصى باكرامها، و كان يقول لها: يا أمه، و أم المؤمنين سائرة، فمن اراد المسير معها ممن قدم بقدمها فليسر، و قال:

أيها الناس، انها امكم و زوجة نبيكم فى الدنيا و زوجته فى الجنة، و ردها الى سدانة قبر رسول الله و الى بيتها، و أعطها ما كان يعطيها من قبله من الخلفاء.

و لا- يحل لامرأة/ زعم هؤلاء انها كافرة، يردها امير المؤمنين الى قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم [و تعطى] «١» ما يعطى امهات المؤمنين، سيما و المدينة فى ملكه و سلطانه، و فيها عماله، و ليس به فى امرها حاجة الى المداراة و المداهنة بعد مقاتلتها كما كان

بزعمهم يفعل مع من تقدم من الخلفاء.

و كم كان يركب إليها هو و اولاده و ابن عباس و عبد الله بن جعفر، و يجلسون إليها و يعظمونها، و قد استغفرت و استغفر لها امير المؤمنين، و قد سمع عمار ابن ياسر رجلا ينال منها و الحرب قائمة فقال له: اسكت مقبوحا منبوحا، و الله إنا لنقاتلها و إنا لنعلم انها زوجة نبيكم و معه فى الجنة، و لكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أم إياها؛ و شرح إكرامه لها و اكرام اولاده و هم بالبصرة يطول.

(١) فى الاصل و لا تعطى، و لعل الصواب ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٩٧

و كانت هى تلعن اصحابه الذين ارتدوا عنه و لعنوه و صاروا خوارج و تبرأ منهم، و تروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم تصويبه و تضليلهم، و تقول: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبّوهم، و تسميهم كلاب النار، و لما بلغها موته استرجعت و قالت: ذهب و الله من لم يسفهه الملك و لا أطغته الدنيا، لتصنع العرب ما شاءت فما بقى بعد ابن ابى طالب من يكفها و لا يردعها، ثم انشدت: فألقت عصاها و استقر «١» بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر و كم قد طعنت على معاوية و واجهته بالتخطئة لما ورد المدينة و دخل عليها، حتى اخجلته و هو جبار قد غلب، و كم فعل ذلك به اخوها عبد الرحمن بما يطول شرحه. و لا يرد هذه الأخبار إلا معاند أو من قال انه كان يلعنها كما يلعن معاوية و لم يردّها الى المدينة، و من قال هذا فقد أتى فى البهت على ما لا فيه حيلة. و الإمامية تقول: قد فعل هذا و لكن «٢»/ على طريق حسن العشرة و على سبيل التكرم و التفضل، قيل لهم: هو صلى الله عليه و سلم أجل قدرا و أشد ورعا من ان يرد امرأة كافرة او فاسقة الى قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و يمكنها منه، و يعطيها ما يعطى امهات المؤمنين و يسميها أم المؤمنين، و يشهد لها بما قلنا، و يترحم على كافرين، و يرد الاموال و يشهد لهما بالجنة، هذا لا يحل فى دين الله و لا يفعله مثله صلى الله عليه و سلم بوجه من الوجوه، و إنما قوله بشّر قاتل ابن صفية بالنار، و قوله: ليلج قاتل الزبير النار على طريق التزكية له كقول

(١) فى الاصل: استقرت

(٢) مكررة فى الاصل لانها اول الصفحة و آخرها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٩٨

رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تقتل عمار الفئة الباغية» «١» على طريق التزكية لعمار.

فإن قالوا: لم لم يقتل قاتل الزبير؟ قلنا: لم يكن ذلك له و إنما هو لولد الزبير، فان شاءوا قتلوا و إن شاءوا عفوا.

و من عجيب الامور ان عبد الله بن الزبير قام بعد معاوية و دعا الى نفسه لإمرة المؤمنين، و غلب على الارض بسبع سنين إلا كورة فلسطين، و انبث عماله فى الامصار، و عمرو «٢» بن جرموز حى بالبصرة فما تعرضوا له، و لقد قرئت جريدة اهل البصرة على مصعب بن الزبير بالبصرة، فقرأ الكاتب عمرو بن جرموز، فقال قائل لمصعب أصلح الله الامير و عمرو «٣» بن جرموز و قد ساح فى الارض و سار فى البلاد فقال مصعب: او ظن ابن جرموز انى أقيده بأبى عبد الله، ليظهر ابن جرموز آمننا و ليأخذ عطاءنا مسلما فظهر و أخذ و أمن و ترفع «٤» ولد الزبير عن قتله و قد كان لهم ذلك، و هو إليهم، فكيف يتعجب عاقل من عفو امير المؤمنين عنه و ليس القود له. و كان عمرو بن جرموز بعد الذى سمعه من أمير المؤمنين شديد الندم على قتله، كثير الاستغفار، شديد/ الاشفاق، و قد بقى بعد زوال آخر آل الزبير و مصير الملك الى عبد الملك، فكان الحجاج يقول له: أنت قتلت الزبير؟- لشدة عداوة الحجاج و بنى أمية لآل الزبير- فيقول ابن جرموز: ما قتلت احدا، فيقول له الحجاج: و ما عليك فى قتله،

(١) انظر شرح الجامع الصغير ٢: ١٤٧. وقد اورده ابو نعيم فى الحلية عن ابى قتادة

(٢) فى الاصل عمير، الا انه ورد فى معظم الكتب التاريخية باسم عمرو

(٣) فى الاصل ابن عمير و ابن زائدة

(٤) مطموسة فى الاصل، و القراءة اجتهادية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٢٩٩

و قتله خير لك من جزاء و تدبير حسنات؛ يشجعه الحجاج لينصرف عن الغم و الندم بما قاله أمير المؤمنين له فى دخول النار بقتل الزبير، لتعلم رحمك الله شهرة انكار امير المؤمنين على من اعترف بقتل الزبير. و لكن طال الأمر و قل الطالب المتأمل.

فإن قيل: فكيف سبيل تلك الدماء التى كانت بينهم يوم الجمل؟ قيل له: ان امير المؤمنين رضى الله عنه اعلم بذلك وافقه فى الدين و أشد فى الورع، و لم يكن ليقول فى هؤلاء و فى غيرهم ما لا يحل و لا يجوز فى الدين، فقد كفانا حكمه عن البحث و الطلب، و ان كان العلماء قد ذكروا اتفاق رأى امير المؤمنين و طلحة و الزبير و عائشة على الصلح و وضع الحرب و استقبال النظر فى الأمر، و ان من كان فى العسكر من اعداء عثمان كرهوا ذلك و خافوا ان تفرغ الجماعة لهم، و قالوا: لنشغلهم عنا بنفوسهم، فدبروا فى القاء الحرب بينهم ما هو مذکور فتم لهم ذلك، و ما بك حاجة هاهنا الى ذكره، و أفعال امير المؤمنين تغنيك، فإن اردته وجدته فى كتب العلماء. «١»

(١) بياض فى الاصل حتى نهاية الورقة ١٤٠ ثم الورقة ١٤١ فراغ أيضا. و يبدأ بعد ذلك قسم جديد يتدئ ب بسم الله الرحمن الرحيم، بداية الجزء الثانى من الكتاب.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج١، ص: ٣٠١

فهرس الموضوعات «١»

الصفحة الموضوع المقدمة ٥ البدء بما فى القرآن من إكفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحيد ضعيف

٧ سلامته صلى الله عليه و سلم مع حرصهم على إيذائه

٨ وعده و هو فى وحدته اته سيكون فى جماعات كثيرة

٣٨ استرواح المشركين لأدنى غم يصيب الرسول

٤٠ عرض المشركين على الرسول ان يعبد آلهتهم و يعبدوا إلهه

٤٤ وعد الرسول اصحابه فى حال ضعفهم ان الله سيضرهم

٤٦ اسراء الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

٥٢ ما نزل بمكة فى رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا

٥٥ ما كان بمكة من انشقاق القمر

٥٩ ما كان بمكة من غلبة الفرس على ارض الجزيرة ادنى ارض الروم

٦٤ من اعلامه صلى الله عليه و سلم انقضاض الكواكب بمكة

٨٠ دعوة رسول الله على مضر و إمساك القطر عنهم

٨٣ ما كان بمكة حين بكى الرسول عليهم قوله تعالى: اقتربت الساعة

٨٤ ما نزل بمكة من قوله تعالى «فاستمسك الذي اوحى إليك...»
٨٥ من اعلامه قوله عز وجل «قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن»

(١) اکتفینا هنا بفهرس الموضوعات، و أجلنا باقی الفهارس الی نهاية الجزء الثاني.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٣٠٢

الصفحة الموضوع ٩١ من اعلامه اخباره عن النصرانية و مذاهبها

١٠٨ ما اشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام

١٢١ ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصارى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم

٢٣٥ اكفار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم للعرب و سائر الامم الاخرى و اسخاطها و كيف عصمه الله من اذاهم

٢٤٥ الاخوة و المودة التي كانت قائمة بين الصحابة

٢٥٢ افعال رسول الله و أقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعينه

٢٥٥ كيف خاض الصحابة في امر الامارة و لم يذكروا انه نص على أحد بعينه

٢٦١ كيف فكر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلك بعد تبين الحق

٢٦٣ رفض على ما عرض عليه من المبايعة بالامارة بعد وفاة الرسول

٢٧٣ طلب ابي بكر من المسلمين اقالته و رفضهم ذلك

٢٧٣ تمنى ابي بكر ان لا يكون قد ولي امر المسلمين

٢٨٠ كيف رد المسلمون الأمر الى عبد الرحمن بن عوف

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج١، ص: ٣٠٣

خطأ و صواب

الصفحة السطر خطأ صواب ١٧ / ١٨ / مارد / مادة

٣٠ / ١٠ / القعقاع / القينقاع

٣٥ / ١٩ / كونين / كونان

٣٨ / ٧ / فسيفضون / فسيفضون

٥١ / ٢١ / الدافع / الدماغ

٧٢ / ٢٠ / للعرب على العجم / للعجم على العرب

١٠٣ / ١٣ / الات / الأب

١٣٧ / ١٢ / المسح / المسيح

١٤٥ / ١٢ / إذ أمرك / و «إذ أمرك»

١٥٧ / ١٩ / الشاؤول / لشاؤول

١٥٨ / ٢٢ / الملوک / الملك

١٧٧ / ٤ / البعير / و البصير

١٨٨ / ١ / وقالوا / وقالوا

٢٢٩ / ٢ / فعلنا / فعلنا

٢٣٤ / ١٥ / وردت / ورد

٢٤١ / ٣ و ٢١ / القرآن / القرآن

٢٥٤ / ١٨ / بالبحر / بالبحرين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣١١

الجزء الثاني

إشارة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب من ذكر اعلام النبوة و دلائل الرسالة

و هو أنه كان صلى الله عليه و سلم يتوعد قريشا و هو بمكة بنصر الله له و ظهوره عليهم، فيقولون: أ يظن محمد أنه يغلبنا على مكة بأتباعه الفقراء و العبيد و نحن الأقوياء الأغنياء و الناس كلهم معنا و الرغبة عندنا لا عنده و البأس و النجدة لنا لا له، فتلا عليهم سورة القمر و ما أنزل الله بأمة أمة من الأمم التي يعرفونها إلى أن قال: «أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر، أم يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع و يولون الدبر» «١».

فهزمت جموعهم، و كانت العقبي له كما أخبر و فصل، و قد كان في ظاهر الرأي و الحزم و موجب التدبير أن تكون العقبي لهم لا له، و هم الغالبون لا هو، لأنهم و اليهود و النصرى و تلك القبائل يد واحدة عليه و في العداوة له، و الكثرة و الثروة و البأس و النجدة و الكراع و السلاح معهم لا معه، فلن يغلبهم إلا أن يكون من قبل الله و رسولا لله كما أخبر.

(١) القمر ٤٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣١٤

و باب آخر [ما أشار إليه الرسول و هو في حال ضعفه من أن دينه سيغلب على الأديان كلها و يقهر الملوك جميعا.]

و هو أنه صلى الله عليه و سلم قال حين دعا إلى الله و في حال وحدته و ضعفه:

إن الله أرسلني و وعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها، فيكون سلطاني أقهر من سلطان كسرى و قيصر، فأغلب الملوك، و يعلو ملكي و ملك أنصاري و أتباعي كل ملك في الأرض. ثم ما رضى بهذا القول حتى جعله كتابا يقرأ و قرآنا مخلدا يتلى، يعرفه العدو و الولي فقال: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» «١» و قال أيضا:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَنْ يُنِيرَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» «٢» فكان كما قال و كما أخبر، فلم يرض أن أظهر دينه بالحجة حتى جعل أهله العالين بالقدرة و الظاهرين بالمنعة و القاهرين الملوك و الجابرة بالعز و الملكة. ثم ما رضى حتى أورده على وجه يغيظ و يغضب و يبعث على الممانعة و الدفع و المغالبة، و على وجه يجعل العدو على أهبة، بخلاف تدبير حزمة الملوك و

دهاء الجبابرة. فأخبر بهذا وديانات العرب قائمة و ملوكهم على جزيرة العرب كلها مستولية، و هي جزيرة عظيمة فيها عدة ملوك، كل واحد منهم عظيم الشأن، ثم ديانات اليهود و ملوكهم، و ديانات النصارى و الروم و ملوكهم بالشام و مصر و المغرب و الجزيرة و أرمينية، إلى غير ذلك، و ديانات الفرس و ممالكها، و هي كانت أعظم ممالك الأرض و أوسعها ملكا و أشدها بأسا، و ممالك الهند. فغلب ملوك العرب في جزيرتها، و غلب ملوك اليهود و ممالك الفرس كلها، و ممالك النصرانية و الروم، فلم يبق ملك بحيث تناله الحوافر

(١) الفتح ٢٨

(٢) التوبة ٣٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣١٥

و الأخفاق و الاقدام إلا أزاله عنه و أخرجه منه، و أسنده إلى عقاب يعتصم بها، و معاقل يأوى إليها، و قلاع و مطامير و خلجان و بحار يمتنعون بها. ثم ركب البحار إليهم، فأخرج الروم من الشام و مصر و أرض المغرب و لعلها مسيرة سنين، و هي اليوم في أيدي عدة ملوك، و غلب على أرمينية، و صار ملوكها يؤدون الجزية، و سار الاسلام حتى نزل على القسطنطينية و هي محصنة/ ممتعة بالبحار و الخلجان و الجبال و الأسوار، فمد غزاهم خلفاؤه و أصحابه كانوا في ذلة و في شعاب و رءوس مضايق قد سخت نفوسهم عن عيون ممالكهم و استسلموا، و كانوا كأعراب يطلبون النجعة أو كلصوص يطلبون الغزاة و يطرقون النيام، أو كصعاليك ينتظرون الفتنة بين المسلمين فينتهزون الفرصة، فأما أن يكون ملك يظهر لهم و يقيم بإزائهم و يعاديهم الحرب و يناوئهم كما كان ذلك بين ملوك الفرس و الروم و ملوك الترك و الهند فلا.

فما ضربت ملوك الروم و تدا في بلادها فضلا عن بلاد المسلمين منذ غزاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى سني نيف و خمسين و ثلاثمائة للهجرة في زمن الديلم، و السلطان بالشام إذ ذاك سيف الدولة على بن حمدان، و هو معروف الديانة و الطوية للاسلام و الغزاة و أهل السيرة و العنف بالرعية، و مما كان يلجئهم بالجور الى الهرب إلى الروم، و شرح ذلك يطول.

و كانت الروم تقول قد كفانا بأس المسلمين و شغلهم عنا و ألجأهم إلينا، و هو ملكنا الأكبر و دمستقنا الأعظم «١».

فأما ممالك السند و الهند و أصحاب القبيلة و البأس و العز و في البر و البحر، فأخذ من ممالكهم في البر و ركب إليهم في البحر مما يطول شرحه، فحازه

(١) الدمستق هو لفظ استعمله العرب مرادفا لكلمة **gouverneur** - أي حاكم - في اللغات الأجنبية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣١٦

و صار من بلدان الاسلام كمولتان و المنصورة و غيرها من المدن و الأمصار البحرية ما هو معروف، و شرحه يطول، و من طلبه و جده. فقد اعتبر العلماء و أهل التحصيل فما وجدوا أحدا جاء مجيء نبينا محمد صلى الله عليه و سلم في الوحدة و الفقر و الفاقة و منافرة/ الأمم كلها و معاداتها، حتى ما اعتصم بمخلوق و لا صوب ملكا و لا جبارا كان في زمانه كما تقدم شرح ذلك، ثم صار أمره في القهر و الغلبة ما صار أمره إليه. فإن ظاهر الأمر و موجب التدبير و العقل أن ذلك لا يتم و لا يكون، و أنه هو المغلوب المقهور المقتول إلا أن يكون من قبل الله الذي لا يغلبه شيء. فإن أمره صلى الله عليه و سلم كان كريشة دفعت الجبال فسيرتها و طيرتها، أو كرجاحة وضعت على الجبال فطحشتها و سوتها بالأرض. فتأمل هذه الآية العظيمة، و كل آياته عظام.

و ما قلنا إنه نبي لأن دعوته قامت و دولته اتسعت، و لكن لما قدمنا و شرحنا من وحدته و فقره و تبرئه من الأمم و إكفارهم و إسخاطهم كما قد فسرنا غير مرة، و مجيء ذلك كما قال و أخبر من أنه مع هذه الحالات سيظهره الله عز و جل، و قد علم ذلك من

سمع أخباره و دعوته باضطرار، أنه أخبر بذلك جميعه في أول أمره قبل أن يكون شيء «١» منه و أن الأمر كان كما أخبر. و معروف من سيرته أنه صَلَّى الله عليه و سلم كان يعرض نفسه على القبائل و في المواسم ليتبعوه، و يشرط عليهم في دعوته عداوة الأمم كلها و محاربة الملوك، فيقال له:

إن الكسور من ملوك الفرس لا ترضى بهذا و لا تصبر عليه و لا نحن من رجال معاداتهم و معاداة غيرهم من الملوك، فيقول: أ رأيتم إن منحكم الله ملكهم و أفرشكم نساءه أ تطيعونه و تعبدونه؟ فيتعجبون من هذا القول، و يقول

(١) في الاصل: شيئا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣١٧

بعضهم لبعض: ما هذا إلا مجنون واحد وحده لا يغلب على دار بمكة و قد ناصبه قومه و هو/ يقول هذا، و يقول بعضهم ما هو إلا عاقل، فإن كان رسولا لله كما قال فسيكون ذلك، فيقال: بمن يكون هذا، و أين خزائن الملوك و عساكرها و غضبها لملكها و أنفتها و كبريائها و نخوتها حتى يترك هذا يغلبها، و لهذا قال الله تعالى: «وَقَالُوا إِنَّا تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُفَ مِنْ أَرْضِنَا» (١).

و لشهرة هذا القول منه قبل أن يتلو به القرآن، أنه عليه السلام لما توفي و ارتدت العرب، جال أهل مكة جولة، و هموا بالردة، فاستخفى عتاب بن أسيد عامل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم على مكة «٢»، فقام سهيل بن عمرو فيهم خطيبا و نهاهم عن ذلك، فقالوا: محمد قد مات و الناس قد رجعوا عن دينه، فقال لهم سهيل: إن يكن محمد قد مات فإن الله لم يمته. و قد علمتم أني أكثركم قنبا في بَرٍّ و جارية في بحر، فأقروا أميركم، و أنا ضامن إن لم يتم هذا الأمر أن أردّها عليكم جذعة و إن كنت أعلم أن هذا الدين سيمتد من طلوع الشمس إلى غروبها. قالوا و من أين علمت، قال: إنني رأيت رجلا واحدا و حيدا لا مال له و لا عز، قام في ظل هذا البيت فقال: اني رسول الله، و اني سأظهر، فكنا بين ضاحك و هازل و راجم و مستجهل، فما زال أمره ينمي و يصعد حتى دنا له طوعا و كرها، و الله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في يدى أى فتى من فتیان قريش، و إن هذا، و أشار إلى أبي سفيان، ليعلم من هذا الأمر مثل ما أعلم، و لكن قد ختم على قلبه حسد بنى عبد المطلب.

و سهيل بن عمرو هو أحد رجال قريش و عقلائها و خطبائها و ذو الرأي

(١) القصص ٥٧

(٢) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، من أشرف العرب في صدر الإسلام، أسلم يوم فتح مكة و استعمله النبي عليها عند خروجه إلى حنين سنة ٥٨ هـ. و بقى واليا عليها إلى في خلافه عمر، توفي سنة ١٣ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣١٨

منها، و هو صاحب القضية يوم الحديبية، و له تلك الناظرة و المجادلة، و كان أحد أعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و المجردين في ذلك، و كان إذا تلا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم القرآن بمكة يقوم خطيبا و كأن كلامه يخرج من / صدع صخرة، فينتال الناس عليه. و هو القائل و هو على باب عمر مع وجوه قريش و سادات العرب و قد حججوا، فخرج آذن عمر فيقول: أين بلال؟ أين عمار؟ أين صهيب؟

فينهض هؤلاء الموالى مكرمين و يحجب أولئك، فرآهم سهيل و قد تمعرت وجوههم «١» فقال لهم: مالكم تتمعر وجوهكم، هؤلاء قوم دعوا و دعينا، فأسرعوا و أبطأنا، و لئن غبطتهم اليوم بباب عمر، لما أعد الله لهم غدا في الجنة أفضل.

و لما أبى أبو بكر الصديق قبول الصلاة و الجهاد ممن منع الزكاة. قال له أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: يا خليفة رسول الله، من نقاتل و من ندع. لا طاقة لنا بحرب العرب كلها، اقبل من هؤلاء الصلاة و دع الزكاة فلعلهم إذا رغبوا في الصلاة أن يرغبوا في

الزكاة. حتى إذا فرغوا من قولهم تكلم أبو بكر فقال: الحمد لله الذى هدى فكفى، وخلق فسوى، وأغنى وأفنى، إن الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم والاسلام غريب شريد قد رث حبله وولّى أهله، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرا ولا يصرف عنهم سوءا حين غيروا أو حرفوا، والعرب الأميون صفر من الله، أضلهم دينا وأشدهم عيشا، فجمعهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فنصرهم من أنفسهم، ووعدهم بالنصر على عدوهم. فلما توفى الله محمدا صلى الله عليه وسلم، ركب الشيطان مركبه الذى كان أنزله عنه فأخذ بجبل رقيم «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ،

(١) جاء فى اللسان: غضب فلان فتمعر لونه ووجهه: تغير وعلته صفره.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣١٩

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١) و قد ارتد من حولكم ومنعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا فى دينهم أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا فى دينكم أرغب من يومكم هذا، والله لا يبرح نقاتل على أمر الله جل وعز حتى ينجز الله لنا وعده ويفى لنا بعهده، فيقتل من قتل منا شهيدا من أهل الجنة، ويبقى من بقى منا خليفة ربه فى أهله، مطيعين متوكلين، قضاء لا-خلف له «وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (٢) وقال الله: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (٣). والله لينجزن الله لنا ما وعدنا فى كتابه، وليظهرن ديننا على جميع الأديان، وليمكنن لنا فى الأرض كما وعدنا فى كتابه، وهو اليقين الذى لا خلف له.

وقد كانت ردة العرب بعد وفاته عليه السلام بألوان الردة: منهم من ادعى النبوة، ومنهم من كانت رده بتعطيل الشريعة كلها، ومنهم من كانت رده بمنع الزكاة على أن يقيم الصلاة ويجاهد مع المسلمين، فإن لم يقبل منهم ذلك صاروا مع العدو على المسلمين، و أغاروا على المدينة، وزحفوا حتى شارفوا المدينة، وخافهم المسلمون، فسألوا أبا بكر أن يقبل ذلك منهم مدة إلى أن ينكشف ما بالمسلمين، فأبى، فقيل له ما نراك تنحاش لما قد بلغ

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) النور ٥٥

(٣) الفتح ٢٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢٠

من الناس و لما يتوقع من إغارة العدو. فقال أبو بكر ما دخلنى إشفاق من شرّ ولا دخلنى فى الدين وحشة إلى أحد منذ ليلة الغار، فإن رسول الله حين رأى إشفاقى عليه وعلى الدين قال: هون عليك أبا بكر، (١) فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام. فقبلوا منه و رجعوا الى قوله، و قاتلوا العرب كلها فغلبوهم/ وقهروهم مع قلة المسلمين و كثرتهم، لتعلم معرفتهم بما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهور و ثقتهم بذلك.

فلما فرغ أبو بكر من العرب أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فارس و الروم أن الله قد وعدكم الفتح، و أن يظهر دينه على كل دين، و أن يستخلفكم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلكم، و الله متم أمره، و مصدق رسوله، و لكن أخوف ما أخاف علينا أن يصرف الله ذلك إلى غيرنا لتقصير يكون منا، فجدوا و بادروا لتحوزوا ثوابها. ثم قال لهم: إن بلادهم خرسه يعنى خراسان، فقد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها و يخبر أنكم ستفتحونها.

فذكرها و هي أقصى ممالك فارس و أوسعها بلادا و أكثرها رجالا و أشدها بأسا. و لما صار النعمان بن مقرن مع النفر الذين معه من المسلمين إلى يزدجرد ابن شهريار ملك فارس برسالة عمر بن الخطاب يدعونه الى الاسلام و أداء الجزية أو القتال، فقال لهم يزدجرد: لا أعرف أمة أقل و لا أشقى منكم.

ثم ذكر من ذلّمه العرب و سوء حالها ما يطول، ثم قال: تقولون لفارس، و ملكها أعزّ ملوك الأرض، و ملوك الأرض كلها تخضع لها: تعطوننا الجزية، يا كلاب، لو لا أنكم رسل لقتلتكم، سأقدم إلى رستم، يعنى صاحب

(١) فى الأصل: أهون عليك

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢١

جيشه، بأن يدفنكم و أميركم، يعنى سعد بن أبى وقاص، و كان نازلا بالعذيب يريد ملك فارس، بأن يدفنكم فى خندق القادسية، ثم أرسل إلى بلادكم فاستأصلكم و أصنع بكم أشد مما صنعه سابور بكم. و أخذ يتعجب من ضعف أجسامهم و رثائه سلاحهم و كسوتهم.

فقالوا له: إنا قد فهمنا ما ذكرت أيها الملك من القلة و استطالة الملوك علينا/ و لكن الله بعث فينا رجلا منا يدعونا إلى الله، و وصفوا له الاسلام و حال النبى صلى الله عليه و سلم و وحدته و فقره، و أنه وعد أن يغلبنا و يغلب الأمم، فعجبنا من قوله، و تلقيناه بالجهل و الرد و التكذيب، فلم تزل مواعيدته تصدق، فما أخلف فى شىء قاله. و قد وعدنا ممالككم و أرضكم و دياركم، و لن يخلف قوله. فأجيبوا إلى دينه فإنه دين يحسن فيه الحسن و يقبح فيه القبيح، نخلف فيكم كتاب الله فتجاهدون من يليكم فتفوزون، و إلا فالجزية نقبلها منكم عن يد و أنتم صاغرون، فإنكم إن تقاتلوا ينصرنا الله عليكم. فقال: ما تريدون بقولكم عن يد؟ قالوا عن يد منا عليك فى قبولها منك، فازداد غيظه و قال: قوموا يا كلاب عنى، و جرى لهم معه ما يطول، و إنما أردنا ذكر ثقتهم بهذا الوعد.

و لما سار رستم بجيوشه إلى سعد بن أبى وقاص و هو فى المسلمين، أرسل رستم طلائعه و قال لهم: بادروا، و من وقع بأيديكم من العرب فأسرعوا به إلى. فجاءوا برجل من المسلمين، فقال رستم للترجمان: قل له ما جاء بكم إلى بلادنا؟ فقال المسلم: لناخذ موعود الله، فقال رستم: و ما هو؟ قال المسلم: أنفسكم و أموالكم و دياركم، فقال رستم الملك له: يا كلاب، كأننا قد وضعنا فى أيديكم، فقال له العربى: أعمالكم وضعتكم فى أيدينا، انك لست تحاول البشر و إنما نحاول القدر، فقال له رستم: أما أنت فتقتل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢٢

الساعة، فقال له المسلم: أنا أقتل فأصير إلى الجنة، و من بقى من المسلمين يظهر عليكم.

و لما نزل الملك رستم القادسية، أرسل إلى سعد أن أرسل إلى من يبلغنى عنك و يبلغك عنى، فأرسل إليه رجلا واحدا، فجلس له على سريره، و أحدق به جنوده و هو فى عشرين و مائة ألف/ فى خيول و فيلة و شدة و بأس. فقال رستم للمسلم: قل لى ما جئتم تطلبون- و ظن رستم أن المسلمين سيرهبون لما يرون من جنوده- فقال له المسلم: إنك لا تسمع منى أو تنزل إلى أو أصعد إليك، فهاله ذلك منه و هو رجل واحد، فلما صار معه وصف له الإسلام و رغبه فيه، فقال له رستم: مثلكم معشر العرب مع فارس مثل رجل كان له كرم فدخلته الثعالب فتغافل عنها فطمعت فيه، فسدّ عليها المئاغب ثم قتلها عن آخرها، «١» و كذا يكون أمركم معنا، و ذكر من كان يولونه على العرب و غلبتهم لهم، ثم قال: هاتوا يا أشقياء جمالكم هذه نوقرها لكم تمرا و بزا و نكسوكم فإنكم عراة و ترجعون، فهو خير لكم، فإنه لا طاقة لكم بالملوك، و خاصة ملك فارس. فقال له المسلم مثل قول أصحابه من حال رسول الله صلى الله عليه و سلم و كيف كان ابتداءها و ما وعد به، فانصرف.

ثم عاود رستم سعدا فيمن يرسله إليه، فأرسل إليه رجلا واحدا، و كان رث الهيئة و اللبسة و السلاح، فسأله رستم عما جئتم له، فوصف له مثل ما وصف أصحابه، و قال مثل ما قالوا، فسأله رستم عن الاسلام، فوصف أصوله و حدوده- و الترجمان يترجم عنه- فأقبل رستم

على من حوله من الملوك و القواد و الوزراء و الأساورة، فقال: ألا- ترون إلى حسن ما يصف من هذا الدين، و إلى هؤلاء كيف لا يختلف قولهم مع كثرتهم، فقالوا له: نعيذك بالله

(١) الثغب هو الأحدود تحتفره المسائل من عل، فإذا انحطت حفرت أمثال القبور و الدبار.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢٣

أيها الملك أن تستحسن دين هؤلاء، أما ترى عريهم و وسخهم و رثائهم سلاحهم و لباسهم، فقال لهم رستم: أنتم قوم عنيتم بالملابس و الماكل و المشارب و عنوا بالأحساب، انظروا إلى عقولهم و بصائرهم و صبرهم. و جرى له معهم أكثر مما جرى لهم مع الملك الكبير يزدجرد مما يطول / شرحه.

و هم يذكرون هذا الوعد مع كثرتهم، و لا- يختلف قولهم، و كانت الملوك تمتحنهم بمثل هذا لينظروا هل يختلف قولهم، و هل هناك زلة أو هفوة لصاحبهم فتظهر من بعضهم على طول المدء، أو تميل بهم الرغبة إلى عاجل الدنيا مع تعجل السلامة، و هل يهولهم ما يرون من العتاد و العدة و ما يسمونه من التهديد بالقتل، فما وجدوا عندهم شيئاً من ذلك، و كانت قرءة أعينهم بما آتاهم الله من البصيرة في دينهم، كما قد قال سليمان عليه السلام: «فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ» (١).

و لقد كتب أمير المؤمنين عمر إلى سعد: سرت في العرب و نزلت على الفرس، ما تنتظر؟ ناجز القوم. فكتب إليه سعد يذكر له عدد فارس و بأسها و شدتها و عتادها و عدتها، و ضعف من معه و قتلهم و رثائهم سلاحهم، فكتب إليه عمر: بهذا وعدنا، قال الله: «سْتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ» (٢) فاشكر الله يا سعد أن سمعته بأذنك، و رأيت بعينك، و باشرته بيدك.

و كم كان للمسلمين مثل ذلك مع ملوك الروم بحمص و دمشق و أنطاكية و مصر و غيرها، و ما كانت الرسل تقوله لهم عند المجادلة أن نبينا قد وعدنا بظهور دينه على الأديان، و أنه قد أخبرنا و أنذرنا و بشرنا بأمر كثيرة فما

(١) النمل ٣٦

(٢) الفتح ١٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢٤

أخلفنا في شيء قط، و ما جرى لهم معهم يطول شرحه، و هو مذكور في مواضعه، و إنما ذكرنا هذا القول لأن من قطعته هذه الآيات فتحير فلم يجد متعلقاً فأخذ يقول فيها عند صحتها: هذه المواعيد لم تكن في أول الأمر، و إنما يقال هذا فيمن أخلف مواعيده و ظهر كذبه في شيء بعد شيء، فأما من مكث ثلاثين سنة يخبر بما في هذا القرآن، ثم ينحو مثله من الأخبار، فلم يخلف في شيء منه، كيف يقال / فيه «١» مثل هذا، و لو كان قد قال هذا القول قبل موته بساعة لما خرج من أن يكون آية و دلالة على نبوته و أنه شيء قد انتقضت العادة به، فإنه صلى الله عليه و سلم ما خلف بيوت الأموال و لا مروج الكراع و لا خزائن السلاح، بل مات فقيراً، و مرض و عنده سبعة دنائير، فقال: ما كان يقول محمد لربه لو لقيه و هذه عنده، فقسما و تصدق بها.

و قد حمى نفسه و نساءه و أهله و ولده عن الدنيا كما هو معروف، و ما خلف في أصحابه و عليهم إلا البصائر فقط، و قد ارتدت العرب بعده إلا- و مسجدين: مكة و المدينة، فهض أصحابه بالأمر و ليس معهم إلا التقوى و البصائر، و إنما يقول مثل هذا من لا يعرف الفرس و الروم و قديمها و شدة بأسها و حزمها و ضبطها و يسرها و كثرة جنودها و تقادم الملك فيها و ضنتها بملكها. و حال رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيرته و ما خلفه، و كيف كانت حال العرب في المهانة الضعف و القلة عند ملوك الفرس و الروم و الهند و غيرهم، و شرح ذلك يطول.

فما غلبت العرب إلا بالتقوى و لا عزت إلا بالاسلام. و لقد كانت الفرس تنفذ إلى جزيرة العرب فيما يكرهونه بالرجل الواحد و بالنفر

اليسير. وكذا الروم فينفذ أمرهم، ولهذا مزق كسرى أبرويز كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَّهَ بِاثْنَيْنِ فِي إِشْخَاصِهِ إِلَيْهِ. فَأَمَّا عِنْدَ الْحَرْبِ فَمَا كَانُوا يَنْفِذُونَ إِلَى الْجَمْعِ الْكَبِيرِ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا بِالْفَرِّ الْيَسِيرِ، وَ لَقَدْ عَجِبْتَ الْعَجْمَ وَالْعَرَبَ مِنْ انْكَسَارِ السَّرِيَّةِ

(١) فِي الْأَصْلِ: فِي

تَثْبِيَتِ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ، الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ، ج ٢، ص: ٣٢٥

الَّذِينَ أَنْفَذَهُمْ كَسْرَى بِسَبَبِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ يَوْمَ ذِي قَارِ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجْمِ، وَ بِي نَصَرُوا».

ثُمَّ عَادَ الْأَمْرُ إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ، فَكَانَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْقَوْنَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ فَيَنْصَرُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ يَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ مِنْ بِلْدَانِهِمْ فَيَأْخُذُهُ مَعَ رِثَائِهِ سِلَاحَهُمْ وَقَلْبَهُ عِتَادَهُمْ وَعَدْتَهُمْ، وَ لَقَدْ قَالَ أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَ قَدْ رَأَى لَهُمْ رَايَاتٍ وَ تَهْوِيلَاتٍ: مَا تَصْنَعُونَ بِهَذَا تُكَلِّتُكُمْ أَمَهَاتِكُمْ؟ وَ اللَّهُ لَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ رِجَالًا مَا كَانَ لِسَيْوفِهِمْ قِبَاعٌ، وَ اللَّهُ مَا كَانَتْ مِجَاتِهِمْ إِلَّا بِرَادَعِ جَمَالِهِمْ.

وَ كَانَ عَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا [مَا] «١» يَقُومُ فِي الصَّحَابَةِ خَطِيْبًا، فَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا كَانَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْقَلَّةِ وَ الذَّلَّةِ وَ الْفَقْرِ وَ الشَّقَاءِ وَ شِدَّةِ الْعَيْشِ وَ اسْتِطَالَةِ الْأُمَّمِ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِلَى أَى شَيْءٍ آلَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَ يَقُولُ: إِنَّمَا أَقُولُ هَذَا لَكُمْ لِأَنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ لِمُوسَى: «وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» «٢»، وَ يَأْمُرُهُمْ بِلِزُومِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَبِهَا غَلَبُوا الْأُمَّمَ وَ قَهَرُوا الْمُلُوكَ، حَتَّى صَارَ مَلِكُهُمْ أَعَزَّ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ، وَ دِينُهُمْ أَظْهَرَ الْأَدْيَانَ وَ أَهْيَبَهَا وَ أَجْلَهَا، وَ أَنَّهُمْ مَا لَزَمُوا ذَلِكَ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ قَاهِرِينَ. وَ كَانَتْ مَلُوكَ الْفَرَسِ وَ الرُّومِ تَعْجَبُ مِنْ انْهِزَامِ عَسَاكِرِهَا الْخَشِنَةَ الْمَعْدَةَ الْقَوِيَّةَ الشَّدِيدَةَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، مَعَ قَلْتِهِمْ وَ ضَعْفِهِمْ وَ قَلَّةِ آلَتِهِمْ وَ سِلَاحِهِمْ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ رَسَمَ الْمَلِكُ لِمَا عَبَّرَ الْعَتِيقَ لِحَرْبِ سَعْدٍ بِالْقَادِسِيَّةِ: أَيْنَ عَسَاكِرُ هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ، فَقِيلَ لَهُ: أَشْخَصُ بَصْرَكَ إِلَى هَذِهِ الْجَهَّةِ تَرَهُ، فَقَالَ لِمَا أَشْخَصَ بَصْرَهُ: قَالَ: أَرَى سَوَادًا فَأَيْنَ هُوَ مِنَ السَّوَادِ، فَقِيلَ لَهُ:

هُوَ السَّوَادُ، فَعَجِبَ وَ قَالَ: وَ هَذَا هُوَ كَلَهُ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَ قَدْ بَدَّلْنَا

(١) زِيَادَةٌ مَنِ اقْتَضَاهَا سِيَاقُ الْكَلَامِ

(٢) اِبْرَاهِيمَ ٥

تَثْبِيَتِ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ، الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ، ج ٢، ص: ٣٢٦

لَهُمُ الصَّلْحُ فَمَا أَجَابُوا وَ هَذَا قَدْرُ عَسَاكِرِهِمْ، لَا تَقْتُلُوهُمْ وَ اذْفَنُوا هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ أَحْيَاءً، اسْتِقْلَالًا لَهُمْ. فَلَمَّا قَامَتِ الْحَرْبُ/ نَزَعُوا بِرَادَعِ جَمَالِهِمْ يَسْتَخْفُونَ بِهَا، وَ قَدَمُوا ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَ هُوَ أَعْمَى وَ مَعَهُ رَايَتُهُمْ، فَصَارُوا عِنْدَهُ كَالضَّحَكَةِ، وَ الطَّمَعُ فِيهِمْ أَشَدُّ، وَ احْتِقَارُهُ لَهُمْ أَكْثَرُ. فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ تَحِيرًا، حَتَّى قَالَ لِحِوَاثِيْسِهِ: يَا وَيْلَكُمْ، أَى نَاسٍ هَؤُلَاءِ، أَمَا يَمْلُونُ مَا هُمْ فِيهِ، أَمَا يَطْلُبُونَ الرَّاحَةَ، أَمَا يَشْغَلُهُمْ أَكْلٌ. قِيلَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَامُوا مِنْ مَنَامِهِمْ ابْتَدَأُوا بِأَكْلِهِمْ، قَالَ:

وَ مَا يَأْكُلُونَ، قِيلَ لَهُ: مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَشْبَةٌ يَأْكُلُهَا، يَعْنِي بِذَلِكَ السَّوَاكِ، لِأَنَّ الْجَاسُوسَ كَانَ يَرَاهُمْ يَسْتَاكُونَ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ فَظَنَ أَنَّ ذَلِكَ طَعَامُهُمْ، لِأَنَّ الْفَرَسَ وَ الرُّومَ لَا تَعْرِفُ السَّوَاكَ.

وَ لَمَّا قَدِمَتْ مَنَهْزِمَةُ الرُّومِ عَلَى هِرْقَلٍ وَ هُوَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اسْتَعْظَمَ انْهِزَامَهُمْ، وَ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ يَنْهَزُمُونَ، وَ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَسْتَأْصَلُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي وَيْلَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَقَاتَلُونَهُمْ، أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَنْتُمْ أَكْثَرُ أُمَّ

هم، قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن، قال: فما لكم تنهزمون كلما لقيتموهم، فقال شيخ منهم: من أجل أنهم يقومون بالليل ويصومون بالنهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتنافسون، ومن أجل أننا نرني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضى الله، ونفسد في الأرض. قال: أنت صدقتني.

و كانت نصارى العرب بين تغلب و تنوخ و بلخ و غسان و غيرها من القبائل تعين الروم و الفرس على المسلمين، و كانوا ينغمسون في المسلمين لأنهم عرب فيظنهم المسلمون منهم، فيرجعون بأخبارهم إلى الروم، فيحدثونهم عن عسكرهم، و عن أمرائهم و رؤسائهم، كشرحيل بن حسنة، و معاذ بن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٢٧

جيل، و خالد بن الوليد/ و أبي عبيدة بن الجراح و هو أمير الأمراء، «١» و أنهم لا يبينون من جندهم بشيء، و أن كل واحد منهم هو الذي يقوم على فرسه و يخدم أهل عسكره، و أن الذين في عسكرهم من بني هاشم و هم أهل بيت نبيهم و رهط أبي بكر و ولد عمر في العسكر كضعفاء الناس، لا- يبينون من غيرهم بشيء. و أن من سرق قطعوه، و من قتل قتلوه، و من افترى جلدوه، و من كذب أسقطوه و أبعده و إن كان ابن نبيهم أو ابن أميرهم.

و أنهم في الحدود و الحقوق سواء، لا- يتفاضلون إلا- بالتقوى في دينهم. و أنهم رهبان بالليل و فرسان بالنهار. و يحدثونهم بحب النصارى لهم، و تشبثهم بهم، و أنهم أحب إليهم من ملوك النصرانية، و أن أهل حمص بكوا لرحيل أبي عبيدة بن الجراح عندهم لما تكاثرت عليه ملوك الروم، فقبل لأهل حمص:

تكون على هؤلاء و هم اعداؤكم في الدين، و الذين يجيئونكم ملوكم و أهل دينكم، فيقولون: هؤلاء أهل الأمانة و الوفاء و قول الحق و العمل به، و قد أمناهم:- فهل سمعتم بمن يأمنه عدوه- دماؤنا محقونة، و أموالنا موفورة، و سبلنا آمنة، و أراضنا مصونة، و أهل ديننا يفتضون أبقارنا، و يشربون خمورنا، و يأكلون و دوابهم أقواتنا و علف مواشينا، و يسخرونا لمعونتهم.

فكان سرورهم بملك المسلمين لهم عظيماً، و هكذا كانت رجال الفرس.

فإن عمر حين ملكهم أقرهم على أديانهم و أموالهم، و أخذ الجزية منهم، و فرض على أرضهم القفيز و الدرهم «٢»، و صدقهم في ادعائهم، و استعمل عليهم و في أرضهم و خراجهم حذيفة بن اليمان، و سلمان الفارس، و عمار

(١) ورد التعريف بهؤلاء الاعلام فيما سبق من الكتاب

(٢) أنواع من المكاييل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٢٨

بن ياسر، و عثمان بن حنيف «١»، و أمثالهم، و وصاهم بهم، و حرص الفرس به أن يستعملهم عليهم و ضمنوا التوفير، و قالوا نحن أعلم بهم، فلم يفعل، فسقط/ عن الفرس رسوم ملوكهم عليهم من حق النوروز و المهرجان و الكسور و الأجر و حق الخزن و غير ذلك، فأيسروا و سمنوا و صاروا كشحم الكلى، فأحبوا الاسلام و المسلمين فما رأوا سوءاً، إلى أن كتب زاذان فرّوخ- رجل منهم- للحجاج فسار بهم سيرة ملوكهم فقالوا: ما زلنا مع المسلمين بخير حتى دخل بيننا و بينهم رجل منا، فكنا كما يقال: إن فأسا طرح بين شجر فقال بعضهم لبعض: ما لهذه بيننا؟ فقالت شجرة منهن: ما علينا منها بأس ما لم يدخل فيها شيء منا.

و كانت ملوك الفرس و الروم يعجبون من سلطان المسلمين و أنه يقوم بدرّة و مرقعة و يغلب الجبابرة و أهل الملك القديم، و أصحاب التدبير و السياسة و الترتيب، و أصحاب الكنوز، و أتاهم عن عمر أن كنوزهم تحمل اليه فيقسمها و لا يخزنها. و أن قائلاً قال له: يا أمير المؤمنين لو ادّخرت من هذا

(١) حذيفة بن اليمان هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسى، أبو عبد الله، و اليمان لقب حسل: صحابى من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر الرسول صلى الله عليه و سلم فى المنافقين، توفى سنة ٣٦ هـ.

الأعلام ٢: ١٨٠

سلمان الفارسى: من كبار الصحابة، كان صاحب رأى و علم بالشرائع، و هو الذى دل المسلمين على حفر الخندق فى غزوة الاحزاب، توفى سنة ٣٧ هـ الاعلام ٣: ١٦٩

عمار بن ياسر الكنانى: صحابى من السابقين الى الاسلام و الجهر به، شهد بدرًا و أحد و الخندق و بيعه الرضوان، و تولى الكوفة أيام عمر، توفى سنة ٣٧ هـ. الاعلام ٥: ١٩١

عثمان بن حنيف الانصارى، صحابى، ولى أكثر من ولاية، توفى بعد سنة ٤١ هـ.

الاعلام ٤: ٣٦٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٢٩

المال ذخرًا ليكون إن كان، فقال له: كلمة ألقاها الشيطان على لسانك، أما إنها لن تضرني و لكنها فتنة لمن بعدى، يدخر لكون إن كان تقوى الله و طاعته و طاعة رسوله، و قسم المال و لم يقبل منه. و كان يأخذ عماله بإنصاف الناس و رعايتهم و خدمتهم و أن يعودوا العبيد و الضعفاء إلى غير ذلك مما يطول.

و لما انكشف ملوك الروم من الشام و مصر، و احتجزوا من المسلمين بالمضايق و الدروب، أخذوا فى مداراته و مراسلاته، و طمعوا فى كفه و استعطفاه بالرفق، فكانت رسلهم ترد المدينة مع نفر من المسلمين فى ثغورهم، فلا يرون له قصرًا و لا منزلًا يتميز به من سائر الناس، بل يرون منازلهم كقائمة رجل من جريد النخل، و ربما لم يجدوه فى بيته و لا فى مسجده، فيسأل المسلمون الذين معهم: أين أمير المؤمنين؟ فيقولون: هاهنا كان آنفاً و ما ندرى أين مضى، فيمشون مع رسل الروم يطلبونه فى المدينة فيجدونه وحده فى طرف من الأطراف مشغولًا بشأن المسلمين، فيقول الروم للمسلمين: هذا الذى أخرج الروم و الفرس من ممالكها، لا قصر له و يمشى وحده حافيا، أ ما يخاف هؤلاء الملوك؟ فيقول المسلمون لهم: هو أعز على المسلمين من ذلك، فيرجعون إلى ملوكهم بخبره، فيسألون بينهم و فى حكماهم، هل رأوا و بلغهم أن سلطانًا بهذه «١» العزة و الغلبة قام بدرّة و مرقعة، فيقولون: لا، ما سمعنا و لا ظننا و لو لا أنا رأينا ما صدقنا.

و قد كان يزيد جرد بن شهريار ملك فارس قال لرستم صاحب جيشه و قد سأله رستم عن النعمان بن مقرن و الذين كانوا معه و كيف رأيهم، فقال له يزيد جرد: ما ظننت أن فى العرب أمثالهم، ما تقصر عقولهم عن عقول فارس، و جدتهم على بصيرة و يقين من أمرهم، و لقد وعدوا أمرًا لا ينتهون عنه أو

(١) فى الأصل: بهذا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٠

يبلغوه أو يهلكوا. و لما ظفر سعد برستم، و هزم جيوش الفرس، صار إلى المدائن، و هرب يزيد جرد إلى نهاوند، كان يجارى خواصه، و يكثر تعجبهم من ضعف العرب و غلبهم الجبابرة الأتقياء أهل الملك القديم و التدبير السديد من الروم و الفرس، و شدة جرأتهم عليهم و إقدامهم عليهم فى وقت واحد، لا يكون لهم عندهم من الهيبة ما يصمدون لملك ملك حتى إذا فرغوا منه تفرغوا لغيره، بل تفوقوا عليهم كأنهم ملك واحد أو سلطان واحد فأصابوهم، مع سوء التدبير و اطراح الحزم خلافا لما يفعله حزمة الملوك، فيقول يزيد جرد: ما أظن صاحبهم إلا رسولًا لله كما ادعى، فلو لم يكن من آياته إلا طاعة العرب له و قد كانوا منتشرين يأكل بعضهم بعضًا. و انما رماهم يزيد جرد بن شهريار بسوء التدبير و سوء الاختيار، أنهم قصدوا الملوك كلهم، و أثاروا أهل الأرض كلهم على أنفسهم

ضربة واحدة، و ما هكذا كانت تسيير الملوك، بل كانوا يقصدون لبعض الوجوه و يدارون غيرها، و يتقون كل جنبه جنبه منه، هذا قول يزدجرد بن شهريار.

و سار يزدجرد بن شهريار من نهاوند إلى فارس، و رتب عماله و أصحابه في الممالك كلها، و أنه يستشير بالفرس كلها بخراسان و يستنصر بالترك و يرجع، فيخرج العرب من ممالكه، و يصير إلى بلادهم فيقتل عمر ملكهم و يستأصلهم. و خرج من فارس إلى سجستان، و منها إلى مرو، و منها إلى خاقان ملك الترك، و استنصره و صاهره، و عيونه و جواسيسه تختلف إلى العرب، و رسله إلى الملوك في ممالكه، يشد منهم و يأمرهم بجهاد العرب، و يعدهم بنصرهم و الرجوع إليهم، و هم يعذلون الفرس و المجوس الذين ادوا الجزية و صبروا على العرب، و كانت العرب و ملك المسلمين احب إليهم من ملوك الفرس لما قدمنا، و لأن ملوك الفرس كانوا يسمون أنفسهم الأرباب و غيرهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٣١

العبيد، و كذا كانت كتبهم من الأرباب إلى العبيد.

ثم كانت أصول دياناتهم «١» على ما ألفاه زرادشت إلى الملك بستاسف بن لهوا سف أن الله خلق الدنيا، فلما خلقها استحسناها، ثم فكر هل هاهنا ضد يدخل عليه، قال: و الفكر ردىء، فتألف من فكره إبليس، فمثل بين يديه، و ما زال يخلق الظلام و الأجسام الشريرة كالحيات و العقارب و الأمراض و الأسقام/ فيقيم بإزاء كل خلق لله خلقا لنفسه، فلما خلق الله الفار خلق إبليس بإزائه السنور، إلى غير ذلك من الخرافات السخيفات مما هو مذكور عندهم، و قد ذكره للناس عنهم و أخذوه منهم إلى قولهم: و أن الله نزل من السماء إلى الأرض لمحاربة إبليس بملائكته، و أن إبليس لقيه بشياطينه فحاربه أكثر من ألف سنة، و أن إبليس هزمه و حاصره في بعض البساتين، و أن الملائكة سعت بينهم في الصلح فتهادنا سبعة آلاف سنة على أن يرجع إلى مستقر ملكه في سمائه و يترك إبليس في الأرض يصنع ما يشاء إلى انقضاء مدة الهدنة، و أن الملائكة أخذت سيف كل واحد منهما فعدلوهما. فهذا هو أصل دينهم، و فيه من السخف و الجهل و الحمق ما هو أكثر من هذا مما «٢» هو مذكور في أماكنه.

و أما الفروع «٣»، فتجنب الماء، و التطهير بالأبوال، و تعظيم الماء و النار و الأرض، و تطهير الحائض و النفساء ببول البقر، يتولى ذلك منهم الهريذ، يجردھا و يباركھا و يبشر غسل فرجھا بيده، و يرى بعينه، و يأخذ منها من الأجر ما هو معروف مذكور، و في يده ريشة من ريش النسريدخلها في فرجھا ثم يخرجها لينظر زعم نقيت أم لا، و شرع لهم وطء المغنيات، و فرض

(١) كتب في هامش الصفحة: أصول ديانات المجوس

(٢) في الأصل: ما

(٣) كتب في الهامش: فروع المجوس

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٣٢

على زوج المرأة إذا أراد السفر أن يوكل من يرضى، و شرع لهم نكاح الأمهات و البنات، و أوجب عليهم طاعة الملوك و الانقياد لهم في كل ما يأمرونهم، و أمرهم بإقامة النوروز و أنه أعظم الأعياد، و زعم لهم أن الشياطين كانوا ظاهرين مختلطين بالناس يؤذونهم كل الأذى، و أن إبليس أخذ المقادير و النهايات و هو الذي تسميه الفرس قيما، و زعم أن إبليس أخذ المقادير و النهايات/ من الناس فصاروا «١» يأكلون فلا يشبعون، و يشربون فلا يروون، و يذهبون لحوائجهم فلا يهتدون، و أنه أخذ الأنوار فأظلمت الدنيا عليهم، إلى أمور كثيرة يزعم أن إبليس بلغها منهم يطول شرحها. و أن جمشاذ الفارس استأمن إلى إبليس و صار في عسكره، و تنصح له، و خدمه و قرب منه، و تقرب إليه بكل شيء لتخليص الناس من شره، و أنه لما اختص به طلب المقادير و النهايات التي أخذها إبليس فلم يجدها في خزائنه، و إذا إبليس لشدة كيدته قد ابتلعها لثلا تصل يد أحد إليها. ففطن لذلك جمشاذ الفارسي، فرأى إبليس و هو معه في

أرض الهند نائما وحده منفردا من عسكره، فأعدّ خيولا، وأدخل يده في دبره وأخذ المقادير و النهايات و استوى على الخيول، فلما صار بأرض فارس أضاءت الدنيا و تندت الأرض بعد اليبس و رجع إلى الناس المقادير و النهايات، فلهذا صاروا يوقدون النيران و يصبون المياه و يظهرون السرور و يتوفرون على اللذات في النوايرز. و أن يد جمشاذ هذا الفارسي اسودت اسودادا قبيحا فاحشا لإدخاله إياها في دبر إبليس، فغسلها بكل شيء فما نقيت، فشكا الى الله ذلك، فأوحى إليه غسلها ببول البقر فنقيت، قالوا: لهذا شرع زردشت غسل الحائض و النفساء ببول البقر. و زعموا أن جمشاذ هذا كان قبل زردشت، و حرّم عليهم افتضاض الأبقار لأجل الطعن في الدّم

(١) في الاصل: صاروا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٣

و هو الذي يسمونه سولاسم، فمن يمسك بدينه منهم يتوقى ذلك و يحتال لافتضاضها، إما أن تتولى هي ذلك «١» / لنفسها بإصبعها أو بغيره إلى أن ينقضى الدم. و لهم في فروعهم فواحش آخر، مثل: أكل الميتة، و هو ما يشدونه من البقر الشد الوثيق و يأمرونها بصعود الجبل و يقولون لها: قد أمرناك و أعذرنا إليك فلم تفعل، فيضربونها إلى أن تموت، ثم يأكلونها، و هذا الذي يسمونه يزدان كشت، تفسيره، قتيل الله، إلى غير ذلك من حقههم. فلما جاءهم الاسلام، كان حذيفة و سلمان و غيرهما من الأفراد لا شغل لهم الا قراءة القرآن و درسه و تعليمه، و الظهور للناس، و المشى في الأسواق، و الجلوس في الطرقات.

فكانوا يسألونهم عما يقرءون و عما في كتابهم فيفسرونه للتراجمة و لمن يفهم، فيذكرونه لهم، و يرجعون الى عقولهم فيما يسمعون من جلال الله عز و جل و عظمته و آياته في كل شيء في مثل قوله: «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» «٢»، و ما في قوله في سورة الروم: و من آياته، و من آياته، و من آياته، غير مرة، إلى غير ذلك.

و علم الصحابة به أعظم من علم من بعدهم، فنظر القوم إلى أصول صحيحة يشهد العقل بها، و فروع زكية تدعو الى التمسك بأصولها، و وجدوا الصحابة يعلمون بما يقولون، فأسلموا، و تبادروا إلى الإسلام طوعا من تلقاء أنفسهم، و جاهدوا في سبيل الله كما قد عرف الناس، و بقايا ذلك اليوم بخراسان خاصة.

و هذه كانت سبيل النصارى بمصر و الشام و أرمينية، فديانات النصرانية في الأصول على تلك الجهالات و الكذب كما قد تقدم لك ذكره،/ و فروعهم في

(١) مكررة في الأصل

(٢) الذاريات ٢١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٤

النجاسة و القذارة كما قد عرفت، و رأوا من الصحابة في المذاكرة بالقرآن و المواظبة على درسه، فأسلموا اختيارا و طوعا من تلقاء أنفسهم، و جاهدوا في سبيل الله عز و جل.

و أما خاص المجوس بجور و إصطخر «١»، فعندهم أن الله مات جل الله عن قولهم «٢» و أنه خلف ابنين، أحدهما غلب على السماء و هو الخير، و أن الآخر غلب على الأرض و هو الشرير. و قد كان عامل لعمر رضى الله عنه كتب إليه يعتذر من قلّة المال و يقول: أسلم الناس و قلت الجزية، فأنكر عليه عمر هذا الاعتذار و كتب إليه: إن الله بعث محمدا صلّى الله عليه و سلم هاديا و لم يبعثه جابيا، و صرفه و لم يستعمله لحزنه على قلّة المال و حرصه على الجباية «٣».

و كان خلفاء رسول الله صلّى الله عليه و سلم يقولون لعمالهم: ارعوا الناس و لا تجبوهم، فإن الله بعثنا رعاة و لم يبعثنا جباة، و إن من

بعدنا من الأمراء سيصرون جباة لا رعاة، فإذا فعلوا ذلك ذهب الحياء و الوفاء و قلت البركات، فالزموا الاسلام. ولما دخل عمر الشام تسامع به النصرارى و من بها من ملوك الروم ممن أقام على الذمة، فأحبوا أن يروه، فخرجوا على براذينهم و خيولهم فى زيهم و مراكبهم و ملابسهم، فرأوا المسلمين يدخلون أولا، أولا، فيقولون لهم: أين الملك؟ فيقولون لهم: هو فى الساقه. و تلقاه أبو عبيده و الأمراء، فجاء على

(١) جور: مدينه بفارس بينها و بين شيراز عشرون فرسخا. معجم البلدان ٢: ١٨١ و اصطخر: بلدة بفارس كانت من أعيان مدتها. معجم البلدان ١: ٢١١

(٢) كتب فى الهامش: اعتقاد مجوس جور و اصطخر

(٣) كتب فى الهامش: كتب عمر رضى الله عنه الى عامل جور حين اعتذر إليه أن الناس سلموا و قلت الجزية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٥

جمله و معه مولى على جمل آخر، فانتهى إلى ماء فتزل و نزع جرموقيه «١» و أخذ برأس بعيره و خاض الماء، فقال له أبو عبيده: لقد صنعت صنيعا عند أهل هذه الأرض، كأن أبا عبيده كره له كل هذا التواضع و التبذل و هو سلطان المسلمين، و عدوه / كثير، و هم يرونه، و قد سلبهم ملكهم و عزهم، و عيونهم و جواسيسهم معه يرون ذلك و يبلغونه ملك الروم، و للروم عناية شديدة بمعرفة حال عدوهم، و ظنونهم سيئه، و تيقظهم دائم، حتى أن لهم إلى هذه الغاية مع ضعف الاسلام و ذهاب أهله جواسيس و عيوننا متوالية إلى أقاصى خراسان، و فى كل الاسلام، و من يصير لهم فى مكة فى كل سنة فيشهد الموسم و يرجع إليهم بالخبر. فقال عمر لأبى عبيده: هاه، رافعا بها صوته، لو غيرك يقولها يا أبا عبيده، كنتم أذل الأمم، فأعزكم الله بالاسلام، و مهما تطلبوا العز بغيره يذللکم الله.

و لما ورد الشام و قدم الجابية و هو على جمل أورك، تلوح صلغته من الشمس، ليس عليه عمامة و لا قلنسوة، بين عمودين، و وطؤه فرو كبش نجدى، و هو وطؤه إذا ركب، و فراشه إذا نزل، و حقيقته شملة محشوة ليفا، هى و سادته إذا توسد، عليه قميص من كرايس قد انخرق بعضه. و لقيه أمراء و الأجناد فى مواكبهم، فكلما لقيه أمير منهم فسلم عليه قال له امض، فردّه، و لقيه الاسقف، فقال حين رآه لاساقفته: ثكلتكم أمهاتكم، هل رأيتم رهبانية أو ديرانية أو سياحة مثل هذا، هذا ملك الأرض، فانظروا إليه و إلى حاله.

(١) الجر موق: هو ما يلبس فوق الخف. القاموس ٣: ٢١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٦

و قد كان قال لعامله على أذرع «١» و قد قدم عليه، و على عمر قميص من كرايس، فقال لعامله: خذ هذا فاعتله و ارفعه، ففعل، و قطع عليه قميصا قبطيا فأتاه به و قال: هذا قميصك و هذا قميص قطعته عليه لتلبسه، فمسه فوجده لنا فقال: لا حاجة لنا به. و لما قدم دمشق و صار فى يوم الجمعة نام عمر فجاء عامله على دمشق فسألهم/ ما يريد أمير المؤمنين أن يلبس إلى الصلاة، و هل يلبس غير لباسه الذى كان عليه، قالوا: لا، ما يلبس غيره، فكره ذلك عامله و خاف أن تزدريه البطارقة و ملوك الشام بعد هيبتة فى صدورهم و صوته فيهم، فأمرهم عامله أن يغسلوا قميصه، فإنه إذا قام من نومه فوجده رطبا لم يلبسه أعطيناه غيره فلا يجد بدا من أن يلبس. فلما انتبه عمر [و] «٢» أراد أن يمضى إلى المسجد للجمعة دعا بقميصه فوجده رطبا قد غسل، فلامهم «٣» فى ذلك، قالوا: نأتيك بغيره، قال: لا ألبس غيره؛ فعصره و لبسه و صعد المنبر و قد كان أبطأ من أجل القميص، فجعل يعصر ما بقى فيه من الماء و هو على المنبر، و يمدّ كفه فلا يبلغ أصابعه، و هو قميص غليظ، و قال لهم: إنما حبسنى أن قميصى هذا غسل، فلما نظروا إليه و إلى هيبتة أقبلوا ويكون ينتحبون من كل ناحية و يقولون: و لا رهبانية ابن مريم، و لا رهبانية ابن مريم، مرتين، ما رأينا ملكا فى رهبانية أعجب من هذا.

وقال الروم: هذا الذي غلب فارس و الروم و أخذ كنوز كسرى و قيصر، فقال عامل عمر: فكان و الله الذي فعل أهيب في صدورهم و أبلغ مما أردنا، و جاءت هيبة الدين و التقوى.

(١) بلد في أطراف الشام معجم البلدان ١: ١٣

(٢) زيادة منى اقتضاها السياق

(٣) في الاصل: لامهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٣٧

و هذه كانت سيرة خلفائه و أعوانهم كبنى مقرن، و أبى عبيدة، و معاذ ابن جبل، و شرحبيل بن حسنة، و عتبة بن غزوان، و سعد بن أبى وقاص، و أمثالهم من السابقين و التابعين بإحسان، لا- يحصون لكثرتهم. و الذين رغبوا فيما أحله الله لهم و أباحهم إياه كعبد الرحمن بن عوف و أمثاله، فقد كانوا يبذلون و ينفقون في سبيل الخير، ثم لا يعرفون من التواضع من / عبيدهم و لا يفرق بينهم و بين عبيدهم و فقرائهم، فكانوا كما قد قيل فيهم لا يحوى رجاؤك ما حوت أيمانهم، و لا تسرى همتك إلى حيث سرت أقدامهم، لم يزداهم الله رفعة و تشريفا إلا- ازدادوا هيبه و إجلالا، و لا- تسليطا و تمكينا إلا- ازدادوا عن الدنيا عزوفا و منها تفللا، و لا تقريبا و اختصاصا إلا ازدادوا من رعتهم قريبا و بالمساكين رأفة و عليهم حدبا و بهم رحمة.

و لقد قال عبد الله بن سلام و غيره لأولئك الذين شغبوا على عثمان، كحرقوص بن زهير، و خالد بن ملجم، و سودان بن حمران «١»: يا قوم، إن سلطانكم يقوم بالدره، و ما سمعنا بسلطان يقوم بالدره قبله، و إن قتلتموه لم يبق إلا بالسيف، لا تسلوا سيف الله عليكم، فو الله إن سللتموه لا تغمده، و يلکم، إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله مذحلها رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى اليوم، و الله لئن قتلتموه لتركنها، فلا تطردوا جيرانكم من الملائكة.

و قد قلنا قبل هذا انما لم نجعل زهد رسول الله، صلى الله عليه و سلم و خلفائه و أصحابه دليلا على صحة الاسلام و نبوة النبي صلى الله عليه و سلم فإن ذلك إنما يدل عليه ما قدمنا من الأدلة و أمثاله، و لكن استدللنا بزهدهم على محبتهم لنبئهم، و أن ظاهرهم كباطنهم، و سريرتهم كعلانيتهم، و على بصيرتهم في دينهم، و أنه لم يكن لنبى من الأنبياء عليهم السلام صحابة مثلهم، و أنهم خير أمة أخرجت للناس.

(١) انظر لتفصيل حادث مقتل عثمان رضى الله عنه، الطبرى، أحداث سنة ٣٥ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٣٨

و اعلم أنك لا تكاد تعدم من يطعن فيما معك من هذه الأخبار لجهله.

فإن هذه الأخبار التي معك من كلام الوليد بن المغيرة الى غير ذلك، كلها قد جاءت مجيئا صحيحا كالقرآن، و إن/ كان أكثر الناس لا يعلمون ذلك. ألا ترى أن لرسول الله صلى الله عليه و سلم من الغزوات و السرايا و البعث أكثر من خمسين و لا تعرف العامة و من جرى مجراه منها خمسة، و هم يعرفون أبابكر الصديق في الصحابة و لا يعرفون أباطلحة و أباقنادة «١». و يعرفوه من أزواجه خديجة و عائشة و لا يعرفون سودة بنت زمعة و صفية بنت حبي و غيرهن من أزواجه «٢» فإنه صلى الله عليه و سلم تزوج خمس عشرة و مات عن تسع، و كان له من خديجة أربع بنات: زينب و رقية و أم كلثوم و فاطمة «٣»، و كان له تسعة أعمام و لا يعرف العامة منهم أكثر من ثلاثة، و كان له سبع عمات و لا يعرفون إلا واحدة، و مثل هذا كثير. و لسنا نريد بقولنا هاهنا العامة كالملاحين و الحمالين و الفلاحين، و لكننا نريد من لم يباشر هذه الصنعة و إن كان من الخلفاء و الوزراء أو القواد و الكتاب و كائن من كان.

فإن قيل: فإن هذا الدين و إن ظهر على الأديان كلها و كان أقواها و أعزها فما استأصلها و لا قلع أصولها، فقد بقى في يد الروم بقية

من ممالكها وإن كان الاسلام قد أخذ أكثرها و عامتها، و بقى فى يد الهند بقية، قيل له: إنه لم يقل أنه مستأصل الديانات و لا الممالك كلها حتى لا يبقى شيئا منها، بل قال:

(١) أبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود النجارى الأنصارى، صحابى شجاع، شهد العقبة و بدرًا و أحدا و الخندق و سائر المشاهد، توفي سنة ٣٤ هـ. طبقات ابن سعد ٣: ٦٤

أما عن أبى قتادة فلعله يقضى قتادة ابن النعمان الانصارى و هو صحابى بدرى، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، توفي سنة ٢٣ هـ. الاعلام ٦: ٢٧

(٢) كتب فى الهامش: عدد زوجات رسول الله صلى الله عليه و سلم

(٣) كتب فى الهامش: عدد بنات رسول الله صلى الله عليه و سلم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٣٩

ليظهره على الدين كله، و قد ظهر و غلب، فصار أعزها و أظهرها و أقواها، فقد استوفى الخبر شرطه؛ و مع هذا فقد فرض الجهاد على أمتة إلى يوم القيامة، فدل أنه تبقى من الشرك بقيه، فقد أحدق الصدق بكل ما قالوا، فما هاهنا عيب يكون لطاعن.

فإن قيل: إن الزوم/ قد ارتجعت أكثر ممالكها التى أخذها المسلمون منها، حتى لو قدر ما ارتجعه من جزائر البحر و ما فى البر من الثغور الشامية و الجزيرية و أرمينية و أذربيجان، لكان يكون فى الكوفة إلى بخارى بلدان عامرة، ثم من بالاحساء و المغرب و ما يلى المغرب إلى أن يقارب العراق يعتقدون عداوة الأنبياء كلهم و يخصون نبيكم محمدا بفضل عداوة، و يجردون فى القصد إلى إمامة شريعته و استئصال دعوته كما قد عرف ذلك من تصفح و اعتبر، و كما لهم من الآثار فى قتل المسلمين و الحجاج، و غزو مكة و الكوفة و البصرة و باليمن و بالشرق و الغرب، و إن تستروا بالباطن، فكيف يكون الآن ظاهرا على الأديان كلها.

قيل له: إنه لو ارتد جميع أهل الدين حتى لا يبقى عليه أحد من الناس كلهم، لما قدح ذلك فى الخبر الذى خبر أنه يظهر على الأديان كلها، لأن ذلك الخبر و تلك المعجزة قد صارت إلى ما قال و كما أخبر، فظهر على الأديان كلها فلما استوفت شرائطها و انتهت إلى حدودها فما قصرت عن شيء قاله عليه السلام أو شرطه.

ثم فى غلبة الروم و القرامطة و غيرهم من أعداء الاسلام على ما غلبوا دلالة أخرى على نبوته عظيمة، فإنه قد مر، أن بعد مضى أصحابه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، و فى آخر الزمان، ستضعف بصائر أهل ذلك الزمان، و يكرهون الموت، و يشتد حبههم للدنيا و حرصهم على البقاء، فسيظهر عليهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٤٠

عدوهم و يغلبهم. و الأخبار فى ذلك أصح و أقوى من كل قوى، و هى كثيرة، و مجيئها كمجىء القرآن، حتى أنه صلى الله عليه و سلم حين وقت المواقيت، وقت ميقاتا لأهل العراق و العراق إذ ذاك فى أيدى الفرس، و وقت ميقاتا لأهل الشام و الشام إذ ذاك فى يد الروم، و كذا غيرها من الأمصار، و ذكر ظهور أمتة عليهم و استقامة/ الأمور لهم، ثم ذكر اضطرابها، حتى يقول: و منعت مصر إردبها و دينارها، و منعت العراق درهمها و قفيزها، و منعت الشام كذا، حتى يجيء فى الأثر، ليخرجنكم كما أخرجتموهم كفرا كفرا، يعنى بلدا بلدا و قرية قرية، لأن أهل الشام يسمون القرى الكفور، فيقولون: كفر طاب و كفر ثوبا و كفر كذا لقرى كثيرة. حتى يذكر آخر الزمان، و ان الأمم تتمالأ- على أمتة كما تتمالأ- الأكله على قصعتها، فقيل يا رسول الله أمن قلته يؤتون، فقال: لا، إنهم أكثر ما يكونون و لكن الوهن و الفشل، فقيل: يا رسول الله ما الوهن و الفشل، قال: حب الدنيا و كراهة الموت «١».

و قد وجد أهل الاعتبار ذلك، فإن بابك الخرمى صاحب الخرمية من البدن من أرمينية و أذربيجان، ابتداء فى أول أمره و تستر بأنه من المسلمين و يدعو إلى الاسلام و إلى المهدي من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، «٢» فلما قوى و ظهر كان من أمره ما هو

معروف، فكّد السلطان في زمانه و أتعبه، فكان المعتصم ابن الرشيد، فأرسل بابك إلى ملك الروم و هاداه و لطفه و تقرب إليه بيغض الاسلام و المسلمين، و أنه إنما تستر بالاعتزاء إلى المهدي حيلة عليهم و سخرية منهم، و قال: إني قد شغلت ملك العرب عنك فما يتفرغ لغزوك فإن فرغ

(١) للاطلاع على نموذج من هذه الأحاديث التي تكلم فيها الرسول عليه السلام عن البلاد التي سيفتحها المسلمون و عن مستقبل الاسلام، انظر فيض القدير للمناوي ٤: ٩٦-١٠٢

(٢) امتدت فتنة بابك الخرمي زما طويلا في عهد المأمون و المعتصم و كان خروجه سنة ٢٠١ و منتهاه سنة ٢٢١ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٤١

منى تفرغ لك، فانتهاز الفرصة لنتهنه عنى و أنهنه عنك، ففعل ملك الروم ذلك، و سار حتى فتح ربطه و كان له من الأثر في المسلمين ما هو معروف.

و كان له مع صاحب الزنج من الحرب مثل ذلك أيام المعتمد، فإن صاحب الزنج شغل السلطان عن ملك الروم فأعانه ملك الروم، و انتهاز الفرصة و سار فأخذ لؤلؤة من أيدي المسلمين، و هى بلد عظيم و مصر جليل.

و كان صاحب الزنج يدعى أنه المهدي، و آثاره معروفة، و سيرته في المسلمين معلومة في أن آمنهم ثم قتلهم بعد الأمان و قتل الأطفال، إلى غير ذلك.

و كان يذكر أنه علوي، و لقد أخذ أبا يعقوب الشحام فقال له «١»: لم لا تجيء أنت و أصحابك فتجاهدون معى و تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر، و لكنكم معشر المعتزلة منافقون تقولون بما لا تفعلون، فقال له أبو يعقوب:

أجيب عن هذا و أنا آمن، قال: نعم، قال: أنا آمن قبل الجواب و بعد الجواب على نفسى و أهلى و مالى، قال: نعم فتوثق منه ثم قال له: أخبرنى أيما خير، أنت أو علي بن أبي طالب، قال: بل علي، قال: فأيا شر من عاداك أو عادى علي بن أبي طالب، قال بل من عادى عليا. قال:

فهل بلغك أنه آمنهم ثم قتلهم، لقد حاربوه فما قتل لهم أسيرا و لا أجهز لهم على جريح و لا اتبع لهم موليا و لا سبى لهم ذرية و لا هجم لهم على منزل، و لقد كانت الخوارج مقيمة معه فما بدأهم بحرب و هم يكفرونه، فقد كان ينبغي أن تسلك سبيله لأنك أنت تدعى أنك من شيعته، فقال له: لو لا أنى قد آمنتك، و لو لا ما بينى و بينك لقتلتك. فقام أبو يعقوب و خرج و هرب و لم يأمنه. و قد كان صاحب الزنج قبل أن يملك البصرة يغشى العلماء و يجلس إليهم

(١) من كبار رجال الاعتزال انظر المنية و الأمل (طبقات المعتزلة لابن المرتضى)

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٤٢

و يتقرب من قلوبهم «١».

و هذه كانت سبيل سعيد الذى خرج بالمغرب أيام المقتدر «٢»، فإنه لما تمكن برقادة من أرض المغرب «٣»، و صار فى جيوش، راسل ملك الروم و هاداه و تودده و أغراه بالمسلمين، و بشره بأنه يملك ممالكهم كلها و يستأصل ملك بنى العباس، و أن له إخوانا على مثل رأيه باليمن و بالبحرين و بالكوفة و فى الجبال و بخراسان، و أنه قد سلطه عليهم. و كان يبشره بالمكاره التي تنزل بالمسلمين، و سير جيشا له عظيما مع ابن له إلى مصر ليأخذها، و عرّف الروم هذا، فسيروا جيشا إلى الثغور، و كان هؤلاء ينصرون أولئك فى الثغور، و شغلوا المسلمين و شتوهم. و كان هذا بعد الثلاثمائة للهجرة.

و كان عندهم أن أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابى صاحب البحرين يعينهم فإنه كان على رأبهم و مواطنهم لهم «٤»، و كان عندهم أنه

إذا انقضت سنة ثلاثمائة ظفروا وظهروا على الاسلام كله، و أن سعيدا الذي بالمغرب هو المهديّ و هو الذي يغلب و يظهر. و كانوا يكاتبون الشيعة بالعراق في كل مكان بذلك، و يقولون لهم: انتظرونا و كونوا على أهبة فإننا لا نتأخر. فاتفق قتل أبي سعيد الجنابي في سنة إحدى و ثلاثمائة، و أخلف ما ظنوه، و انهزم أولئك الذين نزلوا على مصر و رجعوا إلى المغرب، و رجعت الروم بسبي عظيم من المسلمين، و كان ذلك في سنة اثنين و ثلاثمائة. ثم عادوا إلى مصر بأعظم من تلك الجيوش

(١) الزنج أو الزط قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة و عاشوا فيها، و لما استقر الحكم للمأمون سنة ٢٠٥ هـ بعث إليهم عددا من قواده ففترقوا و لكنه لم يقض على فتنهم قضاء تاما حتى فعل ذلك المعتصم سنة ٢١٩ هـ.
(٢) سيأتي تفصيل ذلك في موقعه من الكتاب.

(٣) بلدة كانت بالمغرب، بينها و بين القيروان أربعة أيام. معجم البلدان ٣: ٥٥

(٤) سبق التعريف بالجنابي هذا، انظر الجزء الأول الصفحة ١٢٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٤٣

في سنة سبع و ثلاثمائة، و عادت الروم إلى الثغور و حرقوا و سبوا، و خزّب هؤلاء بالاسكندرية و الصعيد و نهبوا و انهزموا و رجعوا، و أخذ الروم ملطية و ثغورها «١»، فهناهم هؤلاء الذين بالمغرب بذلك، و بشروهم بما يفعلهُ أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي بالمسلمين و بالحجاج، و بقلع الحجر، و بسبي المسلمين، و بقتل الحجاج، و بسلب الكعبة، و أنا قد شغلنا المسلمين بأنفسهم عن غزوكم؛ حتى كتب ملك الروم إلى المسلمين كتابا بذلك و أظهر الشماتة بما نزل بالبصرة و بالكوفة و بمكة و غيرها من وقائع القرامطة بالمسلمين و إذلالهم الاسلام. و قد أجاب عن هذا الكتاب أحمد بن يحيى بن المنجم نديم السلطان، و أجاب عنه عيسى بن داود ابن الجراح وزير السلطان.

و أولاد أولئك الذين كانوا بالمغرب إلى هذه الغاية مقيمون على مسالمة الروم و مقاربتهم و مهادنتهم و التقرب إليهم و الشغل بإفساد المسلمين و الاسلام.

فإن غزا الروم أحد من المسلمين من نواحي الشام و مصر و جاءوا بسبي أو أسير أخذهم هذا السلطان منهم و خلع عليهم و وصلهم و برهم و أكرمهم و أنزلهم أجل المنازل و قال لهم: من أقام منكم عندنا/ فله الكرامة و من شاء فليرجع فله الجاء و الصيانة، و يراسلون ملك الروم بأننا ما نغزوكم و لا نتعرض لكم، و ما نقدر أن نكاشف في المنع من غزوكم كل المكاشفة، و لا نرد كل أحد عن ذلك، و قد علمتم أن من وصل إلينا منكم رددناه مكرما إليكم، و من آثر المقام كان في عز و في كفاية، و لنا جيوش و عساكر في البر و البحر قد جاورناكم سيما مذ صرنا بنواحي الشام، و مصر، و اذا قصدتم لناحية فيها

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام، فتحها المسلمون، ثم استعادها الروم سنة ٣٢٣ هـ. ثم عادت للمسلمين مع الدولة العثمانية.

معجم البلدان ٥: ١٩٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٤٤

عساكرنا رحلوا عنها و خلوها لكم. و لهم معهم أكثر من هذا التفصيل، و إنما أردنا أن نذكر صحة قوله عليه السلام أن أمته في آخر الزمان تكون إلى حب الدنيا و البقاء فيخذلون، و تجتمع عليهم الأمم، و هذا باب من معجزاته.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «فَاذْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»]

و هو قوله: «فَاذْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنْ أَكْفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «١». و كانت قريش و العرب قد تفرغوا لمكارهه و

تركوا كل شغل، و أفردوا كل قوم بضرب من مكروهه كما كانت تفعل اليهود ذلك به، فكانت خمسة من مشيخة قريش قد تفرغوا للاستهزاء والمنع في المواسم والمحافل من أن يستمتع منه أو يصغى إلى القول منه، وهم «٢»: الوليد بن المغيرة المخزومي، و العاص بن وائل السهمي، و الأسود بن المطلب الأسدي، و الأسود بن عبد يغوث الزهري، و الحارث بن الطلائع «٣»، فبلغوا منه في الازدلال، فشكاهم إلى الله عز و جل فأرسل إليه جبريل عليه السلام فقال له:

إن الله تعالى قد أمرني بطاعتك فمر فيهم بما أحببت، فاستند إلى الكعبة، فمر به الوليد، فأومى إلى أخص رجله، و كان قد مر برجل من خزاعه و هو يريش نبلا له، فوطئ على فصل منها، و كان من ذلك مريضا ثم اندمل، فانتقض به عند ذلك و مات. ثم مر به الأسود بن المطلب/ و بيد النبي عليه السلام ورقة خضراء،

(١) الحجر ٩٤

(٢) كتب في الهامش: خمسة من مشيخة قريش قد تفرغوا للاستهزاء برسول الله صلى الله عليه و سلم و منع الناس من استماعهم منه عليه السلام.

(٣) الطلائع: الداهية، و هو اسم أمه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٤٥

فرمى بها في وجهه و قال: اللهم أعم بصره، و أكله ولده، فعمى بصره و قتل بنوه: زمعة، و عقيل، و الحرث بن زمعة. و مر به العاص بن وائل، فأومى إلى رجله، فركب حمارا يريد الطائف فطرحه الحمار فدخلت في رجله شوكة فمات. و مر به الحارث بن الطلائع، فأومى إلى بطنه فأكل سمكا مملوحا و نام، فلما كان جوف الليل عطش، فقام إلى قربة فيها ماء، فوضع فاه على فيها فشرب، فما روى حتى انشق بطنه و مات. و قد علمنا أن كان هناك من كان يستهزئ به، و أن قوله عز و جل: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «١» قد كفيهم، و قد قرأ ذلك عليهم، فعلمنا أن كان هناك مستهزئين و قد كفيهم.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُون»]

قوله عز و جل (فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُون) «٢» فذكروهم بعصمة الله له منعه لهم من قتله مع وحدته و كثرة أعدائه و حرصهم على قتله و استئصاله و إطفاء نوره، فصرفهم الله عن ذلك، و قد راموه غير مرة و حرصوا عليه. فانظر إلى هذا الازدلال و إلى هذه الثقة بمنع الله منه، فإن هذا قول يغيظ و يغضب و يحرضهم على مكروهه و يبعثهم على قتله و يزيدهم حرصا على استئصاله، و هذا من الآيات العظام، و هو أعظم من صرف الله كيد فرعون عن موسى، فإن بنى «٣» إسرائيل بمصر و هم ستمائة ألف على دين موسى

(١) الحجر ٩٥

(٢) هود ٥٥

(٣) في الأصل: بنو

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٤٦

و تصويبه سوى المشايخ و النساء و الأطفال و إن كانوا مغلوبين بسلطان فرعون.

و طول مقام موسى مع فرعون بعد ادعاء النبوة سنة واحدة، و محمد صلى الله عليه و سلم أقام بمكة خمسة عشرة سنة، و جاءهم وحيدا منفردا بدينه، خالف الأمم كلها من أهل زمانه، و لم يعتصم. بمخلوق، و لا صوب أحدا من الأمم و لا من الملوك الجبابرة.

فإن قيل: أو ليس كان عمه أبو طالب يمنع منه، قيل: ليس في هذا قدح فيما ذكرنا، لأنه ما قال أن/ أحدا لا يدفع عني ولا يسوؤه ما نزل بي، وإنما قال في حال وحدته، لا أقتل ولا تقتلونني مع كيدكم لي، وإن ربي أخبرني بذلك، وهو قال لي: «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ» (١) وهو قال لي: قل لهم: «فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ» وهو قال لي: «وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فلو منع نصفهم من قتله لما قدح ذلك في خبره، ودفع أبي طالب عنه يؤكد أمر حجته، فإنه قد كان على غير دينه، وكان على دين أعدائه، ومع هذا كان يدفع عنه ويقول لقريش: هو الأمين الكريم الوفي الذي عرفتموه، وتشفع إليهم في الكف عنه، وقد كانوا مع هذا يضربونه حتى يغمى عليه، ويسحبونه، فيقول لبناته وهن يبكين: إن أباكّن لا يقتل بل يؤذى، ويقول هذا للناس كلهم ويناله عمه أبو لهب والنضر بن الحارث بن كلفة، وأبي بن خلف، وأميه بن خلف، وعقبه بن أبي معيط، وغيرهم من قريش، مع حرص أبي طالب في الدفع عنه، فيقول صلى الله عليه وسلم:

لا تتالون مني أكثر من هذا، والعقبى تكون لي، ولن أقتل ولا أموت حتى أظهر. فيزدادون غيظا عليه، ويجددون عزمهم على قتله، ويقول أبو جهل لبني مخزوم: لأقتلن محمدا، فإن شئتم حينئذ فأسلموني إلى بني عبد مناف وإن

(١) الاسراء ٦٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٤٧

شئتم فدعوا. فقالوا نحن لا نسلمك لشيء أبدا. فأرصد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن وجده ساجدا، فأخذ صخرة و مشى إليه، فلما دنا ليرضح رأسه بالصخرة التزقت الصخرة بكفه و ولي هاربا، فأنزل الله فيه: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى - حتى قال:- فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» (١) لأنه معروف العداوة سيد مطاع.

فانظر كيف يقول له: «فليدع ناديه سندع الزبانية»، وقد أرسدوا له للقتل مرات لا يحصيها إلا الله، و كان أشد ما عليهم إذا قرأ القرآن وفيه عيبهم و عيب آلهتهم، مثل قوله في سورة ص، و ياسين، و الفرقان، و ما أشبه ذلك، فإنهم كانوا يثرون له و يفورون من أجله، و كان ذلك شديدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لوحده و ضعفه، و لما يعرف من بأسهم و غلظ أكبادهم حتى يقول الله: «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا، وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» (٢). و إنما قال:

«جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا» (٣) لما كان يصيبهم من الغضب و الغيظ عند تلاوته القرآن، فأضاف ذلك إلى نفسه لهذا المعنى، لا أنه جعل على قلوبهم أكنة و لا في آذانهم وقرا، و هذا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (شيبتنى هود و اخواتها) (٤)، لما كان يلحقه عند الفكر فيما يتلوه منها من خشية الله و خوف نعماته، لا أن هود و اخواتها كانت تفعل فيه الشيب. و مثله قوله عليه السلام:

(حبك للشيء يعمي و يصم) (٥) لا أن الحب يفعل العمى و الصمم، ولكنه

(١) العلق ٩

(٢) الإسراء ٤٥

(٣) الأنعام ٢٥

(٤) فيض القدير ٤: ١٦٩

(٥) فيض القدير ٤: ٣٧٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٤٨

إذا أحبّ الشيء ذهب مكيّاً على وجهه فلم يثبت، فتبصر عينيه ولا يصغى فيسمع قول من ينصح له، وقد قال الله عز وجل «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا» (١)، والنذير لا يفعل فيهم النفور، ولكنهم لما نفروا عند إنذاره نسب نفورهم إليه، وهذا من الاستعارة الحسنة، وهو معروف في اللغة.

فسلامته صلى الله عليه وسلم منهم وهذه حالهم وحاله كمن قال: الدلالة على صدقي أني أخوض هذه النار العظيمة وألبث فيها وأخرج منها سليماً، فهذه كانت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذه الأمم، فإنه أقام بعد ادعاء النبوة بمكة خمسة عشرة سنة بين هذه الشدائد المتواليه والأهوال المتصلة، وهو يخرج إلى المواسم، ويقوم في المحافل، ويرز إلى القبائل، ويعرض نفسه، ويذكر ما يدعو إليه، وهو وحده ومع أبو بكر الصديق أو أبو بكر وعليّ بن أبي طالب.

وقريش ترصده وتتبعه برجالها ودهاتها في التنفير عنه والصد عنه، فأين كان أبو طالب، وكم يكون أبو طالب مع هذه القبائل والعشائر وهم يتوعدونه وهو لا يلين ولا يفتتر.

ولقد كان عمه أبو طالب يعزله فيما أتاه من مخالفة دين آباءه ويسأله أن يكف عنهم وأن يلين لهم، ويصرع له ويطاوله ويدبره في كل جهة، ويخوفه بأسهم (٢) و سطوتهم وأنه لا يأمن قبلهم، فلا يلين، ويقول يا عم:

ما كان لي أن أراهن في أمر الله، حتى يبكي صلى الله عليه وسلم من طول معاتبته عمه له ويقول: ما كنت لأفعل. فإذا قال له إنني أخاف عليك منهم، إنني غير آمن عليك مكر قريش وإن دافعت عنك، فيقول صلى الله عليه وسلم: إن ربي قد ضمن لي

(١) فاطر ٤٢

(٢) في الأصل: بأسه، ولعل الصحيح ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٤٩

صرفهم عني، فيقول أبو طالب: يا ابن أخي، ما اطوع ربك لك، فيقول له: وأنت يا عم لو أطعته أطاعك.

وقدم مات أبو طالب، وأقام صلى الله عليه وسلم بعده وهو على شدته عليهم، وأشد بكثير مما كان عليه في حياة أبي طالب، وغيظهم أشد. فإن القرآن كان يتوالى نزوله بما يكرهون، فيجيب من يجيب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتضاعف غيظهم، ويتجدد عزمهم على قتله واستئصاله، فيجدون ويشمرون ويسعون ويرهجون فلا يغنى عنهم كيدهم شيئاً، «وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ» (١).

ولقد كانوا يمكرون به المكر العظيم، كما قال الله تعالى: «وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ» (٢) وما كان ليقول هذا عنهم والعدو والولي يسمعه إلا وهو كما حكاه عنهم.

وفي هذا المعنى يقول عز وجل: «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصِرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ» (٣) أي من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ولن يفى له بما يدعى محمد عليه، فليجتهد جهده، وليستفرغ وسعه في استئصال محمد وإطفاء نوره وطلب كذب يكون/ منه، ثم لينظر هل يجد ما يشفي غيظه، فإنه لا يجد ذلك، بل يجد ما يضاعف غيظه، وهذا أيضاً من تلك الأبواب التي تبعث على قتله وتذكر باستئصاله.

وكم كان يلقي من يجيب رسول الله من الذل والضرب والهوان والتجويع

(١) فاطر ١٠

(٢) ابراهيم ٤٦

(٣) الحج ١٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٥٠

و التعطيش و الجفاء و السب و أصناف المكاره التي يطول شرحها، و هي مذكورة في مواضعها، معروفة لا يشك أهل العلم فيها. حتى يكون مثل عثمان بن عفان مع كثرة ثروته و صلته لأرحامه و شرف رهطه و حلمه و أناته لا يمكنه المقام بمكة، ففر إلى أرض الحبشة و معه رقية بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم. و كذلك جعفر بن أبي طالب و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، و أم حبيبة رملت بنت أبي سفيان أم المؤمنين. و فر الزبير مع شرفه و شجاعته، و من شئت من الوجوه و الأشراف فما أمكنهم المقام و هذه حالهم، فكيف بالموالي و الفقراء و قريش تطلبهم، و تعبر البحار في طلبهم، و يكون لهم مع النجاشي ما هو معروف.

و من هاجر إلى المدينة اتبعوه، فإن وجدوه في الطريق ردوه قهراً، و إن وجدوه في المدينة خدعوه و سألوه زيارة أهله و عطفوه على أبويه و رغبوه في صلة رحمته و أمنوه على نفسه و دينه ما أقام معهم، فكم ممن أجابهم و اغتر بهم لما ردوه صفدوه بالحديد و عذبوه، و من أحسن منهم بولده قد أسلم قيده، كما فعل سهيل بن عمرو بابنه أبي جندل بعد الهجرة، و كما صنع أبو أميمة سعيد بن العاص بابنه خالد بن سعد، فإن أبا بكر الصديق لقيه و عرفه حسن الاسلام، فأجابه، فعلم أبوه ياسلامه فأرسل في طلبه جماعة فأخبروه أنهم لا يجدونه، فقال: الطائف، فجاؤا الطائف فلم يجدوه، فأخبروه أنه يكون بأعلى مكة في شعب أبي ذر قائماً يصلي، فأتوا به إلى أبيه، فأثبه و بكته و ضربه بمقرعة في يده حتى كسرهما على رأسه، ثم قال له: اتبعت محمداً و أنت ترى خلافه قومه، و ما جاء به من عيب آلهم و عيب من مضى من آباؤهم، و زعمه أن للناس بعد موتهم داراً يدخلونها فيخالدون فيها، فما أعجب هذا. و أخواته و أهله يشهدون، بل هم ردوه إلى أبيه، فقال خالد قد اتبعته و صدق و الله محمد. و حاجه ابنه، فغضب أبو أحيحة و نال من ابنه و شتمه، و قال: اذهب

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٥١

يا لكع حيث شئت، و الله لأمنعك القوت، قال: إن الله يرزقني ما أعيش به، فأخرجه و قال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت. فخرج خالد، فلقية أبو سفيان صخر بن حرب فقال: قد فعلتها يا خالد، ما شكرت أباك، و لقد هدمت شرفك الذي ينالك، فقال خالد: بل عمرت ذلك الشرف، قال أنت غلام حدث، لو بسط عليك العذاب لأقصرت،

و صار خالد إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فكان يلزمه، و جعل من لقيه من فوقه يؤنبونه، و يستقصرون فعل أبيه و تركه له، و أنه قد كان ينبغي له أن يبسط عليه المكروه و يواله عليه. فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا أحيحة، ما أدري أضعفت أم ضجعت الرأي أو أدركت المأفة (١)، قال: و ما ذاك، قال: تركت ابنك يتبع محمداً أو أنت سيد قريش و كبيرها و المطاع فيها، فيتجرأ علينا شبابنا و يقولون: هذا ولد أبي أحيحة قد أسلم و لم يصنع به شيئاً، فقال لا ما ضعفت، إنى لأقوى قريش نفساً و أكثرها عدداً و مالا. و أما قولك: ضجعت الرأي، فما الرأي عندك في أمره، قال حبسه و التضيق، فقال: و الله ضربته حتى كسرت العصا على رأسه، و حرمته القوت، فهذا أشد الأمور عليه، فلم أره حفل بواحدة منها. و أما قولك: المأفة، لقد غاظني أمر محمد أنه أوسطنا نسباً، و أنه نشأ فينا/ كأحسن ما نشأ به أحد من الشباب من حسن الحديث و أداء الأمانة و حسن الخلق، فجاء بدين محدث، فرق جماعتنا و شئت أمرنا و أذهب بهاءنا و اجترأ علينا. و أخرى إن صدقني ظني - و هو صادق - أنه خارج إلى قوم يقوى بهم ثم يدخل بهم عليكم. قال أبو جهل: لا تقل هذا، فما الفرج لنا إلا في اخراجه و تحويله عن ديارنا، فإنه إن خرج عادت ألفتنا، وعدنا لدينا

(١) جاء في اللسان: ضجع في أمره و اضجع و أضجع: و هن، و الضجوع: الضعيف الرأي و المأفة: الأنفة و شدة الغضب و الحمية، و نكت العهد من الأنفة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٥٢

القديم الذي كان عليه آباؤنا. فخرج من عنده و هو يقول: تغير أبو أحيحة، ما هو إلا الكبر، ما اجترئ عليه بهذا حتى أنسوا ضعفا. ففر خالد إلى أرض الحبشة.

و إنما ذكرت لك طرفا يسيرا من صنعهم بفتيانهم و أولادهم و مهجهم إذا اسلموا، و شدة الرؤساء منهم على من لم يبلغ في ذلك، فأما ما صنعوا بأبي بكر مع حلمه و نبلة و سعة جاهه و كثرة خلانته من ساداتهم، ثم بمن يليه طبقه طبقه، فأعظم من كل عظيم.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» و كيف ورثها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم]

و هو قوله عز و جل: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ، وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (١). فورثها أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم كما قال و كما أخبر، و فيه مع كونه دلاله على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم لما في الكتب التي أنزلها الله عليهم، ان النبي الأخير من ولد إسماعيل بن هاجر بن إبراهيم، القائم من فاران، هو أعز و أعلى و أقهر من جميع النبوات، و أن أتباعه الصالحين يرثون الأرض و يحيون الحق و يمتنون الباطل و يذلون الجابرة كما هو مذكور في الكتب ذكرا تقدم به الحجج عند العلماء، و قد ذكره من أسلم، مثل عبد الله بن سلام و من يليه طبقه طبقه، و للعلماء فيه كتب مفردة، مثل أحمد بن يحيى بن المنجم/المعروف بالنديم، و مثل أبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي الكاتب، و مثل أبي بكر الزهيري الكاتب، و مثل ابن قتيبة، و غيرهم، فإنهم ذكروا تلك المواضع من تلك

(١) الأنبياء ١٠٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٥٣

الكتب، و ما فيها من البشارات و الإشارات، فإن أردتها وجدتها، و إن كان فمعك ما يغنيك عنها (١).

و في هذا أيضا دلاله على صحة إمامه أبي بكر و عمر و عثمان و علي و أتباعهم و شيعهم، فإن الله قد شهد لهم بالصلاح و هم ورثوا الأرض. فإن قيل فقد ورثها بعضهم ممن (٢) ليس هو في مثل حالهم عندكم، حتى انتهى ذلك إلى القرامطة و الروم و أشباههم، و من يقرب حاله من حالهم، فإنهم قد غلبوا على كثير من الأرض. قيل له: لو ملكوا الأرض كلها لم يقدح ذلك في هذا العلم و لم يؤثر في هذا الخبر، لأنه ما قال: لا يرثها إلا الصالحون، و لا تخرج من أيدي الصالحين.

و مثله قال موسى لقومه: «اسْتَبِعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٣)، و مثله قوله: «أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا» (٤)، و قد خرجت من أيدي بني إسرائيل و ملكها بخت نصر و ملوك الروم و أمثالهم من الكفرة، و هذا غير مشكل. و قوله في آخر الآية: «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (٥) يزيدك علما بأن المراد، أن الوارثين (٦) للأرض هم أهل دينه و القائمون بشريعته،

(١) أحمد بن يحيى المنجم المتوفى سنة ٣٢٧ هـ أديب و شاعر و متكلم و فقيه. معجم الأدباء: ١٤٦ و محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ متكلم معتزلي. الفهرست ١: ١٧٢. و أظنه يقصد ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. المتوفى سنة ٢٧٦ هـ.

(٢) في الاصل: من

(٣) الأعراف ١٢٨

(٤) الأعراف ١٣٧

(٥) الأنبياء ١٠٧

(٦) كتب في هامش الأصل: الوارث، الصواب: الوارثين.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٥٤

و هذا خبر و بشرى و وعد، و إخبار الله لا يكذب، و وعده لا خلف له.

فشهد عز و جل لمن قدّمنا بالصلاح، و عند الإمامية و طبقات الرافضة أن أبا بكر و عمر و عثمان و البدرين و المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم و أعانوهم على وراثته الأرض حتى أبادوا الأمم و غلبوا ملوك الفرس و الروم و الترك و غيرهم من أمم الشرك كانوا كفارا مشركين طلاب دنيا لا طلاب دين / و أنهم غيروا القرآن، و عطّلوا النصوص، و بدلوا الشريعة من الطهارة و الأذان و الصلاة و المواقيت و الصوم و المواريث و النكاح و الطلاق، و رفعوا ما كان و وضعوا ما لم يكن، و شهادة الله لهم بخلاف قول هؤلاء فيهم. و أنت و إن كنت قد عرفك الله بعقلك بطلان دعاويهم عليهم فاعرفه أيضا بالسمع، فقد أتاك الله به في غير موضع من القرآن و من غير القرآن. و في قوله عز و جل: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» (١) دلالة أيضا على طهارتهم و عمق إيمانهم و براءة ساحتهم، فهم أظهروا الدين، و أخذوا الممالك و الأمصار ممن قبلهم، و الذين من بعدهم إلى طاعتهم رجعوا، و بأمرهم سفكوا الدماء، و بقولهم أخذوا أعطوا، فلو كانوا مبطلين لما كان الظاهر هو دين رسول الله صلى الله عليه و سلم على الدين كله، بل كان ما ذهب إليه هؤلاء الصحابة ظاهرا، و دين رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي تدعيه الرافضة خاملا خفيا ميتا، فإن الذي يقول الإمامية أنه الحجة و أن الحق معه قد كان مغلوبا مقهورا، قد أسكته بزعمهم الخوف عن النطق بالحق و الدعاء إلى دين النبي، و ألجأه إلى تصديق الكاذبين و تكذيب الصادقين، و موالة المشركين. و الذي قرره هؤلاء الصحابة من الدين و الشريعة و القرآن هو الظاهر على الأديان، القائم به الحجة إلى الآن.

(١) التوبة ٣٣، الفتح ٢٢٨ الصف ٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٥٥

فإذا قد أخلف هذا الوعد من قوله: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، فاعلم ذلك ففيه أتم كفاية.

و هم يقولون: ما ظهر بعد، و إنما يتم ظهوره بقيام صاحب الزمان. و جواب هذا: السكوت عنه و التعجب منه، فإنه ليس مع المكابرة مناظرة.

و قد علم المتأمل كذب من ادعى أن دين رسول الله صلى الله عليه و سلم كان في زمن أبي بكر و عمر و عثمان ذليلا ميتا قد أطفئ نوره و قلعت أصوله. / و قد علمنا أن في زمان هؤلاء كسرت الأصنام، و هدمت بيوت النيران و تعطل «١» النوروز و المهرجان و عيد السلامة و عيد الصليب، و تمزق التقويم «٢» و كسر الاضطراب، و لما انضاف إلى ذلك من جميل أفعالهم فقد تيقنا أن هذا هو المراد من دين الإسلام و هو معنى ظهوره.

و من عجب الأمور أن أصحاب الزنجاني القاضي قد تستروا بالتشيع، و هم من عداوة النبي صلى الله عليه و سلم و الطعن عليه و إخراج الناس من دينه بكل حيلة، إذا أرادوا التشفى منه قالوا لنا: الآن انحل أمره و بطل دينه، و أوردوا ما قد ظهر من تعطيل الحدود و أخذ المكوس و ارتكاب المحرمات و ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. و يقولون: انظروا إلى وجوه قريش و اعتصامهم بالتقويم و الاضطراب، و رجوعهم إلى أرباب هذه المقالات، و تدبرهم بهم دون الاستخارة بالقرآن و الرجوع إلى وصايا نبيهم، و غير ذلك مما قد ارتكبه الملوك و الخاصة. و لو استطنعنا تسمية أصحاب الزنجاني و ذكر القرشيين الذين

(١) في الأصل: تعطيل

(٢) في الأصل: تمزيق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٥٦

قد سلكوا هذه السبيل و الأمصار التي غلب عليها هذا لكان أشقى و أبين، و لكننا لا نقدر على ذلك من الخوف، و الله المستعان.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»]

من آياته، لما أنزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، فجمعهم و قام فيهم و خطبهم و دعاهم إلى مفارقة دين آبائهم، و ذكر لهم ما لهم في ذلك من نعيم الجنة إن أجابوا، و ما عليهم من عاجل العقاب إن أبوا، و أن الله يبعث عليهم جندا من جنوده يجاهدونهم مع رسوله و نصره لدينه مع ما عليهم من عاجل «١» العقاب، فغضبوا و نفروا و مشوا إلى أبي طالب يشكون و يتوعدون، و أنهم أكثر جندا. و قد ذكر الله ذلك في قوله حاكيا عنهم:

«أَجْعَلِ اللَّهُ لِلْهَيْبَةِ الْهَيْبَةَ وَاجِدًا» «٢» إلى قوله: «جُنُودٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَخْزَابِ»، و هذا نزل بمكة قبل الحرب فكان كما قال، فانظر في أى حال توعدهم بهزيمتهم، و على أى وجه أوردته على قلوبهم و آثارهم و غاظهم و أوجعهم، فإنها حال كان فيها في قبضتهم و أسيرا في أيديهم، و هم القوم الذين لا صبر لهم على ضيم، و لا ينامون على وتر، و لا يقيمون على مكابرة الغيظ، كيف يقصر الله أيديهم عنه، و يقيه كيدهم و شرهم، و تلك حالهم، فاحفظ هذا و أمثاله.

و اعلم أن أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم اجتمعوا و جمعوا كيدهم و قرءوا كتابه، فزعموا أنه صلى الله عليه و سلم في ابتداء أمره و هو مقيم بمكة ما خالف قومه

(١) في الأصل: من أجل، و لعل الصواب ما أثبتناه

(٢) سورة ص ٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٥٧

و لا- أغضبهم و لا أغازهم، بل كان مصوبا و مقاربا لهم، ألا ترون أنه قال لهم: «وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» «١» و أنه قال لهم: «لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ» «٢». قالوا: و إنما توعد بالحرب و زال عن هذا حين صار بالمدينة و في جماعة. و هذا يقوله ابن الراوندى حين اجتمع مع لاوى اليهودى، و ساعدهما أمثالهما من الأشقياء حين نظروا و دبّروا و كادوا المسلمين، فانصرفوا عن الضرورات بالتأويلات و سموا الكتاب الذى ضمنوه هذا و أمثاله كتاب الدماغ «٣».

و كل عاقل سمع الأخبار يعلم علما يقينا لا يرتاب به، أنه صلى الله عليه و سلم حين ادعى النبوة و ساعة انتحل الرسالة كاشف بدعوة الاخلاص، و أكفر كل من خالفه، و ادعى أنه يظهر و يغلب، و أنه يصير في جماعات و عساكر، و أنه يقتل أعداءه و مخالفه و يدلهم، و أن العقبى تكون له. ثم أكد ذلك بأن جعله قرآنا يتلى.

فما نزل بمكة من ذلك، قوله: «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ» «٤»، و قوله: «جُنُودٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَخْزَابِ» «٥»، و قوله: «وَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» «٦»،

(١) سبأ ٢٤

(٢) القصص ٥٥

(٣) كتب في هامش الأصل: كتاب الراوندى، و قد سبق أن عرفنا به. انظر ١: ٥١ من الكتاب.

(٤) القمر ٤٤

(٥) ص ١١

(٦) يونس ٦٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٥٨

أى تغلب و لا / تغلب، وقوله: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (١) إلى قوله: «وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»، فإنهم قد كانوا بمكة يقاتلون أشد القتال، وكانت محنة المسلمين فيها أغلظ، فإنهم كانوا يضربون و يداسون و يحبسون و يجتمع النفر بعد النفر منهم فيدفعون عن أنفسهم، سيما حين أسلم عمر، فإنهم عزوا به و نهنه عنهم قليلا، ثم ما أطافوا المقام. و أمثال هذه من الآيات مما نزل بمكة كثير.

ثم فى قوله: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» إكذاب لهم و تضليل لهم، و هو كقول الرجل لخصمه إذا أراد الرفق به لينقاد له و لينظر فيما معه إذا كان مدلا بحجته: أهدنا مبطل و أهدنا ضال هالك، لا يشك عاقل أن هذا تعريض بخصمه.

و كذا قوله: «لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» هو فى هذا القول أشد ما كان فى فى إقامة الحجة عليهم، فتأمل قوله عز و جل: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» (٢) إلى قوله: «وَالَّذِينَ يَخِشُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» إلى ما بعد ذلك، و إنما هو كقول الرجل لخصمه إذا ظهرت حجته و اتضح قوله و بان بطلان ما أتى به خصمه: ما بعد هذا كلام، و ما بعد هذا مقال، و ما بيننا حجة. و ما يحتاج إلى شاهد و لا دليل.

فمن أبين فضيحة ممن طعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم بمثل هذا بعد أن جمعوا كيدهم و استفرغوا وسعهم، و لكنهم لشدة إفلاسهم و قلة حيلتهم و خيبة

(١) الحج ٣٩

(٢) الشورى ١٥ تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٣٥٩ و باب آخر حول الآية الكريمة «و أنذر عشيرتک الأقرین» ص :

٣٥٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٥٩

سعيهم لم يجدوا فى الطعن عليه إلا التكذب عليه و البهت له.

و هم الذين قالوا فى قوله: «وَمَا أَدْرِىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» (١)، قالوا: قد أظهر الشك فى أمره و رجع عن قوله، و كل عاقل سمع أخباره يعلم باضطراب من قوله و قصده أن لا حق إلا ما كان معه / و منه و من عنده و مع أتباعه إلى يوم القيامة، يعلم هذا من قصده قبل العلم بنبوته، و لهذا نظائر مما يذكرونه، و إنما ذكرت هذا لك لتعرف مقدار كيد الخصوم و ظهور فضيحتهم، و هؤلاء هم الغايات فى التجريد فى طلب معايبه و التفرغ لذلك، يمد بعضهم بعضا و يعين بعضهم بعضا، و لهم من يزيح عنهم بالأموال من من اليهود و النصارى و غيرهم من أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم و ممن يتستر بالتشيع، فقد كانوا يأخذون ابن الراوندى و أمثالهم، فيزيحون عنهم، و يجمعون الكتب لهم، و يأتونهم بمن يعينهم و يكتب عنهم و لهم.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ»]

مما جاء من آياته، و ما أخبر به عن سلامته و قيام حجته و ظهور أمره و دينه على الدين كله، قوله فى سورة بنى إسرائيل و هى مكية: «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيْرًا، وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»، (٢) فتأمل ما فى هذا القول من امتهان الخصم و إذلاله و تهيجه و إغضابه و إثارتة و العلو عليه، و أنه مفتضح لا حجة معه و لا حراك به، و هم أشد الناس حرصا على

(١) الاحقاف ٩

(٢) الإسراء ٨١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٠

تكذيبه وفضيحته واستئصاله وإطفاء نوره.

ومثله قوله: «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُدْعَى الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ» (١) «أى: قد أخرسهم حقك و أسكتهم و أماتهم فما يجدون سبيلا إلى

تكذيبك، و هذا أشد على قريش و العرب من ضرب السيوف و وقع السهام، و هم المعروفون بغلظ الأكباد و الفرار من العار.

و مثله قوله: «إِنَّكَ لَا تُشْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُشْمِعُ الضُّمَمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» (٢) و قوله: «وَمَا أَنْتَ بِمُشْرِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ» (٣)، فتأمل

فى هذا فإنه قول مختصر و فيه معان عظيمة، و لقد قال/ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (أوتيت جوامع الكلم و اختصر لى اختصارا).

و لو بلغهم دون هذا عن ملك الصين أو الروم لما صبروا حتى يذّبوا عن مجدهم و ينضحوا عن أنفسهم، فكيف عمّن هو معهم و فى

قبضتهم و منهم، و قد ادّعى ما فيه كل الرئاسة و السؤدد، و ما ترك شيئا يغيظهم و يغضبهم و يسقط من أقدارهم و أقدار آبائهم إلا و

قد أتى به و ارتكبه، و ألجأهم إلى تكذيبه و إقامة حجة عليه، فما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

و لقد كان يبلغهم أن كسرى ملك فارس يسفه أحلام العرب و يستخف عقولهم، فيقلقهم ذاك و يحزنهم، و يرسلون إليه من يستأذنه

فى النطق بين يديه فيما بلغهم عنه، و لا يصبرون و إن كانوا مقهورين مغلوبين و الملوكة تحثيفهم و تستركهم (٤)، و ليس أحد يبكى

من الهجاء و يحزن من الضيم

(١) سبأ ٤٩

(٢) النمل ٨٠

(٣) فاطر ٢٢

(٤) هكذا فى الأصل و لعلها تسترقهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦١

غير العرب و سيما قريش، فكيف بهم مع رجل يقيم على هجومهم خمسا و عشرين سنة بكتاب يتلو فيه ليلا و نهارا مثل قوله: «أَفَرَأَيْتَ

مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ»، (١) و قوله: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَ كَيْلًا،

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» (٢) و مثل قوله: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ

بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً، صُمٌّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (٣)، و مثل قوله: و «لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (٤)، و مثل هذا

كثير، فتأمل تجده، و تأمل ما فى هذا من الادلال بالحق و الدعاء إلى البحث و النظر، و عرض ما معه على عقول العقلاء لينظروا/ فيما

أتاهم به، و المبطل لا يفعل هذا.

فتأمل مذاهب النصارى و المجوس فإنهم يمتنعون عن البحث و النظر و التفتيش و القياس، و كذا يصنع الفلاسفة، فإنهم ينهون

أصحابهم عن المتكلمين و يقولون: هؤلاء سوفسطائية، و يقتصرون على الرضا عن أنفسهم و العجب بما معهم.

و انظر إلى هذه الطائفة: القرامطة التى قد طبقت الأرض، و فيها الملك، و استهوت الأمم، كيف يحلفون من يجيبهم على كتمان ما

يلقونه إليه، و أن لا يخرج به إلى أحد، و لا يشكو ما به إلى أحد، و لا يعرض ما معه على أحد لينظر

(١) الجاثية ٤٣

(٢) الفرقان ٤٣

(٣) البقرة ١٧١

(٤) الأعراف ١٧٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٢

ما عنده، هذا مع الملك القاهر و التستر بالاسلام، فتأمل ما فى هذا.

و لقد ضاقت قريش ذرعا بما يسمعون منه صلى الله عليه و سلم ليلا- و نهارا، و يتربصون به الموت فلا يموت، و يرومون قتله مع وحدته فلا يتم. فأجمع رأيهم على هجرته و هجرة الأذنين من بنى هاشم، مؤمنهم و كافرهم، إلا من جرد فى قصده مثل تجريدهم، و ترك مبيعتهم و مناكحتهم، و منعهم من ابتياع ما يؤكل و يشرب، و التضيق عليهم و الإساءة إليهم، و حصرهم فى شعب من شعاب مكة، حتى يقتلوا محمدا أو يسلموه إليهم حتى يقتلوه أو يمثلوا به. و تحالفوا على ذلك، و كتبوه فى صحيفة علقت فى بيت الله الحرام بمكة. فمكث صلى الله عليه و سلم و من معه من أهله فى ذلك الشعب أربع سنين متواليات فى الحصار الشديد، لا يدخل إليهم ما يتفوتونه إلا بالحيلة و المسارقة، و لا يقدر أن يخرج منهم إنسان فى حاجة إلا عن غفلة من المشركين أو ليلا.

و قد شملهم الخوف فلا- يأمنون إلا- من موسم إلى موسم، و أهله/ يتضرعون إليه بأن يلين لقومه من قريش و، يمسك عن عيب آلهم، أو يرجع عن تضليل آبائهم، و يخوفونه فلا يلين، و لا يزداد إلا شدة و صرامة. ثم أخبرهم بعد أربع سنين: أن ربي أوحى إلي أنى قد سلطت الأرضة على الصحيفة التى كتبها المشركون فأكلت كل موضع منها فيه ذكر عقوق أو قطيعة و تركت ما سوى ذلك، فقال له عمه أبو طالب و كان كافرا مقيما على دين قريش: يا ابن أختي، انظر ما تقول، فإنى لست آمن إن لم يكن الأمر حقا أن يشتد علينا قومنا و يزيد أذاهم لنا، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما قلت لك إلا حقا، فامض لشأنك.

فتزل أبو طالب و قريش فى أنديتها، فلما رأوه قالوا له: نرجو أن تكون يا أبا طالب جئت لصالح و خير، و أن يكون ابن أختك قد أقصر عن شأنه و ما نكره من أمره، قال أبو طالب: للخير و الصلاح جئت. فلما استقر به مجلسه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٣

قال: إن محمدا أخبرنى، و والله ما كذب قط قبل أن يقول إن ربه أرسله فكيف الآن، إن ربه أوحى إليه فى هذه الليلة أنه سلط الأرضة على الصحيفة التى تماأتم على كتبها علينا فأكلت منها كل موضع فيه ذكر عقوق و قطيعة و مأثم، فانظروا فيما ذكر، فإن كان الأمر على ما قال فعلام تستجيزون ما أنتم عليه.

فأحضرت الصحيفة و فتحت، فوجد الأمر على ما أخبر به النبى صلى الله عليه و سلم عن ربه، فخرى المشركون، و فرح المسلمون، و فرج الله عن بنى هاشم، فخرجوا من الحصار الذى كانوا فيه، و عادوا إلى ما كانوا عليه، و كان هذا من الفتوح العظيمة.

و الأمر فى شأن هذه الصحيفة معروف، يعرفه أهل العلم كمعرفتهم بما كتبه النضر بن الحارث بن كلدة من أخبار رستم و اسفنديار «١»، حين دخل/ إلى الفرس يشكو إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يأتى بما يعارض به القرآن. و كالعالم بما كتبه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى كسرى ملك فارس مع عبد الله بن حذافة السهمى «٢»، و بما كتبه إلى قيصر مع دحية بن خليفة الكلبي «٣» و بما كتبه إلى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبى بلتعنة «٤»، و بما كتبه إلى النجاشى ملك الحبشة. فأهل العلم لا يرتابون بشيء من أمر هذه الصحيفة، كما لا يرتابون بما قدمنا ذكره. فاعرف

(١) النضر بن الحارث هو ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، كان إذا جلس النبى صلى الله عليه و سلم مجلسا جلس النضر بعده فحدث بأخبار ملوك فارس و رستم و اسفنديار. مات على الشرك سنة ٢ هـ.

(٢) هو عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، صحابي أسلم قديما وبعثه النبي إلى كسرى، هاجر إلى الحبشة و حضر فتح مصر و توفي بها أيام عثمان سنة ٢٣ هـ. الاعلام ٤: ٢٠٦.

(٣) هو دحية بن خليفة الكلبي، صحابي بعثه الرسول إلى قيصر يدعو للإسلام، حضر كثيرا من الوقائع، نزل دمشق و سكن المزرة و توفي سنة ٤٥ هـ. الاصابة ١: ٤٧٢.

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بعثه الرسول إلى المقوقس صاحب الاسكندرية، توفي سنة ٣٠ هـ. الاصابة ١: ٣٠٠.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٤

هذا فإنه باب من أعلامه، و لا- تظنه من أخبار الآحاد و النفر، و إنه جاء مجيء ما قدمنا ذكره من تلك الأمور التي جاءت مجيء القرآن، و لها نظائر.

و إنما أردنا ذكر شدة قريش على رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمين تلك السنين، فقد كانوا منهم في مثل النار المتأججة. و استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم في الهجرة و الفرار لما يلقون من الأذى، فأذن لهم، غير أبي بكر، فإنه احتبس نفسه، و قال له: أقم علي، فلعل الله يأذن لي في الهجرة فتكون معي، فأقام. و مات أبو طالب، و اشتدت قريش على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قالوا: إلى كم نصبر على سب محمد لنا و لآبائنا و آلهتنا، و إلى كم لا نناجزه، فإما حبسناه، أو أخرجناه إلى حيث نرى، أو قتلناه، خذوا فيما يريحنا منه، و قدموه و لا تؤخروه. فاجتمعوا و دخلوا دار الندوة، و كتموا سرهم، و لم يدخل معهم إلا من انتخبوه من ثقاتهم. فقال قائلهم: انظروا في شأن هذا الرجل، فوالله ليوشكن أن يواتيكم في أمركم بمن قد بايعه من أصحابه، و قد تسمعون وعيده، و أنه يملككم و يملك الأرض. فقال قائل منهم: شدوه وثاقا و احبسوه، فيكون أسيرا في أيديكم إلى أن يموت، و قال بعضهم: أخرجوه من بين أظهركم لتستريحوا منه؛ و قال قائل ليس هذا/ برأى. حتى قال أبو جهل: فإني أشير برأى: أرى أن يؤخذ من كل قبيلة غلاما شابا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، فيضربونه ضربة رجل واحد حتى يقتلوه، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن بني هاشم يقومون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فوديناه لهم «١»، و قطعنا عنا شأفته و استرحنا منه.

(١) أي قبلوا أن يأخذوا ديته

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٥

فأجمعوا على هذا الرأي، و رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يعلم ذلك، و لا أحد من المسلمين. فأتاه جبريل فأخبره بما عزموا عليه، و أمره بالهجرة. فاجتمعوا ببابه ينتظرون اجتماع الفتيان ليقتلوه في ليلته، فخرج و هم ببابه و هو يتلو: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» «١» و جعل على رؤوسهم التراب، و مضى إلى بيت أبي بكر في الهجرة، و قد كان يأتيه في كل يوم مرة، فأتاه في ذلك اليوم مرتين: في الهجرة و في ساعة مبكرة، و خلا- بأبي بكر و أخبره بما عزم عليه قريش، و بما أتاه جبريل به، و قال له: إن ربي قد أمرني بالهجرة و أن آخذك معي، فبكي أبو بكر مسرورا.

و قد كان أبو بكر أعد رحلتين يعلفهما ورق التمر منذ أخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بأنه ينتظر أمر ربه في الهجرة. فخرجا جميعا من بيت أبي بكر، و صار إلى الغار، و طلبته قريش فلم تجده صبيحة ذلك اليوم، و طلبت أبا بكر فلم يجده، فتحرقوا و التهبوا، و هاجوا يطلبونه و يطلبون أبا بكر بمكة و شعابها و جبالها، و جعلوا لمن أتاهم برسول الله صلى الله عليه و سلم مائة ناقه، و لمن أتاهم بأبي بكر مائة ناقه، أسيرين أو مقتولين. و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تعش: بيردى و نم في مضجعي فإنه لا بأس عليك، و لن يصلوا إليك. و صار رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر إلى الغار، و سارت قريش

في طلبهما و معهم قائف «٢».

و حين دخل / رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أبو بكر الغار، ضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض، فلما انتهوا إلى فم الغار و معهم القائف يطلب آثارهما، فلما انتهى إلى ثور انقطع الأثر، فقال قائل منهم: ادخلوا الغار،

(١) ياسين ٩

(٢) هو الذي يقتفى الأثر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٦

فقال أمية بن خلف: و ما أراكم للغار، إن عليه لعنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد، فمذ ذاك نهى النبي صَلَّى الله عليه و سلم عن قتل العنكبوت، و قال: إنها جند من جنود الله. و تحرق أبو جهل على فوات النبي صَلَّى الله عليه و سلم، و استبد أسفه، و قال: أما و الله إنى لأحسبته قريبا يرانا، و لكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا «١».

صفة حديث الغار من الجمع بين الصحيحين:

قال أبو بكر: أسرينا ليلتنا كلها، حتى قام قائم الظهيرة، و خلا الطريق، فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد، فعولنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت يدي مكانا ينام فيه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في ظلها، ثم بسطت عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله و أنا أنقض لك ما حولك. فنام، و خرجت أنقض ما حوله «٢»، فإذا أنا مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردناه، فلقيته، فقلت: لمن أنت يا غلام، فقال لرجل من أهل المدينة، فقلت أفي غنمك لبن، قال: نعم، قلت: أفتحلب لي، قال: نعم. فأخذ شاء فقلت له: انفض الضرع من الشعب و التراب و القذى، قال: فرأيت البراء يصرف بيده على الأخرى ينفض، فحلب لي في قعب معه كتبه «٣» من لبن، قال: و معي أداة أرتوي فيها للنبي صَلَّى الله عليه و سلم ليشرب منها و يتوضأ، قال: فأتيت النبي صَلَّى الله عليه و سلم و كرهت أن أوقفه «٤» من نومه، فوقفت حتى استيقظ فصبيت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت يا رسول الله، اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: أ لم يأن

(١) كتب الناسخ معلقا: من غير نسخة الأصل

(٢) كتب في هامش الصفحة: حاشية، نقض الأرض، أي: ينظر هل فيها ما يخاف منه

(٣) جاء في اللسان: الكتبة: السير الذي تخرز به الزادة و القربة

(٤) في الأصل: أيقظه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٦٧

الرحيل، قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس.

و اتبعنا سراقه بن مالك و نحن / في جلد من الأرض «١» فقلت يا رسول الله أتينا، فقال: «لا تحزنن إن الله معنا» «٢» فدعا عليه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فارتطمت إلى بطنها أذى، فقال: إنى قد علمت أنكما دعوتما على فادعوا الله لي، فالله لكما على أن أرد عنكما الطلب. فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فنجأ، فرجع لا يلقي أحدا إلا قال: قد كفيتم ما هاهنا، و لا يلقي أحدا إلا رده، ثم قال: و هذه كناتى فخذ سهما منها فإنك ستمر بإبلى و غلمانى فى مكان كذا و كذا فخذ منها حاجتك، قال: لا حاجة لي فى إبلتك. فقد منا المدينة ليلا، فتنازعوا أيهم ينزل عليه، فقال: أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك.

فصعد الرجال و النساء فوق البيوت، و تفرق الخدم و الغلمان الطرق ينادون:

ايا محمد، يا رسول الله، جاء محمد، جاء رسول الله «٣».

فهذا من آياته العظيمة الباهرة، قد نطق بذلك القرآن، فقال عز وجل:

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (٤).

ولقد يشتم قريش من رسول الله، وقالوا إنه لا محالة مقتول، لما لج المشركون و ألحوا و قصدوا لهذا الكيد. و قد كان فيهم من يكره أذاه و العنف به

(١) أرض جلد: أرض صلبه مستوية المتن غليظة اللسان

(٢) التوبة ٤٠

(٣) صفة الغار من نسخة غير نسخة الأصل، فقد أشار الكاتب إلى أن نسخة الأصل تبدأ من كلمة: فهذا

(٤) الأنفال ٣٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٦٨

و إن لم يصدقه، منهم جبير بن مطعم «١»، فإنه كان عنده أنهم سيقتلوه، فخرج حتى لحق بدير من الديات فكان فيه حتى لا يشهد قتله. فأقام عندهم، فسألوه عن خبره و لأى شىء أقام عندهم، فأخبرهم، و قص عليهم قصة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ساق دعوته. فعجبوا لذلك، و قال له رئيسهم: تعرف شبهه لو تراه مصورا، فقال: نعم، إنما عهدى به قريب. فأراه صورا مغطاة، فجعل يكشف صورة صورة فيقول: أ تعرف، فيقول: لا، حتى كشف عن مثل صورته، فقال جبير: ما رأيت شيئا أشبه بشىء من هذه الصورة به، كأنه طوله/ و حسنه و بعد ما بين منكبيه. فقال له الرئيس: فتخاف أن يقتلوه، فقال:

أظنهم قد فرغوا منه، فقال له الرئيس: لا- و الله لا- يقتلونه، و ليقتلن منهم من يريد قتله، و إنه لنبى، و ليظهرته الله، و لكن قد وجب حقك علينا فامكث ما بدا لك. فمكث عندهم حيناً.

ثم قدم مكة، فوجد رسول الله صلى الله عليه و سلم قد نجا من أيديهم و هرب إلى المدينة، فتعجب من قول رئيس الدير، و ازداد بصيرة بشأن رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقالت له قريش حين قدم مكة و قد خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و نجا من كيدهم: قد تبين لنا أمرك، و عرفنا شأنك، هلم أموال الصبية التى عندك التى استودعكها أبوك، قال: ما كنت لأفعل هذا حتى أموت، يعير بها ولدى فى أمانه، و لكن أضعها إليهم. فقالوا: إن عليك عهدا لله و ميثاقه لا تأكل من طعامه، قال: نعم.

فقدم المدينة و قد بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم الخبر، فدخل عليه فقال له فيما

(١) هو جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى، صحابى جليل، كان من علماء قريش و سادتها و نسابتها، روى الحديث عن رسول الله. توفى سنة ٥٩ هـ.

الأعلام ٢: ١٠٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٦٩

يقول: إنى لأراك جائعا، هلموا طعاما، قال جبير: لا آكل حتى أخبرك، فإن رأيت أن آكل أكلت. فحدثه بما أخذوا عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم:

فأوف بعهد الله و لا تأكل من طعامنا و لا تشرب من شرابنا. و تحدث جبير بحديث أهل الدير و ما كان من الصورة، و أنه رأى مع صورة النبى صورة أبى بكر قد أخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فقال أهل الدير: فهل تعرف هذا الذى أخذ بعقبه، قلت: نعم، قالوا: نشهد أن صاحبكم نبى و أن هذا الخليفة من بعده.

و لعظم شأن هذه الآية ما قد أعاد الله ذكرها، فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائْتِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ، أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (١) فذكر المؤمنين بهذه الآية، وعظم هذه المعجزة، وما احتملت عليه، مع نجاته منهم، وما أغشى أبصارهم حين خرج وهم ينظرونه، وسلامه على رضى الله عنه كما قال له، وما كان من نسج العنكبوت. وفي الحديث الصحيح، أن أبا بكر نظر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصارنا، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما. وانظر إلى قوله عز وجل: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ»، أى: فقد عرفتم نصرى له حين هاجرتم وتركتموه مع صاحبه وحيدين، فأبطلت كيد المشركين مع

(١) التوبة الآيات ٣٨، ٣٩ ...

دلائل - ٢٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧٠

كثرتهم و وحدته، و صدقت وعدى بمنعى عنه و عصمتى له، و أكذبت أقاويلهم، و هو معنى قوله: «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا» فنأمل هذا فيه آيات بينات باهرات، و هذا الخطاب و العدل و الاستزادة إنما هى للمؤمنين. ألا تسمع قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا». و أيضا فلا يجوز أن يقول للعدو: «إلا تنصروه».

و لقد قال العلماء من السلف: إن الله أفرد أبا بكر الصديق بفضل الصبر على جميع المؤمنين من غير تأثيم لهم، كأنه يقول: لو صبرتم مثل صبره و لم تترخصوا لكان ذلك أفضل، فإن أبا بكر يفضل صبره عليهم. و قوله:

«لا- تحزن» ليس بنهى، و إنما هو بشرى، كقوله لموسى و هرون: «لا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسِيرٌ وَ أَرَى» (١) و كقوله لأم موسى: «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ» (٢) و قوله: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، بِالنَّصْرِ وَ التَّيْيِيدِ، كَمَا قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» (٣). و أبو بكر فى هذا الحزن ممدوح لأنه خاف على رسول الله صلى الله عليه و سلم الأذى و العنف من المشركين، فجازاه الله بأن بشره أنه/ معهما بالنصر و التأييد. قال أهل العلم فى قوله: «فأنزل الله سكينته عليه»، يعنى على أبى بكر، فأما النبى صلى الله عليه و سلم فقد كانت السكينه عليه قبل ذلك.

و من حديث عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال و هو يثنى على أبى بكر حين توفى: كنت ثانى اثنين، و صاحبه، و المنزل عليه السكينه، و رفيقه فى الهجرة و المواطن الكريمة. و قالوا

(١) طه ٤٦

(٢) القصص ٧، و فى الأصل: لا تخافى إنا رادوه ...

(٣) النحل ١٢٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧١

فى قوله: «و أيداه بجنود لم تروها»: إنه أيد أبا بكر كما يؤيد المؤمنين من غير أن يروهم، و بشره رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك فعلمه و يقينه بتعريفه إياه. و إنما ذكرنا حال أبى بكر عند ذكر الآية التى هو مذكور فيها، و لأن الخصوم يسألون عن ذلك، و لحاجتك إليه، و لأن الطاعنين على أبى بكر يمثل هذا هم الطاعنون على رسول الله صلى الله عليه و سلم بما قدمنا و بأمثاله من الآيات

التي يسألون عنها، و جعلوا الطعن على أبي بكر و أمثاله من المهاجرين و الأنصار و أكد الطرق إلى تكذيبه، و الطعن عليه، و الإيحاء منه، و التنفير عنه، و أيسرها التشكيك في صدقه و نبوته، و هم: أبو شاعر الديصاني، و أصحابه: الحداد، و أبو عيسى، و ابن الراوندي، و الحصري «١» و لكلهم كتب في الطعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و في نصرته الإمامية و طبقات الرافضة، و لأن الطريق في العلم ببراءة أبي بكر و المهاجرين و الأنصار مما رموه به، كالطريق في العلم ببراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم مما رموه به.

و باب آخر [ما في الآية الكريمة إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ] من وعد تحقق

من آياته، قوله عز و جل لرسوله صلى الله عليه و سلم: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ» «٢»، و معاد الرجل بلده، و سمي معادا لأنه ينصرف في البلاد و يضرب في الأرض ثم يعود إليه، و كذلك مثاب الرجل منزله، لأنه يثوب إليه «٣». و منه قول الله عز و جل: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا» يريد أنهم يثوبون إليه كل سنة و في كل حين، أي يعودون للحج و العمرة. و هذه

(١) سبق التعريف بهؤلاء الكتاب فيما مر من الكتاب

(٢) القصص ٨٥

(٣) كتب في هامش الصفحة: معاد الرجل بلده، مثاب الرجل منزله

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٧٢

الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين خرج من مكة يريد المدينة، فكان خروجه منها محزوناً لمفارقة وطنه، فبشره الله بالظهور و الغلبة، و أعلمه أنه يعود إلى مكة، فكان كما قال و كما أخبر.

و باب آخر [ما في الآية «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ...» من تحد دائم لم يستطع أحد الوقوف أمامه]

من آياته، و هو قوله عز و جل: «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» «١»، فما أتوا بمثله مع حاجتهم إليه، فانظر كيف يقطع الشهادة أنهم لا يأتون بمثله، و هذا من التحدى المهيج الذي يغيظ و يغضب، و في هذا غيوب كثيرة لا يأتي بمثلها حذاق المنجمين و لا يتفق مثلها بالتبخت و لا بالتخرص «٢».

فإن قيل: فما تنكرون أن يكونوا قد أتوا بمثله، قيل له: لو أتوا بمثله لجا ذلك مجيء القرآن، و لكان العلم به كالعلم بالقرآن، و لجا مجيء أمثاله من الأمور التي كانت بينهم و بينه، و ما قاله لهم و قالوه له.

فإن قيل: فإن الغلبة و الدولة منعت من إظهار ذلك و نشره و نقله و التحدث به لأنه ظهر و قهر في حياته، و قام أبو بكر بعده فقتل مسيلمته، و ردّ الردة، و أسر طليحة، و غزا فارس و الروم، و أذل أعداء محمد صلى الله عليه و سلم في كل مكان، و أسكنتهم و أحرصهم «٣»، و أعز أوليائه و أهل طاعته، و كذا من أتى بعده من

(١) البقرة ١٢٧

(٢) التبخت من البخت بمعنى الحظ و الصدفة

(٣) أحرصهم: أكذبهم، و الخراصون: الكذابون اللسان: مادة خرص

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٧٣

الخلفاء و الملوك، و بعد، و كيف تنقلون ذلك و تذكرونه و أنتم تكرهونه و فيه بطلان قولكم و دينكم.

قيل له: إنك ما تزيدنا على دعاوى الخالية من كل حجة، و إذا أثبتنا لك بطلان دعاوى الأولى انتقلت إلى دعوى أخرى. فإنك

قلت في الأول: أتوا بمثله، فقلنا لك: فأين هو و أين العلم به، فانتقلت فادعيت أن الغلبة و الدولة/ منعت من إظهاره و نقله، فدعواك الثانية كالأولى.

على أن دليلنا هذا قد دلّ على أنهم ما أتوا بمثله، و لا بما يقاربه، و لا بما يدانيه، ما هناك شيء ينقل و لا يذكر و لا يكتف و لا يستر، و لا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أن مائة ألف قد أتوا بمثله، و إنما الدولة قهرتهم و منعتهم من إظهار ما أتوا به. على أن الدول و الممالك لا تأتي و لا نغطى على الأمور التي قد كانت و وقعت، و لا يطمع عاقل فى كتمان ما هذا سبيله و إن ضره ظهوره، و ساءه انتشاره، و أسقط من قدره. ألا- ترى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ادعى النبوة، و أكفر الأمم و فرض مجاهدتهم، و أباح دماءهم و أموالهم و حريمهم، قد ساءهم ذلك و ضرهم، و أسقط من أقدارهم، و ذهب برئاستهم؛ و قد ودوا أن ذلك لم يكن، فما كتموه، و لا طمعوا فى طيه و ترميله، بل هم تحدثوا بذلك لكل أحد، و نقلوه و عرفوه، و أدوه إلى من لا يسمعه، لأنه صلى الله عليه و سلم لم يكن حين ادعى ذلك و دعا إليه له أتباع يخالدون ذلك و يدونونه و ينقلونه، و إنما كان يفعل ذلك عدوه.

و تأمل ذلك بالشعر الذى هجى به، و من هجاه من الشعراء، و ما كان له معه من ضربه و سبه و أذيته، و من قتلوا من أعمامه و من أصحابه، و من

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧٤

ادعى بعده و معه النبوة، فإن المسلمين قد نقلوا ذلك و خلدوه و دوّنوه و إن غمهم و ساءهم. و انظر إلى الكتب التى صنفت فى تكذيبه و فى الطعن عليه و على إخوانه من الأنبياء، التى صنفت فى دولة الإسلام، و أشد ما كان الإسلام شوكة و غلبة، كالتى عملها الحدّاد و الورّاق و ابن الراوندى و الحصرى و الكندى و الرازى و أمثالهم «١»، و ادّعوا أن فيها الحجّة و البرهان فى إبطال الربوبية و تكذيب الأنبياء. و أنت تراها مبنوثة ظاهرة. تباع فى أسواق المسلمين، لا يسقط منها حرف. و المسلمون/ كلهم قد كرهوا ذلك و غمّهم، و ودّوا أنه لم يكن، و إنما كان يضعها الواحد بعد الواحد مستخفيا خائفا لا يظهر ادعاءها، و لا يعلن وضعه لها، بل يكتف اسمه و يكتفى عن ذكره، و إنما يلقيه إلى الواحد بعد الواحد من أمثاله، كما صنع أبو عيسى بكتبه، و ترجمتها تصنيف الغريب المشرقى، و هى من الظهور اليوم على ما ترى، حتى إنها لتبلغ مشارق الأرض و مغاربها. فالعدو ينشرها للاحتجاج بها، و المسلمون ينشرونها لنقضها و الإجابة عنها. فعلمت أن الدولة و الممالك لا تؤثر فى العلم بالأمور التى قد كانت و وقعت، و بهذا تعلم أنه ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم زلة و لا هفوة و لا سقطه و لا غدره، و لا زلت له قدم، و لا بارت له حجة، و لا أخجله خصم. يزيدك بذلك علما، أن معاوية و أشباهه من بنى أمية قد عادوا أمير المؤمنين و بنى هاشم، و غلبوهم، و استولوا على ملك الدنيا، و عظموا نفوسهم بكل ما قدروا عليه، فما أمكنهم أن يجعلوا لمعاوية منزلة لم تكن له و هو سيدهم، و لا أن يجعلوه من البدرين السابقين، و لا من أهل الشجرة، و لا من أهل الشورى،

(١) سبق التعريف بمعظم هؤلاء، و أما الرازى فهو أبو بكر محمد بن زكريا الفيلسوف و الطبيب المعروف المتوفى سنة ٣١١ هـ.

ابن النديم ١: ٢٩٩ طبقات الأطباء: ١: ٣٠٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧٥

و لا- من المهاجرين و لا من الأنصار، و قد ودّوا أن يكون له شيء من ذلك أو من هذه المنازل. و لا أمكنهم أن يخرجوه من جملة الطلقاء و أبناء الطلقاء، و لا- أمكنهم أن يخرجوا أمير المؤمنين عن منزله: من كونه من السابقين و البدرين و الفقهاء و العلماء و الزهاد، و من العشرة و من أهل الشجرة، و من أهل الشورى، و ممن اختاره المهاجرون و الأنصار للإمامة بعد عثمان، و لا أن يغطّوا على ما سنّه على و فرضه و دعا إليه، من محاربتهم و مجاهدتهم، و قد ودوا أن ذلك لم يكن، و قد ضرهم ذلك كل الضرر، فتعلم أن

الدول و الممالك لا تؤثر في العلم بالأمر/ التي قد كانت و وقعت.

و تأمل ما كان لمعاوية من احتيالاته في التوصل إلى الملك، في إطعام عمرو ابن العاص مصر، و بادعائه زيادا، و بمن استماله ببذل الدنيا له، كذى الكلاع «١» و خالد بن المعمر «٢»، و مصقلة بن هبيرة «٣»، و أشباه ذلك، و ما كان لملك ملك مما هذه سبيله. فانظر إلى بنى العباس لما غلبوا على أعدائهم من بنى أمية، ما أمكنهم أن يغطوا على المحاسن التي كانت لهم، و لا أمكن أعداء بنى العباس أن يغطوا على المحاسن التي كانت لهم، من إقامة المواسم و عمارة الثغور، و غير ذلك من

(١) هو سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر، من ملوك اليمن أسلم و قدم المدينة أيام عمر، و شهد اليرموك و فتح دمشق، ثم تولى قيادة أهل حمص في جيش معاوية. توفي سنة ٣٧ هـ القاموس: مادة كلع
(٢) هو خالد بن معمر بن سليمان السدوسي، أدرك عصر النبوة، و كان رئيس بنى بكر في عهد عمر، و انحاز إلى علي يوم الجمل و صفين، ثم ولاه معاوية إمرة أرمينية و مات في طريقه إليها نحو سنة ٥٠ هـ. الإصابة: ١: ٤٦١
(٣) هو مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني من بكر بن وائل، كان من عمال علي، ثم تحول إلى معاوية. قتل في غزوة إلى طبرستان حوالي سنة ٥٠ هـ. فتوح البلدان للبلاذري ٢٤٢-٢٤٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧٦

محاسنهم. و أنت تجد ما يكون من مساوي الملوك، و ما يكون من غدرهم و ظلمهم، و ما يلحق كل نقص و فضيحة بهم ظاهرا في دولتهم، مع بقاء مملكتهم و اتصال عزهم. فتأمل ذلك شيئا فشيئا تجده ظاهرا مكشوفاً، و إن كان ذلك مهيجا لهم، و مسقطاً لأقدارهم، و قادحا في نبلهم و رئاستهم، و قد ودوا أن ذلك لم يكن، روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، قال:

إذا رأيت القوم ينتحون في دينهم دون الجماعة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة «١».

و تأمل أحوال هؤلاء الباطنية الذين قد تستروا بالإسلام «٢»، و بقراءة القرآن، و بالصلاة و الصيام و الحج، و إظهار التحقق بأهل البيت، و قد أوثقوا أمورهم بالكتمان و بأخذ الأيمان و العهود على من أجابهم، و تجنبوا استدعاء الأدباء و العلماء و الفقهاء، و سلكوا الوسطة، و قصدوا الأطراف البعيدة التي قد استولى على أهلها الغافلة و الجهل و القوة، و قصدوا أهل الترفه و العجب و الشغل بالدنيا و الملك، و تسموا بالاسم الحسن من أنهم الشيعة، و غرّوا المسلمين، فانظر إلى فضائحتهم مع هذه الأمور كلها.

فإن أبا القاسم الحسن بن الفرخ بن حوشب/ بن زاذان الكوفي النجار «٣»، عرف أهل عدن لاعة و جبال لاعة من أرض اليمن، و أنهم شيعة، فصار إليهم مع أبي الحسين محمد بن علي بن الفضل من أهل جيشان و الجند و المذيخرة من أرض اليمن «٤». و كان هذا أحد المياسير و الرؤسا من الشيعة من أهل تلك

(١) جاء في الهامش: قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: إذا رأيت القوم ينتحون في دينهم، إلخ ...

(٢) جاء في الهامش: في ابتداء ظهور الباطنية و هم القرامطة

(٣) انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٠٧

(٤) محمد بن الفضل صاحب دعوة الفاطميين في اليمن، و قد ظهرت الدعوة أول ما ظهرت في لاعة في جبل صبر معجم البلدان ٥: ٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٧٧

البلاد، فمكث لابن حوشب، و ساعدا على الدعوة، و كل واحد منهما بمكانه، و تسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد، و تسمى الآخر بالولي. و مكثا مدة يتستران بإقامة الشريعة، ثم ظهر منهما الإباحة، و ليلة الافاضة، و أولاد الصفوة، و نكاح الأمهات و الأخوات و البنات، و المشاركة في الزوجات، و تعطيل الشرائع، و شتم الأنبياء عند التمكّن و القدرة. ثم ظهر بين ابن حوشب و بين ابن الفضل من

المشائمة، و برىء كل واحد من صاحبه، و دعا كل واحد منهما إلى نفسه بأنه إله و ربّ، و غزا، و قصد العلويين بالمكارة و القتل و سبى الذرية.

و قد كان نصب هذين، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح «١» الذي زعم أنه الإمام، و هو خليفة محمد بن اسماعيل بن جعفر «٢»، و قال لهذين و غيرهما ممن خرج معهما إلى اليمن: إذا ملكتم و غلبتم خرجت إليكم، و جعلنا الملك باليمن، و المهدي يظهر باليمن، و هكذا روينا عن أهل البيت.

فلما تمكنوا باليمن، أخرج إليهم ابن ميمون القداح الحسين الأهوازي الداعية من قبله، فطلب منهم مالا يحملونه إليه، فأعطوه مرة بعد مرة، ثم رجع إليهم و عرفهم أن الحجة خليفة محمد بن اسماعيل يخرج إليهم لينصروه، فشتموه و ردوه، فقالوا: قد عرفنا أن هذا كله مخرقة، و هو عرفنا بهذا، فلم نسلم الملك إليه، فقال لهم: على كل حال هو عرفكم هذا و خلصكم من الشرائع

(١) هو الحسين بن أحمد أبو عبد الله الشيعي، مهد لعبيد الله المهدي الفاطمي ببعثه المغرب، ثم قتله عبيد الله سنة ٢٩٨ هـ.

(٢) هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، و هو إمام عند القرامطة، و ترى الطائفة الاسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه أو اختفائه سنة ١٣٨ هـ، مات حوالي سنة ١٩٨ هـ.

الأعلام ٩: ٢٥٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٧٨

و الإسلام، فاشكروا له و أطيعوه، فشتموه و شتموا من وجه به. فرجع الرسول إلى الحسين بن أحمد/ و عرفه أن القوم قد أظهروا الباطن و عملوا به و فظنوا له، و تشتموا و تفاضحوا بينهم. ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي رضی الله عنه لجهادهم. و قد كان ابن حوشب هلك و بقى ابن الفضل، فهلك هو و ابنه أمام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور، و فضائحهم مشهورة عند أهل العلم. و من عند ابن حوشب انبث دعوتهم باليمن و المغرب.

ثم تأمل فضيحتهم بالبحرين، فإن داعية لهم خرج إلى من بها من الشيعة، و قال: أنا رسول المهدي إليكم، و قد قرب خروجه، فأعدوا و استعدوا، و احملاوا إليه زكواتكم و أعشاركم و فضول أموالكم. فاجتمعوا، و كانوا نحو ثمانمائة، و أعطوه ما طلب. و غاب عنهم و رجع إليهم و أخبرهم عن المهدي:

أن للأشياء كلها بواطن، و أن خاصة المهدي لا- يحرم عليهم شيء، و أن المهدي قد أحل لكم كل شيء، و أنه يحل للمؤمن أن يشارك أخاه في ماله و أصله «١»، و أن علامة إيمانه أن تطيب نفسه بذلك كله. و كان فيمن أجابهم: أبو سعيد الحسين بن بهرام الجنابي «٢»، و كان يبيع الطعام و الدقيق بالراذة من أرض البحرين، و كان شريرا فاسقا جاهلا لا يعرف من كتاب الله شيئا، و لا من سنة نبيه، و لا شيئا من الأدب، و لا شغل له إلا بالمعاش.

و كان له صديق منهم يعرف بإبراهيم الصائغ داعية لهم، قد وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس و الأهواز. و كان يظنهم شيعة، فجاء يوما إلى أبي

(١) جاء في الهامش: ليعلم أن لا يشارك

(٢) جاء في الهامش: أبو الحسين سعيد بن بهرام الجنابي رأس القرامطة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٧٩

بكر زكريا يحيى بن نبهان فقال له: اعلم أن هؤلاء القوم على ضلال، كنت مع أبي سعيد الجنابي و قد جاءه رجل من أهل جنابة يقال له يحيى بن علي، فأكلنا عنده فلما فرغنا، قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى هذا في بيت، و قال لها: إن أرادك الولي فلا تمنعيه

نفسك فإنه أحق بك منى. فمضى يحيى ابن نبهان بإبراهيم الصائغ إلى هذا الأمير: على بن مسمار/ فأخبره بما وقف عليه، فأرصد على بن مسمار لذلك و تعرفه، فأخذ الرجل فضربه بالسوط، و حلق رأسه و لحيته، ثم خلى سبيله، و طلب أبا سعيد فهرب إلى جنابه، و بحث عنهم و عن أحوالهم فإذا هم يتسترون بالتشيع و يعطلون الشريعة. و بقى أولاد ابى سعيد و أصهاره فى البحرين، فبحث الناس عن أحوالهم و أحوال بنى سنبر و أمثالهم فإذا هم على هذه الحال.

ثم تمكنوا، و عاد أبو سعيد بعد أن صار إلى النيل و سواد الكوفة، و معه الدعوة و رجالها، مثل حمدان بن الأشعث، «١» و هو المعروف بقرمط، و إليه ينسب القرامطة، و خال ابن أبى المليح القرنى، و خال عيدان. و قد كان بالبحرين يحيى الطمامى داعية لهم، فلما تمكن أفسد و غدر، و أظهر الإباحة، و كان شريك أبى سعيد الجنابى فى الدعوة، فوثب عليه أبو سعيد و غدر به و قتله، و استولى على الأمر، و غدر بالناس لما ملكهم، و أظهر من الإباحة و تعطيل الشرائع ما هو مذكور. و قال إنه رسول الأمين الإمام حجة الله على خلقه، و هو محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية، و هو مقيم فى بعض هذه الجبال، و هو المهدي، و أنه فى سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج و يملك الأرض

(١) هو رأس القرامطة، اختلف فى اسمه و أصله، قيل: اسمه حمدان، أو الفرج بن عثمان، الفرج بن يحيى، و قرمط لقبه. قتله المكتفى بالله سنة ٢٩٣ هـ الأعلام ٦: ٣٥ و قد كتب فى الهامش: داعية الباطنية حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٨٠

كلها. و كان هذا القول و الوعد من أبى سعيد فى سنى ثيف و ثمانين و مائتين للهجرة. و كان يقسم قصور بغداد على أصحابه، و يحلف لهم أنه يدخل بهم إليها. و يملكها. فلما كان فى سنة ثلاثمائة، قتل أبا سعيد خادم كان لأبى الفضل العباس بن عمرو الغنوى فى الحمام «١»، و كذبت أخباره، و ظهرت فضائحه، فخرجوا لذلك خجلة يا لها، و تحيروا.

و قد كان على بن عيسى بن داود بن الجراح «٢» وزير المقتدر بالله كاتب أبا سعيد يقول له: زعمت أنك رسول المهدي، و قد قتلت العلويين، و سبيت آل الأخيصر العلويين، و من باليمامة، و استرقت العلويات، و غدرت بأهل البحرين. و قد كان حاصر أهل هجر أربع سنين و منعهم الأقوات، و حبس عنهم الماء، ثم وصل إليهم و ما بهم رمق فأتى عليهم، و قتلهم عن آخرهم. و قد كان صنع بأهل القطيف شبيها بذلك، و غدر بهم أقبح غدر.

فأجاب ولد أبى سعيد على بن عيسى عن كتابه بأن أهل البحرين بغوا علينا، و غدروا بنا، و رمونا، و قالوا: إنا نشترك فى أزواجنا، و نرى الإباحة و تعطيل الشريعة، و قد كذبوا علينا، و نحن قوم مسلمون و ما نحل من اتهمنا بغير الإسلام.

فكتب إليهم على بن عيسى: إن كنتم صادقين فأطلقوا من فى أيديكم من أسارى المسلمين، فأطلقوا منهم نحو ثلاثين ألفاً، و أظهروا الإسلام و الصلاة و قراءة القرآن، و خرجوا من الفضيحة.

(١) هو العباس بن عمر الغنوى، أمير من قادة الجيش العباسى، و لاه المعتضد اليمامة و البحرين و أمره بقتال القرامطة، توفى سنة ٣٠٥ هـ. الأعلام: ٤: ٣٧

(٢) هو ابن الجراح، على بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي وزير المقتدر العباسى و القاهر، توفى ببغداد سنة ٣٣٤، و له كتب و رسائل متعددة الأعلام ٥: ١٣٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٨١

و مما كانوا يقولونه و يقوله أبو سعيد من خروج المهدي فى سنة ثلاثمائة لحقهم الخجل و الفضيحة. و كان بنو بسطام، و بنو القاسم بن عبد الله، و العزاقرى و أمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله «١»، و كانوا يتشيعون. فراسلوا أولاد أبى سعيد و قالوا لهم: أنتم

خرجتم أيام المعتضد والمكتفي، فلما صار الأمر إلى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم، قوموا فنحن كتابه وأصحابه، والدولة لكم، ولا يوحشكم قتل أبي سعيد وما كان منه، فإن الناس قد تناسوا ذلك.

فقالوا: هذا الرجل علي بن عيسى رجل صالح، وما دام هو الناظر فما نختار مخالفته. فلما قبض السلطان علي بن عيسى، أطلق من بغداد والكوفة من الشيعة الطيور إلى البحرين بذلك، فغزوا البصرة على غفلة و غدروا بهم أقيح غدرة، ثم غزوا الكوفة، و سر بهم الشيعة وقالوا: أبو طاهر بن أبي سعيد ولي الله و حجة الله و خليفة المهدي بالبحرين، يخرج عن قرب، و أبو طاهر خليفته، و هو الذي يأخذ الأرض له و يكون ملكه بالبحرين. فبادر من أهل الكوفة و سوادها خلق كثير، و قالوا: نهجر إلى بلد المهدي قبل ظهوره، فنقلوا أموالهم و عيالهم، و من منهم ببغداد و الكوفة و سوادها يراعون أمر المقتدر، و ينقلون أخباره إلى أبي طاهر بن أبي سعيد. و قد كان حصل لأبي طاهر من أموال الحجاج و الخراسانية و الكوفة و البصرة بيوت كثيرة، و أطمعه الشيعة ببغداد في السلطان، و عرفوه ضعفه، و أن النجوم تدل على أن أبا طاهر يغلب السلطان، و أنه يدخل بغداد و يستولى على الملك. فتحمل أبو طاهر، و حمل أهله و عياله، و سار يريد بغداد، و قال:

أنا أدخلها و أدخل دار الخلافة على هذا الحمار، و أشار إلى حمار أسود كان

(١) هو جعفر بن المعتضد بن أبي أحمد المتوكل، و هو أخو المكتفي، و قد قتل سنة ٣٢٠ هـ، أما المكتفي فقد توفي سنة ٢٩٥ هـ، بينما توفي أبوهما سنة ٢٨٩ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٨٢

في كراعه. و سار و نزل ظهرا بالكوفة، و لقيه بن أبي الساج فهزمه «١»، و نادى مناديه أن يكون لنا وقعة مع مؤنس الخصي برصافة الكوفة و نهزمه «٢» و يستغنى أهل الكوفة من ذلك النهب، و أسير فأدخل بغداد في يوم الثلاثاء، و في يوم طش «٣»، و استكتب علي بن عيسى، و استعمل على الشرطة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان. و جلس بظهر الكوفة يقسم قصور بغداد على أصحابه، و يتماسكون و يختارون. فلم يخرج مؤنس من الكوفة و رحل من بغداد و نزل بطباطبا، و هي من بغداد على فراسخ يسيرة.

و طال انتظار أبي طاهر له، و كان من ببغداد من الشيعة قدر راسلوا أبا طاهر أنه ما بقي عند السلطان إلا مؤنس الخصي، و هو الذي يلقاك. و هو أضعف من ابن أبي الساج بألف طبقه، و أنت تهزمه و تدخل بغداد. فصبر مؤنس و لم يبرح من بطاطبا، و أبو طاهر يرأسله: ما انتظارك؟ و إن كنت رجلا فابرز، و مؤنس لا يبرح. فسار أبو طاهر و عبر الفرات، و جاء فنزل بالقرب من مؤنس، فانقلبت بغداد، و عبر الكثير من أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي، إلا من كان من الشيعة. و انحدر كثير منهم و أحدروا عيالهم إلى البصرة. و خرج إلى أبي طاهر من أهل بغداد من الشيعة و غيرهم من الكتاب سرا، و بشروه بضعف السلطان، و أنهم قد قبلوا له بغداد بالأراجيف. و قالوا له: بغداد بلد عظيم، و إن لم ترهب أهله بالقتل لم تملكه، فقال: نبيح

(١) هو يوسف بن أبي الساج أرسله المقتدر الخليفة العباسي سنة ٣١٥ هـ حماية الكوفة من القرامطة.

(٢) و يلقب مؤنس بالمظفر، لكنه لم يكن مظفرا في حربه مع أبي طاهر القرمطي، و كان قائدا عاما لجيش المقتدر، و قد قتل المقتدر بعد ذلك.

(٣) يوم طش، هو اليوم الممطر مطرا خفيفا انظر اللسان في مادة: طش

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٨٣

المؤمنين القتل فيه ثلاثة أيام، قالوا لا تصنع هذا، و لكن سبعة أيام، و تنظم جانبي دجلة/ بالمصلين من بني هاشم، و القراء، و الفقهاء، الذين يأمرهم بالمعروف و ينهون عن المنكر، فقال: كذا نفع.

وأظهر من بالكوفة لعن بنى العباس والسلف، وخرج أبو الغيث بن عبيدة العجلي في ثلاثين ألفاً، وأقام أبو القاسم عيسى بن موسى حتى عيدان في البقلىة أصحابه «١»، وأظهروا الخلاف، وقالوا: ظهر الحق وقام المهدي وانقضت دولة بنى العباس والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث، وقال قائلهم: ما بقى شىء ينتظر وما جئنا لإقامة دولته، ولكن لإزالة شريعته. فقيل لهم: إن الخصى قد قطع قنطرة نهر ببطاطبا، فقالوا: قد عبر أبو طاهر الفرات فلا يعبر نهر ببطاطبا، وإنما هو كالساقية بالإضافة إلى الفرات.

فسار أبو إسحاق إبراهيم بن ورقاء الشيباني الأمير، وكان رجلاً صالحاً لا يعين السلطان إلا فيما يحل ويحسن. فسار إلى الفرات في السماريات «٢»، ومنع القرامطة من العبور ومن ورود الماء، فضاق صدر أبي طاهر من تأخرهم عنه، فرحل عن مؤنس ورجع إلى الفرات، وصاعد نحو الرقة يقتل وينهب من ظفر به، وقد ظن بعض الناس أنه كان يتوقع من المغرب من القرامطة أن يوافيه لوعده بينهم، فما جاءه أحد، فرجع إلى الأحساء، وكذبت أخباره تلك كلها، وكانت لهم من الفضائح ما لا يكاد يحصى.

وكان أصحابه ومن بالكوفة وسواها له على أحسن طاعة، لا يشكون أنه ولي الله وحجة الله، فلما رجع بتلك الخيبة، وقد كذبت أخباره وأقاويله، أخذ

(١) انظر معجم البلدان ٤: ١٧١

(٢) مراكب تصنع من شجر الطلح

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٤

خواصه يلقون إلى من معه من البوادى إذا قالوا لهم: قتلنا عيالنا واقتسمنا قصور بغداد ثم رجعنا خائبين، وقد قتل ابن أبى الساج صناديدنا وعيون من بقى منا، فيقولون مرة: لهذا القول وهذه المواعيد باطن، و مرة يقولون: إن فى كتب الحدثان والملاحم أنا نرجع، و مرة يقولون: سرنا بأمر، و أمثال هذا من الحيل والمخاريق.

/ ثم سار من البحرين إلى مكة، فوصل إليها فى عشر ذى الحجة وبها الحجاج من أهل الدنيا كلها، والإسلام أكثر ما كان، فمنعه من بمكة من الحجاج وغيرهم من دخولها، ونقلوا صناديق البيت إلى ناحية دار ابن داود، و حاربوه أياماً. فلما لم يطقهم، أظهر أنه جاء حاجاً ومتقرباً إلى الله، وأنه لا يحل لهم أن يمنعوه من بيت الله، وأنه أخوهم فى الإسلام، وأظهروا أنهم محرمون، و نادوا بالتلبية، و استدعى من قريش من أهل مكة من راسلهم بهم، هو أبو الإمام بها والقاضى فى يومنا هذا، فقالوا: كيف تكون حاجاً و أنت فى عشية ورودك الحرم قد قتلت المسلمين، فقال: هذا كان بغير أمرى ولا رضائى، وقد يكون مثل هذا من الأتباع و من معرفة العساكر، و وجه إليهم بخاتمهم و سوطه ليؤمنهم، و حلف لهذا القرشى بالأيمان الغليظة أنه قد أمنهم على دمائهم و أموالهم و حرمتهم، و أنه لا يؤذى أحداً منهم، و أنه ما جاء إلا ليحج، إلا أصحاب الجند و السلطان فإنه لا يؤمنهم، و قال: أنا لا أغدر و لا أغر من نفسى، و لو أردت ذلك لأمنت أصحاب السلطان ثم غدرت بهم، و لكن لا أؤمنهم، لأنهم يشربون الخمر، و يلبسون الحرير، و يعينون السلطان الذى يحجب عنه الرعية، و يظلم اليتيم و الأرملة، و يشرب الخمر، و يسمع القيان. فازداد الناس به اغتراراً، و قبلوا أمانه، و أفرجوا له حتى دخل، و وضعوا السلاح.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٥

فلما دخل و تمكن و سكن الناس، و ثب بهم أغرّ ما كانوا، و قال لأصحابه:

ضعوا السيف و اقتلوا كل من لقيتم، و لا تشتغلوا إلا بالقتل. فلم يزل كذلك ثلاثة أيام، و لاذ المسلمون بالبيت، و تعلقوا بأستار الكعبة، فما نفعهم ذلك، و قتلوهم فى المسجد الحرام و فى البيت، و ما زالوا يقتلونهم و يقولون لهم:

«و من دخله كان آمناً»، أفأمنون أنتم يا حمير، أما ترون كذب صاحبكم.

و أمروا من يصعد لقلع الميزاب، فصعد و هو يقول مستهزئاً: / هو فى السماء و بيته فى الأرض. و سلب البيت، و قلع الحجر الأسود، و

أبو حفص عمر ابن زرقان صهر أبي سعيد واقف حذاء البيت و السيف يأخذ الناس، و هو على فرسه يضحك و يتلو: «لَيْلَافِ قُرَيْشٍ» حتى [وصل] «١» إلى قوله: «وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» قال: ما آمنهم من خوفنا، ظهر الباطن يا أهل مكة، حجّوا إلى البحرين، و هاجروا إلى الأحساء من قبل أن نطمس وجوها فتردها على أديبارها.

ثم أمر أصحابه بالنهب، فجمع شيئاً عظيماً من العين و الورق و الجواهر و الطب، و من متاع مصر و اليمن و العراق و خراسان و فارس و بلدان الإسلام كلها، و حمل مقدار مائة ألف جمل، و أحرق الباقي، و سبى من العلويات و الهاشميات و سائر الناس نحو عشرين ألف رأس، و سار إلى الأحساء، فكانت حادثة في الإسلام لم يكن مثلها قط، و أحصوا القتلى عند الدفن، فكانوا عشرين ألف و ثمان مائة. و لعلك تستكثر مائة ألف جمل لما ترى في زمانك من سوء حال الإسلام و المسلمين، و إذا تأملت الحال في ذلك الزمان استقللتها، فإن الإسلام إذ ذاك قد كان من السعة ما كان، مستولياً على الدنيا إلا القليل، و كان يسار أهله على حال عظيمة، و إذا تصورته استقللت ذلك، و إذا تأملت خراسان

(١) زيادة مني اقتضاها السياق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٦

وحدها، و المسلمون يصلون من نواحي الصين، ثم من نواحي الهند، و كابل ثم عمان، و مشجر عمان، ثم اليمن، و جزيرة العرب و هي أوسع من بلاد الروم، ثم المغرب من الأندلس، و القيروان، و المغرب تشبه لكثرة رجالها و جمالها و بلدانها بخراسان، و أما أذربيجان فيشبه من السعة بما يقارب فارس أو العراق، و إنما ذكرت ذلك لأننا أردنا لا نخلى ما نقوله من حجة، و إن كان الناس قد ذكروه.

فلما صار أبو طاهر إلى البحرين، سلم الأمر إلى ذكيرة الأصفهاني المجوسى «١» و جمع الناس بالبحرين، و قال: معشر الناس إنا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم، مرة بمحمد، / و مرة بعلّى، و مرة بإسماعيل بن جعفر، و مرة بمحمد بن إسماعيل، و بالمهدى «٢»، و هذا كله باطل، و هو سر كنا نكتمه و من قبلنا منذ ستين سنة، و اليوم قد أظهرناه، و هذا إلهنا و إلهكم، و ربنا و ربكم، يعنى ذكيرة الأصفهاني، فإن عاقب فبحق، و إن عفا فبفضل، أظهروا اللعن على الكذابين: آدم، و نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى و محمد معشر الأجمين، يعنى بالأجمين قسّين و جنبلا «٣»، و عرج عنم كان عندهم بالبحرين و من سواد الكوفة و أهل الكوفة، و قال:

معشر الدعاء و الخاصة، اذكروا ما عندكم، فذكروا معنى ما جرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان و بين محمد بن الحسين بن جهار بخنان المعروف ببندار من أعمال الحيلة على المسلمين، و التستر بالتشيع، و الدعاء إلى المهدى، فإذا وقع التمكن، و صاروا في ملك و سيف، أظهروا تكذيب

(١) جاء في الهامش: فلما صار أبو طاهر القرمطى الباطنى الملعون إلى البحرين سلم الأمر إلى ذكيرة الأصفهاني المجوسى. انظر

الكتاب ١: ١٠٦

(٢) سبق التعريف بهذه الأسماء فيما مضى من الكتاب

(٣) كذا فى الاصل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٧

الأنبياء، و تعطيل الشرائع، و قتلوا المسلمين، مما هو مذكور فى كتاب ابن رزام، و كتاب عطية، و غيرهما من العلماء «١». فأخذهم ذكيرة بلعن الأنبياء جهارا فى الأسواق، و تقدم بإحراق المصاحف و براءة الذمة ممن ترك عنده شيئاً من المصاحف أو التوراة و الانجيل و جمع هذا كله، و أمر بطرحه فى الحشوش، و الاستنجا به، و نادى بنكاح الأمهات، و البنات، و الأخوات، و ذوات

المحارم، و يباحة اللواط، و بأن تطعن البهائم في خواصرها إلى أن تموت، ثم تموت، و بأشياء كثيرة يطول شرحها، و هي مذكورة في كتب العلماء، و قال لهم: تأهبوا فإنى سائر إلى العراق لاستئصال دين محمد و قتل أتباعه، فقد انقضت دولته، و قد أحييته ثلاث مرات، و استتبهت من إضلال الناس فما تاب، فالعنوه و العنوا الكذابين، يعنى الأنبياء. فكانت الأصوات ترتفع بذلك في الأسواق و قتل بنى زرقان و بنى سلمان و من وجوه عسكره فى مدة ثمانين يوماً سبعمائة رجل، و أمرهم بأن يعرضوا عليه نساءهم من بيت أبى سعيد و غيره، فعرضوهن فاختر منهم من أراد، فكان فيمن اختار زينب بنت أبى سعيد امرأة عمر بن زرقان، و قد كان قتل زوجها، و كان له منها ابن، فأمر ذكيرة أبا طاهر بذبحه، فأخذه أبو طاهر خاله فذبحه.

ثم بعد مدة، قال أبو دلف لأبى طاهر: إن ذكيرة الأصبهاني قد عزم على قتل ابنك و إخوتك؛ و كان لأبى طاهر خمسة إخوة، و هم ولد أبى سعيد، فاتفق قتلهم له نهارة، فماج القصر لذلك، فقال لهم الحسن ابن سنبر: أغلقوا باب القصر، فأغلق، و أشرف على الناس فقال: ما لكم اجتمعتم؟ قالوا: بلغنا أنكم قتلتم الإله، قال: قد فعلنا ذاك، قالوا له:

(١) ابن رزام، عطية (الأعلام ٥: ٣ و ٤: ٢٣٩)

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٨

و لم قتلتموه، قال: ما نريد أن نذكر لكم السبب فى ذلك فأمسكوا، و قال لهم ابن سنبر: إن شئتم أن تذهبوا فذهبوا، فما نعرفكم السبب. ثم قال لهم: يا قوم لا تفضحونا و أنفسكم، و لا تشتموا بنا المسلمين و بكم، و ارجعوا عن جميع ما قاله لكم أبو طاهر إلى ما كنتم عليه و كنا من قبل ذلك، من أنا أصحاب المهدي؛ و الدعاة إلى المهدي، و المؤمنون و الشيعة، فإنه كنا نحدث أن ستكون للمؤمنين زلة و هى هذه، فالله الله فى أنفسنا و أنفسكم، فما أدخلناكم فى شىء إلا بعد أن دخلنا فيه. قالوا نريد أن نراه إن كان مقتولاً و خافوا أن لا تكون حيلة من جملة حيلهم و كذبهم الذى كان لأبى طاهر، ففتحوا الباب و أدخلوهم، فأرأوا ذكيرة مقتولاً، و جاءت زينب بنت أبى سعيد امرأة ابن زرقان، فشقت جوفه، و استخرجت كبده فأكلتها، و كانت فضيحة عظيمة. فقال ابن سنبر لأبى طاهر: فرق المال فى الرؤساء و أرضهم، فإن هذه سقطت عظيمة سقطناها، فوجه/ أبو طاهر فى الليل إلى الرؤساء و تلافاهم، و خضع لهم، و لم تكن عادته.

ثم إنه غزا بعد قتل ذكيرة و نهب، و جاء إلى الكوفة. فصار أصحابه لا يمثلون أمره كما كان، و قد كانوا لا يخالفونه فى شىء البتة، و كان أى شىء نهبوه أو غنموه يسلموه إليه و لا يخونونه فى شىء منه. لأنه حجة الله، و أن المال يجيبه للمهدي، فصار بعد قصة ذكيرة لا يعطونه ما ينهبونه و صاروا يشربون، و يسمعون القيان، و يطلبون المواخير، و إذا جاءهم العرفاء، و قالوا لهم: هاتوا ما غنمتم، لم يعطوهم، و إذا قالوا لهم: السيد يأمركم بكذا، قالوا: ناك السيد أمه، و فى است أم السيد، فرحل بهم راجعا إلى البحرين، فقال العويمل العقيلي و غيره لبنى عمهم: يا ويحك، اعزلوا هذا الكذاب بن الكذاب فإنه يصير بكم إلى البحرين و يسترهن

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٨٩

عياتكم، و يطالبكم بما غنمتم، و يأخذ منكم و يستعبدكم. فبلغه قوله، فأخذه و قيده، و رجع إلى الأحساء، فقتل من أصحابه و ثقاته نحو أربعمائه، و أقام بالأحساء و قال: قد نهيت عن الغزو، و أمرت بعمارة الأحساء فأخذ المسلمين الذين أسرهم و استعبدهم بالعمارة. و أقام مدة، ثم غزا و أقام ناحية من الكوفة، و وكل بالعسكر من يراعيه لئلا يدخل إليه غريب، و طمع أن يعود أصحابه كما كانوا، فما فعلوا، و دخل على أهل السواد من الكوفة و من كان يلتجئ إليه من المتشيعين من الحزن و الفضيحة و شماتة الأعداء ما قتلهم حزنا.

و كان مثل عيسى بن موسى ختن عبدان و أصحابه و أمثاله، يعاتبون أبا طاهر و أصحابه بينهم سرا، فيقول لهم: ما الحيلة، ما اخترنا هذا لأنفسنا، و قولوا لنا من كان من أهل هذه الدعوة لم تكن له سقطتة و فضيحة.

ألم يفتضح المنصور بن حوشب/ بعدن لاعة، ألم يفتضح الولي ابن الفضل بجيشان «١»، ألم يفتضح سعيد بسجلماسه، حتى شيخ

المشايخ أبو موسى هرون و هو شيخ الشيعة، و قال لسعيد في وجهه: ويلك، أنت الغاوي لا المهدي، تزني، و تلوط، و تشرب الخمر، و تكذب، و تغدر، و تسفك الدم، و يللك، أى شىء أنت، و ابن من أنت، قال: قد قال لكم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي الداعية أنى أنا المهدي، فجاءوا بأبى عبد الله، فقالوا له: هذا هو المهدي، فقال: لا، فقال له سعيد: ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسه: هذا هو المهدي الذى

(١) لعله يقصد على بن الفضل بن أحمد القرمطى أحد المتغلبين على اليمن. استولى على الجبال و التهائم ثم دخل زييدا و صنعاء و ادعى النبوة و أباح الحرمات. و مات مسموما سنة ٣٠٣ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٩٠

كنت أدعو إليه، فأقبل أبو عبد الله على أبى موسى و الجماعة فقال: يا هؤلاء غلظت كما يغلظ الناس، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة، و كنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر و ولده، فرجع ابن حوشب و رجعنا لما مات الحسن العسكري، و وقع علينا من دعانا إلى إمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر، و لقيت الإمام من قبل محمد بن اسماعيل بالكوفة، و ودعته و خرجت إلى ابن حوشب باليمن، و بين يدي الإمام بالكوفة غلامان. فقال لى حين ودعته: يا أبا عبد الله، هذان إماماك، فمن دعاك منهما فأجبه. فخرجت إلى اليمن، و منها إلى مكة، و منها إليكم إلى المغرب.

و بلغنا أن الإمام قد مات و خلف ولده، و كانت الكتب تأتي من هذين، و فيها بعض العلامات التى كانت بينى و بين الإمام، فظننته المهدي و ما هو بالمهدي، و لكنه رجل سوء، كذاب، شذير، عدو الله، و عدو رسوله، و عدو أهل بيته، و عدو الشيعة، و عدو المهدي. فوافق سعيد أبا عبد الله على غدراته و أكاذيبه و ما كان له فى كتابه، و تشاتما و انفرد سعيد و معه الأموال، و أعمل الحيلة، و قتل أبا عبد الله / و شيخ المشايخ.

و قام أبو زكريا محمد بن أحمد بن زكريا «١» أخو أبى عبد الله و كان أجل منه و أخص بسعيد و أعلم بالدعوة، فنادى على سعيد بأنه كذاب عدو لرسول الله صلى الله عليه و سلم و أهل بيته، و واقفه و تشاتما، و ما زال ينادى عليه برقادة و أرض المغرب إلى أن دس عليه من قتله.

و قام أبو ذاكى تمام بن معارك، و كان أخص الناس بسعيد و أوثقهم عنده و وجها فى الشيعة، فما زال ينادى: احذروا هذا المشرقى الكذاب فإنه

(١) كتب فوق الاسم بخط مختلف: العباس

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٩١

لا دين له إلى أن بذل سعيد الأموال فى العبيد و الجهال إلى أن قتل أبا ذاكى و أصحابه.

أو ليس حين مات سعيد و قام ابنه قد رجع عنه خاصته، و قالوا هذا أكفر من أبيه. أو ليس قد أظهروا بأرض المغرب شتم نبي العرب و أصحابه فقالوا: العنوا الغار و من حوله، العنوا عائشة و بعلمها؛ و لعنوا جميع الأنبياء و أظهروا الباطن كله، و بعثوا الدعاء، فدعوا إلى سعيد أنه إله حق، و أنه خالق رازق، و أنه هو الذى فتق و رتق و أمات و أحياء. و نكحوا البنات، حتى كان مثل أبى الأسود و أبو طاعة من الدعاء قد نكحوا بناتهم؛ حتى ذهبت الشيعة إلى أبى يزيد مخلد بن كزاد و هو من الشراة «١» و شكوا إليه ذهاب الإسلام بهؤلاء المشاركة، و قالوا: هذا و إن كان من الشراة فليس ينكر الربوبية و لا يكذب الرسل و لا يلعن الأنبياء و معه حفظ الأموال، فساروا معه إلى ابن سعيد بعد موت أبيه، فأنفذ إليه ابن سعيد عسكريا بعد عسكري، فما زال يهزمهم إلى أن وافى باب المهدي فأغلق بابه دونه، فأخذ الحلقة بيده و هو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه و كبره أن يركب فرسا، فكان يركب حمارا، فحاصر ابن سعيد فى المهدي مع عساكره

فمات في حصاره/ فرقا منه.

وقام اسماعيل ابنه من بعده و حاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم، و حتى ذلوا له و خضعوا؛ و قد دوخهم خمس سنين، و استولى مع عجزه و ضعفه على أكثر ممالكهم، إلى أن تمت حيلته عليه.

(١) انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٠٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٢

و أعان أبو الحسين بن عمار اسماعيل القائم الثالث منهم على أبي يزيد حتى ظهر عليا، فلما خرج أظهر اسماعيل الرجوع إلى الإسلام. و قتل الدعاء، و نفى بعضهم إلى أرض الأندلس و غيرها. فقال للعامه: من سمعتموه يلعن الأنبياء فاقتلوه و أنا من ورائكم، و أذن للفقهاء و المحدثين، و خضع للعامه، و زعم أن الذي كان من الدعوة و من الناحية و المنشدين كان بغير علم أبي و لا علم جدى، و خفف الخراج، و أظهر الشغل بالفقهاء.

فسقطات غيرنا من أهل هذه الدعوة أكثر من سقطاتنا، أم تظنون أنا بالبحرين لا نعرف أخبار اخواننا و أهل دعوتنا بالمغرب و اليمن و العراق، فكانوا يحتجون بمثل هذا على من عدلهم من إخوانهم في إظهار الباطن، و كان الدعاء مثل أبي القاسم عيسى بن موسى، و أبي مسلم بن حماد الموصلي، و أبي بكر أخيه، و أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي و غيرهم يحدثون أسفا و حسرة بما أتاه أبو طاهر من كشف الدعوة، حتى سقطت هيئته و استخفت العرب به بعد ذلك التعظيم، و حتى كان أبو طالب بن عيسى بن موسى و أمثاله يقولون إذا ذكروا هتيكه أبي طاهر و فضيخته مالك يا أبا طاهر، لعنك الله و يلك، لم سلمت الأمر إلى ذكيرة الأصبهاني. و يلك، إلا مضيت على غرتك و قد ظن الناس أنك المهدي، و فيهم من ظن أنك فوق المهدي، و يلك، إلى بخارى قدما ما يردك أحد. لعنك الله، و صلى الله عليك يا محمد.

لا يلعنون أبا طاهر براءة منه، و لا/ يصلون على النبي صلى الله عليه و سلم موالاة له و تصديقا بنبوته، و لكن يذهبون إلى أنه و إن كان كذابا محتالا مثل أبي طاهر و الذين بالمغرب و حاشاه صلى الله عليه و سلم من قولهم فما افتضح مثل فضائهم.

و لقد رجع أبو الغيث العجلي عنهم و كان نابا من أنيابهم، و مطاعا في

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٣

عشيرته. و كانوا نحو ثلاثين ألفا، و كتب في ذلك كتابا بين فيه أنه تمّوه أمرهم عليه و ظنهم شيعة و أصحاب المهدي؛ و رجع غيره من رؤسائهم ممن قد ذكره ابن رزام من المراتب الخمس و في الكتاب الكبير، و ذكرهم غيره.

و لقد بلغ الأمر بأبي طاهر أنه كان بعد ذكيرة يغير على الحاج و على بلدان المسلمين، ثم يجهد بالعرب أن يعطوه شيئا مما يأخذونه كما كانوا يفعلون من قبل، و يقول هذا مال المهدي، فإن لم تعطونا كله كما كنتم فهااتوا بعضه، فيقولون له: استأمننا إن أعطيناك مفاتحنا و قد عرفناك. فلما رأى استخفافهم به بعد الكرامة قال: لا وجه لما أنا فيه، أقتل المسلمين و أنهبهم و يذهب هؤلاء بالمال. فجاء إلى الكوفة و آمن الناس، و وجه إلى الراضى بعد المقتدر و بعد القاهر، «١» و كان هذا الراضى من الضعف و حجر بجمكم و الأعاجم عليه على حال قبيحة «٢»، و قد تفرقت الجنود عنه، و أخذت الأموال منه؛ فوجه إليه يطلب منه مالا يعطيه ليخدمه و يبذرق الحاج «٣»، ففعل الراضى ذلك، و أعطاه مالا معلوما، و قال أبو طاهر هذا أربح لي، آخذ هذا المال و أعطى بعض أصحابي و أعوانى و أفوز ببعض. و كان العقلاء يعجبون و يعتبرون، و يقولون عظم أمر أبي طاهر حتى ادعى قوم أنه إله، و ادعى آخرون له أنه نبي، و ادعى قوم أنه المهدي، و أقل ما ادعى له أنه ثقة المهدي و سيف المهدي. و استقلوا له ملك الأرض، و ما شك

(١) بويج للراضى بالخلافة بعد خلع القاهر في ٥ جمادى الأول سنة ٣٢٢ هـ، و لم يزل خليفة إلى أن توفي في ربيع الأول سنة ٣٢٩ هـ.

انظر تاريخ الإسلام و محاضرات تاريخ الإسلام السياسي

(٢) يحكم الديلمي: قائد الجند أيام الراضى.

(٣) البذرقة: فارسى معرب، بمعنى الخفارة، يقال: بعث السلطان بذرقة مع القافلة اللسان، مادة: بذرقة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٩٤

الشيعة أنه يملكها، وأظهروا/ الروايات «١» له بذلك، وأنه مذكور فى الملاحم، و فى كتب الحدثان؛ وأنه حجة الله و صاحب حجة الله، و المهدي و المنتظر الذى يملك الأرض كلها. و طمع فى ذلك أشد الطمع، و كان السلطان فى زمانه مقصرا لا يعرف من التدبير قليلا و لا كثيرا، و قد قلد الخلافة و له اثنتا عشر سنة متحليا بالنساء، كتابه و عماله و خاصته تغلب عليهم التشيع، يظنون أبا طاهر من الشيعة، فكانوا أعوانه على السلطان، فخذله الله حتى صنع مع ذكيرة ما صنع ففضحه الله بلسانه، ثم عاد فقتل ذكيرة و رجع عما كان عليه، ثم لم يزل خذلان الله به حتى جاء إلى الراضى و تلك حاله يطلب بذرقة الحاج منه، و سأله أن يستخدمه فى ذلك، و ضمن كل ما يجرى على الحاج. و خرج إليه إلى الكوفة ابن مقاتل صاحب ابن رائق «٢» و وافقه على بذرقة الحاج بعد أن وبخه على ما كان منه، فأنكر أن يكون ما جرى باختياره، و أن البوادى كانت ثققات عليه و لا تطيعه، و أن السلطان قصر فى أمره و قد كان ينبغى له أن يعرف مكانه، و يعطيه ما يرضى البوادى، و يستخدمه و يجعله أحد صنائعه، فقال الحجاج لا نسير معه و لا نثق به و لا كرامه له، فأقام السلطان أبا على عمر بن يحيى العلوى أميرا عليهم، يسير أبو طاهر مع أصحابه بسيره و ينزل بنزوله، و لا يكون له على أحد من الحجاج أمر و لا نهى. و إذا تصورت حال أبى طاهر و كيف كانت و إلى أى شىء صارت، حتى يرغب إلى الراضى - و هو أول من

(١) فى الأصل: الروايات، و لعل الصواب ما أثبتناه

(٢) هو محمد بن رائق، أبو بكر، و لاه الراضى إمرة الأمراء و الخراج سنة ٣٢٤ هـ، و توجه إلى الشام فحارب الاخشيديين ثم عاد إلى بغداد حيث قتل بأمر من ناصر الدولة الحمدانى ٣٣٠ هـ.

دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٦٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٣٩٥

زالت دولة بنى العباس على يده و أخذت الأموال منه، و أجرى له مقدار الكفاية، و زال أمره عن تدبير الجند و عن الولايات؛ و هو أول من حجر عليه منهم - فى أن يستخدمه فى بذرقة الحاج بشىء يعطيه، علمت أن ذلك آية من آيات الله العظام، فقد كان أثنى فى الإسلام، و أخرج منازل الحاج، و قد كاتب فى الأمن و العمارة كالأسواق القائمة، و لعل قتلاه أكثر من قتلى بابك و صاحب الزنج، و كانت هيئته قد ملأت القلوب، حتى كتب ملك الروم إلى السلطان كتابا يظهر له الشماتة بأن أبا طاهر القرمطى قد أبادكم و أفناكم و شغلكم عن غرونا و أراحنا منكم و قصد بيت عبادتكم فقتل زواره و من يعظمه و أنزل بدينكم كل هوان. و كان العامة و من ليس هو من الدعوة إذا سألوا أصحاب أبى طاهر عما أتاه فى باب ذكيرة لا يجيبون بل يقولون إنما سلم الأمر إليه ليمكر به و لينظر ما عنده، و صبر عليه و على ما أتاه ليعرف آخر أمره، فكان لتسليمه باطن غير ما ظهر للناس.

و هذا أعجب ما يكون من فضائح المبطلين و بهتهم، و هذا ما لا يعجز عن ادعائه أحد، فإنهم قد افتضحوا و تقطعوا ندما، و انصرف عنهم عقيل لهذه الفضائح و هانوا على جندهم بعد الكرامة، و سقطت أقدارهم البتة، ثم يبهتون هذا البهت.

و هذا كقولهم لو قال: إن خادم العباس بن عمرو الغنوى ما وثقنا به و لا سكننا إليه و لا وثق به أبو سعيد و لا ائتمنه و لا سكن إليه و إنما تركناه و قتل أبى سعيد و تلك الجماعة الذين قتلهم فى الحمام لننظر ما عنده و ليظهر آخر أمره، على علم منا بما سيأتيه و يفعله. و أن ما أتاه الأصفر من قتل رجالنا و منعنا من التصرف فى البلاد و الخروج لأخذ ضريبة الحاج و حصاره إيانا فى الأحساء، ليس عن عجز منا و لا لجهل منا بما كان منه قبل أن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٦

يكون، وإنما تركناه على علم و قدرة ليظهر كل ما عنده و لكل أمر باطن.

أو كمن قال: إن الأصفر لم يصنع بهم هذا الصنيع عداوة لهم، فكذا ما صنعه ابن أبي الساج، وإنما أراد الأصفر أن يمتحنهم بذلك، و لهذا باطن و هذا خلق لأهل هذه الدعوة حيث كانوا من مشرق الأرض و غربها، فإنهم متى افتضحوا و متى بان كذبهم فقالوا لهذا باطن.

فقد كان سعيد أنفذ الجيوش في سنة اثنين و ثلاثمائة إلى مصر و قال:

تفتحنها و أنا في أثركم، و كانت خالية ليس فيها إلا القاسم بن الاخشيد الفرغاني في سبعة آلاف، و عسكر ابن سعيد الذي ورد به إلى مصر في نحو مائتي ألف، فهزمهم القاسم و ردهم، فرجعوا في سنة سبع و ثلاثمائة في ثلاثمائة ألف، و قال: تفتحنها، فرجعوا منهزمين. و كان ابن سعيد رئيس الجند، و يوسف بن غرور الكبير المدبر، و هو يعجب من رجوعهم و قد قال تفتحن. فقال لهذا القول باطن فأخذ يوسف هذا و قتله «١».

و قد كان الرابع منهم لما ملك مصر و الشام قال: الآن أملك الدنيا كلها، و كان له برزون أشهب يقال له عين الفضة، فقال: على هذا أدخل قسطنطينة، و قال: أنا لا- أعطى أهل الأحساء عن الحاج ضريبة كما كان كافور الخصي الأسود قبلي يعطيهم، فإن خالفوني و جهت بكتامة فشدوا براذنيهم على أبوابهم بالأحساء و ساوم صاحبه و صاحب جيشه في ثياب بياض، ثم قال: و هذه تجلب من نيسابور و إلى هناك نصير فنشتره من معدنه. فجاء ولد أبي سعيد و أخذوا الرايات السود من بغداد و عليها الامام المطيع لله أمير المؤمنين. و كانوا في جيش قليل، و أخذوا الشام منه، و قتلوا

(١) في الأصل: أبو يوسف، و لعل الصواب ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٧

ابن فلاح صاحبه «١»، و قالوا له ما تحتاج أن تنفذ/ بكتامة إلى الأحساء فقد جئناك. فراسلهم و داراهم، و قال لهم: لم رضيتم لأنفسكم أن تسيروا تحت الرايات السود و تقيموا الدعوة لبني العباس، قالوا له: قد كان ينبغي ألا تمخرق علينا و لا تتكلم فينا، و نحن نعرفك و نعرف أباك، فما زال يرأسلهم و يتضرع إليهم و يقول: الدعوة واحدة و هذا البيت و بيت أبي سواء، فساروا إليه إلى مصر و ضيقوا عليه، فخذق على نفسه، و بذل الأموال، و بذل المال للبوادي فأخذوا سوادهم و انهزموا من باب مصر، و أسر ابن المنجا و جماعة منهم، فأكرمهم و صانهم و خلع عليهم، و ردهم إلى الأحساء و أعطاهم أكثر مما كان يعطيهم كافور، و قتل من كان في عسكرهم من السوقة و الباعة و هم ألوف كثيرة، و قال لولد أبي سعيد أنا ما منعتكم و إنما منعكم هذا العبد جوهر، و تقرب إليهم، و أذكركم أن الدعوة واحدة و ما ينبغي أن نختلف فيشمت بنا المسلمون، و ما زال هو و من بعده يحمل إليهم المال الكثير و البر الكثير إلى أن حاصروهم الأصفر و منعهم، و وافى ملك الروم لعنه الله و نزل الشام.

و اتفق موت البرزون عين الفضة، و نما الخبر إلى ابن الزيات و هو بالشام فكتب إليه: قلت إنك تدخل القسطنطينة على عين الفضة و قد مات و بينك و بين القسطنطينة مسيرة ستة أشهر، و ملك الروم فقد نزل بالشام و بينك و بينه مسيرة عشرين يوما، و قد قرب الأمر عليك فالحق. فترك الجواب عن هذا و كتب إلى ابن الزيات: أنت رجل فاضل كامل، صنعتك و أسأت إليك و أنكرت فضلك، و ما أدري كيف أعتذر إليك، و أنا من

(١) هو علي بن جعفر بن فلاح الكتامي، أبو الحسن، من أكابر وزراء الفاطميين بمصر، و كان الناظر في جميع شئون الدولة أيام

الحاكم، قتل في القاهرة سنة ٤٠٩ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٨

أحوج الناس إليك، و ما هذا/ سبيله من الملاطفة. و إذا طالبت خاصته و الدعاء له بتلك الأقوال و بينت لهم كذبها و خلقها قالوا: تلك الأقوال لها باطن.

و عند الخامس منهم من أهل خوارزم و الموليان و غيرهما زوار كثير قد جاءوا بالأموال و الهدايا، و هم محجور عليهم و موكل بهم و مع هذا فقد تبلغهم ما هناك من الفواحش و الإباحات. فربما استفهم الواحد بعد الواحد من هؤلاء الزوار فيقال له: لهذا باطن، و ربما قيل لبعضهم: إنما يفعل هذا مولاكم عمدا ليربكم و يمتحن صبركم، فأمسكوا و لا تتكلموا، ثم لا يؤذن بالرجوع لأهل الفطنة منهم. و قد كان سعيد و هو بالمغرب قد جعل الرصد على من يرد و يصدر بباب البلد فيعرف أخبارهم، فمن كان منهم من الرسل و الدعاء الذين يريدهم فلا يدخلهم إلا ليلا ملثمين في هودج، و إن كانوا جماعة، فرق بينهم، و أنزلهم و وكل بهم ثقاته، و أخرجهم كذلك، لثلا يقفوا على شىء من أمره؛ و يدس إليهم من يحدثهم من أخباره بما يريد، و يبرهم و يصلهم و يخلفهم و يخرجهم في الاستخفاء كما دخلوا، و يردهم إلى النسفى و أبى حاتم الرازى و ابن حماد. فتأمل حال هؤلاء و هم فى الأطراف، و قد تستروا بدين الإسلام و أقاموا المؤذنين، فكل من يستدعونه فى أول أمره يقولون له لسنا كالإمامية أصحاب موسى بن جعفر الذين يقولون: الصلاة إحدى و خمسين ركعة. الذى يجب عليك عفاك الله ثلاث و سبعون ركعة فى اليوم و الليلة، و تؤدى الزكاة، و تصوم رمضان، و تحج البيت. و تؤدى الأمانة، و تحصن فرجك، و ما نحل لك المتعة كما تحله الرافضة، و تجتنب الكذب و الزنا و الربا و اللواط،/ و لا تشرب شيئا من المنكر، و ما لك فى شىء من هذا رخصة البتة. و إذا كان عند الداعية أحد من المحرومين و ممن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٣٩٩

لا يعرف حقيقة الدعوة يصلى الداعية بحده الليل و النهار. و مع هذا فقد عرف أهل العلم حقيقة الدعوة فكيف بأمر النبوة و هو من الأمور المكشوفة.

و لو أخذت تحصى فضائح هؤلاء فى كل زمان مع هذا التحفظ لطال، و ينبغى أن تعنى بأموهم فليس هاهنا من يطعن فى النبوات سواهم كما قد تقدم لك و دعواتهم اليوم مثل جابر المتوفى، و ابن جبله، و ابن الكميت، و الحسن بن محمد المحمدى، يقولون لمن قد بلغوا به، أ ما ترون أتباع هذا الفاعل الصانع- يعنون رسول الله صلى الله عليه و سلم- اليوم- أربع مائة سنة قد أقاموا على شريعته ما يفارقونها، ما ذا يرون فيها الحمير، و قد كدهم بالصلاة و الصوم و الحج و الجهاد، أ ما يفطنون أ ما يفيقون.

و العجب ممن ذهب عنه صلى الله عليه و سلم مع ظهور أعلامه و انكشاف براهينه، و لو كان لهؤلاء فطنة و معهم تدبر لكفتهم أنفسهم و أحوالهم فى معرفة صدقه، فإنهم مع اعتصامهم به و تسترهم بإقامه شريعته و الانتساب إلى أهل بيته، و مع الأيمان و المواثيق، يفتضحون فى كل طرفه عين، و هو صلى الله عليه و سلم قد جاء ذلك المجدى و أعداؤه منذ أربع مائة سنة يطلبون عثره له و زله فلا يجدونها، و هو كما يقال: قد كان ينبغى أن يكون أصحاب الطب من أخشى خلق الله و أعرفهم به لكثرة ما يرون من الشدائد النازلة بالناس و بأنفسهم ثم قل ما يغنى طبهم عن أنفسهم و أعزتهم، و لكن قد سبقوا إلى الاعتقادات الباطلة و التقليد للرجال، فتركوا النظر و قلت عبرتهم، فتلدوا و تحيروا، فتاهت عقولهم، و ماتت/ فظنهم، فنعوذ بالله من طول الغافله و موت على غرة و قدوم على حسرة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٠

و باب آخر [علم الرسول صلى الله عليه و سلم حين تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أنهم لن يستطيعوا]

و هو أنه صلى الله عليه و سلم قد علم و تيقن حين تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور أو بمثل سورة أنهم لا يأتون بذلك، و لو لم يتيقن ذلك لما تحداهم و لا قال، لأن العاقل لا يقدم على مثل هذا و هو لا يأمن أن يأتوا بمثله فيفتضح و تبطل حجته و يستظهر عليه خصمه و يظهر كذبه و ينصرف عنه أصحابه و تبطل رئاسته، سيما و العرب أمم كثيرة، و الفصاحة مثبتة فيهم غالبه

على رجالهم و نسايتهم و عبيدهم و إيمانهم، و هو لا يعرفهم بأعيانهم و لا يحيط علما بأشخاصهم و بشعرايتهم و خطابيتهم و بلغائيتهم و فصحايتهم و دعائيتهم، فكان لا يأمن أن يتبتل له قوم منهم غضبا لأديانهم، و عصبية لأبايتهم، و أنفة لأنفسهم، فيأتون بمثل ذلك في الفصاحة و البلاغة، أو بما يقارب ذلك، فيهدمون كل ما بنى، و هو العاقل الحليم الذي لا يدفع عدوه عقله فلم يكن ليخبر أنهم لا يأتون بشيء من ذلك إلا و هو على يقين أنهم لا يأتون بذلك و لا بما يقاربه، فما في الدنيا عاقل تأمل أمره صلى الله عليه و سلم إلا و أثمر له الفكر و العلم بذلك.

فإن قيل: قد يقول العاقل في صنعته يدعيها، أو شجاعته، أو في شدة و قوة و أشباه ذلك: إن أحدا لا يساويني في ذلك و لا يدانيني فيه، و إن كان لا يعلم أن الأمر كما ادعى و لا يخرج ذلك من أن يكون عاقلا ... قيل له: لا يسأل عنه و عن أمثاله من تأمل ما قلنا، فإن لم نقل إنه ليس في الدنيا عاقل ادعى أنه لا يساوي في منزله إلا و هو على يقين من أن الأمر كذلك، و إنما قلنا: إن هذا الرجل صلى الله عليه و سلم قد ادعى أعظم الأمور و أجلها، و هو أن الله اصطفاه على العالمين، و جعله وحده منذ أرسله حجة على كل من أدركه تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠١

و كل من يأتي بعده إلى يوم القيامة، و أن من خالفه فقد حل ماله و دمه و أهله و ذريته، و عليه الخزي و الغضب من الله في الدنيا و الآخرة، و انه قد وجب على كل عاقل طاعته و الانقياد إلى أمره إلى غير ذلك مما ادعاه و فرضه مما يطول ذكره، و ان حجته في ذلك أن الخلق أجمعين لو اجتمعوا و اجتهدوا لن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة منه لا يأتون بمثله، و أنهم إن أتوا بذلك فقد بان كذبه و حرمت طاعته و وجبت معصيته و حل دمه و دم كل من صدقه، فهذه الشريطة قلنا ذلك و ادعيناها، و بهذا قد علمنا، لا بما ظنه السائل.

و باب آخر [محاولة اليهود و النصارى في المدينة القضاء على الإسلام و فشلهم]

من أعلامه صلى الله عليه و سلم، و هو أنه لما صاروا أصحابه في المدينة مشى اليهود إلى الأوس و الخزرج و قالوا لهم: لقد جلبتم على أنفسكم باتباع هذا الرجل الضلال و البلاء العاجل بمعادة الأمم، و لو كنتم يهودا لناظرناكم؛ و قد كان في الأوس و الخزرج من قد تهود. و قالت النصارى لهم مثل ذلك، و رغبوهم في النصرانية، و هددوهم بنصارى العرب و بملوك الروم، و أكثروا في ذلك و هؤلوا، فقال الله عز و جل: «و قالوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» فكفاهم الله إياهم كما وعد و كما أخبر، و قد كانوا أشد الناس حرصا على قتله و استئصاله و بواره،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٢

يبدلون في ذلك أموالهم و دماءهم. و قد كانت حاله بالمدينة و إن كان قد صار في جماعة و أنصار قريبا من حاله بمكة فقد كان يجلس وحده و يمشى وحده، و يدعو به الرجل و المرأة لحاجة فيمشى مع من دعاه، و قد يكون في بيته و عند أهله وحده، و إنما بيوته و مسجده من جريد النخل و ارتفاعها مقدار قامه.

و كانت سبيله في ذلك سبيل خلفائه و أصحابه في البذل و التضرح، و قد قصد العبد النصراني لقتل عمر فقتله «١»، و قصد ابن ملجم لقتل علي بن أبي طالب فقتله، و قد تحصن عثمان و أخذ حذره و جمع نفسه و مع هذا فقد تسلق عدوه عليه و دخل من خوخته و نال منه حاجته مع هذه الأنساب و هم الأمراء، فتعلم أن سلامة رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذه الأشياء، من الآيات العظيمة، سيما و قد قال لعدوه: إن الله سيكفيكم، و في هذا تهيج لعدوه على نفسه، و بعث على مكروهه.

و قد كان أهل مكة يبعثون اليهود و النصارى و من بالمدينة على قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يحرشون بين الأوس و

الخزرج، و يبعثونهم على من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اتبعه، وقد كان اليهود و أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن بالمدينة يردون مكة و يلقون قريشا فيبعثونهم على مكاره رسول الله صلى الله عليه وسلم و قتله. و قد كان لليهود بالمدينة و بالحجاز و بجزيرة العرب عدد جم. و قرى و حصون، و لهم بأس، و لهم نجدة و خيول و فرسان، و أبطال و فصحاء و شعراء، و لهم ثروة، و فيهم أحواد و يستجار بهم و يجيرون و يمنعون جيرانهم، و يقاومون الملوكة و يدفعونهم عن أنفسهم؛ و نصارى العرب أكثر فى هذا كله و أقوى و أشد، فاعرف هذا فبك إلى معرفته أمس الحاجة.

(١) يقصد أبا لؤلؤة الفارسى المجوسى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٠٣

و باب آخر [بدر و ما فيها من آيات]

من آياته صلى الله عليه وسلم/ و هو ما كان ببدر فإنه يوم كانت فيه آيات كثيرة و أظهر الله عز و جل لنبية أعلاما عظيمة، و كان للمشركين من قريش غير قد أقبلت فيها أموال و بز و أمتعة فاخرة، و خرجت قريش و قد خافت عليها المسلمين فى نحو ألف فارس معدين و مستعدين ليحموها، و وعد الله المسلمين إحدى الطائفتين أن يظفرهم بهم و يغنمهم إياهم، و ود المسلمون أن تكون هذه الطائفة غير ذات الشوكة لقله المسلمين و ضعفهم و كثرة المشركين و قوتهم، و كان المسلمون فى ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا يعتقب العدة منهم البعير الواحد، و لا فرس معهم يومئذ إلا فرس المقداد و فرس الزبير، و قد سبقهم العدو إلى الماء، و احتوى على الشعاب، و استظفروا على المسلمين بالماء و المكان، فوافى المسلمون فى ضعفهم و قتلهم، فحصلوا على المضايق و الخروق من الأرض، و لا ماء لهم، فأنزل الله عليهم الماء فشربوا و سقوا ركابهم و تطهروا، و توطت الأرض لهم ما كان منها رملا حتى ثبتت أقدامهم عليها، و عند الحرب ألقى عليهم العاس فى الوقت الذى لا يكون فيه نعاس و يطير النوم للخوف على النفوس، فطيب قلوبهم و طير خوفهم، و شجع جنهم، و أرسل إليهم ملائكته فثبتتهم و بشرتهم، و أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب و فيه حصيات فرمى به فى وجوههم و قال:

شاهت الوجوه، حم، لا ينصروا، فنفرك الحصى فى عسكر المشركين و بلغ إلى خلق كثير بخلاف ما جرت به العادة. و قد ورد القرآن بذلك و تفصيله ورودا يشهد عقل كل عاقل و متأمل و معتبر و متفكر أن ذلك قد كان و وقع فى قوله فى سورة الأنفال إلى قوله: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٠٤

بَيْتِكَ/ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ. وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَه تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبَيِّطَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَ لَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيَطْهَرَكُمْ بِهِ وَ يُبْذِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ. إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» إلى قوله: «وَ لِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (١).

فانظر كيف يصف لهم أحوالهم و ضعفهم و خوفهم و قتلهم و ما كان قد وعدهم به من الظفر بإحدى الطائفتين قبل اللقاء و ما نصرهم به على ذلك التفضيل. و لا يجوز أن يقول لهم: قد كنت وعدتكم و قد كنتم كارهين و خائفين و مستضعفين، فأزلت خوفكم، و

طبيت نفوسكم، و أنزلت عليكم الماء، و غشيتكم بالنعاس أمنة منى، و نصرتكم بالملائكة، و هو يعلم أنهم يعلمون أنه كاذب، و أن ذلك لم يكن؛ و هذا القول يسمعه العدو و الولي، و هو يمتنّ به على الصحابة و أتباعه، و يحتج به على العدو و الولي، و يصلو بذلك و يدل و يستطيل؛ هذا لا يقع من عاقل، و لا يتوهمه عاقل تدبر و فكر، فكيف بمن يدعى النبوة و الصدق، و يريد من كل أحد سمع

(١) الأنفال، الآيات من ٥-١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٥

قوله/ أن يتبعه و يعتقد ذلك منه و يطيعه. و هؤلاء الذين اتبعوه و أطاعوه و بذلوا أموالهم و دماءهم، إنما فعلوا ذلك لما اعتقدوه من نبوته، و عرفوه من صدقه، و تحققوه من قوله. ففي كل واحد من هذه الآيات ما فيه أتم الحجة بانفراده، فكيف بترادفه و اتصال بعضه ببعض، و لو افردت لكل آية بابا و شرحت ما فيها لكان أولى و إن طال، و أنت متى شئت قدرت على ذلك. و انظر ما في قوله: «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عِبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعِدْوَةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ بِالْعِدْوَةِ الْقُصَيِّوِي وَ الرِّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِمَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَ لَكِنْ لِيُقْضَىٰ لِلَّهِ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» إلى قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» (١) فتأمل موافقته لهم و احتجاجه عليهم، و ليس يدعى أن هذا قوله، بل يقول لهم: هذا قول ربي و ربكم، و هو الذي كان وعدكم هذه المواعيد و ضمن لكم النصر و قد وفي لكم بجميع ذلك.

و انظر إلى حسن تدبيره سبحانه و تعالى، فإنه ضمن لهم إحدى الطائفتين و لم يقل أيهما هي، و ودواهم أن تكون غير ذات الشوكة فإنها في عدة من الرجال قليلة، و أموالها كثيرة؛ و كرهوا ذات الشوكة لقوتهم، و كثرة عددهم؛ و أراد الله أن يحق الحق بكلماته التي وعد نبيّه أنه يهزم جموعهم و ينصر ضعف المسلمين عليهم. و لو قال لهم: إنكم تلقون ذات الشوكة ها لهم ما عاينوا، إذ هم رجاله وعدتهم قليلة و أولئك خياله وعدتهم كثيرة فخافوا أن يبرزوا فيجول عليهم العدو جولة يصطليهم فيها فأيدهم بذلك

(١) الأنفال الآيات من ٤١ إلى ٤٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٦

النصر، و سلمهم تلك السلامة فظفروا بعدوهم فقتلوا سبعين و أسروا/ سبعين و هزموا الباقين.

و تفهم معنى قوله: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ» (١) أى بذلك النصر و ذلك التأييد و تلك الآيات و المعجزات استوى لكم قتلهم، «وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ» (٢) لأنه صلى الله عليه و سلم لما رمى بلغ الله رميته إلى ما لم يكن فى وسعه تبليغها و بثها و إيصالها، فما أحد أصابته إلا قتل أو أسر؛ و ليس يجوز أن يقول لهم فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم و مثل ذلك قد يكون و قد يتفق، و كذا فى قوله: «وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ» و وليه و عدوه يسمع هذا، و هم قد مارسوا الحروب قبله و جربوها و عرفوها و سمعوا بها، ليعلم أن ذلك شىء انتقضت به العادة و كان فيه آيات و معجزات. و قد سأل الخصوم فقالوا: إذا كان الملائكة ثلاثة آلاف أو خمسة و المسلمون ثلاثمائة و ثلاثة عشر فكيف لم يصطلموا عدوهم و إنما هم فى نحو ألف، و كيف لم يعنه بالملائكة يوم أحد و قد قتل أصحابه، و هو قد كان يوم أحد إلى الملائكة أحوج.

قيل له: قد علمنا بما قدمنا أن الملائكة قد شهدتهم يوم بدر بدلالة امتنانه على المسلمين بذلك و العدو و الولي يسمعه، فليس فى سؤاله قرح فى هذا العلم، فإن بينا وجه حضورهم فمن طريق التطوع، و هو أنه ليس فى حضور الملائكة عليهم السلام سقوط الفرض عن المسلمين فى مجاهدة عدوهم، و لا أذن الله لهم فى محاربة العدو، و لكنهم حضروا ليشبوا الذين آمنوا و ليرغبوا الذين كفروا و ليقتلوا الواحد بعد الواحد تثبिता للمؤمنين

(١) الأنفال، ١٧

(٢) الأنفال، ١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٧

و إرعابا للكافرين و إيضاحا للمعجزات، و كذا قال الله و قد ذكر نزول الملائكة: «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَ لَتَطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ» و قال في موضع آخر/ في هذه القصة: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَيَأْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ».

و أما قصة أحد، فليس إذا أنزل الله الملائكة يوم بدر و جب أن ينزلهم يوم أحد، و ليس إذا عافى الله نبيه وقتا و جب أن يعافيه في كل وقت بل قد يمتحنه بالمرض في وقت و يكلفه الصبر، و كذا ينصر وقتا بالملائكة و يخليه من ذلك وقتا آخر فتشدد محنته و يلزمه الصبر؛ و إنما يسأل عن هذا من ادعى أن الله ينصر أنبياءه في جميع مواطنهم بالملائكة، و هذا سؤال يذكره ابن الراوندى بعد موافقته أبى عيسى الوراق و ابن لاوى اليهودى، و أمثالهم من الملحده و أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هذا غاية كيدهم، و قد بذلوا جهدهم و استفرغوا وسعهم فما فضحوا بذلك إلا أنفسهم، و لو سكتوا لكان أستر لهم، و لو آمنوا لكان خيرا لهم، لتعلم أن الإسلام نور لا يطفأ، و أن مطاعن الخصوم فيه لا تزيد إلا قوة كالذهب الذى لا يكلف و كلما سبكته و عرضته على النار زاد جودة و صفاء. و قد كان أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم في زمانه من قريش، و اليهود و النصارى أكبر عقولا و أشد كيدا و أكثر شغلا بالتتبع على رسول الله صلى الله عليه و سلم و طلب عثراته و لهم فضل المشاهدة، فلو وجدوا مطعنا لسبقوا إليه و لوافقوا عليه، فقد كان ينبغى لهؤلاء المتأخرين من أعدائه أن يعملوا هذا فيمسكوا، و لكن الجهل و الغباء قد سد مسامعهم و غطى على أبصارهم، و يأبى الله إلا فضيحتهم و هتيكتهم؛ و هم لم يسألوا عن الآيات التى كانت تنذر و لا عن المواعيد التى تقدمت بها قبل كونها مع كثرة ذلك و اعتداد الله به، و ما سألوا إلا عن الملائكة ليأسهم من تلك/ و طعنهم في هذه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٨

و قد تبينت خيبة أملهم في هذه أيضا و في شهود الملائكة مع ما قدمنا من الدلالة.

أخبار من ذلك: أن رجلين من مزينة من الكفار كانا على جبل ينظران على من تكون الهزيمة، فقال الباقي: و كنا نحب أن يكون على قريش لأنهم أكثر أموالا- و متاعا فنصيب منه فراينا سحابة قد أقبلت، و قائل يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمى فإنه انكشف قناع قلبه فمات، و أما أنا فتماسكت، فأتى النبى فأخبره بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حيزوم اسم فرس الملك «١».

و من ذلك أن حكيم بن حزام لما أسلم و قد كف بصره و كان يوم بدر مع الكفار قال: لو كان بصرى صحيحا لأريتكم الوادى الذى خرجت علينا منه الملائكة.

و من ذلك أن أبا تميم الأسلمى لما رأى الحارث بن هشام يصير إلى مكة داخلا و قد انقطع فرسه فسأله عن الخبر فقال «٢»: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق تطير بين السماء و الأرض فانهمنا.

و من ذلك أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب لما قدم مكة منهزما قال له أبو لهب: إلى أين يا ابن أخى فعندك لعمري الخبر فقال: يا عم قتل الناس، قال له أ كانوا أكثر منكم، قال: لا، و لكن رأينا رجالا بيضا على خيل بلق

(١) كتب في هامش الأصل: الحيزوم اسم فرس الملك.

(٢) أما أبو تميم الأسلمى فهو حمزة بن عمرو بن الحارث الأسلمى، صحابى كان كثير العبادة شهد فتح افريقية توفى سنة ٦١ هـ.

و أما الحارث بن هشام فهو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي، كان شريفاً في الجاهلية و الإسلام، شهد بدرًا مع المشركين و أسلم يوم فتح مكة توفي سنة ١٨ هـ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٠٩

تطير بين السماء و الأرض، فلما رأيناهم انهزمنا، قال أبو رافع مولى العباس ابن عبد المطلب و كان مسلماً: تلك الملائكة فوثب عليه أبو لهب فضربه.

و من ذلك خبر أبي داود المازني قال: بينا أنا أبتغي خلف رجل من الكفار إذ سقط رأسه بين يدي من غير أن أضربه، و قد كان المسلمون لما رأوا كثرة المشركين و عدتهم و بأسهم و ضعف المسلمين و قتلهم قالوا: يا رسول الله قد تخلف عنك خلق من المسلمين بالمدينة لم يخرجوا لأنهم لم يظنوا أنك تلقى عدوا تقاوتهم/ وإنما ظنوا أنك تلقى غير قريش، و لسنا نأمن جولة العدو، فإن رأيت يا رسول الله أن نبني لك عريشا تكون فيه، فأجابهم إلى ذلك و قال: اتخذوا لي عريشا تسعني و صاحبي، و أخذ بيد أبي بكر الصديق فأدخله معه العريش، و جعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه، و طالت مناجاته ربه: ربّ ما وعدتني، ربّ إن تهلك هذه العصاة لم تعبد في الأرض، فاحتضنه أبو بكر من ورائه و قال:

بأبي أنت و أمي مناشدتك ربك، فو الذي بعثك بالحق لينجزن الله لك ما وعدك.

و جعل رسول الله يخبر أبا بكر بما يأتيه به جبريل و الملائكة، و يقول له: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله و عون، هذا جبريل معتمرا بعمامة آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناء النفع، و هذه الملائكة قد سومت.

فأمر الملائكة عليهم السلام، و حضورهم يوم بدر، و قتال من قاتل منهم، من الأمور المشهورة، و قد قدمنا قبل هذه الأخبار دلائل العقل على ذلك، و قوله عز و جل: «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» (١) فقلل المشركين في أعين المسلمين ليتجزءوا عليهم و لئلا يهابوهم، و قلل المسلمين في أعين المشركين ثم ملأ

(١) الأنفال ١٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤١٠

قلوبهم رعباً منهم ليكون ذلك آيةً للفريقين. و قد كان المشركون من قريش خرجوا من مكة على خيولهم مستظهرين و وعيدهم أن يغلبون كل من يلقونه و لا غالب لهم من الناس، فلما نجت غيرهم ذات الأموال، قال عتبة بن أبي ربيعة: ننصرف فقد نجت عيرنا من محمد و أصحابه، فقال أبو جهل:

لا ننصرف و نقيم و نجزر الجزور و نأكل و نطعم الناس و نأخذ محمداً و أصحابه فإنهم في ضعف و قلة، فلما التقى الجمعان و رأوا قلة المسلمين و ضعفهم/ رهيوهم و زال ما كانوا يظنون.

و قد ذكر الله للمسلمين أمرهم فقال: «و لا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَ رِئَاءَ النَّاسِ وَ يُصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ. وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لا- غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ» (١) إلى آخر القصة و لعظم الآيات بدر ما أذكر الله بها في كل موضع، فقال عز و جل في سورة آل عمران: «وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَ اللهُ وَ إِلَيْهِمَا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» إلى قوله: «لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوهُمُ خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» (٢) معطوف على قوله: «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» أي ليس لك و لا لغيرك شيء من هذا النصر، و إنما هو من الله وحده في إنزال الملائكة و فيما ألقى من الرعب و فيما غشى من النعاس و فيما بلغ من الرمي و غير ذلك. و كان المشركون مغيطين و حنقين و محفظين يتمنون أن يبرز إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و أصحابه لا يشكون في أنهم إذا وقعت عيونهم عليهم اصطلموهم و استأصلوا الإسلام و شفوا غيظهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سلم فجاءهم ما لم يحتسبوا.

(١) الأنفال ٤٨

(٢) آل عمران ١٢١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤١١

و باب آخر [حول موقف اليهود والنصارى و عبد الله بن أبي سلول]

من آياته و هو أنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم لما نزل بالمدينة و دعا إلى ربه و بها و حولها من اليهود و خلق كثير، فدعاهم و وعظهم و بين لهم، فرجع الرؤساء و الأتباع و تواصلوا بالانحراف عنه و بالصد و بالقصد له، و كان عددهم كثيرا و شوكتهم شديدة، فمشوا في الأوس و الخزرج في الصد عنه، و مالوا إلى عبد الله بن أبي سلول، و كان الأوس و الخزرج على أن يملكوه عليهم إلى أن جاء الإسلام فانتقض ما عزموا عليه. و كانت اليهود تدعى أنها على بصيرة/ من أمرها، و أن الجنة لها، و أن نعيم الجنة خالص لها، فأخبر الله نبيه أنهم ليسوا من أمرهم على يقين كما يدعون، و أن رهبتهم لكم شديدة، و أنك إن دعوتهم إلى تمنى الموت لا يتمونه، فقال: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». ثم قال: «وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ» (١) «أَيَّدَا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَ لَتَجِدَنَّاهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ» (٢) «إلى آخر القصة. ثم أعاد هذا التقرير و التوبيخ في سورة أخرى و في زمان آخر فقال: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». ثم قال: «وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَيَّدَا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» (٣). فما تمنوه أبدا مع هذا الاقتضاء و المطالبة التي تعيظ و تغضب، و مع شدة عداوتهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و حرصهم على تكذيبه و فضيحته و زلة تكون منه، و قد بذلوا في ذلك دماءهم و أموالهم و أولادهم و حاربوه

(١) في الأصل: فلن يتمونه

(٢) البقرة ٩٤-٩٥

(٣) الجمعة ٦-٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤١٢

و أعانوا عدوه عليه، و تكلفوا كل شدة و كل مشقة في ذلك و ما أقدموا على تمنى الموت مع سهولته و قربته، و هو أن يقولوا: ليتنا متنا. و هذه الآيات العظام و الأعلام الكبار الهائلة الواضحة المكشوفة الباهرة القاهرة التي ما فكر فيها عاقل إلا ملأت قلبه علما بنبوته صَلَّى اللهُ عليه و سلم و صدقه، و بهرت عقله، فإنك ما تدري أمن إقدامه صَلَّى اللهُ عليه و سلم على الإخبار عنهم بأنهم لا يتمنون ذلك مع خفته و سهولته و مع علمه بشدة حرصهم على تكذيبه و فضيحته تعجب، أم من إجماعهم عن ذلك مع شدة حاجتهم إليه. و لم يقل هذا من عندي و لا من مولى/ بل هذا من قول الله ربي و ربكم و إلهي و إلهكم و العالم بسرهم و جهرهم، فجعله كتابا يقرأ و قرآنا يتلى، ليكون أشد و أغيب و أبلغ في الحجّة و أظهر في التنبيه، و لتعلم أنه ما قال هذا لهم إلا و هو عالم أنهم لا يتمنونه. و هو أعجب من قوله للعرب أنكم لا تأتون بمثل هذا القرآن، و هذا مقام لا يقومه مثله مع عقله و عظم دعاويه إلا مع اليقين، لتعلم ثقته بربه جل و عز و سكونه إلى ما يوحى إليه.

و قد تحيرت الملحدة و أعداء رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و تاهت عقولهم عند هذه الآيات، فهم يلعنون العرب لم لم يأتوا بمثل هذا القرآن، و كون اليهود لم لم يتمنوا الموت فيكذبونه فيستريحون و نستريح. و هذا يقوله مثل الحداد و صاحبه أبي عيسى قبحهم

الله.

فمرة يقولون: كانوا جهالا بلها فقيل لهم ما قد تقدم ذكره من أن من رمى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش واليهود والنصارى بالجهل والغباء فهو كمن رماه صلى الله عليه وسلم بذلك. و مرة يقولون: قد كانوا عقلاء و فطناء و لم يكونوا أهل جدل و نظر فيعرفوا مثل هذا، قلنا: لو كانوا مثلكم في النظر و الجدل لعمت قلوبهم كما عمت قلوبكم. و بعد فما حاجتهم إلى جدلكم و نظرهم ليعرفوا ما دعاهم إليه صلى الله عليه وسلم و هم بهذا أعلم الناس، و هو شيء يعرفه الرجال و النساء

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص٤١٣

و الصبيان من كل أمة، فإن من استعالي على خصمه بأنه لا يأتي بمثل ما أتى من كتابه أو سباحه أو فصاحه أو خطابه أو شعر فإنه قد عرف الوجه في ذلك، فإن الصبي يقول لقربيه: أنت لا تحسن تكتب كما أكتب و لا تحسب كما أحسب و لا تطفر هذا الجدول كما أظفر، فإن خصمه يدرى ما أراد منه و بأى شيء قد طالبه/ و ما الوجه في مغالته و إكذابه، و كذا تمنى الموت قد عرفته اليهود و عرفوا كل أحد منهم ما أراد صلى الله عليه وسلم.

فذكر ابن الراوندى أن الوراق كان يقول: إنما لم يتمنوا الموت لأن اليهود و النصارى كانوا يؤمنون بموسى و غيره ممن كان يدعى النبوة، و قد أخبر هؤلاء في كتبهم بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقدموا على التمني لهذا. فقيل له: فهذا يدل على نبوة أولئك و نبوة محمد جميعا فقد لزمكم القول بكتبهم أجمعين، و أنتم تنكرون ذلك كله. قال: إنما إخبار هؤلاء عن مجيء محمد صلى الله عليه وسلم كما يخبر المنجم عن ما يكون، فيقولون ذلك. قيل له: و متى كان مثل هذا في أخبار المنجمين أن يخبروا عن مثل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم، و فى أى زمان يجيء، و بأى شيء يجيء، و من أى بلد يجيء، و من أى جيل، هو و ابن من هو، على التفصيل الذى جاء به، مثل هذا لا يكون فى أخبار حذاق المنجمين و لا ما يقاربه و لا ما يدانيه، و إنما يتفق لهم الإصابة فى شيء مجمل قليل يسير بعد أن يكذبوا و يخطئوا «١» فى ألف شيء، فيتفق ما يتفق لهم من ذلك بطريق التجارب و الزجر، كما يتفق للصبيان من الإصابة فى إخراج الزوج و الفرد و فى اللعب بالخاتم، بل ما يتفق للصبيان فى الإصابة أكثر و أسرع و أحسن و أبدع، و كذا ما يتفق للقوابل فى أن الحمل ذكرا أو أنثى، و كذا ما يتفق لمن يزجر الطير و يضرب بالحصا، و كذا ما يتفق للمتفائلين بالثعلب و المتطيرين باليوم و لمن يزجر الطير، فكذب المنجمين

(١) فى الأصل «يكذبون و يخطئون».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص٤١٤

و خطئهم أكثر من كل كبير، و هو شيء لا يستنكر، و هم يعترفون بهذا فيقولون: لا تعجبوا من خطئنا و لكن اعجبوا من / صوابنا، و إنما صوابهم كمجنون نطق بحكمه، أو صبي أتى بنادرة، فإن الناس يحفظون ذلك و يعجبون به لأنه أتى من غير معونه، و لا يحفظون ما يكون من المجانين و الصبيان من الجهل و الكذب، فكذا ما يكون من المنجم، يخطئ فى ألف شيء و يكذب فى ألف شيء فلا يحفظ عليه لأن ذلك غير منكر منه، فإذا اتفق له الصواب فى شيء واحد تعجبوا و حفظ لقلته من مثله و لأنه أتى من غير معدنه. و على أن الناس يكذبون المنجمين و يدعون لهم ما ليس لهم و لا فى صنعهم، و يضايقون الأنبياء و يتعنوهم، و قد تقدم قبل هذا شيء على المنجمين فارجع إليه.

ثم قال هؤلاء الزنادقة: إنما لم يتمنوا الموت لأنهم لو تمنوه بألستهم لقال إنما عنيت أمنيء القلوب، فإن قالوا له: قد تمنينا بقلوبنا، قال لهم: قد أخبرنى جبريل أنكم لم تفعلوا ذلك.

قيل لهم: قد حصلوا لنا غير متمنين بألستهم، و انتقضت العادة و قامت الحجة و ظهرت البينة، و حصلتم تعلقون ما لم يكن و ما لم يقع، و قد كنتم نسبتهم اليهود فى تركهم التمنى إلى البله، و الآن فقد نسبتهم إلى التميز و التحصيل و إلى غاية الذكاء و الفطنة، و من هذه

مرتبته كانوا يقولون له: أنت قلت لنا لن نتمنى ذلك أبداً وها قد تمنيناها وهذا إكذاب لخبرك ظاهر بين. فرجوعك إلى ما في القلوب هو الانقطاع على أنك قد نفيت التمنى منا نفياً عاماً لما كان منه باللسان و ما كان منه بالقلب، فإذا تمنيناها باللسان فقد أكذبناك و قد أفضحناك و قامت حجتنا عليك، و قولك بعد هذا أن جبريل أخبرك أنا ما تمنيناها بقلوبنا قدح منك لأننا نحن نقول لك: إن جبريل ما أتاك و لا يأتيك فكيف يكون دعواك حجة علينا. فتعلم بهذا/ بطلان كيد الخصوم في توكلهم لليهود تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤١٥

بعد أربع مائة سنة، و بعد فكيف لم يقولوا له: أى الأمتين أخبرت إنا لا نفعلها لبيسوا للناس أنه لا حجة عليهم فيما أخبر به عنهم فى أنهم لا يتمنون الموت مع حرصهم على تكذيبه و إبطال حجته.

و باب آخر [محاولة اليهود قتل الرسول بالصخرة و اخباره تعالى بذلك]

من آياته صلى الله عليه و سلم، أنه مضى و معه أبو بكر و عمر إلى اليهود فى بعض الشآن، فلما جلسوا أرسل اليهود من يلقى عليهم صخرة لتقتلهم فلما صعد رسول اليهود لذلك أذره الله عز و جل فنهض من ساعته و قال لأبى بكر و عمر: قوما إن هؤلاء قد أرسلوا من يلقى علينا ما يقتلنا، فحجل اليهود لذلك. و فى ذلك يقول الله ممثلاً عليهم: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (١) و هى قصة معروفة، فلماذا جاز الامتنان بها، و لا يجوز أن يمتن و يقول مثل هذا إلا لما هو مشهور معروف عندهم سمعه الولي و العدو.

و باب آخر [توعد اليهود و النصارى فى وقت كثر فيه ممالئوهم]

من آياته صلى الله عليه و سلم، و هو أن قوما من المنافقين و ممن فى قلوبهم مرض و ضعف يقين و قلبه بصيرة كانوا يمالئون اليهود و يتوددون إليهم، فيقال لهم: لا تفعلوا هذا، فيقولون: الصواب لنا و لكل عاقل أن يفعل ذلك، فإننا لا نأمن أن يكون لليهود دولة فيصيبنا منهم دائرة، و هم كثرة و لهم نجدة و بأس و شدة، فأنزل الله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْذَرُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

(١) المائدة ١١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤١٦
وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى (١) من تولاهم فإنه منهم فى الكفر لا من المؤمنين، إن الله لا يهدى القوم الظالمين أى لا ينجيهم من العذاب و لا يوصلهم إلى الثواب. ثم قال على نسق الكلام: «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ / يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ» ثم قال:

«فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ» (٢) و الفتح هو نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم عليهم و غلبته لهم، فوعده بذلك ثم أنجز له و وفى له، و عسى من الله و أحبه. فواقع رسول الله صلى الله عليه و سلم اليهود وقائع كثيرة فنصره الله عليهم، و ندم أولئك المنافقون فى إسراعهم فيهم كما قال و كما أخبر. و قال المؤمنون حين رأوا غم المنافقين بما نزل باليهود و بما آتاه الله من نصر نبيه صلى الله عليه و سلم: «أ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ» (٣).

و فى هذا آيات عظيمة و أخبار بغيوب كثيرة أخبر بها قبل أن تكون على وجه يغضب و يغضب و يبعث العدو على استفراغ وسعه و بذل مجهوده فى تكذيبه و فى أعمال حيله فى أن لا- يتم ما قال و ما أخبر، خلافاً (٤) لتدبير عقلاء البشر، فإنهم لا يظهرون لعدوهم وجوه

مكايدهم لئلا يسبقوهم إليها، و لئلا يتحرروا منها، لتعلم أن هذا تدبير الله الغالب لكل شىء، الذى لا يغلبه شىء، و أن هذا القرآن كلامه و قوله لا كلام أحد من البشر. و كان ميل أولئك إلى اليهود فأنزله الله هذا فى اليهود و فى النصارى، و نصر المسلمين عليهم أجمعين، و كانت

(١) المائدة ٥١

(٢) المائدة ٥٢

(٣) المائدة ٥٣

(٤) فى الأصل: خلاف.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤١٧

وقائع المسلمين مع النصارى أكثر، و كان بأس النصارى أشد، و عددهم أكثر، و مدة محاربتهم أطول، فكانت العقبي للمسلمين.

و باب آخر [أخباره تعالى عن المرتدين و أنه سيأتى بقوم يحبهم و يحبونه يجاهدون فى سبيله]

من آياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و دلائل نبوته، و هو قوله عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

فأخبرهم أن من ارتد منهم عن دينه أتى الله بمن يغلبه و يقهره، فلما قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدت القبائل الكبيرة من العرب عامة و خاصة على وجوه من الردة كما قد تقدم شرح ذلك، فشمروا أبو بكر الصديق لحربهم، و أرسل المهاجرين و الأنصار على قتالهم، و قاموا على ساق، فقهرهم و أذلهم و غلبهم و ظهرت كلمة الإسلام فكان العز للمسلمين، و هذا من الآيات العظام، فانظر كيف قال عز و جل لهم بالمواجهة: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ» (١) و لم يقل: من يرتد عن دينه، فكانت عدة تحتمل التسوية بل قال: «مِنْكُمْ».

و فى هذا غيوب كثيرة، فإن القبائل التى ارتدت تلك الأنواع من الردة كانت كثيرة و لها بأس و شدة كما قد تقدم ذكر ذلك، و فى هذا أيضا تأكيد لإمامة أبى بكر الصديق، و أنها حق و هدى و صواب و رشاد و دين لله، و قد وصفه الله و من معه بأنهم يحبون الله و أن الله يحبهم، و أنهم يخضعون و يذلون للمؤمنين و أنهم يستعلون و يشتدون على الكافرين، و أنهم يجاهدون فى سبيل الله

(١) المائدة ٥٤.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤١٨

و لا يخافون أحدا و لا يراقبون أحدا و لا يهابون فى الله مخلوقا و أن هذا فضل من الله ساقه إليهم و خصهم به، و هذه صفات أعلى المؤمنين درجة عند الله، فلو لم يقف من غلط من اتهمهم و رماهم بالريب إلا من هذا الوجه لكفى و أغنى و زاد على الكفاية (١). و لو كان أبو بكر رضى الله عنه و أصحابه ارتدوا و كفروا كما زعم هؤلاء و ادعوا لأتى الله بمن يقهرهم و يغلبهم، و إلا كان خبر الله قد كذب و أخلف و حاشا لأخبار الله أن تكون كذلك. و عند هؤلاء الزنادقة أن هؤلاء الصحابة قد ارتدوا، و أنهم أعداء الله و أعداء رسوله و أن أمير المؤمنين و نفرا كانوا معه على الإسلام مغلوبين مقهورين بالاذلال و المكروه، و أن أبى بكر و عمر و عثمان و المهاجرين و الأنصار كانوا يعزون المشركين و أعداء الدين و المرتدين و المبدلين و المغيرين و يذلون المؤمنين، و هذا ضد التنزيل و تكذيب لقول الله فيهم كما قد شرحه الله و بينه فى الآية و أظهره من ضمائر هؤلاء و نياتهم. و على ما يقوله الخصم كان

ينبغي أن يكون التنزيل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهَ بِقَوْمٍ يَبْغِضُونَهُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ فَهَذِهِ صِفَاتِهِمْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْخَصْمِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى.

والذى عند العلماء، أن عليا رضى الله عنه كان فى أيام هؤلاء أعز المؤمنين وأجلهم وأعلاهم، نافذ الأمر مسموع الغلب، مثلهم فى سلطانه؛ و به قام سلطان أبى بكر وأمثاله من المؤمنين، وقد تولى لأبى بكر أتعاب المدينة، وتولى له أموال رسول الله، و سار معه إلى الربذة وإلى ذى القصة، و غزا معه، و أشار عليه بتلك الآراء، و رده إلى المدينة وأطاعه حياته و بعد موته، و نفذ وصيته فى عمر. و كان رضى الله عنه يضرب المثل لأصحابه، و أنه كان

(١) كتب فى هامش الأصل «تشنيع على الروافض».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤١٩

فى سلطان أبى بكر و عمر أنفذ قولاء و أن أولئك كانوا أعرف بحقى منكم، و أنى لو كنت الخليفة فى زمانهم لكانت طاعتهم إلى أحسن، و كان يقول لعدوه مثل ذلك، و لقد كتب إلى معاوية يتمنى أولئك الذين مضوا من المهاجرين و الأنصار فقال: «١»
لو أن عندى يا ابن حرب جعفرأو حمزة الليث الهمام الأزهرأ

أو أن لى صديقها أو عمرا أو من أولئك السابقين معشرا رأت قريش نجم ليلى ظهرا و الخصم فى زمانك هذا يقول: ما أسلموا قط و لا لهم إسلام، و أنهم ما زالوا أعداء المسلمين، و الذى يعرف أهل العلم و التحصيل أنهم كانوا خاصة رسول الله صلى الله عليه و سلم/ و بطانته، و أمناءه و ثقاته على نفسه و أهله و دينه، و أنه كان يحبهم و يودهم و يجعلهم و يعزهم و يواليهم. و أنه قد فرض محبتهم و موالاتهم و أوجبها على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة. و العلم بهذا قبل العلم بنبوته، و هو كالعالم بأن عقبه بن أبى معيط، و العاص بن وائل، و الوليد بن المغيرة، و النضر ابن الحارث بن كلدة، و أبى بن خلف، و أمية بن خلف، و عتبة بن ربيعة، و شيبه بن ربيعة، و أمثالهم، كانوا أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنه قد فرض بغضهم و البراءة منهم إلى يوم القيامة. فما يحتاج فى هذا إلى تلاوة آية و لا إلى رواية خبر، و إن كان القرآن مملوءا بذلك، و الحديث مستفيضا به. فإن فعلت ذلك فمن طريق الزيادة فى الحجته و المظاهرة بالبينه. و لحكاية تلك الألفاظ عمل الناس الكتب فى تفضيل القرآن و إن كانوا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يفضلهم و يجعله، و كما عملوا الكتب فى تفضيل شهر رمضان و إن كانوا يعلمون أن

(١) كتب فى هامش الأصل: «من شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٢٠

رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يفضلهم، و كما عملوا الكتب فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و فى الجهاد فى سبيل الله، و كما عملوا الكتب على المبتدعين من أهل القبلة بأن القديم الأزلى هو الله وحده، و أنه لم يزل موجودا حيا عالما قادرا غنيا و لا يزال كذلك، و أن جميع ما خلقه و فعله و قضاه و قدره و شاءه و أراداه و صنعه و دبره و رضيه و أحبه و أمر به و دعا إليه فكله حق و صواب و عدل و حسن من جميع وجوهه، أين كان و فىمن كان، و أنه يجب على العباد قبوله و الصبر عليه و الرضى به و التسليم له سواء كان شدة أم رخاء، و أن الكفر بالله و شتم أنبياء الله و تكذيب رسل الله و جميع المعاصى قبيحة، فتلوا فى ذلك آيات القرآن و ذكروا ألفاظ النبى صلى الله عليه و سلم/ لما ذكرنا، فاعرف هذا، فالعلم بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم مدح أبى بكر و عمر و تلك الجماعة من السابقين أقوى من العلم بأنه مدح أحدا و أثنى عليه، أو أنكرا أن يكون أبو بكر و عمر و عثمان و على و تلك الجماعة مدحوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أعظموه أو صلوا خلفه، و إنما ذكرنا هذا للحاجة إليه و لأن الناس قد أكثروا فيه فى

هذا الزمان فما يستغلون الآية.

و باب آخر [حول غزوة أحد]

من آياته صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و هو أن قريشا و العرب تجمعوا و أعدوا الخيل و الرجال و السلاح و قالوا: نسير إلى محمد فنقتله و نقتل أصحابه و نأخذ بثأرنا يوم بدر. فساروا في ثلاثة آلاف، و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم ندعهم حتى يردوا المدينة؛ فقال قوم من الأنصار قد أصابوا زروعنا فنخرج إليهم فنلقاهم وراء المدينة، فصار رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم إلى رأيهم و سار. ثم فكروا و قالوا: نأخذ بما أشار به رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و نقاتلهم في المدينة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم: ما كان لي أن ألبس لامتي فأرجع حتى ألقى العدو. فخرج في سبعمائة و فيهم عبد الله بن أبي

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢١

سلول و أمثاله ممن في قلبه مرض، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم: ستكون فيكم مصيبة، و ذاك أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم رأى في المنام أن بقرا تنحر فتأوله قتلا في أصحابه، و رأى أن سيفه ذا الفقار قد انفصم فكان قتل عمه حمزة رضي الله عنه، و رأى أن كبشا أعين قتل فتأوله كبش الكتيبة فكان عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين. فلما صاروا بأحد التقوا مع المشركين عبأ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم أصحابه قال لهم: إنكم ستتهزمونهم، و أقام الرماة من أصحابه في موضع خاف أن يدخل المشركون منه فيصيروا خلف العسكر، و أمر عليهم عبد الله بن جبير، و قال لهم: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى بلغنا بهم بموضع بعيد فلا تبرحوا أنتم، فانهم المشركون كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و وضع المسلمون فيهم السيف يقتلونهم، و نظر الرماة إلى الهزيمة فتركوا مراكزهم و اتبعوا العدو و اشتغلوا بالغنائم و ثبت أميرهم مع طائفة و قال: و الله لا أعصى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فلما زال الرماة عن مكانهم دخل المشركون و صاروا من ورائهم و نادى مناديتهم بصوت عال: قتل محمد و قتل ابن أبي قحافة و قتل ابن الخطاب. و انصرف عبد الله بن أبي سلول بمن معه، و انهزم المسلمون، و بقى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم مع نفر يسير، فما برح و ما برحوا مع قتلهم و كثرة المشركين، منهم أبو بكر و عمر و علي و طلحة و أبو عبيدة و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص و نفر من الأنصار؛ و أقبل أبو سفيان بأصحابه نحو الجبل الذي فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و نفر الذين معه فصرفهم الله فلم يقدموا عليهم، فنأدى أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب، فما أجابه أحد فقال: قتل هؤلاء، فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه، فقال: أجبه، فقال أبو سفيان:

اعل هبل، فقال عمر: الله أعلى و أجل، قال أبو سفيان: لنا العزى و لا عزى لكم، فقال عمر: الله مولانا و لا مولى لكم، قال أبو سفيان:
الأيام

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٢

دول، و الحرب سجال، و أحد بيدر، و حنظلة بحنظلة، يعنى ابنه حنظلة.

فقال له عمر: و لا سواء، قتلتنا في الجنة يرزقون و قتلكم في النار يعذبون، فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب أسألك عن شيء فأخبرني، فقال: قل، فقال:

أما أنت فحيّ، سألتك بالله أم محمد حيّ و ابن أبي قحافة حيّ، قال: نعم، و رسول الله يسمع كلامك و لك منه ما تكره، فقال أنت أصدق، فإن ابن قمئة أخبرني أنه قتل «١». فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم اللهم أقمه في الدنيا قبل الآخرة، فاعتقل عنزا ليحلبها فنطحته فمات.

و في هذه الوقعة يقول الله عز و جل: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ» أى تقتلونهم «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» «٢» إلى آخر القصة.

فتعلم أنه لا يسوغ ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لهم: قد كنت وعدتكم أن تقتلوهم وقد صدقتكم فيما وعدتكم وأريتكم ما تحبون ثم عصيتهم أمرى وخالفتم وصيتى وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذب فى جميع ذلك، فكيف بمن يدعى النبوة والصدق فى جميع ما يقوله ويخبر به.

وقوله: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَهُ» إلى قوله: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ» يعنى أولئك الذين أدخلوا المراكز (٣) و اشتغلوا بالغنيمه «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا

(١) هو عبد الله بن قميئة الليثي: جرح و جنه الرسول فى أحد فدخلت حلقتان من حلق الدرود فى و جنته، و انظر لهذه المحاوره سيره ابن هشام ٩٣-٩٤

(٢) هذه الآيات و ما بعدها من سورة آل عمران ١٥٠-١٥٤

(٣) فى الأصل: أدخلوا بالمراكز.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٣

بِعَمِّ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١) ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنه نعاسا يغشى طائفة منكم». وهذه أيضا من الآيات بأحد، فإن النعاس غشيهم كما غشيهم بيدر، فى الموضوع الذى يطير فيه النعاس؛ و الذى يدللك على كونه امتنان الله عليهم به و لا يجوز أن يمتن عليهم بذلك و العدو و الولي يسمع هذا الامتان، و هو أمر لا أصل له و هو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذبهم فى ذلك. إلى قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ/بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ»، و قال لنيبه عليه السلام: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» فأمره بالاستغفار لهم و أن يعود لهم إلى حالهم فى مشاورتهم، فإن المشورة فيما لم ينزل به قرآن مستحبه حسنه. و الذين أشاروا من الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تكون الحرب خارج المدينة كان لهم أن يشيروا بذلك، و كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ برأيهم؛ و لقد اجتهد أعداء عثمان فى أن يجدوا له عيبا فما قدروا عليه مع طول المخاطبه، فقال له قائل منهم: أنت ممن تولى يوم أحد فقال له عثمان: فلم تعيرنى بذنب قد غفره الله، أ ما سمعت قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» إلى آخر الآيه. و فكر فى معنى قوله عز و جل: «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أُنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (١) أى بذنبكم و تقصيركم و ترككم الموضوع الذى قال لكم نبيكم صلى الله عليه وسلم سنهزمهم فلا تتركوا مركزكم و لا تمسوا غنائمهم حتى تفرغوا. و قد كانوا يوم بدر

(١) آل عمران ١٦٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٤

قتلوا سبعين و أسروا سبعين، فهذا قال لهم: «قد أصبتم مثلها» لأن القتلى من المسلمين كانوا يوم أحد سبعين فهذا قال لهم: «قد أصبتم مثلها» لأن القتلى من المسلمين كما ذكرنا. فتأمل ما تقرأ و أطل الفكر فيه تقف على المراد به، فإن الذكر للقصة بأحد من قوله: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» إلى قوله: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ».

فتأمل طول هذه المراجعة و الموافقة للمؤمنين على الوفاء بما ضمنه لهم، و على الصدق فيما أخبرهم و فيما كان من تقصيرهم،/ فكم فيه من آيات و دلالات.

و انظر إلى هذا الادلال بالحق و الاستطالة على العدو و الولي بالحجة حتى ما يستطيع العدو المكاشف أن يدفع شيئا من ذلك.

و انظر إلى المواقفة و المناظرة التي كانت بين عمر و بين أبي سفيان، هل قدر أبو سفيان و أصحابه و هم يناظرون المسلمين من عسكرهم أن يقولوا:

إن محمدا كذبنا في كذا و أخلف في كذا و كيف تطيعونه و تفارقون أديانكم و بلدانكم و تقتلون أنفسكم لرجل هذه سبيله و ما أشبه ذلك، و هذا موضع حاجتهم إلى ما هذه سبيله.

و انظر إلى أهل الردة على طبقاتهم، فقد كانوا أشد الناس عداوة لأبي بكر و قد نال منهم كل منال و قتلهم كل قتلته، فما استطاع أحد منهم أن يقول له: و أنت فقد بدلت دين محمد و نقضت عهوده فكيف أنكرت علينا ما صنعنا، و لم تقتلنا لأننا منعنا الزكاة، و هذا موضع حاجتهم إليه و حاجتهم عليه، و لتعلم أنه لم يكن فيه مغمز كما لم يكن في رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم. و لما رجع المشركون من أحد و صاروا بالروحاء «١»، أقبل بعضهم على

(١) معجم البلدان ٣: ٧٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٥

بعض يتلاومون، و أنهم صاروا في عسكر عظيم و هم لا- يشكون في أنهم يقتلون رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و يستأصلون الإسلام، فخاب أملهم و اختلفت أقوالهم و قالوا:

لا محمدا قتلتم و لا كواعب أردفتنم فبئس ما صنعتم.

و قد كان أبو سفيان نادى أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قبل انصرافه من أحد:

ما بيننا و بينكم موسم بدر الصغرى نلتقى بها، فقال النبي صَلَّى الله عليه و سلم لمن كان يجيبه من الصحابة: قل نعم إن شاء الله، فلما حضر الوقت تعذر على أبي سفيان الخروج للوعد أو كرهه، فأتى نعيم بن، مسعود فقال له: إني و اعدت محمدا و أصحابه أن نلتقى بموسم/ بدر الصغرى و قد بدا لي أن لا- أفعل، و أكره أن يخرج محمدا و أصحابه و لا أخرج فيزيدهم ذلك جرأة، و لأن يكون الخلف من قبلهم أحب إليّ، فلك عشرة من الإبل إن حبستهم عنى. فقدم نعيم على أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و هم مجهزون فجعل يثبطهم و يخوفهم و يذكر أن أبا سفيان قد جمع لهم الجمع الكبير، و أنهم إن خرجوا لم يفلت منهم أحد. و جعل يريهم النصح لهم و الإشفاق عليهم، فما قبلوا و بادروا و قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل. و خرجوا و تخلف أبو سفيان عن الوعد و فيهم نزلت: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» «١» الآية.

فتأمل خيبة المشركين و خلف أقوالهم و حيرتهم مع كثرتهم، و صدق جميع ما وعدهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و جرأة المسلمين مع قتلهم و فقرهم و شدة الأمر عليهم.

(١) آل عمران ١٧٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٦

و باب آخر [دعوة الرسول لنصارى نجران للمباهلة و خضوعهم له]

من أعلامه صَلَّى الله عليه و سلم، و هو أن نصارى نجران و غيرهم من النصارى دعاهم إلى الإسلام فقالوا: أسلمنا قبلك فكذبهم في قولهم بأنهم قالوا: لله ولد، و عظموا الصليب، و أكلوا الخنزير. فقال شيخ منهم كبير فيهم: من أبو عيسى؟

فسكت النبي صَلَّى الله عليه و سلم و كان لا يعجل حتى يأمره الله، فأنزل الله عز و جل «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ» إلى قوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ

اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١) فقرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ذلك، ثم دعاهم إلى المباهلة وأخذ بيد الحسن والحسين وعلی و فاطمة رضوان الله عليهم. فقال واحد منهم لمن معه من النصارى: أنصف الرجل، و تشاوروا و قال قائل منهم: إنه لصادق و لئن باهلتموه ليحرقن.

فقالوا له: لا نبارزك، و كرهوا الإسلام، و أفرروا بالجزية، و سألوه أن يقبلها منهم فأجابهم إلى ذلك، و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «و الذى نفسى بيده، لو باهلونا (٢) لأضرم الله عليهم الوادى نارا، فرضوا بالجزية و انصرفوا بالخزى.

فانظر إلى هذا الاحتجاج فى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، احتجاج غير متكلف و لا- متعمل و لا- مخالط للمتكلمين و لا هو فى بلد الجدل صنعتهم. فأشار لك بهذه الإشارة التى هى من جوامع العلم و مفاتيح الحكمة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوتيت جوامع الكلم و اختصر لى اختصارا» فإن خلق آدم من أكبر الحجج على النصارى، و خلقه أبداع، لأنه خلق من غير ذكر

(١) آل عمران ٥٩-٦٢

(٢) انظر لتفصيل هذه المباهلة سيرة ابن هشام ٢: ٥٧٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٢٧

و من أنثى و أكمل الله له قوته و أدواته و عقله و تميزه ضربة واحدة، و تولى الله عز و جل مناجاته و تأدبه و تعليمه بنفسه دون كل أحد من خلقه.

و على كل حال فالمسيح قد تقلب فى الحشا كالأطفال، و خرج من الفرج و كانت أمه تحتاج إلى آية فى أنه مولود من غير ذكر، و قد خلق الله حواء من آدم، و قد خلق الملائكة من غير تناسل (١) و لا أكلوا و لا شربوا و لا بالوا و لا تغوطوا، و ليس كذلك المسيح، فإن سبيله فى ذلك سبيل سائر الناس.

و قد تقدم لك ذكر أجناس الحيوان التى خلقها الله من غير ذكر و من غير أنثى و بغير تناسل فى كتابك المعروف «بالمصباح»، و خلق الدودة و الذبابة فى الحجة كخلق الفيل، فإن المخلوقين لا يتأتى منهم إنشاء علامة ظفر و لا إحياء دودة، بل إحياء الدودة أبداع من إحياء الفيل، كما أن نظم الخردل أبداع من نظم الحنظل.

هذا و قد قدم دلائل العقل فى سورة يونس فقال عز و جل: قالوا «/ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ» (٢)، فى أن الولد لا يتخذه الحكيم إلا- للعز و الرفد و بقاء للذكر، فإذا كانت الحاجات منتفية عن الله عز و جل علمنا أن اتخاذ الولد لا يجوز منه. و قد تبين أيضا من طريق العقل أنه لا- كفاء له و لا- إله معه، فقال عز و جل: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» فليس مع التضاد نظام و لا مع الشركة استقامة.

و لما قالوا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كفرت أهل الكتب من النصارى و مشركى العرب بأيتها آية يا محمد جعلت الإله واحدا؟ فأنزل الله عز و جل: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ

(١) فى الأصل غير واضحة، و قد أثبتناها لاتفاقها مع سياق الكلام

(٢) يونس: ٦٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٢٨

وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» (١) فقدم الدعوى، ثم اتبعه بأدلة العقل فقال عز و جل: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعِيدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (٢) فتبين أنه لو كان هاهنا آلهة أخر لقدم ما

آخره هذا و آخر ما قدمه، و سؤد ما بيضه و بيض ما سوده، و إن كان جميع ذلك حكمة، لأنه ليس بمحال أن تنبت اللحي للنساء و أن يكون ابتداء نبات اللحي أبيض كالصلع أو أخضر كالحصرم، أو أصفر كالزعفران، و أن تلد النساء كأولاد الأنعام و أن تلد الأنعام كأولاد النساء، و أن يكون ماء البحر عذبا فراتا و أن يكون ماء دجلة ملحا أجاجا، و أن يولد المولود كامل العقل و القوى و الأدوات، كاسيا كيسا كالفروج، عالما بالصنائع من غير تعلم و لا تمرين كفرخ الإوز و علمه بالسباحة حين يخرج من بيضته، و كعلم دود القز و العنكبوت بالنسج و النحل ببناء البيوت، كل هذا ممكن، فلما جاء ذلك/ على طريق واحدة فلا ينتقض بما نهت عليه، علمت و تيقنت أنه لا إله إلا هو، و أنه المعترز بالقدم فلا قديم إلا هو، و أن كل موجود ليس هو الله فكائن بعد أن لم يكن. فإن قيل: فما ينكر أن يكون هناك آلهة جماعة إلا أنها قد و كلت التدبير إلى واحد منها فجرى تدبيره على طريقة واحدة. قيل له: هذا خلاف ما يعقل و خلاف ما أخرجت العبرة في أن الجماعة لا يتفقون في المشيئة و الإرادة و التقدير و التدبير أبدا على طريقة واحدة، و لا فرق

(١) البقرة ١٦٣

(٢) البقرة ١٦٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٢٩

بين من ادعى هذا أو ادعى في الإنسان الواحد أنه جملة أحياء قادرين عالمين مدبرين غير أنهم قد اتفقوا في الإرادة فلا يختلفون، و هذا خروج من العقل و مما شهدت به العبرة.

و قد بين أيضا بحجة العقل أن الإله لا يكون محتاجا، فقال عز و جل:

«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» (١) فقال:

أنتم ترون حاجته و فقره و ضعفه، و حاجة أمه و حاجته إلى أمه، فكيف يكون من هذه سبيله إليها؟ فإن كان عندكم إليها بكون الآيات ظهرت على يديه، فقد خلت من قبله رسل كانت لهم آيات و معجزات عظيمة كثيرة، ثم قال:

«أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (٢) فقد كان المسيح لا يدفع عن نفسه الحاجات و الآفات فكيف يملك لكم.

ثم قال: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» (٣) يقول: أنتم معشر النصارى قد آمنتم بنبوة موسى و الأنبياء قبل عيسى، و صدقتم كتبهم، و كلهم قد جاء بإخلاص التوحيد، و أنه إله واحد غنى قديم لا-إله إلا-هو، لا يعرفون ما يقوله النصارى من الجوهر و الأقسام/ و الاتحاد و ما أشبه ذلك، و أن هذا نمط من ينكر خلق السموات و الأرض و البعث و النشور و ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام فكيف تكونون من أهل الكتاب و هذه سبيلكم؟ فينبغي أن يصدق قولكم فعلكم.

(١) المائدة ٧٥

(٢) المائدة ٧٦

(٣) المائدة ٧٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٠

فتأمل رحمك الله هذه الجملة، فإن الجوهر و الأقسام و الاتحاد هو من قول أرسطوطاليس و أشباهه من القائلين بالقدم و تكذيب

الرسول و يانكار البعث، و هم قالوا: إن الإنسان إذا عرف شيئاً فقد اتحد به، و أن العقل و العاقل و المعقول يصير شيئاً واحداً، و أن الثلاثة واحد و الواحد ثلاثة، و لهذا قالوا: همس المثلث، فهذه الجهالة و حماقة هي لهؤلاء و عنهم أخذ نموها، و هم يسمون حكاهمهم و رؤساءهم آلهة لا الأنبياء و أهل الكتاب، فانظر إلى هذه من مقالة هؤلاء كيف أطلع الله عز و جل محمداً عليه و لو لم يكن من آياته إلا هذا لكان عجباً.

و يبلغ من جهل أرسطوطاليس و أمثاله أنهم يقولون: إن الشمس و القمر و الكواكب حية عالمه سميعة بصيرة تخلق و ترزق و تحيي و تميت، و هي عندهم آلهة يدعونها و يسألونها و يرغبون إليها في الرزق و العافية و الحياة، و لكل كوكب منها عندهم هيكل و دعاء و بخور و دخنة، فقد كان الناس يعجبون من قولهم في الناس أنهم آلهة حتى صاروا يقولون ذلك في الجماد و الموات، إذ لا فرق بين من ادعى ذلك في الشمس و القمر أو ادعى في البرق و الغيم و الريح و النار و الياقوت و الزجاج، أو ادعى في شعاع الشمس، أنه سميع بصير خطيب شاعر.

على أن إخوانهم من المنانية قد ادعوا في الغيم و المطر و الريح و الماء و في جميع الأجسام أنها حية سميعة بصيرة حساسة دراكه، و إنما ذكرنا هذا و إن لم يكن كاملاً في النبوة لتعلم أن أدلة التوحيد و نفى الشركة/ و الشبيه مأخوذ من القرآن، مجتذب إلى ما في أدلة العقول من ذلك، و لتعلم أن الخير كله

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣١

في القرآن و من القرآن، و منه صنفت كتب الكلام بما في العقل من ذلك، و قد تقدم لك في كتاب «المصباح» قطعة منه: و قد طعن أبو عيسى الوراق و ابن الراوندي في قصة المباهلة أنها مشاتمة و أن القوم رفعوا أنفسهم عنها، و قال: و قولكم إنه قال لهم: إن باهلتهموني نزلت بكم النعمة، ليس هذا في الكتاب و إنما هو حديث من أحاديثكم.

قيل لهم: هم كانوا يلعنونه و يشتمونه و يبالغون في ذلك و في شتم أصحابه و لعنهم و يطلبون نفسه بغير حجة، و يرحلون إلى الملوك و يستفرغون الوسع في ذلك، فمتى رفعوا أنفسهم عن هذا. و لكن لما لم يجد هؤلاء في آياته صلى الله عليه و سلم مطعنا و قد بذلوا جهدهم عدلوا إلى المباهلة و المكابرة؛ و ليست المباهلة كما ظنوا «١»، و ذلك لجهلهم باللغة كما جهلوا صنعة الكلام. فإن المباهلة في اللغة تجرى مجرى المخاطرة و المبايعة و المراهنة التي يكون صاحبها يؤول أمره فيها: إما إلى الظفر، و إما إلى الفضيحة و العطب. و هو لفظ مشتق من الباهل و هي الناقة المخلوع عنها صرارها و هو ما يصير به ضرعها، أي يشد، لثلا ترضع و لا تحلب، فإذا نزع عنها ذلك الصرار فهي باهل، أي متروكة، فمن أراد حلبها نال ذلك منها، و في الخبر عن امرأة من العرب أنها قالت لزوجها: منحتك مأدومي، و أبتتكت مكتومي، و أتيتك باهلاً غير ذات صرار.

فقد علمت ثقة رسول الله صلى الله عليه و سلم بربه و سكونه إلى ما يوحى إليه، و إلا لم يكن ليقوم هذا المقام في أن الكاذب يعجل الله له خزيه و ينزل به نقمته/ لأن هذا القول عليهم سهل، فكان لا يأمن أن يجيئوا إلى ذلك فلا ينزل بهم عقاب فتكون الفضيحة. و كان أيضاً قد مكنتهم من شتمه و لعنه في وجهه و بحضرة أصحابه

(١) كتب في هامش الأصل «المباهلة في اللغة».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٢

و هذا مقام لا يقومه عاقل، فتعلم بدلالة عقلك أنه قد توعدهم بأنهم إن باهلوهم نزلت بهم النعمة و أنهم لا ينصرفون من ذلك المقام إلا و قد بان أمرهم لأن الملاعنة لا يعجز عنها أحد، و لو لم يكن إلا الملاعنة وحدها لأجاب إليها القوم و لكان فيها كل فائدة و رغبة، فتعلم بدلالة عقلك أنهم هربوا منها للبور الذي توعدهم به. و مما يدل ذلك من طريق عقلك أنه قد توعدهم في المباهلة بنزول العذاب امتناعهم منها و فرارهم، و يدل أيضاً أنه لو لم يكن إلا الملاعنة لما كان لإحضار النبي صلى الله عليه و سلم من يعينه من قراباته دون

سائر الناس ذلك الموضع معنى ألا ترى أن الذين حضروا ذلك الموضع ولده و ولد ولده و من يجرى مجرى ذلك، فإن الصهر ولد و يعز فقده على العاقل، لا سيما و هو ابن عمه؛ فأحضر أمس الأرحام و أشدهم عليه فقدا، و قد قال لهم: «تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَ كُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَ كُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» (١) فإن لم يكن إلا اللفظ بالملاعنة فما وجه هذا القول و إحضار الولد، فمن تأمل ذلك شهد عقله بأنه عليه السلام قد توعدهم عند المباهلة بالاستئصال و نزول النعمة، و إن كان المتأمل لا يعرف لفظ الخبر كما يعلم إذا فكر في قوله عز و جل: «وَ إِذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِخِدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ» أنه قد وعدهم بذلك قبل أن يكون، و أنه قد وفى لهم بما وعدهم و إن لم يعرف عين الخبر و لا لفظه، لأنه لا يسوغ أن يقول رئيس قوم لهم إني / قد كنت وعدتكم بكذا و تمنيتم كذا و هو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذب في ذلك كله؛ و لهذا قالت العلماء في قول عمر على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما: إن تحريم المتعة قد تقدم من رسول الله صلى الله عليه و سلم فعرفه عمر و المهاجرون و الأنصار، و إلا لم يكن عمر ليقوم هذا المقام على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و يحضره أصحابه و الذين بهم عز

(١) آل عمران ٦١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٣

و بهم صال و استطال، و هم أوفر ما كانوا، و بهم من المحافظة على دين رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قد عرفه أهل العلم، هذا مقام لا يقومه عاقل و لا يختاره ممتري. و بعد فهم أولئك القوم الذين صنعوا بعثمان ما صنعوا لأنه و صل سببا و آوى طريدا فتعلم أن القول من رسول الله صلى الله عليه و سلم في تحريم المتعة كان مؤكدا كما علمت الوعيد بالعذاب و نزوله في المباهلة. و زعم ابن الراوندى أيضا أنه ما دعا النصرى إلى المباهلة و اليهود إلى التمنى «١» على وجه الاحتجاج بذلك للنبوة، و لو كان إلى هذا قصد لبادروا إلى إجابته.

ف قيل له: أ ما سمعته يقول: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا» (٢) فكيف تكون المحاجة إلا كذا لو لا حيرتك و انقطاعك و فضيحتك.

قيل له أيضا: كيف لا يكون متحديا و محتجا بذلك على اليهود و النصرى و غيرهم و قد كان يدعى من أول أمره أنه لا يكذب فيما يأتيه عن الله عز و جل و ان الكذاب لا يكون نبيا، فإذا أخبرهم بأنهم لا يتمنون الموت فلو تمنوه لكان قد دل ذلك على كذبه و على خروجه من النبوة على حكمه بأن من كان نبيا لا يكذب فأى تحدى «٣» و احتجاج يكون أقوى من هذا و كذا الحال في قولهم في المباهلة.

فإن قيل: كيف يحتج عليهم بالنساء و الصبيان؟ قيل له: لم يحتج عليهم بهؤلاء و إنما أحضرهم لان مقدمهم يعز عليه و هم أقرب أرحامه إليه.

(١) في الأصل «تمنى»

(٢) آل عمران ٦١

(٣) الأنفال ٣٦، و في الأصل: إن الذين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٤

و باب آخر [حول الآية «الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ»]

من أعلامه صلى الله عليه و سلم، من ذلك قوله عز و جل: «الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ» (١).

فخبر بإنفاقهم قبل أن ينفقوا، وبقتلهم قبل أن يقاتلوا، و بهزيمتهم قبل أن يهزموا، ثم كان ذلك كما قال و كما أخبر و كما فصل، و أورد ذلك موردا يغيظ و يغضب و يبعث على تكذيبه و على الممانعة من وقوع ما أخبر به، بخلاف تدبير البشر، فإن الحكماء يتواصون بكتمان ما يدبرونه و يعزمون عليه و يقولون:

من فساد الأمر و التدبير إعلانة قبل الفراغ منه، ثم لا يرضى أن يجعل ذلك خبرا عن نفسه بل يجعله خبرا عن ربه.

و باب آخر [إخباره عن اليهود]

من آياته و عجيب أعلامه، و هو إخباره عن اليهود فقال: «مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ. ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا» (١).

فخبر أن أقلهم يؤمن و لو لم يكن على بينة من أمره و ثقته عن خبر ربه عز و جل و ما يوحيه إليه، لم يكن ليقول هذا و هو لا يأمن أن يتبعه أكثرهم و يؤمنون و يدخلون في دينه. ثم قال: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى» و لو لم يكن على يقين لم يقل: «وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ» و هو لا يأمن أن يتجاوزوا الأذى إلى أخذ المال أو إلى سبي / الذرية و إلى قتل الأنفس، و أن

(١) آل عمران ١١١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٥

يغلبوه إن قاتلوه و لا يولون الأدبار، فقَاتلوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و سلم يوم قينقاع فنزلوا على حكمه، و قاتلوه يوم بنى النصير فأجلاهم عن بلادهم، و قاتلوه يوم بنى قريظة فولوا الأدبار فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، و قاتلوه يوم خيبر فهزمهم و ملكهم و أخذ عنوة خيبر بالسيف فرضوا به أن يقرهم على أن يكونوا حرثه يعملون له في النخل.

فتأمل هذا الشرح و هذا التفصيل في هذه الأخبار، فإن مثلها لا يقع اتفاقا و لا من حذاق المنجمين و لا الكهنة، و انظر كيف أخبرهم بها قبل وقوعها، و أنذرهم بما يكون قبل أن يكون، و جعلهم على أهبة، بخلاف تدبير البشر.

و قد كانوا جماعات كثيرة لهم خيول و سلاح و حصون و يمتنعون و يقاتلون من ناوهم و أرادهم و قصدهم، لتعلم أن هذا من أخبار علم الغيوب، و هذا من الدلائل الواضحة و الأعلام البينة النيرة لأن السيف إذا لقي السيف دبّ الحياء، و لا يأمن من ليس على يقين مما يخبر به أن يقع الأمر بخلاف ما خبر و لا يحمل أحد نفسه على هذا من غير يقين إلا الغاية في الحمق و الجهل و النقص.

و باب آخر [ما أرجف به المشركون بعد هزيمة المسلمين في أحد]

من آياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و سلم، و هو أنه لما كانت وقعة بدر، و صدقت أخباره و تحققت مواعيده، ماج أعداؤه من اليهود و غيرهم، و قال بعضهم لبعض: ما أخلف محمد في شيء أصحابه، و إنه لنبى، و ستؤول الأمور إلى ما يقول، و سيظهر على الناس و تكون الدولة له. فلما كان يوم أحد و قتل من أصحابه من قتل اشتدت قلوبهم و رجعوا على إخوانهم الذين قالوا لهم ما قد تقدم، و قالوا لهم: أبشروا بما كان عليه يوم أحد، فأنزل الله عز و جل / «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيِّئَاتُهُمْ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئس المهاد،» (١) ثم أذكرهم بالآيات التي

(١) آل عمران ١٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٦

كانت يوم بدر فقال: «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ» (١) فغلبوهم وقهروا كما قال و إلى جهنم يحشرون كما أخبر، فصدق إخباره بالأول يشهد بالثاني، فتأمل هذه الأجوبة والأدلة المكشوفة الواضحة، وانظر كيف يذكر قصة بدر و يحتج عليهم بها و يجعل ذلك عن ربه لتعلم أنها قصة قد عرفها العدو و الولي.

و باب آخر [حول الآية «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ»]

من آياته و هو قوله عز و جل: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢).

فإن مسجد بيت المقدس قد كان غلب عليه الروم الدهور الطويلة و استولوا عليه مع ملكهم بالشام و أقاموا فيه الشرك و منعوا من ذكر التوحيد فيه، و غلبت قريش على المسجد الحرام و غيرهم من مشركي العرب، و قد كان أبو بكر الصديق بنى مسجدا بمكة بفناء داره قبل الهجرة فكان يتلو فيه القرآن و يدعو إلى الله و إلى رسوله، و قد كان أجاره رجل من سادات قريش على أن يفعل ذلك. فمشت قريش إلى الرجل الذي أجاز أبا بكر، و هو معروف و لكن لم يحضرنى اسمه في هذا الموضوع [٣]، فذكروا له محل أبي بكر و حلمه و بيانه و لطفه، و أنه يمر به القيان و العبيد و النسوان فيسمعون دعاءه فلا يلبثون أن يجيبوه إلى

(١) آل عمران. ١٣

(٢) البقرة. ١١٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٧

دين محمد، فلا تجره. فقال لهم: إنه رجل يكسب المعدم و يصل الرحم و يقرى الضعيف، فكرهت أن يخرج من بينكم و يهرب بدينه عنكم فتعدمون هذا/ الفضل. قالوا: فيلزم بيته و لا يعلن دينه؛ فمنعوه من ذكر الله في مسجده.

فبشر الله نبيه عليه السلام و أصحابه بالظهور على هذه المساجد، و ملكهم لها و لمن فيها، و أنهم لا- يدخلونها إلا- أذلاء خائفين مقهورين، أو بأمان و عهد و إذن من رسول الله صلى الله عليه و سلم أو من أصحابه. ثم أخبر بخزيهم في الدنيا و عقوبتهم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فنزل بهم ذلك الخزي بقتل من قاتل منهم و عليهم، و النذل بأداء الجزية لمن رغب في الإقامة فيما غلب عليه الصحابة، فكان كل ذلك كما أخبر، و في هذا غيوب كثيرة.

و قد كانت ممالك الروم و غيرهم قوية ممتنعة فوفى الله لنبية بتصديق هذه المواعيد، و بفتح هذه الأمصار، و بتزول الخزي على مشركي العرب في الدنيا و سينالهم في الدار الآخرة عذاب عظيم كما قال، و كما صدق في الأول صدق في الثاني، فنعوذ بالله من عذابه و سخطه.

و باب آخر [قوله صلى الله عليه و سلم لعثمان بن أبي طلحة العبدري بأن مفاتيح مكة ستكون له و حصول ذلك]

من هذا الجنس، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بمكة قبل الهجرة جاء ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن أبي طلحة العبدري و منعه من دخولها، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: لا تفعل يا عثمان فكأنك بمفتاح الكعبة في يدي أضعه حيث شئت فقال له عثمان: لقد ذلت قريش يومئذ و قلت، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: بل كثرت و عزت.

و اعتبر رحمك الله سيرته في المكاتب و المراسلة فإنه فعل ذلك بجبابرة الأرض و ملوك الدنيا من العرب و العجم في أقطار الدنيا، فدعاهم إلى رفض ما هم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٨

عليه، و الدخول في طاعته، و امتثال أمره، و الخضوع له، و أخبرهم بذات نفسه و بما يدعو إليه، و أخبرهم بأن الله عز و جل اصطفاه وحده و اختاره وحده/ و وعده بالظهور و الغلبة لملوك الأرض و جابرتها، و أن السعيد من بادر إلى طاعته من قبل أن تسبى أمواله و تستباح حريمه و يسفك دمه، فما ترك شيئاً مما يغضبهم و يغيظهم و يبعثهم على قتله و استئصاله و بواره و بوار أصحابه إلا أتى به و فعله، و هذا ما لم يكن مثله و لا يقدم عليه عاقل إلا و هو على غاية الثقة بالسلامة من العواقب، و أن العاقبة تكون له لا لعدوه.

أ ما ترى كيف اغتصب كسرى كتابه حين أنفذه مع عبد الله بن حذافة السهمي و هو «١»: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله. و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمد عبده و رسوله، أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

فمضى بكتابه، و كان في طريقه و بحضرته ما لعله يرد عليك، فلما بلغه كتابه غاظه ذلك و أغضبه، حتى كتب إلى صاحبه باذان و هو خليفته باليمن و ملكها يأمره بإشخاصه إليه «٢»، فأرسل باذام في ذلك، فسّر ذلك أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليهود و النصراني و قريش و العرب و استبشروا. و قال بعضهم لبعض: كفيتموه كفيتموه. فلما وصل الرسول إليه قال له رجل منهم انطلق معي إلى الملك باذان فنكتب معك كتاباً إلى الملك شاهنشاه ينفحك عنده

(١) كتب في هامش الأصل: «كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى كسرى».

(٢) أثبت القاضي باذام بالميم مع أنها في معظم كتب السيرة و التاريخ: باذان، انظر سيرة ابن هشام ١: ٦٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٣٩

و يكف عنك، و إن أبيت فهو من قد علمت و هو مهلكك و مهلك قومك و مخرب بلادك، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أقم إلى غد حتى أجيئك. فلما كان الغد صار، فقال ما تقول يا محمد؟ قال ارجع إلى صاحبك فإن ربّي قد خبرني أنه قتل البارحة كسرى، قتله ابنه شيرويه على كذا كذا ساعة من الليل «١»، فقال له هل تدري ما تقول، إنا قد نقمنا منك أيسر من هذا، فتكتب بهذا عنك و نخبر الملك باذام بذلك قال: نعم، أخبراه ذلك عنى، و قولاً له: إن ديني و سلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، و ينتهي إلى منتهى الخف و الحافر، إلى أن قال: سيأتى هذا الدين على ما أتى عليه الليل.

و قد كان قال صلى الله عليه و سلم لعبد الله بن حذافة لما رجع إليه و أخبره بأن كسرى استخف به و مزق كتابه فقال صلى الله عليه و سلم: أما إن الله عز و جل سيمزق ملكه.

فانظر إلى هذه الأقوال المغضبة كيف تتوالى لهم منه، و انظر إلى هذه الثقة هذا الثبات.

و قد كان راسل قيصر ملك الروم بدحية بن خليفة الكلبي، فأكرمه و أكر كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سأل من عنده من أهل مكة و تجار قريش عنه صلى الله عليه و سلم و عن أخلاقه و طرائقه و سيرته، و استقصى ذلك، فإذا هو النبي الذي تقدمت البشارة به، و ردّه مكرماً، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لقد عرف الحق و لكن ضمن الخبيث بملكه و عاجل دنياه فآثرها على دينه.

و أرسل إلى المقوقس ملك الإسكندرية حاطب بن أبي بلتعة بكتابه إليه «٢»

(١) ورد التعريف بحادثة قتل شيرويه لكسرى في الجزء الأول من الكتاب ص ٢٨

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بعثه النبي بكتابه إلى المقوقس، و

مات في المدينة سنة ٣٠ هـ. الإصابة ١: ٣٠٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٠

فدفعه إليه فقرأه، ثم أقبل على جلسائه فضحك وقال لهم: كتب إلي يصف لي حسن دينه و يدعو إليه، فما منعه إن كان رسول الله أن يسأل الله فيسلط البحر علي فيغرقني فيكفي مؤونتي و يأخذ ملكي، فقال له حاطب فما منع عيسى ابن مريم و هو كما زعمت إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل و حلقوا وسط رأسه و جعلوا عليه إكليل شوكة و جعلوا على عنقه الخشبة التي صلبوه عليها ثم خرجوا به و هو يبكي حتى صلبوه / على الخشبة ثم طعنوه بالحربة حتى مات، فما منعه أن يسأل ربه أن ينجيهم و يهلكهم و يكفي مؤونتهم و يظهره و أصحابه عليهم، و ما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة زانية رجلا أن يقتله فقتله و بعث إليها برأسه حتى وضعوه بين يديها فما منعه أن يسأل ربه أن ينجيها منها و يهلك الملك.

فأقبل المقوقس على جلسائه فقال: و الله إنه لحكيم. و ما يخرج الحكيم إلا- من عند الحكماء، ما تقولون، قالوا: نقول: صدق أيها الملك، قد رأينا ما رأيت. و عاود قراءة كتاب النبي صلى الله عليه و سلم، و احتبس حاطب عنده مدة، و سأله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عن أصحابه و عن سيرته، و رده مكرما.

و أرسل النبي صلى الله عليه و سلم إلى غير واحد من ملوك الشام يدعوهم إلى طاعته. و كان فيمن أرسل الحارث بن عمير الأزدي فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني «١» فأنفذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بعده غير واحد و لامهم على غدرهم و قتلهم الرسل، و قال لهم: أنتم مغلوبون و سلطاني يعلو عليكم، فأغضب ذلك ملوك الروم و نصارى العرب. و أرسلت نصارى العرب إلى ملك الروم: انتهز الفرصة ما دام هذا الرجل في ضعف، فأنفذ جيشا في مائة ألف قاصدا لرسول الله صلى الله عليه و سلم بياتوقس

(١) كان ذلك في سنة ٨ من الهجرة، فقد بعثه الرسول بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤقفة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، و على أثر مقتله كانت غزوة مؤنفة.

الإصابة ١: ٢٨٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤١

البطريق، و على نصارى العرب من غسان و قضاة و غيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني، فانتهوا إلى مؤتة فكفاه الله أمرهم كما هو معلوم.

و أرسل إلى ملوك اليمن و ملوك البحرين و عمّان رسلا معروفين، و قد علمت رحمك الله أنه دعاهم إلى الاختلاع من ملكهم و الخروج من عزهم إلى التواضع و التذلل، و إلى الجهاد بأموالهم و أنفسهم، و هذا غير تدبير البشر و حكماء الملوك، و هذا عندهم من سوء التدبير، فتعلم بعقلك أنه لم يفعل ذلك / إلا و هو على يقين من السلامة من سطواتهم و كيدهم و شرهم.

و قد تقدم لك حال كل من جاء بعده من قريش و العرب و غيرهم، و أنهم به لاذوا و اعتصموا و على ما مهده صلى الله عليه و سلم، و أنه هو ما اعتصم بمخلوق بما فيه كفاية، فارجع إليه. و قد أجابه صلى الله عليه و سلم من الملوك الذين دعاهم النجاشي و غيره.

و تأمل حال قوم في زمانك و هم من الملوك العظماء، و ملكهم واسع، و شأنهم عظيم، فإنهم من تسترهم بالإسلام و مع اعتراضهم إلى النبي صلى الله عليه و سلم و أنهم من ولده و قد قدموا على ما مهد لهم، بأى شيء يلقون ملوك الإسلام، و بأى شيء يرأسونهم، و

كيف يخضعون لهم و يخدعونهم بألوان الخدع ليستبقوا طاعتهم لهم باللسان، فيقول دعواتهم لكل واحد من هؤلاء حتى لرؤساء الأعراب و الأكراد: أخوك فلان ابن فلان ابن رسول الله، و قد علمت عظيم ملكه، و هو يدعى بأمر المؤمنين، و قد فرض رسول الله

صلى الله عليه و سلم عليك طاعته لقوله كذا و لوصيته الفلانية؛ و ما يطالبك بحقوقه، و ما يطلب منك شيئا، و لكنه يرغب في أخواتك و في صداقتك و في الانبساط إليك في أن تقبل هديته، و قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل الهدية و رغب

في ذلك، و إن كافأت بأقل القليل قبله

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٢

منك و شكرك عليه. ثم يهاديه بالهدية النفيسة الخطيرة و يقول له: «إذا استحكمت الأنس و تمت الثقة فتح لك أبوابا يتضاعف بها ملكك، و تشتد بها شوكتك، و ما عليك في الوصول إلى ذلك مشقة و لا كلفة و لا مؤونة و لا غرامة، و ما هو إلا الثقة بك و أن يعرف طويتك و أنك بحيث يوثق بك.

فإذا تعلق قلبه بذلك و طمع، قال له: قد علمت ما جاء في الكتمان و المواثيق المأخوذة/ من الأنبياء ثم يروضه بعد هذا، فإن كان من أهل الشهوات و الرغبة في الدنيا قال له: أنت فيمن قال الله: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (١) و يبيحه المحظورات و يتقرب إليه بما يسقط عنه الكلف و يؤمنه من كل عقاب آجلا و عاجلا، و يذكر له ما قد أعدّه من التأويلات، و يتحبب إليه بهذا و أشباهه، و يأخذ عليه كتمان السر و أن لا يخبر غيره بما عنده و لا يسأله عن شيء و إن كان مجوسيا.

و إن رآه من المتمسكين بالشريعة زين ذلك عنده و قال له: لا تغتر بما يقوله الإمامية القطعية أن الصلاة عند أهل البيت إحدى و خمسين ركعة فإن هؤلاء ليسوا من دين أهل البيت على شيء، و صلاة أهل البيت ثلاث و سبعون ركعة، و يأمره بذلك، و يصلى عنده و بحضرتة و بحضرة أتباعه و حشمه، و إن يأت عنده لم ينم الليل من كثرة الصلاة. و يأمره بالزكاه و بكل خير بحسب ما يتفق ذلك عنده، غير أنه يقول: للصلاة باطن، و لكل شيء باطن.

و إن كان يهوديا زين عنده اليهودية و ما فيها من إقامة السبت و جميع ما هم عليه، و قال: المهدي الذي ندعو إليه هو المسيح الذي تنتظرونه.

(١) الأعراف ١٥٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٣

و إن كان نصرانيا مدح الصليب و قال: المهدي الذي ندعو إليه هو الفارقليط الذي بشر به المسيح.
و إن كان مجوسيا مدح عنده المجوسية و قال: أنتم الناس، و أنتم العقلاء، و أهل الملك القديم.
و إن كان صابئا مدح عنده عبادة الكواكب، و يقول لكل واحد من هؤلاء الأصناف: إن الديانات كلها سواء و هي تتفق في الباطن و لكن أصحابها لا يعلمون.

و يظهرون التودد إلى كل أحد بما يهواه، ثم يتواصون بكتمان ذلك و أن لا يظهروا «١» ذلك إلا لمن أحبهم أو مال إليهم.
و يقصدون بالدعوة/ الأعراب و الأكراد و الديلم و البربر و النبط و المترفين من الأمراء و الوزراء و الكتاب و أهل الجاهلية، و يستظهرون على من انتمى إلى القول بالإمامة و التشيع، و هؤلاء يسرعون إلى إجابتهم و القبول منهم، و يوثقون بالأيمن الغليظة و العهود المؤكدة؛ و ملوك الأرض منذ نحو مائة سنة من الديلم و بنى حمدان و من بالبحرين و عمران في البطيحة و من باليمن و الشام و أذربيجان، و كل هؤلاء الملوك أصحاب إمامة و مشيعة، و في الأرض كلها، و دولة بنى العباس لم يبق منها إلا اسمها في بعض المواضع، و الموضع الذي فيه سلطانهم و ملكهم و عزهم يشتم فيه العباس و ولده و المهاجرون و الأنصار و يلعنون، ثم هؤلاء القوم مع الملك و مع تسترهم برسول الله صلى الله عليه و سلم و اعتصامهم، و مع هذه الأحوال كلها التي تستروا بها و توثقوا بها، أنت ترى فضائحهم في الأطراف و في أقطار الأرض في كل حين كما قد تقدم لك طرف منه. ثم هو شيء

(١) في الأصل: «يظهرون».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٤

يحدث في كل حين، و تبدو فيه الفضيحة كل قليل مع الملك و القهر و الغلبة و السيف و القتل الذريع الذي قد تقدم لك طرف من

ذكره، لتعلم أن السبل التي سلكها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسلكها عاقل، ولا تخطر بقلبه، ولا تسمو إليها همته، ولا يحدث بها نفسه، ولا يدخل فيها طمعه، إلا أن يكون رسولا لله و نبياً لله و واثقا بوحى الله. ثم هو شيء ما كان فى أحد من الأنبياء قط منذ كانت الدنيا، على ما حصله العلماء و أحصوه و بلغهم خبره، أن يكون إنسان ضعيف فقير أجير و حيد معيل مبتدئ مع هذه الحال، فيذكر ملوك العرب و ملوك الفرس و ملوك الروم حتى يذكر خراسان و ملوك الشرك و الترك / و أنه يحويها و يحوزها و هو على تلك الحال، ثم يكاتبهم ملكا ملكا و سيدي سيديا و قبيل قبيل و بلدا بلدا يذكرها. و يوصيهم بالقبض و ما لهم من الحرمة بمارية القبطية فإنهم يفتحون مصر، و يقول: أبشروا بفتح العروسين غزوة و عسقلان، و يذكر دمشق و بيت المقدس، و يسمع ذلك نصارى العرب و يذكرونه لملوك الروم و غيرهم فيغتاظون من ذلك، و تذكر قريش ذلك للفرس.

و لما دخلت رسل المسلمين إلى الشام و لقوا ملوك النصارى بها رأوا بعضهم قد جلس على فرش عالية يرقى إليها بسلم و عليه السواد، و فى رسل المسلمين عبادة بن الصامت الأنصارى، قال: ما هذا السواد عليك و ما هذه المسوح التي قد لبستها، قال الملك لبستها نذرا لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام و أفعل و أفعل، فقالوا له المسلمون: سنمنعك مجلسك هذا و والله لنأخذنه منك، و لنأخذن ملك الملك الأعظم. ثم ساروا من عنده إلى الملك الأعظم من ملوك الروم و أبلغوه الرسالة، فأنزلهم أكرم منزل و احتبسهم عنده مدة طويلة، و خلا بهم، و ناظرهم و امتحنهم، و سألهم عن شيء فشيء من أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و من أمر الإسلام و المسلمين ليلا و نهارا، و كان لهم معه ما هو مذكور، إلى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٥

أن قالوا له: إن أرضك هذه نأخذها منك و نغلبك عليها، أخبرنا بذلك نبينا، فسأه هذا القول و قال: مهما قال من شيء فقد صدق، و الله لو ددت أن نفسى تطيب بالخروج من ملكى و أكون عنده فأخدمه و أشد ملكه، و لكن نفسى لا تطيب.

و قال المقوقس ملك مصر لحاطب: إنكم ستملكون ملكى هذا كما قال صاحبكم، و ملوك الروم كانت أعرف بحق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلذلك كانت ألين و إن كانت نصارى العرب تغضبها و تثيرها عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / و لم تكن كالجبار الشقى كسرى و ما فعله برسول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و سلم و تمزيق كتبهم فمزق الله ملكه كل ممزق كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبر أن ابنه قتله فى تلك الليلة و بينه و بين كسرى نحو ثلاثمائة فرسخ، و ذلك من آياته المعروفة التي جاءت مجيء القرآن، يعرف ذلك أهل العلم كما يعرفون أن رسوله كان إليه عبد الله بن حذافة السهمى، و كما يعرف ما كان بينه و بين النجاشى، و بين صاحب عمان، و غيرهم من الملوك. و إسلام باذان ملك صنعاء و اليمن لأجل هذه الآية معروف، و إخلاصه و من معه فى الإسلام و هم يعرفون بالأنبياء.

و لما تنبأ العنسى الكذاب باليمن ناقشوه «١» و باحثوه فلم يجدوا عنده آية و لا علامة، فأرسلوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أمره، فأمرهم بجهاده ففعلوا، و قتله فيروز الديلمى الذى كان أحد رسل الملك باذان إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و لم يكن ديلمى الأصل و إنما كان أحد عمال الفرس على ثغور الديلم.

و لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لهؤلاء الأبناء من باذان و من معه من البصيرة فى الإسلام و الإقامة عليه و مجاهدة المرتدين و معونة أبى بكر الصديق و عماله ما هو معلوم.

(١) فى الاصل قانشوه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٦

و إنما أجرنا هذا من أعلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكر مكاتبتة و مراسلته الملوك، و النية ذكر أعلامه التي ليست فى القرآن بعد الفراغ مما فى القرآن، فإن وهب الله ذلك و إلا- ففيما معك فوز عظيم فاحتفظ به و حافظ عليه و اطلب ما بعده فإنه أكبر الجهاد و

أجل العبادة.

و باب آخر [اخبار الرسول أصحابه أن الله سيمكن لهم في الأرض و يستخلفهم]

من آياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و هو ما أخبر أصحابه من أنه يَمَكِّنُ لهم في الأرض و يستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، و يؤمن خوفهم، فيخلصون في عبادته وحده لا يشركون/ به شيئاً، فقال عز و جل: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» (١) إلى آخر الآية. و هذه نزلت في غزوة الأحزاب و في الخندق، و قد تحزبت العرب و اليهود عليهم، و غدر من حول المدينة بهم و هم في حومة الموت و شدة الخوف، و ما كان بأيديهم إلا المدينة مع من بها من اليهود و المنافقين، فأظهر الله أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و استخلفهم و مَكَّنَ لهم و بَدَّلَهم من بعد خوفهم أمناً، و عبدوه وحده و أطاعوه، و في هذا غيوب كثيرة لا تكون بالاتفاق و لا لحذاق المنجمين، و لا هو مما يغلب في العقل بل الغالب في العقل و الظاهر في الحزم و التدبير أن يكونوا هم المغلوبون المقهورون، إلا أن يكونوا من قبل الله، و أن يكون صاحبهم رسولا لله، و الذي يدللك على أن هذا نزل و هم غير متمكنين و أنهم قد كانوا خائفين من قوله عز و جل: «وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» (٢) فلا يجوز أن يخبرهم بما لم يكونوا عليه و يمتن عليهم بذلك و العدو و الولي يسمعه و هو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذبهم ثم يؤكد هذا بأن

(١) النور ٥٥

(٢) النور ٥٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٧

يقول: هذا قول الله لكم، و وعد الله لا وعدى، و بشارة الله لا بشارتى، و في هذا دلالة على صحة الخلفاء من بعده، ألا تسمعه يقول: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» و لو قال: الذين آمنوا لكانت عدة تحتمل التسوية و التأويل، فلما قال: «منكم» جعلها فيهم و لهم و منهم، فزالت الشكوك و ارتفع اللبس، و لو كان الأمر على ما يقول الإمامية لكانت هذه الأخبار قد كذبت و هذه المواعيد قد أخلفت لأنهم زعموا أن المستخلف كان على بن أبي طالب، و أنه ما كان متمكنا و لا آمنا بل كان مقهورا مغلوبا خائفا، فأين تصديق ما وعد الله، فنعوذ بالله من الذهاب عن الحق.

و عندنا أنه/ رضى الله عنه كان في زمن أبي بكر و الخلفاء قبله ممكنا غالبا قاهرا آمنا عزيزا نافذ الأمر مسموع القول كما قد تقدم شرح ذلك لك، و به و بإخوانه من المهاجرين و الأنصار كانت خلافة من قبله و عز سلطانهم، فالعدة فيه و في أبي عبيدة بن الجراح و في سعد و معاذ و عبد الرحمن و غيرهم من المهاجرين و الأنصار، و الله عز و جل لا يستخلف إلا المتقين و لا يمكن إلا لأوليائه و أحبائه و أهل طاعته، و ليس لمن أسلم في عام الفتح، و في هذا خبط، لأن هذه نزلت في عام الخندق و في غزوة الأحزاب قبل فتح مكة، و أولئك من الطلقاء لا من المهاجرين و لا من الأنصار، و ليس هذا بنص جلي مكشوف في خلافة هؤلاء رضى الله عنهم، و لكنه شيء يعرف بالاستنباط و الاستدلال و التدبير في هذه التلاوة، فلا يسوغ في تأويلها و تفسيرها إلا هذا.

و قد كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ارتدت العرب بعد وفاته و كثر من خالفهم يستبشرون بظهور الإسلام و غلبة المسلمين بهذه الآية و قد تلاها أبو بكر الصديق عليهم في ذلك الزمان و قال لهم ما لعله قد تقدم لك شيء من ذكره، و هذا شيء قد تقدم به الإجماع و سبق به الاتفاق قبل أن يخلق هشام بن الحكم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٨

الذي هو الأصل في الطعن على خلفاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و المهاجرين و الأنصار. و مع هذا فقد ذكر هشام بن الحكم أنه

أدرك الشيعة و كلهم يتوالى أبا بكر و عمر و عثمان، و يقولون هؤلاء ما أنكروا فضل الوصي علي بن أبي طالب و لا دفعوه عن حقه، و أن الذين دفعوه عن حقه و أنكروا فضله هم المنافقون الذين كان القرآن يهتف بهم. قال هشام و هذا كله تلزيق و تلفيق / دعاهم إليه هيبه أولئك القوم فما أقدموا على تهمتهم و لو عرفوهم لا تهموهم، ثم أخذ يذكر ما عنده من تهمتهم، فقد أقر بلسانه أنه لم يسبقه أحد إلى شتمهم و لعنهم، و لو لم يقر لكان العقل يشهد به و يدل عليه.

و باب آخر [قوله صلى الله عليه و سلم في أو ان ضعفه أنه سيعظم أمره و يعلو شأنه]

من أعلامه و آياته، و هو أنه كان يقول في أو ان ضعفه و عنفوان أمره أنه سيعظم أمره و يعلو شأنه، و تتحزب الأمم عليه، و تقصد لقتاله و قتله و استئصاله و استئصال أتباعه، و يأتونهم من كل وجه. و أن أصحابه يثبتون و يزدادون بصيرة و يقينا في أمرهم عند ذلك. و أن من رأيهم و رأى من سار إليهم يكون عنده و في عقله و رأيه أنهم لا- ينجون، فكان ذلك كما قال و أخبرهم الله في تلك الحال، أنه عز و جل سيكفيهم أمر هؤلاء و أمر من ظاهرهم من أهل الكتاب، و يستخلفهم في الأرض، و يؤمن خوفهم، و يبدلهم بالضعف قوة، و يمكن لهم في الأرض، و كان هذا في قصة الأحزاب، و أنزل الله فيها و في يومها الآية التي تقدم ذكرها في سورة النور. و قد كان صلى الله عليه و سلم أجلى بنى النضير من اليهود لأذيتهم له و غدرهم به، فرحلوا عن المدينة من جواره، و صاروا إلى قريش و إلى عيس و ذبيان و فزاره و غيرهم من القبائل، و حرضوهم عليه بأنه أكفر أسلافكم و عاب أديانكم و استجهلكم و ذهب بسيادتكم و رئاستكم و بأحسابكم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٤٩

و فرق آلافكم و حمل الأبناء على قتل الآباء، و الآباء على قتل الأبناء، و هو يزعم أنه يظهر عليكم و يستأصلكم و أنتم غير آمنين مما يوعدكم به، فبادروا ما دام في ضعف قبل أن يقوى بأشد مما كنتم عليه ببدر و أحد.

و كانت لليهود بالحجاز رئاسات و ضيافات و منن على العرب، يجيرون من استجار بهم و يمنعون عن جيرانهم و يقاتلون/ دونهم؛ فأثاروا قريشا و العرب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فساروا إليه في نحو عشرين ألفا، و جاء حيي بن أخطب اليهودي النضري إلى بنى قريظة من اليهود و كانوا قد عاهدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يسالموه و لا يعينوا أحدا عليه أبدا و كتبوا بينهم و بينه في ذلك كتابا. فجاء حيي بن أخطب اليهودي إلى كعب بن أسد رئيس بنى قريظة، و قال له: جئتك بشرف الدنيا و بالعز، و هذه القبائل من قريش و العرب قد ساروا إلى محمد فكن معنا، فقال: دعني فإن هذا الرجل قد عرفناه بالصدق و الوفاء، إن قال نعم فهي نعم، و إن قال لا فهي لا، ما لقوله خلف، و أكره أن يغدر به و لعلكم ألا تظفروا به. فقال حيي: ليس هذا من تلك العساكر التي لقيته قبل هذا، و نحن في كثرة و هو في قلعة، و لن ننصرف عنه أو نستأصله، فتندم في قعودك عنا؛ و إنما هو و أصحابه قليلون، و هذه قريش في هذا العدد. و ذكر عدد تلك القبائل و ما زال بهم حتى غدرت قريظة. فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم بسعد ابن معاذ و سعد بن عبادة إليهم ليعرف ما عندهم و هل غدروا أم لا. فلما بصرت قريظة بالسعدين مزقوا الذي كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و سبوه، فرد عليهم سعد بن عبادة، فقال له سعد بن معاذ: كف، فما بيننا و بينهم أجل من السباب.

فرجعا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبراه بغدرهم تعريضا إشفاقا على ضعف

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٠

المسلمين، و كانت قريظة بالقرب من المدينة و في أحد جوانبها. و جاءت قريش و القبائل من وجه آخر، و أشار سلمان الفارسي رحمه الله عليه بحفر خندق، و كان هذا أول مشهد شهده سلمان. فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفر الخندق و أخذ كل جماعة من الصحابة قطعة يحفرونها/، فاعترضتهم صخرة صلبة لا يعمل فيها المعول فهموا بالتعريج عنها، ثم قال قائل: عرفوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد كان صلى الله عليه و سلم سار بالمسلمين عن المدينة و عسكر بإزاء العدو. فنزل صلى الله عليه و سلم إلى

الصخرة و أخذ المعول فضربها ضربة فثار منها برقة عظيمة. فكبر و كبر المسلمون، و قال: رفعت لى صنعاء و اليمن فرأيت قصورها كأنها أنياب الكلاب و أنتم تفتحونها و تملكونها. ثم ضرب أخرى فبرقت برقة عظيمة فكبر و كبر المسلمون فقال: رفعت لى قصور الشام كأنها أنياب الكلاب و أنتم تفتحونها و تملكونها. ثم ضرب أخرى فبرقت برقة ثالثة فكبر و كبر المسلمون و قال: رفعت لى قصور مدائن فارس و فارس و أنتم تفتحونها و تملكونها فأبشروا. و تصدعت الصخرة فصعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الخندق و هو مستبشر مسرور، و رتب أصحابه لحراسة الخندق و جعله بينهم نواب كما هو مذكور.

و كان بالخندق من الضيق ما تطفره خيول شجعانهم، فطفره عمرو بن عبد ود، و عكرمة بن أبى جهل، و خالد بن الوليد، و ضرار بن الخطاب، و أقاموا أياما يحاربون، ثم تواعدوا عشية أن يكونوا من غد يحملون حملة واحدة من كل جانب، و يقتحمون على المسلمين. فأرسل الله عليهم ريحا عاصفا قلعت أختيتهم و أبنتيتهم، و نفرت خيولهم و إبلهم، و أخذهم من الرعب ما لم يملكوا أنفسهم، و مروا هرابا على وجوههم، و كفى الله المؤمنين قتالهم، و بات المسلمون من تلك الرياح فى كل عافية.

فإن قيل: و من أين لكم صحه هذا أنه جرى، قيل له: قد جاء مجيئا إذا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥١

تدبره من سمعه و فكر فيه علم و يقين أن الأمر كذلك، فإن القرآن نزل به مذكرا هذه النعمة و محتجا بهذه الآية و ممتنا على المؤمنين فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» (١)

فلو كانت هذه الرياح و غيرها من الأمور التى جرت العادة مثلها (٢) لما امتن الله به و لا احتج و العدو و الولي يسمعه، [هذا] لا يفعله عاقل فكيف بمن يدعى النبوة. ثم يؤكده بأن يجعله قولا لله و أن الله يذكرهم بهذه النعمة.

ثم قال: «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» (٣) لما كان قد تقدم به البشرى، فكانوا يقولون: الواحد منا ما يستطيع أن يذهب لحاجته من العساكر التى قد أحاطت بنا و هو يعدنا بملك اليمن و ملك كسرى و قيصر. ثم أذكرهم بقول طائفة أخرى «يا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» (٤) و قد كان قوم من بنى حارثة قالوا ذلك أخبرهم الله بضمايرهم فى قولهم، و لا يجوز أن يقول ذلك إلا و هو كما قال، ثم قال:

«و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها و ما تلبثوا بها إلا يسيرا.

و لقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار و كان عهد الله مسئولا، إلى قوله: «أَشْجَحَهُ عَلَيْكُمْ فَاذًا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

(١) البقرة ٢١٣-٢١٤

(٢) هكذا فى الأصل، و لعل الأصح «بمثلها».

(٣) الأنفال ٤٩

(٤) الاحزاب ١٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٢

كَالَّذِي يُعْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ حِدَادٍ» (١) يصف جنهم و خورهم و خداعهم و أنهم إذا زال الخوف و أمنوا قالوا: فعلنا و صنعنا و اجتهدنا، و يظهرون احتقار العدو و إن عادوا عاودناهم، ثم قال:

«يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ» (٢) يحكى عن هؤلاء المنافقين و عن من قلت بصيرته و عن من فى قلبه مرض، أنهم يحسبون أن الأحزاب لم يذهبوا و لم ينصرفوا، و أنهم سيرمون شعثهم مما نالهم من الريح و يرجعون، و أن عسكرا مثل هذا فى الكثرة و القوة لا ينصرفون بإزائهم فى ضعف و هم مع ذلك فى قلبه، و «يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ، وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» (٣) فأخبر عن أسرارهم و عن ضمائرهم و واجههم بنفاقهم و سوء نياتهم، و هذا لا يفعله إلا نبى واثق بتأييد الله له و بنصره إياه، لأن من صواب الرأى و محكم التدبير عند الحكماء و الرؤساء و طلاب الملك و خطاب الدنيا أن يقبلوا الطاعة ممن أظهرها لهم و إن اتهموا ضمائرهم، و أن لا يردوا ما ظهر من نصحتهم و لا يقولوا لهم ليس ظاهرهم كباطنكم و أنتم أعداء، ليس هذا من حقوق الرئاسة و لا يسوغ فى تدبير السيادة و لا يقع هذا من عاقل إلا أن يكون نبيا، لأن الرئيس إذا فعل هذا حملهم على مكروهه و بعثهم على مكاشفته و استفراغ الوسع فى الإفساد عليه و فى قتله. و فى أمثال الحكماء: لا تسمه عاقا فيعق، و قال فى وصاياه التى ترتضيها العقلاء:

اقبل مقاله من يأتيك معتذرا إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره و قد أجلك من يعصيك مستترا

(١) الأحزاب ١٤-١٥

(٢) الأحزاب ٢٠

(٣) الأحزاب ٢٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٥٣

و كان أيضا لو لم يكن نبيا لا يأمن أن يكون باطنهم فى طاعته مثل ظاهرهم، فإذا قال لهم قد نافقتهم و هم بخلاف ذلك لكان طعن فى قوله، و إن لم يواجهوه بالكذب قالوه/ من ورائه و ذكروه لأتباعه و لمن قد اعتقد صدقه، و يذكرونه لعدوه من اليهود و النصارى. فإنهم كانوا أشد الناس حرصا أن يقع له كذبة أو زلة، فهم كانوا يواجهونه بالتكذيب و ليس معهم حجة فكيف إذا صار لهم حجة. فتعلم أنه لم يقل ذلك إلا عن علم و يقين، و هذا باب كبير من الاخبار بالغيوب و هو كثير فى القرآن فاعرفه، فهو من الآيات العظام ثم قال لهم:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (١) فقد كانوا رأوه صلى الله عليه و سلم فى تلك الشدائد و الأهوال، ساكن القلب، طيب النفس يبشروهم بالنصر على هؤلاء و على أمم العرب و العجم.

ثم قال: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا».

و قد كانوا يقولون عند قول النبى صلى الله عليه و سلم و هو بمكة: أنى سأصير فى جماعات و عساكر فيقولون: ملكنا أبسط و حزننا أغلب و جندنا أكثر، فأنزل الله إذ ذاك و قبل الهجرة: «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ. جُنُودًا مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» (٢) فلما رأهم المؤمنون ذكروا هذا الوعد من الله عز و جل فازدادوا إيمانا. و لهذا الوعد نظائر و أمثال كقوله:

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ زُلْزَلُوا» و مثل قوله: «لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذىً كَثِيرًا» (٣) و غير

(١) الأحزاب ٢٣

(٢) ص ١٠

(٣) البقرة ٢١٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٤

ذلك. و قوله: «وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» لم يرد به الذكر باللسان وإنما أراد الذكر ذكر القلب والفكر في آيات الله و دلائله و حججه، و هذا أعظم الذكرين / و أجلهما و أنفعهما، و الذكر باللسان بعده، و لا يغنى عن ذكر القلب شيء البتة. ثم قال: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (١) فأخبر عن ضمائر المؤمنين السابقين و المهاجرين و الأنصار، و أن باطنهم في الإسلام كظاهريهم، و سريرتهم كعلانياتهم. كما أخبر عن باطن المنافقين و من في قلبه مرض، و في إخباره عن بواطن المؤمنين من الدلالة مثل ما في إخباره عن ضمائر المنافقين، فتأمل ذلك لتعرفه فشرحه يطول.

و قوله: منهم من قضى نحبته، أى من قتل في سبيل الله أو مات و هو مقيم على موالة الله و إيثار مرضاته، و من بقى ينتظر مثله و نيته و طويته ألا- يزول عن ذلك، و ما بدلوا تبديلا و لا- غيروا. و فكر في قوله: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا» (٢)

فانظر كيف تمنن عليهم بأنه صرف عنهم هؤلاء الجنود و هذه العساكر بالريح و كفاهم قتالهم، و ما نال المسلمين من الريح أذى مع قرب المسافة. بل باتوا منها في كل عافية و بات أولئك في كل بليء، و هذا بخلاف ما جرت به العادة، و لا يقدر على صرف الريح في الجهات و إجرائها على هذه السبيل إلا الله عز و جل.

(١) الأحزاب ٢٣

(٢) الأحزاب ٢٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٥

و هم النبي صلى الله عليه و سلم بالانصراف إلى المدينة و الرجوع إليها بعد انصراف الأحزاب، فأتاه جبريل يقول له عن الله: لا تنزع درعك حتى تصير إلى بنى قريظة، فسار إليهم و نزل عليهم، فألقى الله في قلوبهم الرعب منه صلى الله عليه و سلم مع كثرتهم فامتنعوا بحصونهم، و قال صلى الله عليه و سلم: يا يهود يا إخوة القروء (١)، فقالوا يا محمد: ما عهدناك فحاشا، فقال صلى الله عليه و سلم: غدرتم بى و نبذتم/ عهدى، إنا إذا حللنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. و بعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر فقالوا له: يا أبا لبابة أتتزل على حكم محمد قال: نعم، و أومى بإصبعه إلى حلقه، أى أنه الذبح، فأنزل الله عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (٢) و ما كان من أبى لبابة إلا إيماء بإصبعه، فأخبر الله بما كان من إشارته و ما كان بينه و بينهم.

قال أبو لبابة و الله ما زالت قدمى حتى علمت أنى قد خنت الله و رسوله، و ذهب من وجهه فأوثق نفسه بسارية في المسجد، فقال صلى الله عليه و سلم أما إنه لو أتانى لاستغفرت له فأما إذ فعل فلا أحله حتى يكون الله هو الذى يحله، و ما زالت سارية أبى لبابة معروفة في المسجد، و هذه آية أخرى. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٤٥٥ و باب آخر قوله صلى الله عليه و سلم في أوان ضعفه أنه سيعظم أمره و يعلو شأنه ص : ٤٤٨

قد كان بنو قريظة في كثرة و بأس و نجدة، فقدذف الله في قلوبهم الرعب عند نزول رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى سعد فجاء على حمار أقرم، و قد كان أصابه يوم الأحزاب سهم، و كان يقول اللهم لا تمتنى حتى ترينى فى بنى قريظة ما أحب، فقال له

(١) فى سيرة ابن هشام أن النبى صلى الله عليه و سلم لما دنا من حصون بنى قريظة قال: يا إخوان القروء هل أخزاكم الله و أنزل بكم

نقمته، قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

سيرة ابن هشام ٢: ٢٣٤

(٢) الأنفال ٢٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بنى قريظة قد رضوا بك وبالنزول على حكمك، فقال له الأوس: يا أبا عمرو هم حلفاؤك، فقال سعد: قد آن لى أن لا تأخذنى فى الله لومه لائم؛ لينزلوا حتى أحكم. فلما نزلوا قال: قد حكمت بقتل مقاتلتهم، و سبى ذريتهم، و غنم أموالهم، و أن تكون للمهاجرين دون الأنصار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد حكمت بحكم الله، و هو معنى قوله: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» (١).

فانظر كيف يمتن عليهم بهذا، و العدو و الولى يسمع، و لا- يجوز أن يمن عليهم إلا- بما قد كان و علموه. فانظر كم علم فى قصة الأحزاب، و كم آية، و كم دلالة، و كم أعجوبة.

و قد دخل فى هذا الباب باب آخر و هو بانفراده حجة تامه، بل فى كل موطن منه حجة و دلالة، فمن ذلك قوله عز و جل: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَعْفِفْنَا لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا.» (٢)

فانظر كيف يخبر عن عدوه أنهم سيقولون ما فيه حجة عليهم قبل أن يقولوه، فيقولون ذلك و يفعلونه كما أخبر عنهم، و هذا من عجيب الأمور،

(١) التوبة ١٢٠

(٢) الفتح ١١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٥٧

و لها نظائر، مثل قوله عز و جل: «فَسَيُبَغْضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ» (١) و قوله: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (٢) و مثل هذا كثير.

فإن قيل: فما ينكرون أن يكون قد أخبر عنهم بعد أن قالوا.

قيل له: هذا لا يفعله عاقل بأن يقول لأمر قد كان و قد وجد و فرغ منه هذا سيكون، فيكذب هذا الكذب الظاهر عند قوم يعلمون أنه قد كذب و هو يدعى / الصدق و النبوة و أنه وجده حجة الله و صفوة الله و أنه لا أحد معه فى ذلك و لا بعده إلى يوم القيامة، فاعرف هذا و راعه فى أماكنه من القرآن إذا تلوته.

و تأمل قوله عز و جل: «يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» و قوله:

«بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا.»

فإن العاقل لا يفعل هذا بمن أظهر له الطاعة و إن كان متهما الباطنية، بل يظهر له القبول، هكذا حق الرئاسة و هو الذى تقضيه السيادة و هو الحزم و من سوء التدبير إظهار تهمة مثله، و هذا لا يفعله إلا من كان نبيا أو رسولا لله صادقا كما قد تقدم شرح ذلك لك.

و مما يؤكد ذلك، أنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم كان يوصى أمته بالمداراة و بالصفح و بترك

(١) الإسراء ٥١

(٢) الفتح ١٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٥٨

المكاشفة، و يقول: هذا هو الحزم. و قد كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم واجدا على بعض أحياء العرب، فوردوا عليه و هو معرض عنهم، فقام رجل منهم فأنشده «١»:

فحي ذوى الأضغان تستبق و دهم تحيتك الحسنى فقد يرفع النفل

و إن أظهروا سوءاً فأظهر كرامتهم و إن كنتموا عنك الحديث فلا تسل

فإن الذى يؤذيك منه استماعه و إن الذى قالوا وراءك لم يقل فأقبل صَلَّى اللهُ عليه و سلم و رضى عنهم و قال: إن من الشعراء لحكماء، و إن من البيان لسحرا، و أعاد قول الشاعر: و إن الذى قالوا وراءك لم يقل. استحسانا له و استصوابا، فلما صار إلى أمر الله عز و جل ما رضى إلا بمواطأة القلب للسان، و أن يكون الظاهر مثل الباطن، ثم ما رضى بأن يكون هذا القول منه و من عنده حتى قال هذا القول/ قول الله لا قولى، و قول خالقكم و خالق «٢» العالم بضمائركم و ما أخفيتهم.

و تأمل قوله: «قالت الأعراب أمانا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم» إلى قوله: «بلى الله يئن علىكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين» «٣»

فانظر كيف يقول لأولئك لما جاءوا معتذرين و سامعين و مطيعين: إنكم قد قلتم بألسنتكم ما ليس فى قلوبكم، و إن تعودكم لم يكن لشغلكم بأموالكم و أهليكم بل لظنكم أن لن ينقلب الرسول و المؤمنون إلى أهلهم أبدا.

و يقول لهؤلاء الآخرين الذين بهم ضعف بصيرة و قد جاءوا مذعنين

(١) كتب فى هامش الأصل: «سبب قول النبى صلى الله عليه و سلم: «إن من الشعراء لحكماء»

(٢) فى الأصل: «خالقى»

(٣) الحجرات ١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٥٩

و سامعين و مطيعين: لم تؤمنوا، و لكن قولوا: أسلمنا. فلا يسوغهم دعوى الإيمان مع ضعف البصيرة، و يقول: «إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العالمين علىها و المؤلفة قلوبهم» «١» فيعطيه العطاء الجزيل و يقول: هؤلاء الذين ضعفت بصائرهم أعطيهم أتألف قلوبهم لانحطاط منزلتهم عن منازل المهاجرين و السابقين و الأنصار، فيسميهم باسم المنقصة و يلبسهم جلباب المذلة و قد أعطاهم تلك العطايا الوافرة، و هذا خلاف تدبير عقلاء الناس و حكماء البشر، فإن هذا عندهم تضييع للمال و تنفير للناس و جناية على الملوك و نقض عرى الملك و هدم لأركانه.

و فى هذا المعنى قوله عز و جل: «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله و الله يعلم إنك لرسوله. و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون» إلى قوله: «و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون» و هذا من ذلك الجنس الذى قدمنا، و هى فى قوم من / المنافقين معروفين و هم عبد الله بن أبى سلول الخزرجى و أتباعه، و هذا كان سيدا فى الخزرج مطاعا عظيم الشأن، و كان متقدما فى الأوس و الخزرج جميعا، و كان رأس المنافقين، يطيعونه و يرجعون إليه، و كان قد حسد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم و سبق عليه أمره، و كان سعد بن عبادة يقول للنبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم اصبر عليه يا رسول الله و احتمله، فو الله لقد نظمنا خرزات تاجه

لنسوده حتى جاءنا الله بك.

و كان معه على النفاق جماعة من الأوس و الخزرج يؤملونه و يرجون أن تكون الرئاسة له، و كانوا يعدلون قومهم من الأنصار في محبتهم لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أتباعه.
و كانت الأنصار تحب إسلامه و إجابته و إخلاصه، فيذكرون له صحة الإسلام

(١) التوبة ٦٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٦٠

و حسنه، و يوبخونه في إبطائه عنه، فيجيبهم إلى ذلك فيسلم؛ ثم ينظر في أمره و أنه ليس له منزلة خُباب بن الأرت، و سهيل بن سنان، و زيد بن حارثة، و بلال مولى أبي بكر الصديق، و عمار بن ياسر، و أمثالهم من الموالى مع حبه للرئاسة إذ هو رئيس و سيد قبل الإسلام، فيتحسر، و يحمله الحسد، فيرجع و يتردد. و قد كان في بعض غزوات رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، إما في غزوة المريسيع أو غيرها قد ازدحم الناس على الماء لضيقه «١»، فوقع بين الجهجاه الغفاري صاحب عمر بن الخطاب و أجيره و بين رجل من الأنصار، فقال الغفاري: يا للمهاجرين و قال الأنصاري: يا للأنصار، و بلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول و هو في مجلسه و في جماعة من خواصه و خدنه و عبيده و أهل بيته، و كان في هذه الغزاة، فأظهر التعجب من أن يقال يا للمهاجرين و أن يكون أحد يعاز الأنصار و قومه/ من الأوس و الخزرج و أخذ يلوم الأنصار في مجيئهم بهم و أنهم جاءوا بقوم فقراء فواسوهم و مطرودين فأوهمهم و أنزلوهم ديارهم و مخدولين فنصروهم، فلما قوا و اشتدوا و اثبوهم و قالوا: يا للمهاجرين، و هذا كما قيل: سَمَنَ كلبك يا كلك، و ينبغي لهم أن يقطعوا النفقة عنهم حتى ينفصوا عن هذا الرجل «٢» و لئن رجعنا إلى المدينة لتأخذنهم بهذا، و لننضحن لهم، و ليخرجن الأعز منها الأذل. و كان قد قال هذا بحضرة ثقاته و ظن أن ذلك لن يبلغ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فجاء زيد بن أرقم الأنصاري و كان من أهل بيته فأعاد على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم المجلس، فذكر صَلَّى الله عليه و سلم ذلك للأنصار فجاءوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول فذكروا له ذلك، و أن زيدا بن أرقم حكى ذلك

(١) و تسمى أيضا غزوة بني المصطلق. و في سيرة ابن هشام يوضح أن الذي نادى أولا هو الأنصاري إذ قال: يا معشر الأنصار، و الأنصاري هو سنان بن وبر الجهني.

انظر لتفصيل الحادث سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٠

(٢) هو يتكلم عن الأنصار فيقول: ينبغي لهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٦١

عنه، فقال: ما قلت هذا، و حلف، و قال: قد كذب من ذكر ذلك عني، و أنا أعرف بحق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من أن أقول هذا، و زيد بن أرقم غلام حدث لا يدري ما يقول. فقالوا له كذا الظن بك، و أقبلوا على زيد بن أرقم تعذلونه و جاء هو إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مع أصحابه و خاصته يكذبون زيدا فيما حكاه، و يحلفون على ذلك، و أنهم يعتقدون في قلوبهم و ضمائرهم نبوة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و صدقه، فقبل رسول الله أيماهم و سمع منهم و أقبل عليهم يكذب زيد بن أرقم و لا صدقه، بل أمسك عنه. فأخذه صَلَّى الله عليه و سلم الوحي كما كان يأخذه، فأقبل على أصحابه و دعا بأبي بكر و عمر، و تلا السورة، و أخبرهما بصدق زيد بن أرقم و أنه على حدائته قد أجاب و صدق. فقال له عمر بن الخطاب يا رسول الله لم لا تأذن في قتل هذا، تقدم إلى بشر بن البر الأنصاري أو إلى غيره يقتله «١»، و تلا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم السورة على الأنصار، فقاموا/ إلى عبد الله بن أبي بن سلول فتلوا ذلك عليه و عرفوه ما كان، و عدلوه و لاموه و لاموا أصحابه و من حوله ممن يريد هذا، و قالوا: إلى كم يا

ويحك، و إلى متى تكون هذه الفضائح و يفضحكهم الله مرة بعد مرة، توبوا و ارجعوا، فقالوا نتوب و نرجع.
 وجاء ابن لعبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان مخلصا و كان بڑا بأبيه شديد المحبة له، فقال: يا رسول الله، قد بلغني ما كان من أبي و ما أحسب ولدا أبر بوالد مني و لكنني لا أرضى له ما يأتيه، و قد بلغني ما أشار به عمر، فإن أردت قتله فمرني بذلك فإنني و الله أقتله مع حبي له و بڑى به، و إن قتله غيري خشيت ألا- أصبر أن أرى قاتل أبي في الناس فأقتله فأدخل النار، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم لا تقتله و تأن به.

(١) في سيرة ابن هشام: عباد بن بشر الأنصاري

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٢

و لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذه الغزاة يريد المدينة، فلما قرب اعترض ابن عبد الله بن أبي بن سلول هذا أباه و اعتقل جملة و ثنى ركبته، فقال له أبوه: مالك يا بني و ما تريد، فقال له: و الله لا دخلت المدينة أو يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم الأعرز و أنا الأذل، فما زال يدافعه و يسأله تركه و تخليته فلا- يفعل، و يمر به الناس على طبقاتهم في سيرهم، فمنهم من يسأله الصفيح عنه و التخليه له و منهم من لا يفعل، و أصحابه و أعوانه يرون ذلك به و يشتد حسرتهم عليه، فما أفرج ابنه عنه حتى قال ذلك و نادى على نفسه. فتأمل ما في هذا من دلالات و علامات و آيات بينات تدل كل عاقل استدل بها على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و صدقه و فيه من ذلك أكثر مما شرحنا فتأمله تجده و هؤلاء المنافقون كبراء و رؤساء في قومهم، و كانوا مطاعين و لهم / أتباع، و قد كان اليهود يجلسون إلى عبد الله بن أبي بن سلول و يعظمونه و يجلونه و يزيدون في ذلك لأجل عداوته للنبي صلى الله عليه و سلم، و يبعثون الأوس و الخزرج على طاعته، و يقولون: سيدكم القديم و لحكمكم و دمكم، و إنما محمد و أصحابه دخلاء فيكم. و قد كان الجد بن قيس أحد السادة القدماء المطاعين في بني قبيلة من الأوس و الخزرج «١»، و قد كانت سبيله في النفاق سبيل عبد الله بن أبي بن سلول.

فإن قال قائل: قد لعمرى كان هذا من سيرة محمد صلى الله عليه و سلم و أفعاله و هو بخلاف سيرة حزمة الملوكة، و لن يقوم الملك بمثل هذا التدبير، و لكن إنما فعل محمد هذا في آخر أمره و حين صار بالمدينة و صار في عساكر و جماعات، و حين استتب أمره، فألا فعل هذا بمكة؟

(١) كان الجد بن قيس المتخلف الوحيد عن بيعة الرسول صلى الله عليه و سلم ببيعة الرضوان. ثم تخلف عن غزوة تبوك و نزلت فيه الآية: (و منهم من يقول ائذن لي و لا تغتنى). سيرة ابن هشام ج ٢: ٣١٦، ٥١٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٣

قيل له: ما في هذا طعن و لا جئت بشيء، بل ما حصلت و لا تدري ما تقول و لو سكت لكان أستر لك، لأنك ما زدت على أن قلت: هذا كان بالمدينة و لم يكن بالمدينة، و كان حين صار في عساكر و جماعات، فما في هذا من الطعن، و لو قد تدبرت لعلمت أن هذا زائد في حجته. لأنه بالمدينة ما رجع عن دعوى النبوة و الصدق و العصمة كما كان بمكة، و حين صار بالمدينة و في عسكر و عدوه في عسكر يقصده و يطرقه، فهو إلى الرجال و إلى التدبير بتدبير حزمة الملوكة و طلاب الدنيا و مداراة من يتهم باطنه و ترك مكاشفة مثل هذا أولى، فما زدتنا بسؤالك هذا إلا قوة في الحجّة. و قولك: أ لا كان هذا بمكة؟ فكيف يكون بمكة و ما هناك مناقق البتة؟، و كيف ينافقونه بمكة و هو و أتباعه كانوا بها مقهورين مغلوبين و بها من المسلمين من يكتنم إيمانه خوفا من قريش، و الذين / كانوا يظهرون إيمانهم بمكة قبل الفتح أبو بكر و عمر و عثمان و عليّ و أشباههم، من تلك الجماعة المعروفة، على ما عليهم في ذلك من الشدة و الأذية و البلية من قومهم و سواهم من الرجال و النساء كانوا يضعفون عما يقوى عليه أولئك فيكتمون إيمانهم، فمن أين

يكون بمكة منافق. و الأمر بالصد مما كان بالمدينة فكأنك تقول له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لم تكذب و أنت بمكة كما صدقت و أنت بالمدينة، و أيضا فهو كان بمكة وحيدا فريدا، «١» و من معه في ذلة و قلة و قبل أن يتبعه أحد، فما لان لعدوه بل كاشف و بالغ فيما يغضبهم و يغيظهم و جبههم بالإكفار و التجهيل بمثل قوله: «أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبِدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ» «٢» «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» و مثل قوله: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» «٣» و مثل قوله: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ

(١) في الأصل: وحيد فريد

(٢) الزمر ٢٤

(٣) الفرقان ٤٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٤

الْمَوْتِ وَلَا تَشْمَعُ الضَّمَّ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. و ما أنت بهادي العمي عن ضلاليتهم» و مثل قوله: «و ما أنت بمسمع من في القبور» إلى غير ذلك من نظائره مما لم يكاد يحصى لكثرتة، و هذا لا يفعله حازم و لا عاقل إلا أن يكون نبيا كما تقدم لك شرحه في غير موضع من كتابك هذا.

و تدبر قوله في أصحابه بدر: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يُنظَرُونَ» «١» كيف يوافقهم على اليسير مما كانوا يجدونه من الشدة و الخوف من عدوهم لقتهم و كثرة عدوهم.

و في هذا المعنى قوله: «و اذكروا إذ أنتم قليلٌ مُشْتَضِعُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصِيرِهِ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» «٢» و قوله في قصة أحد: «و لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» «٣» فواقف الذين أرادوا من الدنيا المباح من الغنائم على هذا المقدار، بخلاف تدبير البشر و من له حرص على طلب الرئاسة و الملك، حتى قال ابن مسعود: ما شعرت أن أحدا يريد الدنيا حتى سمعت رسول الله يقول: «مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» لأن المهاجرين و الأنصار اتبعوا النبي لصدقه و نبوته لا لغير ذلك، فإن اتفق لهم رزق مباح لم يكن بذلك بأس.

إلى قوله: «وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ

(١) الأنفال ٦

(٢) الأنفال ٢٦

(٣) آل عمران ١٥٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٥

لَكَ يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا» «١»

و هذا كان قاله عبد الله بن أبي بن سلول و أصحابه يوم أحد و هو من ذاك الجنس.

و مما يجرى هذا المجرى قوله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» «٢» و العاقل إذا تدبر علم أنهم لو لم يكونوا كذلك في ضمايرهم و طويتهم لما قاله فيهم و لما أخبر به عنهم، لأنهم كانوا ألفا و أربع مائة، فكان لا يأمن أن تكون طويتهم غير خالصة و إن أظهروا له ذلك، فكان لا يأمن أن يهجم منهم على خلاف ذلك، فيتبينون كذبه و هذا لا يفعله عاقل، فكيف بمثل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هو يدعى النبوة و الصدق و يدعو الناس إلى أن يعتقدوا ذلك فيه، و يريده

منهم و مع هذا فيقول إن هذا ليس بقولى و إنما هو قول ربى و ربكم علام الغيوب. و هذا فيه علوم بغيوب كثيرة [التي]، «٣» لا يعلمها إلا الله و لا يطلع عليها إلا صفوته و أنبيأؤه. و لو كان فيهم من ليس بخالص / الطوية لرجع إلى نفسه فكان يظهر ذلك و لو بعد حين، و لا يدع التحدث به و إن لم يجبه به رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يتحدث مع اليهود و الرؤساء الذين ذكراهم من أعداء النبى صلى الله عليه و سلم و يخبرهم بما كان عليه و ما قاله، و كانوا يسرون بعثته لرسول الله صلى الله عليه و سلم و زلة إن لو كانت و حاشاه من ذلك، فكان يبلغ ذلك رسول الله، و المسلمون و يتحدثون به، و يشيع الأمر، كما ظهر أمثاله من قول المنافقين مع إخفائهم لذلك. فتعلم حينئذ بدليل عقلك أن بواطنهم له صلى الله عليه و سلم كانت كظواهرهم كما أخبر و كما قال.

(١) آل عمران ١٥٤

(٢) الفتح ١٨

(٣) هكذا فى الأصل، و نظنها زائدة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٦٦

و قد كانوا يتعتنون و يتعلقون بالضعيف من الأمور و يسألون، ألا ترى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح قد كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فكان إذا انتهى إلى آخر القصة و قد أملى عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و كان الله» فيقول ابن أبى سرح:

غفوراً رحيماً، أو عليماً حكيماً، فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: هكذا نزلت فاكتب، فقال للناس: إنما يأتى محمد بهذا من تلقاء نفسه، و حكى مثل هذه الصورة، فكيف بما فيه الحجة لهم عليه. و لهذا نظائر مما قد سألوا عنه و ترددوا فيه، و ليس أحد من أصحابه من أخبر عنه مع كثرتهم شك أو تردد أو أخبر عن ضميره بخلاف ما أخبر صلى الله عليه و سلم. و من هذا الجنس قوله عز و جل: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (١) فأخبر عن المهاجرين المكيين بأنهم هاجروا لله و ابتغاء لمرضاة الله و شهد لهم بالصدق، ثم قال: «و الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالدَّيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٢) فشهد لهم بالفلاح، و هم خلق كثير، أخبر عن طوياتهم و ضمائرهم، و هذا من الغيب لا يعلمه إلا الله.

و من هذا الجنس، إخباره فى القرآن عن عائشة و صفوان بن المعطل الذى رميت به، فأخبر عز و جل ببراءة ساحتها و بغافلها عما رميت به و أن ذلك لم يخطر ببالها و لا همت به فضلاً عن أن تفعله، فقال عز و جل: «إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) الحشر ٨

(٢) الحشر ٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٦٧

عَظِيمٌ» (١) و قد جلد رسول الله صلى الله عليه و سلم أولئك القذفة و قال: الله أمرنى بجلدهم و أخبرنى بكذبهم فى قذفهم عائشة، و تلا عليهم: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» (٢) أى ما ضرركم بل كانت عقبى لكم، فإن الله عز و جل تولى إكذابهم بنفسه، و أنزل فيه القرآن المعجز و الآيات البينات التى لا إكذاب لها إلى يوم القيامة، ثم قال: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٣)

ثم عاتب المؤمنين الذين حكوا ما قالته القذفة و وبخهم على ذلك و على إمساحهم عن تكذيب أولئك و الرد عليهم و حسن الظن بعائشة و بصفوان فقال عز و جل: «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ» حتى قال: «فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ». فانظر إلى هذا التعنيف النازل بالمؤمنين الذين حكوا ما قالته القذفة في عائشة و قالوا: إنما قلنا ما قيل لا انا قذفنا و لا انا شهدنا.

ثم عاد إلى من كان له في القصة هوى فقال: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فتأمل هذا الوعيد لمن كان له في هذا هوى / و قوله للمؤمنين الأبرياء: «يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

ثم قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» أى إن هذا مما يزينه الشيطان و يدعو إليه و الشيطان لا يريد إلا الباطل ثم قال: «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا» أى لو لا لطفه بخلقه و حسن اختياره لهم و جميل تدبيره لما زكى

(١) النور ٢٣

(٢) النور ١١

(٣) النور ١١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٨

منهم أحد أبدا، ثم قال: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

و هذا القول يقوله الله لأبى بكر، فإن مسطح بن أثالة كان من بنى عبد مناف و كان ابن خاله أبى بكر و كان فى عياله، و قد كان خاض مع الخائضين فى شأن عائشة، فلما أنزل الله براءتها حلف أبو بكر ألا- ينفق على مسطح و قد كان تاب و ندم و كان من المهاجرين، فلما قال الله هذا القول لأبى بكر الصديق قال: بلى، يا رب نحب أن تغفر لنا، فرده فى عياله.

فتأمل هذا النكال النازل بالقذفة و الفضيحة الحائلة بهم و التوبيخ لمن أصغى لحدِيثهم و التركيبة العظيمة لهذه المقذوفة، و قد وقع فى هذه القصة جماعة كثيرة فيما يكرهون على طبقات، و هذا قول يعيظ و يغضب و يخرج المخبات و يذكر بالأحقاد و بالأمور القديمة و يبعث على البهت فضلا عن الإنصاف، فكيف بأمر قريب العهد. و لهؤلاء القذفة و الخائضين نفوس و أكباد و عشائر و أحباب، و فيهم مثل عبد الله بن أبى بن سلول، و يتصلون بأعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليهود و غيرهم،/ و لهم الحرص الشديد على كذبة أو زلة تقع منه فما قدروا، فلو لم يكن فى هذه القصة إلا إنسان واحد أو عائشة وحدها و كان هناك كذب لظهر، فكيف و فيها جماعة، فلو لم يكن الله قد أطلعه و أخبره بصدق عائشة و صفوان لما أخبر بهما فإن كان لا يأمن كذبهما، هذا لا يختاره عاقل سيما و هو يدعى الصدق.

فقد علمت أن الملوكة و طلاب الدنيا لا يؤمن غدريهم و كذبهم و بهتهم بل تلك عاداتهم و سجيئاتهم، و هم يطوون أسرارهم و لا يطلع عليه إلا الواحد بعد

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٦٩

الواحد من ثقاتهم ممن يشار إليهم فى ملكهم و نعمهم، ثم لا يأمن إن أظهر ذلك على نعمته و دمه، ثم لا يلبث السر الذى هذه سبيله أن يظهر ذلك فى زمن الملك من جهته أو من جهة ذلك الثقة الذى أطلعه عليه، و ليس للناس بإظهار ذلك عناية، و ربما لم يكن فى ذلك ما يتعلق بالدين و فيه معاداة الناس كلهم، و عنايتهم به و طلب عثرات من أتى به شديدة، و يتمنون وقوع ذلك منه. و من لا

عيب فيه و لا عادة في وقوع الكذب منه و من يدعى العصمة فصغار الأمور كبيرة منه، و قد يشيع عليه بما يشبه العيوب و الذنوب بأنه عيب و ذنب، و يتعلق عليه بمشكل الألفاظ و متشابه الكلام. و قد كان أعداؤه صلى الله عليه و سلم معه و بهم من الكثرة و القوة و الملك و السطوة ما قد عرفه الناس، و مع هذا فقد ارتد من ارتد من قبائل العرب بعد موته، و ناظرهم أصحابه و حاجوهم و حاربوهم فما أمكن أحد من أولئك الأعداء من المرتدين و لا المنافقين و لا اليهود و لا النصارى أن يقيموا حجة في / هفوة أو زلة أو فيما يشبه ذلك كان منه صلى الله عليه و سلم مع حاجتهم إلى ذلك و حرصهم عليه، فكانوا يدفعون بأس أصحابه عن أنفسهم بذلك و يوقعون الخلاف بينهم بذلك، لأن أصحابه إنما استحلوا دماء من خالفه ديانة لأنه نبي و لأنه صادق لا يخطئ و لا يزل و لا يكذب، و لو وقع منه شيء من ذلك لما حلت نصرته و لا تصديقه و لا اتباعه فلو كان فيمن زكاه و شهد على ضميره و نيته من ليس كذلك لما لبث أن يخبر بذلك و يرجع عن نبوته و تصديقه، و كان لا يسر بما أظهره من تركيته لأنه يعلم أنما أظهر تلك التزكية و التصديق حيلة عليه و خديعة له و سخرية منه، فكيف و الذين زكاهم و شهد على ضمائرهم جماعات كثيرة في أوقات متغيرة، و كذا من شهد بنفاقه، فاعرف هذا فإنه باب كبير من ورائه أبواب في دلائل نبوته صلى الله عليه و سلم.

ثم عدت إلى ما كنت بدأت به، فمن هذا الجنس قوله تبارك و تعالى:

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٧٠

«لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعْيَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَضَلُّنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» (١).

فتبين رحمك الله ما في هذا، فقد تقدم لك شرح نظائره، ثم قال: «عفا الله عنك لِمَ أَذْنَتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَ تَعَلَّمَ الْكَافِرِينَ. لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» (٢) و هذا في قوم معروفين استأذنوه عليه السلام ثم قال فيهم: «وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» (٣) و هذا خلاف تدبير عقلاء البشر، فإنهم إذا خلفوا من خلفوا خوفا من ضرره و هربا من شره و قدموا من قدموا ليهلك فيستريحون من شره لا يفضحون بذلك و لا يظهرونه و إنما يظهرون خلافة، فيقولون لمن خلفوه إنما خلفتك لحاجتي لتكون من ورائي و لتعطيني بك و لتعطيني عليك، و كذا يقولون فيمن يقدمونه، ثم قال: «لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَ قَلَّبُوا لَكِ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ» (٤) يريد ما كان من حرصهم على قتلك و استئصالك حتى طمعوا فيك، لو حدثت لك ثم لضعف من اتبعك حين آمنوا بك و لقلتهم حتى جاء ما وعد الله من النصر و الظفر و الظهور، ثم قال: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لِي

(١) التوبة ٤٢

(٢) التوبة ٤٣-٤٤

(٣) التوبة ٤٤

(٤) التوبة ٤٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٧١

وَ لَا تَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (١) و قد كان صلى الله عليه و سلم قال للجد بن قيس: هل لك في جلاذ بني الأصفر. يعني الروم. فقال هو و غيره:

بل تاذن لنا فنقيم و نتخلف و لا تفتننا فتغلظ المحنة علينا بأمرك إيانا بالخروج و ترك إعفائنا منه، فلعل ذلك أن يثقل علينا فنخالف

أمرك فيه.

فقال الله: «أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» أى فيما ذكروا أنهم يحذرونه من المعصية والخلاف سقطوا، و النار من ورائهم محيطه بهم على أفعالهم و نفاقهم و قعودهم عنك.

ثم قال: «قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ» و ليس من تدبير عقلاء البشر أن يقول لمن أظهر طاعته و أنفق فيها ماله و بذل فيها مهجته: / إن هذا لا ينعكك و لا يقبل منك ثم قال: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسَالَى وَ لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كَارِهُونَ» و هذا من ذلك الجنس فى المكاشفة ثم قال: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ» (١)، فقد كان للجد بن قيس و لعبد الله ابن أبى و أضرابهما ممن نافق من الأوس و الخزرج أموال ظاهرة و نعم و أولاد، و هم جماعة كثيرة، فأخبر الله نبيه بسوء أحوالهم فى الباطن و أن أموالهم وبال عليهم و الله يعذبهم بها بما يكلفهم من إنفاقها، فهم ينفقون أموالهم و يكفون أبدانهم و يقاتلون أولياءهم مع أعزائهم، و هذا من ذلك الجنس. و ليس يريد كفرهم، و إنما يريد تعذيبهم بكفرهم فى حال كفرهم، كما قد يقول الرجل لصاحبه: إنما أريد أن تعودنى و أنا مريض، و إنما أريد أن تزورنى و أنا محبوس،

(١) الآيات السابقة من سورة التوبة ٣٨ فما بعدها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٧٢

و إنما أريد أن تسد خلتي و أنا فقير، و هو لا يريد أن يكون مريضاً و لا محبوساً و لا فقيراً، و إنما يريد أن يعامل بهذه المعاملة و هو فى هذه الأحوال، فكذا أراد الله تعذيبهم و هم كافرون، أى فى حال كفرهم و لأجل كفرهم و إن كان لكفرهم كارهاً. ثم قال: «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعِيدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمُومًا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ» (١) و هذا فى قوم من المنافقين معروفين اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير، فقال رجل كانوا يظنونه منهم و هو مسلم: و الله الذى لا إله إلا هو إنه لحق و لأنتم شر من الحمير. ثم أتى النبى صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فدعاهم فقال: / أنتم القائلون كذا و كذا، فحلفوا بالله ما قالوا، فأنزل الله ذلك، فقال رجل منهم: قد و الله قلنا، و أرى الله قد عرض على التوبة و بذلها لى، و الله لأقبلنها؛ فتاب و اعتذر، و هو معروف.

و قد قلت لك: إنك بعقلك تعلم أن هناك قوماً (٢) هذه صفتهم و قد قالوا ما حكاه الله عنهم و إن لم نعرف أسماءهم و أعيانهم. و قوله: «وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعطيهم من الغنائم إذا حضروا الحرب على ظاهر الإسلام، و يعطيهم من الصدقات بظاهر الفقر، فأذكرهم الله بهذه النعم، و هذا كقولك ما لى إليك ذنب إلا نصحى لك و محبتى إياك.

ثم قال: «وَمِنْهُمْ مَن مِّنْ عَاهِدِ اللَّهِ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً

(١) التوبة ٧٤

(٢) فى الأصل: قوم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٧٣

فى قلوبهم» إلى قوله: «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (١) و قد كان النبى صلى الله عليه و سلم حث الناس على الصدقة، فجاء عمر بصدقته و جاء عبد الرحمن بصرة يعجز عنها الكف، و جاء عثمان أيضا بما هو معروف من عظم صدقته، و كذلك

غيرهم من الصحابة. و جاء رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر، فقال المنافقون: لو كان لنا مال لأعطينا أكثر مما أعطى عبد الرحمن، وقالوا لصاحب الصاع: إن الله لغنى عن صاعك هذا، فلمزوا من إعطاء الكثير و من إعطاء القليل، فلهذا قال الله: «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» (٢) فلهذا فصل الله عز و جل بين الفريقين. و أما قوله: «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» فإن الله لا يفعل سخريه الساخرين، و لا ظلم الظالمين، و لا استهزاء المستهزئين، و لا خداع المخادعين، و لا جور الجائرين، و لكنهم لما جازاهم على سخريتهم جاز أن يقال سخر منهم، و هذا جزاء، كقوله: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» (٣) و «جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (٤) فالأولى سيئة و الثانية جزاء. ثم قال: «وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» و هؤلاء قوم معروفون بأعيانهم تخلفوا عن الخروج مع رسول صلى الله عليه و سلم إلى غزوة تبوك و قالوا هذا القول، و كان قد خرج في أشد ما يكون من الحر، و كانت نصارى العرب قد خرجوا إلى ملك الروم يحثونه على قصده لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و قالوا له: هو و أصحابه فى جهد و ضر شديد، فانتهاز الفرصة فيهم. فبادره رسول الله صلى الله عليه و سلم و خرج بأصحابه و هم فى ضر شديد و إعواز و عدم القوت، و توجه نحو

(١) التوبة ٧٥

(٢) التوبة ٧٩

(٣) البقرة ١٩٤، و فى الأصل: و من اعتدى

(٤) الشورى ٤٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٧٤

الشام فى عشرة آلاف فارس و عشرين ألف راجل، و أقام بتبوك و ملك الروم بدمشق، فراسله النبى صلى الله عليه و سلم و دعاه إلى إجابته و الدخول فى طاعته و وبخه و كان له معه ما هو معروف.

«وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ»، و المعذّر بالتشديد هو المقصر الذى لم يستفرغ وسعه، و المعذر بالتخفيف الذى قد قدم فيما بينه و بين أخيه و صاحبه ما هو غاية فى العذر (١) و كان ابن عباس رضى الله عنه يقرأ: المعذرون بالتخفيف، و يقول: لعن الله المعذرين، ذهب إلى الذى يعتذر بغير عذر.

ثم قال: «يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» (٢).

و كذا يجب على المسلم أن يرضى ما رضى الله و عمن رضى الله و يسخط ما سخط الله، و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يرضى بقدر الله» فالرضى بقدر الله واجب، و سخط المعاصى فرض لازم، فالويل لمن رضى بمعاصى الله و الويل لمن لم يرض بقدر الله (٣).

و قوله عز و جل: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ كُفْرًا» إلى قوله:

إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

و كان رجل من كبار الأوس يقال له أبو عامر عبد عمرو بن صيفى و كان يعرف بأبى عامر الراهب، و قد كان أظهر الترهب و أنه يطلب الحنيفية و دين

(١) جاء فى هامش الأصل: المعذر بالتشديد: المقصر. المعذر بالتخفيف

(٢) التوبة ٩٦

(٣) جاء فى هامش الأصل: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يرضى بقدر الله».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٧٥

الحق. فلما قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة لقيه أبو عامر فقال: يا محمد إلام تدعو، فقال إلى دين الحنيفية الذي تطلبه بزعمك، فقال له: ما أنت عليه؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بلى، ودعاه فأبى، وحسد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له أبو عامر:

الكاذب منا أماته الله غريبا شريدا طريدا، يعرض برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم فعل الله ذلك بالكاذب منا. ثم أقبل أبو عامر على قومه ينهاهم عن اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن طاعته ويجتهد، وأعلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآياته تتزايد وتظهر ويكثر أتباعه من قوم أبي عامر فيزداد غيظا. واتخذ مسجدا يجمع إليه الناس فيحادثهم وينهاهم من اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزعم أنه على الحنيفية، وأن دينه سيظهر ويصير في جماعة وعز، فكان يجتمع إليه قوم من المنافقين، ويجلس إليهم اليهود ويقوون منهم الخلفاء على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم إنه خرج إلى مكة وبعثهم على غزو النبي وحربه، ويقول: أنا معكم وقومى من الأوس معكم، فإذا لقيتم محمدا صرنا إليكم. وكان معهم في وقعة أحد، فلما تنازلوا نادى أبو عامر قومه معاشر الأوس، أنا أبو عامر فقالوا: لا مرحبا بك يا فاسق، وسبوه ولعنوه، فقال: لقد أصاب قومى بعدى شر. وقد كان خرج إلى مكة من قومه جماعة كثيرة وهم على رأيه في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا نحو خمسين رجلا، فقاتلوا المسلمين / مع قريش قتالا شديدا، ثم صار أبو عامر إلى الروم ولقى قيصر ملك الروم بالشام، فدعاه إلى قتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين وحرّضه على ذلك، وهون أمرهم عنده بضعفهم وفقيرهم وقله عددهم وكثرة عدوهم، وخوفه العواقب إن هو لم يفعل ذلك بما لا يأمنه من قوة الإسلام. ثم إن أبا عامر مات بالشام طريدا غريبا وحيدا كما دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا أيضا من أعلامه في إجابته دعوته.

وقوله: «أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» دلالة على أن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٧٦

الفتنة بمعنى النعمة «١» وفيها دلالة على أن الله قد أنعم على الكافرين والمنافقين بنعمة الإيمان، وأكمل عقولهم وقواهم وأزاح عنهم، فبدلوا نعمة الله كفرا وأبطأوا عن التوبة والتذكر.

وانظر إلى ما في قوله: «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «٢» وهذه نزلت في هؤلاء الثلاثة من المؤمنين خاصة، وهم «٣»: كعب بن مالك و هلال بن أمية و مرارة ابن ربيعة و كلهم من الأنصار، وكان هؤلاء تخلفوا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، ثم ندموا و اغتموا غمًا شديدا و حزنوا لذلك حزنا عظيما ضاقت صدورهم به، فأخبره الله عز و جل عن صدق نياتهم و خلوص ضمائرهم و ما فيها من الحزن و الغم بتأخرهم و ما كان ليتلو ذلك إلا و قد علم و تيقن ما في ضمائرهم، و في هذا من الدلالة مثل ما تقدم، و الكلام فيه مثل الكلام في ذلك، فاعرفه.

و كان «٤» تخلف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزاة خلق كثير من المسلمين نحو ثمانين رجلا، و ذكروا/ ما أخرجهم، و صدقوا عن أنفسهم، و منهم من لحق به بتبوك قبل أن يرجع إلى المدينة. و كانت هذه الغزاة صعبة شديدة، خرجوا في الحر الشديد و كانوا في إضاقة «٥» و في قلة من الزاد، و كان الزمان

(١) جاء في هامش الأصل: «قوله تعالى: (أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) دلالة على أن الفتنة بمعنى النعمة.

(٢) التوبة ١٢٦

(٣) جاء في هامش الأصل «قوله تعالى: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» نزل في كعب بن مالك و هو و هلال بن أمية و مرارة بن ربيعة.

(٤) في الأصل، و كان كان

(٥) هكذا في الأصل، و لعلها ضائقة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٧٧

حريقا، و أقبل صلى الله عليه و سلم من تبوك، حتى إذا دنا من المدينة تلقاه عامه الذين تخلفوا عنه من المؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا يكلمن رجل منهم و لا يجالس حتى آذن لكم، و أعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و المؤمنون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه و عن أخيه، و حتى إن المرأة لتعرض عن زوجها. فمكثوا أياما، و يجعلون يعتذرون إلى النبي صلى الله عليه و سلم بالجهد، و يحلفون له، فرحمهم صلى الله عليه و سلم و استغفر لهم. و قالت بنو سلمة لكعب بن مالك امش إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعتذر إليه و بايعه لعله يقبل منك، فأقبل معهم و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس في المسجد يبيع، فسلم عليه فأعرض عنه، فقيل إن كعبا قال: لم تعرض عني يا رسول الله، فو الله ما نافقت و لا ارتبت و لا بدلت، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فما خلفك عني؟ قال:

أما إنى لا أعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعذر، لقد كنت شابا موسرا و لكن أصابني فتنة فتخلفت. فسمع مرارة بن ربيعة و هلال بن أمية بالذى قال كعب فقالا- مثل قوله، فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقاموا من عنده، فقالت بنو سلمة لكعب: و الله ما أصبت و لا أحسنت و لو اعتذرت لقبيل منك، فقال لهم كعب: و الله لا أجمع اثنتين: أتخلف و أكذب و قد اطلع الله على ما فى نفسى فقالت بنو سلمة: و الله إنك لشاعر مفوه بليغ جرىء على الكلام، فقال كعب: لن أجتريء على الكذب.

فمكث هؤلاء الثلاثة قريبا من شهرين لا يكلمهم أحد من المسلمين و لا يجالسهم، حتى أعرض عنهم نساؤهم، و وجلوا أشد الوجع، و خرجوا من أهاليهم إلى البرية، و طلبوا الفساطيط يأوون إليها بالليل و يتعدون الله. و كتب جبله بن الأيهم ملك غسان إلى كعب بن مالك أنه بلغنا أن صاحبك نبا بك و أقصاك هلم إلينا فإن لك متحولا و لا تقم على الهوان؛ فأقبل كعب بكتابه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يبكى، فقال يا رسول الله: ما زال إعراضك عني حتى رغب في

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٧٨

المشركون يدعوننى إلى الشرك، فلم يراجعه رسول الله صلى الله عليه و سلم. فرجع كعب أحزن ما كان و أشده كربا، و قد أقام أياما فى الفسطاط ينتظر التوبة و هو بالحمى فضاقت عليه برحبها، فرجع إلى سلع «١» فكان يقيم به بالنهار صائما و يأوى إلى داره بالليل، حتى نزلت التوبة له و لصاحبيه و رضى الله عنهم و رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيت أم سلمة فقام من الليل فتوضأ و استن ثم قال لأم سلمة: الحمد لله الذى أنزل لإخواننا التوبة، فقالت: من هم يا رسول الله، فقال: كعب ابن مالك و صاحبا، فقالت أم سلمة: أ فلا أبعث إليهم و أبشرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أصبحى، فضلى رسول الله صلى الله عليه و سلم الصبح و انصرف، فاجتمع إليه المهاجرون و الأنصار فقال لهم: قد تاب الله على إخوانكم الليلة، ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا و سعى أبو بكر و عمر بيندران كعبا ليبشراه، فسبق أحدهما صاحبه، فارتقى المسبوق على سلع فصاح: يا كعب بن مالك، أبشر بتوبة الله، فقد أنزل الله فيكم القرآن. و كعب جالس فى مسجد قومه فسمع الصوت فوق ساجدا يبكى سرورا بالتوبة و اجتمعت إليه بنو سلمة رجالهم و نساؤهم يهنئونه بالتوبة، و أقبل كعب سريعا إلى رسول الله فبايعه و استغفر له و بشره بالتوبة التى نزلت فيه و فى أصحابه، و قرأ عليه: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ» إلى آخر القصة.

و هذا كعب بن مالك أحد الشعراء و السادة و البلغاء و كذلك صاحبا فمن السادة، و كانت هذه حالهم فى تخلفهم و ما امتحنوا به و ما صدقوا به عن أنفسهم و الإخبار عما فى ضمائرهم، لتعلم حسن هذا التدبير و إدلال رسول الله صلى الله عليه و سلم بالصدق و الأمانة و البعد من كل ريبه و من كل حيلة و مما جرى عليه

(١) لتفصيل حادثة الثلاثة الذين خلفوا ومنهم كعب رضى الله عنه انظر سيرة ابن هشام ٤: ٥٣١-٥٣٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٧٩

أمر البشر، فتدبر ما يقرأ ويكتب لتعرف أعلام النبوة وتظهر لك حيل المحتالين على المسلمين في تشكيكهم فيها وإخراجهم من الإسلام من حيث لا يشعرون، فإن القوم الذين قدمنا ذكرهم حين كادوا الإسلام تستروا بالتشيع، وقالوا: يجوز على أنبياء الله وحججه «١» تزيئة المشركين ومدح الكافرين وشم النبيين والبراءة من الصديقين على طريق الخوف والاتقاء، وإنما قالوا ذلك لما قد قهرهم من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين لأبي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعة من المهاجرين والأنصار، فقالوا: إن هذا المدح على طريق الخفية من هؤلاء واتقاء لهم ولأسهم، وأنت ترى مكاشفة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعداء في حال الوحدة وهو خائف يترقب، وهو في أيديهم وفي قبضتهم مقهورا مغلوبا، وقد تقدم شرح ذلك، وتقدم لك أيضا أن هؤلاء المهاجرين والأنصار قد علمنا أنهم أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولياؤه وثقاته وأمناءه، وأنه كان يحبهم ويتوالاهم، وأن العلم بذلك قبل العلم بنبوته، وأنه قد فرض على أمته وأهل طاعته محبتهم وموالاتهم كما فرض عليهم البراءة من الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحرث، وعتبة بن ربيعة وأمثالهم من أعدائه من قريش ومن اليهود والنصارى/ على ما تقدم لك من شرح ذلك، وقد تقدم لك أيضا أن أنبياء الله وحججه لا يجوز أن يتقوا وإن خافوا وإن غلبوا وإن قهروا. وأعجب الأمور أن رؤساء الجاهلية وأقوال العرب والمتبوعين والمطاعين كعبينه بن حصن، والعباس بن مرداس، وعامر بن الطفيل. وأضرابهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نحب أن نجلس إليك ونسمع منك ونحن وجوه الناس، وإنما حولك هؤلاء الفقراء والعبيد كصهيب بن سنان، وخباب بن الارت، وعمار ابن ياسر، وبلال، وأرواح ثيابهم كأرواح الجلود العظنة، ونكره أن ترانا

(١) جمع حجة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٨٠

العرب معهم، فاجعل لنا يوما ولهم يوما. فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولم ير به بأسا، رجاء لإسلام هؤلاء وأنهم متبوعون مطاعون يسلم بإسلامهم الخلق الكثير، فأنزل الله: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» «١» وقد كان قوم من هؤلاء الرؤساء الذين قدمنا ذكرهم قالوا: يقدم هؤلاء العبيد والموالي والفقراء علينا، فأنزل الله: «وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَمْ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْبُرْجَانِ وَالشَّارِكِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «٢»

وفي هذا المعنى نزل قوله عز وجل: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» «٣».

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك العزم ولم يفرده أولئك الرؤساء/ بمجلس يخصهم، وقدّم هؤلاء الفقراء والعبيد والموالي، فكانوا أقرب الناس إليه، ويجلس إليهم ما جلسوا، ولا يقوم عنهم حتى يقوموا. وقد كانوا عرفوا ذلك منه، وكانوا إذا أقبلوا يقول لهم: سلام عليكم مرحبا بكم، بأبي من عاتبني فيهم ربّي اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين. يريد المتواضعين للمسلمين.

فتأمل هذا التدبير، وكم كان من الرؤساء من قريش وغيرهم يبطنهم

(١) الأنعام ٥٢

(٢) الأنعام ٥٣-٥٤

(٣) الكهف ٢٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨١

عن الإسلام أنهم قد علموا أنهم إذا أسلموا لم يتقدموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الموالى والعبيد، بل لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوى بينهم، وإنما كان الناس يتقدمون عنده على السابقة والهجرة والبصيرة. فلما فتحت مكة وأسلمت العرب ويثس عدو الإسلام من الطمع فيه تحدث أبو سفيان وأمثاله من بنى عبد مناف، أن الذى أخرنا عن الإسلام أنا حسدنا بنى عمنا من بنى هاشم ولقد أوفى الحارث بن هشام على مر قب حين خرج من مكة [١]، فلم يبق بها نافخ ضرمه إلا خرج مودعا له ومستوحشا لفراقه، فقال: ما بلد أحب إلى من بلدكم ولا قوم أحب إلى منكم، ولكن حدث هذا الأمر فسبق إليه رجال ليسوا من أقدارنا، ولئن سبقنا عمار وبلال وصهيب إلى الإسلام فلن يسبقونا إلى الجنة، وأنا حبيس فى سبيل الله ما حيت. فكان منه ومن عكرمة ابن أخيه وغيرهما من بنى مخزوم وهم كانوا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مسلمة الفتح من الجهاد فى سبيل الله وفى قتال المرتدين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ردوهم إلى دين الإسلام، ومن جهاد الفرس والروم، ومن الصبر على تلك الشدائد، ما هو مذكور فى كتب العلماء.

وفى هذا المعنى ما كان آذن عمر بن الخطاب يخرج وبابه سادات/ العرب فيقول: أين بلال؟ أين عمار؟ أين صهيب؟ أين خباب؟ فينهضون مقدمين مكرمين، وبالباب سهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وعيينة بن حصن، وأمثالهم من السادة. فنظر إليهم سهيل بن عمرو وقد تمعرت وجوههم من جلوسهم بالباب والإيذان لأولئك قبلهم فقال لهم: ما لكم معشر العرب تتمعروا وجوهكم، هؤلاء قوم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم اليوم بباب عمر، لما أعد الله لهم فى الجنة غدا أفضل، وهذا سهيل بن عمرو

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٢

كان من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أشدهم عليه وهو من مسلمة الفتح، فاسمع قوله وتأمل أمره. وكم يحدث معاوية وآل أبي سفيان وآل مروان فى ملكهم وفى سلطانهم بعد مضي أئمة الهدى أن الذى أخرهم وأخر أباهم عن الإسلام الأنفة أن يكونوا كمن قد قدمنا ذكره.

ومنهم من أخره الحسد والمنافسة، ومنهم من أخره منع إخوانه وساداته وهذا باب مفرد.

وقد علمت أن الملوكة والجبابرة قد تكون لهم الهفوات والزلايت فتقف عليها ثقاتهم ووزراؤهم وشركاؤهم فى الملك ومن يخافهم على دمه فى التحدث بعيوبهم فيحدثون به فى حياتهم ويلقونه إلى ثقاتهم ولا يملكون أنفسهم لثقل الكتمان على الناس، فأما إذا مات الملك أو الرئيس فيحدثون به كل أحد مجاهرين، هكذا جرت العادة ودلت عليه العبرة، وهؤلاء تحدثوا بهذا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، لتعلم وثاقه أمر النبوة وأن أمرها وأساسها وضع على مثل الجبال. وما كنا فى هذا الباب وإنما كنا فى بطلان قول الذين رموا الأنبياء بكتمان الحق وإظهار الباطل، فاتصل الكلام بما أشبهه فخرنا إلى هذا.

/ ثم عدت إلى بيان بطلان قول هؤلاء فتأمل قوله: «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى، كَلَّا».

وقد كان بعض سادات العرب وأغنياؤهم قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض شأنه، فأقبل صلى الله عليه وسلم على كلامه رجاء إسلامه وأتاه فى تلك الحال ابن أم مكتوم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٣

- و كان أعمى - يكلمه، فتشاغل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جوابه بذلك السيد فعاتبه الله هذا العتاب في شيء هذا قدره.

فكيف يسوغ أن يظن عاقل متأمل بالنبي صلى الله عليه وسلم ما ادعاه هؤلاء عليه!!

و تأمل قوله: «وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مِمَّا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» (١)

و هذه نزلت في قصة زينب بنت جحش و كانت بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجها يزيد بن حارثة و كان مولى.

و كان قد زوج أيضا ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد بن الأسود و كان من الموالى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلان مذاهب الجاهلية في الأكلفاء، و كانت زينب هذه شرسة الأخلاق كثيرة النقار لزيد و الخصومة له، و كان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكره أذية زيد، و كان زيد لا يصبر و لا يطيق أخلاقها و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمتنهدم على تزويجها به و يقول في نفسه: ليتني كنت تزوجتها فكنت أحمق باحتمالها و الصبر عليها من زيد و غيره لقربها مني / و كان زيد إذا هم بطلاقها نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك و قال:

اصبر و احتمل و أمسك عليك زوجك، فلم يصبر زيد، فطلقها، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فكره استحياء من زيد و غيره، فقال الله عز و جل له هذا القول في شيء ليس بمعصية، ثم أمره بالتزويج بها لما أراد و نواه من صلته رحمه، و لئلا يخرج المؤمنون في التزوج بأزواج أديعائهم و من يتبنونه و لم يكن من أصلابهم، فقال عز و جل: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا

(١) الأحزاب ٣٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٤

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.

فتأمل هذه الأقوال في هذه الأمور الصغار، و تأمل دعوى هؤلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يحدثونك عن مسيئة أو عن كسرى و قيصر في سيرتهم، لا عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم و سيرته و تدبير الله له.

و باب آخر [حول الآية الكريمة «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» و كيف كان كما أخبر تعالى]

و هو قوله عز و جل: «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» (١) فكان ذلك كما أخبر، حتى تم أمر المسلمين و كانت العقبي لهم، و إن كان في خلال ذلك قد كانوا ينالون من المسلمين و يقتلون منهم إلا أن العقبي كانت لهم عليهم كما قد تبين و لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب»، و قد كان المسلمون يرون ذلك و يتحدثون المشركون بما يجدونه منه و قالت بنت للحكم بن أبي العاص لجدها:

ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا و لا أعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية، فقال: لا تلومينا يا بنية لا أحدثك إلا- ما رأيت بعينى هاتين. تواعدنا مع قريش لناخذة، فلما دنونا إليه سمعنا صوتا خلفنا ظننا أنه ما بقى بتهامه/ جبل إلا تفتت، فغشى علينا و ما عقلنا حتى قضى صلاته و رجع إلى أهله، ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا إليه، قال فرأيت الصفا و المروة قد التقى أحدهما بالآخر فحالنا بيننا و بينه فو الله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام. (٢).

(١) الأنفال ١٢

(٢) كان الحكم بن أبي العاص أحد نفر يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم و هم أبو لهب و عقبه ابن أبي معيط، و عدى بن

حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، والحكم، و كانوا جيران الرسول و لم يسلم منهم إلا الحكم. سيرة ابن هشام ١: ٤١٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٥

و لقد قال لهم أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قالوا: نعم قال: فالذي يحلف به لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبته، فقيل له ذات يوم: هو ذاك يصلى فانطلق إليه ليفعل به ما قال، فما رأيناه إلا و هو ينكص على عقبه و يتقى بيده، قالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: بيني وبينه حدق و هول و أجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا. و اجتمع مرة الملائكة من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فقالوا: قد التبس علينا أمر محمد، فلو علمنا رجلا يعلم الشعر و السحر و الكهانة بعثنا به إليه يكلمه و يأتينا ببيان أمره، فقال عتبة بن ربيعة: أنا أعرف الكهانة و الشعر و السحر، و قد علمت منه علما فأنا آتية فلا يخفى علي أمره، فأتاه فقال:

يا محمد، أنت خير أم عبد الله، أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، فبم تشتم آلتهنا و تضلل آباءنا و تفعل و تفعل، إن كانت بك الرئاسة جعلناك رئيسا علينا حتى تموت، و إن كان بك الباه زوجناك عشرة نسوة تختارهن من قريش، و إن كان بك المال أعطيناك ما تستغنى به و عقبك، و النبي صلى الله عليه و سلم ساكت؛ فلما فرغ عتبة قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا أبا الوليد قد قلت فاسمع: ثم قرأ صلى الله عليه و سلم «حم تنزيل من الرحمن الرحيم» حتى بلغ إلى قوله: «فإن أعرضوا فقل أنذرناكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود» ١) فأمسك عتبة على فم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: أنشدك بالرحم لما كفت. ثم رجع إليهم فقالوا له: يا أبا الوليد رجعت بغير الوجه الذي ذهبت، فقال: يا قوم أمسكوا عن هذا الرجل فإن تم أمره فشره لكم، و مضى إلى منزله فقال أبو جهل: ما أرى عتبة إلا قد صبأ و اتبع محمدا، انطلقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبو جهل: ما نراك إلا قد صبأت

(١) فصلت ١٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٦

و اتبعت محمدا، فغضب و أقسم ألا يكلم محمدا أبدا، و لكنى أتيته، و قص عليهم ما قاله له، قال: فقرأ علي: بسم الله الرحمن الرحيم «حم تنزيل من الرحمن الرحيم» حتى بلغ «أنذرناكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود» فأمسكت على فيه و ناشدته بالرحم و علمت أن محمدا لا يكذب، و خفت أن يأتيكم: العذاب.

و قال الزبير بن العوام و هو يذاكر الناس بحال رسول الله و حالهم بمكة قبل الهجرة: رأيت نفرا من المشركين حول الكعبة و رأسهم يومئذ أبو جهل، و أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم يتآمرون بمناهضته، فقال لهم: قبحتم و قبح ما اجتمعتم له، قال: فخرسوا فما منهم إنسان يكلمه، و لقد رأيت أبا جهل و هو يعدو في إثر رسول الله صلى الله عليه و سلم يعتذر إليه و يقول: يا محمد أمسك عنا و نمسك عنك، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا أمسك عنك حتى تؤمن بالله أو أقتلك، فقال أبو جهل و أنت تقدر على قتلي، قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: الله يقتلك و يقتل هؤلاء معك، فولى أبو جهل و أصحابه فما بقي من أولئك أحد إلا قتل. و الصحابة يتذاكرون ذلك و يتعاودونه.

و قصة أخرى كانت لقريش مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة، و قد قدم رجل من أراش يابل له / إلى مكة، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادى قريش، فقال: يا معشر قريش، إنني غريب و ابن سبيل، و قد غلبني أبو الحكم بن هشام على حقي، فرجل منكم يأخذ حقي منه؟ و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس في ناحية المسجد. فقال أهل المجلس للأراشي «١): ترى ذلك الرجل، يعنون رسول الله، إنه نديم أبي الحكم،

(١) أراشى نسبة إلى قبيلة عربية

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٧

أذهب إليه فهو يأخذ لك حقه منه، يهزون به لما يعلمون من شدة عداوة أبي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والأراشى لا يعرفه. فأقبل الأراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقي قبله وأنا غريب وابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي فأشاروا علي بك، فخذ لي منه بحقي رحمك الله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، فلما رآه أهل المجلس قد قام معه قالوا لرجل منهم: اتبعه وانظر ما يصنع.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جهل فضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ قال محمد: أخرج إلي، فخرج إليه وما معه روحه وقد امتقع لونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعط هذا الرجل حقه، فقال: نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذي له، فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للأراشى: الحق بشأنك، فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال:

جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي، وجاء الرجل الذي بعثه معه، قالوا له: ما الذي رأيت؟ قال عجباً من العجب، والله ما هو إن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه، فأعطاه حقه. ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: مالك، والله ما رأينا مثل ما صنعت، و تحدثوا بأنهم هم أشاروا على الأراشى محمد هزاً/ بالأراشى لما سألهم وجيها عندك و نديما يأخذ له حقه، و ما ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله و لا إن سأله في الأراشى إلا منعه و حرمة و نال منه و من محمد، فقال لهم أبو جهل: و يحكم و الله إن هو إلا- أن ضرب على بابي و سمعت صوته فملئت رعباً و خرجت إليه و إن فوق رأسه لفحلا- من الإبل ما رأيت مثل هامته و لا أنيابه لفحل قط، و الله لو أبيت لأكلني.

و مرة أخرى اجتمع الملاء من قريش في الحجر فتعاقدوا باللات و العزى بآلهتهم كلها لو قد رأينا محمد لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٨

نقلته، فأقبلت بنته فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت عليه فقالت: يا أبت إن هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك و لو رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك فقال:

يا بنى أذى وضوء، فتوضأ ثم دخل المسجد، فلما رآه قالوا: ها هو ذا، ها هو ذا، و خفضوا أبصارهم و سقطت أذقانهم على صدورهم فلم يرفعوا إليه بصراً و لم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رءوسهم و أخذ قبضة من تراب ثم قال: شأهت الوجوه ثم حصبهم بها فما أصاب رجل منهم من ذلك الحصباء إلا قتل كافراً.

و مرة أخرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت و يده في يد عثمان بن عفان، و في الحجر عقبه بن أبي معيط، و أبو جهل، و أمية فمر بهم رسول الله بين أبي بكر و عثمان، فلما حاذاهم أسمعوه ما يكره، و أدخل أصابعه في أصابع عثمان و طافوا جميعاً فلما حاذاهم أيضاً قال أبو جهل: و الله ما نصالحك ما بل بحر صوفه، أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا. ثم مضى عنهم/ و صنعوا به في الشوط الثاني كذلك، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه، و قام أبو جهل يريد أن يأخذ مجمع ثوبه، فدفع عثمان في صدره فوقع لقفاه، و دفع أبو بكر أمية بن خلف، و دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبه بن أبي معيط، فأفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم صلى الله عليه وسلم:

أما و الله ليحلنّ بكم عقابه عاجلاً، فما منهم رجل إلا رعب و أخذه إفكك، ثم قال لهم و هم في تلك الحال من الرعب: بئس القوم أنتم لئيبكم، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر و عثمان فقال: «أبشرا فإن الله مظهر دينه و متمم كلمته و ناصر نبيه، إن هؤلاء الذين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٩

ترون يجرى الله ذبحهم بأيديكم عاجلا، فقال عثمان و هو يذاكر الصحابة بهذه القصة: فوالله لأجرى الله ذبحهم على أيدينا يوم بدر. وقال بعض العرب: وقد كان مع عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقعة حنين: إن محمدا لما أخذ كفا من الأرض و رمانا به و قال شامت الوجوه، وجدنا في قلوبنا الرعب.

و لسنا نقول: إن الله كان يمنع منه صلى الله عليه وسلم في كل وقت و يربع عدوه منه في جميع الحالات، بل قد ضربوه و سحبوه و خنقوه و وضعوا التراب على رأسه و السبيل و الفرث و أخافوه، و لكن بينا أن الرعب قد وقع كما قال الله و قامت به الحجة و انتقضت به العادة، فليس يقدر في ذلك أن لا يكون في كل وقت، كما أن العادة انتقضت بقتال الملائكة يوم بدر، فليس يقدر في ذلك ألا يكونوا قاتلوا يوم أحد.

و باب آخر [في اخراج يهود بني النضير من المدينة و ما فيه من آيات]

في الدلالة على نبوته، أن بني النضير من اليهود غدروا به بعد مهادنة كانت بينه و بينهم، فأرسل إليهم بعد أن سار إليهم و نزل عليهم: أنكم غدرتم بي و نقضتم الصلح الذي كان بيني و بينكم، و مع هذا يصعد عمرو بن جحاش لي طرح على صخرة ليقطنني حتى أطلعني الله على ذلك، فاخرجوا من حواري. فأرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول بغير واحد من أصحابه يشجعهم و يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم فأنا معكم و من ورائكم، فإن قاتلكم محمد قاتلنا معكم و نصرناكم، و إن أخرجكم خرجنا معكم، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال عز و جل: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٠

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ» (١).

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه على الناس و أخبرهم بما كان من المنافقين و بما أسروه إلى اليهود و نادى بفضحهم، ثم أخرج بني النضير من ديارهم و أجلاهم فلم يخرج معهم عبد الله بن أبي بن سلول و أصحابه كما ضمن لهم و قد قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم فما نصرهم.

فتأمل كيف أخبر بما أسروا و بما تراسلوا و بما قد كان من كيدهم و محالا يكون إن لو كان كيف كان يكون، ثم كان جميع ذلك كما أخبر و كما فصل، و في هذا غيوب كثيرة لا تكون لاحد من المتخربين، إلا لنبى صادق من الله.

و لقد ركب صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعود من مرض أصابه على حمار عليه أكاف فوقه قطيفة فذكية مختطمة بحبل من ليف، و أردف أسامة بن زيد ابن حارثة، فمر صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي بن سلول و هو في ظل مزاحم أطمه و حوله خلق كثير من المشركين و من اليهود و من المنافقين، و كان فيهم من المسلمين عبد الله بن رواحة و سعد بن الربيع و خارجة بن زيد بن أبي زهير و بشير بن سعد فتذمم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يتجاوزوه حتى ينزل، فنزل فسلم ثم جلس فقرأ القرآن، و دعا إلى الله عز و جل، و ذكر به، و حذر و بشر و أنذر، و عبد الله زام لا يتكلم حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته، فقال

(١) الحشر ١١-١٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩١

ابن أبي سلول: يا هذا ما أحسن ما تقول إن كان حقا، فلو أنك جلست في بيتك فمن أتاك حدثته و لم تعرضه على من لا يريد، و

شيع بعض اليهود كلامه، فأقبل سعد بن الربيع على اليهودى و قال: مالك و لهذا لا أم لك، كف عن هذا المنطق، فقال ابن أبى سلول: و ما قال؟ يذهب محمد إلى من أخرجه من بلاده و مولده فأما من لم يخرجته فلا يغشاه، و قال زيد بن اللصيت معينا لعبد الله: انظر يا محمد إلى الذين جاءوك فأخرجوك من بلادك فاتهم و اترك من لم يدعك. و خاض المسلمون الذين كانوا فى المجلس، و ناظروا و وعظوا عبد الله مع إكرامهم له و هيبتهم له، إلى أن قال عبد الله بن رواحه: بل اغشنا بهذا فى منازلنا و رحالنا فإننا نحب ذلك. فاغتاظ ابن أبى بن سلول مما كان و قال فى ذلك:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذلل و يعلوك الذين تضارع

و هل ينهض البازى بغير جناحه و إن قص يوما ريشه فهو واقع ثم قام رسول الله صلى الله عليه و سلم و ركب حتى أتى سعد بن عبادة و ذكر له ما كان من عبد الله بن أبى بن سلول فقال له سعد: يا رسول الله، و الذى أكرمك بالنبوة لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه، أنشدكم الله أ تعلمون ذلك، قال القوم: نعم، فما يرى إلا أنك نزعت شيئا فى يديه، قال سعد:

و الله ليرى أنك نزعت ملكه، لقد جئت. و إنا لنجمع الخرز لنعقد على رأسه التاج، و أنت أحق من عفا عنه لأنه خالك «(١)».

فتأمل ما فى هذا و انظر كيف يتكلم كل أحد بما عنده غير خائف و لا هائب،/ و انظر إلى عبد الله و تلك الجماعة من قومه، و اليهود الذين قد زينوا عداوته لرسول الله صلى الله عليه و سلم. و قد دعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى دينه و احتج عليهم و تلا القرآن، فما أتوا بشيء يقدره فيما تلاه و احتج به، و لا قالوا هذا كلام

(١) انظر لتفصيل هذه الحادثة سيرة ابن هشام ٢: ٥٨٧، و لحادثة مربع بن قيطى نفس المرجع ٢: ٥٢٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٢

يقدر على مثله، و لا أتوا بشيء أكثر من قولهم له: ما نريد أن تتلوه علينا و لا تدعونا إليه.

و هذا عبد الله بن أبى عربى فصيح و مفكر داهية و ملك من الملوك و كذلك من معه فصحاء بلغاء و أعداء، لتعلم وضوح هذا الأمر و يأس الأعداء من قدح فيه، و اعرف هذه المجالس و المواطن و المقامات.

و لقد قال له مربع بن قيطى من بنى حارثة بن الحارث حين اجتاز رسول الله صلى الله عليه و سلم عليه فى حائطه و معه أصحابه عامدا إلى أحد، لا أحل لك يا محمد إن كنت نبيا أن تمر فى حائطى، و أخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به، فابتدره القوم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: دعوه فهذا أعمى القلب.

و كم كان القوم يقولون للأنصار جئتم بغريب و غرباء فقراء و عاديتهم الأمم و طمعتم فى الجنة، جنه لعمري من حرمل، و طمعتم فى الحياة بعد الموت، و هيهات لما توعدون. و ترد الأجوبة عن ذلك مما هو فى القرآن من أنه إن لم يكن هاهنا إعادة و مجازاة فخلق العباد لهو و لعب كقوله: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» «(١)» و قوله: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ. بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» «(٢)».

أى ليس هذا الأثر/ و هذا الفعل فعل من يجوز أن يكون منه لعب أو لهو أو عبث أو ظلم أو جور. ثم بين اقتداره على الاعادة مما هو مذكور فى سورة

(١) المؤمنون ١١٥

(٢) الأنبياء ١٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٣

بنى إسرائيل، و فى سورة يونس، و فى سورة الروم، و فى سورة الواقعة، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عجا كل العجب للشاك في قدرة الله و هو يرى خلقه، و يا عجا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة و هو يرى النشأة الأولى، و يا عجا كل العجب للمكذب بنشور الموت و هو يموت كل يوم و ليلة و يحيا.

و يا عجا كل العجب للمصدق بدار الخلود و هو يسعى لدار الغرور، و يا عجا كل العجب للمختال الفخور و إنما خلق من نطفة و هو يعود جيفة و هو بين ذلك لا يدري ما يفعل به، إلى غير ذلك مما كان يذكره صلى الله عليه و سلم و يذكره أصحابه رحمهم الله مما أصله فى القرآن، و لم تكن العناية تشتد به استغناء بالقرآن و لأنه تنبيه على ما وضعه الله فى العقول فهو متحل بمن نظر ثم فكر و اعتبر.

و قد كان لعبد الله بن أبي بن سلول حين أظهر الإسلام مقام يقومه كل جمعة، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم ليخطب الناس فيقوم عبد الله و يقول: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم كرمكم الله و أعزكم به فانصروه و عزروه و اسمعوا له و أطيعوا، و يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، و رجع بالناس، قام يوم الجمعة يفعل ما كان يفعل، فأخذ الأنصار بثيابه من نواحيه و قالوا: اجلس أى عدو الله، لست لذلك بأهل و قد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس و يقول: و الله لكأنما قلت هجرا أن قمت أسدد أمره فوثب على أصحابي يجذبونني و يعنفونني كأنني قلت/ هجرا، قالوا: ارجع يستغفر لك رسول الله، قال: و الله ما أبتغى أن يستغفر لى، فاجتمع إليه قومه ممن على رأيه و فى نفاقه، و اليهود يتوجعون له و يقعون فى رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمين، و يدبرون الرأى و يعملون الحيل فى شىء يصنعونه بالأنصار ليصدوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا يجدون، و هذا من تلك المواطن و موضع الحاجة.

و لما أخذ أولئك المنافقون فى التبع على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و التعرف لأخباره،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٩٤

و التحفظ لما يكون منه مع المسلمين و مع غيرهم، و قد اختلطوا بالمسلمين و أظهروا الإسلام، فينقلون الأخبار إلى إخوانهم و أمثالهم من المنافقين و اليهود، و يحلون معهم. و كان هؤلاء المنافقون أكثر من ستين رجلا، فلما كثر منهم ذلك تقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم بإخراجهم من المسجد، فقام الأنصار فأخرجوهم و سحبوهم واحدا واحدا، و أذلوهم، و قالوا لهم: يا أعداء الله، قد اختلطتم بنا و صليتم معنا، و أصغيتم إلى حديثنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلا أنتم وجدتم ما تحبون و تتمنون، ثم لا تنتهون و لا تخلصون. و هذا من تلك المواطن التى قد تقدم نظائرها و أنها لا تكون من تدبير البشر، فانظر إلى هذه المكاشفة، فلو وجدوا عثرة أو زلة أو ما يشبه ذلك لذكروه و احتجوا به، فهذا موضع الحاجة إلى ذكره، و هؤلاء المنافقون الذين سحبوا و أخرجوا من المسجد أسماؤهم معروفة و كذلك أنسابهم واحدا واحدا.

و فى هذا تكذيب لمن زعم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يدهن أصحابه و أتباعه و يظهر تزكيتهم و مدحهم و تعظيمهم/ إجلالهم و لا ينطوى على ذلك و لا ينويه و لا يضمه، و هذا يقوله من زعم أنه من المسلمين، و إنما وضع هذا من أراد الطعن فى الإسلام و تحيير المسلمين و تشكيكهم و إخراجهم من الإسلام من حيث لا يشعرون.

ثم انظر إلى اليهود: منهم من بنى قينقاع، مثل زيد بن الصلبي، و سعد ابن حنيف، و سويد بن الحارث، و رفاعه بن قيس، و عزيز بن أبى عزيز، و غيرهم من رؤساء بنى قينقاع إلى بنى النضير و رؤسائهم، كحيى بن أخطب، و أخيه أبى ياسر، و جدى بن أخطب، و سلام بن مشكم، و كنانة بن أبى الحقيق، و سلام بن أبى الحقيق، و أمثالهم من رؤساء بنى النضير. و إلى بنى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٩٥

قريظة و من رؤسائهم، كعب بن أسد و هو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الأحزاب، و الزبير بن باطا بن وهب، و اعزال بن شماويل، و قزوم بن كعب، و نافع بن أبى نافع، و وهب بن يهودا، و أسامة بن حبيب، و غيرهم من رؤساء بنى قريظة. فهؤلاء كانوا مع

رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بالمدينة و حول المدينة و إلى من يحبذون «١» رؤساءهم، فقد كانوا حين سمعوا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و هو بمكة و ما ادعاه من النبوة ثقل ذلك عليهم سيما على أحبارهم و رؤسائهم، فجردوا في عداوته و ظاهروا قريشا و العرب عليه و نهوهم عن أتباعه و تصديقه.

و كانت قريش تشكوههم إليهم، و كان من يجتاز من أهل مكة في متجرهم إلى الشام يذكرون لهم ذلك، و في قريش من يقصدهم لهذا، كالنضر بن الحارث و أمثاله يطلبون منهم ما يكون فيه تكذيب لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و ما ينفر الناس عنه و عن القبول منه مما يجدونه في كتبهم، و يأترونه عن أنبيائهم و رؤسائهم، فيقولون لهم: سلوه عن يوسف و ما كان من أمره و إلى أى شىء انتهى، فينزل القرآن بذلك، فإذا أخبروهم قالوا لهم: سلوه عن أصحاب الكهف من هم و كم عدتهم، فينزل القرآن بذلك، فإذا أخبروهم قالوا لهم: فاسألوه عن رجل مؤمن سار من مغرب الشمس إلى مشرقها، فينزل القرآن في ذى القرنين، إلى غير ذلك. فلما نزل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لمدينة و جاورهم و صار معهم، كانت عداوتهم أشد، و شغلهم به صَلَّى الله عليه و سلم و بالمسلمين و الدخول بينه و بين الأوس و الخزرج و النهي عن أتباعه. و كانوا معدن الشر و الشبه و الفتح على العرب أبواب الضلالة، و فيهم شجاعة و ثروة، و كان كيدهم أحد من

(١) في الأصل، يحبذو

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٩٦

سيوفهم و أنفذ من رماحهم. و قد رحل بنو النضير حين أجلاهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إلى قريش و بعثوهم على حربه و قصده، و كان من بنى قينقاع و قريظة و خيبر ما هو مذكور و شرحه يطول.

فانظر هل ظفروا مع طول هذا الطلب و الحرص بزلته أو هفوة أو عثرة أو ما يشبه ذلك. و قد كان منهم باليمن و بعدن و بوادي القرى خلق كثير يمدون هؤلاء الذين بالمدينة و يصنعون صنيعهم في إلقاء الشبه للعرب، فتأمل هذا فكم فيه من نور و هدى.

و لقد كان هؤلاء و جميع أعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يتراجعون أمره فيما بينهم، فإذا هم لا يجدون مطعنا و لا مغمزا. كالذى كان من بنى قريظة قبل النكت و نقض عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، حين قال عمرو بن سعد للزبير بن باطا: «١» أطيعوني و تعالوا تتبع محمدا، فو الله انكم لتعلمون أنه نبي قد بشر به علماؤنا، منهم. ابن الهبيار، و أبو عمير بن حواش ممن قدم إلينا من علماء بيت المقدس يتوكفان قدومه «٢»، و أمرانا باتباعه و أن نقرؤه/ منهما السلام، ثم ماتا على دينه و دفناهما بجزيرتنا هذه. فأمسك القوم فلم يتكلم منهم أحد. فأعادوا الكلام، فقال الزبير: قد قرأت صفته في كتاب باطا التي أنزلت على موسى.

و ذكروا صلاح بن الهبيار، و أنه حين حضرته الوفاة قال: ما الذى ترون؟

أخرجوني من أرض الخمر و الخمير إلى أرض البؤس و الجوع، فقالوا: أنت أعلم، قال: أتوكف خروج نبي قد أظلمكم زمانه، هذه البلدة مهاجرة،

(١) هو الزبير بن باطا بن وهب، يهودى عدو للإسلام، انظر سيرة ابن هشام ٢: ٥١٥

(٢) جاء في لسان العرب مادة و كف: توكف الأثر تتبعه، و التوكف التوقع و الانتظار، و في حديث ابن عمير: أهل القبور يتوكفون الأخبار، أى ينتظرونها و يسألون عنها.

يقال: هو يتوكف الخبر، أى يتوقعه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٤٩٧

فكنت أرجو أن أدركه فأتبعه، فإن سمعتم به فلا تسبقوا إليه فإنه يسفك الدماء و يسبى الذراري، فلا يمنعكم هذا منه، فقال له كعب

بن أسد: فما يمنعك من اتباعه، قال: أنت، قال: كعب: ولم؟ ما حلت بينك وبينه، قال: أنت صاحب عقدنا و عهدنا، فإن اتبعته اتبعنا وإن أبيت أبيتنا. فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فقال: أما و التوراة إنه للعز و الشرف، و إنه لعلى منهاج موسى و نال معه شرف الدنيا و نزل معه و مع أمته غدا فى الجنة. قال كعب: نقيم على عهدنا و لا يخفر محمد لنا ذمة، و ننتظر ما يصنع حيى بن أخطب، فقد أخرج إخراج ذل و صغار و لا أراه يقر حتى يغزو محمدا، فإن ظفر فهو ما أردنا أقمنا على ديننا، و إن ظفر بحيى فما فى العيش خير. و تحولنا من جواره. قال عمرو: و لم تؤخر الأمر و هو مقبل، قال كعب: ما على هذا فوت، متى أردت هذا من محمد أجبني. قال عمرو: بلى إن عليه لفوتا إذا سار إلينا و تحصنا فى حصوننا هذه التى هى قد خدعتنا فلا نفارق حصوننا حتى نزل على حكمه فيضرب أعناقنا. قال كعب:

ما عندى فى أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسى أن أصير تابعا بقول هذا الاسرائيلي لا يعرف لى فضل البتة و لا قدر النعال، قال عمرو بن سعدى: بلى،/ لتعرفن ذلك لك، و طال ما بينهم، و نزل قوم منهم و لحقوا برسول الله صلى الله عليه و سلم و أسلموا. فانظر إلى طول البحث و المراجعة بينهم، و إلى أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم من رؤسائهم و أحبارهم و هم يصدون عن اتباعه بجهدهم، هل يقول قائل منهم هذا الذى من غدراته و نكته كذا و كذا، و كذبه يوم كذا، و هذا موضع الحاجة إليه و إلى ذكره، أو أن موسى قد وصي بأن شريعته لا تنسخ، و أن السبت لا يعطل مما يدعيه اليهود، و المناظرة و المراجعة تذكر بالأمور المتقدمة و تخرج الأسرار، فتعلم أنه لم يكن لجميع أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه مطعن و لا مغمز بوجه من الوجوه، و كم لليهود معه صلى الله عليه و سلم من مشهد و موقف بهم الحاجة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٨

إلى ما قد ذكرنا و بينا.

و قد علمت مقامه بمكة و قد تفرغوا له و جعلوا شغلهم كله فى طلب عثراته و فى الصد عنه، و فيهم مثل أبى لهب، و أبى جهل، و أخيه العاص، و العاص ابن سعيد، و الحكم بن أبى العاص، و عدى بن الحمراء، و ابن الأصد الهدلى، و عقبه بن أبى معيط، و الأسود بن عبد يغوث، و ابن العيطة و هو الحارث ابن قيس بن عدى السهمى، و الوليد و أبى و أمية ابنا خلف، و أبى قيس بن الفاكه و العاص بن وائل، و النضر بن الحارث، و منبه بن الحجاج، و زهير بن أبى أمية، و السائب بن صيفى، و الأسود بن عبد الأشد، هؤلاء جيرانه، و كانت عداوة أبى سفيان صخر بن حرب، و عتبة و شيبه بن ربيعة و سهيل بن عمرو، مسلمة، و الحارث ابنى هشام، و أمثالهم، تصغر فى جنب عداوة هؤلاء و هو معهم و أسير فى أيديهم بمكة، يضربونه، و يخنقونه، و يطرحون/ التراب الفرث على رأسه، و يطرحون الجيف ببابه، فيقول: يا بنى عبد مناف، أى و جوار هذا.

و كان الموسم إذا جاء يخرج إلى الموسم فينذر و يدعو إلى الله تعالى و يقول:

أيها الناس، إن الذى أنتم عليه ليس لله و لا من الله، هلموا إلى عبادة الله وحده، و يتلو القرآن فيتبعوه و يضربوه، و يرمى عمه أبو لهب أعقابه حتى يدميها، و يتفرقون فى الشعاب و على الطرق إذا جاء الموسم، و يلقون الناس ليصدوهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ فيقتسمون الطرق على عقاب مكة، فيقول لهم الوليد بن المغيرة: تفرقوا حيث يمر بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عنه فليقل بعضكم: كاهن، و بعضكم ساحر، و بعضكم شاعر، و بعضكم غاو يفرق بين الأب و ابنه و بين الأخ و أخيه، فإذا انتهوا إلى صدقتكم. و هؤلاء

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٩

الذين كانوا يفعلون هذا: حنظلة، و أبو سفيان، و عتبة، شيبه، و أبو جهل و العاص بن هاشم، و أبو قيس بن الوليد، و قيس بن الفاكه، و زهير بن أبى أمية، و هلال، و السائب، و النضر بن الحارث، و أبو البخترى بن هشام، و منبه بن الحجاج، و أمية، و أوس بن المغيرة مولى وهب بن حذافة، و زمعة ابن الأسود.

و كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن أسلم بمكة يخرجون فيتفرقون مع هؤلاء المقتسمين، فإذا ذكروا ما عندهم في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم المسلمون: كذب هؤلاء، بل محمد رسول الله صادق يدعو إلى عبادة الله وحده، وإلى صلة الرحم، ورحمة اليتيم، وإلى كذا؛ ويتلون القرآن و أولئك يمنعونهم و يضربونهم في الموسم الذي يأمن فيه الناس فلا- يأمن فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا- أصحابه و هم يدعون إلى الله و يقولون هذا مع كونهم مقهورين مغلوبين و قليلًا- و ضعفاء/ يخافون أن يتخطفهم الناس.

فتأمل هل قدرت قريش أو أهل مكة أن يقولوا فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه غدر أو كذب أو احتال أو أتى بفاحشه أو شيئًا مما يدعيه أعداؤه و ملحدة زمانك، مع طول تلك السنين التي كان مقيما فيها بمكة منذ ادعى النبوة و هي خمس عشرة سنة، فما زادوا في الطعن فيه على التكدب عليه. و كان أهل الموسم إذا سمعوا قول أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول بعضهم لبعض: قول هؤلاء أحسن و خير.

فتأمل رحمك الله الأمور، و أطل الفكر و التأمل و أصرّ على ذلك، لتعلم حقائق الأمور، فقد بليت في زمانك بمن يقول في الصحابة المكيين و المهاجرين و الذين بنوا الإسلام و شيدهو أنهم ما اعتقدوا الإسلام قط و لا اتبعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبصيرة و لا لحجة و لا اعتقدوا نبوته و لا أضمرؤا محبته و تعظيمه و ما اعتقدوا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٠

إلا تكذبه و لا أضمرؤا إلا سقوطه و احتياله.

و هؤلاء قوم اتبعوه و هو وحيد فقير ذليل خائف مقهور مغلوب و أهل الارض يد واحدة في عداوته و عداوة أتباعه، فخرجوا باتباعه من الأيمن إلى الخوف، و من الغنى إلى الفقر، و من العز إلى الذل و من الكرامة إلى الهوان و من الراحة إلى النصب، و من الأوطان إلى الغربة. و زعم ملحدة زمانك أنهم فعلوا نفاقا و أنهم كانوا منافقين فمن ينكر بعد هذا أعجوبة، أو ينفي عن الناس حماقة أو يحسن يأخذ ظنا، و هل هذا إلا كقائل قال: إن محمدا نبى المسلمين كان ينافق قريشا و العرب تدافعهم و إن كان قد خرج معهم إلى تلك الأمور، و أنّ السحرة قد نافقوا فرعون و داهنوه في اتباعهم موسى / و انصرفهم عنه و مكاشفتهم له حين قال لهم: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ» (١) و «فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى» (٢)

و الأعجب من هذا، أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوجب على العباد موالاة هؤلاء المهاجرين السابقين و فرض محبتهم و تعظيمهم و إجلالهم، و حرّم سوء الظن بهم إلا- أن يظهر منهم كبيرة، كما أوجب معاداة اليهود و النصارى و المجوس و أمثالهم و من سلك سبيلهم و فرض بغضهم إلا أن يظهر منهم الإيمان.

هذا معلوم من دينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و دعوته غير ما قد ضمنه الله كتابه من مدح

(١) طه ٧١

(٢) طه ٧١-٧٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠١

المهاجرين و الأنصار و ملأ القرآن به، و هذا كله خلاف ما يدعيه هؤلاء الذين غرهم من لقنهم هذا، فإنه كاد بهذا الصنيع للإسلام المسلمين من حيث لا يشعرون. و إنما أردنا ذكر حال أعداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل جيرته و بلده و أهل بيته من طبقات قريش مع الدهاء، و أنهم قد توكلوا لجميع أعدائه و كفوهم و زادوهم على الكفاية، فما وجدوا شيئًا يكون لهم حجة أو شبه

الحجة في إبطال أمره، فبطل كيدهم مع طول العناء و بار مكرهم كما قال الله:
«وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ» (١).

وقد خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ودعا إلى الله وقال: أجبروني حتى أبلغ رسالة ربي ودعوا ما أنتم/ عليه فإن الله يسخط، وعاب دياناتهم وما كان عليه آباؤهم، و ذم قريشا بما تأتيه من تكذيبه، فما كان عندهم في رده شيء إلا أن قالوا له: كيف اختارك الله من بين أهل مكة و من بين الناس كلهم و هناك من الحكماء والعقلاء كفلان و فلان، و في أهل الطائف فلان و فلان، و إذا كان الله قد اصطفاك فكيف أحوجك إلى نصره الناس، إلى غير ذلك مما لقوه به من الجفاء و قد غاظهم و أغضبهم ما ذكره من قبح أديانهم و تضليل آباءهم.

فانظر هل يرجعون في تكذيبه إلى حجة أو ما يشبه الحجة، و هل يجدون مطعنا أو مغمزا مع حاجتهم إلى ذكر ذلك في هذه المواضع.

و من هذا الجنس، لما أمر الله عز و جل رسوله بعرض نفسه على القبائل و هو أمر معروف، و قد ذكره الناس و تحدثوا به، و ممن كان يتحدث به علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعرض نفسه على القبائل، خرج و أنا معه و أبو بكر الصديق حتى دفعنا إلى مجلس «٢» من مجالس العرب

(١) فاطر ١٠

(٢) في الأصل مجالس، و لعل الصواب ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٢

فتقدم أبو بكر فسلم، قال علي: و كان أبو بكر مقدما في كل خير، و كان رجلا نسابه، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، قال: و من أى ربيعة؟

ثم ذكر علي رضى الله عنه ما كان بينهم و بين أبي بكر قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة و الوقار، فتقدم أبو بكر فسلم و قال: ممن القوم؟

قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي أنت و أمى، هؤلاء غر قومهم، و فيهم مفروق بن عمرو و قد غلبهم خصالا و لسانا، و كانت له عذبتان تسقطان على تربيته «١»، و كان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف و لن تغلب ألف عن قل، فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق علينا الجهل و لكل قوم جل؟ قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين «٢» نلقى، و إنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب، و إنا لنؤثر الجياد على الأولاد، و السلام على اللقاح، و النصر من عند الله: يدبل علينا مرة، و يدبل لنا مرة. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: و قد بلغكم أنه رسول الله، و ها هو ذا. فقال مفروق:

قد بلغنا أنه يذكر ذلك في ما يدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قام أبو بكر يظله بثوب. فقال عليه السلام: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنى رسول الله، و أن تؤمنى و تنصرونى. فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله و كذبت رسوله و استغنت بالباطل عن الحق، و الله هو الغنى الحميد، قال مفروق: و إلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا،

(١) لعل هنا سقطا تقديره: موضع، فتكون العبارة: موضع تربيته.

(٢) في الأصل: لحين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٣

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (١)

قال مفروق: و إلى ما تدعو يا أبا قريش فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (٢) فقال مفروق:

دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهرنا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال مفروق: هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أبا قريش، و إنى أرى إن تركنا ديننا واتبعتك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، هذا زلة في الرأي وقله نظر في العاقبة. و إنما تكون الزلة مع العجلة. و من ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا، ولكن ترجع و نرجع، و تنظر و نظن، و كأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة، فقال:

و هذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حزبنا، فقال المثني: قد سمعت مقالتك يا أبا قريش، والجواب فهو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتبعتك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، و إنما نزلنا بين ضربتين، التامة والشامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هاتان الضربتان فقال: أنهار

(١) الانعام ١٥١

(٢) النحل ٩٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٤

كسرى و مياه العرب، نزلنا بينهما على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا و لا نؤوى محدثا، و إننا نرى يا قرشى أن هذا الأمر الذى تدعو أنت إليه مما يكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك و ننصررك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالحق، و إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أ رأيتم لو لم يلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم و ديارهم و أموالهم و يفرشكم نساءهم أ تسبحون الله و تقدسونه؟

فقال النعمان بن شريك: اللهم لك. فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هو آخذ بيد أبى بكر و يقول: يا أبا بكر أية أحلام فى الجاهلية- أو أية أخلاق شك الراوى الراوى أيهما قال- ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم ببعض و بها يتحاجزون فيما بينهم. قال على رضى الله عنه: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس و الخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و كانوا صدقاء صبراء و أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بعد أن تردد إليه منهم قوم بعد قوم يسلمون و ينصرفون: مصعب بن عمير رضى الله عنه لتلاوة القرآن و التفقيه فى الدين، و كانت الأوس و الخزرج قبائل كثيرة و عددا جما فأسلموا طوعا بهذا الشرط و غلب عليهم الإسلام. و لغبلة الإسلام على هذه القبائل و لاستبصار أهلها ما كان فى الأوس و الخزرج منافقون لما رأوا قومهم و قد عمهم الإسلام و كانوا كثيرا و المنافقون قليل فأحبوا أن يحقنوا دماهم و أن يشاركوا قومهم فى العز فأظهروا الإسلام و إن كانوا لا يعتقدونه.

ثم انظر إلى صنع قريش فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، فقد كان صار بها نحو المائة من كبار المهاجرين، و استجاروا بالنجاشى ملك الحبشة فأجارهم و قبلهم، فعبدوا الله آمنين مطمئنين و استراحوا من المكاره التى كانت تجرى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٥

عليهم من قريش فقد كانت عظيمة، فلما بلغ قريشا أمرهم قلقوا لذلك و قاموا و قعدوا، ثم ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشى فيهم رجلين

منهم، و أن يهدوا إلى النجاشى هدايا مما يستظرف من متاع مكة، و كان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدمًا كثيرا ثم لم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، و عمرو بن العاص بن وائل السهمي، و قالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن أن تكلموا النجاشى، ثم قدّموا للنجاشى هدايا ثم سلوه بأن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. فخرجا فقدموا على النجاشى فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم الملك ثم قال لكل بطريق منهم أنه قد ضوى إلى بلد الملك منا/ غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينكم، و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا- أنتم، و قد بعثنا فيهم إلى الملك أشراف قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم فإن قومهم أعلا- بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قريا هداياهما إلى الملك فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا ديننا و لم يدخلوا في دينك «١»، و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنت، و قد بعثنا إليك أشراف قومهم من آباءهم و أعمامهم و عشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم و ما عابوهم فيه. و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله و عمرو و سائر قريش من أن يسمع النجاشى كلام المسلمين، فقال بطارقه و هم حوله صدقاء: أيها الملك، قومهم أعلا بهم عينا فسلمهم إليهم ليردهم إلى بلادهم و قومهم. فقال النجاشى:

(١) ضوى: لجأ

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٠٦

لا- أسلمهم إليهم و لا أكاد قوم «١» جاوروني و نزلوا بلادى و اختاروني على من سواى حتى أدعوهم و أسألهم ما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهم، و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما و أحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل إليهم فدعاهم إليه. ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا أجتموه؟ فقالوا: نقول و الله ما علمنا و أمرنا به نبيّنا صلى الله عليه و سلم كائن فى ذلك ما هو كائن. و كان عمرو بن العاص صديق النجاشى قديم المعرفة به و المهاداة له، و كان يرفعه فى مجلسه و يكرمه الكرامة الكبيرة. فدخلوا عليه، و عمرو بن العاص عن يمينه؛ فلما بصر بهم من حول الملك قالوا لهم:

اسجدوا للملك، و كان الصحابة قد جعلوا أمرهم إلى جعفر بن أبى طالب ليكلم الملك عنهم. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله وحده، فزبرهم من حول الملك فما سجدوا «٢» فقال لهم الملك: ما هذا الدين الذى فارقتم/ فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا دين أحد من هذه الملل، فقال له جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسبى الجوارى، و يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفاه، فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا نعبد و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنة، و أمرنا أن نعبد الله و لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام؛ فعدد عليه جعفر أمور الإسلام. ثم قال

(١) أكاد، من الكيد، و قوم على هذا الأساس منصوبة لأنها مفعول به

(٢) زبره: نهره و غلظ له بالقول اللسان، مادة زبر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٠٧

له: فصدقناه و آمننا به و اتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئا، و حرمانا ما حرم علينا و أحللنا ما أحلّ علينا. فدعا علينا قوما فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلدك، و اخترناك على من سواك، و رغبتنا فى جوارك، و رجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاءك به عن الله من شيء؟ فقال جعفر:

نعم، فقال النجاشي: فقرأه عليّ فقرأ عليه صدرا من «كهيعص» فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: هذا من عند الله انطلقوا فوالله لا- سلمتكم إليهما. فورد على عمرو و البطارقة الذين أعانوه و هاداهم ما كرهوا، و غلظ عليهم. فلما خرجوا من عنده قال عمرو: و الله لأبيته غدا/ بما أستأصل به خضراءهم، و الله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد الله. ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم و أسألهم عما يقولون فيه. و بلغ ذلك المسلمين و لم ينزل بهم مثلها. فاجتمع المسلمون، فقال بعضهم لبعض: ما ذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه، فقالوا:

نقول و الله فيه ما قال الله و ما جاء به نبينا عليه السلام كائن في ذلك ما هو كائن فقال: فأرسل إليهم النجاشي، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الحصيئة. و قد كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أرسل عمرو بن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام و يقول له: عندك أصحابي فأجرهم و قربهم و لا تتجبر عليهم، و أرسل إلى المسلمين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٨

بما أنزله الله عليه: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» فلما سمع النجاشي ذلك ضرب يده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، فتأخرت بطارقه حوله حين قال ذلك فقال لهم: و إن نخرتم، ثم أقبل على المسلمين فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ما أحب أني آذيت رجلا منكم بجبل ذهب. ردوا على هذين هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فاخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، فنال بطارقتهم من هذا ما غمهم و ساءهم، و خرج عمرو و صاحبه من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به، و أقام المسلمون عنده بخير دار عند خير جار. ثم أقبل عليهم و بسطهم و رفع منهم و لم يزل يسمع، و أسلم، و أجاب/ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن كتابه بأني قد أسلمت، و ترددت رسله و كتبه إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مع هداياه، و أنفذ ابنه إلى النبي عليه السلام فغرق في البحر قبل أن يصل إليه، و كان من أمر النجاشي ما هو من المعلوم من إسلامه.

و الذي أردنا من هذا أن مثل عمرو بن العاص قد تباهى في سب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و التنفير عنه و الصد عنه عند النجاشي.

فانظر هل أمكنه أن يذكر في ذلك حجة أو ما يشبه الحجة، أو غدره، أو زله. و قد كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم هاجر و كان له مع قريش و اليهود و النصارى تلك الوقائع و المشاهد و قد شهدا عمرو و بلغه ما لم يشهده، فانظر هل كان عنده في ذلك شيء ينفر به عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أو يحتج به على المسلمين و قد استفرغ.

و منام عمرو فوق يقظة هؤلاء السفلة من زنادقة زمانك كالحداد و الوراق و ابن الراوندي و الكندي و الباطنية و طبقات القرامطة. و كم مثل عمرو من قريش

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٠٩

سبيلهم سبيله في عداوة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و المسلمين، و كم له مع النجاشي من المراجعات في أمر عمرو بن أمية الضمري ليتمكن منه ليقته فما مكنه، ثم عاد بعد ذلك إلى النجاشي بمدة طويلة و سفرة بعد سفرة، فوعظه النجاشي و دعاه إلى الإسلام و رغبه في الهجرة، و قد كان أخوه هشام بن العاص أفضل منه و أجل قدرا فأسلم و هاجر و جاهد في حياة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و بعد موته و استشهد رحمة الله عليه.

فانظر إلى تدبير قريش في مهادة البطارقة ليكونوا معهم على المسلمين و ليصرفوا النجاشي عن المسلمين، فإن هذا تدبير العقلاء و

الدهاء و المنكرين، و لا يمكن العاقل الكامل المتأنى أن يفعل أكثر من هذا ليعرف عقول قريش و خصوم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من العرب على غيرهم، ثم ما أغنى عنهم فيما راموه من / الطعن على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم. و انظر كيف لما ذكره المسلمون بأننا نعرف أمانته و صدقه و عفافه إلى غير ذلك هل تهيأ لعمرو أو لغيره من أعدائه أن يقدح فيه أو ينكره، و رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ابنهم و هم ولدوه و هم ربّوه و معهم نشأ و معهم أقام و سافر.

و باب آخر [كيف أن معجزات الرسول يغني بعضها عن بعض و ليس كذلك الأمور التي يسلم فرضها و يشمل وجوبها]

أن معجزاته صَلَّى الله عليه و سلم و الآيات التي نقضت العادات يغني بعضها عن بعض و يسد بعضها مسد بعض. فإن من استدل ببلاغة القرآن و فصاحته على نبوة النبي عليه السلام عرف صدقه و إن لم يعلم ما في القرآن من الاخبار بالغيوب، و من لم يستدل بالفصاحة و استدل بما فيه من التنبيه على ما في العقول يحصل عالما بنبوته و إن لم يستدل بالفصاحة و لا بالأخبار عن الغيوب، و ليس كذلك النصوص على

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٠

الأمور التي يعم فرضها و يشمل وجوبها، فإن بعضها لا ينوب عن بعض و لا يغني بعضها عن بعض، و لا بد من أن يحصل العلم بكل واحد منها و يكون مجيء جميعها مجيئا واحدا. بين لك ذلك أن النص على القبلة لا يغني عن النص عن شهر رمضان، و النص على الجمعة لا يغني عن النص على غسل الجنابة، و كذا في الخمر، و الخنزير، و الزنا، و اللواط، و الأمهات، و الأخوات، و البنات، و جميع الفروض العامة الوجوب، فاعرف ذلك.

و إنما ذكرنا هذا لأن قوما من الإمامية و الرافضة ادّعوا أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم نصّ على إمامة رجل بعينه، و أوجب على جميع الخلق من الذكور و الإناث و العبيد و الأحرار و المسافرين و المقيمين و المرضى و الأصحاء طاعته و اعتقاد ولايته و موالاته.

فقليل لهم: لو كان الأمر كما يدعونه لجاء العلم بذلك مجيء أمثاله من الفروض العامة الواجبة، لأن قوله صَلَّى الله عليه و سلم: هذا إمامكم / و هذا حجة الله عليكم بعدى يجرى في شمول وجوبه مجرى نصّه على نبوته، و قوله: أنا رسول الله إليكم فهذا أعم في الفرض من القبلة و شهر رمضان، فإذا علمنا نصّه على القبلة و شهر رمضان فقد كان ينبغي أن يكون العلم بما يدعون أقوى.

قالوا: فاجعلوا ما يدّعيه من النص كالمعجزات التي هي غير القرآن. قيل له: إن إخراجكم هذا النص عن نظائره و أمثاله من النصوص من أدل الدليل على ضعف يقينكم فيه و يأسكم من صحته، و كفى بهذا بيانا منافيا في بطلان ما يدّعون.

و أيضا، فقد علم كل من سمع الأخبار أنه صَلَّى الله عليه و سلم قد ادّعى النبوة و ادّعى أن معه آيات و معجزات و دلالات لا يرتاب بذلك من صدقه و لا من كذبه،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١١

فوازن ذلك و نظيره أن يعلم كل من سمع الأخبار أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قد نصّ النص الذي تدّعون، و هذا فليس بمعكم و لا لكم، فقد صار ما صرتم إليه من أمر هذه المعجزات عليكم لا لكم.

و أيضا، فإن هذه المعجزات التي مع النبي فيها ما يعلم كل من سمع الأخبار أنه عليه السلام قد ادّعى أنها حجة له في نبوته، و منها ما اجتمعت الأمة عليه، و ما تدّعون فلا يعلم باضطرار و لا فيه إجماع، فهذا كما ترون في بعده مما تدعون.

و جواب آخر، أنه ينبغي أن تعلم أن كثيرا من المعجزات التي ليست في القرآن يعلمها كثير من الناس كعلمهم بالقرآن، و هذا تجده فيمن كثر سماعه و اشتدت عنايته بمبعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و بمقامه بمكة و بهجرته إلى المدينة و بسيرته و بمكاتباته و بمراسلاته و بغزواته، و لهذا تجد أبا الهذيل، و عمرو بن بحر الجاحظ و محمد بن شبيب، و أمثالهم من القدماء يدّعون في كتبهم التي صنّفوها في النبوة في المعجزات التي ليست في القرآن العلم الضروري، و كذا أبو عمر / الباهلي، و قد ذكر أبو هاشم في نقض الفريد

نحو هذا، فادعى في استسقاء النبي و في إخباره عن المقتولين في غزاة مؤتة و فيما كان بين النبي صلى الله عليه و سلم و أهل مكة من المراجعة في غلبة الروم على فارس علم الاضطراب، فاعرف ذلك، و لتشتد عنايتك بهذه الأمور لتساويهم في العلم بذلك.

و باب آخر [كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملك الروم و ملك فارس، و ما فيها من دلالات]

إشارة

كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملك الروم كما كتب إلى كسرى ملك فارس.
و كان كتابه إلى ملك الروم مع دحية بن خليفة الكلبي؛ و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٢

قد أمر دحية إلى أن يدفع كتابه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ملك الروم.
فلما قرىء على قيصر فيما يدعوه إلى الله و عبادته وحده، و أن لا يرضن بملكه، و أن لا يتحمل آثام الروم مع إثمه.
و كان ملك الروم بالشام بحمص و دمشق يشتمون في بلد و يصيرون في بلد، فطال فكره في رسول الله صلى الله عليه و سلم و في كتابه،
و وجد قلبه يخشع، فقال لأصحابه:

التمسوا لى هل هاهنا من قوم هذا العربى الذى يزعم أنه نبى من أحد لنسأله عنه؟ فوجدوا بالشام رجالا من قريش قدموا تجارا فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين كفار قريش و فيهم أبو سفيان صخر بن حرب، فأشخصوا إليه و قد صار إلى بيت المقدس. فأدخلوا عليه و هو جالس فى مجلس ملكه، و عليه التاج، و حوله عظماء الروم. فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى فقال أبو سفيان: أنا أقربهم إليه، فقال ملك الروم: ما قرابة ما بينك و بينه؟ قال أبو سفيان: هو ابن عمى، و ما كان فى الركب يومئذ رجل من بنى عبد مناف غير أبى سفيان؛ فقال ملك الروم له: ادن منى، ثم أمر أصحابه من قريش فجعلوا خلف ظهره عند كتفه، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنى سائل هذا الرجل / عن هذا الذى يزعم أنه نبى فإن كذب فكذبوه، فقالوا: نعم.

ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، فقال ملك الروم: فهل قال هذا القول فيكم أحد قبله؟ قال: لا، قال ملك الروم: فهل كان فى آباءه من ملك؟ قال أبو سفيان: لا، قال ملك الروم: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٣

أبو سفيان: بل ضعفاؤهم. قال ملك الروم: أ فيزيدون أم ينقصون؟ قال أبو سفيان: بل يزيدون، قال ملك الروم: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال أبو سفيان: لا، قال ملك الروم: فهل يغدر؟ قال أبو سفيان: لا، و نحن الآن منه فى هدنة و نحن نخاف أن يغدر. قال ملك الروم:

فهل قاتلتموه و قاتلكم؟ قال أبو سفيان نعم. قال ملك الروم: فكيف كانت حربكم و حربته؟ قال أبو سفيان: كانت دولا سجلا، يدال علينا مرة و يدال عليه الأخرى، قال: بما يأمركم به؟ قال أبو سفيان:

يأمرنا أن نعبد الله وحده لا- نشرك به شيئا، و ينهانا عن كل ما يعبد آباؤنا، و يأمرنا بالصلاة و الزكاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة. قال: و أولئك الملاء من قريش يسمعون قول أبى سفيان، فصدقوه، فقال ملك الروم لترجمانه: قل له: إنى سألت عن نسبه فيكم فزعمتم أنه فيكم ذو نسب، و كذلك الرسل تبعث فى نسب قومها. و سألتك هل قال هذا القول أحد فيكم قبله فزعمت أن لا، فقلت لو كان قال هذا القول منكم أحد قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله، و سألتك هل كنتم تتهمونه فى الكذب قبل أن

يقول ما قال فرعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس و يكذب على الله و سألتك هل كان من آباءه ملك فرعمت أن لا، فقلت لو كان في آباءه ملك لقلت يطلب ملك آباءه. و سألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فرعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، و هم أتباع الرسل. و سألتك هل يزيدون/ أم ينقصون فرعمت أنهم يزيدون، و كذلك الإيمان حتى يتم. و سألتك هل يرتد أحد سخطه لدينه بعد أن دخل فيه فرعمت أن لا،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٤

و كذلك الإيمان حتى يخالط القلوب لا ينقضه أحد. و سألتك هل يغدر فرعمت أن لا، و كذلك الرسل لا يغدرون. و سألتك هل قاتلكم و قاتلتموه فرعمت أن قد فعل و أن حربكم دولا، و كذلك الرسل قد تبلى و يكون لها العاقبة. و سألتك عما يأمركم فرعمت أنه يأمر أن تعبدوا الله وحده و ينهاكم عما كان يعبد آباؤكم و يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء و أداء الأمانة، و هذه صفة النبي قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظن أنه منكم. و إن يكن ما قلت حقا فيوشك أن يملكك موضع قدمي هاتين، و الله لو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، و لو كنت عنده لغسلت قدميه. قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر به فقرأ إلى أن انتهى منه إلى قوله: «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمتي سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (١) قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم و كثر لغطهم فما أدري ما قالوا، و أمر بنا فأخرجنا، فلما خرجت مع أصحابي و خلصت بهم قلت: لقد أمر أمر بن أبي كبشة، هذا ملك بنى الأصفر يخافه.

و قال أبو سفيان لأصحابه: و الله لو لا الحياء من أن يأتروا عنى الكذب لحدثته عنه حين سألتني، و لكنى استحييت أن يأتروا عنى الكذب فصدقت عنه، و لم يمكنى كلمة (٢) أدخل فيها شيئا أنتقص محمدا فيه أخاف أن يؤثر عنى غيرها حين قال لى: فهل يغدر قلت: لا، و نحن الآن/ منه فى هدنة، و نحن نخاف أن يغدر.

(١) آل عمران ٦٤

(٢) لعلها: إلا كلمة لأن سياق الكلام يستدعى ذلك.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٥

فهذا أبو سفيان عدو رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ ذاك، و هذا كان قبل إسلامه و فى حال عداوته، و الذين معه من قريش على حاله فى العداوة، و هذا ملك الروم عاقل حازم.

و انظر كيف استظهر فى أن يسأل عنه صلى الله عليه و سلم أعداءه. فأحضرهم و هم لا يدرون ما يريد منهم، و سألهم عنه على تلك السبيل التى استنطق واحدا منهم بحضرة جماعة بغته على حال يبعد فيها المواطأة.

ثم قول أبو سفيان لأصحابه: لو لا خوفى منكم أن تأثروا عنى الكذب و استحيائى منكم لما صدقت ملك الروم عنه و لكذبت عليه، و ما قدرت أن أظعن عليه إلا بقولى: و نحن نخاف أن يغدر، ما قدرت على أكثر من هذا.

و خاف أبو سفيان أن لو كان وحده أن يسأل ملك الروم غيره فيتين كذبه.

و تأمل قول ملك الروم: هل يرتد أحد سخطه لدينه أى لعثرة أو زلة تكون منه. و لما أسلم أبو سفيان كان يعيد هذا الحديث ثم يقول: فو الله ما زلت ذليلا مستيقنا أن أمر محمد صلى الله عليه و سلم سيظهر حتى أدخل الله قلبى الإسلام و أنا له كاره.

و جعل ملك الروم كتاب النبي صلى الله عليه و سلم بين يديه، و راجع الفكر فيه، و أدام المسألة عنه صلى الله عليه و سلم. فقدم عليه أمية بن أبى الصلت الثقفى، و حكيم بن حزام القرشى، فسألهما عنه، فأخبراه بحاله و دعوته على نحو ما أخبر به أبو سفيان و أولئك النفر، فقال لأمية بن أبى الصلت: أ آمنت به؟ قال لم أكن لأؤمن لنبي إلا أن يكون من ثقيف.

و كان هذا الملك متخشعا، و لما انكشف عنه جنود فارس مشى من حمص إلى بيت المقدس شكرا لله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥١٦

و كانت القصة المعروفة التي قد تقدم ذكرها لك لقوله عز و جل: «الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي / أَدْنَى الْأَرْضِ» فرجع ملكهم إليهم في عام الحديبية، و أرسل ملك الروم إلى رجل كان برومية يقرأ بالعبرانية و يعرف الكتب القديمة، فكتب إليه يخبره بورود كتاب النبي صلى الله عليه و سلم عليه، و بما ذكر فيه، و بما وقف عليه حين سأل عنه. فكتب إليه صاحب رومية أنه النبي الذي كنا ننتظر لا شك فيه، فلما وقف ملك الروم على هذا أمر بطارقه فجمعوا له في دسكرة ملكه «١»، فأمر بها فأشرجت عليهم بأبوابها «٢»، ثم اطع عليهم من عليّة له خوفا على نفسه، فقال: يا معشر الروم، إنى قد جمعتمكم لخير، إنه قد أتانى كتاب هذا الرجل يدعونى إلى دينه، و والله إنه النبي الذي كنا ننتظر و نجده فى كتبنا، فلهموا فلنتبعه و نصدقه و تسلم لنا ديانا و آخرتنا. فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا باب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها مغلقة، فقال: كزّوهم علىّ، فلما رجعوا قال:

يا معشر الروم، إنما قلت لكم هذه المقالة لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حدث، و قد رأيت منكم الذي أسرّ به. فوقعوا له سجدا، و أمر بباب الدسكرة ففتحت لهم. و كان الناس يتحدثون بذلك، و يقول الروم: إن الملك [فعل] «٣» هذا امتحانا لأصحابه، و يقول غيرهم من النصارى: ما فعل هذا إلا لورود كتاب صاحب رومية عليه بما ورد. و قد كان بقى منهم من أدرك خلافة عبد الملك بن مروان، غير أن الجملة التي لا ريب فيها عند أهل العلم إكرام ملك الروم لكتاب رسول الله، و مسألته عنه، و مدحه له، و قوله إنه للنبي الذي كنا ننتظر، و ما صنعه فى الدسكرة،

(١) الدسكرة: بناء كالقصر فيه منازل و بيوت للخدم و الحشم، و يكون للملوك. اللسان: مادة دسكر

(٢) أى فأغلقت عليهم

(٣) هذه الكلمة زيادة منى على الأصل اقتضاها سياق الكلام.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥١٧

و ما قاله لبطارقه و الروم بعد ذلك من محاسنها و حزم ملوكها. و العلم بذلك كالعلم بكتابه عليه السلام إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمى، و تمزيق كسرى للكتاب و استخفافه/ به و برسوله. و كانت كتبه صلى الله عليه و سلم فى أكارع الأدم يكتبها جهارا بعلم عدوه و وليه، و ينفذها جهارا، و يعلم العدو و الوليّ بما يكون من الجواب.

فتأمل الحال فى ذلك و حال الملوك فى زمانك، الذين يزعمون أنهم من ولده، و كيف يسترون مكاتباتهم عن أوليائهم فضلا عن أعدائهم، و يكتمون ذلك بجهدهم، و يعظمون الكتاب و يزينونه و يصورونه و يهولونه، و يضمونهم المخاريق و الخدع، هذا مع تسترهم بالإسلام، و أنهم من ولد النبي صلى الله عليه و سلم و الأئمة الذين وصى إليهم النبي صلى الله عليه و سلم. و يكون مع تلك الكتب الأموال و الهدايا و التحف العجيبة، و يذكرون للمكتوب إليه ملكهم، و أنهم قد وجدوا ذلك فى كتب الحدّاث و فى الملاحم و الأبار، و يطعمون المكتوب إليه فى المشاركة فى الملك، و إن كان ملكا قالوا نقرّك و نزيد فى ملكك، و يحلفونه فى كتمان ذلك و كتمان ما يلقونه إليه، و يهولون عليه بأن فلانا الملك، و فلانا الأمين، و فلانا السلطان، قد أجابونا، و هم أهل دعوتنا، و قد عرفوا حقيقة ما قلناه لهم؛ فبادروا فى الإجابة لتكون لكم الوسيلة قبل ظهور الدعوة، و قبل ملك الإمام لجميع الأرض، و قبل انغلاق باب التوبة. و إنما يكتبون بهذا إلى الملوك الذين هم فى الإسلام، و الذين يزعمون أنهم شيعة، و قد تواطؤوا لهم من كل وجه، و قد لاذوا برسول الله صلى الله عليه و سلم، و أظهروا الاعتصام به، و يقولون: السنّة السنّة تكون الغلبة، و ظهور الأمر على جميع الأرض، فلا يكون لذلك أصل، و يموت من وعدوه ذلك، و يتناسى، و يبتدئون فيسخرّون بقوم آخرين فيبطل ذلك و لا يكون، و يبتدئون بقوم آخرين، و يموت/ ذلك الذى قالوا لهم إنه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٨

الإمام الذي يظهر، و يدعون إلى آخر و يموت الذي بعده، ثم الذي بعده كذلك.

كما وعدوا نصر بن أحمد أمير خراسان، و مرداويج الحالى، و أسفار بن شيرويه، و ابن أبى الساج، و أمثالهم، ثم من بعدهم. و مات أولئك الذين كانوا يقولون فى كل واحد منهم فى زمانه أنه الإمام الذى يقوم و يغلب و يملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها. فتأمل و فكر، فبالفكر تكون البصائر. و إنما عرض هذا فى ذكر كتبه و مكاتباته فضلا على ما تقدم لتعلم أن أحواله كلها محفوفة بالعصمة، «١» مكنونه بالحجة الظاهرة و البينة القاهرة. و إنما ذكرنا أحوال هؤلاء الملوك الذين فى زمانك بعد ذكر من تقدم من ملوك بنى أمية و بنى العباس، لأن هؤلاء معك و فى زمانك، و هم يدعونك و يدعون الناس كلهم، فتأمل أحوالهم، فإنك إن ذهبت عما فى زمانك كنت عما فاتك زمانه أذهب.

و لما ذكر الله عز و جل نعمه على بنى آدم بما سخره لهم حين قال: «رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» إلى قوله «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا» «٢» و هو كما قال عز و جل، فإن العاقل إذا ترك الفكر فيما يشاهد، و ذهب عن معرفة النعم التى عليه فى الدنيا، فهو عما أراه الله به من نعم الآخرة أذهب.

[بين جرير بن عبد الله البجلي و اليهودى]

و من جنس ما تقدم أن جرير بن عبد الله البجلي سمع بأرضه من رجل تاجر من اليهود قدم عليهم بمتاع يشترونه منه: لا و الذى أنزل التوراة على موسى، فقال له جرير: من موسى هذا؟ و ما التوراة؟ فقال اليهودى: موسى بن

(١) يقصد الرسول عليه الصلاة و السلام.

(٢) الاسراء ٦٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥١٩

عمران رجل من بنى إسرائيل / أرسله الله إلى بنى إسرائيل و أنزل عليه كتابا يسمى التوراة، فقال له جرير: فأخبرنى خبره، فقص عليه شأنه، فقال له جرير: فهل أرسل الله أحدا قبله، قال: نعم، فقص عليه قصة نوح، قال له: فهل أرسل الله بعد نوح أحدا، قال: نعم، فقص عليه قصة إبراهيم، فقال له جرير: فهل غير هؤلاء؟ قال: كثير، فجعل يسم له الرسل، فقال له جرير: بأى شىء يرسلون، و ما يقال لهم؟ قال: يرسلون أن يعبد الله وحده، و بالصدق، و أداء الأمانة، و غير ذلك، قال له جرير: فكيف صنع قومهم بهم؟ قال: آذوهم و ضربوهم و قتلوا بعضهم، و دخل فى دينهم ناس من قومهم؛ و جرير يستريده من حديثهم و يعجب، و يعجب قومه من ذلك، و هو شىء ما سمعوا به أصلا، و لا سمعوا أسماء هؤلاء الرسل، فضلا عن غير ذلك.

فقال جرير: و الله ما سمعت بهذا قط و لا ظننته، فلعل محمدا هذا القرشى رسول مثل هؤلاء، فقد سمعنا خبره ثم عذبنا ذكره، و قد خفى علينا أمره. ثم شاور جرير من يعقل من قومه فى الرحيل إلى النبى لىسمع منه و ينظر فيما يقوله، فقيل له: إنه قد ساجل قومه الحرب و لا يؤمن عليك، و من رأى أن ينتظر الأشهر الحرم فيخرج للحج مع الحاج؛ فلما دخلت الأشهر الحرم رحل مع قومه فوافى إلى عكاظ و إلى ذى المجاز و إلى منى، «١» و صدروا إلى مكة، فعمدوا إلى مجلس من قريش أكثره كهلا و أبداه شرفا، فجلسوا إليهم، و تحدثوا معهم، و باسطوهم فى الحديث. فقال جرير: ما فعل صاحبكم هذا، الذى يزعم أنه رسول الله؟ قالوا: فعل شرا، شتمناه و شتمنا، و فعل و فعل، ثم حاربنا فقتلنا و قتلناه. فقال جرير: و ما نقمتم عليه؟ قالوا: نقمنا

(١) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢٠

سحره و كذبه،/ قال جرير: فكيف علمتم أنه ساحر؟ قالوا: سحر قلوب فتياننا حتى اتبعوه و عصونا، قال جرير: ما علمتم إلا بهذا؟ قالوا: لا، قال جرير: فما دلکم على كذبه، هل حدثکم شيئاً فوجدتموه باطلاً؟ قالوا لا و الله، إلا أنه يكذب على الله، و يزعم أنه أرسله أن آلهتنا باطل، و أن سلفنا ضلال من أهل النار. قال جرير: دعوا هذا فما ذا يقول سوى ذلك؟ قالوا:

و الله ما يقول إلا- حسنا، إنه ليأمر بصله الرحم، و الكف عن المحارم، و الخلق الجميل، و العفو عن المسيء، و أخلاق سوى ذلك جميلة لو قالها من عند نفسه و لم يزعم أن الله أرسله بها ما أنكرنا عليه، قال جرير: فلعله رسول الله، فقد أرسل الله رسلا قبله: إبراهيم و نوحا و موسى، قالوا: و أين هو من موسى؟

قال جرير: لمة؟ فأنتم خير و أكرم أم قوم موسى؟ قالوا: لا- بل نحن، قال: فما أنكرتم أن يرسل الله منكم رسولا كما أرسل من قوم موسى؟

و جادلهم عنه صلى الله عليه و سلم. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: ساحر و كذاب، ثم قالوا لجرير: ألقيته قط؟ قال: لا و الله ما لقيته قط و لا كلمته، و لكن هذا هكذا فغلظوا في شتم رسول الله صلى الله عليه و سلم و سبه، قال جرير: أنتم أعلم. و رجع إلى قومه و عشيرته بمن معه؛ فجاء قومه يسألونه عن الموسم، و عن العرب و ما كان بينهم، فحدثهم بذلك، ثم قال: و غير ذلك قالوا: و ما هو: فحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنه ييثر، و ما كان من قريش، و أنه ما وجد عند عدوه مطعنا غير السفاهة، و وجدت قومه قد خافوه، فهل لكم في خير، قالوا ما هو؟ قال جرير: قد أرسل الله قبله رسلا، فهل لكم أن أخرج قبله و ترسلوا معي رسلا تأمنونهم و تتقون بعقولهم و تطمئنون إليهم و إلى خبرهم، فتأتيه/ و نساته، فلا- يخفى أمره علينا، إن كان صادقا سالمنا و آمننا به و دخلنا في دينه و أخذنا لكم منه سببا و جبلا، و إن كان غير ذلك أريناكم برأينا. قالوا:

ما بما قلت بأس. فأرسلوا معه من اختاروه، و خرجوا حتى قدموا عليه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢١

المدينة؛ و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه: أتاكم خير ذى يمن، على وجهه مسحة ملك؛ و كان جرير جميلا سيدا و سيما. فلما قدموا المدينة نزلوا منزلا ثم لبسوا أجمل ثيابهم و خرجوا، فلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و جلسوا إليه، و كلموه، و سألوه عما يقول و ما يدعى، و ما يدعو إليه. فذكر ذلك و شرحه، و تلا القرآن، و بين لهم. فقال جرير: رضينا منك، و أسلم، و أسلم أصحابه و من معه.

فتأمل ما في هذا، فإن بجيلة هي حى عظيم و قبائل كبيرة يجاورون مكة ما سمعوا باسم موسى فضلا على أن يعلموا هل أرسله الله بل لم يعلم جلهم و أكثرهم أن هناك من يدعى له الرسالة و النبوة، و هذا قد يكون من قلة الطلب و المساءلة، و من قبل عدم من يقصد الناس و يدعوهم إلى ذلك و يذكرهم به، و من قبل غير ذلك مما يطول شرحه.

و قد كان أبو الحسن علي بن محمد بن بكر الاسفداني صاحب أبي علي رضى الله عنهما «١»، حج، و كان كثير الحج، فأسرته القرامطة مرة ثم أرسلوه، فحصل في البوادي، فأجرى ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يعرفوه، و قالوا: ما سمعنا به، فتعجب من ذلك. و هذا أبو الحسن كان كبيرا من فقهاء أصحاب أبي حنيفة، و كبيرا من أصحاب الحديث، غزير الرواية زاهدا، و اعظما مجيدا، و كان خلا لأبي الحسن الكرخي رحمة الله عليهما، و كان يلقي جابرة الملوكة من البريديين/ و الديلم بالموعظة، و يصدقهم و يعظهم، و له كتب كثيرة في العلم، و لعل أكثرها في خزانه الوقف بالرئ.

و كان يكثر تعجبه و هو فارسى من بلاد العجم، و من أهل عسكر مكرم، و هو أعلم الناس أو من أعلمهم بنبوة «٢» رسول الله صلى الله عليه و سلم و بآثاره و بأخلاقه و شريعته،

(١) يقصد أبا علي عبد الوهاب الجبائي المعتزلي المعروف.

(٢) في الأصل: ونبوة، و لعل الصواب ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٢٢

و قومه من العرب و جيرانه في البلد لا يعلمون شيئا من ذلك، و هذا إنما صار كذلك لترك السلطان العناية بالدين و إرسال العلماء و الفقهاء في البوادي و الآفاق كما كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يفعل ذلك و خلفاؤه و لا يخلون القبائل من مقرئ و فقيه و ساعي، و مع هذا فابتلى الناس بيحيى الطحاني و بأبي سعيد الجنابي و ولده و أمثالهم من القرامطة في جزيرة العرب، فزعموا أنهم شيعة و دعاء إلى المهدي ابن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فقتلوا المسلمين و من يقيم شريعة الإسلام، و سبوا المسلمين، و غزوا مكة و غيرها، و أحرقوا المصاحف، و صنعوا ما هو معلوم، فلهذا خفي على أولئك ذكر رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و إذا تدبرت هذا إن دارت بصيرتك بصدق قوله في قصة نوح عليه السلام: «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعُيُبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» (١).

فهذا جرير و بجيلة يقولون: و من موسى، و ما التوراة؟ و إن كنت قد علمت بعقلك بما تقدم لك، أنه صَلَّى الله عليه و سلم ما عرف ما أقصه من قصة نوح و غيره من الأنبياء إلا بالوحى. و انظر كيف صنع جرير و بجيلة في معرفة أخبار رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فإنهم ابتدءوا فسألوا عنه أهل بلده، و أهل بيته، و من ربه، و من ربي معه، و أعداءه، و من ناصبه و طلب عثراته، فعرف ما عندهم، فلم يجد عيبا و لا مطعنا، فرجع إلى قومه بمن معه فأخبروهم بما سمعوا، ثم تخيروا عقلاءهم و فضلاءهم فأرسلوهم إلى المدينة فسألوه و سمعوا منه، و هذا غاية ما يفعله العاقل الحازم المرتاد الطالب.

فتأمل هذا و ما قبله من تلك المحافل و المقامات و المواطن التي تقدم لك ذكرها، مما كان بمكة و بأرض العرب و بأرض الحبشة و بالشام عند ملوك الروم و بالعراق عند ملوك الفرس، و أحضره فهمك، و واصل درسه، و تدبر

(١) هود ٤٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٢٣

قول قريش لجرير و بجيلة في رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أنه ساحر، فإنهم لما سمعوا القرآن و رأوا غيره من آياته و دلالاته صَلَّى الله عليه و سلم فلم يمكنهم دفعها بالحجة، قالوا: سحر و هذا ساحر، و إنما يقولون ذلك لما لطف و غمض و دقّ و أخذ بالعقول: هذا سحر و هذا ساحر و لهذا قال أبو جهل حين خرجوا و معهم القافة في طلب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حين هاجر و معه أبو بكر في قصة الغار: و الله إنى لأراه معنا في بعض هذه الشعاب يرانا من سحره و ما نراه، و لما نزل قوله عز و جل: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (١) «سأل صَلَّى الله عليه و سلم عمه أبا طالب ليجمعهم له، فكان يراجعهم و يدافعهم، ثم أجابه لما يعرف من صدقه و لشدة محبته له فجمعهم، فلما حضروا، أطعمهم حتى امتلأوا شبعاً من يسير من الطعام، و سقاهم حتى أرواهم من عسّ لبن، ثم ابتدأ بدعوتهم و إنذارهم لأن الله أمره بذلك، و أنه قال للملك: إنى إن فعلت ذلك تفلق قريش رأسى فلق الخبزة» (٢)، فقال لى: يا محمد، إنك إلا تفعل ذلك تعذب، و إن الله قد اتخذ لك جندا تبعثهم، و إن الله ينزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما و يقظان، و إن قريشا و العرب ليست على شيء من الله و لا- لله، و إن الله/ يقول: «إنى خلقت عبادى جميعا حنفاء مسلمين، و جعلت ما يحلهم من رزق فهو لهم حلال، فأحالتهم الشياطين على دينهم و حرمت عليهم ما أحلت لهم، و أمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا، و أمرتهم أن لا- يغيروا خلقى. فقطع أبو لهب كلامه و أمر أصحابه بالقيام فقاموا و خرجوا، و تحادوا أنه أشبعهم و أرواهم من ذلك الطعام و الشراب اليسير الذى لا يكاد يشبع الواحد و لا يروى، فقال أبو لهب: هذا من سحره، و هذا بعض سحره، كالذى قالوه لجرير و أولئك الرهط من بجيلة.

و هذا المقام الذى كان له مع قريش كتلك المقامات التى قد تقدم ذكرها من

(١) الشعراء ٢٤٧

(٢) فلق الخبزة: كسرتها أو شطرها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٢٤

شأن الإسراء وقصه الروم وغير ذلك، لا يرتاب بها العلماء ولا يشكون فيها. وقد علمت أن إسلام الأنصار كان فى الاستقصاء وطول السؤال والمراجعة أشد من استقصاء جرير و بجيلة، وفى نحو ذلك كان إسلام قبائل عبد القيس، وهذه كانت سبيل قبائل طى. و تأمل أحوال قريش من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يظهر من آياته، و يصدق من أقواله، كيف كان يرجع بعضهم إلى بعض فى الرؤساء خاصة، إن هذا الرجل ما ترل له قدم، و لا يخلف فى شىء قاله، و لا يغنى كيدنا له شيئاً؛ متأسفين و متحسرين على ما يخيب من سعيهم، فيقول بعضهم لبعض: فلعله نبي كما يقول، فنحن جميع و هو وحده، و نحن أغنياء و هو فقير، فيقول بعضهم لبعض: هذا من سحره.

و لما دخل سعد بن معاذ الأنصارى رحمه الله عليه مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، نزل على أبي بن خلف و كان خلاً له، فأراد أن يطوف بالبيت، فخاف عليه ابن خلف قريشا، فقال له: اصبر إلى أن يخف الناس، فلما خفوا خرجوا و طاف، فأبصره أبو جهل فقال له: أ تطوف بالبيت آمننا و قد آويتهم محمداً، لأفعلن و لأفعلن، فخاصمه ابن معاذ و جادله و لومه فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و ذكر عذرهم فى قبولهم منه صلى الله عليه وسلم، و أنه جاءهم بالنور و الهدى، و أنكم على ضلال فى تكذيبه، فلم يكن عنده و لا- عند قريش حجة و لا ما يشبه الحجة، من ذكر زله أو هفوة يصرفون سعد بن معاذ و الأنصار عنه مع حاجتهم إلى ذلك. و استطال سعد على أبي جهل، فقال له أبي بن خلف: أ ترفع صوتك على أبي الحكم و هو سيد البطحاء، فقال له سعد: أما أنت فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يقتلك، فراع ذلك، و دخل على امرأته كئيباً، فقال لها: أما تسمعين ما قال أخى اليربى، زعم أنه سمع محمداً يقول إنه يقتلنى و ما كذب محمد قط. فلحق المرأة من الرعب أكثر مما لحق أينا؛ فلما

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٢٥

كانت بدر، قال له أبو جهل: اخرج معنا، فقالت له امرأته: اذكر ما قال أخوك اليربى، فكره الخروج، فما تركه أبو جهل حتى أخرجه، فقتل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و الذى بدأنا به و أردنا، خوض أهل مكة فى عداوته صلى الله عليه وسلم و اجتهادهم فى صرف الناس عن اتباعه بكل وجه و حيلة فلا يجدون مطعنا، و اتصل بهذا، اخباره صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي بن خلف فكان كما قال، و هذا آية أخرى. و كم لاموا أنفسهم فيما بينهم لما نزل بهم ببدر، و قد كانوا خرجوا و اتقين بالظفر برسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه لقتلهم و ضعفهم، و لقوة قريش بالكرع و السلاح و المال و كثرة العدد، و كم تلاوموا فيما بينهم حين رجعوا من أحد و قد خرجوا فى ثلاثة آلاف، و هم لا يشكون أنهم يظفرون برسول الله صلى الله عليه وسلم و أنهم يسبون المدينة، و معهم أبو عامر الراهب/ كما تقدم لك.

و لما رجعوا مع الأحزاب و الخندق و قد جمعوا تلك الجموع، فنزل بهم من الريح و الرعب ما قد تقدم لك ذكره، تجمع كل قوم إلى رئيس و صاحب يتعجبون من ذلك، فقال عمرو بن العاص للذين اجتمعوا إليه: و الله إنى لأرى أمر محمد يعلو على الأمور علو المنبر، فتشاوروا فيما يصنعون، فقال عمرو: إنى قد رأيت رأياً، قالوا: و ما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشى- و كان له صديقا- فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فإننا أن نكون تحت يده أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد، و إن ظهر

قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. و صاروا إلى النجاشي، فأقاموا عنده. و ورد على النجاشي عمرو بن أمية الضمري رسول الله صلى الله عليه وسلم «١»، و أفاضوا في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم و ما أتى به و ما دعا إليه، فأجمعوا على حسن

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٢٤ و ٣٢٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢٦

ذلك، و عدلهم النجاشي في إبطائهم عنه، فما وجدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم غمزة يذكرونها أو يحتجون بها، فكروا راجعين إلى مكة. و قد رحلوا إلى النجاشي غير مرة، و كانت له معهم في هذا الشأن محافل و مجالس. و لقد قال خالد بن الوليد بن المغيرة لأصحابه و أهل أنسه قبل إسلامه و قبل هجرته: و الله لقد استقام الميسم، و إن الرجل لنبى فحتى متى؟ ثم هاجر و أسلم بعد الحديبية، و هاجر بعده عمرو بن العاص و أسلم، و كان منهما ما هو معلوم. و لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره على أصحابه في حجة الوداع، ما زال خالد ابن الوليد يصرع و يقول: يا رسول الله ناصيتك، يا رسول الله ناصيتك، فيها أرجو النصر، فنادى أبو بكر الصديق في الناس متعجبا و معتبرا و منبها، و قال: أيها الناس، هذا/ خالد بن الوليد الذي لقينا منه بيدر و أحد و الخندق و الحديبية ما لقينا، انظروا اليوم إليه و إلى بصيرته. و لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم أرتاس، و أعطى المؤلف ما أعطاهم، قال عيينة بن حصن: أنا ابن الأشياخ، أنا عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فقال صلى الله عليه وسلم: خير الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ و كان صلى الله عليه وسلم يقول في عيينة بن حصن: الأحمق المطاع، و كان من أمره معه، و مع الأقرع ابن حابس، و العباس بن مرداس المسلمي، و تلك المؤلف. ما هو معلوم «١»

و لما أعطاهم من تلك العناية ما أعطاهم، و حرم السابقين و البدرين و المهاجرين و الأنصار، قال قائل من الأنصار: نظهر على هذه الغنائم بأسيفنا و يأخذها هؤلاء دوننا، و بلغه ذلك، فأرسل صلى الله عليه وسلم، و جمع الأنصار، و قال:

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٤٩٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢٧

أخبروني عنكم معشر الأنصار، أ لم تكونوا ضلّالا فهداكم الله بي؟ قالوا بلى، قال: أ لم تكونوا أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى، قال:

فما مقالة بلغتني عن بعضكم؟ و أعاد عليهم القول، فقالوا: يا رسول الله أيما كان، هذا من بعض أحداثنا، فأما نحن فراضون. فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مال تألفت به قلوب هؤلاء الذين عهدهم بالإسلام حديث، و ببصائرهم ضعف، أ ما ترضون أن يرجع الناس بالشاة و البعير و ترجعون برسول الله إلى رجالكم؟

قالوا: بلى، رضينا؛ و بكوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو شئتم أن تقولوا أتيتنا طريدا فأويناك، و مخذولا فنصرناك، لقلتم، فزاد بكائهم و خشوعهم، و قالوا: المنة علينا في ذلك لله و لرسوله.

[سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام في السابقين و البدرين]

و كم قد كان مثل هذا، فتأمل هذا المقال و الفعال للفريقين من المؤلف و من الأنصار، ففيه العبرة الكبيرة و البصائر الثيرة، و تأمل سيرته صلى الله عليه وسلم في السابقين و البدرين، لأهل بيته، و في ولده و أزواجه، كيف حرمهم الدنيا و حماهم منها؟، و كيف ملأ

قلوبهم بالوعيد والمخاوف؟، وكيف جعلهم أسوة الناس كلهم في الأحكام والقصاص والحلال والحرام، وفي أن من حازت شهادته من العجم والموالي على الحاكة والحجامين والزيايين، حازت شهادته على القرشيين والهاشميين والسابقين والبدرين، وكيف حرم الصدقات على أهل بيته وأوجبها في أموالهم للناس، وكيف شرع وبين أن الخطأ والزلل جائز على كل واحد من أصحابه وأهل بيته وخاصته، وصى بمراعاة أفعالهم وأقوالهم وأن يذكروا وأن يعلموا وأن يتفقوا حين جعلهم قواما على المسلمين، ووكلاء وخداما، لما علم الله عز وجل أن الأتقياء والأولياء الأذكياء من قريش، أحرص على رشاد المسلمين وصلاحهم من سائر الناس، فقال فيهم: استقيموا لقريش

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢٨

ما استقاموا لكم، وتلك الأقوال التي قد تقدم لك ذكرها، فأحضرها فهمك وتأمل ما فيها.

[الرد على دعوى العصمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه]

ثم لم يجعل العصمة والأمانة من الزلل في دين الله إلا له وحده إلى يوم القيامة، لا يشاركه أحد فيه، ولا يقوم مقامه ولا يسد مسدّه، فقبلوا كل ذلك منه، وخضعوا له، وتدينوا به، وأجابوه إلى ذلك على تلك الشرائط التي تقدم ذكرها، لتعلم بمكان الاعلام والدلائل والبراهين التي انتقضت بها العادة فبهرت عقولهم، وقد كانوا من أعظم الناس نخوة وأنفة وحمية، ثم لا تجدهم لما صحبوه واختصوا به وأجابوه حدث لهم نبوه عنه، ولا نفور منه، ولا طعن عليه في دينه/ لشيء وقفوا عليه، أو وقف عليه واقف، أو استراب فيه مريب في شيء من أحواله، لا من الرجال ولا من النساء، ولا من الخدم، ولا من الأزواج، لا في حياته ولا بعد وفاته، وأزواجه عدد كثير وهن ضرائر، وفيهن بنات أصحابه وخاصته، وفيهن بنات أعدائه.

فإن قيل: أو ليس الراضية تدعى أنه قد شهد بالعصمة لابن عمه علي بن أبي طالب، وأنه كالأنبياء في أن الخطأ والزلل لا يجوز عليه البتة في حال من الأحوال، ولا يلحقه سهو ولا غفلة، وأنه يسد مسدّه ويقوم مقامه، وأنه مفزع الخلق، وكذا ولده بعده، فيهم من يقول ثلاثة، ومنهم من يقول سبعة، ومنهم من يقول اثنا عشر، ومنهم من يقول أكثر.

قيل له: إنا لم نقل أن هؤلاء ادعوا هذا، ولا أخبرنا عنهم، وإنما أخبرنا عن شرعه صلى الله عليه وسلم وسنته وصاياه، لا عما يقول هؤلاء. وقد تقدم لك الأدلة على بطلان دعاويهم، وأن أصحابه كلهم من أولهم إلى آخرهم أطبقوا على ذلك قرنا بعد قرن، ثم الذين يلونهم ثم التابعين لهم، ثم الذين يلونهم في القرون والاعصار، إلى زمن هشام بن الحكم؛ فإنه ابتدع هذا القول، ثم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٢٩

أخذ عنه الحداد، والوراق، وابن الراوندي، وأرادوا به كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإفساد دينه، وتشكيك الناس في نبوته، وأحوالهم في شدة عداوته معروفة، وقد تقدم لك بيان ذلك والبرهان عليه بما لا حاجة لك إلى إعادته.

وقد ذكر أبو علي رحمه الله طرفا من ذلك في «التفسير» وفي «نقض الإمامة على ابن الراوندي»، وذكره غيره من العلماء والعلماء يقولون: إن من قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل مفزع الدين أرسل إليهم، واتباعه في العلم بالحلال والحرام إلى واحد، كمن قال ما أرسل إلا إلى ذلك الواحد، ولا آمن به ولا اتبعه إلا ذلك الواحد، ولا زكى ولا مدح إلا ذلك الواحد، ولا شهد بالجنة إلا لذلك الواحد، قالوا: وإنما تكلم من قال إن بعض أصحابه أعلم من بعض وأوعى وأحفظ، وأنه ما استخلف على أمته واحدا بعده كما استخلف أبو بكر ويده على ذلك.

فأما من قال ذلك القول فسيبيله ما ذكرنا، ونظيره ما مثلنا. وهؤلاء يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عصمته وعصمة ولده، ونص لأئمة على ذلك، وأداه لهم بحسب وجوبه على كل واحد منهم من عبد وحر، وذكر وأثنى، وحضهم على ذلك، وأن الاعلام والمعجزات كانت تظهر عليه وعلى ولده، وأنها ظاهرة إلا على إمام الزمان الذي هو معنا وحجة علينا.

وقد علم كل عاقل سمع الأخبار أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه، قد ابتلى من الخلاف والتضليل والتخطفة والإكفار ما لم يبيل بمثله أبو بكر، ولا- عمر، ولا- عثمان، فما احتج لنفسه بأنه معصوم لا يجوز عليه الخطأ، ولا أن النبي نصّ عليه وصى إليه واستخلفه، ولا- بأن المعجزات ظهرت عليه مع حاجته إلى ذلك، ولا- احتج له من يخاصم عنه في زمانه مثل الحسن والحسين، و عبد الله بن العباس، و قيس بن سعد و أبي أيوب

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٠

الأنصاري، و صعصعة بن صوحان، و عدى بن حاتم، و عثمان بن حنيف، و سهل بن حنيف، و جهر بن عبد الله، و عمران بن حصين، و شريح بن هاني، و الأحنف بن قيس، و أبي الأسود الدؤلي، و غيرهم ممن أرسلهم إلى من خالفه من أهل البصرة، و من أرسله إلى أهل الشام، و من أرسله إلى الخوارج، و من أرسله إلى أهل الكوفة يستنفرهم حين قعدوا عنه بمشورة عامله أبي موسى، و كان يجادل عنه بحضرته من كان يرد عليه من رسل معاوية، و يجادل الخوارج، لا يعرفون شيئاً مما يدعيه هؤلاء بوجه من الوجوه، و لا يرجع فيما يحتج به رضى الله عنه إلا إلى الاجماع، فيقول: وجبت طاعتي كما وجبت طاعة أبي بكر و عمر و عثمان، لأنه قد بايعني من بايعهم، و إنما الأمر في الإمامة إلى السابقين و البدرين من المهاجرين و الأنصار، لا إلى الطلقاء و أبناء الطلقاء، و يحتج بأنه من أهل الشورى التي وضعها عمر، و يحتج في التحكيم بالقياس، و يردّه إلى الاجتهاد، و يقول: قد أمر الله بإرسال الحكيم في شقاق يقع بين المرأة و زوجها و في أرب تصاب في الحرم قيمتها ربع درهم، فكيف بإمامة قد أشكلت على المسلمين، و يشير عليه ولده و أهله و أصحابه و خاصته الذين قدمنا ذكرهم و غيرهم، و يقولون: له: الرأي أن تفعل كذا و قد فعلت كذا و لم يكن الرأي أن تفعله، كما قال له الحسن ابنه و ابن عباس حين قبل البيعة، و كما قال له قيس بن سعد في شأن مصر، و حين قال له الأحنف في شأن التحكيم، ففي آرائهم ما يأخذ به و يدع رأيه لرأيهم، و منه ما يقيم على رأيه دون رأيهم، و يقول: هو أصوب. و إذا فعل الشيء يسأل الناس عنه، هل هو صواب أم خطأ، و يسمع منهم، و يجادلهم، و يعتذر إليهم، و يبين وجه الصواب. كما قال لبعض أصحابه لما حكّم بالشام و رجع إلى العراق فقال لخاصته: ما يقول أهل الرأي؟

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣١

فقيل له: أما أهل الرأي فيقولون: إن علياً كان له بناء فهدمه، و كان له جمع ففرقه، فحتى متى يا بني مثل ما هدم، و يجمع مثل ما فرق، فلو أنه إذ عصاه من عصاه مضى بمن أطاعه فإما فتح و إما قتل، فكان أعذر مما صنع؛ فقال رضى الله عنه: أنا هدمت أم هم؟، أنا فرقت أم هم؟ و أما قولهم: لو مضى بمن أطاعه من أصحابه إذ عصاه من عصاه ففتح أو قتل فكان أعذر، فو الله ما غبي على هذا الرأي و لا- ذهب عني، و لكن كان هذان، يعنى الحسن و الحسين، متى حملت اتباعي، و هذان: يعنى محمد بن الحنفية و عبد الله ابن جعفر/ بن أبي طالب يقدماني فكرهت أن يهلك هذان فلا يبقى لرسول الله صلى الله عليه و سلم ذرية، و كرهت أن يهلك هذان فإنهما شابان و من أجلى أقدماء، و سترون إذا عدت إن شاء الله إلى الشام، لا أدع هؤلاء في عسكري.

فانظر كيف يباحث أهل الرأي و يقبل الصواب و يحمده و يبين عذره لما هو.

و لما قال له قائل بالكوفة: ذهبت إلى الشام و رجعت فلم تصنع شيئاً، فيكون من جوابه، أن على الانسان أن يجتهد رأيه، و لا لائمة عليه بعد ذلك.

و لا يحتج في شيء من ذلك بنص، و لا حكمه، و لا عصمه، و لا آية و لا معجزة، و لا يقول: هكذا وصاني رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال لي: ينبغى أن تفعل كذا، و يقول لأهل الكوفة: اخترتكم على أهل البصرة و ظننت أن عندكم ما أحب من الطاعة و النصر، فقلت لابن عباس هؤلاء أشد شوكة، و هم أزالوا كسرى عن ملكه، فلم تكونوا كما ظننت.

و خطبهم مرة فقال:

ليتني لم أركم و لم أعرفكم معرفة و الله جرت ندما، و ملأتم قلبي غيظاً،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٢

و جرعتوموني بكأس التهام أنفاسا.

و يقول في بعض أقواله: ندمت على كذا، و يقول «١»:

إني عثرت عثرة لا أجتبرسوف أكيس بعدها أو أستمر و أجمع الرأي الشيت المنتشر و قد قال في الجد بأقوال مختلفة، و رجع من قول إلى قول، و كذا في الخلية و البرية، و في أمهات الأولاد، و في غير ذلك، و هو في الاجتهاد و في الرجوع من قول إلى قول أشهر من أبي بكر، و عمر، و عثمان، و ابن مسعود، و زيد بن ثابت، و كان يستقضى و يستعمل من يخالفه في الاجتهاد و الرأي، و يحكم بغير قوله، مثل ابن عباس، و شريح بن الحارث، و أبي مسعود البدرى، و أبي موسى الأشعري، و غيرهم. و كان الناس في سلطانه و في بلدان ملكه/ و حيث ينفذ أمره، و البلدان التي هو فيها و فيها عماله، يفتي الناس فيها بالرأي و الاجتهاد، بما يخالف اجتهاده و رأيه، مثل من كان بالكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود، و من بالمدينة من زيد بن ثابت و غيره، و من بالبصرة، و يعلم بذلك و يجاريهم فيه، فلا- ينكره و لا- يرده، بل يسوغهم، و يصوب الأحياء و يترحم على الموتى، حين حكم أهل الكوفة في إبل ابني عم، أحدهما أخ لأم، فجعلوا أهل الكوفة المال كله للأخ للأم، فقال لهم: لم فعلتم ذلك؟ قالوا: هكذا فعل ابن مسعود، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن، و كان مذهبه غير هذا، إلى ما لا يحصى كثرة.

و لقد قالت العلماء: العلم بأن النبي عليه السلام ما نصّ على عليّ و لا استخلفه، و لا كان على يدّعي النصّ و الوصية و العصمة، أقوى من العلم بأنه

(١) كتب في هامش الصفحة «من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٣

ما نصّ على عمار، و لا على بلال، و لا على أبي ذرّ، لأن عليا قد كان في زمن أبي بكر و عمر و عثمان، و بقي بعدهم خليفة و سلطانا مائة ألف سيف تطيعه و تنقاد لأمره، و قد خوصم و خولف و نوزع، و جادل و خاصم أصحابه و أهله عنه، فما احتج قط بنص و لا وصية و لا عصمة مع حاجته إلى ذلك، و لا احتج له أحد من أولئك.

و من عجب أمر هؤلاء الإمامية أنهم يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد كان عرفه عدوّه و وليه و ما يجرى عليه بعده، و أنه خرج إلى صفين و هو يعلم أنه لا يظفر بمعاوية، و أن معاوية سيرفع المصاحف، و ينقض تدبيره، و يفسد عليه أصحابه، و يرده كئيبا حزينا، و أن عمرو بن العاص سيغلب صاحبه أبا موسى إذا أنفذه للحكومة، و يجعل ذلك حجة لأهل الشام. و أن عبد الرحمن ابن ملجم سيقته في تلك الساعة، و أنه خرج إليه و هو يعلم أنه ينتظره ليقته، و أن الحسين عليه السلام، وجه بابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة ليأخذ البيعة عليهم/ و هو يعلم أنه لا يتم له أمر، و أن عدوه سيقته، و أن أهل الكوفة لما كاتبوه بالمصير إليهم و ضمنوا له النصر فقبل كتبهم و قولهم و سار إليهم و هو يعلم أنهم لا- يفون له، و أنه إذا صار إليهم و من معه سيقتلونهم و يقتلون إخوته، و يحملون رأسه و ذريته إلى الشام، و أن أمير المؤمنين استعمل مصقلة بن هبيرة الشيباني و ائتمنه على كورة أردشير حرة و على مال بني ناحية، و هو يعلم أنه سيغدر به و يخونه و يصير إلى معاوية، و أنه استعمل زياد بن سمية الثقفي على كورة اصطخر، و هو يعرف عداوته له، و ما يؤول إليه أمره من مصيره بعده إلى معاوية، و قتله لشيعته، و إظهاره للعنه، و قتل ابنه عبيد الله للحسين عليه السلام، و كذا خالد بن المعمر السدوسي و سائر من خانه من عماله، الذين استعملهم و اختارهم فخانوه و غدروا به، و أنه استعمل قيس

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٤

ابن سعد على مصر، ثم أظهر تهمته و تفصيره و الخوف من خيائه فعزله، مع شهامته و كفايته و أمانته و ثقل وطأته على عدوه معاوية،

و استعمل على مصر بدلا منه محمد بن أبي بكر الصديق، و هو يعلم أنه يقصر عن منزلة قيس، و أن معاوية سيقته و يقتل أصحابه، و أنه بعد قتل محمد أنفذ الأشر و اليا على مصر، و هو يعلم أن صاحب القلزم سيقته، و أنه و الأئمة من ولده كانوا يعلمون ضمائر الخصوم الذين يرتفعون إليهم، و من المحق منهم و من المبطل، و يعرفون ضمائر الشهود و الذين يشهدون عندهم، و من هو الكاذب من الصادق.

و العلم رحمك الله إنما يحتاج إليه لاجتلاب المنافع و دفع المضار، فهذا موضع الانتفاع بتقدمه المعرفة، و لو لا ذلك لكان طلب العلم جهلا، و الرغبة في المعرفة عناء، و الله عز و جل يقول لنبيه: قل يا محمد: «وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» (١) و يقول له في قوم كانوا يظهرن له الحيل فيظن ذلك بهم: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» (٢) و قال له في آخرين ظن بهم هذا الظن: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» إلى قوله: «هُمْ الْعِيدُ فَآخَذَرَهُمْ» (٣) و قد قال صلى الله عليه و سلم (إنكم لتختصمون إلي و لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، و إنما أحكم بالظاهر و الله هو المتولى للسرائر، فمن قضيت له بشيء بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار) و هذا باب لا يتكلف نقضه على الخصوم، و إنما ذكرناه على طريق التعجب، فإن من عرف أمير المؤمنين و ولده رضى الله عنهم، يعلم أنهم كانوا لا يعلمون ما يدعيه هؤلاء عليهم، و أنهم كانوا يعملون فيها بظنونهم

(١) الأعراف ١٨٨

(٢) البقرة ٢٠٤

(٣) المنافقون ٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٣٥

و ما يغلب على رأيهم، و هؤلاء يزعمون أنهم كانوا يقصدون ما يفسد أمرهم و يقتل نفوسهم و أحبابهم، و يشمت عدوهم، و يميت سلطانهم، و يكسر عساكرهم، و يمكن لعدوهم على علم و يقين؛ فإذا الجهال من أعدائهم الذين يعملون بالجهل و الخطب، و يختارون لأنفسهم بجهلهم و نقضهم أسلم على عمالهم و أصحابهم من معاوية و بنى أمية من هؤلاء العالمين المعصومين. فلو أراد مرید أن يبلغ في سب هؤلاء السادة صلوات الله عليهم لما بلغ منهم ما بلغ هؤلاء الذين زعموا أنهم لهم شيعه و أولياء. و لكن العلماء قالوا: إن أوائلهم أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لدينه و لأهل بيته، فلم يمكنهم المكاشفة بذلك، فادعوا أنهم شيعه، و تستروا بذلك، و سبوا هذا السب، و طعنوا عليهم هذا الطعن، الذي لم يبلغه العدو المكاشف بعداوتهم من الحرورية و بنى أمية [١]. و كذا يقول العلوية من بنى الحسن، و الزيدية من بنى الحسين، و القاسمية، و الناصرية: الرافضة أضر علينا و أنكأ فينا من الحرورية و بنى أمية الذين و لغوا في دماننا.

و مما يزيدك في العجب قولهم: إن النبي صلى الله عليه و سلم، / و أمير المؤمنين، و الذين يدعون لهم الإمامة من ولده يعرفون اللغة الفارسية و الرومية و الهندية و القبطية و التركية و الديلمية و سائر اللغات و يتكلمون بها، و لا يجوز أن يكون في أهل هذه اللغات أحد أعلم بها منهم؛ قالوا: و يجب أن يعلموا ذلك بدليل العقل، و لو لم يعلموا ذلك لكان نقضا فيهم و هم حجج الله على خلقه، و الإمام لا يترجم له و لا يحتاج إلى ترجمان إذا حضره الخصوم، و لا بد من أن يكون عالما بجميع اللغات؛ قالوا و يجب أن يعلم جميع الأقسام، و يكتب بها، و يقرأ ما كتب بها، و يخط بالأقلام كلها، و لا يجوز أن يكون أحد أكتب منهم فقد سبواهم و انتقصوهم، و أنهم قد كتبوا الكتب كلها، و كتبوا بالأقلام كلها

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٣٦

بالخطوط التي لا يكون أحسن منها، و نطقوا باللغات كلها، و أن النبي صلى الله عليه و سلم قد كان قرأ صحف إبراهيم، و ما نزل على

آدم، ونوح، وموسى، وداود، وعيسى، وجميع الأنبياء، بتلك الألسن، وكتبها بتلك الأقلام. وأنت تجده صلى الله عليه وسلم يحتج في نبوته على عدوه حين تلا عليهم ما فى كتبهم بأنه من قبل الله و علمه، و أنه ما تلا قبله كتابا ولا خطه يمينه إذا لارتاب المبطلون.

و يدلّ بذلك، و يستطيل على الخصوم و يقول: إن الله قد نعتة و وصفه للأنبياء قبله بأنه النبى الأمى، و هؤلاء يقولون لم يكن الأمر كذلك، و زعموا أنهم يمدحونه بهذا القول و فيه تكذيبه. فتأمل ما يجلب هؤلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم و على دينه من المكاره و هم يتجاوزون هذا إلى أن هؤلاء القوم يعلمون ما تريده السباع بعوائها، و كذا جميع الطير و البهائم، و هذا لهم مسطور، و أنت فقد علمت بدليل عقلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأ كتابا قط و لا خطه يمينه كما تقدم ذلك، و بأى شىء تعلم أن أبا بكر و عمر و عثمان و العباس و عبد الرحمن و أمثالهم ما كانوا «١» يكتبون بهذه الأقلام و لا يحسنون هذه اللغات إلا و العلم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين رضى الله عنهم ما كانوا يحسنون ذلك أقوى و أظهر. و أن هؤلاء ما كانوا يكتبون إلا بالعربية، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يكتب لا بالعربية و لا غيرها من الأقلام، و هم يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم و على هؤلاء الذين يدعون إمامتهم أنهم كانوا يحسنون الصنائع كلها، و أنهم أعلم الناس بها، من النجارة و الخياطة و الصباغة، و كل صناعة فى الدنيا صغرت أو كبرت، ارتفعت أو اتضعت، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم بالشعر من كل شاعر، و قد علم أهل المعرفة بعقولهم أنه ما كان يحسن شيئا من ذلك البتة، و لا يروى لغيره شيئا منه البتة، و أنه كان لا يقيم بيتا واحدا يرويه لغيره كما يرويه

(١) فى الأصل «كان» و لعل الصواب ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٣٧

العرب و العجم، و الفصيح و الأعمى، و لا يستقيم له، و لا يجرى على لسانه، و الله عز و جل يقول: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ» «١» فمن هذا الجنس مدائحهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم و أهل بيته، و هو الغاية فى تكذيبه و الطعن فى نبوته.

[الرد على على أن الأئمة كانوا يعلمون المكاره التى كانت تنزل بهم]

و انظر إلى قولهم فيهم أنهم كانوا يعلمون المكاره التى كانت تنزل بهم، و تفسد أمرهم، و تشمت عدوهم، و كانوا يسعون إليها على عمد و علم، و الله قد أقامهم حتى يحافظوا عباده و يمنعوهم من الفساد، و لا يمكنوا من غفر حمار يهودى، و هم يمكنون من أنفسهم و عيالهم على علم، و الله يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» «٢» و يقول: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» «٣» «وَحُدُوا حُدْرَكُمْ» «٤» و يقول فى قصة سليمان صلى الله عليه وسلم: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» «٥» يقول عز و جل: إن الجن و عفاريتهما كانت تدعى علم الغيب، و فى الانس من يدعى ذلك لها، و كان سليمان عليه السلام واقفا يازائها، و يستعملها فى تلك الأعمال الشاقة المؤذية المهينة، و هى تعمل خوفا منه، و هو متكئ على عصا كانت فى يده، فتوفاه الله عز و جل على تلك الحال، و الشياطين لا تعلم، و هى تعمل و تظن أنه يراها و يشاهدها، و كانت إن قصرت عذبتها، فهى تخاف نكاله بها، فبقيت على هذا حينما من الدهر تظنه حيا و هو قد مات، فلما أكلت دابة الأرض عصاه صلى الله عليه،

(١) ياسين ٦٩

(٢) البقرة ١٩٥

(٣) النساء ٢٩

(٤) النساء ٧١

(٥) سبأ ١٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٨

تبيّن الجن أنه قد مات مد حين طويل و هو حذاءها و لا تعلم، و لو علمت لانتفعت بهذا العلم، و لتخلصت من العذاب المهين، فإنما يراد العلم بالعواقب لينتفع به، و هؤلاء يدعون على القوم أنهم كانوا يعلمون العواقب و يلقون أنفسهم في المهالك، و قد بين عز و جل أن يوسف صلّى الله عليه و سلم لما أعلمه بالعواقب في تلك السنين انتفع بذلك العلم و استعمله، فدفع به المضار، و اجتلب به المنافع، و صار به إلى ملك الأرض، و إلى أن خضعت له الملوك و ألفت تقاليدها إليه فقرت عينه، و عين كل ولي له و سجت عيون أعدائه و ماتوا كمدا فقال لهم: ستوالى عليكم سبع سنين خصبه، فلا تغتروا و اخزنوا الطعام، فسيأتى بعدهن سبع شداد قحطه تأكلون فيها جميع ما خزنتم في السبع الخصبه و ليكن ما تخزنونه في سنبله و تبنيه لثلا يعفن أو يقع فيه السوس، و لا تخرجوا من السنبل إلا ما تتدبرونه، حين قال لما سأله رسول الملك عن رؤيا الملك.

و الله عز و جل يقول: «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١) بين عز و جل، أن العاقل إذا علم العواقب بدأ بنفسه فتحرز من المضار سلم من المكاره، ثم بعد ذلك / ينتفع غيره إن شاء، ففي وقوعهم في المكاره من أدلّ الدليل على أنهم لا يعلمون العواقب، فلم قالوا لغيرهم: لو أطاعونا ما قتلوا، ما في هذا فضيحتهم. و هذا مثل قصة سليمان مع الجن.

فتأمل ما في هذا الكلام من الحكم البالغة، فإنه و إن كان كلاما في توييح الشيع فيما أضافوه إلى النبي صلّى الله عليه و سلم و إلى أهل البيت، ففيه بيان شاف في تكذيب المنجمين و الرد عليهم، فقد قال لهم أبو الهذيل رحمه الله حين استدعاه المأمون

(١) آل عمران ١٦٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٣٩

و سأله الكلام عليهم فقال لهم: أخبروني أيما أيسر عندكم، العلم بما سيكون، أو العلم بما قد كان «١»، فقال لهم: فأخبرونا عما قد كان، إن شئتم بالبصرة، و إن شئتم بالكوفة، و إن شئتم ببغداد، و إن شئتم في هذا القصر، بأن تقولوا في خزائن الكسوة كذا و كذا صندوقا أو رزمة أو عدلا، و في الصندوق الفلاني كذا و كذا قميصا و كذا و كذا قباء، و كذا و كذا عمامة، و فصلوا ما في كل واحد منها، و هو شيء قد كان و وجد، و عرفه الخزان و الفراشون، و لكم الكلام. فسكتوا فما أحاروا جوابا، و هذا شاف كاف بل زائد على الكفاية فما تحتاج معه إلى غيره في بيان فضيحتهم، فاعرف ذلك.

[الرد على أن النجوم تدل على ما كان و يكون، أو أن الأئمة يعلمون الغيب]

و كذا قال لهم أبو الفضل جعفر بن حرب رحمه الله: إذا قلتم إن النجوم تدل على ما كان و يكون، و ما هو موجود و معدوم، فما يمنعكم أن تستدلوا على كنوز كسرى و قيصر فتستغنوا بها عن خدمة الملوك، و طلب ما في أيدي الناس، و التذلل لهم لأجل ما عندهم، و كذلك معادن الذهب و الفضة و الغوص على الدر، فيجعلون للملوك عليه الجعل الثمين، و يخبروهم بمبلغ ما فيها. و قد سألهم أبو علي الجبائي عن مثل هذا، و سألهم أصحابه، و هذا ما لا حيلة لهم فيه، و إنما أنطق هؤلاء القرآن و ما نبه الله عليه / عباده مما تقدم ذكره، فعليكم بمداومه درسه و الفكر فيما تدرسه و التدبر له، و لو كان للمنجمين فطنة الشيع و ما عندهم لما انقطعوا في يد أحد، فإنهم كانوا يقولون: قد علمنا ما كان و ما يكون و لكن لا نقول، و نخطئ على عمد، و نفصح أنفسنا على عمد، و نشمت

أعداءنا على عمد، و لو شئنا لاستغنيا و أغنيا من شئنا و لكن لا نفعل على ضرب من التدبير. و على قول الشيع لا يفتضح كذاب، و لا تقوم حجة على محتال و كذاب و متكهن و متنبئ، فإن كل واحد من هؤلاء يقدر أن يقول أنا نبي، و لو شئت لأحييت الموتى و أخبرت بالغيوب، و لكن لا أفعل لضرب

(١) لعل هنا نقصا تقديره: «فقالوا بل العلم بما قد كان»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٤٠

من التدبير، و لمحنة امتحنى الله بها كما تقول ذلك الشيع في أئمتها، فلا يكون للشيعه معهم كلام، و لا من قولهم انفصال. فأما أنت رحمك الله، فلو قال لك قائل من المنجمين أو المحتالين المتكسبين هذا لكان من جوابك أن تقول: أنا أعلم أنك تكذب لأنك مضطر ملجأ إلى أن تغنى نفسك و عيالك، و إلى أن لا تفضح نفسك و تشمت عدوك، فأنت لا تعلم شيئاً مما ادعيت و لا تقدر عليه، و لا تجد سبيلاً إليه.

و العجب أن الشيع تزعم أن الله أطلع الأئمة على هذه الغيوب لأنهم حجج الله على خلقه، و لتقوم حاجتهم عليهم بهذه العلوم، ثم لا يظهر من هؤلاء القوم شيء مما يدعون مع حاجتهم إلى ذلك، بل أفعالهم تشهد أنهم لا يعلمون ذلك، و أنهم كغيرهم من طلحة و الزبير و سعد و عبد الرحمن، فسييل أمير المؤمنين سبيلهم، بل الأمر في بابة عليه السلام أوضح في كذب هؤلاء عليه في ادعائهم له النص و العصمة و المعجزات، و قد خالفه من ذكرنا و نازعهم و خاصمهم فما احتج بشيء من ذلك مع حاجته إليه كما تقدم ذكر ذلك في غير موضع من هذا الكتاب.

و العجب أن أمير المؤمنين رضى الله عنه يسأل عما كان من طلحة و الزبير، فيقال له: قد سارا مع عائشة إلى البصرة، فيعجب و يقول: ما ظننت أنهما يفعلان هذا، و يسأل عن معاوية و أهل الشام و يتعرف بأخبارهم من واحد بعد واحد، و يتعجب من إخراج من بالبصرة عامله عثمان بن حنيف منها بعد أن بايعوه، و أنه ما ظن أنهم يفعلون ذلك، و لما سار إلى البصرة و صار بالربذة قال «١»: من له هداية بذي قار يهدينا أو يعرفنا الطريق، فجاء رجل فقال له: أنا من أهدى الناس بذي قار، فسار بين يديه حتى جاء إلى ذى قار.

(١) الربذة من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال في طريق مكة. معجم البلدان

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٤١

و لما اشتبكت الحرب بالبصرة قال للحسن ابنه عليهما السلام: يا حسن، أما ترى، و ذأبوك أنه قد مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة، قال له الحسن: قد أمرتك و خوفتك فعصيتني، فقال: و الله يا بني ما ظننت أن الأمر يصير إلى هذا.

و كان ابن عباس يقول: كان على رضى الله عنه لسابقته و قرابته يرى أنه لا يخالف و لا يريد أمراً إلا بلغه، فلم يكن كما ظن.

و رأى عليه السلام على بنت له لؤلؤة من المال فعرفها، فانزعج، فقال:

من أين لها هذه لله، على أن أقطع يدها، فقال له أبو رافع خازنه على بيت المال لما رأى جدّه في ذلك: أنا و الله يا أمير المؤمنين زيتتها بها، و من أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها، فهدأ و سكت.

و دخل على الحسن عليه السلام رجل فقال له: من أنت و من تكون؟ فقال له: أنا رسول معاوية إليك، فقال له: أو هكذا يدخل الناس على الناس، أخرج فاستأذن و سلم، ففعل ذلك و دخل/ بعد أن أذن له، فقال له: في أي شيء أرسلك معاوية، فقال له: يقول لك أنت من أهل العراق على غرر، قد راسلني «١» رؤساؤهم بأنهم يسلمونك إلي، و هذه كتبهم، فألقاها بين يديه ليقرأها، فلما وقف على ذلك قال: حتى أعرف ما عند الناس، فخرج و علا المنبر، و جمع الناس، ثم قال: يا أهل العراق، الله الله في جيرانكم و ضيفانكم من أهل نبيكم، فبكى الناس، ثم خطبهم فقال: إنه و الله ما ثننا عن قتال معاوية شكك و لا ندم، و إنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة و

الصبر فشييت السلامة بالعداوة، و الصبر بالجزع، و قد كنتم فى مبدئكم إلى صفيين و دينكم أمام دنياكم، و قد أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم، و إنا كما كنا لكم

(١) فى الأصل: أرسلنى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٢

و لستم كما كنتم لنا، و قد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، و قتيل بالنهروان تطلبون بثأره، و الباكى خاذل، و الطالب ثائر، و إن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز و لا نصفه، فإن أردتم الموت ردنا عليه و حاكمناه إلى الله، و إن أردتم البقية أخذنا لكم بالوثيقة فنادوه البقية البقية يا أمير المؤمنين، فجلس، و تعجب أن معاوية قد صدق عليهم، و قال: يا أهل العراق سخا بنفسى عنكم قتل أبى و جراحتم لى و انتهابكم متاعى.

و لما مات معاوية عزم الحسين عليه السلام على المسير إلى الكوفة، أتاه عبد الله بن عمر بن الخطاب فسأله عن رأيه، فأخبره أن أهل الكوفة قد راسلوه و بايعوه، فقال له عبد الله بن عمر: لا تقبل منهم و لا تسر إليهم، و لا تأمن بنى أمية، فإنهم طغاة ضلال طلاب دنيا، لا يباليون من قتلوا، فلا تغتر بأهل الكوفة فإنهم قتلوا أباك/ و خذلوا أخاك، و هم يسلمونك فى طاعة بنى أمية. فقال الحسين: هذه كتبهم، و قد بايعونى، و أخذ عليهم مسلم بن عقيل البيعة لى، و كاتبونى بالقدوم عليهم، و أنهم ينصرونى؛ و ابن عمر يقول له لا تثق بهم فإنهم يسلمونك، و الحسين عليه السلام يكذب عنهم و يذكر ثقته بهم، و أنه قد راجعهم و وبخهم بما كان منهم، و أنه وثق منهم أنهم لا يسلمونه و لا يصنعون به ما صنعوا بأبيه و أخيه، فلما رآه ابن عمر و اتقا بهم لا يقبل منه فيهم، قال له: استودعك الله من قتيل. و أتاه عبد الله بن عباس فنهاه عن المسير إليهم، و قال له نحو قول ابن عمر، فأخرج كتبهم و أقرأه إياها، يقولون: قد اخضرّ الجناب فأقدم، فإنما تقدم على جند مجتد. فقال له ابن عباس: لا تقبل منهم، فإنما يدعونك إلى القتال و هم يسلمونك، و الحسين يقول: ما كانوا ليفعلوا هذا و قد بايعونى و عاهدونى و هذه كتبهم، و أشار إلى خرج مملوء بكتبهم، فقال له لا تفعل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٣

فإنهم لا يفون. فلما رآه ابن عباس لا يقبل منه قال له: فلا تسر بعيالك معك فتقتل و هم يرونك.

فسار بعياله معه و اتقا بهم ليستوطن الكوفة، مسرورا مستبشرا بأنه لا يلقى قتالا، و لا من أهل الكوفة خلافا و لا غدرا، و أنه يدخلها مع عياله بغير دافع و لا مانع.

و لم يكن عبيد الله بن زياد بالكوفة بل كان بالبصرة، فسار إلى الكوفة فأخذ مسلم بن عقيل فقتله، و قتل هانىء بن عروة المرادى، و الحسين قاصد إلى الكوفة لا يعلم بشيء من ذلك. و أرسل أخاه من الرضاة إلى الكوفة ليعرف مسلم بن عقيل و أهل الكوفة بأنه عليه السلام قد سار إليهم و قرب منهم، فأخذه عبيد الله بن زياد فقتله، و الحسين عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك.

فلما قرب من الكوفة لقيه من قد جاء من الكوفة يريد البادية، فسأله عن الخبر فأخبره بقتل مسلم و هانىء و الرضيع، و أن أهل الكوفة ما دافعوا عبيد الله بن زياد عنهم، و أنه قد تمكن. فبقى عليه السلام كئيبا حزينا، و صار فى نسائه ماتم بمسلم ابن عمه و كان زوج أخته، فقال له من لقيه: ارجع، فقبل منهم و هم بالرجوع. فقال له بنو عقيل إخوة مسلم: يقتل أخونا و نرجع و ما أخذنا بثأرنا، سر بنا حتى نلقى أهل الكوفة. فسار معهم و ظنّ أن أهل الكوفة إذا رأوه نصره و صاروا معه على ابن زياد، و هو يسير و كل من يلقاه يقول له: ارجع فإن أهل الكوفة قد غدروا بك، و هو يظن أنهم إذا رأوه صاروا معه.

فلما قرب من الكوفة وجه عبيد الله بن زياد بأهل الكوفة فأحاطوا بالحسين و منعه من الرجوع، فقال لهم: ويلكم بكتبكم جئت، و منكم قبلت،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٤

و ناداهم يا فلان ابن فلان، و يا فلان ابن فلان، هذا كتابك، قد كنا ساكتين و عدونا عنا ممسك، فسلتم علينا سيفاً كان مغموداً عنا، و فعلتم و فعلتم، فما زالوا يحاربونه، و عياله يضجون و يبكون، و من معه من إخوته و ولده و بنى عمه يقتلون، و هو يبكى و يذكر قول ابن عمر، و كلما ضج نساؤه يقول:

لا- يبعد الله ابن عباس، و قد أيقن بالقتل، و هو يودع عياله و يوصيهم بأن لا يشقوا عليه جيباً؛ و لا يظهروا «١» عويلاً و أخته زينب تقول له: يا أبا عبد الله، يا أبا عبد الله، أنا الفداء لك، أتغتصب نفسك على القتل،/ و يقول كيف أصنع يا أخيه، اصبرى و احتسبى، قتل أبى و هو خير منى، و مضى أخى و هو خير منى، و يحتسب على أهل الكوفة و أنهم غروه و كذا أبوه، و يندم على قبوله منهم و على قدومه، و أنه ما علم أنهم لا- يفون، و أنه ليته لم يقدم، و أنه حين قدم لم يقدم بعياله. و كم مثل هذا من أفعالهم و أقوالهم لو أردت أن تحصيه لاحتجت فيه إلى الطوامير الطوال «٢»، ثم كنت لا تأتي على جميعه لكثرتة.

و العلم بأن هؤلاء كانوا يحتاجون إلى المعرفة بما فى نفس عدوهم و وليهم مثل غيرهم من الناس أقوى من العلم بأنهم يحتاجون إلى الطعام و الشراب.

[الرد على ما تدعيه الشيع من المعجزات لعلى رضى الله عنه و أئمتهم من بعده و بيان أن علياً كان منكراً لمثل هذه الأقوال إنكاراً شديداً]

و لا- يزال هؤلاء الشيع يقولون: الدلالة على أن أمير المؤمنين خير من أبى بكر و عمر و أن المعجزات كانت تظهر عليه، أن قوماً فى زمانه قد ادّعوا فيه أنه إله العالمين و رب السموات و الأرضين، و أن مثل ذلك ما قيل فى أبى بكر و عمر. قيل لهم: فقد ادّعى قوم من الهند و العرب و غيرهم فى الأصنام و البددة أنها آلهة و أرباب و عبدوها، و ادّعى قوم فى الكواكب مثل ذلك، فينبغى على

(١) فى الأصل: يظهرون

(٢) الطامور و الطومار: هو الصحيفة و هو لفظ فارسى الأصل. لسان العرب مادة: طمر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٥

قياسكم أن يكون قد ظهر منها آيات و معجزات، و أن تكون خيراً من الأنبياء و قد ادّعى قوم لخلق بما تقدم ذكره.

و من عجيب الأمور، أن أفعال هؤلاء و أقوالهم، تشهد بأنهم عليهم السلام ما ادّعوا ما تدعيه الشيع لهم من النصوص و الوصايا و المعجزات، و قد يقين ذلك كل متوسم و متأمل، فقالوا: ننصرف عن هذا كله لقول جاهل لا يعرف الربوبية من الانسانية، فإن الذى ألقى هذا فى عسكر أمير المؤمنين إلى قوم جهال لا يعرفون عبد الله بن سبأ «١»، و هو/ المعروف بابن السوداء، و كان يهودياً من ناحية اليمن، و كان خبيثاً منكراً، فأظهر الإسلام فى زمن عثمان، و سار حتى أتى الحجاز، و أظهر التقشف و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الاختلاط بالمسلمين. و كان يطلب الرئاسة فلم يقم له سوق، و لم يؤبه له. فرحل إلى الكوفة فأقام مدة يطلب ذلك، فلم يقم له سوق فرحل إلى الشام و أقام يطلب ذلك و اختلط بالصحابه، و تقرب إلى أبى الدرداء، و عبادة ابن الصامت، بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ففطن أولئك له فنهوه، و أوقع بين أبى الدرداء و بين قوم بالشام شراً، و تبين أمره بالشام فرحل إلى مصر، و كان على هذا، و اغتر به قوم فأوقع خلافاً بين الناس، و وافى عمار ابن ياسر رسولا لعثمان إلى مصر، فحمل أقواماً على أن بلغوا عماراً رحمه الله عليه من بمصر عن الولاية مكروها، فثار من ذلك فتنة

و سار ابن السوداء هذا إلى المدينة مع المصريين الذين تظلموا من عمال عثمان، و أقام بالمدينة معهم، و ما زال يغرى بعثمان إلى أن اغتاله قوم من المصريين، فتسلقوا عليه فى السحر فقتلوه، و قاتله لا يعرف إلى هذه الغاية.

(١) كتب في هامش الصفحة: أول من ألقى في عسكر على بن أبي طالب أنه إله العالمين، عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودي.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٦

ثم وثب المصريون، فأثاروا فتنة عظيمة بعد قتل عثمان، ولما نفر طلحة والزبير وعائشة من أفعالهم و صاروا إلى البصرة، راسلهم أمير المؤمنين بالقعقاع بن عمرو، و بابن عباس، و بمحمد بن حاطب، و بكليب الجرمي، و اصطلحوا على أن يصير أمير المؤمنين إلى البصرة و يجتمعون و ينظرون، فدرس ابن السوداء أصحابه و قال لهم: أوقعوا الفتنة حتى تنشب الحرب، فإنهم إن اصطلحوا فما يصطلحون إلا عليكم، فكانت الفتنة، و كل هذا فقد ذكره غير واحد من العلماء و شرحوه طويلا مفصلا، و حاله هذه معروفة.

و كان بالكوفة يظهر تعظيم أمير المؤمنين بما لا يرضاه أمير المؤمنين و يستغوى بذلك من ليست له صحبة و لا فقه في الدين، و كالبوادي و أهل السواد، و يتحدث بينهم، و ربما استقصر عندهم فعل أبي بكر و عمر و عثمان، و يقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل، لأنه كان يدعى ما ادعاه أبو الخطاب و هشام بن الحكم. و كان يدعى عند أمثال هؤلاء أن أمير المؤمنين يستخصه و يخرج إليه بأسرار لا يخرج بها إلى غيره، و أمير المؤمنين لا يعلم بذلك.

و لقد قال قائل لأمر المؤمنين عجب لقوم كنت فيهم كيف ولوا عليهم و عليك غيرك؟ فقال له أمير المؤمنين: أ رأيت أبا بكر الصديق؟ قال: لا، قال أما إنك لو قلت لي أنك رأيت لفعلت بك و فعلت.

و كان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه: إن أمير المؤمنين قال لي: إنه يدخل دمشق و يهدم مسجدها حجرا حجرا، و يظهر على أهل الأرض و يكشف له أسرارها و يعرفهم أنه ربهم، و ليس لهذا كأبي بكر و عمر و عثمان.

و لقد أتى أمير المؤمنين رضى الله عنه سويد بن عقلة، و كان من خاصته و كبار أصحابه، فقال له: يا أمير المؤمنين، مررت بنفير من الشيعة يتناولون

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٤٧

أبا بكر و عمر بغير الذى هما من الأمة له أهل، و يرون أنك تضمحلما على مثل ما أعلنوا، فقال: أعوذ بالله أعوذ بالله، مرتين، أن أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و صاحبه و وزيراه، رحمة الله عليهما. ثم نهض داعم العينين يبكى، قابضا على يدي سويد، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فجلس عليه متمكنا، قابضا على لحيته، و هى بيضاء، حتى اجتمع الناس. ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش و أبوى المسلمين بما أنا عنه متنته، و مما قالوا برىء، و على ما قالوا معاقب، أما و الذى فلق الحبة و برأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، و لا يبغضهما إلا فاجر ردىء صحبا رسول الله صلى الله عليه و سلم على الصدق و الوفاء يأمران و ينهيان، و يقضيان و يعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان لا يرى مثل رأيهما رأيا، و لا يحب كحبهما أحدا، مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عنهما راض، و مضيا و المؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر على صلاة المؤمنين، فصلى بهم تلك الأيام فى حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما قبض الله نبيه عليه السلام و اختار له ما عنده، مضى مفقودا صلى الله عليه و سلم، و لاه المؤمنون ذلك، و فوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، أنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب و هو لذلك كاره، يود لو أن بعضنا كفاه، فكان و الله خير من بقى رافئه، و أرحمه رحمة، و أيسه ورعا، و أقدمه سلما و إسلاما، شبهه رسول الله صلى الله عليه و سلم بميكائيل رافئه و رحمة، و بإبراهيم عفوا و وقارا، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى قبضه الله على ذلك. ثم ولي الأمر بعده عمر، و استأمر/ فى ذلك المسلمين، فمنهم من رضى و منهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، و أقام الأمر على منهاج النبى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٤٨

صلى الله عليه وسلم، يتبع أثرهما كاتباع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقا رحيمًا لضعفاء المسلمين، وبالمؤمنين عونًا وناصرًا على الظالمين، لا- تأخذه في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الاسلام وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله له في قلوب المؤمنين المحبة وفي قلوب المشركين المنافقين الرهبة، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فطنا غليظًا على الأعداء، وبنوح حنقا مغتاطًا على الكفار، والضراء على طاعة الله آثر عنده من السراء على معصية الله، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما و رزقنا المضى على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما، و اتباع آثارهما، فمن أحبني فليحبهما، و من لم يحبهما فقد أبغضني و أنا منه برىء، و لو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، فمن أوتيت به بعد هذا اليوم فإنه عليه ما على المفتري، ألا و خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر و عمر، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم.

فإن قالوا: لا نصدق بهذا، قلنا: العجب أنكم تصدقون قوله عليه السلام:

من كنت مولاه فعلي مولاه، و لا تصدقون بهذا و مجيئه أقوى من مجيء ذاك.

و الحال التي وصفها أمير المؤمنين في هذا الحديث بينه معلومة قد شهد بها العقل، و قد تقدم بيان ذلك، و إنما ذكرنا هذا عند ذكركم للتفضيل و تعلقكم بصحته/ مما ادعته السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، و هو ابن السوداء.

و لقد قال أبو القاسم البلخي في كتابه الذي نقض به اعتراض ابن الراوندي على كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في أن القرآن سليم من الزيادة و النقصان: إن قول أمير المؤمنين: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر «١»

(١) في الأصل: أبي بكر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٤٩

و عمر قد جاء مجيئا لا ينكره من له في العلم نصيب، و ذكر جماعة ممن رووا فضلهم و نبلهم و كثرتهم و جلالتهم ثم قال: و لكن عندنا ما أراد نفسه.

ثم ذكر أبو القاسم رحمه الله عليه أن شريك بن عبد الله كان من كبار الشيعة «١»، و كان يقول: خير هذه الأمة أبو بكر و عمر و هما خير من علي، و لو قلت غير هذا ما كنت من شيعة علي، لأنه قد قام على هذه الأعواد فقال:
ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر و عمر، فنكذبه، و الله ما كان كذابا.

قال أبو القاسم: الخبر صحيح، و لكنه عندنا مخصوص، و لم نقصد لذكر ما قاله أمير المؤمنين في فضلها، فإن ذلك أوضح من الشمس و هو كثير، و له كتب كثيرة مفردة طويلة، و إنما ذكرنا هذا عند ذكر عبد الله بن سبأ و ما كان منه. و بما أفسد به على أمير المؤمنين، و ربما ألقى عبد الله بن سبأ هذا ما ألقاه، و ظهر إلى قوم كان يلقيه إليهم من أنه إله، و استتابهم أمير المؤمنين فما تابوا فأحرقهم، و كانوا نفيرا يسيرا، و نفى عبد الله بن سبأ عن الكوفة إلى المدائن، فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام قيل لابن سبأ قد قتل و مات و دفن فأين ما كنت تقول من مصيره إلى الشام؟ فقال: سمعته يقول: لا أموت حتى أر كل برجلى من رحاب الكوفة فأستخرج منها السلاح و أصير إلى دمشق، فأهدم مسجدها حجرا حجرا، و أفعل و أفعل، فلو جئتمونا بدماعه مسرودا لما صدقنا أنه قد مات./ و لما افتضح بهت، و ادعى على أمير المؤمنين ما لم يقله.

و الشيع الذين يقولون بقوله الآن بالكوفة كثير، و فى سوادها و فى العراق كله يقولون: أمير المؤمنين كان راضيا بقوله، و يقول الذين حرقهم، و إنما

(١) يقصد بأبي القاسم: عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، من كبار المعتزلة، له آراء ومقالات انفراد بها، أخذ عنه قاضي القضاة عبد الجبار كثيرا في كتابه طبقات المعتزلة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٠

أحرقهم لأنهم أظهروا السر، ثم أحياهم بعد ذاك. قالوا: وإلا فقولوا لنا لم لم يحرق عبد الله بن سبأ؟

قلنا: عبد الله ما أقر عنده بما أقر أولئك، وإنما اتهمه فنفاه، ولو حرقه لما نفع ذلك معكم شيئا، ولقلتم إنما حرقه لأنه أظهر السر. وأنت رحمك الله، إذا شاهدت الإمامية مع هؤلاء ومع من يقول في أمير المؤمنين وولده أنهم أنبياء، فإن الإمامية تقول لهم: قد كان هؤلاء الأئمة بين الناس فما ادعوا النبوة، فيقولون لهم: قد كانوا بين الناس فما ادعوا ولا أظهروا ما يدعون عليهم من الإمامة والنص والوصية والعصمة والآيات والمعجزات، فإن كان ما يقولون لنا من أنهم ما أظهروا النبوة حجة، فهذا حجة عليكم لمن خالفكم، فإن قلتم: قد أظهروا ما يدعون بهتم الناس وليس مع المباهته مناظرة، وقلنا لكم: أيضا قد أظهروا ادعاء النبوة، فإن قلتم بالعقل قد علمنا أنه لا بد من إمام معصوم، قلنا لكم: بالعقل علمنا وبالسَّمع جميعا أنه لا تخلو الدنيا من نبيٍّ موجود فيها قائم العين ولا تقوم شريعته نبيٍّ إلا بنبيٍّ مثله، ولا يبلغ شريعته نبيٍّ إلا بنبيٍّ مثله، وقد قال الله: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا» (١) وقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا» (٢) فإن قلتم: هذا انصراف عن الضرورات بالظواهر والتأويلات، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نبي بعدى، قلنا: فما حالنا نحن وقد ادعينا/ ذلك، فإن ادعيتم علينا المكابرة ادعينا عليكم مثله، وبعد فنحن ندعى أن هؤلاء القوم قالوا لنا ولسلفنا أنهم أنبياء وقد ذكرنا لكم بحجة العقل وحجة السَّمع، فكيف يريد النبي أنه لا نبي بعده. وأيضا فنقول لكم: ما في العقل وجوب إمام معصوم، وإنما هو ظن يظنون به بما ألقاه هشام لكم، وقد بينا لكم

(١) المؤمنون ٤٤

(٢) المؤمنون ٥١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥١

من أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله، وأفعال أمير المؤمنين وأقواله، أن الإمامة بالاختيار، وأن الإمام يجوز أن يخطئ ويعصى. فإن قلتم لنا: أنتم كفار عندنا. قلنا لكم: هذا أول انقطاعكم وأيضا فإنكم عندنا كذلك، فإنه لا حجة تقوم لكم، ونحن نروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: لا نبي بعدى إلا أنت وولدك، فإن قلتم هذا كذب ولدتموه، قالت لكم المعتزلة والفقهاء وأصحاب الحديث: قولكم: إنه لا بد من نص ووصية من النبي، وبين شخص الإمام، وأنه معصوم، وأن الآيات قد ظهرت عليه، شيء وضعه هشام وفريه ابتدعها، والعقل والسمع يشهد بكذبه، فلا يجدون فصلا، وإذا كلم هؤلاء الإمامية من يقول أمير المؤمنين إله فإنهم ينقطعون في أيديهم أيضا كما انقطعوا في أيدي الذين قالوا إنه نبي، لأنهم إن قالوا: لهم جسم لا يكون قديما قالوا لهم فهشام بن الحكم وأمثلة من الإمامية يقولون في الله إنه جسم ذو نهاية، وأنه نور وأنه يتحرك ويرى ويلمس، قالوا: والعقل يشهد بذلك. قالوا: ومع هذا فإننا أخذنا هذا عن الأئمة بالمشافهة، قالوا لهم: دعوا ما حكته المعتزلة عن هشام وأصحابه في أن الله جسم ونور يتحرك ويرى ويصعد وينزل ويلمس وأنه لا يعلم الشيء قبل أن يكون، وخذوا فيما حكاه عنهم أبو عيسى الوراق وابن الراوندي وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي وأبو سهل النوبختي والسوس النجردي، وأمثالهم من الإمامية، وكتبهم مملوءة بذلك، و يذكرونه عن كل من سبق وتقدم من الإمامية، وكذا أيضا يذكرون عنهم القدر، قالوا لهم: ونحن نروى أن أمير المؤمنين قال في خطبته و على منبره: أنا رفعت سماءها وحفرت بحارها ونصبت جبالها، فإذا قالوا لهم: هذا لا يصح، قالوا: هذا أصح من قول النبي: (من كنت مولاه فعلي مولاه) فيقول الإمامية لهم: فقد قال: أنا عبد الله وأنا أخو رسول الله،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٢

قالوا: ما هكذا قال، قد حرفتم القول، إنما قال أنا عبد الله، أنا أخو رسول الله، على طريق الإنكار لقول من يحكى هذا عنه، فينقطع الإمامية في أيديهم.

و هؤلاء يروون عن أبي الخطاب محمد بن أبي زينب قال: كنت عند جعفر بن محمد فاستأذنت عليه، هذه الإمامية الذين يقولون فيه إنه إمام و حجة الله على أهل زمانه، فقال: ائذن لهم، عليهم لعنتي و غضبي، فلما دخلوا قطع الكلام الذي كان يتكلم به قبل أن يدخلوا، فلما خرجوا أتبعهم اللعن و قال: يا أبا الخطاب، ما خلقت خلقاً أبغض إلى من هذه الإمامية، و إنى لأتقيهم أكثر مما أتقى الناصبة، و أتبعهم اللعن و قال: يا أبا الخطاب، أنا إلهك و أنت رسولى إلى خلقى. و كان أبو الخطاب إذا لثى يقول: لبيك جعفر لبيك.

و إنما أوردنا هذا لأنه مثل ادعاء الإمامية و روايتهم أن أمير المؤمنين و ولده كانوا يدعون أنهم يعلمون الغيب و ما فى نفس عدوهم و وليهم، و يظهرون المعجزات، و يدعون العصمة، فليس لكذبهم عليه غاية، و فى كل حين قد ولد أهل ذلك العصر من الإمامية على أهل البيت غير ما ولده من قبلهم. و يدعون أن هذا مما قاله النبى عليه السلام و نص عليه و مما هذا سبيله. و قد أذاعوه فى هذا العصر و وضعوا أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إن بنتى فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، فلا يجوز أن يدخل النار أحد من ولد فاطمة. فأعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم يطعنون عليه بمثل هذا. قلنا: لو كان هذا من نصوصه لجاىء مجيء أمثاله ممن نص عليه صلى الله عليه و سلم أنه لا يدخل النار و أن النار لا تمسه مثل آدم و نوح و سائر الأنبياء صلوات الله عليهم، بل كان يجب أن يكون العلم بما ادعوه لولد فاطمة عليها السلام أقوى من العلم بنصه على أولئك، لأن عهد هؤلاء

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٣

أقرب من عهد أولئك، و هم خلق كثير و أمم عظيمة، أحياء بين الناس، و هذا نص فيهم و حجة لهم، فالعلم به كان ينبغى أن يكون أقوى، فلما لم يكن كذلك علمت أنه أمر لا أصل له، و هو كادعائهم النص و العصمة و المعجزات لأئمتهم.

[حول قولهم بأن الله حرم ذرية فاطمة رضى الله عنها عن النار]

و لقد قال عظيم من ولد فاطمة عليها السلام و ملك من ملوكهم لأبى عبد الله محمد بن على بن زيد بن رزام الطائى الكوفى: نحن أمرنا على يقين، فإن فاطمة أمنا حصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، فقال له ابن رزام فهل بلغك أن حواء زنت قط؟ ما كانت إلا حصينة الفرج، فذريتها محرمة على النار، فسكت. و هو كما قال ابن رزام، و فى هذا كلام كبير.

و الذى يعرف العلماء أن النبى صلى الله عليه و سلم، قال: يا فاطمة بنت محمد، و يا صفية عمه محمد، و يا عباس عم محمد، اعملوا لما عند الله فإنى لا أغنى عنكم شيئاً «١» لا- تأتونى بالأنساب و يأتى غيركم بالأعمال، فمن قعد به عمله لم ينهض به نسبه، إن الله لا ينظر إلى صوركم و إنما ينظر إلى أعمالكم، كلكم لآدم و آدم من تراب، و الناس سواء كأسنان المشط، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، فخيركم من اتقى الله.

و كم مثل هذا من قوله، و كم فى القرآن مثل هذا، و أنت تعرفه، و الذى جعله الله فى عقول العلماء من عباده هو الذى قاله رسول الله لا- يجوز غيره، و هؤلاء القرامطة يدعون أنهم شيعة أهل البيت، و هم فيما بينهم يتواصون بقتل العلوية أين تمكنوا، و يقول بعضهم لبعض: هؤلاء شر من ولد العباس، و أشد فى الإدلال على الناس بجدهم من أولئك، و قد سلطهم على الناس. و هذا

(١) كتب فى هامش الأصل: قال النبى صلى الله عليه و سلم لفاطمة و لصفية و للعباس رضى الله عنهم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٤

مذكور لهم فى البلاغ السابع و النيموس الأعظم الذى فيه حقيقة مذهبهم الذى يخرجون به إلى من قد بلغوه، و هو وصيتهم لأبى طاهر

بن سعيد الجنابي.

[حول الادعاء بأن لأهل بيت الرسول خمس أموال المسلمين]

و مما يذكرونه الآن للناس مما هذا سبيله، قولهم للمعتزلة: إنكم تقولون إن هذا الرجل الذي هو نبيكم قد زهد في الدنيا و حمل أهل بيته عنها، و ولد العباس و ولد أبي طالب لا يتدافعون انهم قد جعل لهم خمس الأرض و خمس ما في أيدي الناس كلهم، حتى يقولوا عظاماؤهم و أغنياؤهم و ملوكهم و أهل الثروة منهم: لنا في أموال الناس كلهم الخمس، حتى الأرملة الفقيرة التي تعيش بغزلها لنا فيه الخمس.

ف قيل لهم: لو كان صَلَّى الله عليه و سلم قد نص على هذا و فرضه لاجاء مجيء أمثاله من النصوص، و كان العلم به أقوى من العلم بقسم الصدقات، لقوله: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ» (١) إلى آخر الآية، و من قسمة الموارث بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» (٢) إلى آخر الآيات، لأن هذا نص في رجال سادة أشراف معروفين، و كان ينبغي أن يكون رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قد قسم فيهم خمس جزيرة العرب فقد ملكها، و أن يكون أمير المؤمنين قد قسم فيهم خمس الأرض فقد كان ملك الإسلام كله إلا كورة فلسطين وحدها، و نفذ أمره فيها خمس سنين.

فإن قالوا: قد فعل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ذلك، و فعله أمير المؤمنين حين ملك، قلنا: فقد كان ينبغي أن يكون العلم بذلك حاصلا لمن سمع الأخبار، و يكون أقوى من العلم بدخوله البصرة و محاربتة لمن حارب بها، و من دخوله إلى الشام و لمحاربتة لمن حارب بها، و من كونه بالكوفة و بالنهران، و ما كان له مع من

(١) التوبة ٦٠

(٢) النساء ١١

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٥

حاربه بها، لأن قسمة ما ادعوه فعل يتكرر على رجال و نساء صفتهم ما قدمنا، و لا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أنه عليه السلام كان قد أقطع عبيد الله اليمن حين و لاه إياها لتكون له و لولده مما يستحقه من الخمس، و كذا فعل بابن عباس حين و لاه البصرة، و بتمام بن العباس حين و لاه المدينة، و بقتم حين و لاه مكة، و بمعبد بن العباس حين و لاه خراسان، و أنه أقطع عقيل ابن أبي طالب أصبهان، و ولد جعفر بن أبي طالب الجبل، و الحسن ابنه مصر، و الحسين عليه السلام عمان و الهند، أو ادعى أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قسم ذلك عليهم في حياته و تقدم إلى أمته بذلك.

و الذي يعرف أهل العلم أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حرم عليهم الصدقات و أوجبها على أغنيائهم لفقراء المسلمين من ليس من بني هاشم، و جعل للفقراء من بني هاشم من خمس الخمس من الفىء بمقدار ما يسد به الخلة.

و قد كان يمنعهم إذا سألوه، فكان أمير المؤمنين يتحدث بذلك فيقول:

أ لا أحدثكم عنا و عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، إن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قمت البيت حتى أثر بثوبها (١)، و طحنت حتى أثر بكفها، و استقت بالقرب حتى أثر بنحرها، فقيل لها: إن أباك قد أتاه سبى و هو يقسمه بين الناس فلو سألتيه خادما يكفيك، فاستحيت أن تسأله، فمشى معها عمامات رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و مشينا معها، فأتيناها و هو مشغول بالناس، و طال انتظارنا فرجعنا، فلما فرغ، أخبر بذلك فأتانا، فقال: ما جاء بك يا فاطمة، فاستحيت أن تقول، فقلنا جاءتك يا رسول الله لتخدمها من السبى الذى أتاك خادما، فإنها قد قمت البيت حتى أثر بثوبها، و طحنت حتى أثر بكفها، و استقت بالقرب حتى أثر بنحرها، فقال لها: يا بنية أيتام بدر أحق منك، أ لا أعلمك ما هو خير لك

(١) قم البيت: كمنه اللسان، مادة: قمم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٥٦

من هذا، تسبحين الله كذا و تحمدينه كذا، و ذكر الحديث، و هي قصة معروفة طويلة.

و أته فاطمة مرة أخرى بالحسن و الحسين، فقال: يا نبي الله أنحلها.

فقال: نحل هذا الكبير المهابة و الحلم، و نحل هذا الصغير المحبة و الرضا، فما زاد على هذا.

و كم قد سأله صلى الله عليه و سلم غير واحد من بنى هاشم فمنعهم، و تفصيل ذلك يطول، و هو مذكور في كتب العلماء. و ما كان يعطى المحتاجين منهم إلا من خمس الخمس من الفىء، و ربما دفعه إلى العباس ليقسمه عليهم.

و كانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث صفايا، فكانت أرض بنى النضير حبسا لنوائبه، و جزأ خير ثلاثة أجزاء، و كانت فدك لأبناء السبيل، فكان عمر ابن عبد العزيز يعجب من إقطاع معاوية إياها مروان بن الحكم و هي لأبناء السبيل، و قد سأله إياها فاطمة بنته صلى الله عليه و سلم فمنعها، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس فقال: إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله، لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب، فسألته إياها فاطمة رضى الله عنها، فقال: ما كان لك أن تسألنى و ما كان لى أن أعطيك. فكان صلى الله عليه و سلم يضع ما كان يأتيه منها فى أبناء السبيل.

ثم ولى أبو بكر و عمر و عثمان و على رضى الله عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان لأبى و لعبد الملك، فصارت لى و للوليد و سليمان، فلما ولى الوليد سأله حصته فوهبها لى، و سألت سليمان حصته فوهبها لى، فاستجمعتها، و ما كان لى مال أحب إلى منها، فاشهدوا أنى قد رددتها إلى ما كانت عليه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٥٧

فعادة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى منع أهله معروفة، و كان يعطى الناس الجزيل الكثير، و يمنع أهله. و لقد سأله رجل غنما ما بين جبلين فأعطاه إياها كلها، و كم من رجل قد أعطاه مائة بعير و أكثر، و كان إذا أتاه المال لا يدخل بيوته حتى يقسمه كله ثم يدخل، و ربما أمسى عنده منه شيء فبييت فى المسجد إلى أن يقسمه. و كان أصحابه من السابقين الأولين يتذاكرون سيرته صلى الله عليه و سلم فى هذا، و أنه كان يأتيه الفىء العظيم فيمسى و إن بيوته لصفر ما أدخلها حلوا و لا مرا حتى يرد عليه من بيوتنا. تثبيت

دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٥٥٧ حول الادعاء بأن لأهل بيت الرسول خمس أموال المسلمين ص : ٥٥٤

لقد دخلت من الأنصار امرأة على عائشة فرأت رسول الله صلى الله عليه و سلم عباءة مثنى، فانطلقت فبعثت إلى عائشة بفراش حشوه الصوف، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: يا رسول الله، إن فلانة الانصارية دخلت على فرأت فراشك، و ذهبت فبعثت إلى بهذا، فقال:

رديه، فلم تردّه، و أعجبها أن يكون فى بيتها، فراجعته فقال لها ذاك ثلاث مرات، و كم مثل هذا مع أزواجه فى ستر يراه و غيره مما يطول شرحه، و قد عرفت شرطه على أزواجه و ما أنزل الله فى سورة الأحزاب، و قد تقدم لك ذكر ذلك، و إنما هذا و أمثاله من الأحاديث التى يضعها الملحده و يتقربون بها إلى بنى هاشم ليغروهم بالناس، و ليلبسوا عليهم دينهم، ثم يأتون العلماء فيسألون عنها فى المطاعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيشغبون من كل وجه، فقلّ ملحد إلا و هو يدعى التشيع و يصنف الكتب فى نصره الرفض كما هو معروف، و قد تقدم لك ذكر ذلك. و الذى يجب على رسول الله صلى الله عليه و سلم البيان، و ليس يجب عليه ألا يكذب عليه أحد و لا يلزمه ذلك.

و كان أبو الفتح بن فراس الكاتب و هو أحد الشيع و من كبار الإمامية يقول للإمامية: فدك التى أعطها رسول الله صلى الله عليه و سلم ليست تلك النخيلات التى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٨

بالحجاز و إنما فدك التي نحلها رسول الله صلى الله عليه و سلم فاطمة هو ما سقته الفرات و النيل و دجلة و سيحون و جيحون، فأولادها يأكلون من مال أمهم، و الشيعة يأكلون من مال مواليتهم، و كأنك بهذا قد انتشر و صار له إسناد، و ادعوا فيه التواتر. و كان أبو الفتح هذا ينزل ببغداد في الجانب الشرقي في سوق يحيى، و قريبه مات، و كانت الشيع ترفع إليه في الرواية و يعرض عليه شعراؤهم شعرهم، مثل أبي الحسن علي بن وصيف الجلاء الذي تسمى بالناشي و حمام بن فراس في هذا الموضوع معروف [١].

[الرد على الروايات التي زوروا من أن الفروض لا تجب على أهل بيته عليه الصلاة و السلام و شيعته]

و قد وضعوا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج لا تجب على أهل بيتي و لا على شيعتي، و لا يحرم عليهم شيء من هذه المحرمات و إنما هذه عذاب على أعداء أهل النبي و أهل بيته، و ما كان الله ليجمع بين أوليائه و أعدائه في الفروض.

و زور لهم في ذلك الروايات، و تأولوا في ذلك القرآن، و قد انتشر هذا و انبث و عليه خلق كثير منهم بسواد الكوفة و بالبحرين و ببغداد و بنواحي اليمن و بالشام، و لا يكاد أحد من هؤلاء يصلي إلا إذا حضره الناس و لأجل الناس و في المشاهدة ليغتر به الناس، و بينما ترى الواحد و قد ادعى التشيع حتى قد تبرأ من أبي بكر و عمر و المهاجرين و الأنصار حتى قد ادعى أن القرآن مغير و مبدل، حتى ادعى أن له باطنا غير ما عليه العلماء و الفقهاء و العامة، ثم لا يلبث أن يدعى أنه ما يحرم عليه لا زنا و لا لواط و لا ربا، و لا تجب عليه عبادة، إلى غير ذلك مما يطول شرحه. و قد علم كل من سمع الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أوجب هذه الفرائض على كل عاقل بلغته دعوته، و أنها بركة و رحمة من الله على عباده، و أنها لا تسقط عن أحد يستطيعها، و لا يحل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٥٩

الزنا و الاشتراك في الزوجات و اللواط و غير ذلك لأحد البتة، و أنها على البررة و الخاصة، و العلماء و من أهل البيت أوجب و ألزم منها للعامة الفجرة، و أنها ليست بعذاب على أحد، و أن لمن فعلها و قام بحقوقها و لم يبطلها و لم يحبطها الثواب و المدح و الإجلال و الكرامة في الدنيا و الآخرة. و العلماء يعرفون من سنة محمد صلى الله عليه و سلم أن تكاليفه الثقيلة إنما هي على خاصته و السابقين، و أنه كان يولي على أهل بيته و يلزمهم الطاعة لولائه، فقد ولي عتاب بن أسيد مكة و بها من بنى هاشم خلق كثير فكانوا له رعية، و قد ولي على المدينة في غزواته و أسفاره غير واحد من المهاجرين و الأنصار و بها من بنى هاشم و مواليتهم رجال كثير و قد ولي زيد بن حارثة على عسكر مؤتة و على جعفر بن أبي طالب، فكان هو الأمير دون جعفر، و قد كان هناك غير جعفر هذا. و جعفر رضى الله عنه قديم الإسلام، قديم الهجرة، و قد ولي رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر بن الخطاب و جعله خليفة / على عسكره و جيشه يوم الطائف و يوم الفتح و يوم حنين، و كان على بن أبي طالب رضى الله عنه في ذلك العسكر و في هذه المواطن كلها، و قد ولي رسول الله صلى الله عليه و سلم على عسكره و جيشه أبا بكر الصديق في غزوة تبوك، و أقام بالمدينة يحرض الناس على غزو الروم، و في ذلك الجيش الذين أمرهم غير واحد من بنى هاشم، و كان أبو بكر يصلي بهم و يأمرهم و ينهاهم.

و لما سار رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى تبوك قدم أبو بكر و عمر على معظم جيشه و قدمهما أمامه و سار في آخر الناس في نفر يسير، و في ذلك العسكر غير واحد من بنى هاشم، و هي قصة معروفة، و فيها يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن معه:

كيف ترون الناس صنعوا حين أرهقتهم صلاتهم و فقدوا نبيهم، قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أليس في القوم أبو بكر و عمر، إنهما

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٠

سيرشان الناس، فإن أطاعوهما فقد رشدوا و رشدت أمهم، و إن عصوهما فقد غووا و غوت أمهم، يقولها ثلاثا.

[حول تولية الخلفاء الراشدين صحابة رسول الله]

وقد ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق على الموسم سنة تسع وفيه عليّ ابن أبي طالب وغير واحد من بنى هاشم، وأبو بكر الأمير والمصلي والخطيب والدافع بالناس دون عليّ، ودون أحد من بنى هاشم. وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق على الصلاة في مرضه، فصلى بيني هاشم وبالمهاجرين والأنصار والناس كلهم وهناك من بنى هاشم خلق كثير، فكانوا في كل ذلك سامعين ومطيعين وما كلفهم من الشدائد فأعظم، ومثل هذا قال أمير المؤمنين لمعاوية في كتابه إليه، وقد ذكر فيه الشدائد التي كلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى هاشم: فكان إذ حمى الناس ودعى إلى البراز قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بيته فوقى بهم/ أصحابه حرّ السيف وحرّ الأسنه، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وقتل أخى جعفر يوم مؤتة، وقتل زيد بن حارثة يوم مؤتة، وأراد من لو شئت لذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهادة مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم غير مرة غير أن آجالهم عجلت ومنيته تأخرت، فما سمعت ولا رأيت أحدا هو أنصح ولا أطوع لله ولرسوله في طاعته ربه، ولا أصبر من أهل بيته، وفي المهاجرين خلق كثير يعرفونه لهم، فجزاهم الله خيرا.

فتأمل رحمك الله هذه السيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها ضد سيرة طلاب الدنيا وخطاب الملك في أولاهم أقاربهم وأهل بيتهم، وفي هذا كلام كثير، وقد تقدم له نظائر وأمثال، وقد تقدم ذكر وصاياه لأصحابه في مرضه فارجع إليها وتأملها. وتأمل حالهم حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد خاضوا فيمن الخليفة بعده كما قد تقدم لك فيما كان من بنى هاشم والعباس وأبى سفيان مع أمير

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص ٥٦١

المؤمنين، وما كان من السقيفة، وقد جرت تلك الخطوب التي قد تقدم لك ذكرها يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الأرض لم يدفن بعد، وقد تذاكروا وخاضوا وأدلى كل قوم بما لهم من الفضائل وبما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل فريق، وقد تجاذبوا الامارة وبينهم تكون الرئاسة، فانظر كيف أجمعوا كلهم على تزكية رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتسليم لأوامره، والافتناء بأثره، والطلب لوصاياه فما هناك أحد منهم أظهر معتبة أو شك في شيء من أمره وأفعاله صلى الله عليه وسلم لا سأل على طريق الاستفهام عن شيء من أموره بوجه من الوجوه، وهذا والعهد قريب، وفيهم من يريد شرف/ الرئاسة في قومه، فما رجعوا إلا إلى وصاياه في أن يكون في الأخير من قريش، وهذا موضع يخرج في الأضغان ويظهر الشحناء.

ثم انظر كيف جعلوها فيمن كان يجله ويعظمه ويقدمه، وفي أهل السابقة، وهناك من سادات العرب وذوى الشرف والنخوة والعدد والعدة وكثرة العشيرة وظهور الثروة ما لا يحصى كثرة، ثم هناك من الأقارب من سادات بنى هاشم خلق كثير، ولو لم يكن إلا-العباس مع فضله وعقله الذى كان يدعى حليم قريش، وإذا كان حليم قريش وقريش أحلم العرب إذ ذاك وأعقل العرب فهو حليم العرب كلها، فجعلوها في أبى بكر وهو أضعف حى في قريش وأقله عددا وأظهر فقرا، فقد كان له مال فأنفقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نوائب الإسلام، حتى لم يكن له ثوب يكفن فيه حين مات فوصى أن يكفن في أطماره الرثة، فلما قيل له: لا تشتري لك ثوبا جديدا يكفيك فيه، فقال:

الحى أحوج إلى الجديد.

ولما استخلف، غدا إلى السوق وعلى عاتقه أثواب يبيع ويشترى، فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: هذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح غاديا يبيع

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص ٥٦٢

الناس في الأسواق، وله بشأن المسلمين شغل، ولن يبلغ أحدا خبره من سادات العرب وملوك العجم إلا احتقروا أمرهم، فأتوه و

كلموه في ذلك «١»، وقالوا له قولاً غليظاً شديداً، فقال: إنما أنا كاسب أهلي، فإن أنا أضعتهم فأنا لمن وراءهم أضيع، وقد كرهت أمركم وحرصت أن أكون وزيراً فأبيتم إلا بيعتي وأكرهتموني. وكان من أمرهم معه ما هو مذکور.

فتأمل هذه المواطن والمقامات، فكم فيها من دلائل وعلامات على سلامة/ النبوة من كل دنس، وطهارتها من كل لبس.

فإن قيل: أو ليس الرفض تدعى أن أبا بكر غلبهم وقهرهم، وأنهم في السقيفة اتزروا بالأزر الصنعانية واقتلوا على الملك والخلافة؟ قلنا: قد فرغنا من هذا، وبيّنا بطلان هذه الدعوى، وأن القوم الذين اعتقدوا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وتدينوا بصدقه واتبعوه بتلك الشرائط التي قدمنا ذكرها، هم الذين اجتمعوا على خلافة أبي بكر واستخلفوه واعتقدوا إمامته فطهارته، وتقربوا إلى الله بطاعته وامتثال وصاياه وأوامره، فلا فرق بين من ادعى هذا وأن أبا بكر غلبهم وقهرهم وخدعهم وسحرهم، وبين من ادعى ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعى ذلك في أمير المؤمنين، ومن أطاعه واعتقد إمامته. ولا فرق [بين] «٢» من ادعى أنهم لبسوا الأزر الصنعانية أو ادعى أنهم تقاتلوا عليها بالسيوف والرماح على الخيول، فإن الملك بمثل هذا يؤخذ لا بالأزر، وإنما هذه دعاوى من يريد تشكيك المسلمين في دينهم لتستوى له المطاعن في نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وأهل المعرفة يعلمون أن أبا بكر مضى إلى الأنصار وهم أهل العدد والعدة

(١) جاء في الهامش «لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه غداً إلى السوق على عاتقه أثواب يبيع ويشترى، فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»

(٢) زيادة منى على الأصل اقتضاها السياق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٣

والبأس والنجدة، وهم أكثر من جميع المهاجرين وجميع قريش الذين بالمدينة وتبعه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، فكيف كان يغلب الأنصار بهؤلاء الثلاثة؟ ولو أراد أن يغلبهم بكل من بالمدينة من قريش لما أطاقوا ذلك، ولكن الأنصار رحمهم الله طلبوا في بدء الأمر الخلافة فلما بين لهم أبو بكر أنه لا ينبغي ذلك رجعوا عنه لله وابتغاء وجه الله.

قال متكلم الشيع: خدع أبو بكر/ الأنصار بأن قال: منكم الوزراء ومنا الأمراء، فأطعمهم ثم غدر بهم، فما استوزر أحداً منهم لا هو ولا من بعده من الخلفاء، فلماذا أجابوه واتبعوه.

قلنا: هذا من دعاويكم التي لا دليل عليها، والوزارة التي ذكرها أبو بكر لهم إنما هي المعونة والمؤازرة في طاعة الله لمن يلي الأمر من قريش، فهذا زيادة في كلفة الأنصار في شدة الوطأة عليهم والمشقة الشديدة فيما ألزمهم من معونة الخلفاء، فأين الإطماع الذي ادعيتهم عليهم؟ وهذا الذي شرطه أبو بكر عليهم إلى النفور عنه وإلى الإيحاء منه أقرب، فهذه الوزارة التي شرطها عليهم.

وهذا مثل قوله لهم في السقيفة حين قالوا له: اقبل البيعة فأبى، وقال:

ولوا الإمارة عمر أو أبا عبيدة «١» ودعوني أكون لهم وزيراً، وكذا قال عند وفاته: ليتني يوم سقيفة بني ساعدة لم أقبل البيعة وجعلتها في عمر أو في أبي عبيدة، وكنت وزيراً لا أميراً يريد معينا، وكذا قال أمير المؤمنين حين مشوا إليه بعد عثمان وقالوا له: نوليك أميراً فابسط يدك بنايعك، فقال: انظروا غيري تبايعوه وأبايعه معكم، ودعوني أكون لكم وزيراً، فلأن أكون لكم وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، يريد معينا.

(١) في الأصل: أبو عبيدة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٤

ولكن هؤلاء القوم نظروا إلى من يقال له الوزير في زمن ملوكنا ممن يريد سلطان الزمان منه جباية الأموال، وترتيب أصحاب

الضرائب و المواصير في ظلم الناس، و إقامة المستخرجين و المصادرين للناس في ديوان الاستدراك، و تمدحه الشعراء، و يجلس و حوله القيان و أصحاب الملاهي، و له القصور على الأنهار و البحار، كابن كلس بمصر، و ابن بقيه ببغداد، و فلان و فلان بالعراق و فارس، فظنوا أن الوزارة التي ذكرها أبو بكر/ هكذا ينبغي أن تكون، «١» أو ما علموا أن موسى سأل ربه فقال: «و اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى اشدُّد به أزرى و أشركه في أمرى» «٢» و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: وزيراي من أهل السماء جبريل و ميكائيل، و من أهل الأرض أبو بكر و عمر، و لو لا فساد الزمان و غلبة الجهل لما كان يجاب عن مثل هذا الكلام.

و بعد فإن العاقل يعلم بطلانه من كل وجه، فإن الأنصار لو كان غرضهم الدنيا لقالوا لأبي بكر: و لم ندع الأمانة و نصير تبعاً لك و الدار دارنا و البلاد بلادنا و البادية باديتنا و العدد و العدة فينا و البأس و النجدة لنا، و أنت و صاحبك و جميع قريش جئتمونا هراباً إلينا مستجيرين بنا، فما بنا حاجة إليك أن تكون من أتباعنا و حاشيتنا فكيف تكون أميراً علينا، و ما حاجتنا و الدنيا طلبتنا و نيتنا و العاجلة بغيتنا أن نتكلف هذه التكاليف الشديدة التي أتانا بها صاحبك، من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج و المواساة و الحدود و معادة الأمم و المجاهدة للملوك حتى يقيموا دينه و يملكوا بشريعته، و نسفك دمانا في ذلك، و نكفر أسلافنا الذين خالفوا دينه و شريعته.

(١) ابن كلس: هو يعقوب بن كلس كان أحد وزراء الاخشيديين و هرب إلى الفاطميين و كان من أهم أسباب دخولهم مصر. أما ابن بقيه فهو أبو طاهر محمد بن بقيه وزير ببغداد سنة ٣٦٢ هـ.

(٢) طه ٣٠

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٥

و هذا مثل دعوى من ادعى أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خدع المهاجرين و الأنصار بغير ما ادعى هؤلاء عليهم، فقال عز و جل: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» «١» فأخبر عن نياتهم و شهد بصدقهم، و قال في الأنصار: «و الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «٢» فأخبر أنهم يؤثرون الفقر في طاعة الله، و يواسون المحتاجين في ذات الله، مع ما بهم من الخصاصة، و شهد لهم بالفلاح، و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: لو سلك الناس شعبا و واديا و سلكت الأنصار شعبا و واديا لسلكت شعب الأنصار و واديتهم، و قال لهم: إنكم لتكثرن عند الفزع و تقلون عند الطمع، إلى غير ذلك مما قاله فيهم رضى الله عنهم.

فهذه الشيع تقول فيهم بخلاف ما دل عليه العقل و بخلاف ما قال الله و بخلاف ما قال رسوله، و لكن الأنصار رحمهم الله لما علموا أن الإمامة لا تكون فيهم جعلوها في الفاضلين من مهاجرة قريش، و لو أرادوا الدنيا و الملك لكذبوا أبا بكر حين قال لهم إن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قال: «الأئمة من قريش» أو كانوا يقولون: و إن قال هذا فإننا لا نقبل، فقد كانوا على ذلك قادرين و الغلبة و العز لهم و فيهم، و لو أرادوا الدنيا و الملك لقدحوا في رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لكذبوا عليه و لقالوا فيه كما يقول هؤلاء، فتعلم بهذا صحة النبوة و سلامة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من كل عيب، و طهارة أبي بكر و المهاجرين و براءتهم في صغير القبيح و كبيره،

(١) الحشر ٨

(٢) الحشر ٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٦

و إن الأنصار ما أرادوا إلا الله و الدار الآخرة في تصييرهم للخلافة في أبي بكر و أمثاله من قريش، و أنهم قدموه لأن رسول الله صَلَّى

اللّه عليه و سلم قدمه، و لقوله صَلَّى اللّٰه عليه و سلم:

«ليني منكم أولو الأحلام و النهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، و لا- تختلفوا فتختلف قلوبكم» (١) فكان أبو بكر و عمر هما اللذان يليانه إذا قام لصلاته، و إذا استوى في مجالسه، و لهذا قالوا/ و هم يصفون مجالس رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم و منازل أصحابه عنده، قالوا: إن كانت حلقة رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم لتشتبك حتى تكون كالأسوار، و إن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطعم فيه أحد، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس، و أقبل إليه رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم بوجهه و ألقى إليه حديثه، و سمع الناس.

و لقد أقبل العباس يوما فتنحى له أبو بكر و أجلسه معه، فعرف السرور في وجه رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم بتعظيم أبي بكر للعباس، فأعرف هذا فإن الإمامية اليوم يروون عن رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم أنه كان يلعن أبا بكر و عمر و عثمان و أمثالهم من المهاجرين و الأنصار، و أنه كان يتلو في ذلك القرآن كما كان يتلو في لعن فرعون و هامان و قارون و إبليس و أبي لهب و أبي جهل، و هذا باب ينبغي أن تراعيه، فإن الأدلة تشهد ببراءة هؤلاء من كل عيب، كما تشهد ببراءة رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم، و الكلام على الفريقين ممن كشف قناعه في الطعن على رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم و اعتقد افتعاله و احتياله و نسب الطعن عليه بتهمة أصحابه.

و أيضا فإن أبا بكر ما قبض الأموال لنفسه و لا لولده و لا لأصحابه و لا لأهل بيته، و لا أقطعها القواد و الجند فوجه في ذلك تهمة، و إنما جعلها لأبناء السبيل الذين لا يعرفهم و لا يدري من هم، و إنما هم غرباء فقراء يطرقون و يجتازون.

(١) جاء في هامش الأصل «قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم: «ليني منكم أولو الأحلام و النهي»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٦٧

و قد قال أبو علي محمد بن عبد اللّٰه العلوي المصري الفاطمي الحسيني ألقه أهل بيته في زمانه، و أرواهم لأحاديثهم و أخبارهم، و كان رحمه اللّٰه عليه من الزهد و النزاهة و العبادة بالمنزلة التي لم يكن في أهل بيته و زمانه مثله، فقال رحمه اللّٰه: من الدلالة على براءة ساحه أبي بكر الصديق مما رمته/ الرافضة به أنه منع العباس و فاطمة و أزواج النبي صَلَّى اللّٰه عليه و سلم أموال رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم و جعلها في سبيل اللّٰه، فإنه إنما فعل هذا و تم له و أقدم عليه مدلاً بالحق الذي كان عليه، و لو كان مبطلا لأعطاهم إياها و أكثر منها، لأنه برسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم عزّ، و به تقدم، و به كانت له الرئاسة، و به صار صديقا، و أصحابه و أنصاره جعلوه خليفة، فلو كان مبطلا- و طالب دنيا لأعطاهم ذلك و أرضاهم بكل ما يقدر عليه ليتم له ما يطلبه من الملك، فليس من الحزم أن يمنعهم هذا المقدار و ينفرهم و يوحشهم لأجل شيء هذا قدره، و قد كان عاقلا حازما بالأمر عارفا بالأمر لا يدفعه عن هذا من عرفه، فإنما منعهم ذلك لأن رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عليه و سلم منعهموه (١).

ذكر أبو علي رحمه اللّٰه هذا و معناه في رسالته التي بين فيها من الرافضة، و من الناصبة، و من الشيعة.

يزيدك بذلك علما، أن معاوية بعد أن قاتل بني هاشم و قتل منهم و من شيعهم، و ملك الأرض، و استتب له الأمر، حتى ما بقي أحد يقاومه أو يدفعه، جعل لأعدائه من بني هاشم و من كان يخافه من قريش العطاء الجزيل، استكفافا لهم، و ليتم له ملكه، و ليستقيم له أمره و سلطانه. فكان يعطي الحسن و الحسين و عبد اللّٰه بن جعفر رضي اللّٰه عنهم لكل واحد منهم في كل سنة ألف ألف درهم، و يقضى حوائجهم، و يتبع ذلك غيره من الألفاظ و الهدايا. و أبو بكر رضي اللّٰه عنه لم يعطهم شيئا من ذلك، بل كان يعطيهم

(١) في الأصل: منعهموه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٦٨

على قدر الحاجة، و يسوى بين الناس كلهم فى العطاء.

ولما اتسعت الأموال فى زمن عمر، و دون الدواوين، و أعطى من شهد بدرًا، و سوى بين الموالى و العرب ممن شهدها فى ذلك، سأله الصحابة فى أن يجعل للحسن و الحسين مثل ذلك، و كان مقدار خمس مائة دينار، تقربا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و برا به صلى الله عليه و سلم فقد كان يحبهما، فأشاروا عليه بذلك، و أذنوا له فيه، فجرى أمر عمر على ذلك، و عليه عمل عثمان، و عليه عمل أمير المؤمنين حين صارت الخلافة إليه.

و لقد سأل خالد بن المعمر السدوسى أمير المؤمنين فى أن يزيدهما رضى الله عنهما فى عطائهما فلم يفعل، و راجعه، فغضب أمير المؤمنين فقال: ما كنت لأزيدهما على ما فرض لهما عمر، و سأله عبد الله بن جعفر فى أن يزيد عائشة و هى بالبصرة فقال: ما كنت لأزيدها عما فرض لها عمر. و سأله أخوه عقيل ليزيده على ما فرض له عمر فلم يفعل، و راجعه فلم يفعل. و سأله جعدة بن هبيرة المخزومى و هو ابن أخته أن يعطيه فما زاده على ما فرض له عمر، و قال له أ تريد أن يكون خالك سراقا. و كان رضى الله عنه لا يأخذ فى خلافته و سلطانه إلا ما فرض له عمر، و مثل هذا كثير.

فإن قيل: و لم لا عرف رسول الله صلى الله عليه و سلم أئمة و أزواجه أنهم لا يرثونه فكانوا لا يحتاجون أن يسألوا أبا بكر؟ قيل لهم: الذى يلزم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقيم الحجّة، و يقول، و قد فعل، و عند حاجة أهله إلى ذلك عرفوه و وجدوه قد قاله و علموا ذلك، و من كان الحق طلبته ففى أقل قليل مما ذكرنا كفاية، و لو لم يكن إلا فعل أمير المؤمنين رضى الله عنه و شبهه.

و قد علم أهل التحصيل أن فاطمة و أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أحبّ إلى أبى بكر و عمر و عثمان و أولئك السابقين من أولادهم و أسماءهم و أبصارهم، و هم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٦٩

فتحوا الدنيا و دعوا/ أهلها إلى حب رسول الله صلى الله عليه و سلم و بنى هاشم، و سلموها إليهم. و لم نقل هذا من طريق حسن الظن بهم، و لكن بدلائل العقول التى قد تقدم ذكرها فى غير موضع من هذا الكتاب.

و قد سأل موسى أخاه هارون عليهما السلام و أخذ برأسه يجره إليه، ثم رجع إليه حين عرف الجواب عند حاجته إليه. فغير منكر أن تعرف فاطمة و أهل رسول الله صلى الله عليه و سلم ما احتاجوا إليه من أبى بكر.

و لم يكن لقائل أن يقول: فلم لا عرف الله موسى الحال قبل مصيره إلى أخيه فكان لا يحتاج أن يجر برأس أخيه و يعاتبه ذلك العتاب، و لم لا عرفه وجه الصواب فى حرق السفينة و قتل الغلام و إقامة الجدار، فكان لا يحتاج إلى أن يلقي العبد الصالح الذى كان يتعلم منه بذلك الجفاء ثم يعتذر إليه بأنه نسى. و لم لا عرف سليمان عليه السلام حال المرأة الملكة، و لم لا أغناه عن تعريف الهدهد و مساءلته و طول مراجعته؟ و لكن من وضع هذا غرضه ما قدمنا، و عنده أن أبى بكر و عمر و عثمان و أمثالهم و أشباههم من المهاجرين و الأنصار، ما صحبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم للإعلام التى كانت معه، و لا لبصيرة فى دينه، و ما اعتقدوا قط نبوته و لا صدقه، و لا انظروا على تعظيمه و إجلاله، و لا عرفوا له قدرا و لا أقاموا له وزنا، و إنما كانوا يراؤونه و يرائيهم، و ينافقونه و ينافقهم، و إنما كان غرضهم الدنيا و العاجلة، و كانوا يتربصون به و ينتظرون موته ليكونوا ملوكا بعده، و أنهم قد اغتصبوا مصلاه و مقامه فى حياته و فى جوف بيته، و نحوا خليفته و وصيته فى حياته و بعد موته، و ضربوا/ بنته و قتلوا جنينها فى بطنها.

و قد علمت رحمك الله على أى وجه كانت إجابتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم و متى أجابوه و ما لقوه فى إجابته، و قد علمت بما تقدم لك فى دلائل العقول أنهم قد اعتقدوا نبوته و صدقه، و أن المتأمل يعلم ذلك قبل العلم بنبوته، و يعلم أنه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٧٠

كان يحبهما، و أنه قد فرض موالاتهم و محبتهم كما فرض بغض أولئك الذين قدمنا ذكرهم، و علمنا أنه لم يكن له حرص فى الإمارة إلا بمقدار القيام بحدود الله، و أن كل واحد منهم قد تمتع و ود أن غيره قد كفاه، فقد امتنع أبو بكر منها و اجتهد أن يكون فى غيره

فأكرهوه عليها، و لم يكن لعمر فيها رغبةً و لا منه لها طلب فاختاره أبو بكر و أدخله فيها، و عاتبه طلحةً و غيره على ذلك و قالوا له: عمر رجل مهيب فاستعمل علينا أحمد طريقةً في حسن الخلق منه، فقال:

لا، هو خير لكم و أقواكم عليكم. و قال: اللهم إني وليتهم و لم أرد بذلك إلا-صلاحتهم، و خفت عليهم الفتنة، و قد حضرني من أمرك ما حضر، اللهم عملت فيهم بالعدل جهدي، و أثرت محبتك على محبتي، و اجتهدت لهم الرأي، فوليت عليهم خيرهم لهم، و أقواهم عليهم، و أحرصهم على رشدهم، و لم أرد به صحابةً عمر و أنا خارج من الدنيا داخل في الآخرة، فاخلفني فيهم فهم عبادك، و نواصيهم بيدك، أصلح لهم ولاتهم، و اجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبيه نبي الرحمة صلى الله عليه و سلم، و هدى الصالحين بعده، و أصلح له رعيته، و أسلم لعمر أن لا يكون تلبس من هذا الأمر بشيء، و ذلك أن الفارغ من أمر الناس يقبل على شغل نفسه، و أن والى الناس يتعرض فيما لا يدري ما يختم له به في آخر عمره، فإن هذه الدنيا قد غرت من كان قبلكم و تنافسوا فيها فأوردتهم موارد الهلكة، فندموا حيث لا تنفعهم الندامة، قد انقطعت الآمال، و عاينوا أعمالهم، فلا يقبل من محسن عمل و لا من مسيء نزوع عن خطيئته، فمن استطاع أن يقدم عملاً يعيده الله به من مساوي يوم القيامة فليفعل.

فما حقد عمر على طلحة ما قاله و لا تنكر له ساعة قط، و لقد جعلها عمر شورى في سته من غير رغبة كانت من واحد منهم إليه في ذلك و لا مسألة، و لم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٧١

يقول أحد من أولئك السابقين الذين لم يدخلهم في الشورى لم لا أدخلتنا فيها، و لا قالوا هذا بعد موته، و لا عيب أحد عليه، و قد جعلهم كلهم لصهيب رعيةً و هو مولى، فصلى بهم ثلاثة أيام إلى أن استخلفوا عثمان، فما أنكروا ذلك.

لتعلم زهدهم فيها، و أنهم كانوا يرونها مع الكلف الثقيلة، فإذا وجدوا من يقوم بحقوقها و يحمل أثقاليها استراحوا إليه و تمنوا مكانه. و لما دفن عمر، و أخذ أهل الشورى في الانصراف، ناداهم المهاجرون و الأنصار إلى أين أيها الرهط، أما سمعتم عهد أمير المؤمنين، اجلسوا و اختاروا واحدا منكم، فجلسوا ناحيةً يتشاورون، فقال أبو طلحة الخزرجي: أبرموا أمركم أظنكم تتنافسونها، لقد كنت أرى أنكم تتدافعونها، فتبرءوا من المنافسة فيها، و أنهم إنما يديرون الرأي في واحد منهم.

فتعلم من ذلك أن أمرهم الزهد فيها، و أن الطريف الغريب أن يرغبوا فيها، فردوا الأمر إلى عبد الرحمن ليختار واحدا منهم، فأخرج نفسه و ابن عمه منها، و أخرج الجماعة و اختار عثمان و قال: قد شاورت و نظرت، فما رأيت الناس يعدلون بعثمان أحدا، فبايعه الناس و عبد الرحمن / و بايعه عليّ بعده، فما أنكروا ذلك أمير المؤمنين و لا طلحةً و لا الزبير و لا سعد بن أبي وقاص و لا تعتبوا، و لهذا كان يقول عثمان للذين تنكروا له في آخر عمره: أدخلت في الشورى من غير طلب مني و لا- رغبة، ثم اجتمع الناس عليّ من بين أهل الشورى من غير طلب و لا رغبة فبايعوني، فعملت فيهم بما يعرفون و لا ينكرون متبعا غير مبتدع.

و أما أمير المؤمنين رضى الله عنه فقد عرضت عليه، و عرضها عليه «١» العباس و بنو هاشم و بنو عبد مناف يوم وفاة النبي و بعد عثمان فأبأها وردّها،

(١) في الأصل: على

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٧٢

و اختلفوا إليه أياما كثيرة فامتنع منها، و مد يده فقبضها و قال: اختاروا غيري أبايه و تبايعونه.

و ما كان من طلحةً و الزبير من المصير إلى البصرة فلم يكن للرغبة في الإمارة و لكن للطلب بدم عثمان، فقد كان حرقوص بن زهير و تلك الجماعة أفحشوا فيما أتوه، و قد كانوا شكوا إلى طلحة عمال عثمان فأعانهم على عثمان، و ظن أنهم صادقين، فتجرؤوا على عثمان بمعاينة طلحة له و معونته إياهم عليه.

فلما اغتالوه و قتلوه، ندم طلحة أشد الندم على ما كان منه إلى عثمان. و لما نزل هو و الزبير و عائشة و من كان معهم حين ساروا إلى البصرة الجفير أرسل عثمان ابن حنيف الأنصاري عمران بن حصين و أبا الاسود الدؤلي إلى عائشة فقال:

انطلقا فاعلما علمها و علم من معها، فقالا: يا أم المؤمنين، أخبرينا عن مسيرك هذا أعهد عهدة رسول الله صلى الله عليه و سلم أم رأى رأيته، فإن أميرنا بعثنا إليك، فهل أنت مخبرتنا؟ قالت: «١» بلى هو رأى رأيته و الله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم، و لا يعطى لبنيه الخمر، إن الغوغاء من / أهل الأمصار و نزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم فأحدثوا فيه الأحداث و آووا فيه المحدثين، و استوجبوا لعنة الله و لعنة الرسول، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة، و لا عذر أنا نقمنا عليه ضربة السوط، و موقع النحاية المحماة، و إمرة الوليد و سعيد، فعدوا عليه فاستحلوا منه الحرم الثلاث: حرمة البلد، و حرمة الخلافة، و حرمة الشهر الحرام، بعد أن مصناه كما يماص الإناء «٢» فركبوا هذه منه ظالمين، و مزقوا الأعراض و الجلود، و أقاموا بدار قوم كارهين لمقامهم، ضارين غير نافعين و لا مبقين، لا يقدررون على الامتناع و لا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم

(١) في الأصل: قال

(٢) ماص الإناء: غسله، و في حديث عائشة رضى الله عنها في عثمان رضى الله عنه، مصتموه كما يماص الثوب ثم عدوتم عليه فقتلتموه. اللسان، مادة ماص

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٧٣

ما أتى هؤلاء القوم، و ما فيه الناس و راءنا، و ما ينبغي لهم أن يأتوا، و قرأت:

«لا- خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ» «١» إلى آخرها، ثم قالت: غضبنا لكم من سوط عثمان فما أنصفنا عثمان إذ لم نغضب له من سيفكم، فهذا شأننا، معروف نأمركم به و نحضكم عليه، و منكر نحثكم على تغييره و ننهاكم عنه.

فخرجا من عندها فأتيا طلحة فقالا له: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قال: أو لم تبايع عليا؟ قال: بلى، و ذكر شغب المصريين- الذين غزوا عثمان- في البيعة، و قولهم للناس: من لم يبايع قتلناه، ثم قال: و ما أستقيل عليا إن هو لم يحل بيننا و بين قتله عثمان. ثم أتيا الزبير فسألاه، فقال مثل ما قال طلحة سواء. فهذا الذي أخرجهما لا طلب الإمارة و المنافسة فيها. ثم أقاما بالبصرة و ترددت الرسل بينهم و بين أمير المؤمنين، و تقرر الأمر بينهم على أن يقدم أمير المؤمنين عليهم بالبصرة، و يكون الأمر له، و يستقبلون النظر فيمن غزا المدينة، فأفسد الأمر عليهم ابن السوداء/ و أمثاله، كما تقدم ذكره.

فإن قيل: كيف تقولون ما كان لهم في الإمارة رغبة و هذا عثمان قد قال له عبد الرحمن بن عدس في المصريين ليملاً الكتاب الذي جوده عن عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ضرب المصريين المتظلمين و حبسهم، و أن لا يسلم الأمر إلى محمد بن أبي بكر الصديق و لا- يلتفت على الكتاب الذي معه، فقالوا له: إمام المسلمين يكتب بضرب المسلمين و حبسهم و يظهر شيئا و يبطن خلافه، فقال: ما كتبت و لا أمرت و لا علمت، قالوا: نصدقك، و لكن تختلع لضعفك عن القيام بها، و لخبث بطانتك. فقال: لا أنزع قميصا قمصنيه الله، فما خلعتها «٢» حتى قتل.

(١) النساء ١١٤

(٢) في جعلها، في الأصل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٧٤

و هذا على قد خولف عليه، و رجع أصحابه عنه الذين صاروا خوارج، و أرادوه أن يتوب عن الحكومة أو يعتزل الأمر فما فعل، و قاتلهم و قتلوه و ما نزل عن الخلافة. و قد سأله أهل الشام أن يعتزل لينظروا في الأمر، و فيمن قتل عثمان، ثم يولون الأمر بعد ذلك من

يرون، فما اعتزل، و قد خلعه رسوله و صاحبه الذي أرسله حكما في دومة الجندل فما قبل حكمه.

و قد تولاهما الحسن فما اعتزل حتى اضطهده معاوية، و قد أرسل الحسين إلى أهل الكوفة و طلبها، و خرج إليهم لأجلها، فلما أحاط به عدوه أرادوه أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد و على حكم يزيد بن معاوية و يبايعه و يقر له بالخلافة و يبرأ من الخلافة، فما فعل حتى قتل، فأية رغبة تكون أشد من هذه الرغبة.

قلنا: الذي عمله عثمان و علي و الحسن و الحسين هو الصواب، و ما كان يحل لهم أن يختلعوا، و لو فعلوا لعصوا ربهم، لأنهم كانوا أحق بالأمر ممن ينالهم الاختلاع، و هو فرض قد تعين عليهم القيام به، و قد كانوا أدخلوا فيه / و صحت البيعة لهم، و إنما قلنا إن المهاجرين الأولين لم يكونوا يرغبون فيها إذا وجدوا من أمثالهم من يقوم بها، فأما بعد دخولهم فيها فلا يحل لهم الإفراج عنها و تركها لأجل الجهال الذين خالفوهم فيها، بل يجب عليهم مجاهدتهم إذا وجدوا أعوانا، فإذا لم يجدوا كان لهم أن يعتزلوها إلى أن يجدوا أعوانا كما فعل الحسن رضی الله عنه حين أسلمه أهل الكوفة.

و ما يحل لمسلم أن يخلى أئمة الضلالة و ولاة الجور إذا وجد أعوانا و غلب في ظنه أنه تمكن من منعهم من الجور كما فعل الحسن و الحسين رضی الله عنهما، و كما فعل القراء حين أقاموا ابن الأشعث في الخروج على عبد الملك بن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٧٥

مروان، و كما فعل أهل المدينة في وقعة الحرّة، و كما فعل أهل مكة مع ابن الزبير حين مات معاوية، و كما فعل عمر بن عبد العزيز، و كما فعل يزيد ابن الوليد بن عبد الملك، فيما أنكروه من المنكر.

و بزهد المهاجرين الأولين في الخلافة كان يضرب المثل كما قد تقدم ذكر ذلك، و عثمان و علي رضی الله عنهما فما عهدا في أحد البتة و أبو بكر و عمر لما عهدا لم يكن العهد في أحد من أولادهما و لا من أهلها.

و لما عزم معاوية في العهد لابنه يزيد فرق الأموال، و أخذ له على أهل الشام، و أرسل إلى المدينة و كان أميرها من قبله مروان بن الحكم و أبا زرعة روح بن زنباع الجذامي، ففرق الأموال، و قام مروان في الناس خطيبا و قال لهم: إن أمير المؤمنين معاوية قد جعل لكم ملجأ تلجئون إليه بعده و هو ابنه يزيد فقوموا و بايعوا، فلکم كذا و كذا، و ذكر ما لمن أطاعه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: يا بني أمية إن هذا الأمر كان لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و قد كان في أهله من لو جعله فيه لكان أهلا فلم يفعل، و كان لأبي بكر / و كان في أهله من لو جعله فيه لكان له أهلا، و قد كان في عمر و قد كان في أهله من لو جعله فيه لكان له أهلا فلم يفعل، فأعدتموها يا بني أمية أعجمية، كلما هلك هرقل قام هرقل، فانفلّ الجمع، فقال له مروان: أنت الذي أنزل الله فيك: «وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُهُ أَفْ لَكُمْ أَلَا تَعْدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» (١) إلى آخر القصة، فسمعت عائشة من وراء الحجرة فقالت:

كذبت، في غيره نزلت، و أما أنت فقد لعن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أباك و أنت في ظهره.

فاعرف كم في هذا من معنى و دلالة من وجوه كثيرة منها: أن ولد أبي

(١) الأحقاف ١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٧٦

بكر و غيرهم ينطقون بالحق في زمن الجبابرة الذين قد أفنوا الأمم بالسيف و مما يكاد أحد ينطق إلا بما يهوون و يريدون، و منها إدلال هؤلاء بصحة إمامة أبي بكر و عمر و براءتها من كل عيب، فما نطق مروان و لا أحد من بني أمية يعيب مع حاجتهم إلى ذلك، و فيهم الملك و لهم الامر، و الذي قد غاظهم و أغضبهم ولد أبي بكر.

و لما حج معاوية أخذ من كان يصلح للإمامة من قريش و من كان يخافهم مثل الحسين و عبد الله بن الزبير و ابن عمر، فقال لهم: بايعوا ليزيد، فقال له ابن الزبير: ارض منا بسيرة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فإنه ترك الناس فاختروا لأنفسهم بعده من رأوه أهلا

لها، أو بسيرة أبي بكر فتص على رجل مرضى عند الأمة ليس من أهلك، أو كما فعل عمر فتجعلها شورى من قوم مرضيين معروفين ليس فيهم أحد من أهلك، فلك ولنا بهؤلاء أسوة. فغضب معاوية، وهددهم، و توعد الناس وقال: لستم في زمن أبي بكر وعمر وإنما هم بنو أمية، من عصاهم أو جلوه السيف، فلاذت تلك الجماعة بعائشة وخافوه على أنفسهم فأرسلت إليه فجاءها وكلمته في أمرهم/ وقالت له: قد كان لمن يقدمك بنون ما ابنك مثلهم، فما رأوا في بنيتهم ما رأيت في ابنك، فما زال يخرجها من باب و تخرج معه حتى أبيت ريقه انقطاعا في يديها، إلى أن قالت: إنما هو ملك باطل تجعلونه بنى أمية فيمن تهوونه.

و في هذا مثل ما في الذى قبله و أكثر، قال قائل من الإمامية: أنتم تزعمون أن عليا كان يرضى سيرة أبي بكر وعمر و قد قال له عبد الرحمن بن عوف فى الشورى: أوليك هذا الأمر على أن تقضى بكتاب الله و بسنة رسول الله و سيرة أبي بكر وعمر قال: أما بكتاب الله و سنة رسول الله فنعم، و أما سنة أبي بكر وعمر فلا، فما الذى يبقى بعد هذا؟

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٧٧

قيل له: هذا يبطل من وجوه منها: أنكم تقولون أن عليا رضى الله عنه «١»، كان فى زمن هؤلاء فى تقيته و خيفته، يمتثل أمرهم و لا يجسر يرد عليهم و لا يظهر خلافهم، و كذا كان بعد موتهم، و فى سلطانه و خلافته و معه مائة ألف سيف، يقولون: ما جسر أن يظهر مخالفتهم و لا عيبهم و لا الرد عليهم، لأن أعوانه و من كانوا معه كانوا يتدينون بخلافه أبي بكر وعمر و عثمان، فلو عابهم أو اتهموه بعيبهم لقتلوه.

قلت: إنه خرج من الدنيا و ما أظهر ما فى نفسه، و إنه سار فى أموال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى خلافته بسيرتهم، و قرأ هذا القرآن، و صلى التراويح، و حيا الأرض كما حيوها، و مدحهم على منابرهم بالمدح العظيم الذى قد امتلت الكتب به، و إذا سألتكم قلت: هذا كله صحيح قد فعله على و قاله، إلا- أن باطنه فيه خلاف ظاهره، و إنما قاله تقربا إلى أنصاره و أعوانه لأن ذلك كان يعجبهم، و يرون إمامة هؤلاء فقالوا خوفا منهم و تقربا إليهم، فكتب أسلافكم مملوءة بأنه قد فعله تقيته و خيفته، و الآن تذكرون بأنه قد كاشف فى البراءة منهم و من أفعالهم فى زمن عثمان و قبل / أن تصير الخلافة إليه، فأنتم لا تعملون على تحصيل، و لقله حيلتكم و أنه ليس معكم حجة فى مذهبكم (ما) «٢» تأتون بالشىء تظنونونه حجة لكم فتتقضون به على أنفسكم من حيث لا تشعرون، ففى هذا كفاية.

[على رضى الله عنه استن بسنن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وعمل بها]

و منها: أنه قد علم كل من سمع الأخبار أن عليا رضى الله عنه قد استن بسنن أبي بكر وعمر وعمل بها، و أطاعهما حياتهما، و نفذ وصاياهما بعد موتهما، فأطاعهما حين و ميتين ألا ترى أنه بايع أبا بكر وعمر له على أموال

(١) فى الأصل: على

(٢) كذا فى الأصل، و نظنها زائدة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٧٨

رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عمل له على الاتعاب بالمدينة و ضبطها له، و غزا معه، و أشار عليه، و نفذ وصيته فى عمر، و أطاعه أحسن طاعة، و خلفه على المدينة غير مرة، و صاهره، و أتى فى طاعته و مرضاته ما يطول ذكره، و أدخله فى الشورى فدخل، و جعله رعية لصهيب فقبل، و رده إلى عبد الرحمن فرجع، و غير ذلك مما يطول شرحه؛ فكيف يقول: لا أسير بسيرة أبي بكر وعمر، أو يصدق عاقل سمع الأخبار مثل هذا الظن؟ و من ذا الذى يدع المعروف المشهور بالمكاتبات و يرجع عن المعروف بمجهول التأويل.

و إنما قال ذلك «١»، لأن كتاب الله و سنة نبيه لا يحتمل الزيادة و لا النقص البتة.

و سنة الخلفاء الراشدين أبي بكر و عمر الذى قال له عبد الرحمن هو اجتهادهما فى الدين و حياطته و حفظه، و الزهد و العفاف الذى هو مشهور عنهما، فلو قال نعم للزمه الدخول فى ذلك من غير زيادة و لا نقص، و قد لا يجد الشخص من نفسه القيام بما يقوم به غيره، ثم الفتيا فى المسائل التى ليس فيها نص كتاب و لا سنة و العمل فيها بالقياس و الاجتهاد من الإمام ما كان يمكنه التقليد فيه و ترك نفسه من الاجتهاد، و لهذا المعنى أشار، و له أراد، هذا لا يشك فيه من له فطنة و لا دراية، و الله أعلم. / و أيضا فليس هاهنا إلا أنه قيل إن عبد الرحمن قال لعلى تقضى بسنة أبي بكر و عمر.

لأنه جاء أن عمرو بن العاص أتى عليا لىالى الشورى فقال له: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، و إنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك، و لكن الجهد و الطاقة فإنه أرغب له فيك، ثم لقي عمرو بن العاص عثمان فقال

(١) كتب فى الأصل: حاشية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٧٩

له: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، و ليس و الله يبايعك إلا بالعزيمة، فاقبل.

قال: فلما قال عبد الرحمن لعلى: هل أنت يا عليّ تبايعنى على كتاب الله و سنة نبيه و فعل أبي بكر و عمر، قال له عليّ: اللهم لا، و لكن على جهدى من ذلك و طاقتى، و من يطيق ذلك. فقال لعثمان هل أنت مبايعى على كتاب الله و سنة نبيه و فعل أبي بكر و عمر، فقال: نعم، فبايعه. فقال عليّ، خدعه، يعنى أن ابن النابغة خدعه، فهكذا جاء الحديث، فإن كان صحيحا فاقبلوه، فأنتم أول من يقول لا يجوز أن يقال لأمير المؤمنين بكتاب الله و سنة رسول الله فيقول هذا القول «١»، و لا يجوز أن يخدعه عمرو بن العاص فأنتم لا تقبلون ما قد ذكر، و إذا دعيتم إليه نفرتم عنه، ثم تدعون ما لم يكن و تجعلونه أصلا تنصرفون به عن المعروف من اتباع أمير المؤمنين لهؤلاء القوم و تصويبه لهم؟ على أن الذى ثبت عند العلماء أن عبد الرحمن قال لأهل الشورى: إنى قد نظرت و شاورت و استخرت فما وجدت الناس يعدلون بعثمان أحدا.

و أيضا فقد كان فى الصحابة من يخالف أبا بكر و عمر فى مسائل الاجتهاد.

و لا يحتشم ذلك، و لا ينكر أبو بكر و عمر ذلك، و قد خالفهما ابن مسعود، و أبى، و معاذ، و زيد بن ثابت، و ابن عباس، و غيرهم. فتعلم أن ما يتعلق به هؤلاء باطل.

و من عجب ما يدعونه أن عمر احتال على عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه / حتى أدخله فى الشورى، و قال: إنه يصلح للخلافة، و أنه قال إذا صار أهل الشورى ثلاثة و ثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، و أن عبد الرحمن كان عدوا لعلى و صرفها عنه إلى عثمان، و أن عمر إنما قال هذا حرصا على أن ينصرف عن عليّ و يصير إلى عثمان.

(١) لعل هنا نقصا بعد كلمة أمير المؤمنين تقديره: هل تعمل، و ذلك حتى يستقيم المعنى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٠

و ليس معهم فى هذا دلالة و لا برهان، إنما هو البهت و الفرية و ظنون كاذبة كغيرها من أقاويلهم، و قد تقدم لك الدلالة على أنه لم يكن بين عليّ و أبى بكر و عثمان و عبد الرحمن و تلك الجماعة عداوة، بل كان بينهم من الموالاة و المودة فى الدين و الإسلام ما فيه كفاية.

ثم يقال لهم: لو أرادها عمر لعثمان وحده أو لعبد الرحمن أو لأحد يريد له نص عليه كما تقدم النص من أبى بكر أو كما نص هو على صهيبة فى الصلاة، فكان الناس يمثلون ذلك و قد استراح مما ادعيتموه، و لم يكن عليه خوف، كما لم يكن على أبى بكر خوف. و العجب أنكم تقولون: إن أبا بكر و ثب بمقام رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقام فيه فى حياته و فى بيته و بحضرته و بحضرة

جميع بنى هاشم و المهاجرين و الأنصار، اغتصابا و قهرا، و تم له ذلك، و اغتصبهم بعد موته، و ساعده الناس، و نصّ على عمر فقبلوا منه فأنفذوا وصيته، و لم يقبلوا من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لم ينفذوا وصيته، و قبلوا من عمر فى الشورى و فى كل ما وصى به، و لم يقبلوا من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم وصيته و نصه على وصيّه على رضى الله عنه، و قد بين لهم الفرض فى ذلك، و هو من فرض الكافّة.

و هاهنا يقولون: إن عمر خاف و لم يكشف ما أراد و أخفاه و دلّسه، كصنيع المغلوب المقهور الخائف المترقب، فأقوايلكم يكذب بعضها بعضا، و أنتم تنفضون مذاهبكم و أصولكم بأيديكم، و تبعثون/ خصومكم على النقض عليكم، فلستم ممن يستقر له قول و لا يتقرر له مذهب.

و قد علمت رحمك الله فى الجملة أنه ما كان يجرى فى ذلك الزمان و بحضرة أولئك السابقين و لا يقبل و لا يمثل إلا الصواب، و إن من أتى بغيره ردّوه و أنكروه، و قد تقدم لك بيان ذلك و برهانه، فكلما بلغك عنهم مما له ظاهر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨١

تكره، فأما أن لا يكون له أصل البتة، و أما أن يكون إن كان حقا المراد به و النية فيه و القصد غير الظاهر الذى أنكره الخصم و أوله، فقد علمت حالهم فى تمسكهم بدين رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و وصاياه و القيام على نصوصه و عهوده، و أن أبا بكر و عمر و عثمان و عليا لو أرادوا فى سلطانهم أن يغيروا نصا لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى امرأة أرملة ذمية لما تمكنوا منه، و إن سلطان هؤلاء لم يكن كسلطان معاوية و من بعده من الملوك.

فاحفظ هذا الأصل و ارجع إليه فيما ذكره عن عمر فى قتل أهل الشورى، و فى ادعائهم على أبى بكر أنه أمر خالد بن الوليد بقتل عليّ بن أبى طالب ثم بدا له فقال لا تفعل، بحضرة المهاجرين و الأنصار، و أنه وجّه بالنعمان بن بشير، و المغيرة بن شعبه فقاتلا سعد بن عبادة الأنصارى، و أن أبا سفيان و بنى أمية كانوا فى زمن عثمان يظهرن بين الناس بتكذيب النبى، و أنه ما هاهنا معاد و لا جنّة و لا نار، و لهم فى هذا روايات كثيرة عن الصحابة من الرجال و النساء، و ذكرها يطول، غير أنك تعلم كذبهم فيها بالدليل الذى تقدم من تمسك المهاجرين و الأنصار بدين النبى صَلَّى الله عليه و سلم، و أن الغلبة فى زمانهم كانت للمقيمين على دينه و للمعتقدين على تصديقه.

على أن هذا الإنكار و التكذيب له و بالبعث/ و النشور و الحساب و الجنّة و النار و ما أشبه ذلك، ما كان أحد يجسر على إظهاره فى زمن معاوية و أئمة الجور من بنى أمية، و لا فى زمن ملوك بنى العباس و حيث كان الملوك منهم، فإن الملوك من بنى أمية و بنى العباس ما كانوا ملحدّة و لا زنادقة و لا أعداء لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بل كانوا على ملّة الاسلام و يحبون رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و دينه، و يبرؤون من أعدائه و إن شابوا ذلك بحب الدنيا و يبايثار العاجلة و قتل من يأمرهم بالقسط من الناس، و غير ذلك من الكبائر و المناكير التى ارتكبوها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٢

فقل كان لهم تعظيم القرآن و جهاد العدو و عمارة الثغور، و قد كانوا كلهم يعيرون المسرفين منهم، و قد كانوا فى مجالسهم يتذاكرون أعلام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و آياته، و كانت أظهر و أقهر من أن يعتقدوا خلافها، و قد كانوا يوصون أولادهم بالإسلام. و لم نقل هذا فيهم من طريق حسن الظن بهم، و لكن إذا اعتقدوا عداوته أو تكذيبه أو عيبه أو عيب شىء من طرائقه و أخلاقه و مذاهبه صَلَّى الله عليه و سلم لظهر ذلك و لبدا فى أخلاقهم و طرائقهم و فلتات ألسنتهم و فى سقطات أعمالهم، فهذا جرت العبرة و العادة سيما و هم ملوك.

و لقد تفاعل الوليد بن يزيد بن عبد الملك و هو خليفة و ملك جبار، و هو أغنى بنى مروان «١»، فخرج له فى المصحف ما يكرهه فرمى بالمصحف من يده و تسخط ما خرج له، فقام إليه ابن عمه فضرب عنقه فى هذا المقدار، و جعله حجة فى قتله، و أنت تتبين

ذلك و أن مثله لا يخفى بمثل ابن العميد وزير ركن الدولة، و بأبي جعفر بن بانو السجزي ملك سجستان، و أبا علي بن إلياس ملك كرمان، و أمثالهم، فإن هؤلاء وقعت عليهم الباطنية فما زالوا بهم/ حتى خرجوا من الإسلام، و ما أمكنهم المجاهرة و المكاشفة بعداوة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، غير أن ذلك بدا في فلتات ألسنتهم و سقطات أعمالهم و إن اجتهدوا في كتمانهم.

[الرد على دعوى القرامطة أن الصحابة أخرجوا عليا لكرهتهم له]

فأما من بالأحساء و مصر و المغرب فما يظهر منهم من عداوته صَلَّى الله عليه و سلم و القصد إلى إطفاء نوره و إمامته شريعته فعظيم، و كان مما ادّعوه على المهاجرين و الأنصار أنهم كانوا ممن يبغض أمير المؤمنين لقتل من قتل من المشركين، قالوا فلهذا

(١) في الأصل: «و هو أغنى بني مروان»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٣

أخروه و لم يقلدوه الخلافة، قالوا و مع هذا فحسدوا بني هاشم أن يجتمع فيهم الخلافة و النبوة جميعا.

و هذا كأمثاله من الافتراء الذي لهم على المهاجرين و الأنصار، فقد علمت أحوالهم و كيف أجابوا النبي عليه السلام من تلقاء أنفسهم تصديقا له و إيمانا بما أتاه، و قد كان لهم بمكة و بالمدينة و بأرض الحبشة ما قد تقدم ذكره لك، و يشهد عندك بطلان هذه الدعوى.

و بعد فقد علمت ما كان للمهاجرين و الأنصار من الخوض في باب الإمامة في حياة النبي صَلَّى الله عليه و سلم، و في مرضه، و بعد موته، و قبل دفنه. و فيما جرى بين أبي سفيان و العباس و بني هاشم، و في السقيفة، و عند استخلاف عمر، و في الشورى، و في غير ذلك. فما ذكر ذاكر أن هذا يكرهه لأنه قتل الآباء و الأبناء و لا بالألأ يجب أن تكون النبوة و الخلافة جميعا في بني هاشم، و ما نطق أحد من خلق الله بحرف من هذا و لا خطر بهم.

و قد دخل أمير المؤمنين رضي الله عنه في الشورى فما أنكر أحد دخوله، و لا نفر أحد، و لا نطق أحد في ذلك بحرف، بل رضى الناس كلهم بذلك كما رضوا بغيره ممن كان في الشورى، و قد تبادر الناس إليه بعد عثمان، و أكبوا عليه و مدوا يده، فقبضها مرة بعد مرة/ و حرصوا به و أحبوا خلافته و بيعته، فما نطق أحد بحرف مما يدعيه هؤلاء، و في كل هذا تكذيب لدعاويهم و فريتهم. و قد علمنا أنه لم يكن له رضى الله عنه في زمن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لا في زمن أبي بكر و عمر و عثمان عدو من المهاجرين و لا- من الأنصار، حر و لا- عبد، و لا ذكر و لا أنثى، لأن ذلك لو كان كذا لظهر، و لكان العلم به كالعلم بغيره من الأمور، و كالعلم بمن قعد عنه، و كالعلم بمن عاداه من أهل الشام، و كالعلم بمن رجع عنه من أصحابه كما قد تقدم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٤

و ليس معاداة من عاداه بعد ذلك و برىء منه دليلا على أنهم قد كانوا أعداءه في زمن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و زمن أبي بكر و عمر و عثمان فقد عادى قوم عثمان رضى الله عنه و خالفوه و نازعوه في آخر أيامه، و لا يدل هذا على أنهم كانوا عدوه في زمن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و لا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أن الخوارج إنما خالفوه و أكفروه لأنه قتل المشركين، و لأنه كسر الأصنام، و لأنهم كرهوا أن تكون النبوة و الخلافة في بني هاشم. و كذا أهل الشام في خلافهم عليه، و هذا كله بهت و اختلاط ممن ادعاه، بل الأمور التي لها و من أجلها خالفه من خلفه من أهل الصلاة معروفة، كما أن الأمور التي لها و من أجلها خولف عثمان معروفة.

و بعد فإن المهاجرين و الأنصار، إنما كانوا يقدمون من قتل المشركين و يجلبونه و يعظمونه و يعظمون من كانت وطأته على المشركين أشد، و لهذا جلّ عندهم من شهد بدرا و المشاهد التي كانت في قتال المشركين و قتلهم، و لم تكن منزلة غيرهم من مسلمة

الفتح و من أسلم بعد الفتح منزلتهم، و كان مما يجلب به عبد الله بن مسعود رضی الله عنه أنه احتز رأس أبي جهل / و كان مما يجلب به عمر عندهم أنه يوم بدر ما أسر أسيرا و أن كل من وقع بيده من المشركين قتله، و كان فيمن قتله العاص بن هشام و كان خاله، و طلب خاله الحارث ابن هشام فأقلت من يده، و مما كانوا يقدمونه فيه أنه يوم بدر أشار على النبي صَلَّى الله عليه و سلم بقتل الأسرى و قال له: سلم كل رجل منهم إلى أقاربه و أهل بيته فليضرب عنقه، فهم رءوس الشرك، و هم كذبوك و أخرجوك، فسلم عقيلًا إلى أخيه عليّ ليقبله، و فلانا إلى فلان، و لقتل المشركين تقدم عندهم الزبير، و أبو دجانة، و بنو عفرة، و البراء بن مالك و أمثالهم. كما قد كان يتقدم عندهم من جمع القرآن و حفظه، بل كان من كانت نكايته في المشركين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٨٥

أشد تقدما عندهم ممن جمع القرآن و قرأه، و ما دعوى من ادعى هذا إلا- كمن ادعى أن المهاجرين و الأنصار كانوا يبغضون عليا لقراءته القرآن و لصلاته الطويلة و لكثرة ما كان يقول لا إله إلا الله.

و قد كان هناك من المهاجرين و الأنصار من قد قتل القتل الكثير غير من ذكرنا، و هم أكثر مما يحصون، و ما كان هناك أحد من مسلمة الفتح ممن قتل له أمير المؤمنين قتيلًا إلا أبو سفيان صخر بن حرب، فإن أمير المؤمنين قتل ابنه حنظلة يوم بدر، و أبو سفيان فهو الذي كان أشد الناس حرصا يوم مات النبي صَلَّى الله عليه و سلم أن تكون الخلافة في بني عبد مناف، و أن يكون عليّ بن أبي طالب هو الخليفة دون أبي بكر و قد تقدم لك ذكر ذلك.

فأما المهاجرون و الأنصار و السابقون فهم كانوا يتولون قتل أحبابهم و أهليهم، و لقد برز أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة إلى أبيه يوم بدر ليقبله فمنعه النبي صَلَّى الله عليه و سلم من ذلك، و قال له: دعه يقاتل غيرك، فقتل أبوه و عمه و أخوه و ابن أخيه و غير واحد من أهله و هو صابر راض يشكر الله على ذلك و بما وهبه الله لرسوله من النصر، و هذا من أولاد سادات قريش و من أسلم بمكة و هاجر إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة، و كم مثله فيهم رضی الله عنهم.

فإن قالوا: و ما حرص أبو سفيان أن تكون الخلافة في عليّ؟ قلنا: لأنه من رهطه و بني عمه فأحب أن تكون الخلافة في بني عبد مناف، و كذا أحب العباس و خالد بن سعيد بن العاص، و غير هؤلاء من بني هاشم. غير أن خالد ابن سعيد لم يكن من مسلمة الفتح بل كان ممن أسلم بمكة و هاجر إلى أرض الحبشة و إلى المدينة، و قد تقدم لك ذكر إسلامه، فتعلم بطلان دعاويهم من كل وجه.

فإن قالوا: فإننا لا نصدق أن أبا سفيان حرص في أن تكون في عليّ دون

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٨٦

أبي بكر، قلنا: لا فرق بين من ادعى هذا فيه أو في العباس، و أنه جرى بينه و بينه في ذلك قول و لا خوض و لا مراجعة، و لا فرق بين من أنكر هذا أو أنكر السقيفة و الشورى، و يمثل ما علمت أنه لم يكن لعلي و لا لعثمان في المهاجرين عدو و لا مخالف منهم و لا من غيرهم، تعلم أنه لم يكن لأبي بكر و لا لعمر و لا لأولئك السابقين عدو من المهاجرين و لا من الأنصار و لا من بني هاشم و لا من أحد من الصحابة و لا من السابقين و لا من سائر المسلمين إلى أن حدث من أمر هشام بن الحكم و أمثاله ما حدث، فاعرف ذلك فإنه لو كان يعرف الناس الحال فيه كما عرفوه في غيره مما قد تقدم ذكره من شأن من خالف علي عثمان و عليّ و عاداهما، و ما كان من شأن سعد بن عبادة فإن من ادعى هذا كمن ادعى أنه قد كان في زمن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و زمن أبي بكر رافضة و خوارج لتأكد لك المعرفة من كل وجه ببطلان دعاوى هؤلاء على القوم / الخلافة يوم موت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إلى غير ذلك من دعاويهم. و قد تقدمت لك أدلة العقول قبل أدلة القرآن بمحبة النبي صَلَّى الله عليه و سلم لهؤلاء، و أنه قد فرض محبتهم على الأولين و الآخرين من أمته.

فأما دعوى عبد الله بن سبأ و أصحابه فلم تكن من دعوى هشام بن الحكم بسبيل، إنما كان في التفضيل، ثم كان من إنكار أمير المؤمنين ما هو المذكور ثم خرجوا إلى ما خرجوا إليه هؤلاء، و ما هم من المهاجرين و لا الأنصار و لا من التابعين، و لا يعرفون بشيء

من الخبر البتة.

وقد تقدم لك شدة تمسك المهاجرين و الأنصار بدين رسول الله صلى الله عليه و سلم و حفظ شريعته بعده، و لقد خرجوا إلى حرب مسيلمه و أهل الردة مبادرين للإنكار عليهم من مخالفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا يملكون أنفسهم تثبت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٧

غضبنا على من خالفه أو خرج من دينه حتى يقول الأخ منهم لأخيه و الوالد لولده إذا قال أحدهما لصاحبه أقم أنت حتى أخرج أنا، فيقول الآخر: أنا أريد من الشهادة و الجهاد مثل ما تريد، فيودعون الأهل و الأحباب و يقولون لعلنا لا نرجع إليكم، و لا يلوون على شيء من الدنيا. و لقد التقوا مع مسيلمه فانكشفوا، فقالوا عودنا الاعراب الفرار، ما هكذا كنا نقاتل مع النبي صلى الله عليه و سلم، و قالوا لخالد بن الوليد و هو أميرهم أخلصنا بعدونا فأخلصهم، و حفروا الحفائر و ثبتوا فيها يقاتلون إلى أن ظفروا، و قتل مسيلمه و قتل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، و سالم مولى أبي حذيفة، و ثابت بن قيس، و زيد بن الخطاب، و غيرهم من المهاجرين و الأنصار نحو أربعمائه، فيهم من حفاظ القرآن سبعين رجلا، و فيهم ممن شهد له النبي عليه السلام بالجنة و أنه يقتل شهيدا، و هذا من آياته و كلمهم قتل في طاعة أبي بكر.

و لأجل هذه القضية و هذا الزحف اجتمع الصحابة/ إلى أبي بكر و قالوا له: اجمع القرآن في مصحف واحد ليناله كل أحد، فقد قتل في هذا الزحف خلق كثير ممن حفظ القرآن، و لا نأمن زحفا مثله يقتل فيه آخرون ممن قد جمع القرآن، فيذهب منه أو يضيع، و هؤلاء ما يملكون أنفسهم، و لا يصبرون عن الجهاد و لا عن الموت في طاعة الله، [و للموت في طاعة الله] (١) أحب إليهم من الحياة، أفعلى هؤلاء يدعى أنهم كانوا يعادون من قتل المشركين، أو أنهم تغيروا بعد نبينهم. و لقد انطلق أبو الجهم بن حذيفة العدوي يوم اليرموك يطلب ابن عم له و معه شيء فيه ماء، فإن كان به رمق سقاه و مسح بالماء على وجهه. فأتاه فقال له: أسقيك؟ فما كان به طرف يتكلم، فأشار أي نعم، فإذا صوت

(١) زيادة منى على الأصل اقتضاها السياق

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٨٨

رجل يقول: أوّه، فأشار ابن عمه إليه أن انطلق إليه و اسقه، فأتاه فإذا هو هشام بن العاص بن وائل السهمي، فقال له: أسقيك؟ فسمع آخر يقول:

أوّه و ما بهشام طرف يتكلم فأشار هشام أن انطلق إليه، فجاءه فإذا هو قد مات، فرجع إلى هشام فإذا هو قد مات، ثم أتى ابن عمه فإذا هو قد مات.

و كم مثل هذا لو أخذت أذكره لطال ذلك، و أنت تجدها في أماكنها.

و هؤلاء هم الذين كانوا أعداء رسول الله صلى الله عليه و سلم في أول أمره حين دعا إلى الله عز و جل و أولاد أعدائه.

و انظر إلى مسلمة الفتح. فهذا الحارث بن هشام، و عكرمة بن أبي جهل، و عباس بن أبي ربيعة، فإنهم هجروا الأوطان، و فارقوا الأهلين، و رفضوا الأموال، و أقاموا على الجهاد، حتى أسعدهم الله بالشهادة، و أوجب لهم الكرامة.

و لقد استلحموا، و جلت عنهم المعركة و قد أصابهم أشد العطش من حر السلاح، فمد الحارث يده يستسقى، و مد عكرمة يده، فقال الحارث:

اسق عكرمة، فمد عياش يده فقال عكرمة: اسق عياشا/ فلم يصل إلى أحد منهم حتى مات الآخر مما كان بهم من الطعن و الضرب و حرّ الحديد، فكيف يتوهم على هؤلاء الحقد و الضغن، و هل شيء يؤمن من ذلك إلا و قد كان معهم؟ و هؤلاء قد قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم أباهم و أبناءهم و إخوانهم و آذوه و حاربوه قبل إسلامهم، فلما أسلموا أخلصوا، و كان هؤلاء و أمثالهم أشد

الناس على أهل الردة و على جميع أعدائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

و مثلهم سهيل بن عمرو، و المهاجر بن أبي أمية، و عتاب بن أسيد، و جبير ابن مطعم، فهؤلاء من ردّ الردة، و قتل مسيلمة، و أسر طليحة، و قتل أهل ردة عمان، و رجال أسد و غطفان، و ما قنعوا بقتلهم حتى أحرقوهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٨٩

بالنار غضبا لرسول الله و حمية لدينه، و هم كانوا أشد الناس عليه، و لكن لما أسلموا زال ذلك كله، و أخلصوا أشد الاخلاص. و هؤلاء و أمثالهم قد كانوا عرفوا الحق فمنعهم من الدخول في الاسلام الحمية و حب الرئاسة، و قد كانوا علموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقدمهم على الفقراء و الموالى الذين سبقوا إلى الاسلام كما قد تقدم ذكر ذلك لك، فلما قهرهم الحق و جاء الفتح أسلموا، و كانت نفوسهم أبية يأنفون من النفاق و الفسق و الغيبة، فأسلموا و هذه أخلاقهم فأخلصوا و نصحو.

و قد تقدم لك ما قاله الحارث بن هشام حين خرج من مكة مهاجرا في سبيل الله، و لهذا المعنى قال أبو جهل لابن مسعود حين أكب عليه ليجهز عليه: أ لست رويعا بتهامة، لقد ركبت مركبا صعبا. و قد تقدم لك للأسباب نزول قوله عز و جل: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ».

و لقد ذكر سهيل بن عمرو، أن الحمية و الأنفة و حب الرئاسة مما منعهم من الدخول في الاسلام، و كان يقول: و أبو سفيان يعرف من هذا/ الحق ما أعرف، و لكن حسد بنى عبد المطلب قد ختم على قلبه. و قد كان أبو سفيان يتحدث بمثل ذلك فيقول: خرجت و أمية بن أبي الصلت الثقفي، و طليق بن سفيان بن أمية تجارا إلى الشام «١»، و كان أمية بن الصلت يأتي النصارى و يسمع من علمائهم، فقال لى: هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتب تسأله عما بدا لك؟ قلت: لا أرب لى به، و الله لئن حدثنى ما أحب

(١) كلمة سفيان ليست واضحة في الأصل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٩٠

لا أتق به، و لئن حدثنى ما أكره لأوجلن منه. فأقام عندهم أمية ثم رجع كئيبا حزينا، فلما سرنا قال لى: [هى عن عتبة بن ربيعة يجتنب المحارم و المظالم، قلت إى و الله، قال و يصل الرحم و يأمر بصلتها، قلن نعم، قال و محوج، قلت نعم، قال فهل تعلم قرشيا أشرف منه، قلت لا و الله ما أعلم، قال:

كم أتى له قلت: سبعون هو لها هو ابنها] «١». قلت: و أنت قائل شيئا فقله، قال: و الله لا تذكر حديثى حتى تأتى منه ما هو آت، قلت لا أذكره، قال: إنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء، فأخبرنى عن نبى من العرب منتظر، و أنه من أهل بيت يحجه العرب، قال: قلت فينا بيت تحجه العرب، قال: لا، هو من إخوانكم و جيرانكم قريش، قال: فأصابنى و الله شىء ما أصابنى مثله قط، فكنت أرجو أن أكون أنا هو، قلت فإذا كان ما كان فصفه لى، قال: شاب، حين دخل فى الكهولة بدأ أمره، إنه يجتنب المحارم و المظالم، و يصل الرحم و يأمر بصلتها، و هو محوج، ليس بذراع الشرف، كريم الطرفين فى العشيرة، أكثر جنده من الملائكة. قال: قلت: ما آية ذلك؟ قال: قد رجف الشام منذ هلك عيسى ثمانين رجفة كلها فيه مصيبة عامة و بقيت رجفة عامة فيها مصيبة، نخرج على أثرها. قال أبو سفيان: قلت: إن هذا و الله هو الباطل، لئن بعث الله رسولا/ إلا شريفا مسنا، قال: ثم رحلنا حتى إذا كان بيننا و بين مكة ليلتان، أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فإذا هو يقول: أصابت الشام رجفة دمرت أهلها و أصابتهم فيها مصيبة عظيمة، قال أمية: كيف ترى يا أبا سفيان؟ قلت: و الله ما أظن صاحبك إلا صادقا.

و قد منا مكة فتفضيت مما كان معى، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة

(١) الكلام بين القوسين غير منسجم إذا اتصل مع ما قبله و ما بعده، و لذا وضعته بين قوسين على أن الكلام مستمر بين كلمة: سرنا و كلمة: قلت.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩١

تاجرا فمكثت بها خمسة أشهر ثم أقبلت حتى قدمت مكة، فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون على حتى جاءني آخرهم محمد بن عبد الله و عندي هند جالسة تلاعب صبية لها، فسلم عليّ و رحّب بي و سألتني عن سفري و مقدمي ثم انطلق، فقلت: و الله إن هذا الفتى للعجب، ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألتني عنها، و ما بلغت، و الله إن له معه لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألتني عنها، فقالت هند أو ما علمت شأنه؟ قلت: و فرعت: ما شأنه؟ قالت: و الله إنه ليزعم أنه رسول الله.

فذكرت قول النصارى، و وجمت، حتى قالت لي: مالك؟ فانتهيت، فقلت: إن هذا و الله لهو الباطل، لهو أعقل من أن يقول هذا، قالت بلى و الله إنه ليقول، و إن له لصحابة على أمره معه، قال: قلت: هذا الباطل فخرجت؛ فبينما أطوف إذ لقيته فقلت: إن بضاعتك قد بلغت و كان و كان فيها خير، فأرسل إليها فخذها، و لست آخذ فيها ما آخذ من قومك. قال: فاني غير آخذها حتى تأخذ مني ما تأخذه من قومي، قال: قلت: ما أنا بفاعل، قال: فو الله لا آخذها، فأرسلت إليها و أخذت منها ما كنت آخذه من غيره، و بعثت إليه ببضاعته.

و لم ألبث أن خرجت تاجرا إلى اليمن، فقدمت الطائف، فنزلت على أمية فتغديت معه،/ ثم قلت: يا أبا عثمان، هل تذكر حديث النصراني؟ قال:

أذكره، قلت فقد كان قال: و من هو، قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

ثم قصصت عليه خبر هند، قال فالله يعلم أنه تصبب عرقا، ثم قال: و الله يا أبا سفيان لعله قال. و مضيت إلى اليمن فلم ألبث أن جاءني هناك استهلاله، فأقبلت حتى قدمت الطائف، فنزلت على أمية، قلت: قد كان من أمر هذا الرجل ما قد بلغك و سمعت، قال: قد كان، قلت: فأين أنت؟ قال:

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩٢

و الله ما كنت لأؤمن لرسول ليس من ثقيف، قال: و أقبلت إلى مكة فوجدته هو و أصحابه يضربون و يقهرون، فجعلت أقول: فأين جنده من الملائكة؟

و دخلني ما دخل الناس من التعاسة.

و لهذا نظائر من حديثهم، و قد كان معاوية يتحدث به في زمن ملكه و سلطانه، و يتحدث به عنه مروان بن الحكم، و يتحارون الأسباب التي أبطأت بهم عن الهجرة من الأنفة و الرجال الذين كانوا يصدون عن ذلك من بنى أمية، مثل عقبه بن أبي معيط، و مثل الحكم بن أبي العاص، و مثل أبي سفيان من بنى أمية، و من كان كذلك من بنى مخزوم، و ما كان يلحق من أسلم منهم من الأذى من هؤلاء.

كما كان يتحدث بذلك سهيل بن عمرو، و عمرو بن العاص، و غيرهم، و يذكر بعضهم بعضا في حياة النبي عليه السلام و بعد وفاته و بعد مضى الخلفاء الراشدين، فتعلم بصائر مسلمة الفتح و الذين أبطنوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إذا تأملت وجدت لبنى أمية، و بنى مخزوم من المهاجرين منهم، و من مسلمة الفتح آثارا كثيرة عظيمة في نصره الاسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الذي لهم بعد وفاته أعظم. و لم يكن الخلاف الذي كان بين أولئك القوم و بين أمير المؤمنين رضى الله عنه لشك في النبوة و لا- لضعف/ بصائرهم فيها، لأن ذلك لو كان لبان كما قدمنا الدلالة على ذلك، لأنه لا يمكن أن تقول إن عبد الله ابن وهب الراسبي و أصحابه من الخوارج إنما خالفوا أمير المؤمنين و أكفروه و قاتلوه لبغضهم لرسول الله و لا لشكهم في نبوته، و قد كانت لهم عبادة و قراءة القرآن و صوم و أمور كثيرة حسنة، جميلة، يطول تفصيلها، غير أنهم أحبطوا ذلك كله. بمخالفتهم لأمر المؤمنين.

و كذلك معاوية، قد استعمله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و استعمله غير واحد من

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٩٣

الخلفاء بعده على ثغور الروم، فضبطها و فتح الفتوح و غزا معه في تلك المغازي خلق كثير من المهاجرين و الأنصار و البدرين و كانت فيه عفة عن أموالهم.

و كان عمر رضى الله عنه كثير التصفح لأحوال العمال و الاستبدال بهم، فما وجد عليه و لا استبدل به، فلما مضى عثمان فكان من أمر معاوية ما كان من الخلاف على أمير المؤمنين رضى الله عنه انصرف عنه البدريون، و صاروا في حملة أمير المؤمنين، و لم يبق معه منهم أحد من البدرين خاصة، و أقام على خلاف أمير المؤمنين فأحبط عمله و ضل ضلالا بعيدا. فليس أحد من هؤلاء خالف أمير المؤمنين لشك في النبوة، و مع هذا فما سار أمير المؤمنين في قتال هؤلاء سيرة من شك في النبوة، و لا أخرجهم من أن يكونوا من أهل الصلاة و أهل القبلة، و ما زاد على تضليلهم.

و قد دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه بإمرة المؤمنين، و أقام على حرب بني أمية تسع سنين و تفانوا بالقتل، و قتل بنو أمية آل الزبير و أفنوههم و صلبوههم و لم يكن ذاك لشك من أحد الفريقين، في النبوة و العجب أن عبد الله بن وهب الراسبي و أصحابه أكفروا أمير المؤمنين فما أكفرهم هو و لا زاد على تضليلهم/ و كذا سار القراء و التابعون الذين قاموا مع ابن الأشعث و أنكروا شأن عبد الملك و الحجاج، فإنما أنكروا فسقهم و جورهم لا أن أحد الفريقين شك في النبوة، و مثل هذا كثير فاعرفه، فإن قوما قد دخلوا بين الناس و ألقوا إليهم مثل هذا لشدة عداوتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قالوا في العباس ابن عبد المطلب انه كان عدوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمقته، و كان اذا سلم عليه لا يرد عليه و يقول له: لعنك الله و لعن أبا لهب، و أنه لم يكن من بني هاشم و لا- ولد عبد المطلب، و أنه لتلك العداوة التي كانت في نفسه صارت في ولده، فلهذا قتل أبو جعفر المنصور من ولد أبي طالب من قتل، و كذا غيره من بين العباس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٩٤

و أهل المعرفة يعلمون أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعظمه و يجله و يقول فيه:

ما كان لى أن أرفع صوتي بحضرة عمي و يجعله بما لا يتهاى له إحصاء لطوله في هذا الموضع، و قد كان أمير المؤمنين يجله و يعظمه و يقدمه و لا يقطع أمرا دونه، و كان ولده هم خاصة أمير المؤمنين و بطانته، و خلفاء على رعيته كما هو معلوم.

و كذا كان ولده عليه السلام مع ولد العباس بعده، و كلمتهم واحدة، إلى أن وقع الخلاف بين عبد الله بن حسن بن حسن و بين أبي جعفر، و راموا أخذ الأمر منه و انتشبت العداوة منذ ذاك بينهم، «١» لا لشك في النبوة و لا لعداوة قديمة كانت بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و بين أبيهم، و لا بين علي و العباس، و ها أنت تجد بني العباس يشب بعضهم ببعض، و يقتل بعضهم بعضا، يقتل الأخ أخاه و العم ابن أخيه، أ تراها لعداوة في الأصل أو في الآباء و الأجداد، و تجد من ولد أبي طالب مثل ذلك، ألا ترى إلى من بطبرستان و بلاد الديلم منهم كيف/ يشب بعضهم ببعض، و يقاتل بعضهم بعضا، و كذا من منهم بصعدة من أرض اليمن، و كذا من منهم بالعراق، يقتتلون في الرئاسة لا لعداوة كانت في الآباء و الأجداد، و إنما أكثرنا من ذكر هذا و شبهه و ما تعلق بالامامة لأن أكثر الملحده من هذا الباب يدخلون في خديعة المسلمين و إفسادهم في الدين.

و قد تقدم لك ذكر أوائلهم.

[حول أقوال الباطنية و وسائلهم في استدراج المسلمين الى التخلي عن حقائق الايمان و الفرائض]

و في هذا الزمان منهم مثل أبي جيلة إبراهيم بن غسان، و مثل جابر المتوفى، و أبي الفوارس الحسن بن محمد الميمدى و أبي الحسين أحمد بن محمد بن الكميت، و أبي محمد الطبرى، و أبي الحسن الحلبي، «٢» و أبي يتيتم

(١) يقصد الخلاف الذى نشب فى خلافة أبى جعفر المنصور بينه وبين عبد الله بن على المطالب بالخلافة

(٢) جاء فى هامش الاصل: «فى ذكر كبار أئمة الشيعة فى زمان صاحب الكتاب»

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩٥

الربابى، و أبى القاسم النجارى، و أبى الوفا الديلمى، و ابن أبى الديرى، و خزيمه، و أبى خزيمه، و أبى عبد الله محمد بن النعمان، فهؤلاء بمصر و بالرملة و بصور، و بعكا و بعسقلان و بدمشق و ببغداد و بجبل البسماق. و كل هؤلاء بهذه النواحي يدعون التشيع و محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أهل بيته، فيكون على فاطمة و على ابنها المحسن الذى زعموا أن عمر قتله، و يذكرون لهم تبديل القرآن و الفرائض، و يذكرون ما قد تقدم ذكره من أن خلافتهم له و قتالهم إنما هو لعداوته صلى الله عليه و سلم و للشك فى نبوته «١»، و يقيمون المنشدين و المناحات فى ذلك، و يأخذون على الناس اليهود، و يحلفونهم بالإيمان الغليظة، فإذا حصلوا كذلك قالوا لهم: إياكم و مجالسة الفقهاء، و استماع الحديث من أصحاب الحديث، و استماع القرآن من العامة، و عليكم برواية الخاصة، فقد قال جعفر بن محمد كتابة: حديث العامة يعنى القلب، و إياكم و فقه أبى حنيفة و مالك و الثورى و الحسن البصرى و أمثالهم فإنهم كفره و أعداء أهل البيت، و الرشد كله فى خلافتهم، و إذا عمى على أحدكم الصواب فليظنر ما عليه الفقهاء فيعمل / بخلافه فإنه يصيب الحق.

ثم يأخذونهم فى مجلس يسمى مجلس التغذية بأن لكل شىء باطنا علمه عند مولاكم العزيز بالله، يظهره لكم إذا ترقيتم الدرجات فى طاعته، ثم يأخذونهم بأن يقولوا لهم: لم صلاة الصبح يجهر بها و الظهر لا يجهر فيها، و لم حوصة سعفة النخلة طويلة، و ورقة الكرم مستديرة، و ورقة الموز طويلة عريضة، فإذا سألوهم الجواب قالوا لهم: أنتم من المجريين و من المبتدئين، و المبتدئ كالطفل يغذى باللبن ثم بعد اللبن بما هو أقوى منه، و يقولون لهم: أليس قد

(١) جاء فى هامش الأصل: «و ما دعواتهم فى التشيع و محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أهل بيته و ما قولهم».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩٦

قال الله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و نحن و أنتم لا نأكل لحم الذبيحة حتى تموت، و لا نأكل السمك حتى يموت، و إنما معنى هذا ان النبى صلى الله عليه و سلم قد مات و حرام أن تقام شريعته «١»، و ينبغى أن يمثل أمر العزيز مولانا الذى هو حجة الله، و هذا علم الخاصة. و لكن الفقهاء الحمير و أهل الظاهر لا يعرفون هذا، لذا بهم على إمامهم ولئى الله و حجة الله على خلقه. و يقولون لطائفة أخرى: ما عليكم صلاة ما دام فى الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن فى الأرض، فإن الله يقول: «الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» «٢» و يقولون لآخرين الصلاة شخص، و الصلاة عذاب على أهل الظاهر و يرقون الناس بحسب طبقاتهم و احتمالهم للشك و الحيرة، و هذه مجالس الترقية كما هو مذكور لهم و مرسوم فى البلاغ السابع و الناموس الأعظم، ثم يرقون من يتقون به بأنه لا يحرم عليه أمه و لا بنته و لا أخته، و لا خمر و لا خنزير و لا زنا و لا لواط و لا ربا، و لا شىء البتة، و أنه لا يحل لك أن تمنع أخاك و من هو مثلك فى البلاغ السابع / و العلم الباطن من زوجتك فإنها تحل له كما تحل لك، و الاشتراك فى الزوجات كالاشتراك فى الطعام، و الكريم هو الذى «٣» تنكح زوجته بحضرتها كما يؤكل طعامه بحضرتها، و قد قال افلاطن الغيرة شح فى الطبيعة.

فيقال لهؤلاء الدعاة: قد ادعيتم على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على إخوانه من الأنبياء أنهم كذابون محتالون طلاب دنيا و رئاسة، و نحن فقد ذكرنا لكم مجيئه و سيرته و طرفا من آياته و أعلامه، و أن أهل الأرض بأسرهم قد خاصموه

(١) فى الأصل «حرام» و قد أضفنا الواو قبلها لأن سياق الكلام يقتضى ذلك.

(٢) الحج ٤١

(٣) أثبت فى الأصل بعد كلمه الذى «هو» و قد حذفناها لأنها زائده.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩٧

و طلبوا عثره تكون له فما وجدوا، و لو كان كما قد ادعيتم لكانت سبيله سبيل أئمتكم، فقد علمتم حال سعيد، «١» الذى زعم ان ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان بن سعيد الغضبان الخرمى، و أبو القاسم بن الأبيص العلوى، و غيره من أهل هذه الدعوة و يزعمون «٢» ان سعيدا هذا ليس هو ابن الحسين و إنما هو ابن امرأة الحسين هذا، و أبوه يهودى حداد من أهل سلمية من أرض الشام، و أن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده، فأحب ولدها سعيدا هذا، و إنما رغب فيها لفرط جمالها و كمالها.

[كيف ظهرت الباطنية و قامت دولتهم فى المغرب ثم فى غيرها]

و كان سعيد ابنها هذا يشبهها فى الجمال، و كان له ذكاء و فطنة، فتولى الحسين زوج أمه تربيته و تعليمه و تخرجه على ما يجب و يختار، فقبل منه و أخذ عنه، فعرفه حال هذه الدعوة و رجالها و أسرارها و دعائها، و أين هم و كم هم، و كيف كان أولها و ابتداءها، و زوجة الحسين زوج أمه بنت أبى الشلعل، و أبو الشلعل هذا من ولد عبد الله بن ميمون القداح، و كان ذلك، فولدت لسعيد ابن فسماء عبد الرحمن.

ثم صار سعيد إلى سجلماسة/ من أرض المغرب «٣»، و تسمى بعبيد الله «٤» و اكتنى بأبى محمد، و ادعى أنه من نواحي الأهواز و من بناتها و رؤسائها و أنه هرب هو و أبوه من جور عمرو بن الليث، و أن ضياعهم بكور الأهواز كثيرة، و لهم بها «٥»، و أن المواد تأتيه منها، و كان يقول لمن يثق به و يأنس به فى

(١) جاء فى هامش الأصل: «ابتداء ظهور الفاطميين فى المغرب بدعوى التشيع».

(٢) فى الأصل: «يزعمون»

(٣) سجلماسة مدينة فى جنوب المغرب، فى طرف السودان

(٤) فى الأصل: «تسمى».

(٥) يظهر أن هنا نقصا فى العبارة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٥٩٨

ابنه عبد الرحمن أنه يتيم فى حجره، و أنه وصى أبوه، و أن أباه من أهل البيت، و كان يحتال على اليسع ابن المدرار أمير سجلماسة و على أهل بيته بالدعوى.

فلما تمكن و أمكنته الحيلة بأبى عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا الكوفى الداعية غدر بنى المدرار، و قد كانوا اجاروه و أحسنوا إليه، فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش، فقال له أبو عبد الله: قد كانت كتبك و رسائلك تأتينى بأنك مع بنى المدرار بكل خير و أنك ما نزلت بأكرم منهم، و قد قتلتمهم فما أبقيت منهم رجلا، حتى قتلت صبيا من صبيانهم و استبحت أموالهم و نساءهم فقال له: هو كما كتبت إليك، و لكن اليسع ما ألعنى لعقه عسل إلا و معها لعقه صبر، و أما هذا الصبى، فإنه جاءنى برسالة من عمه، أحمد بن المدرار جافية، فكانت هذه أول فضائحه و لها تفصيل طويل.

و سمي ابنه عبد الرحمن الحسن، ثم لما تمكن و ملك قال هو ابنى، و سماه محمدا، و كناه بأبى القاسم.

ولما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان وإفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رجله، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبذة، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك، وإنما أنكروا ذلك لأن أبا عبد الله هذا كان مقيما سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى المهدي الذي هو حجة الله ويزعم أنه صاحبه، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ويأكل الخشب، ويعددهم عن المهدي بمثل ذلك، فلهذا أنكروا وسألوا، فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه وكان معه أتباع كثير.

ثم إن أبا عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٥٩٩

و أبي عبد الله الحسن بن احمد بن زكريا الداعية، وأخيه أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا، وأبي زاكي تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب، استصفي أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة، و سماه القائم، فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله، ويهدم حصونه وقلاع، ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الاحوال والأموال، ويسلطهم على أهل الفضل، ويضع المكوس والضرائب، ويتوصل إلى ازالة النعم، والتصديق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه.

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم. وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين. وكان الشيعة ببغداد، مثل بني بسطام، و بنى أبي البغل، و آل الفرات، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب، وهو هناك يحيى الموتى ويقف على المقبرة فينادى الموتى فيقومون من قبورهم، وكان أبو الحسن محمد بن احمد النسفي صاحبهم بخراسان، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك، وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالري لأسفار بن شيرويه.

/ وكثرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها، وينفذ أمره فيها وأحكامه على أهلها في سنة ثلاثمائة للهجرة، وهو معنى ما جاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها، و كم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى أمير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب ويملك الأرض في سنة ثلاثمائة للهجرة، وأن هذا موجود في الملاحم.

و صدرت رسل بني بسطام وغيرهم من الشيعة إلى المغرب: بادر فإن

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٠

الأرض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر بالله، وهو صبي ونحن أجلسناه، وله اثنتا عشر سنة، وأولياؤه ومن حوله شيعته، من آل الفرات وآل بسطام وآل القاسم بن عبد الله وآل أبي البغل والكرخيين وآل نوبخت، فسير ابنه في سنة ثلاثمائة في عساكر عظيمة من البر والبحر، وعنده أنه يظهر على الأرض كلها بسبب ما تقدم ذكره، ولأجل من بخراسان والبحرين من أهل هذه الدعوة.

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنين وثلاثمائة، وإذا أبو سعيد الجنابي قد قتل بالبحرين وقد ظهرت الفضيحة بها، ولقيه بظاهر مصر القاسم بن سيما الفرغانى في سبعة آلاف فرد تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله إلى أبيه بالمغرب بالخبيئة والهزيمة، و ذهبت تلك الاموال، وجاءت جواسيسه إلى الشيعة المقدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من إطماعهم له وما كان من القاسم بن سيما الفرغانى، فاعتذروا إليه وقالوا له: ارجع، فرد ابنه في سنة سبع وثلاثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر، فنزل على مصر سنين متواليه، ونزل على عسكره في الماء ثمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركبا فهزمهم، فرجع إلى أبيه بالخبيئة والهزيمة، ثم رد العسكر إلى مصر. وقد قتل المقتدر، فرجع بالخبيئة والهزيمة. وكان مع هذه الحال يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد الفقهاء والعلماء، وقد كان بت دعواته فيها يدعو الناس إليه وإلى طاعته، و

يأخذون عليهم العهود، و يلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم و احتمال كل طبقه منهم، فمنهم من يلقون إليهم أنه المهدي ابن رسول الله و حجة الله على خلقه، و منهم من يلقى أنه رسول الله و حجة الله، و منهم من يلقى أنه الله الخالق الرازق، فكان إذا ضج الناس من هذا و ظهر منهم الانكار يأخذ

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠١

الدعاء، فمرة يجبس بعضهم، و مرة يقتلهم، و يقول: ما أمرت بهذا، و يقول الدعاء هو أمرنا و بأمره فعلنا، و له أن يمتحننا. و كان من جوره و كذبه و فضائحه ما يطول، فإنه مكث في ملكه نيفا و عشرين سنة.

و لما هلك، قام ابنه الذي قد تقدم ذكره مقامه، و تسمى بالقائم أمير المؤمنين، و زاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة، و جاهر بستم الأنبياء، فكان ينادى في أسواق إفريقية و المهدي و هي مدينة كان بناها أبوه و حصنها، فكان يقال: العنوا عائشة و بعلها، العنوا الغار و من حوى، و قتل الفقهاء و العلماء القتل الذريع، و استولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه، فإن بلدان المغرب واسعة عظيمة و هي تشبه بخراسان في السعة و كثرة الرجال و هي في يد عدة من الملوك، و كانوا «١» يقولون في هذا أنه هو الذي يظهر و يملك الأرض، و أنه هو الحجة و المهدي، و كتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ/ السابع و الناموس الأعظم، و هو سر الدعوة و حقيقتها، و بعثه على قتل المسلمين، و احراق المساجد و المصاحف، و كان قد كتب هذا في الكتاب في حياة أبيه، و كان أبوه في أول أمره يقول: إن هذا يتيم في حجري و هو علوي من ولد اسماعيل بن جعفر بن محمد، و كان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك فلما تمكن و فعل هذا قال: هذا ابني و هو علوي. و شرح ظلم هذا القائم و قسوته و فجوره يطول، و هو أكثر مما أتى أبوه.

و كان لهذا الذي يسمى بأمر المؤمنين القائم بن المهدي ابن يقال له القاسم، و كان قد تأدب و قال الشعر، و كان فارسا، فاستخلفه و نصّ عليه، و قال:

هذا القائم الامام الذي أمر باستخلافه عليكم، و هو القائم بعدى، فاسمعوا له و أطيعوا. فمات هذا القاسم في حياة أبيه، فكان يقال بالقيروان ما أكثر كذب هؤلاء المشاركة.

(١) في الأصل: «كان»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٢

و لكثرة ما كان من جور هذا و قتله للناس و استصفائه الأموال، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الأباضية يقال له أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه، و كان شيخا كبيرا ضعيفا لا يمكنه لضعفه أن يستمسك على فرس. فكان يركب حمارا، و كان له وزير يستشيره أعمى، فأنفذ إليه هذا الذي تسمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره و ردّه، و تسامح به الناس، و أنه ينكر المنكر، فاجتمعوا إليه و أتوه، و سار من الجبل إلى الأمصار، و لقيته العساكر فكسرها كلها، و دخل إفريقية، و أزال الظلم و المكوس، و ملك كل ما كان في أيدي هؤلاء القرامطة من أرض المغرب إلا المهدي، فإنه حاصرهم فيها، و الاسقلية و طرابلس من أرض المغرب. و مات هذا المتسمى بالقائم بن المهدي في الحصار و عرض له وسواس و زال عقله مما نزل به من الذل،/ و قتل الرجال، و زوال الملك، و جوع من بقى معه بالمهدي بالحصار.

و قام بعده ابنه أبو طاهر إسماعيل، و ضمن للناس تغيير سيرة أبيه و جده، و أنه لا يتعرض لدياناتهم، و حلف على ذلك، و أكد و شهد، و استعان بأبي الحسين بن عمار، فأشار عليه بهذه الأمور. و قد كان أبو يزيد مخلد بن كيداد ملك خمس سنين، و كثرت عساكره، فانتشر عليه أمره، و أظهر أصحابه دين الأباضية، فكرهه الناس و خرج أبو طاهر إسماعيل و حاربه و كبسه في صحراء و أخذه و سلمه و صلبه، و وفي للناس بما وعد، و عدل و أنصف و أخذ الدعاء الذين كانوا لهم فحلقت لحاهم، و نفاهم، و قال لأهل القيروان:

من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاقتلوه فإنى معكم ومن ورائكم. و أطلق المحدثين فى الحديث، و الناس فى إقامة التراويح، و أطلق الناس فى غزو الروم، و أذلّوهم، و أعزّ المسلمين و الثغور على يدى أبى القاسم ابن أبى الحسن بن عمار، و الثغور فى يد أولاده إلى هذه الغاية، و هم قوم تثبت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٣ مسلمون فيهم خير كثير، و الشرك مقموع بهم هناك، و لهم سيرة حسنة طويلة مذكورة.

و اشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم و يشردهم خوفا من أن يثور عليه تائر مثل أبى يزيد مخلد بن كيداد، و تقدم إسماعيل إلى الفقهاء بأن يتركوا له حلقة فى الجامع خاصة له يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد، فجلس فيها جماعة لا يختلطون بالفقهاء، و كانوا يتذاكرون فى حلقة ذكر أفلاطن و بطليموس و أرسطو، فقال الناس: هؤلاء ملحدة و زنادقة و أعداء الأنبياء فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر بن محمد، و إذا نية إسماعيل غير صافية فى الاسلام، و إنما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه/ و جدّه خوفا مما جرى.

و كان لإسماعيل أخ يقال له يوسف، و كان ينظر فى الكتب و يسأل العلماء، و كان فيه فضل، و كان يقول: إنا أولاد النبى و لا نعظم إلا أعداء الأنبياء من الفلاسفة، و دعائنا كل سفلة كذاب، ركاب لكل فاحشة، و لو كنا من أولاد الأنبياء و نحب الأنبياء ما كانت هذه حالنا، ثم يسمى الدعاء واحدا واحدا و يذكرهم بما فيهم، فقد كان فيهم أبو الأسود و كان ينكح بنته. و قصة يوسف هذا معروفة و مات بأحداهيه فى مصيره إلى مصر، و فيما أظن أن ولده بمصر إلى هذه الغاية. ثم إن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم معدّا و جعله وليّ عهده، و سماه بالمعز لدين [الله] «١». و مات إسماعيل فى سنة إحدى و أربعين و ثلاثمائة، و قام أبو تميم بعده، و سار سيرته، و رفق بالناس و تمكن، و وصفت له المغرب فما تحرك عليه أحد، و اتسع ملكه و جبي الأموال. ثم تغير و قرب الدعاء فقالوا: هذا هو المهديّ، و هو الذى يملك، و هو الشمس التى

(١) زيادة منى اقتضاها الكلام

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٤

تطلع من غربها. و اتفق أن الروم أخذت ثغور المسلمين من طرسوس و أذنة و المصيصة و عين زربة و غيرها فى أيامه، و احتوت عليها، فاشتد طمعه فى الاسلام، و سره المصائب التى نزلت بالمسلمين، و بلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطار سرورا بهذا و طغى و تجبر، و همّ بغزو مصر لأن فيها شيعة كثيرا، و إنما سلطانها خصى أسود مولى لموالى بنى العباس و قال: عقله عقل امرأة، و الذين معه من الجند أسوأ حالا منه، قد اعتادوا الترفه و الأكل و الشرب، و ليست لهم بالحرب عادة، و من بها من الشيعة يكاتبنا و يهون أمر هذا الخصى، و الثغور فقد ذهبت، و ما بقى للاسلام سلطان و لا ملك، و الديلم الذين بالعراق و الجبال شيعة لنا و من قبلنا. فكان يقول له من حوله مثل ولد أبى الحسين بن عمار و جعفر بن فلاح بن مرزوق، و محمد بن سليمان: يا أمير المؤمنين، مصر قد أفنت رجالكم و فرغت بيوت أموالكم، و قد طمع فيها آباؤك مرة بعد مرة فما تم ما أرادوا. و كان الدعاء يقولون: إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، و بيننا و بينكم الحجر الأسود، و ليس هذا كغيره، فإن لم نملك هذه الأرض كلها فكلما نقول لكم باطل. يعنون بالحجر الأسود كافورا الخصى الأسود أمير مصر.

فمات كافور فى سنة ست و خمسين و ثلاثمائة، و اختلف العسكر بمصر، و كان أميرهم ابن عبيد الله بن الإخشيد و كان شيعيا قد دخل فى الدعوة، و كان رخوا مخنثا، فقال له أبو جعفر بن نصر. أيها الأمير، أمير المؤمنين أبو تميم المعز لدين الله هو لك كالوالد، و الجند فقد طمعوا فيك، فإن شئت أن تدع الأمر له حتى يدبره لك، فإنه أبصر بتدبير الجند و أقدر، فقال:

إي و الله أريد الراحة منهم، و أقبل على أبى يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنبارى

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٥

فقال له: يا أبا يعقوب، قد جعل هؤلاء الجند في فؤادي كل دودة مثل هذه، وأشار إلى إصبغه، وأخذ ابن نصر كتابه إلى أبي تميم بذلك.

فأرسل أبو تميم صاحبه وهو عبد كان لهم من الروم يقال له جوهر، فخرج في مائة ألف فوافي مصر ودخلها بلا حرب ولا قتال ولا خلاف في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، واستولى على الكنوز وبيوت الأموال، وخرج أميرها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن الإخشيد فأقام بالرملة، فخرج إليهم جعفر بن فلاح في عسكره فكبسه وأنفذه/ إلى جوهر، فأنفذه إلى المغرب «١»، إلى أبي تميم. فلما حصل عنده أظهر له البشر والبشاشة وقال له: أنت ولدي ولحمي ودمي، وإنما أنفذت جوهرًا لنصرتك وطاعتك، والله يا بني ما حصل جوهر بقلشائه حتى لزمني عليه أربعة ألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار، وقلشائه هو منزل بالغرب من إفريقية. فطن ابن عبيد الله أن الأمر كما قال، ففعد يسعى بجوهر والقواد الذين استأمنوا إليه من المصريين، مثل تحرير الأزغلي، وتحرير شوزان، وشمول، وغيرهم من القواد والأمراء، وكان كل واحد منهم كقارون في الغنى، فكتب المعز إلى جوهر فقبض عليهم وغدر بهم أجمعين، وحملهم إلى المغرب وقبض نعمهم وكنوزهم. وحصلوا بالمغرب مع ابن عبيد الله بن الإخشيد فما يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية. ووافي أبو تميم معد بن اسماعيل مصر في سنة اثنين وستين وثلاثمائة.

وقد كان للقرامطة الذين بالأحساء عليه إتاوة وجزية يأخذونها منه عن أعماله وما في يده، فأخرها عنهم واستطال عليهم وعلى الناس كلهم بملكه مصر. وقال جوهر وقد ذكرت له قرامطة الأحساء والجزية التي لهم عليهم،

(١) في الأصل: «أنفذه»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٦

فقال: من هؤلاء الكلاب، الآن أنفذ كتامة إلى الأحساء فيشدون برادينهم على أبوابهم ويسبونهم.

واحتجب المعز بمصر، فكان لا يصل إليه إلا الواحد بعد الواحد من خواصه، وبث جواسيسه وعيونه وثقاته من الرجال والنساء في الناس يتعرفون له أخبارهم، من الجند والعامّة، ويأتون بها، ويلقون من الأراجيف في الناس ما يوصيهم به. وطال استنثاره حتى أرجف الناس بموته، وهو متوفر على التمتع والأغذية التي تشحّم وتسنّن، والأطربة التي تنقى البشرة وتحسن اللون والصورة. ثم ظهر للناس بعد مدة طويلة، وجلس لهم في حرير فائق رائق أخضر مذهب وعمامته منه، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت وهي تلمع كالكواكب، وأوهم أنه كان غائبًا في السماء، وأن الله رفعه إليه، وكان يتحدث بما كان يأتيه به أصحاب أخباره في حال استتاره، ويوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب، ويعرض بالجمل دون التفصيل، ويقول: قوم:

قالوا كذا، وقوم قالوا كذا، وقوم عزموا على كذا، وبث الجواسيس بالأراجيف بأنه كان في السماء وأن الله استتره ورفع له إليه، فامتألت قلوب العامّة والجهال منه، وظنوا ذلك، وأن كل ما يتوعد به ويعد به من تلك الأرض كلها حق.

ووافي العراق أبو عليّ الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنّابي من الأحساء في عسكر، والسلطان ببغداد أبو منصور بختيار بن معز الدولة، فسأله أبو عليّ هذا القرمطيّ أن يأخذ له عهدًا ولواء من الخليفة المطيع لله ولاية على مصر والشام، وقال لهم: أنا أعرف بهذا الممخرق أبي تميم منكم، وأعرف أصله وأبوتة ومخاريق عبد الله بن ميمون القدّاح وأولاده، وأن أبلغ به أقصى المغرب وأردّه من حيث جاء. فقال الخليفة المطيع لله لبختيار وقد سأله ذلك: لا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٧

أفعل هذا، هؤلاء كلهم قرامطة، هؤلاء قتلوا الحجاج بمكة، فإن تابوا من ذلك وبرئوا ممن فعله وتركوا التسمية بالسادة وليتهم، وإلا لم أفعل. فثقل على أبي عليّ هذا وكان يعترف بالتقصير وبريء من فعل إخوته وبنى عمه من من أبي سعيد وأبي طاهر وغيرهما

من آباءه و أخذ يعتذر لما صنعوا بمعاذير طويلة، و أنهم ما فعلوا ذلك عداوة للإسلام و لا خروجاً عن طاعة الخلفاء من بنى العباس، فما قبل / ذلك المطيع، و أقام على منعهم. و طال خضوع أبي عليّ هذا فما أجابهم المطيع، فأشار عليه بختار أو غيره بأن يذهب و يدعى أن المطيع قد ولاك، و قيل له: العسكر الذين معك جندك و أهلك و أصحابك و من مالك تنفق عليهم، و لست تطمع في أن يعطيك المطيع شيئاً من مال و لا جند، فقبل ذلك.

و ما كان رغبته في تقليد المطيع إلا لتقبله العامة بالشام و مصر، فلما لم يجبه المطيع إلى ذلك اتخذ هو لنفسه اعلاماً سوداً و رايات، و كتب عليها المطيع لله أمير المؤمنين، و تحته: السادة الراجعين إلى الحق، ثم سار إلى الشام. فلقى عساكر أبي تميم و واقعهم و قتلهم، و قتل أميرهم ابن فلاح، و قتل أصحابه، و استولى على الشام، و أقام الدعوة للمطيع و لخلفاء بين العباس، و أظهر تعظيمهم و وجوب طاعتهم، و أخذ في لعن أبي تميم، و ذكر آباءه واحداً واحداً، و أنهم ولد القداح، و أنهم ما كانوا قط إلا كذابين ممخرقين أعداء الإسلام، يذهبون مذاهب الزنادقة. و أبو تميم قد انحجز مع عساكره بمصر، و مع هذا فيبذل له من الجزية و الاتاوة أكثر مما «١» كان يأخذ قبل هذا، و الحسن هذا يقرأ كتبه على الناس و يبين فيها عيّه و مخاريقه، و بلغ بأبي تميم الخوف منه إلى أن حصن مدينته بمصر و هي التي يسمونها القاهرة، و شيد سورها و أوثقه،

(١) في الأصل: «ما».

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٨

و حفر خندقها و عمقه، و الحسن يبلغه ما ينادى به أبو تميم من فضائحهم تحريضا للناس عليه، فيقوم بالشام و ينادى بفضائحهم و عداوتهم للإسلام كما هو مذكور في كتبه و أشعاره فيهم.

و لكثرة ما قال و بين من ذلك، قال أبو بكر النابلسي / رئيس الفقهاء بالشام: جهاد هؤلاء أولى من جهاد الروم، و غزو هؤلاء أولى و أوجب من غزو الروم، إذ الروم أهل كتاب و هؤلاء كفار مشركون ليسوا أهل كتاب بل هم أعداء جميع الأنبياء و جميع الكتب التي أنزلها الله، و الروم لا تكتنم دينها بل تفضح بما تدعوا إليه، و هؤلاء يضمرون الشرك و يخدعون الناس بإظهار التشيع.

و سار الحسن هذا حتى نزل على خندق القاهرة و حاصر أبا تميم و أشرف على أخذه، فبذل أبو تميم الأموال لابن الجراح الطائي هذا الذي هو حنّ و هو كثير العشيرة، فغدر بالحسن هذا، و أخذ سواده من ورائه و شغله بنفسه، و أفسد تدبيره فانصرف عن الخندق و انهزم بمن معه، و لحق أبو تميم المنهزمين من أصحاب الحسن فأخذهم و أخذ أتباع العسكر و أهل السوق في العسكر، و أرسل إلى الشام و أخذ أبا بكر النابلسي الفقيه، و سأله عما بلغه عنه و ما أفتى فيه، فاعترف به و قال له ما هو أغلظ منه، فأمر بسلخه حياً فسلخ، و هذه عادة لهم في سلخ المسلمين أحياء، قد فعل ذلك سعيد و غيره، و أخذ من ظفر به من قرامطة الاحساء فأكرمهم و وصلهم و خلع عليهم و عاتبهم و ردهم مكرمين إلى الاحساء.

و ضمن أبو تميم لابن منجا القرمطي صاحب الحسن الأموال له خاصة إلى أن أصلح بينه و بين الحسن و بين أهل الاحساء فضمن ابن المنجا ذلك له، و كان

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٠٩

من الماسورين فأطلقه و أطلق غيره من الاسارى، فذهبوا و أصلحوا بينهم، و قبلوا الأموال و الأتاوة من أبي تميم و أجزاها لهم في كل سنة، فكفوا عنه، و أخذوها منه في حياته إلى أن مات، و أخذوها من ابنه هذا المتسمى بالعزيز، و هو نزار أبو المنصور بن معد، إلى أن حاصر الأصفر العقيلي / القرامطة بالاحساء و قتل من يخرج منهم، فهم إلى هذه الغاية ما يخرج لهم سرية خوفاً من الأصفر «١».

و بادر نزار بن أبي تميم هذا فهادى الاصفر بهدايا كثيرة نفيسة، و حمل إليه أموالاً عظيمة، و سأله أن يرسل إليه ثقة له، فأرسل الأصفر ابن أخته فأكرمه نزار الكرامة التامة، و حمل على سرج من ذهب، و قاد بين يديه الخيول، و أعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول

فى دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام. فممن الأصفر من ذلك رجل معه من أصحاب أبى حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابورى، فقال له:

لا تغتر بما يظهره نزار من أنه من المسلمين و أنه يدعو إلى الإسلام و إلى الحق، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالاحساء، و هم الأصل فى الفساد الذى وقع فى الإسلام، و خذ الاموال التى أعطوك فإنما هى هدايا أهدوها لك، و ابتداء وك بها. فأرسل الاصفر إلى نزار فى جواب الرسالة: إنى لست أجيبك إلى قبول ما بذلت من الاقطاع بالشام إلى أن أفرع من الاحساء و أهلها و أعرفك ما عندى. فيقال لهؤلاء الدعاء: قد تفرغتم لستم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أكثرتم الطعن فيما أتى به و التعجب من اتباعه و الاقامة على دينه، من غير أن تجدوا له كذبة أو عثرة أو زلة كما لم يجده أسلافكم من اعدائه قبلكم، و لو كان كما

(١) انظر الجزء الأول من الكتاب، الصفحة ١٠٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦١٠

تزعمون لافتضح كما تفتضحون فى كل طرفه عين فضائح لا تحصى لكثرتها، و لو اعملتم النظر و التفكير و التدبر لعلمتم صدقه و نبوته، و كان علمكم بذلك يزيد على علم غيركم، فإنكم مع تستركم فى ابتداء أمركم به صلى الله عليه، و إظهاركم الاعتصام بشريعته و الدعاء إلى المهدي من ولده، و مع أخذكم له العهود و المواثيق بستر ما يلقونه إلى الناس،/ و مع كونكم فى الاطراف و البوادي و معدن الجهل و الغافله من المغرب، و مع تجنبكم الفتناء و الأدباء و أهل البحث و النظر قد افتضحتم هذه الفضائح، فلو كان كاذبا و محتالا كما تقولون لكانت سيبله سييلكم.

قالوا: إذا حقت الحقائق و حصلنا مع من قد نظر و اعتبر اعترفنا بأننا مبطلون و محتالون، و أنا قد سخر منا حين دعينا، و سخرنا من الناس بالتشيع، و خدعناهم كما خدعنا و ما هاهنا إلا مبطل.

قلنا: أما أنتم فقد صدقتم عن أنفسكم و ثبتت فضائلكم، فهاتوا له «١» صلى الله عليه و سلم هفوة أو زلة أو كذبة حتى يكون فى مثل حالكم، فإنكم و من تقدمكم لا تجدون ذلك و لا تهتدون إليه.

فقال الزنجاني القاضى و هو رئيس من رؤسائهم و له أتباع، كتاب و رؤساء «٢» فأين الشعر الذى هجى به.

قيل له: فى الشعر الذى هجى به، الدعوى عليه بأنه كذاب و ساحر مثل

(١) فى الأصل: لهذا

(٢) يوجد هنا نقص فى العبارة، و لعله كلام سقط من الناسخ، و لما كانت هذه النسخة التى نعمل عليها هى الوحيدة المعروفة حتى الآن لم يكن هناك مجال لمعرفة نص هذا النقص، لكن تقديره أن الزنجاني احتج بأن الرسول قد وجهت إليه تهمة عن طريق شعر قيل فيه، و يرد القاضى على احتجاجه هذا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦١١

ما تدعى أنت و أمثالك عليه، و فى القرآن مما ادعوه عليه أكثر مما فى شعر أولئك الشعراء، من ادعائهم عليه أنه ساحر و كاهن، و أنه قد اكتتب أساطير الأولين و أعانه على ذلك قوم آخرون، و أحد لا يكون كاذبا بدعوى خصومه عليه كما لا يكون نبيا بدعوى أوليائه له، و إنما يكون نبيا بالحجة كما قدمنا و يكون كاذبا بأن يشار إلى أكاذيبه و حيله، و تذكر و تفصل كما أشرنا إلى أكاذيبكم و حيلكم و فضائلكم و بينها مفصلة.

و إنما أشرنا إلى هذا الزنجاني القاضى لأنه كبير فيهم، و من اتباعه زيد ابن رفاعه الكاتب، و أبو أحمد النهرجورى، و العوقى، و أبو محمد بن أبى البغل الكاتب المنجم، و هؤلاء بالبصرة أحياء و غيرهم فى غير البصرة.

و مما يلجئون إليه و يفرحون به و هو عندهم أكبر حجة لهم، قالوا: قلنا لأبي تميم: يا أمير المؤمنين: إن ابن رزام قد وقف على سر الدعوة و عرف أصولها، قال: أليس مع هذا قد صرنا جماعة و صارت لنا مقالة.

قالوا: فإذا كنا مبطلين و لنا من الحيل و الفضائح و الأكاذيب أكثر مما عرفه ابن رزام، و أكثر مما عرفه من بعده، و مع هذا فقد صرنا جماعة و صار لنا ملك و صار الخلق الكثير أتباعا لنا يدعون لنا المعجزات و الآيات و الدلالات و أن صاحبنا المهدي و حجة الله على خلقه و إن كان لا- أصل لذلك، فأمرنا من أدل الدليل على كذب كل من ادعى النبوة و أطاعه الناس و كانت له جماعة و مقالة و شريعة.

و قد قال أبو تميم مرة: لا يهولنكم ما صنعه ابن رزام، فما تحوى الأرض كلها مائتي إنسان يعرف ذلك، فاستغلوا بطلب الملك فإن الناس فى غفلة، فإذا ملكتم الناس قبلتم هؤلاء الذين يعرفون سرّ مقالتمكم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٢

قالوا: و هذا نزار يخطب له فى الحرمين و المواسم، و ينادى فى الحرمين أمير المؤمنين العزيز نزار صاحب الدلالات و العلامات و المعجزات، فلا ينكر ذلك منكر، و ما يعرف له من المعجزات إلا بيع الخمر و إقامة دور الزوانى و القوادين و نكاح الذكران و أخذ المكوس. فإن قلتنا: إن السيف أسكت الناس عن الإنكار، قلنا: و كذا حال من قبلنا من الذين ادّعيتهم لهم النبوة.

قيل لهم: مع كونكم قاهرين غالبين و تمام حيلكم على الناس لستم تخرجون من أن تكونوا مبطلين مفتضحين، و إن قل من يعرف فضائحكم، و لو لم يكن واحد من الناس كلهم اشتغل بطلب عيوبكم/ لما خرجتم من أن تكونوا مبطلين مفتضحين، حتى لو رام كل عاقل فى الأرض أن يعرف فضائحكم و كيف كان ابتداء أمركم لعرف ذلك، و لو طلبه لوجده و لأحاط به من أوله إلى آخره، فليس تمام حيلكم على من خدعتموه و سخرتم منه بجاعلكم من المحققين، و لو تمت حيلكم على أهل الأرض أجمعين، و لو أسكتهم خوفكم و سيفكم، و هو كما قال بعض الناصحين للملوكة الظالمين: إنكم إن قدرتم على ختم أفواه الرجال فلا قدرة لكم على أن تجعلوا القبيح حسنا. و إن غلبتم الناس على ذات أيديهم فلن تغلبوهم على عقولهم، فما أثمرت غلبتكم و تمام حيلكم و وصايا أبي تميم لكم إلا الويل الطويل و الخزى المقيم الذى يسكت أولكم و آخركم، و ما أنتم فى هذا إلا كمن خدع رجلا و عاهده و بذل له غليظ الأيمان أنه من أنصح الناس له، حتى وثق به و ائتمنه على نفسه و ماله. ثم وثب به فقتله و احتوى على نعمته، ثم أخذ يفتخر بما ملكه و احتوى عليه، فقيل له:

أنت و إن وصلت إلى هذا فلست تخرج من أن تكون كاذبا غادرا. و قولكم:

إن من ادّعى النبوة فى مثل حالنا فى الباطل، و قول رئيسكم: أفسد أمور الناس ثلاثة: راعى و طيب و جمّال و أغيظهم لنا الجمال «١» فإنه أفسد سائر

(١) جاء فى هامش الأصل «قول رئيس القرامطة أفسد أمور الناس ثلاثة»

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٣

الناس، يعنون بالراعى موسى، و بالطيب عيسى، و بالجمال محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فهل معكم إلا الدّعى و التكذب عليهم و الغيظ منهم.

و انظروا فى أمر هذا الذى غيظكم منه أشد، فعنده أقرب، و أعلامه أظهر و هو ما قد ذكرناه لكم من القرآن فيه أتم الحجة، و ما جاء مجيء القرآن فيه زيادة الحجة، فيجدون أول أمره كآخره، و ظاهره كباطنه، و سريره كعلائته، و كيف يفضح الله الطاعنين عليه من الأولين و الآخرين و لا- تزداد حجته إلا قوة و لا برهانه إلا إنارة. و انظروا فى أول أمركم و فى آخره، و فى ظاهره و باطنه، فإنكم تجدون ذلك فى غاية الفضيحة، فإنكم فى مبتدأ أمركم و ظاهره تدعون إليه و إلى التمسك بشريعته، و باطن أمركم خلاف ذلك،

فما لبثتم أن افتضحتم تلك الفضائح.

و بعد، فلو صدقتم الناس عن دعوتكم و كاشفتموهم بها، كما فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فيما دعا إليه و الأنبياء قبله، لما اتبعكم مسلم و لا يهودى و لا نصرانى و لا مجوسى، و لا كان يتبعكم من يقر بالربوبية، فأمركم أصدق شاهد فى سلامة النبوة من كل عيب، فتركتم هذا و قلمتم: دعونا منه و خذوا فيما تم لنا و فيمن خدعنا و ان افتضحنا، و نحن فما قلنا: إن أحدا لا تتم عليه حيلة و لا يسخر منه و لا يخدع، و ان المبطل لا يتبعه أحد. و كانوا قديما إذا وعدوا الناس سرعة خروج المهدي فأخلف ذلك عن ميقاته الذى ذكره قالوا لمن يستبطن ذلك و يسأل عنه، فيقول: ألم تقولوا لنا إن الفرج يكون فى هذه السنة و ما رأينا فرجا، فيقولون له: استغفر الله و تب إليه فهذا كفر، و يتلون قوله تعالى: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي (١)»

(١) الأعراف ١٨٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٤

و مثل قوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (١) فيتحير ذاك اليأس و فى عنقه أيمان قد قيدته عن الشكوى و لقاء العلماء و يخاف أيضا مما قد توعدوه به من أن جعفر بن محمد قال: من أفشى سرنا أذاقه الله حر الحديد فى الدنيا و النار فى الآخرة، و ربما قالوا قد سخط الله على أهل الأرض فبدا له من إظهاره/ فى الوقت الذى وعد أن يظهر فيه، و الله يؤخر المقدم و يقدم المؤخر. و جواباتهم تحسب ما يرون فى السائل من فطنة أو بلاهة أو فقر أو غنى، أو عز أو ذل، فيورون عن فضائحهم بألوان الحيل. فيقال لهم: قولكم آخر الله خروجه عن الوقت الذى وقته لذنوب العباد و لسخطه عليهم، كل هذا سخرية و فضيحة لكم، فإن الله عز و جل لا يعاقب عباده بإخلاف مواعيده و بكذب إخباره، و إذا قال الله إنه يفعل كذا و كذا فى وقت كذا و كذا، أو أن فلانا سيفعل كذا و كذا فى وقت كذا و كذا، فإن ذاك يكون كما أخبر و كما قال فى الوقت الذى قال لا يتأخر عن ذلك و لا يتقدم عليه، لأنه عز و جل عالم لنفسه لم يزل كذلك و لا يزال، يعلم ما سيكون قبل أن يكون و ما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون: و قولكم: هذا مما بدا لله فيه، فإنما يجوز البداء على المخلوقين، و على من لا يعلم العواقب، و أما علام الغيوب و من يعلم ما يكون قبل أن يكون، فلا تعرض له البدوات، و لكن الله عز و جل أبدى للعباد كذبكم و أظهر بهذا فضائحكم، فأحلتكم كذبكم على ربكم و برأتم منه أنفسكم.

[حول بعض الشكوك التى يطلقها الباطنية عن أحاديث الرسول ص و تعليق واسع حول التداوى و الأدوية و استعمالها]

و مما يسألون عنه، ما جاء فى الرواية من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ: «بيت لا تمر فيه جياح أهله». و هذا قصر مولانا العزيز ما فيه أحد يأكل التمر و لا يشتهي، و ما هم جياح بل شباع (٢) قلنا: قد علم هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ و أصحابه الذين قال لهم

(١) لقمان ٣٤

(٢) جاء فى هامش الأصل «تأويل قوله عليه السلام بيت لا تمر فيه جياح أهله»

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٥

هذا أن هاهنا أمما كثيرة لا تجد التمر و فيهم من لا يشتهي، و هم شباع، و إنما أراد بذلك أهل المدينة و أمثالهم من بلدان النخل، و القوم الذين هم أكلة التمر، و أقواتهم التمر، فحضهم على اتخاذ النخل لقوت عيالهم، و هذا من مسائل أهل الخيبة/ و الافلاس. و مما يسألون عنه، ما جاء فى الرواية من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ: «الشفاء فى لعقة عسل أو شرطه حجام أو آية من كتاب الله» و قوله: «الكمأة من المنّ و ماؤها شفاء للعين» فقالوا: نحن لو أطعمنا العسل المحموم و المبرسم أضررنا به و ربما قتلناه، و كذا صاحب

الصفراء، و لو حجمنا المغلوج و الملقو و صاحب الرطوبة لضره ذلك و أسقمه، قالوا: و قد يقرأ القرآن كله على العليل فلا يبرأ، و ربما مات، و لا يعرف الناس فى أدوية العين ما الكمأة.

قلنا «١»: ما قال النبي صلى الله عليه و سلم لا دواء إلا هذا و لا شفاء إلا فى هذا، و إنما قال:

فى هذا الشفاء، و قد صدق صلى الله عليه و سلم. فإن الناس يجدون فى العسل من الشفاء فى الأدوية و الأغذية و المطاعم ما يعم نفعه و لا يمكن دفعه، و فى الحجامه شفاء عظيم لخلق كثير، و لم يأمر صلى الله عليه و سلم بذلك فى كل مرض فيكون لقائل مقال، و قد قال صلى الله عليه و سلم: ما ذا فى الأمرين من الشفاء: الصبر و الشقاء. و ذكر صلى الله عليه و سلم الشفاء فى أشياء كثيرة من فواكه و نبات يطول شرحها، و نهى عن أكل أشياء كثيرة فى أمراض، و نهى الرمد عن أكل التمر، إلى غير ذلك مما جاء عنه صلى الله عليه و سلم مما يطول شرحه، و إن لم يكن معالجا طبييا فما وجد فى قوله مع كثرة ما قاله كذب، و قد علم هو صلى الله عليه و سلم و الذين قال لهم هذا الذى أراد، و أن الناس قد يتداوون بهذه الأشياء و مع هذا فيموتون و يهرمون، و على أن هذه الأدوية

(١) جاء فى هامش الأصل: «تأويل قوله صلى الله عليه و سلم: الشفاء، فى لعقه عسل أو شرطه حجام أو آية من كتاب الله، و قوله: الكمأة من المن و ماؤها شفاء للعين».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦١٦

لا تفعل الشفاء بل لا تفعل شيئا البتة لأن الفعل لا يكون إلا من الحى القادر و هذه الأدوية موات، و الشفاء لا يفعله إلا الله عز و جل، و قد يفعله بلا دواء و يفعل السقام مع التداوى، و لكنه/ عز و جل قد أجرى العادة بأن يفعل الشفاء عند التداوى فى بعض الأحوال و الأوقات دون بعض، كما قد يفعل النبات عند البذر و السقى و قد لا يفعله مع ذلك، و قد ينبت ما لا يحتره العباد و قد أجرى العادة بالشفاء من الأمراض المتفاوتة المتضادة بالدواء الواحد و هو القرآن فما كان للناس دواء فى القديم غيره، حتى لا يكاد يحصى من شفاه الله بذلك لكثيرهم، و لا يحصى عددهم إلا الله وحده، و كانوا يستحيون من الله أن يصفوا أمراضهم للأطباء و المخلوقين و إن كان فى ذلك رخصة، لأنهم قد علموا أن السقام و الشفاء من الله لا يفعله غيره و لا يقدر عليه سواه، فكانوا لا يشكون ذلك إلا إليه و لا يعرفون قارورة و لا ذكر طبيعة.

و لما مرض أبو بكر الصديق رضى الله عنه قيل له: أ لا ندعو لك طبيبا؟

فقال: لا الطبيب أمرضى. و لما مرض الربيع بن خيثم قيل له: أ لا شاورت طبيبا؟ فقال: قد أردت هذا، ثم ذكرت عادا و القرون الخالية و قد كان لهم أطباء فماتوا و مات الأطباء.

و قال الحسن: أدركت أقواما و الله ما كانوا يعرفون الهليلج و لا التليج «١» و هذا ماء زمزم و هو غليظ و هو لما شرب له، و لو جمع جميع من داواه المتطوبون فماتوا عن علاجهم لما كانوا أشطر من وهب الله له الشفاء من علته عند شرب ماء زمزم وحده.

و على أن ذلك الماء وحده يصلح للأمراض المتفاوتة المتضادة المختلفة، و هذا الذى ادّعينا فى القرآن و فى ماء زمزم هو ما كان عليه الصحابة فى الصدر الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، إلى تابعى التابعين و الذين بعدهم، يعرفه

(١) ثمران يستعملان فى العقاقير

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦١٧

كل من سمع أخبارهم و تصفح سيرهم، و خلق/ كثير على مثل طرائقهم فى بلدان الاسلام يستشفون بالقرآن و بماء زمزم من أمراض متفاوتة.

و ربما ادّعوا ذلك عند سماع كلامنا، فيقولون: الترياق الكثير قد نعطيه فى الأمراض المتفاوتة، و لو كان ذلك كما ادّعوا لكان أكد

لما قلنا، و لكن ما يكاد يوجد ذلك في أدويتهم و أخلاطهم كما وجد الناس ذلك في القرآن و في ماء زمزم. فأما قولهم ليس في أدوية العين ماء الكمأة فإن هذا قول من لا يعرف الربويية و لا العادة و لا الطب و لا الأطباء، فان أدوية الأمم مختلفة غير متفقهة، فطب الهند غير طب العرب، و طب الروم غير طب الفرس، و طب سكان المدن غير طب سكان القرى، و طب البوادي و سكان الجبال و بيوت الشعر و الوبر غير طب أهل القرى، و لحنين ابن إسحاق كتاب ذكر فيه أدوية كثيرة لا يعرفها بقراط و لا جالينوس و لا ذكرها، منها: الجدرى و الحصبة، و زعموا أنه لا يعرفها، حتى قال ابن زكريا الرازى: يشبه أن يكون قد عرفها. فإنه قال: العدس جيد لغليان الدم، فليل له: كذا تظن أنت يا ابن زكريا. فإن قيل: مثل هذه الأمراض الهائلة العامة الشاملة حتى لا يكاد ينجو منها إنسان إلا القليل، و حتى صارت تعرض لبعض البهائم، و هي خطيرة، لا تقتصر من جالينوس و بقراط و طب الروم و اليونانيين على هذا المقدار مع كثرة كلام جالينوس في كتبه في صفة الأمراض و المرض و من داواه. و كثير من بلدان خراسان يتداون من الحميات الحادة باللحمان و بالشواء و الاسفيداج و هو الشفاء عندهم، و أهل هراة/ و قاين و ما إلى ذلك، «١»

(١) قاين: بلد بين نيسابور و أصبهان، و هراة: من أمهات مدن خراسان معجم البلدان

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٨

يتداون من الحميات بتدويب الألية و الشحوم و يتحسونه حارا و يستشفون به، و أهل نيسابور يتخذون من وراثهم في الحميات بالسمن، و أهل طبرستان يتداون من الأمراض بالثوم في الشتاء و الصيف و يقولون: هو في الشتاء حار و في الصيف بارد، و أهل جبال فارس يتداون من الحميات بالفراخ و لا يتدافعون انها باردة.

و حتى أن كثيرا من الادوية تنفع حيناً ثم لا تنفع بعد ذلك بل يكون داء قاتلا، لا لشيء أكثر من انهم وجدوه كذلك. ألا ترى أن جالينوس كان يعالج المقروحين و من في صدره قرحة السعال و حمى الدق بالفلفل و الزنجبيل و ما أشبه ذلك، و هذا عند غيره، و في هذا الزمان، و في هذه الأمراض من الادواء القاتلة.

و لقد عرض ببغداد في زمن موسى بن سنان، و إبراهيم بن بكس أبو ابن بكس هذا الضرير الطيب، و الحسن اليهودى و أمثالهم من حذاق المتطببين ببغداد و هي إذ ذاك أعمر ما كانت، و هؤلاء القوم على البيمارستانات و خدمة الملوك، فعرض القفّاع و كثر، فقال موسى بن سنان لإبراهيم بن بكس خذ يا أبا إسحاق الى ساعورك من هؤلاء المقفعين مائة و تقاسموهم، فقال ابن بكس فرجعت في علاجهم إلى أدوية جالينوس و أوصافه، فما داويت أحدا منهم إلا مات، و ما زالت الجنائز حتى مات منهم ستون، فكففت عن علاج الباقي و هم أربعون، فما مات منهم أحد.

و الكتاب المعروف بالميمر لجالينوس و هو سيفه و تجاربه الذى كان يداوى به المرضى، لا يقربه المتطببون و لا يداونون أحدا به، و كذا الكثير من كتبه «١»

(١) مكررة في الأصل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦١٩

و قد كان أبو الحسن بن زهرون الصابى الحرانى واحد الطب ببغداد و رئيسه يتسقط جالينوس في صناعة الطب و يستجهله لما ذكرنا من علاجه. و كان أبو الحسن بن / نفيس و هو أحد رؤساء المتطببين. (و هو أستاذ ابن بكس هذا) «١».

يعتذر هو و غيره لجالينوس بأن الادوية ما تجرى على سنن واحد، و أنها قد تنفع في أمراض بعينها في زمن من الأزمان ثم تضر في تلك الأمراض في زمن آخر.

و كانوا يقولون: اعتبروا بما وجدنا في سنى نيف و ثلاثين و ثلاثمائة لما حدث القحط و الغلاء ببغداد، و عدم أكثر الناس الاقوات و صاروا مرضى مطرّحين على الطرقات لا دواء لهم و لا غذاء، و نحن نتردد إلى المياسير و الملوك نداويهم و نصف لهم التفاح الشامى و البنفسج و يجدونه و يتداونون بما نصف لهم، و لهم من يمرضهم و يخدمهم فيموتون و يبرأ الكثير من أولئك الذين على الطرقات. و اختلاف الأدوية كاختلاف الأغذية، ألا- ترى أن أجناس الانعام و ذوات الحوافر تغتذى بالاحطاب و الأتبان و الحشائش المرة الكرهة القاتلة لحيوان آخر من الانس و بالنوى، فيصير هذا الحطب و غيره شحما و لحما و لبنا.

و السمك و الخنازير و الدجاج و كثير من الحيوان يأكل القذرة و يخلق الله بذلك فى أجوافها شحما و لحما و لبنا، و النعام يغتذى بالحصا و النار و الحديد و يحمى له سيخ الحديد فيبلعها فتذوب فى قوائمه و يخلق الله من ذلك شحما و لحما و بيضا و يدرق الثفل مثل الماء الجارى، و الطيبى يغتذى بالحنظل و يشرب ماء البحر، و الأرانب تغتذى بالأيهل و هو سمّ قاتل، و السقمونيا ترعاه البهائم

(١) فى الأصل: «و هو أستاذ هذا ابن بكس»

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٠

و الاقنيمون الأقریطشى ترعاه البهائم و تحيا به و البيش تأكله البهائم التى هى على هيئة الفأر و هى معروفة به، و كل هذه سموم قاتلة لحيوان الانس، و الحيات يأكلها قوم، و يأكلها الأيل و القنفذ و السنور و غير هذا من الحيوان،/ و لا ينكر اختلاف الأغذية و الأدوية إلا جاهل.

على أن الطب ليس بعلم، و إنما هو شىء وجد بالتجارب، ثم لا- تدوم تلك التجارب و لا تمضى على طريقة واحدة، بل تختلف اختلافا كثيرا متفاوتا كما قد رأيت و سمعت، و ذلك من آيات الله و دلائل توحيده و إنما أجرى به عز و جل العادات و لا يديمه على طريقة واحدة بل يزيد فيه و ينقص منه و يجعله فى وقت و لا يجعله فى آخر، حراسة للحق، و لئلا يلتبس الدليل بما ليس بدليل، لأنه عز و جل لا يفعل الجهل و الضلال.

و قولنا فى الطب ليس بعلم لأن كان علما لا- يتغير قطّ، كالعلم بأن الفعل لا يكون إلا من فاعل، و لا بد من أن يكون قبل الفعل، و يكون حيا قادرا، و إن كان فعله منسقا محكما فلا بد أن يكون عالما.

و لهذا يقول حذاق الطب: إذا قيل لهم فى مريض قد أجمعوا على دوائه بدواء معين، فيقال لهم: إن سقيناه هذا يعافى و لا بد؟ قالوا: لا ندرى.

قيل لهم: فإن لم نسقه يموت لا محالة؟ قالوا: لا ندرى، و نحن فقد يطيعنا القليل فنداويه و نرى أمارات الصلاح فيه ثم يرد من زيادة المرض ما لا نحسبه، و قد يعصينا و نرى أمارات الهلاك و يرد من العافية ما لا نحسبه.

هذا معروف مذکور فى كتبهم، و لسنا مع ذلك نهى عن التداوى، بل سبيل كل أحد أن يرجع إلى الله عز و جل و يستشفى بالقرآن و بماء زمزم و بالصدقة فمن شاء أن يقتصر على ذلك فعل، ثم إن كانت له عادة بالتداوى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢١

تداوى بعد أن يقدم ما ذكرنا، فقد جاءت الرخصة بالتداوى بما يحل من الشريعة لأنه قد جاء فى الأثر: «ما جعل الله شفاء كم فيما حرّم عليكم،» (١) و جاء: «عود بدنا ما اعتاد» (٢).

ثم ليس إلى السلامة/ سبيل و إن دامت الصحة، و قد قال صلى الله عليه و سلم الله كفانا بالسلامة داء، و هذه كلمة قصيرة كثيرة المعانى، فإن الانسان و إن دامت صحته فهو معها يهرم و يبلى و يتغير و إن كان طبيبا حاذقا مقتدرا، و كان أبو عثمان عمرو عبيد كثيرا ينشد قول القائل:

يهوى البقاء فان مدّ البقاء له و صادفت نفسه فيه أمانها

أبقا البقاء له في نفسه شغلاما يرى من تصارييف البلى فيها و قال آخر:

إذا مات المعالج من سقام فأحرى بالمعالج أن يموتا و قال آخر:

يعيش راعى الضأن فى جهله عيشة جالينوس فى طبه و ربما كان راعى الضأن فى جهله أدموم صحة و جلدا و بقاء من جالينوس و من حذاق الأطباء، و أنت تجد هذا عيانا من الرعاة و الملاحين و الزبالين و أشباههم، و قل ما يوجد طبيبا حاذقا سليما من الأمراض، هذا أبو الحسن بن بكس عرض له الرمد و أبوه حى و بالغ فى علاجه، فذهبت احدى عينيه، ثم طب و حذق و زادت صناعته و ذهبت الأخرى بعد ذلك، و المعروف بالتلميذ،

(١) جاء فى هامش الأصل من حديث ابن مسعود، و روى مرفوعا من حديث له.

(٢) جاء فى هامش الأصل تعليقا على هذا: «هذا من كلام الطبيب الحارث بن كلدة: و من رفعه إلى رسول الله خطأ».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٢

به فتق و غيره من الأمراض، و ابن سابور قد عرضت له فى خصيته أذرة قد أثقلته لا يمكنه أن يركب، و سنان الصابغ أكثر أسقاما، و تلميذه أبو عبد الله بن المعلم ها أنت تشاهده أصفر سقيما قد نهكته البواسير، و ابن المهزول و أبوه طبيب حاذق مات و ما بلغ ثلاثين سنة، و ابن بنت أبى الحسن ابن بكس امرأة أبى الحسين الطبيب عرض لها مرض أشب ما كانت، و أبوها طبيب، و زوجها طبيب، و عمها طبيب، و حموها طبيب، قد اجمعوا على علاجها فماتت بأسرع من ذاك.

و هذا بيت بنى زهرون/ الصابئين و محلهم فى الطب و العلم بصنعتة المحل العظيم، و لهم من القيام على أنفسهم و المراعاة للطب و توفيته حقه، و هم خلق كثير و منزلتهم فى الجانب الشرقى من سوقه عباسه، و أمراضهم و أسقامهم تكاد تزيد على أمراض الجهال الفقراء الذين تقل مبالاتهم بالحياة و الصحة، و أكثرهم يموتون فى الشباب و الكهولة، و يقل فيهم من تعلق سنة و يهرم، و الذى بلغ منهم نيفا و ثمانين سنة هو أبو الحسن بن هرون أبو أبى الخطاب، و ابنه أبو الخطاب دفنه شابا فى حياته، و هذا أبو الحسن بن أبى الخطاب يحيا و هو شاب و به مرض عظيم، و هؤلاء حذاق الطب و أبناء الحذاق.

و لم تعيرهم بالأمراض فإنها من فعل الله و مما يتلى به عباده، و لكن ذكرنا هذا للاعتبار و التنبيه على آيات الله عز و جل و هو المبتلى و المعافى، و لأن أكثر هؤلاء الأطباء يعتقدون أن الأدوية تفعل، و لها طبائع تفعل الصحة، و تنفى الأمراض، و غير ذلك من الجهالات، و ينكرون النبوات، و يكذبون الأنبياء و يستجهلون المسلمين و أهل الشرائع، و ينكرون الربوبية و البعث و النشور، و عندهم من الحمق و الجهل و العجب ما لا يبالون بمن قتلوا من المرضى و أسقموا من الأصحاء، و يقولون فى أنفسهم و فيما بينهم إن التقينا فاقتصوا منا كيف

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٣

شتم، و إلى غير ذلك من جهلهم و حمقهم و إرصادهم للمسلمين بما يطول شرحه.

و قد عرفت حال من تقدم فى زمانك من أسلافهم و تجريدهم فى الإلحاد مثل قسطا بن لوقا، و حنين بن إسحاق، و ابنه إسحاق، و أشباههم. و قد عرفت مكاشفة ابن زكريا الرازى، فهذا كان نصرانيا بن نصرانى، يتستر بالنصرانية و يذهب مذاهب الملحدة، ثم أظهر الإسلام و تسمى/ بمحمد، و كان اسمه يوحنا. و إنما فعل ذلك مكيدة للإسلام، و كان يقول: محال أن يقدر الله أن يخلق الانسان من غير تناسل و يكمل له عقله و قوته ضربة، و أنه لو قدر على ذلك لفعله و لم يفعله كما نرى حالا بعد حال، و ليس ما يشاهده العقلاء من خروج الفروج من بيضته كاسيا كاسبا غنيا عن أبيه و أمه و عن أمثاله، و خروج فرخ الوز سابحا لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه العقلاء من المعلمين للسباحة، و ما بينه النحل، و ينسجه العنكبوت و دود القز، و كل هذا ضربة واحدة، و قد تقدم لك ذكر أمثاله فى المصباح.

و نسى ما خلقه الله ضربة واحدة من السموات والأرضين والجبال، و من بياض القطن والطيور والخيل، و ما خلق الله ألوانه ضربة واحدة، و كذا طعومه و أرائحه، فإنه كان ينكر القدرة على خلق العنب و أمثاله ضربة، و كان يقول:
لا بد من أن يكون أولا- حصرما أخضر، ثم بدت فيه بعد ذلك الحلاوة الحلاوة و السواد. و كان يقول في الشيب: إنه من تعفن الرطوبات في أصول الشعر، فيقال له: الخيول و الطيور و غيرها من المخلوقات بيضاء ضربة و لا رطوبة.
و كان يقول: ليس لله نعمة في خلقهم، و ما خلق الله من الصحة و الاسماع و الأبصار و القول و الجلد و الشهوات و ما يجدونه من اللذات، و يقول: هؤلاء

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٢٤

الذين اعتقدوا هذا جهال حمير لا يميزون، و إنما الذي يجدونه من اللذة راحة من ألم فيهم و وجع يعتر بهم، كالذي يجد من الراحة من أثقله بوله و غائطه حين يضعه، و كالذي يستريح بحك جربه و يضع المرهم على شجته و جرحه.
و كل عاقل في الدنيا يفرق بين ما يلتذ به و بين ما يتداوى به من جرحه، و يتمنى بقاء ما فيه من شهوة و شباب و جلد و يحرص على اجتلابه،/ و يأسا على ما فاته منه، و يبكي و ينوح على ما فاته منه كما يبكي على فقد أحبابه، و لذهاب سمعه و بصره، و يتمنى رد ذلك عليه، و يستوصف الأطباء ما يقوى الشهوة و يعيدها و هو لا يتمنى الجرب ليحتك، و لا القروح و الجراح ليتداوى، و لا أثقال الغائط و البول له ليقعد لإخراجه. و هذا من الجهل الواضح الذي يعرف بالحس، و العجب أن لابن زكريا في مواضع من كتبه في الطب أبوابا في حفظ الشهوة و الصحة و الشباب و الجلد و القوة، و يوصى بذلك أتم الوصايا.
ثم فهم ينسون المشاهدات، و يدفعون الضرورات، و قد شغلهم الغيظ على من جعل هذه نعمة من الله و وعد بأمثالها في الجنة، و يدعون لأنفسهم و لمن أطاعهم في ظنهم أنهم يبرونه و يديمون صحته و جلده، و حالهم و حال الملوك الذين استطوبهم و أطاعوهم ما قد عرفه الناس.

و بنزار هذا الذي زعم أنه العزيز و فرعون مصر ظهرت بثره في مشط قدمه قد أظنته و نعتت عيشه و قد جمع لها حذاق الأطباء، و بذل لهم الرغائب، و هم حوله و معه لا يفارقونه، و هم آثر الناس و أوجبهم عنده، و ما يزداد مرضه إلا قوة، و هو جلد و سيم جسيم.
و قد كان سلطان بلخ عرض له مرض فوصف له ابن زكريا الرازي ما رغبه حتى رحل إليه، فاقترح على هذا السلطان مسألة أبي القاسم البلخي رحمه الله عليه إجابته عما يسأله، ففعل السلطان ذلك، و ألزم أبا القاسم هذا فأجابته،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٢٥

ثم قال لابن زكريا: قبل كل شيء فما رأيت أحق منك، فقال له ابن زكريا: ليس هذا من خلقك و أنت موصوف بالحلم و حسن الأدب، فقال له أبو القاسم رحمه الله: أنا أبين لك ذلك، أنت رجل تنكر ما يقوله المسلمون و أهل الشرائع/ في الربوبية و النبوات و تراه جهلا، و هم يرون ما أنت فيه كفرا يحل دم من ذهب إليه و رآه، و أنت بينهم و هم معك و حولك في ألوف فراسخ، و أنت تبدى ذلك و تناظر فيه و لست تحسب الأجر و الثواب في المعاد و لا- في العاجل على ذلك لأنك لا ترى بالمعاد و الجزاء، فهذه واحدة. و أخرى، أنك تدعى صحة الكيمياء، و أنك تجعل الحجر و المدر ذهبا و فضة، و لك في ذلك كتب تنكر على من أنكرك ذلك و كذب به، و مع هذا فقد خاصمتك امرأتك في نفقتها و نفقة ولد لك و أحوجتها إلى أن رفعتك إلى الحكام ليفرضوا عليك كما يفعل ذلك بأفقر الناس و أقلهم حيلة، فهذه ثانية. و أخرى، أن ينصرك من الضعف، و يعينك من المرض اللازم ما هو بين، و أنت تدعى علم الطبائع و لك حذق في الطب و التقدم فيه و الازراء على من تقدمك من الأطباء، كابن ماسويه و غيره، و على أطباء أهل زمانك، فكان من عذر الرازي في سقم بصره حبه الباقلاء و كثرة أكله له، و أنه يفضل على اللوز، و أنه أطيب منه، ثم من بعد هذا نزل الماء في عيني الرازي هذا و عمى، و كان يجيء بمن يقدرح الماء منه و يجيء بمن عمى من نزول الماء في عينه فيستوصفهم كيف عموا، و متى نزل الماء في أعينهم، و ما كانت أغذيتهم، و يجيء بمن يقدرح الماء من عيونهم عنده و يدبرهم على

أحوط ما يكون في ذلك ليحرب و ينظر كيف الأثر في ذلك. و كد و بذل و جمع الأطباء فما رجع عليه بصره، و مات أعمى. و قد كان يعرض له من وجع أذنه ما يقلق القلق العظيم، و يمنعه النوم و القرار، و يتداوى بكل ما ذكره المتطببون في ذلك و هو على كل حال/ يتقدم في صنعة الطب،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٦

كثير الكتب و المقالات في ذلك، حتى دخلت امرأة على امرأته و رأت ما به من القلق، فسألت امرأته عن ذلك فقالت: من وجع أذنه، فقالت المرأة الداخلة:

هذا و هو طيب، و قد سمعت أن الخنفساء الميتة إذا أغليت مع دهن الورد و قطر في الأذن من ذلك الدهن منع من وجع الأذن، فقالت له امرأته ذلك، فقال: افعلوا و بادروا لعله ينفعني، ففعلوا و قطروا في أذنه فزعم أنه نفعه.

و مثل هذا من الأدوية يحكيه جالينوس كثيرا أنه استفاده من القوابل و من الأكره و من الملاحين، و كم قد عرض لحذاق الطب من الأمراض التي لا- تظهر، و كم هي فيهم و بأى أمراض ماتوا، فنعوذ بالله من الذهاب عن الله و من التوكل على غير الله، و إنما ذكرنا هذا لكثرة دعاوى هؤلاء الجهال.

و كم قد بقى الناس و هم لا يعرفون الفصد، و كانوا أطول أعمارا و أصح أجساما، و الروم لا تعرف اليوم لا الفصد و لا الحجامة، و لا الدواء المسهل و لا القيء، و لا تتداوى بشيء من ذلك، هذا الغالب عليهم، و أجسامهم صحيحة و صحتهم و جلدهم متصل حتى يقال إن أكثرهم إنما مرضهم مرض موته، و لو أراد المسلمون أن يستغنوا عن الأطباء بمعرفة صنعة الطب لفعلوا، و كان مطلب ذلك و الوقوف عليه أقرب و أيسر من معرفة اللغة و النحو و العروض، و هو أن يقرأ شيئا «١» من كتبهم، و طول مشاهدة المرضى، و لو تكلف هذا من قد عرف صنعة الكلام، و أن الفعل لا يكون من الجماد و لا من الموات، و لا يقع إلا من الحي القادر، و أن هذه الأدوية إنما هي بمجرى العادة، و أنه قد يكون و لا يكون، و ينفع و لا ينفع، و أراح المسلمين من هؤلاء/ الأطباء فإنهم جهال بالأصول، و الغالب عليهم الالحاد و القسوة و قلة

(١) في الأصل: شرا

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٧

المبالاة، و من كان منهم يظهر المجوسية فليس بمجوسى، أو يظهر النصرانية فليس بنصرانى، أو يظهر اليهودية فليس بيهودى، أو يظهر الإسلام فليس بمسلم، هذا الغالب عليهم، و كذا وجدهم من خاطهم و بحث عنهم، فما أحوج الناس إلى من يجعل الطب في أمناء المسلمين الأتقياء، فإنها أمانة عظيمة، و إن كان ليس في البقاء مطمع، و لا إلى السلامة سبيل، و لكن يتخلص المرضى من تعذيب الملحدين لهم، و ممن يتمنى الاسقام ليأخذ أموالهم و تسؤه صحتهم و سلامتهم، فما في الأرض أعظم من دوام صحة الناس من هؤلاء الأطباء، لما في ذلك من الاستغناء عنهم، و على أن الناس ممن هو طيب نصرانى و ليس بملحد في مكاره و كذا الصيدلانى و بائع الدواء إذا كان ذلك.

و قد كان الشيخ أبو عبد الله الحسن بن على البصرى رحمه الله «١» يذكر عن ثقته حدثه أن قوما من النصارى قالوا لعبد الله غلام إسرائيل الصيدلانى النصرانى، و كان في المخرم في الجانب الشرقى ببغداد، أن فلانا يؤذى النصارى و منك يشتري الأدوية فأكفيناه، فقال: أفل.

و أبو الحسن بن كعب الأنصارى أحد علماء المسلمين، و كان صديقا للشيخ أبى بكر أحمد بن على الرازى رحمهما الله، و كان بينه و بين الصابئين المتطبين خصومة في صنيعه، فدسوا إلى طبيبه و أعطوه مجمعا للمباضع ففصده و أشار بالفصد عليه فقتله.

و ذكر الشيخ أبو عبد الله عن حنون المتطب و كان صديقه و صديق أبى الحسن الكرخى رحمه الله، و حنون هذا، هو أبو أبى الطيب

المؤمل هذ الذى يحيا و أسلم.

(١) هو شيخ قاضى القضاء عبد الجبار الهمدانى توفى حوالى سنة ٣٦٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٨

/ قال حنون قال لى المروزى الطيب و كان أستاذى: يا حنون، اذهب إلى فلان فقل له: عنى ينبغى أن تفصد، و افصده و لا تكثر فضولك، قال:

فذهبت و أبلغت الرجل هذا فقبل و فصدته و رجعت إليه، و قلت له: ما كان به حاجة إلى الفصد، فقال لى: كذا هو، و لكن كان لى عليه وظيفة من دراهم يحملها لى، و قد قطعها عنى، فأردت أن يحتاج إلى فقصدت إسقامه بالفصد. و أما أبو هاشم بن أبى على رحمهما الله «١»، فقتله أبو حسن اليهودى المتطبب لاعتراضه و نقضه لكتب أرسطاطالس، و كان جاره يؤنسه و يخالطه و يريه المحبة، فشكى إليه يوما شيئا يجده، فقال: المصلحة أن تفصد، فركن إلى قوله، و استدعى حسن أخاه موسى ففصده، فلما خرج الدم، قال له أبو هاشم هذا دم جيد صافى فلم تخرجه، فقال له موسى هو جيد الكيفية إلا أنه كثير الكمية، فمرض أبو هاشم عقيب ذلك و مات.

و كان حسن هذا ظاهر اليهودية و هو ملحد، و كان أحد أطباء الملوك ببغداد. أما موسى هذا، فذكر عنه أحد تلاميذه أنه دخل على عليل و سأله عن خبره فأخبره بما يتداوى به و بما يغتذى به فقال له موسى من أشار عليك بهذا قال فلان الطيب، قال: نعم ما أشار عليك، و قام و خرج و ركب، قال تلميذه و هو يعقوب بن يوحنا هذا الواسطى، منزله الجانب الشرقى فى دار الروم و فى درب البصرى، فلما ركب موسى مشيت مع البغل و جاريته فى أصل ذلك المرض من غير أن أشير إلى العليل، و استفتيته فى أدويته فأفتانى بضد ما كان ذكر له ذلك المريض، فقلت له فهذا/ العليل هذا مرضه و قد أخطأ

(١) أبو هاشم هو عبد السلام الجبائى المعتزلى المشهور و يعرف أتباعه بالبهشمية و قد تأثر به قاضى القضاء كثيرا، حتى أنه يعتبر ممثلا لمدرسته فى كثير من الأمور.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٢٩

عليه طبيبه و استصوبته أنت قال: نعم على عمد، قلت له: [قلت] «١» و لم؟ قال: عليك بين طبيبين اقتل حتى يمر.

و كم لهم مثل هذا و لقد قال طيب لسلطان كبير و هو موفق بن المتوكل، و كان جسيما و سيما أكولا، و هناك من يكره حياته، فأكل يوما ألبانا كثيرة فى ألوان كثيرة، قال طبيبه و أنا واقف و هو يأكل و لا أنهاء و أقول فى نفسى هذا يفلج اليوم، لأنه زمن و يأكل هذا لا محالة، فإن لم يفلج، فالطب باطل. فلما أكل و فرغ دخل الخيش و نام فيه، و صرت إلى منزلى، فلما كان بعد قليل سمعت قعقة بغل البريد فقيل لى: أجب الأمير، فقلت فى نفسى:

فلج لا محالة فركبت و حثيته؛ فإذا هو فى حمى عظيمة مطبقة دموية، فاحتاج أن يفصد من يديه و يخرج من الدم أربعمائه درهم، فكان ذلك بالصد من صناعة الطب و قوانينه.

و من تدبر وجد العجائب من آيات الله فى كل شىء، و خيانات هؤلاء كثيرة، و قد أساء إلى نفسه من استعملهم فى الطب و الجراح و ائتمنهم. و هذه الصفة مما ذكرنا أن هذه الصنعة ليست بعلم و إنما هى تجارب بحسب ما أجرى الله العادة.

و فى الأفاعى ما يلسع بعضها بعضا فيموت الملسوع، و تلسع بعض الناس فتموت الأفاعى و لا ينال الملسوع مكروها، و قد تلسع الإبل و القنفذ و السنور و ابن عرس و غيرها فلا تضر، هذا عام فى الحيوانات، فأما فى الإنسان فنادر.

و زعم الكندى المتطبب «٢»، أن الخليفة المعتصم استدعاه قال فقال لى من

(١) كذا في الأصل، و هي زائدة

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي من أوائل الذين كتبوا في الفلسفة و الطب عند العرب

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣٠

تكون: قلت: أنا يعقوب ابن إسحاق الكندي، فقال لي: عندنا إنسان يرسل عليه الأفاعى فإذا لسعته ماتت و لم يضره، و أنا أحب أن تشاهد ذلك. قال:

فأتى برجل طوال نحيف أسمر خلاسى، ثم دعا بسلال الأفاعى فقال: يا فتى نرسلها عليك؟ فقال: على اسم الله، رسمى قبله. فأقبل على المعتمصم و قال:

رسمه علينا أن نطعمه الكباب و نسقيه النبيذ و تعطيه ديناراً، أحسبه قال على كل أفعى. قال: ففعلوا ذلك، و أرسلوا عليه الأفاعى فأى أفعى لسعته ماتت مكانها و هو كأنشط ما يكون، فقال لى المعتمصم: ما عندك فى هذا؟ فقلت:

أنظر فيه و أعاود الفكر و أعرف أمير المؤمنين، قال الكندي: و قد عمل رسالته فى هذا الباب، فعدت إلى المعتمصم فأخبرته أن هذه الأفعى قد طال مكثها و قد ضعف سمها و شربت الماء، فهات الأفاعى التى ما شربت الماء قال الكندي: فجىء بها و أرسلت عليه فمات.

و هذه غفلة من الكندي، هب الأمر كما قال و سمها قد بطل أصلاً فما السبب أنها تموت إذا لسعت، و قد كان ينبغي أن تجرب هذه الأفاعى فى غير هذا الرجل، فإن لم تضر أحداً غيره فقد أصاب الكندي.

و عقارب الفاطول «١» يموت بعضها من لسع بعض و لا تموت عن لسعها غير العقارب، و من عجب العقارب أنها تلسع الأفعى فتموت الأفعى، و قد تلسع أكثر الناس فلا تموت، و العقرب التى يحدث من لسعها الموت على غاية ضعف الخلق، و لعلها أن تكون أضعف من العنكبوت الصغير و أبرتها كالشعرة، و هى توجد بالبندنجين «٢» و برامهرمز و بعسكر مكرم من كور الأهواز، و الأطباء يرجعون فى التداوى من لسعها إلى أهل تلك البلدان، فيقولون لهم:

(١) لعلها: الناقلين، انظر معجم البلدان، الجزء الخامس

(٢) انظر معجم البلدان الجزء الأول

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣١

بأى شىء جرت عادتك بالتداوى من هذه العقارب، فيذكر شيوخهم و عجائزهم للأطباء، فيعلمونهم و يكتبونه فى كتبهم. و عقارب (١) قتالته، و ثم عقارب كبار تضرب القمقم و غيره فتحرقه بإبرتها و لا يكاد يموت أحد من لسعتها، بل ربما ماتت هى، و كل ذلك من آيات الله عز و جل. و فى الحيوان من يعرض له عند لسع العقارب البرد و الخدر، و منهم من يعرض له الحمى و الالتهاب. و لقد لسعت العقرب رجلاً مفلوجاً فذهب عنه الفالج، و هى مشهورة ذكرها الأطباء فى كتبهم. و كم يجدون فى تجاربهم و ما يحدث على الأيام مما ليس فى كتب المتطببين و لافى تجاربهم بل هو بالضد مما كتبه فيكتبونه و يخلدونه و كل ذلك من آيات الله، و يزيدك علماً أن الطب تجارب، و شىء قد أجرى الله به العادة لقوم خلاف قوم، ثم لا يستمر كما قد تقدم لك بيانه. و من الناس من يأكل العقارب و الحيات.

و هذا الكندي هو أحد الملحده الذين ظاهرهم الاسلام، و هو كوفى، و كان أحد المياسير، فأنفق أمواله كلها «٢» فى مكاره الاسلام و فى الطعن على الأنبياء أجمعين، و له رسالته يدعى فيها أن سبب المد و الجزر إنما هو زيادة القمر، و فى الأرض بحار كثيرة ليس فيها من المد و الجزر ما فى بحر فارس، و كلها تحت السماء، و على جميعها يطلع القمر. و كم لهذا الكندي من الجهالات كما لابن زكريا

الرازي في الخواص و الكيمياء، فاطلب كتبه في الكيمياء وقف عليها و ما يحكيه عن نفسه و غيره، لتعرف غباء أعداء الاسلام و كذبهم و فضائحهم.

و الرازي يزعم أنه خرج إلى ملك بخارى ليعالجه و أن الثلج منعه في طريقه

(١) كلمة ممحيه من الأصل

(٢) في الأصل: «كله» و لعل الأصح ما أثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣٢

من الاجتياز، فنزل على رجل كبير واسع النعمة، و كان له ابن قد أضناه المرض فطال عليه فصار كالخيال لطول الضنا، قال / فأرانيه و شاورني فيه، فلم يكن له دواء و لا فيه رمق، فيئست منه و أمرت بمداراته و الرفق به لقرب أجله، و خرجت إلى بخارى و أقمت طويلا، ثم عدت فنزلت عليه، و إذا بحضرته فتى ذكي حرك ظريف فأعجبني ذكاؤه و حركته، فسألته عنه، فقال: هذا هو العليل الذي كنت رأيته، فاشتد تعجبي، فقلت، كيف كان؟ و بأي شيء داوئتموه؟ فقال: ضاق صدره و اشتد ضجره، فقال لامرأة كانت ربتة قد حمل إليها يوما سكباج: أطمعيني، فأبت و بقي السكباج في الدار مكشوبا «١»، فأقبلت حيه فأكلت ما في الصفحة ثم قذفته في الصفحة و تقاياته، فمشى الغلام الى الصفحة فشرب ما فيها و أكله ليقبل المرض و لعله يستريح، ثم أن المرأة جاءت و رأت الصفحة فهتت تأكل ما بقي فيها فنهاها الغلام، و أخبرها الخبر فأرمت «٢» القصعة ثم عرض للغلام عرق و ألقى من جلده كالنمشاء ثم أفاق و قام، و هذا كما ترى، فقال الرازي: أنا ما يدريني أن في دارك حيه عمرها خمسة آلاف سنة.

فانظر إلى كذبه و قلته تحصيله و قلته حياته و تحزره مما يتحرز منه العقلاء فيها، أنه لا يعلم ان الأمر كما أخبر الغلام و إن غلب الظن على صدقه، و أخرى أنه لو كان يعرف أن دواء هذا العليل في قيه حيه عمرها خمسة آلاف سنة لو صفه لهم لما رأى العليل، و أخرى إخباره بعمرها كأنه قد حصل ذلك و اضطر إلى العلم به، و ما يدريه لعل عمرها ثلاث سنين و لشبابها نفع سمها و لو كانت هرمه لما انتفع، فهو لا ينفصل من الدعاوى، و هذا من جنس قولهم: إن

(١) في الأصل «مكشوف»

(٢) كذا في الأصل

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣٣

أفعى و لغت في خمر و قذفته/ في وعائه، و أن رجلا مجذوما «١» شربه فبرئ، و هو سبب إيجادهم أقراص الأفاعى. فإن كانوا صادقين فهذا من الجنس الذي أخبرنا عنه من آيات الله في إجراء العادة و ما تقدم من ذكر ذلك.

و يحيى بن خالد صاحب مربعة الأحنف يذكر أن العقارب لسعت أصحاب «٢» ضروب من الحمايا فافاقوا.

و يحيى بن خالد هذا [كان] «٣» طبيبا حاذقا مأمونا معروفا بالصدق، و كان يعالج و لا يتكسب بصناعة الطب، و يحفظ له الناس من اللطائف و حسن التأنى شيئا كثيرا.

و كم تجد منهم من يصف الدواء للليل و هو حريص على برئه فيقول له:

إن قبلت رأيي و شربت هذا الدواء و فصدت عوفيت من ساعتك، فيطبعه فيموت. فإن قيل له في ذلك أخذ في التخريج و الدعاوى،

و إذا قيل للعقلاء منهم: ما السبب أن الإنسان إذا صب عليه الماء الحار بؤله؟ قال: نريد عللا مشدودة بخصوص إن أردتها ذكرناها.

و كذا قيل لهم ما السبب المثير للعطش عند أكل السمك و اللبن و الباقلاء و هذه كلها باردة رطبة بطبع الماء، و ما السبب في انقطاع

العطش عند أكل الثوم و هو حار يابس و العطشان يدخل الحمام فينقطع عطشه و يدخله الريان فيحدث له العطش، فأما الجاهل

الملحد المعاند فيأخذ في البهت والكذب والدعوى الباطلة.

(١) في الأصل: «مجدوم»

(٢) في الأصل: «صاحب»

(٣) زيادة منى على الأصل تقتضيها صحة العبارة

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٣٤

و من جنایاتهم انهم يرسمون في الطب و المدخل الى الطب الكذب الذي ليس من الطب بسبيل، كمسائل حنين في المدخل إلى الطب، أن أجسام هذه الحيوانات مركبة من الهواء/ و هو حار رطب، و العقلاء كلهم إذا أرادوا أن يبردوا شيئاً أو يجففونه أبرزوه للهواء، ثم يقول: و من الأرض و هي باردة يابسة، و الأرض جسم من الأجسام تجوز عليه الحرارة و البرودة و كذا الماء و كذا النار يجوزان يغلبها الله و يخلقها شجرا و مدرا و ثلجا و يخرجها من أن تكون نارا، و حنين لا يدري أمن هذه الأشياء خلق الله السماء و غيرها من الأجسام أم من شيء آخر أم من لا شيء، كما خلق النار لا من نار و لا من شيء، و كما خلق الماء لا من ماء و لا من شيء، و كما خلق الأرض لا من أرض و لا من شيء، و كما خلق الشمس لا من شمس، و كذا القمر و الكواكب خلقها لا من كواكب و لا من شيء، و قد خلق السماء من دخان كما خلق كثيرا من الحيوان من الماء، و إنما فعل ذلك عز و جل ليعتبر العقلاء من الملائكة و الانس و الجن، و لو شاء أن يخلق كل ذلك لا من شيء لفعل كما خلق ما قدمنا ذكره و ما لم يذكره لا من شيء و لا لشيء.

أما ترى الإنسان المدبر المصنوع كيف يفعل الاصوات و الحركات و التأليف و الإرادات و الاعتقادات و السكون لا من شيء، فيكتب و يا بنى و يصوغ و يخيط و ينسج و غير ذلك من أفعاله لا من شيء، فكيف للقديم الأزلي سبحانه و تعالى الحي القادر العالم الحكيم الغني عن كل شيء الذي لم يزل و لا يزال. على أنه عز و جل. إن كان قد خلق الرمان و التفاح و السفرجل و أشباه ذلك من النار و الماء و الهواء و الأرض أو من الكواكب و السماء فهو أبداع من خلق أعيانها لا من شيء، و أدل على القدرة و سعة العلم، و لكن نحتاج في هذا إلى خبر منه عز و جل.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٣٥

فإن قالوا وجدنا في هذه/ الاجسام ماء و رطوبة، قلنا: غير منكر أن يخلق الماء الذي فيها لا من هذا الماء كما خلق هذا الماء لا من ماء بل خلقه لا من شيء.

و إذا قيل لهم زعمتم أن الهواء حار رطب فتبردون البارد بالحار، و زعمتم أن الصفراء حارة يابسة و العقلاء يجدونها رطبة سيالة يطفأ بها النار، قالوا:

إنما قلنا الهواء حار رطب و الصفراء حارة يابسة بالطبع قلنا: فهذا طبع و قول يكذبه الحس و اللمس، و هذا كما قيل لابن عبد الوهاب الكاتب و كان قصيرا معجبا: أنت و إن كنت عند الناس قصيرا فأنت في الحكومة و الطبيعة و الحقيقة و عند الله طويل، و على أن القول: من أي شيء خلق الله عز و جل هذه الاجسام؟ ليس من الطب بسبيل بل هو مشغلة عن الطب؛ و قد فطن لهذا حذاق الأطباء فانصرفوا عنه و توفروا على معرفة العادات و التجارب، و على أن فرط الجهل و الحيرة تحمل هؤلاء على الكلام في مثل هذا، و لفرط غيظهم من الأنبياء و المسلمين لقولهم: إن الله خلق الأشياء لا من شيء، و اخترعها بغير شيء.

و أنت تجدهم يغتاظون من تحريم الخمر و الأنبذة و لحم الخنزير، يشيرون بذلك على المرضى، فإن وجدوا مسلما يتوقى شرب الأنبذة كلها قالوا: الأنبذة من دوائك، و أهل العراق يبيحون لك. و إن وجدوا من يترخص و يأخذ بقول أبي حنيفة في الأنبذة، ذموا عنده التمر و ما يكون من التمر، فإن وجدوه يشرب مطبوخ العنب و يتوقى ما سواه قالوا: ليس المطبوخ بشيء و إنما الشفاء في الذي لم تمسه النار، و لذا قال جالينوس: و بها تعجن الأدوية، كل هذا عداوة/ لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و يذكرون عن أفلاطن أنه

قال: ما دخل جوف ابن آدم شيء شَرَّ من الماء.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٣٦

و كان أبو جعفر المنصور وجد مرضا، فذكر له طبيب بجنديسابور فأحضره، فمكث في داره زمانا و أقام فيها لعلاجه، فلما طعم طلب من الخدم خمرًا، فقالوا له: ما في هذا القصر خمر ولا شيء من الأنبذة و لا لك إلى هذا، سبيل فقال: أنا رجل ذمى و أستحله و به أحفظ صحتي، و ما شربت ماء مذ كذا و كذا خوفا من شره، و أنا أخشى إن عدت الخمر أن أمرض و أموت، فقيل له: ما شاء فليصبك مالك إلى هذا سبيل، فشرب الماء على كره فلما أصبح أخذ قارورته فإذا هي كما كانت و هو يشرب الخمر، فاشتد تعجبه و ذكر ذلك لإخوانه.

و عندهم أن الحرارة الغريزية تقوى بشرب الخمر و تضعف بشرب الماء، حتى قال قائل منهم: و الله ما حرم نبي العرب الخمر و الأشربة على أتباعه إلا لفضل عقله، فإن الأنبذة المسكرة مضره بالعقل جدًا محيلة له و كذا الغناء، و ما شيء أفضل من العقل، فكل ما أضر به و أثر فيه فخبث ردىء، و قد وجد في العسل و غيره ما ينوب عن الخمر و سائر الأنبذة في إسخان المزاج و تعديل الطبع مع سلامة العقل، فجناية الأشربة المسكرة في تغيير العقل أعظم الجنايات و أكبر الأمراض، و ليس الطبيب من داوى مرضا بدواء أعقب مرضا هو أعظم منه.

قال فأما ما يحدث لشارب السكر و سامع الغناء من الطرب و سرور النفس و التزاقه و الخفة فما هو إلا لنقصان عقله و لا فضله لها و لا خير منها، فنبى العرب أطب الأطباء و أفطن العقلاء، هذا قول من كان له عدوا و مكذبا.

و قد ذكر الناس / فضل عقول أكله التمر و لحم الجزور على أكله لحم الخنزير بما هو مذكور في غير هذا الموضع، و الناس يعاينون حياة الحيوان و النبات بوجود الماء و تلفهم مع عدمه، و لا يغنيهم عنه خمر و لا غيره، بل تزيد الخمر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٣٧

في بلائهم، و هم، يذمون النخلة، و خيرات الدنيا مقسومة بين النخلة و النعجة و التمور من الأغذية الشريفة النافعة التي يحيا بها الحيوان الأنس و غيره.

و في التمر مع اللذة بأكله إخراج التعب و راحة للمكدود، و الملاحون يسمونه لأجل هذا مسامير الركب، و لما قيل للأعرابي: صف النخلة قال:

جذعها بناء و كربها صلاء و سعفها ضياء و ثمرها غداء، و مقدار النعمة بالنخلة يضيق هذا المكان عنه و عن شرحه، و لأبي عثمان عمرو بن بحر رحمه الله «١» كتاب في فضيلة النخلة على كل نبات، و هو كتاب كبير حسن جدا، و جهل هؤلاء عظيم و جناياتهم لا تستقال، و لعل من قد قتلوه بأدويتهم مع حسن نيتهم فيه و حرصهم على يرئه أكثر ممن أفاق عند علاجهم، و كم فيهم من قد غلط في نفسه و أولاده و أهله بعلاج هذا لحذاقهم فضلا عن المبتدئين.

و لهم إصابات في الحميات إذا ابتدأت و كم تلبث و متى تنصرف و كم دور يكون و بأى شيء يكون بحرانها، إما بالعرق أو بالرعا أو بالقىء أو بالبول أو بغير ذلك، هذا يعرفونه بالتجربة، و يغلب في العادة، و قد لا يكون.

كما يعرف الملاحون الرياح متى تسقط و كم تلبث، يعرفون هذا في البحار و في الأودية و يعرفون أزمانه كما يعرفون أوقات المدّ و أزمان زيادته، و أوقات الجزر، و ينتظرون ذلك،/ و كما تعرف القوابل غيره من الحمل، و ذكر هو أو أنثى، و كم تلد أمه بعده من ذكر و أنثى مما يتفق لهن فيه إصابات حسنة، و كل هذه عادات و تجارب. فإن قيل: فإذا كان الدواء و السم لا يقتل، فلم تدمون الساقى لذلك و الشارب له؟ قلنا: نذمه و نؤثمه على ما حدث من فعله من الشرب و الإسقاء، و ان كان ما يحدث من الموت من فعل الله، لأن الله

(١) يقصد أبا عثمان الجاحظ

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣٨

أجرى العادة بفعل الموت عند ذلك، و نذمه كما يذم من إلقاء غيره إلى السباع، و كما يذم من سعى بالناس إلى الولاة و دل على أموالهم و إن لم يأخذه الولاة و لا أكلهم السباع، لأن الغالب من ولاة الجور أخذ الأموال و من السباع الأكل، كذا الغالب فيما أجرى الله به العادة: الموت عند شرب الدواء المسموم و السم، فليس لأحد أن يفعل ذلك، و كذلك لا تلم الساقى و لا الشارب إذا تناول ما جرت العادة بالسلامة معه و إن حدث عقيب الموت، ألا ترى من أطعم غيره طعاما لذيذا ينفعه به فمرض عقيب ذلك و مات لم نلمه لأن الغالب فى العادة السلامة.

و نلوم من سقى غيره سما قاتلا- فعوفى و انتفع بذلك أتم منفعة، فإننا نلومه و نضلله و نؤثمه، و الرجوع فى جميع ذلك إلى غالب العادة.

فان قيل: فلم ابيتم أن يقع الفعل من الجماد و الموات بالطبع، قلنا: لو وقع الفعل بأى وجه كان من الجماد و الموات و من ليس بحى و لا قادر لكان لا اعتبار بأن يكون الفاعل حيا قادرا، و لا حاجة بالفعل إلى أن يكون فاعله حيا قادرا، و لوجد البناء و الكتابة/ و الصياغة و غير ذلك من الانسان و إن جهل و إن عجز و إن اجتهد فى أن لا يقع ذلك منه و ان مات، فلما لم يقع ذلك منه و هو ميت، و قد علمت و تيقنت أن الفعل لا يقع إلا من الحى القادر، و إن كان متسقا محكما ففاعله لا بد عالم.

و لو وقعت الافعال من الجماد و الموات بالطبع أو بغير ذلك، لوقع من الحجارة و السحر و الماء و النار و الهواء و غير ذلك البناء و الصباغة و النجارة و الكتابة على أن هذه الأشياء كلها دون ما أضافوه إلى الأدوية و السموم من الأفعال، لأن الموت و الحياة و العافية و السقم أعظم من الخياطة و الكتابة و جميع ما ذكرنا، و العجب لجهل هؤلاء إجازتهم وقوع الحياة و الموت و الصحة و السقم من الجماد

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٣٩

بالطبع و لا يقع منها كتابة ثلاثة أسطر و لا نساجة بارية طولها ثلاثة أذرع.

فإن قيل: إنكم قد دفعتم الضرورة بقولكم إن الفعل لا يقع من الجماد و الموات فنحن نجد الشبع يأكل الخنزير و يزول معه الجوع، و كذا الرى عند شرب الماء و كل هذا معلوم باضطرار.

قيل له: المعلوم باضطرار زوال الجوع بأكل الخبز و العطش بشرب الماء، هذا لا ينكر و لا ينكره عاقل، فأما من ادعى أن الفعل للخبز و الماء، و أنه قد علم ذلك باضطرار، فقد ركب جهلا، لأن الحى الناطق العاقل المستطيع ليس يعلم ما يقع منه من الكتابة و البناء أن فعله باضطرار، و إنما يعلم ذلك باستدلال.

ألا ترى أن العقلاء يختلفون فى ذلك، فيقول المنجمون ان من وقع منه الوفاء و العدل فذلك من فعل / المشتري، و من وقع منه الجور و الغدر فذلك من فعل المريخ فيه، و يقسمون الأفعال كلها على ذلك، و يجعلونها لغير من ظهرت منه.

و كذا تقول المنانية، فتجعل ذلك للنور و الظلام، و يقولون آخرون إنه لحملة الفلك و الكواكب فى حيوان الأرض، و يقول المجبرة: إنه من فعل الله فيهم، فإذا كان فعل الحى القادر العالم ليس يعلم أنه هو الفاعل له باضطرار، فكيف صرتم أنتم تعلمون باضطرار أن الاحراق فعل النار، و الشبع فعل الخبز، و الذى فعل الماء و العافية فعل الدواء بالضرورة، و هذا قول من لم يعرف فعلا و لا فاعلا قط. و ان كان حكم النار مخالفا لحكم الدواء و الخبز و الماء، لأن النار قد خلق الله فيها الحرارة و الاعتماد سعدا، فهى إله للعباد فى الاحراق و التقطيع،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٤٠

و الانسان المثير لها هو المحرق بها لا هى، كما أن القاتل بالسهم الذى يرميه و ينفذه فى المقتول هو القاتل لا السهم، و كذا الضارب

بالسيف والقاتل به هو المفرق لأجزاء المقتول بالسيف لا السيف، وكذا القاتل بالحجر هو القاتل به لا الحجر.

وقد قال أبو هاشم وغيره: إن العاقل يعلم باضطراب أن الجماد لا يقع منها فعل ولا تفعل، كما يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر، وإن كان ماني القس الذي تقدم ذكره يقول إنها تسمع وتبصر وتحس.

ولكن لما وقع الاسهال عقيب شرب بعض الأشياء ظن هذا الجاهل أن ذاك فعل الدواء، كما ظن هذا عند صوت الخشبة إذا شقت ونشرت أن ذاك صحيح منها لتألمها، فاحتجنا أن ننبه على فرط جهلهم، وإن كان الأمر في الوضوح كما قال أبو هاشم/ وهم في هذا كمن قال للبيضة فعل الديك، والحيوان فعل أبيه، لأن ذلك يؤخذ عقيب سفاد هذه الفحولة، كما أن الاسهال يكون عقيب شرب الدواء.

فإن قالوا: فقد يكون السفاد ولا يكون الولد وقد يكون ولا يكون، قيل له: وقد يكون الاسهال عقيب الدواء وقد لا يكون، حتى أن الطبيب يعطى لمن بدنه مملوء بالصفراء دواء ليسهله عشر مجالس فقد لا يسهله، وقد يريد يسهله مجلس واحد، وربما جاءه عشرة مجالس، وربما أسهله مائة، وقد وجدنا الحنظال والسقمونيا يأكلها كبير الحيوان فلا يقتلها ولا يسهلهما. بل يغذوها ويحييها كما قد تقدم شرح ذلك.

وكذا قال أبو علي رحمه الله للفلكيين والمنجمين حين قالوا: إن النبات فعل الشمس لأننا نجدتها إذا طلعت على الأرض ظهر نباتها، فقال لهم: ولم

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤١

إذا كان ذلك وجب أن يكون هذا الفعل وهذا الأثر للشمس، ثم قال: وقد تطلع على جميع الأرض والجبال وأكثرها لا ينبت شيئاً، وقد تغيب الشمس عن الأرض مثل مقدار طلوعها عليها من الزمان، فلم وجب أن يكون هذا الأثر لطلوعها دون أن يكون لغيابها، والنبات بحاله.

وقال لهم: قد يحرث الحراث الأرض في وقت الحرث ويسوق إليها الماء ويلقى لها السماد والتراب بحسب حاجتها فتنبت وتربح عند هذا الفعل منه، ومتى لم تحرث ولم تبذر ولم يسق الماء إليها لم تنبت قليلاً ولا كثيراً وإن طلعت عليه الشمس والقمر والكواكب، فلو جعلتم هذا الانبات والرياح فعلاً للفلاح الحراث كان أشبه/ وأقرب من جعله فعلاً للشمس لأن الحراث حتى قادر عالم، ولو كانت الشمس حية قادرة عالمه فإن النبات والرياح يجدونه عند فعل الحراث لا عند طلوع الشمس. فكيف والشمس والقمر والكواكب جماد وموات، والعلم بأنها جماد وموات، كالعلم بأن الغيم والبرق والماء والرياح والنار والذهب والياقوت والزجاج جماد وموات.

وماني يدعى في أجسام السماء والأرض كلها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها بأنها سميعه بصيرة حساسة دراكه، ولا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى لشعاع الشمس والقمر كذلك، وأنه كاتب وخطيب، وإنما ذكرنا هذا لتعجب من جهله و جهل أتباعه ومن قال بقوله.

فإن قيل: فلم لا قلتم: إن النبات والرياح فعل الحراث كما ألزمتوه مخالفكم؟ قيل له: لو كان ذلك فعله لفعله في كل وقت و لبت في كل وقت ولجاء على ما يدبره من القوة والكثرة، فلما لم يكن كذلك علمت، أنه ليس يفعله وإنما هو شيء قد أجرى الله العادة به عند حرث الحراث وعند طلوع الشمس وقد لا يكون كما قد تقدم ذكر ذلك.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤٢

و كان مما يسأل عنه هؤلاء الدعاة الذين قدمنا ذكرهم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صوموا تصحوا» قالوا «١»: «فها هنا من يصوم فيسقم وربما تلف، قيل لهم: هذا القول قاله لمن يصلح بالصوم ويحتاج إلى الصوم، وقد عقل المخاطبون ذلك عنه، ألا ترى أنه قال لهم بأن المسافر والمريض والهزم لا صيام عليه، وأن الفرض يسقط عنه، وهكذا شرع وبين، فتلا عليهم ما أوحى إليه ربه عز وجل/.

و كان مما يسألون عنه، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سافروا تغنموا» و «بورك لأمتي في بكورها» قالوا: وقد وجدنا من يسافر فلا يغنم و من يبكر فربما سلب أو قتل «٢»، قيل لهم: قد مضى الجواب في مثل هذا، و هو أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بذلك من يحتاج إليه ليفعله على الوجه الذي يغلب على عقله أنه يسلم و ينتفع، ألا ترى أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر بذلك المرضى و الزمنى و لا في الأوقات المحرقة، بل قد نهى عن ذلك و تلا- عليهم الوحي قوله عز و جل: «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» «٣» و قوله «وَأَحْذَرُوا حِذْرَكُمْ» «٤» فقد عقل أولئك الذين خاطبهم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراده في ذلك، و أنه ما أمر بذلك في كل حال، و إن كان هناك مطر مانع أو برد أو حر أو عدو مخوف، و قد نهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ركوب البحر و عن كل ما فيه غرر و خطر، حتى جاء عنه أن من يأت على سطح غير محجر فقد برئت منه الذمة، و أن من ركب البحر عند هيجانه فقد برئت منه الذمة.

و مما يطيعون عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «لو أهديت إليّ ذراع لقبلت، و لو دعيت إلى كراع لاجبت» قالوا: فهذا تعرّض بالناس و رغبة في أموالهم و حيلة على

(١) جاء في هامش الكتاب «تأويل قوله عليه السلام: صوموا تصحوا»

(٢) جاء في الهامش: تأويل قوله عليه السلام: «سافروا تغنموا»

(٣) البقرة ١٩٥

(٤) النساء ١٠٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤٣

على ما في أيديهم، أي هاتوا لي شيئا و أهدوا لي شيئا و اطعموني شيئا، قيل لهم:

إن نزاهته و ترفعه شيء معلوم من انه صلى الله عليه ملك جزيرة العرب و هي أوسع من جزيرة الروم، و هي من شجر عمان إلى أوائل الشام في الطول و في «١»

منهم عظيم الشأن، و هي الآن باقية فا «٢» ...

/ و حازه و جى له و حمل ما له إليه، فحرم نفسه و أزواجه و أهل بيته من ذلك كله و بذله و وهبه للناس كما تقدم شرحه لك في غير موضع من كتابك هذا.

و المعلوم من سيرته انه كان يكافئ المهدي بأضعاف هديته، و المنصف لا ينصرف عن الأمر المعلوم المتيقن باللفظ المحتمل، فكيف و هذا القول منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآداب الشريفة و الوصايا الكريمة، و نهى منه عن احتقار الفقراء و المساكين، و أنه يجب على الأغنياء أن يقبلوا منهم ما يهدونه إليهم و إن كان حقيرا قليلا و أن يجيبوهم إذا دعوهم في ولائهم، و إن قل ذلك، و أن يظهره لذلك البشاشة و المسرة و الطلاقة، و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إياكم و التكلف، و إذا حضر عند أحدكم زائر فلا يتكلف له ما ليس عنده، و بئسما لأحدكم أن يتكلف ما ليس عنده، و بئسما له أن يحتقر ما عنده، و بئسما لأحدكم أن يحضر عند أخيه فيحتقر ما يقدمه إليه.» «٣» و هذا معروف من وصاياه، و قد أخذه عنه أصحابه، فلهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل دعاه في وليمة شرط أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك، و لا تؤخر عنا ما

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٣) في هامش الأصل «قال عليه السلام: إياكم و التكلف و إذا حضر عند أحدكم زائر فلا يتكلف له ما ليس عنده.»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤٤

عندك. و لهذا قدم سلمان الفارسي رحمه الله لزواره خبزا و ملحاً جريشا و قال لهم: كلوا فهذا الذي حضر، و لو لا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهانا عن التكلف لتكلفنا، و كان سلمان أميراً في ثلاثين الفا من قبل عمر بن الخطاب «١».

..... في باب الدين و الدنيا مريحة من بلايا عظيمة «٢»

قد يحمله ذلك على اغتصاب أموال الناس / و على احتقار الفقراء فيوقعه في كل ما يكره من تنغيص العيش و الكد في العاجل و العذاب الآجل، و لو أخذت في شرح قدر المنفعة بهذه الوصية لطال به الكتاب، فكم فيها من نفى الكبر الذي لا يليق بالإنسان، و هو المعطب له و الجالب عليه مقت الله و مقت عباده، و هو المعرض لزوال نعمته، و هذا من تواضعه صلى الله عليه و من بركاته على العالمين بوصاياه الشريفة النافعة في الدين و الدنيا، التي قد ذهب الناس عنها يمينا و شمالا، و لو طلبوها و استعملوها لأغنتهم و أعانتهم على الدين و الدنيا.

و قد جمع أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري رحمه الله عليه ألف وصية فاطلها و اكتبها، فهذا من المحاسن التي قد ظنها هؤلاء أنها من المساوي و لكن الخيبة و الافلاس أحوجهم إلى ذلك حين لم يجدوا فيه صلى الله عليه و سلم مطعنا.

و كذا طعنوا في قول أبي بكر الصديق حين أراد أن يستخلف عمر و قال له طلحة أو غيره: ما تقول لربك و قد استخلفت علينا فظا غليظا؟ فقال:

أ برى تخوفنى؟ إذا سألتى قلت له: استخلفت عليهم خيرهم و أنفعهم لهم و أحرصهم على رشدهم و أقواهم عليهم، فقال هؤلاء الطاعنون: هذا تجبر

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٤٥

و تكبر منه و ليس كما ظنوا، و لكن هذا قول واثق بالحجة مدل بالحق، و هذا نظير ما قال الله لرسوله صلى الله عليه و سلم أن يقوله لأعدائه: «قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ» «١» و نظيره قول هود عليه السلام لقومه «٢»

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه لك «٣»

/ سقط علي.

و طعنوا في قوله صلى الله عليه و سلم: «إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فافعلوه فإن في أحد جناحيه داء و في الآخر دواء» و هو يبدءونا بالذى فيه الداء و هذا ليس بمنكر، و قد شاهد ذباب النحل و في شعرته الذى يلسع بها الدواء «٤» و في جوفه العسل و هو الشفاء.

و يطعنون عليه بأنه كان إذا أكل لطح إصبغه، قالوا هذه هي القدارة، و أين هو عن آداب كسرى و الفرس، فإنهم كانوا لا يأكلون إلا بالبارشين و بما قطع بالسكين ..

و هذا أيضا من محاسنه و فضائله في أنه كان يلطح إصبغه، و يردف خلفه، و يرقع ثوبه، و يخصف نعله، و يعين خادمه، و يمشى مع الضيف و الأرملة و الفقير في حاجتهم، و يصنع لهم، و كم له في ذلك من وصية، و كذا كان خلفاؤه و أمراؤه لرعيته، و ذلك مذكور في موضعه، و الانسان لا يعاف ريقه و لا ريق ولده و أحبابه، و الريق أحد النعم العظيمة من الله على خلقه و في جفافه

(١) الأعراف ١٩٥

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٣) بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

(٤) كذا فى الأصل و لعل الأصح: الداء

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٤٦

و بطلانه من فم الانسان هلا-كه، و به يسبخ طعامه، و ما فى ذلك من النعم أكثر من أن يحصى، و هذا من تواضع الأنبياء و تعريف الناس أقدارهم، و لهذا بصق صلى الله عليه و سلم يوما على كفه ثم وضع أصبعه عليه و قال: يقول الله تبارك و تعالى. «ابن آدم أنى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك و عدلتك مشيت بين بردين و للأرض منك وئيد، جمعت و منعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق و إنى أو إن «١»....

..... يقول القبر للميت حين يوضع فيه و يحك «٢».... للظلمة و بيت الوحدة و بيت الدود، ما/ غزك بى إذ كنت تمر بى قدادا. [و هو الذى يخطر فى مشيته و يقدم رجلا و يؤخر أخرى و يتكبر].

و لهذا قال مالك بن دينار للمهلب بن أبى صفره و هو يمشى و كان ملكا عظيما و سلطانا كبيرا، ما هذه المشية التى يمقتها الله إلا بين الصفين، فقال له المهلب: أو تعرفنى قال: نعم، قال و من أنا؟ قال مالك: أنت الذى أولك نطفة مذرة، و آخرك جيفة قدره، و أنت بينهما تحمل العذرة. فاستحيا المهلب و قال له: قد عرفتنى حق المعرفة، و كم مثل هذا فى وصايا السلف و آدابهم رضى الله عنهم، و هؤلاء يعييونهم و يطالبونهم بالعجب و الكبر، الذى لا ينبغى لمن صفته ما قال مالك بن دينار، كما يعييونه صلى الله عليه و سلم بأنه حرم المسكر و الغناء، و لبس الحرير و الديباج، و استعمال أوانى الذهب و الفضة، و كشف العورة و الاشتراك فى الزوجة.

(١) بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٤٧

و نزار المتسمى بالعزير لا- يحرم ذلك و يتزين بالجواهر، و يركب إلى الصلاة بالمزاهر، و بين يديه العبيد و الملاحى مجردين، و يستقدرونه صلى الله عليه و سلم و يستنطقون كسرى و المجوس، و هم يتزهون عن الماء و يتطهرون بالبول، فالبول طهورهم و الميتة طعامهم، و أمه امرأته و صديقه و كيله فى وطنها اذا غاب عنها، و الهربذ يطهرها بالبول حين يعاين فرجها و يباشر ذلك بيده، و أكل الميتة هو ما يشدونه من البقر فى عيد لهم و يأمرونها بعد الشد الوثيق «١»...
... حتى تموت و حل أكلها و هو «٢»... فانظر من قد استضعفوا و «٣»...

/ و لا الطهور كما قد تقدم ذكر ذلك، و هم لا يأكلون مع المسلمين فى بلادهم فى صفحة واحدة، فاعرف هذا من أحوال هؤلاء و تعديهم على الله و عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كان الحسن بن احمد ملك البحرين قال لأبى الحسن الحرزى حين أخذ جوهر مصر و جاء أبو تميم بعده. يا أبا الحسن، ما ترى أبا تميم يفعل إذا دخل مصر؟ و ما رأى له أن يفعل؟ فقال له الحرزى: إن هو قدم و رفع حجابيه و تواضع و أنصف الرعية و تباكى و قال إنما خرجت لغزو الروم و ارتجاع الثغور و رحمة للناس من جور الديلم فهو يملك الأرض، فما بين يديه أحد، إنما هو ولد سيف الدولة، و ناصر الدولة، و معز الدولة، و هم فى غفلة و بطر، و جندهم الديلم و هم شيعه، فرجعت جواسيس الحسن بن أحمد من مصر فذكروا دخول أبى تميم و زيّه و ركبته الذهب و ملابسه المذهبة حتى خفه و ما

(١) بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

(٣) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤٨

على رأسه و في عمامته من الجواهر و ما في أدنى دابته، و أنه أطعم الناس على موائد من ذهب و في أواني الذهب، و كثرة حجابيه، فقال: الحسن لأبي الحسن الحرزى: قد سمعت ما هو عليه فما عندك؟ فقال له الحرزى: اصفع قفاه فما بين يديك أحد، كلكم قد ظهرت مخرقته و ماتت فضيحتة، و كان الحرزى جريئا عليهم يحتملونه و يستنصحوه و يحدثهم بحيلهم و مخاريقهم و يكشفونها له و يستريدون له في الحيل ثقة به. فأكب الحسن على أبي تميم كما ذكرنا و طمع فيه ذلك الطمع و نصحه تلك النصيحة و تشاتما و تفاضحا «١» ...

به و مات عقيب ذلك و اغتتم أبو تميم «٢» ...

و أعطاهم ما أرادوا قبل أن يبعثوا/ عليه غيره، و أخرج إليهم أربعين كتابا من كتبهم إلى آبائه و إليه و ما بينهم من المخالصة و أن الدعوة واحدة كما تقدم.

و إنما جر هذا الكلام عيب هؤلاء الجهال على رسول الله صلى الله عليه و سلم بلطع إصبعه و كونه لم يفعل من التجبر و التكبر ما يفعله الملوك، و هذا من محاسنه و آثار نبوته.

و كقوله صلى الله عليه و سلم: «من أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»، و ما أكل متكئا قط و كان يجلس على الأرض و يقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد و أجلس كما يجلس العبيد» و يلبس الصوف و يعقل العنز، و دخل مكة حين فتحها في عشرة آلاف و هو على رحل رث، و إن عثونه لينال واسطة رجله من التواضع، ما زاده الله تسليطا و تمكينا إلا ازداد

(١) بياض في الاصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الاصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٤٩

لله هيبه و إجلالا، و من المساكين قربا و بهم رافة و ملابسه معروفة، و قبض صلى الله عليه و سلم و حاله معروف، و بردته التي يتجمل بها الخلفاء تساوى دانقين.

و يوسف بن دحية ملك عمان وحدها يلبس الوشى المثقل بالذهب، و يستعمل أواني الذهب و الفضه و له العبيد و الكراع و الأثاث و الخزائن، و كذا ملك البحرين و ملك عدن، و كذلك ملك صنعاء و اليمن، و قد ملك صلى الله عليه و سلم هذا كله و نجران و تيماء و تبوك و وادى القرى، و غير ذلك مما يطول تفصيله، فلو أراد ما أراد هؤلاء لقدر على أكثر مما قدروا عليه، و قد ذكرنا ذلك و غيره من حال خلفائه و زهدهم فهؤلاء «١» ...

و اعلم ان قول الحرزى و عيسى ابن «٢» ...

... لأبى طاهر و لأبى تميم و لأبى «٣»/ التدبير فكلكم قد افتضح مع تستركم به، إنما هو غباوة عن معجزاته و دلائل نبوته، و أنه شىء تولى الله حراسته و نقض العادة به، فما زلت له قدم، و لا بارت له حجة، و لا أسكته خصم، و لا أخجله عدو، مع كثرتهم و جلدتهم و طول مقارعتهم كما قد تقدم لك، و لكن هؤلاء الجهال لا يشعرون، قد جعلوا ما أعطاه الله من النصر و الحجة أنه شىء ناله بوفور عقله و سداد تدبيره.

كما يقول هشام بن الحكم و ابن الراوندى و أمثالهما فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بأنه كان ناقصا و جبانا و جاهلا و مجنوننا، و أنه ما بايعه أحد و لا أطاعه كثيرا أحد كما هو مذکور لهم و مشروح فى كتب الامامية.

فقيل لهم: فكيف استوى له أن يغلب بنى هاشم و شيعتهم و أتباعهم

١ و ٢ و ٣: بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥٠

و هم أعقل الناس و أشجع الناس و أفطن الناس و أشرف الناس حتى أطيع في حياته و نفذت وصيته بعد وفاته، فأطيع خليفته بعده و وصايا خليفته بوصاياه فنفذت بعد موته فأطيعا حيين و ميتين.

قالوا هذا عجز فيه الدهر، فكان عذرهم في انقطاعهم أن سمو ما أعطاه الله من الحجّة عجز فيه الدهر، كما قال أولئك في حجّة رسول الله صلّى الله عليه و سلم أنه وفور العقل و سداد الرأى و التدبير.

[ما شكك به الباطنية من زواج الرسول بابنة مولاه زيد بن حارثة]

و مما يطعن هؤلاء الدعاة على رسول الله صلّى الله عليه و سلم و يعيدونه و يبدونه، أنه جاء مرة يطلب مولاه زيد بن حارثة و لم يكن في بيته، و كانت امرأته تخبز، فأخرجت رأسها من الثور و خرجت إليه «١» ...

... و أخرج زيد بن حارثة في سرية ليقته «٢» ... من المشيخين إنما معنى قوله:

«و تخفى في نفسك ما الله مبديه» أى قد زنت.

و المتأمل يعرف كذبهم في ذلك قبل أن يعلم أنه نبى صادق، لأن زيد بن حارثة رحمه الله مولاه و صاحبه قديما قبل النبوة و قبل الوحى، خصيص به محب له، يسافر معه و يقيم معه. و امرأته زينب بنت جحش هى بنت عمّة رسول الله صلّى الله عليه و سلم و هو زوجة بها، و قد رآها صغيرة و كبيرة، لو قال قائل إنه رآها ألف مرة لما خشى أن يكذب. و كانت زينب رحمها الله امرأة سيئة الخلق كثيرة النفار لزيد، و كان رسول الله صلّى الله عليه و سلم يشق عليه ذلك، و يكره أذية زيد، و ينهى زينب عن ذلك، و يعذلها و يأمر زيد باحتمالها و الصبر عليها، و كان صلّى الله عليه و سلم

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥١

و دّ لما يرى من نقارها لزيد أنه لم يزوجها به لما يلقي زيد من أذاها، و أنه كان صلّى الله عليه و سلم قد تزوجها فكان أولى بالصبر على قرابته من الغريب، فأوحى الله إليه أنها مع خلقها مؤمنة، و إن زيدا سيطلقها، فإذا طلقها فتزوجها أنت و ضمها إليك. فلم يلبث زيد أن طلقها و جاءه فأعلمه صلّى الله عليه و سلم ذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلم لزيد: راجعها و أمسكها، و ستر عن زيد ما أوحى الله إليه، فعوتب في ألا عرفه ما أوحى إليه، فلم يؤثر زيد مراجعتها، و اعتدّت، فتزوجها رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و كان من قصتها ما قد ذكره الله في سورة الاحزاب، فبين الله ذلك و السبب فيه و عاتبه الله كونه ستر ما أوحى إليه عن «١» ...

و ما زال زيد مقيما على ظل «٢» ... و المحبة و بذل النفس فى طاعته «٣» ...

/ مؤته باذلا نفسه فى نصره رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و قد ودّع الأحبّة. و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم لجند زيد و من معه: زيد أميركم، فإن هلك فجعفر بن أبى طالب، فإن هلك فعبد الله بن رواحة. فغزا زيد الروم و أقحم فى قتالهم، و تصيبه الطعنات و الضربات و الجراحات فلا يرجع و لا ينثنى ابتغاء مرضات الله و نصره لرسوله إلى أن قتل، و قتل بعده جعفر بن أبى طالب، و بعدهما ابن رواحة، فى القصة المعروفة، و نال رسول الله صلّى الله عليه و سلم من فقدهم ما يألم له الألم المعروف. و أسامة بن زيد منزلته من الاختصاص برسول الله صلّى الله عليه و سلم و القرب منه منزلة أبيه، و كان حبّ رسول الله كما كان أبوه، و كان يقال له

أسامة الحب، وقد أمره رسول الله قبل مرض موته على خلق كبير ليخرج إلى الروم، فخرج في خلافة أبي بكر، وغزا الروم وجاهد في احياء دين رسول

١ و ٢ و ٣: بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥٢

الله صَلَّى الله عليه و سلم، و قصد اعداءه و أطاع حلفاءه صَلَّى الله عليه و سلم بعده، و جاهد و ناصح و مضى لسبيله بعد مضى خلفاء رسول الله لا يرى لما يدعيه هؤلاء أثرا و لا اماره لا في حياة زيد و لا بعد وفاته، و لا في حياة ابنه و لا بعد ذلك، و هم في المناصحة و الالفه و الاختصاص و المحبة بعد تزويج رسول الله بزینب كما كانوا قبل ذلك و في جميع الاحوال، و في حياة رسول الله و بعد وفاته، و في حياة خلفائه و بعد وفاتهم، و هناك من اعداء رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم «١» ...
... المعروفة و أعينهم مادة إلى مطعن «٢» ..

... انوا عن هذا و هو أنه قد اغتصب / رجلا من خاصته امرأته فزنا بها و قبله لعداوته له، و هو يدعى النبوة و الأمانة و أنه اختاره لأمانته و ثقته على الخلق أجمعين، و أنه وحده صفوة الله و أنه لا نظير له في ذلك إلى يوم القيامة. فأين كانوا عن هذا، و أين كان الصحابة الذين قد اتبعوه لأنه نبى و صادق و قد جاءهم بتحريم الزنا و تحريم قتل النفوس بغير حلها، فإن قالوا: قد تكلموا و قد أنكروا، قيل لهم: لو كان كذلك لجاء مجيء أمثاله، و لا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أن زيد بن حارثة قد تكلم في ذلك و ضج و خطب و صار معه جماعة في ذلك، و حاربوا و صاروا إلى الروم مجلبين على رسول الله و راجعين عن دينه، و كذا كانت قصة ابنه أسامة بعده إلا- أن هذا قد خفى علينا و خدعنا و ظهر لكم أنتم و عرفتموه بفضل عقولكم و فطنتكم، و قد قلنا لكم غير مرة لو اعتبرتم ما جرى على ائمتكم و عليكم من الفضائح مع تستركم بالاسلام و أنكم من الفاطميين لكفاكم في الدلالة على نبوته صَلَّى الله عليه و سلم و أنتم تدعون ما هو في الظهور أعظم من هذا، من أن فاطمة عليها

١ و ٢ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥٣

السلام ضربت و قتل جنينها في بطنها جهارا بمشهد من العباس و علي و جميع بنى هاشم و بمشهد من المهاجرين و الانصار و هم أكثر ما كانوا و أوفر، و هذه وقعة أعظم من وقعة كربلاء، و من شهدها أكثر فكيف لا يدعون على رسول «١» ...
نجد أبا بكر و عمر و بنى هاشم «٢» ...
بين زيد و أسامة و رسول «٣» ...

/ بعضا كما قد تقدم شرح ذلك حتى ينقل علي بن أبي طالب إلى عمر أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فيزوجه و يفتريها و يولدها، و هذا الذي زعمتم أنه ضربها و قتل جنينها في بطنها، و قد قلنا فيما تدعونه من البقية و جوها في بعضها كفاية.

و تدعون أن أبا بكر أنفذ المغيرة بن شعبه و النعمان بن بشير الانصارى في قتل سعد بن عباد الانصارى و هو سيدهم فقاتلاه و هذا أظهر مما ادعيتم في زيد، فكيف لا تدعون ذاك و قد ادعيتم ما هو أظهر منه. و نحن نجد الخزرج رهط سعد بن عباد أطوع الناس لأبي بكر و عمر، يعتقدون إمامتهما و يتقربون إلى الله في الجهاد معهما، حتى ان قيس بن سعد و سعيد بن سعد من أخص الناس بهما و من أنصارهما و أمراء سراياهما، فما تأمل متأمل و لا تدبر متدبر إلا وجد من الادلة على أكاذيب هؤلاء و أكاذيب أسلافهم الذين قدمنا ذكرهم كهشام و أتباعه.

و مما يخدعون به المترفين و المستجيبين لهم بأن يقولوا: هل علمتم لم حرم محمد أزواجه أن ينكحن بعده، و لهذا سر لطيف باطن خفي و هو أن أزواجه

١ و ٢ و ٣ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥٤

قد كن وقفن على سحره و حيله فخاف أن يتزوجهن أحد بعده فيتحدثن بذلك لما فى النساء من الرقة و الضعف فعلم هو بهذا فحرمهن، و هذا من حكمته و فطنته، و قلنا قبل كل شىء من أين لكم صحة هذه الدعاوى، أ هو شىء علمتموه بالخبر و النقل أو بالالهام «١» ...

مسائلكم و شبهكم ليست من شبه «٢» ...

... الزبالين و الكساحين، و لعمرى / إن من كان قادته و سادته و أئمتة الذين قدمنا ذكرهم و سيرتهم و من لهم مثل هذا العزيز فهكذا تكون شبهه و مسائله و دعاويه و حججه، و قد حرم صلى الله عليه و سلم على الرجال أمهاتهم و بناتهم و أخواتهم و عماتهم و خالاتهم و بنات الأخ و بنات الأخت، فإذا إنما حرمهن لمثل ما قلت و هو السر اللطيف و الباطن الخفى هاتوا حكمتكم و فطنتكم. ثم نسائلكم و نقول لكم: قولوا لنا ما هذه الحيل و ما هذا السحر و الذى وقف عليه النساء، اذكروه لنا، فإن قالوا: ما ظهر و لا عرفناه، قلنا: فما يدريكم أن التحريم كان لهذا، و إن قالوا قد ظهر، قلنا: فما أغنى تحريم الأزواج شيئاً، و هاتوا هذا الذى وقفتم عليه فإنكم لا تذكرن إلا ما يشبهكم و يشبه أسلافكم، فأما هو صلى الله عليه و سلم فأمره فى الظهور و الانكشاف و البعد من كل ريبه كما قدمنا و ذكرنا.

و العقلاء يزدادون بصيرة فى أمره صلى الله عليه و سلم، أنه جمع بين الضرائر من بنات الاعداء و الأولياء و فطمهن من الدنيا، و مما تتناوله يده، و كذا صنع بأهله، و إن هذا

١ و ٢: بياض فى الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٥٥

الاقدام إقدام الأبرياء من كل ريبه و دنية.

و من مسائلهم أن أبا القاسم المصرى الاقليدسى المهندس النازل فى قطيعة النصارى، المنقطع إلى «١» ... تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٦٥٥ ما شكك به الباطنية من زواج الرسول بابنه مولاه زيد بن حارثة ص : ٦٥٠

يلة كانت «٢» ...

فما تعرفها فيقول «٣» ...

عقيب هذا و «٤» ...

من المسلمين، و يذهب فى هذا أن امرأة كانت تختلف إليه صلى الله عليه و سلم فى الريب، فيخدع أصحابه و أزواجه بقوله: هى العافية، و كان هذا من أكبر المطاعن عليه عندهم، و سرورهم بها أتم السرور.

[دعواهم أن رسول الله عليه الصلاة و السلام كان يتستر على نفسه ببعض أفعاله]

و من عجيب أمرهم أن رؤساءهم و أهل العقل منهم إذا افتضحوا يأخذون «٥» فى الصلاة عليه و الوصف له بالحكمة و وفور العقل و ملك النفس و طول الصبر حتى لم يفتضح، و أنا من أولنا إلى آخرنا مع التستر به نفتضح فى كل طرفه عين.

فانظر إلى اختلاطهم و حيرتهم و فضيحتهم في كل ما يأتون به و يتعرضون له، و كيف ينقضون على أنفسهم و يكذبون أقوالهم بألسنتهم.

ثم يقال لهم: هذا رجل قد أسخط الامم و عاداها و غاضبها و أغضبها، و ادعى رئاسة ليس فوقها رئاسة لمخلوق، و فرض طاعته، و ألزم الناس إقامة شرائعه و إنفاق أموالهم في إحياء دينه و سفك دمائهم في مجاهدة عدوه،

١ و ٢ و ٣ و ٤ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٥) في الأصل «يأخذوا»

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٥٦

و كلف تلك التكاليف الشاقة الصعبة الذى قد تقدم شرحها، و قال ان من أنكرها أو تسخطها كفر بالله و حل دمه، و كان له فى الآخرة العذاب الدائم.

و أتباعه إنما أطاعوه لأنه عندهم نبي صادق، و تقربوا إلى الله بما أصابهم فى اتباعه على ما قد تقدم من شرحه، و هو بزعمكم يكذب و يناقض فى الآيات و الأحاديث «١» ...

... ليزنى بنسائهم «٢» ... عن تدييره و لا ينفر «٣» ... لا يستوحش

/ منه خاصته و بطانته، و قد اختلف على الرؤساء و على من لم يدع ما ادعاه فى أقل القليل كما شرحنا و قدمنا من المحققين و المبطلين، و سلم هو هذه السلامة التامة، و كان له أصحابه فى حياته و بعد موته، إن هذا لهو أكبر معجزاته و أعظم آياته و قد انتقضت له العادات فى هذا أيضا كما انتقضت فى غيره، فهذه شهادة منكم له يتأكد بها حجته عليكم.

و ينبغى أن تعلموا أن الآيات التى يسأل عنها هؤلاء و أمثالهم من أعدائه صلى الله عليه و سلم، و الأحاديث التى صحت عنه ما أراد بها ما يظنونه و لا ما يذهبون إليه.

إذ لو كان كذلك لكان أولئك الاعداء الذين كانوا معه و فى بلده و فى زمانه من قريش و العرب و اليهود و النصارى، و أحوالهم فى الفطنة و العداوة و الدهاء و الكيد ما قدمنا و شرحنا، ينطقون بذلك و يحتجون به و يجادلونه و يجادلون أصحابه، و كان هذا أسهل عليهم مما تكلفوه من إبطال أمره و اطفاء نوره

١ و ٢ و ٣ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٥٧

و تفريق الناس عنه بمفارقة أوطانهم و إنفاق أموالهم و سفك دمائهم، و بهذا الاحتجاج كان أبو الهذيل و الشحام يسكتون الخصوم.

و ابن الراوندى و الحداد و الوراق «١» ... رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس ممن يطعن عليه «٢» ...

ذلك عليه و تحت «٣» ...

على الشدائد من «٤» ...

من البلاغة فيجد «٥» ...

/ واسع الحلم، عنده من الصبر ما ليس عند غيره، فلهذا ضبط نفسه من أول أمره و قبل ادعاء النبوة، فما عرفوه إلا بالنزاهة و الطهارة و الثقة و الأمانة، فكان يعرف عندهم بمحمد الأمين، بفضل العقل تم له ما تم، و استترت عيوبه و حيله، و إن لم تقطع عليه فنحن نجوز، فأخرجوا معشر المعتزلة هذا التجويز من قلوبنا و إن كان ضعيفا. ذكر هذا المعنى ابن الراوندى فى الفريد فى غير موضع منه. فيقال لهم: إن هذا الذى ذكرتموه وإنما المعنى فيه شهادتكم له بالمعجزات و الآيات التى لم تجدوا فيها مطعنا فعبتم عنها بفضل

العقل و الحزم و الصبر و الحلم و قد سلمتم سلامته من كل فضيحة.

و قولكم إنه منذ أول أمره قد كان أحسن بفضل عقله و صبره و حزمه و فصاحته فأمسك عن ذلك و لم يظهره إلى وقت ادعى فيه النبوة، كمن ادعى عليه و له أنه ولد كامل العقل وافر الحلم، و أنه أحسن بذلك من نفسه فلم ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ نقص في الأصل حوالى نصف سطر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٥٨

يظهره إرصادا للنبوة، و أظهر التصابى «١» ...

و قد كان صَلَّى الله عليه و سلم «٢» ...

يقصد إلى «٣» حالهم «٤» يحيط بهم «٥» واحدا «٦» له على أن «٧»/ الله اختارنى وحدى على العالمين إلى يوم القيامة، أن أحدا لا يأتى بمثل ما معى و لا بمثل سورة منه إلا و هو على يقين أن أحدا لا يأتى بذلك، هذه قضية العقل، فتعلم أنه قد كان على يقين أنهم لا يأتون بذلك و لا بما يقاربه، و قد تقدم نظير ذلك، و إنما يقال فيمن أراد السلامة من الناس فطلب رضاهم، و انحط في هواهم، و تجنب ذمهم و سخطهم، و تودد إليهم بما يهونونه أنه عاقل، و قد سلم من ذمهم بعقله، كما قيل استحق اسم العقل من رضى عنه الجميع المختلفون.

و هذا صَلَّى الله عليه و سلم أتى بما يسخط الأعم كلها فأكفرها و شرع جهادها، و فرض قتالها و قتلها، و استباحة حريمها و سبى ذريتها، و إهانة ملوكها و جبايرتها، حتى كذبوه و شتموه و ضربوه و حصروه و أجاجوه و طلبوا نفسه و قتلوا أتباعه و بذلوا الوسع كله فى مكارهه، إلى غير ذلك، فكيف يقال فى هذا صَلَّى الله عليه و سلم أنه ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ نقص فى الأصل حوالى ثلاثة أرباع السطر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٥٩

ناله من «١» ...

/ فاذا حصل فعلوا فيه فعل طلاب الدنيا كما فعل غيرهم ممن قدمنا ذكره فما منهم أحد فى ابتداء أمره و فى أول طلبه إلا و قد تودد إلى العامة بأنه يريد الدين و الدار الآخرة، فإذا قدر و ملك و استولى أثر فى نفسه و أهله و ولده و تنعم و تمرغ فى الدنيا، فكيف انتقضت العادة بهؤلاء و لو ادعى مدع فى زهد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و منعه نفسه و أهله و ولده و كذا فى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل ما ادعيتهم فى هؤلاء كان يكون الجواب فيه إلا الجواب فى هؤلاء.

و أخرى أنكم معشر الامامية تدعون أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم نصّ نصوصا تلزم الخاصة و العامة و الرجال و النساء و الاحرار و العبيد و المرضى و الأصحاء و المقيمين و المسافرين، و أنه عليه السلام بين لهم هذا الفرض و بلغهم إياه بحسب وجوبه و شمولاه و عمومته، فأعلمهم إياه، و جعلهم على يقين من وجوبه.

و أن هؤلاء اغتصبوه صَلَّى الله عليه و سلم مصلاه و مقامه فى حياته و فى بيته و نصب عينيه و بحضرتة و بحضرة أهل بيته و خاصته «٢»

...

/ حياتهم و بعد موتهم، كما قد بينا من إنفاذ وصية أبى بكر و عمر، فامتثلوا ذلك كله حتى أن من يدعون النص و الإمامة دخل فى ذلك و أظهر السمع و الطاعة لهم فى حياتهم و بعد موتهم خوفا من أتباعهم و شيعتهم و أنصارهم، فمن بقى يتقونه أو يخافونه أو يجدعونه، و كل شىء قد ادعوه و دعوا إليه قد أجيوا إليه، و قد أطيعوا فيه بغير حجة بزعمكم، مع علم الناس أن ذلك خلاف رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و خلاف دينه، إذ هو من الفروض العامة، و هم يأخذون الناس بحب

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٦٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاته وموالاته من والاه ومعاداة من عاداه، وهم يزعمكم بيغضونه ويعادونه وبيغضون من أحبه والاه، ومن كان يوالى ويحب، فهل سمع بأعجب من أمر هؤلاء القوم فيما يدعون، فبخلاف العقل والنقل والأثر كدعوى الملحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يصول به هؤلاء الدعاء وأتباعهم من المتصلة بالشام ومصر، أن يقولوا للمسلمين: اسمعوا منا ما نقوله فى إلهكم الذى تعبدونه ثم ... (١)

يطول شرحه (٢) و فعل فإن الحا (٣) إن ما لكم إله (٤) ففيه تبارك (٥) السموات وال (٦) حلما عنهم ورحمة وإمهالا لهم ليتوبوا، وأنهم إنما ينقلبون فى قبضته وبقدرته التى أعطاهم لطاعته، أو لم ينظروا إلى الجابرة والفراغنة كيف اصطلمهم؟ «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا».

ومما يغتظهم فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا: انظروا إليه كيف لم يبشر بأحد بعده، ولا علق القلوب بمن يأتى بعده كما فعل من كان قبله من إبراهيم، وموسى، وعيسى، وأمثالهم، فطم الناس كلهم وقال: لا نبى بعدى، فصار من يدعى هذا قد أكفرته أمته وبادروا إلى قتله، فهذا الحسد والشرة.

١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ بياض فى الأصل حوالى ثلاثة أرباع السطر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٦١

فيقال لهم: إبراهيم وموسى وعيسى وأمثالهم كذابون عندكم أصحاب حيل وطلاب رئاسة، وما هاهنا عندكم رب ولا نبى ولا باعث ولا مبعوث، ومن قال إنى رسول الله فقد كذب عندكم، ومن قال يأتى من بعدى رسول الله فقد كذب عندكم، فكأنكم عتبتم عليه إذ لم يكذب ولم يزد فى الكذب، هذا على (١)

شرا .. (٢)

الين من بعده (٣) كما قال (٤) سود (٥) به فافتضح (٦) ابن خويلد (٧) و كاهنا (٨)

/ فأرسل إليه أبو بكر الصديق بمن يجاهد، وأحاطوا به، فقال قومه: أين ما كنت تعدنا من النصر والظهور، فأردف وقال لأصحابه من استطاع أن يكون هكذا فليفعل وولى هاربا أصحاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأخذوه أسيرا وأتوا به أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ نقص فى الأصل حوالى ثلاثة أرباع السطر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٦٢

هذا آخر ما وجدته فى النسخة التى نقلت منها إن شاء الله أن عليه بل كتابةً بغير تحيز، ومن أراد تحصيله العبد الفقير إلى الله على بن محمد بن على بن عبد الرحمن البكرى فى ربيع الأول سنة و ستمائة، (١) وهو يتوسل إلى الله عز وجل بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعله من المتقين حتى يتوفاه على ذلك و يبعث عليه إن شاء الله تعالى. و صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. تم بحمد الله

(١) المتوفى سنة ٦٨٤ هـ. شوزت الذهب ٥: ٣٨٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٧١

- الصفحة الموضوع ٣١٣- ما توعد الرسول قريشا به من الظهور عليهم و تحقق ذلك.
- ٣١٤- ما أشار إليه الرسول و هو في حال ضعفه من أن دينه سيغلب على الأديان كلها و يقهر الملوك جميعا.
- ٣٤٤- حول الآية الكريمة «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»
- ٣٤٥- حول الآية الكريمة «فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ»
- ٣٤٦- حول الآية الكريمة «وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» و كيف ورثها أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم
- ٣٥٦- حول الآية الكريمة «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ».
- ٣٥٩- حول الآية الكريمة «وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ»
- ٣٧١- ما في الآية الكريمة إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ من وعد تحقق.
- ٣٧٢- ما في الآية «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ...» من تحد دائم لم يستطع أحد الوقوف أمامه.
- ٤٠٠- علم الرسول صلى الله عليه و سلم حين تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أنهم لن يستطيعوا.
- ٤٠١- محاولة اليهود و النصارى في المدينة القضاء على الإسلام و فشلهم.
- ٤٠٣- بدر و ما فيها من آيات
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٧٢
- ٤١١- حول موقف اليهود و النصارى و عبد الله بن أبي سلول
- ٤١٥- محاولة اليهود قتل الرسول بالصخرة و اخباره تعالى بذلك.
- ٤١٥- توعد اليهود و النصارى في وقت كثر فيه ممالئهم.
- ٤١٧- اخباره تعالى عن المرتدين و أنه سيأتي بقوم يحبهم و يحبونه يجاهدون في سبيله.
- ٤٢٠- حول غزوة أحد
- ٤٢٦- دعوة الرسول لنصارى نجران للمباهلة و خضوعهم له.
- ٤٣٤- حول الآية «الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ»
- ٤٣٤- اخباره عن اليهود.
- ٤٣٥- ما أرجف به المشركون بعد هزيمة المسلمين في أحد
- ٤٣٦- حول الآية «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ»
- ٤٣٧- قوله صلى الله عليه و سلم لعثمان بن أبي طلحة العبدري بأن مفاتيح مكة ستكون له و حصول ذلك.
- ٤٤٦- اخبار الرسول أصحابه أن الله سيمكن لهم في الأرض و يستخلفهم.
- ٤٤٨- قوله صلى الله عليه و سلم في أوان ضعفه أنه سيعظم أمره و يعلو شأنه.
- ٤٨٤- حول الآية الكريمة «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» و كيف كان كما أخبر تعالى.
- ٤٨٩- في اخراج يهود بنى النضير من المدينة و ما فيه من آيات.
- ٥٠٩- كيف أن معجزات الرسول يغني بعضها عن بعض و ليس كذلك الأمور التي يسلم فرضها و يشمل وجوبها.
- ٥١١- كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملك الروم و ملك فارس، و ما فيها من دلالات
- ٥١٨- بين جرير بن عبد الله البجلي و اليهودي
- ٥٢٧- سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام في السابقين و البدرين

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٧٣

٥٢٨- الرد على دعوى العصمة لعلی بن أبی طالب رضی الله عنه

٥٣٧- الرد على علی أن الأئمة كانوا يعلمون المكاره التي كانت ستنزل بهم

٥٣٩- الرد على أن النجوم تدل على ما كان و يكون، أو أن الأئمة يعلمون الغيب

٥٤٤- الرد على ما تدعيه الشيع من المعجزات لعلی رضی الله عنه و أئمتهم من بعده و بيان أن علیا كان منكرا لمثل هذه الأقوال إنكارا شديدا.

٥٥٣- حول قولهم بأن الله حرّم ذرية فاطمة رضی الله عنها عن النار.

٥٥٤- حول الادعاء بأن لأهل بيت الرسول خمس أموال المسلمين

٥٥٨- الرد على الروايات التي زوروا من أن الفروض لا تجب على أهل بيته عليه الصلاة والسلام و شيعته

٥٦٠- حول تولية الخلفاء الراشدين صحابة رسول الله

٥٧٧- علی رضی الله عنه استن بسنن أبی بكر و عمر رضی الله عنهما و عمل بها

٥٨٢- الرد على دعوى القرامطة أن الصحابة أخرجوا علیا لكرهتهم له

٥٩٤- حول أقوال الباطنية و وسائلهم في استدراج المسلمين الى التخلي عن حقائق الايمان و الفرائض.

٥٩٧- كيف ظهرت الباطنية و قامت دولتهم في المغرب ثم في غيرها.

٦١٤- حول بعض الشكوك التي يطلقها الباطنية عن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام

٦١٥- كحديث «بيت لا تمر فيه جياح أهله» و غيره، و تعليق واسع حول التداوى و الأدوية و استعمالها.

٦٥٠- ما شكك به الباطنية من زواج الرسول بابنة مولاة زيد بن حارثة

٦٥٥- دعوهم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يتستر على نفسه ببعض أفعاله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٧٤

[الفهارس]

فهرس الأعلام

حرف الألف أبان بن عبد الحميد اللاحقي ١: ٧٢

ابراهيم (الإمام) ١: ١٦

ابراهيم بن بكس ٢: ٦١٨

أبشاوثن ١: ١٧٩، ٢٨٠

ابراهيم الصائغ ٢: ٣٧٨، ٣٧٩

ابراهيم عليه السلام ١: ٣٤، ٨٧، ٩١، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٠، ١٩٠، ١٩٧،

٢١٨، ٢: ٣٨٦، ٤٠١، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٧، ٥٦٠، ٥٦١

ابراهيم بن محمد عليه السلام ١: ٣٨

ابراهيم النظام ١: ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٧٠، ١٤٨

ابراهيم بن ورقاء الشيباني (أبو اسحاق) ٢: ٣٨٣

- ابليس ١: ٢٨٧، ٣٣١، ٣٣٢
أبى بن خلف ١: ٣٠، ٢٦٠:
٣٤٦، ٤١٩، ٤٩٨، ٥٢٤، ٥٢٥
ابن أبى الديس ٢: ٥٩٥
أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكرى ٢: ٦٤٤
أحمد بن حمدان الرازى الكلابى ٢: ٣٩٢
أحمد بن المدرار ٢: ٥٩٨
أحمد بن حنبل ١: ٢١٠
أبو أحمد النهرجورى ٢: ٦١١
أحمد بن يحيى المنجم ٢: ٣٤٣، ٣٥٢
الأحنف بن قيس ٢: ٥٣٠
ابن الإخشيد ١: ١٤٨، ١٩٨
الأخنس بن شريق ١: ٥٣
آدم ١: ٨٦، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٩٠، ٢: ٣٨٦، ٤٢٦، ٤٢٧، ٥٠٨، ٥١٨، ٥٣٦، ٥٥٢، ٥٥٣
أردشير بن بابل ١: ١٦٣
أرسطوطاليس ١: ٧٥، ٧٦، ٧٨
تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٧٥
١٧٧، ١٩٣، ٢٠٩، ٢٢٨، ٤٢٨، ٦٠٣، ٦٢٨
أرميا (النبي) ١: ١٠٠
آريوس ١: ٩٨
أزربان بن أميد الموبند ١: ١٧٩
أسامه بن حبيب ٢: ٤٩٥
أسامه بن زيد ١: ٢١٤، ٢٢٧، ٢٥٧، ٢: ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤
الأسباط ١: ٨٧، ١٠٨، ١٩٠، ٢: ٤٠١
إسحاق عليه السلام ١: ٣٤، ٨٧، ٩١، ١٠٨، ١٩٠، ٢: ٤٠١
إسحاق بن حنين ١: ١٩٢، ٢: ٦٢٣
إسحاق بن فليت اليهودى ١: ٧٢، ٧٣، ٧٤
اسرائيل ١: ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٢٠
أسفار بن شيرويه ٢: ٥١٨، ٥٩٩
إسفنديار ١: ٥٣، ٢: ٣٦٣
اسكندر ١: ١٧٧
أسماء بنت عميس ١: ٢١، ٢٤٦
اسماعيل عليه السلام ١: ١٠٨، ٢١٧، ٢: ٣٥٢، ٤٠١

- اسماعيل بن جعفر ٢: ٣٨٦
ولد (اسماعيل بن جعفر بن محمد) ٢: ٦٠١
اسماعيل بن بن سعيد ٢: ٣٩١، ٣٩٢
أبو الأسود ٢: ٦٠٣
أبي الأسود الدؤلي ٢: ٣٩١، ٥٣٠، ٥٧٢
الأسود بن عبد الأشد ٢: ٤٩٨
الأسود بن عبد يغوث ٢: ٣٤٤، ٤٩٨
الأسود بن لمطلب الأسدي ٢: ٣٤٤
أسيد بن صفوان ٢: ٣٧٠
الأشتر ١: ٢٧٥، ٢: ٤٩٥
ابن الأشعث (عبد الرحمن) ٢:
٥٧٤، ٥٩٣
أشعيا النبي ١: ١٩٥
ابن الأصد الهذلي ٢: ٤٩٨
الأصفر ١: ١٠٧، ٢: ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧
الأصفر العقيلي ٢: ٦٠٩
الأصفهاني ١: ١٧٨
اعزال بن شماويل ٢: ٤٩٥
أفلاطون ١: ٧٥، ٢: ٥٩٦، ٦٠٣، ٦٣٥
الأقرع بن حابس ٢: ٥٢٦
اللات ٢: ٤٨٧
إليا ١: ١٤٢، ١٦٥
اليسع بن المدرار ٢: ٥٩٨
أبو أمامة الباهلي ٢: ٣٢٥
امرئ القيس ١: ٧٠
أمية بن خلف ١: ٣٠، ٤٠، ٢:
٣٤٦، ٣٦٦، ٤١٩، ٤٨٨، ٤٩٨، ٤٩٩
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٧٦
أبو أميمة (سعيد بن العاص) ٢:
٣٥٠، ٣٥١
أمية بن الصلت الثقفي ٢: ٥١٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١
أنس بن مالك ١: ٥٨، ٢٥٨
أوس بن المغيرة ٢: ٤٩٩

- أولوفريانوس ١: ١٦٣
أونامس ١: ١٦٣
أ يحب ١: ٨٧
ايرلس ١: ١٦٣
ايل عازار ١: ١١٣
أبي أيوب الأنصاري ٢: ٥٢٩
حرف الباء بابك الخرمي ٢: ٣٩٥، ٣٤٠
بادوس ١: ١٤٦
باذان ٢: ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٥
بجكم الديلمي ٢: ٣٩٣
بحران ١: ١٥٩
بخت نصر ٢: ٣٥٣
أبو البختری بن هشام ٢: ٤٩٩
بختيار بن معز الدولة (أبو منصور) ٢: ٦٠٧
البراء بن عازب ١: ٢٥٨
البراء بن مالك ٢: ٥٨٤
بسر بن أرطأة ١: ١٧، ١٨
بشتاسف بن بهراسف ١: ١٧٩
بشر بن البر الأنصاري ٢: ٤٦١
أبو بشر بن يونس ١: ١٩٢
بشير بن سعد الأنصاري ١: ٢٦٥، ٢٦٦، ٢: ٤٩٠
بطرس ١: ١٠٠
بطليموس ١: ١٧٦، ٢: ٦٠٣
ابن أبي البغل (أبو محمد) ١: ٤٢
بقشم ٢: ٥٥٥
بقراط ٢: ٦١٧
أبي بكر أحمد بن علي الرازي ٢:
٦٢٧
أبي بكر حماد الموصلي ٢: ٣٩٢
أبي بكر زكريا يحيى بن نيهان ٢:
٣٧٩
أبو بكر الزهيري الكاتب ٢: ٣٥٢
أبو بكر الصديق (ابن أبي قحافة) ١: ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٢، ١٣١، ١٣٤،

- جبير بن مطعم ١: ٥٨، ٢: ٣٦٨، ٣٦٩، ٥٨٨
- الجد بن قيس ٢: ٤٦٢، ٤٧١
- جدى بن أخطب ٢: ٤٩٤
- ابن الجراح الطائي ٢: ٦٠٨
- جرجس (مار) ١: ١٤٣، ١٨٢، ٢٠٥، ٢٠٩
- الجرمقاني ١: ١٩٢
- جرير بن عبد الله البجلي ١: ٢٧٣، ٢: ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤
- جعدة بن هبيرة المخزومي ٢: ٥٦٨
- جعفر بن أبي طالب ١: ١٧، ٢١، ٣٧، ١٢٤، ١٣٤، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢: ٣٥٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٦٥١
- (ولد) جعفر ١: ١٧، ٢: ٥٥٥
- أبو جعفر الاسكافي ١: ١٤٨، ١٩٨
- أبي جعفر بن بانو السجزي ٢: ٥٨٢
- جعفر بن عبد المطلب ٢: ٤١٩
- جعفر بن فلاح بن مرزوق ٢: ٦٠٤، ٦٠٥
- جعفر بن محمد ٢: ٥٥٢، ٥٩٥، ٦٠٣، ٦١٤
- جعفر بن المقتدر ٢: ٦٠٠
- أبو جعفر المنصور ١: ١٦، ١٧، ٢: ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٣٦
- أبو جعفر بن نصر ٢: ٦٠٤، ٦٠٥
- الجلندي بن كركر ١: ٢٣
- جمشاذ الفارسي ٢: ٣٣٢
- أبو جندل (ابن سهيل بن عمرو) ٢: ٣٥٠
- الجهجاه الغفاري ٢: ٤٦٠
- جهر بن عبد الله ٢: ٥٣٠
- أبو جهل ١: ١٤، ٢٨، ٣٠، ٥٢، ٦٢، ٢: ٣٤٦، ٣٥١، ٤١٠، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٦٦، ٥٨٤، ٥٨٩
- أبو الجهم بن حذيفة العدوي ٢: ٥٨٧
- جوهر ٢: ٣٩٧
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج٢، ص: ٦٧٩
- حرف الحاء أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي ٢: ٣٩٢، ٣٩٨، ٥٩٩
- الحارث بن الطلائع ٢: ٣٤٤، ٣٤٥
- الحارث بن عمير الأزدي ٢: ٤٤٠
- الحارث بن قيس بن عدى (ابن العيطة) ٢: ٤٩٨
- الحارث بن هشام ٢: ٤٠٨، ٤٨١، ٤٩٨، ٥٨٤، ٥٨٨، ٥٨٩
- حاطب بن أبي بلتعة ٢: ٣٦٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٥

- حاييم اليهودى ١: ١٥٦
الحياب بن المنذر بن الجموح ١: ٢٦٤
حيب بن عمرو ١: ٢١
أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ٢:
٣٥٠
الحجاج ١: ١٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢: ٣٢٨، ٥٩٣
حجر بن عدى ١: ١٧، ٢٤٠
الحداد (عمر بن زياد) ١: ٥١، ١٢٨، ١٢٩، ٢٣٢، ٢:
٣٧١، ٣٧٤، ٤١٢، ٥٠٨، ٥٢٩، ٥٥٧
أبو حذيفة بن عتبة ١: ٢١، ٢:
٣٥٠، ٥٦٣، ٥٨٥، ٥٨٧
حذيفة بن اليمان ٢: ٣٢٧، ٣٣٣
ابن حرب ٢: ٤١٩
الحرث بن زمعة ٢: ٣٤٥
حرقوص بن زهير ٢: ٣٣٧، ٥٧٢
الحسن (رضى الله عنه) ١: ١٧، ٢١٢، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٧٧، ٢: ٤٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧٤
الحسن بن أحمد ٢: ٦٤٧، ٦٤٨
أبو الحسن بن أبي الخطاب ٢: ٦٢٢
الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي (أبو علي) ٢: ٦٠٦، ٦٠٨، ٦١٦
الحسن البصرى ٢: ٥٩٥
أبو الحسن بن بكس ٢: ٦٢١، ٦٢٢
أبي الحسن الحرزى ٢: ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩
أبو الحسن بن زهرون الصابي الحرانى ٢: ٦١٩
أبو الحسن بن كعب الأنصارى ٢:
٦٢٧
أبي الحسن الحلبي ٢: ٥٩٤
الحسن بن سنبر ٢: ٣٨٧، ٣٨٨
الحسن العسكري ٢: ٣٩٠
أبي الحسن (علي بن وصيف الجلاء الناشئ) ٢: ٥٥٨
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٠
أبو الحسن علي بن محمد بن بكر الاسفداني ٢: ٥٢١
أبي الحسن الكرخي ٢؛ ٥٢١، ٦٢٧
أبو الحسن محمد بن أحمد النسفى ٢:

٥٩٩

الحسن بن محمد المهدي ٢: ٣٩٩

الحسن بن موسى ١: ٢٢٥، ٢:

٥٥١

أبو الحسن بن نفيس ٢: ٦١٩

أبو الحسن بن هرون ٢: ٦٢٢

الحسن اليهودي ٢: ٦١٨، ٦٢٨

أبو الحسن اليهودي ٢: ٦٢٨

الحسين (رضي الله عنه) ١: ١٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢: ٤٢٦، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٧٤،

٥٧٦

الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ٢: ٣٧٧، ٣٧٨

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ٢: ٥٩٧

أبي الحسين أحمد بن محمد بن الكميث ٢: ٥٩٤

الحسين الأهوازي ٢: ٣٧٧

الحسين بن صقر (أبو عبد الله) ١:

١٧١

أبي الحسين الطيب ٢: ٦٢٢

أبو الحسين بن عمار ٢: ٣٩٢

ولد (أبي الحسين بن عمار) ٢:

٦٠٢، ٦٠٤

أبي الحسين محمد الفضل ١: ١٣٠، ٢: ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٩

الحصري ١: ٥١، ١٢٩، ٢٣٢، ٢: ٣٧١، ٣٧٤

أبو حفص عمر بن زرقان ٢: ٣٨٥، ٣٨٧

الحكم بن الصلت ١: ١٨

الحكم بن أبي العاص ١: ٢٣١، ٢: ٤٨٤، ٤٩٨، ٥٩٢

حكيم بن حزام ٢: ٤٠٨، ٤٨١، ٥١٥

ابن حماد ٢: ٣٩٨

حمام بن فراس ٢: ٥٥٨

حمدان بن الأشعث (قرمط) ٢:

٣٧٩

حمزة (رضي الله عنه) ١: ٣٧، ١٢٤، ١٣٤، ٢٧٣، ٢:

٤١٩، ٤٢١، ٥٦٠

حنظلة بن أبي سفيان ٢: ٤٢٢، ٤٩٩، ٥٨٥

حنون (أبو أبي الطيب المؤمل) ٢:

٦٢٧، ٦٢٨

أبو حنيفة ٢: ٥٢١، ٥٩٥، ٦٠٩، ٦٣٥

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨١

حنين بن إسحاق ١: ٧٦، ١٩٢، ٢: ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٤

حواء ٢: ٤٢٧، ٥٥٣

حوشب ١: ٢٧٤، ٢٧٥

حيزوم ٢: ٤٠٨

حيى بن أخطب ٢: ٤٤٩، ٤٩٤، ٤٩٧

حرف الخاء خارجة بن حصن ١: ٢٣

خارجة بن زيد بن أبي زهير ٢:

٤٩٠

خاقان ملك الترك ١: ٢٤٧، ٢: ٣٣٠

خالد بن سعيد بن أحيحة ١: ٢١، ٢: ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢

خالد بن سعيد بن العاص ١: ٢٧١، ٢: ٥٨٥

خالد بن معمر السدوسي ٢: ٣٧٥، ٥٣٣، ٥٦٨

خالد بن ملجم ٢: ٣٣٧

خالد بن الوليد ١: ٣٢، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢: ٣٢٧، ٤٥٠، ٥٢٦، ٥٨١، ٥٨٧

خباب بن الأرت ٢: ٤٧٩، ٤٨١

خديجة بنت خويلد ٢: ٣٣٨

الخزرجي ١: ٢٦٦

خزيمة ٢: ٥٩٥

بي خزيمة ٢: ٥٩٥

أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب) ٢: ٥٤٦، ٥٥٢

أبو الخطاب بن أبو الحسن بن هرون ٢: ٦٢٢

ابن خلاد ١: ١٩٨

ابن خويلد ٢: ٦٦١

حرف الدال داود (عليه السلام) ١: ٩٩، ١٠٠، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٩٠، ٢٤٩، ٢: ٥٣٦

ابن داود ٢: ٣٨٤

أبي داود المازني ٢: ٤٠٩

دحية بن خليفة الكلبي ٢: ٣٦٣، ٤٣٩، ٥١١، ٥١٢

أبو الدرداء ٢: ٥٤٥

أبو دلف ٢: ٣٨٧

دوروثيوس ١: ١٧٦

حرف الذال أبو ذاكى تمام بن معارك ٢: ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٥٩٩

أبى ذر ٢: ٥٣٣

ذكية الأصفهاني ١: ٢٨، ١٠٧، ٢: ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥

ذهل بن شيبان ١: ٢٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٢

ذى القرنين ٢: ٤٩٥

ذى الكلاع (سميفع بن ناكور) ٢:

٣٧٥

حرف الراء الرازى ٢: ٣٧٤

الراضى (الخليفة) ٢: ٣٩٣، ٣٩٤

أبو رافع ٢: ٤٠٩، ٥٤١

ابن الراوندى ١: ٥٦، ٥٣، ٥٤، ٩٠، ١٢٨، ١٢٩، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢:

٣٥٧، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٣١، ٤٣٣، ٥٠٨، ٥٢٩، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٤٧، ٦٥٧

ابن رائق ٢: ٣٩٤

ربيعه ١: ٢٧٢

الربيع بن خيثم ٢: ٦١٦

ابن رزام ٢: ٣٨٧، ٣٩٣، ٦١١

رستم ١: ٥٣، ٢: ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٦٣

رفاعة بن قيس ٢: ٤٩٤

رقية بنت الرسول عليه السلام ٢:

٣٣٨، ٣٥٠

رقية بنت العباس ١: ٢٤٦

رقية بنت عثمان رضى الله عنه ١: ٢١

ركن الدولة ٢: ٥٨٢

رملة بنت أبى سفيان ٢: ٣٥٠

روح بن زنباع (أبو زرعه) ٢: ٥٧٥

حرف الزاى زاذان ٢: ٣٢٨

الزبير بن باطا بن وهب ٢: ٤٩٢، ٤٩٦

الزبير بن العوام و آل الزبير ١: ١٨، ٢١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٥٠، ٤٠٣، ٤٨٦، ٥٤٠، ٥٤٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٩٣

زرادشت ١: ١٢٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٢، ٢:

٣٣١، ٣٣٢

ابن زرارة ١: ٨١

- أبا زرعة (روح بن زنياع) ٢: ٥٧٥
 ابن زكريا الرازي ٢: ٦١٧، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣١، ٦٣٢
 أبو زكريا محمد بن أحمد بن زكريا ٢: ٣٩٠
 ابن زكريا النوبختي ١: ٧٣
 زمعة بن الأسود بن المطلب ٢:
 ٣٤٥، ٤٩٩
 الزنجاني القاضي ٢: ٣٥٥، ٦١٠، ٦١١
 زهير بن أبي أمية ٢: ٤٩٨، ٤٩٩
 تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٣
 زهير بن أبي سلمى ١: ٧٠
 ابن الزيات ١: ١٧، ٢: ٣٩٧
 زياد ٢: ٣٧٥
 زياد بن سمية الثقفي ٢: ٥٣٣
 زيد بن أرقم الأنصاري ٢: ٤٦٠، ٤٦١
 زيد بن ثابت ٢: ٥٣٢، ٥٧٩
 زيد بن حارثة ١: ٢١٧، ٢٥٤، ٢: ٤٦٠، ٤٨٣، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣
 زيد بن الخطاب ٢: ٥٨٧
 زيد بن رفاعه الكاتب ٢: ٦١١
 زيد بن سهل بن الأسود النجاري ٢: ٣٣٨
 زيد بن الصليت ٢: ٤٩٤
 زيد بن العباس ١: ٢٤٦
 زيد بن علي ١: ١٨، ٢٤
 زيد بن اللصيت ٢: ٤٩١
 زينب بنت جحش ٢: ٤٨٣، ٦٥٠، ٦٥٢
 زينب بنت الرسول عليه السلام ٢:
 ٣٣٨
 زينب بنت أبي سعيد الجنابي ٢:
 ٣٨٨، ٣٨٧
 زينب بنت علي بن أبي طالب ٢:
 ٥٤٤
 حرف السين سابور ٢: ٣٢١
 ابن سابور ٢: ٦٢٢
 ابن أبي الساج (يوسف) ٢: ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٦، ٥١٨

- سالم مولى أبى حذيفة ٢: ٥٦٣، ٥٨٧
- سالم بن عبد الله ١: ٢٥٨
- السائب بن صيفى ٢: ٤٩٨، ٤٩٩
- ستاسف بن لهراسف ٢: ٣٣١
- سراقة بن مالك ٢: ٣٦٧
- سعد بن حنيف ٢: ٤٩٤
- سعد بن الربيع ٢: ٤٩٠، ٤٩١
- سعد بن عبادة الأنصارى ١: ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٦٥، ٢: ٤٤٩، ٤٥٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٨١، ٥٨٦، ٦٥٣
- سعد بن مالك ١: ٢١٤
- سعد بن معاذ ٢: ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥٢٤
- سعد بن أبى وقاص ١: ٣٣، ٦٢، ٢: ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٢١، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٤٠، ٥٧١
- أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنايى ١: ١٢٩، ١٣٠، ٢: ٣٤٢، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١
- تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٤
- ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٥٢٢، ٦٠٠، ٦٠٧
- ولد أبى سعيد ٢: ٣٩٦، ٣٩٧
- سعيد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ٢: ٥٩٧، ٦٠٨
- سعيد (أبو طاهر) ٢: ٣٤٢، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٨، ٥٧٢
- ابن سعيد ٢: ٣٩١، ٣٩٦
- سعيد بن زيد العدوى ١: ٦٢
- سعيد بن سعد ٢: ٦٥٣
- سعيد بن العاص ١: ٤٥، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢: ٣٥٠
- أبى سفيان و آل أبى سفيان ١: ٢٢٦، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢: ٣٥١، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٩٨، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٦٠، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢
- أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ٢: ٤٠٨
- سلام بن أبى الحقيق ٢: ٤٩٤
- سلام بن مشكم ٢: ٤٩٤
- سلمان الفارسى ٢: ٣٢٧، ٣٣٣، ٤٥٠، ٦٤٤
- أم سلمة ١: ٢٤٣، ٢: ٤٧٨
- سليمان عليه السلام ١: ١١٧، ٢٠١، ٢٤٩، ٢: ٣٢٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٦٩
- سليمان بن عبد الملك ٢: ٥٥٦
- سنان الصابى ٢: ٦٢٢

- سهل بن حنيف ٢: ٥٣٠
أبو سهل بن نوبخت ١: ٢٢٥، ٢: ٥٥١
سهل بن هارون بن رجبونة ١: ٧٢
سهلة بنت سهيل بن عمرو ١: ٢١
سهيل بن سنان ٢: ٤٦٠
سهيل بن عمرو ١: ٢٦٠، ٢:
٣١٧، ٣١٨، ٣٥٠، ٤٨١، ٤٩٨، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٢
ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) ٢:
٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٧٣
سودان بن حمران ٢: ٣٣٧
سودة بنت زمعة ٢: ٣٣٨
السوس النجردي ٢: ٥٥١
سويد بن الحارث ١: ٣٤، ٢:
٤٩٤
سويد بن عقلة ٢: ٥٤٦، ٥٤٧
سيف الدولة على بن حمدان ٢: ٣١٥
سيف بن ذي يزن ١: ٢٤
حرف الشين أبي شاعر الديصاني ١: ٢٢٥، ٢: ٣٧١
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٥
شاهنشاه ٢: ٤٣٨
شاءول ١: ١٥٦، ١٥٧
الشحام (أبو يعقوب) ٢: ٦٥٧
شرحيل بن حسنة ١: ٣٣، ٢:
٣٢٦، ٣٣٧
شرحيل بن عمرو الغساني ٢: ٤٤٠، ٤٤١
شريح بن الحارث ٢: ٥٣٢
شريح بن هاني ١: ٢٧٥، ٢: ٥٣٠
شريك بن عبد الله ١: ٦٣، ٢:
٥٤٩
أبو الشلعل ٢: ٥٩٧
بنت أبي الشلعل ٢: ٥٩٧
شمعون ١: ١٤٤، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١
شمول ٢: ٦٠٥

شيبان بن ثعلبة ٢: ٥٠٢

شبية بن ربيعة ١: ٣٠، ٢: ٤١٩، ٤٩٨، ٤٩٩

شيرويه ١: ٢٨، ٢: ٤٣٩

حرف الصاد صاحب الزنج ٢: ٣٤١، ٣٩٥

صعصعة بن صوحان ١: ٤٥، ٤٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢: ٥٣٠

٥٣٠

صفوان بن المعطل ٢: ٤٦٦، ٤٦٧

صفية بنت حبي ٢: ٣٣٨

صفية بنت عبد المطلب ٢: ٥٥٣

صلاح بن الهيار ٢: ٤٩٦

صهيب ١: ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٧٧، ٢: ٣١٨، ٥٧١، ٥٧٨، ٥٨٠

صهيب بن سنان ٢: ٤٧٩، ٤٨١

حرف الضاد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ٢:

٤٨٣

ضرار بن الخطاب ٢: ٤٥٠

حرف الطاء أبي طاعة ٢: ٣٩١ تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٦٨٥ فهرس الأعلام ص : ٦٧٤

و طالب ١: ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧، ٥٠، ٢:

٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٤، ٥٢٣

ولد أبي طالب ١: ٢٥٠، ٢:

٥٥٤، ٥٩٣، ٥٩٤

أبو طالب بن عيسى بن موسى ٢:

٣٩٢

ابن أبي طاهر ١: ٧٧

أبو طاهر اسماعيل بن القائم ٢: ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٤٩

أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ٢:

٣٤٣، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٦

٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٥٥٤، ٦٠٧

أبي طاهر القرمطي ٢: ٦٠١

ططس ١: ١٥٩

طفيل الغنوي ١: ٢٢٩

أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود) ٢: ٣٣٨، ٥٧١

طلحة بن عبد الله ١: ٢٤٧، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢: ٤٢١، ٥٤٠، ٥٤٦، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٦٤٤

طلحة ١: ٤٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٦٧، ٢: ٣٧٢، ٥٨٨

طليق بن سفيان بن أمية ٢: ٥٨٩

أبو أبي الطيب المؤمل ٢: ٦٢٧

حرف العين العاص (أخو أبي جهل) ٢: ٤٩٨

العاص بن سعيد ٢: ٤٩٨

العاص بن هاشم ٢: ٤٩٩

العاص بن هشام ٢: ٥٨٤

العاص بن وائل ١: ١٥، ٣٠، ٢:

٣٤٤، ٣٤٥، ٤١٩، ٤٩٨

ابن عامر ١: ٢٤٢

أبو عامر عبد عمرو بن صيفي الراهب ٢: ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٢٥

عامر بن شراحيل الشعبي ١: ٢٥٦

عامر بن الطفيل ١: ٢٨، ٢: ٤٧٩

عائشة رضى الله عنها ١: ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣

٢: ٣٣٨، ٣٩١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٤٠، ٥٤٦، ٥٥٧، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٦، ٦٠١

عبادة بن الصامت الأنصاري ٢:

٤٤٤، ٤٤٥

العباس ١: ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٧، ٢: ٤٠٩، ٤٤٣، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦

٤٩٣، ٤٩٤، ٤٥٣

ولد العباس ١: ٢٥٠، ٢٥٦، ٢:

٤٩٤، ٤٥٣

أبو العباس (الخليفة العباسي) ١: ١٦

عباس بن أبي ربيعة ٢: ٥٨٨

العباس بن عمرو الغنوي ٢: ٣٨٠، ٣٩٥

أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا ٢: ٥٩٩

العباس بن مرداس ٢: ٤٧٩، ٥٢٦

عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٨٧

٢٥٦: ١

عبد الله (غلام إسرائيل الصيدلاني) ٢: ٦٢٧

أبي عبد الله البصري ١: ١٩٨

عبد الله بن أبي بكر ١: ٦٠

عبد الله بن جبير ٢: ٤٢١

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١:

٢٤٧، ٢٤٩، ٢٨٠، ٢:

٥٣١، ٥٦٧، ٥٦٨

عبد بن الجلندي ١: ٢٣

عبد الله بن حذافة السهمي ٢: ٣٦٣، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٥، ٥١٧

عبد الله بن حسن بن حسن ٢: ٥٩٤

أبو عبد الله الحسن بن علي البصري ٢: ٦٢٧

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ابن زكريا الكوفي ٢: ٣٨٩، ٣٩٠، ٥٩٨، ٥٩٩

عبد الله بن حمدان (أبو الهيجاء) ٢: ٣٨٢

عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ٢: ٥٠٥

عبد الله بن رواحة ١: ٢١٧، ٢٥٤، ٢: ٤٩٠، ٤٩١، ٤٥١

عبد الله بن الزبير ١: ١٨، ٢٨٢، ٢: ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٩٣

عبد الله بن زمعة ١: ٢٥٨

عبد الله بن سبأ ٢: ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٧٣، ٥٨٦

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ٢:

٤٦٦، ٥٧٣

عبد الله بن سلام ٢: ٣٣٧، ٣٥٢

عبد الله بن أبي سلول ٢: ٤١١، ٤٢١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣

ابن عبد الله بن أبي سلول ٢: ٤٦١، ٤٦٢

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ١: ١٧، ٥٨، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢:

٤٧٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥٥، ٥٧٩

عبد الله بن عبد المطلب ٢: ٤٨٥

عبد الله بن عمر بن الخطاب ٢:

٥٤٢، ٥٤٤، ٥٧٦

أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي الكاتب ٢: ٣٥٢

أبي عبد الله محمد بن علي بن زيد بن رزام ٢: ٥٥٣

أبي عبد الله محمد بن النعمان ٢:

٥٩٥

عبد الله بن مسعود ١: ٥٨، ٨٢، ٢٥٨، ٢٧٨، ٢: ٤٦٤، ٥٣٢، ٥٧٩، ٥٨٤، ٥٨٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٨

أبو عبد الله بن المعلم ٢: ٦٢٢

عبد الله بن ميمون بن ديسان بن سعيد الغضبان ٢: ٣٨٦

عبد الله بن ميمون القداح ٢: ٥٩٧، ٦٠٦

عبد الله بن وهب الراسبي ٢: ٥٩٢، ٥٩٣

عبد الرحمن صاحب ابن الزيات ١:

١٩١، ٢١٩، ٢٤٦

عبد الرحمن بن أبي بكر ٢: ٥٧٥

عبد الرحمن الحسن ٢: ٥٩٨

عبد الرحمن بن سعيد ٢: ٥٩٧، ٥٩٨

عبد الرحمن بن عدس ٢: ٥٧٣

عبد الرحمن بن عوف ١: ٦٢، ٢: ٣٣٧، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٧٣، ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٧١

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ١:

١٨، ٢: ٥٧٤، ٥٩٣

عبد الرحمن بن ملجم ٢: ٥٣٣

عبد القيس ١: ٢٣

عبد المطلب ٢: ٣٦٧، ٤٨٥

ولد عبد المطلب ٢: ٥٩٣

عبد الملك ١: ١٣٤، ٢١٢

عبد الملك بن عمير ٢: ٣٧٠

عبد الملك بن مروان ١: ١٨، ٢:

٥١٦، ٥٥٦، ٥٧٤، ٥٩٣

ابن عبد الوهاب الكاتب ٢: ٦٣٥

عبد ياليل بن عمرو ١: ٢١

عبد يسوع بن بهرين ١: ١٤٦

ابن عبيد الله بن الإخشيد ٢: ٦٠٤

ابن عبيد الله ٢: ٦٠٠

عبيد الله بن زياد ١: ٢٤٠، ٢:

٥٣٣، ٥٤٣، ٥٥٥، ٥٧٤

أبو عبيدة ١: ٣٣، ٦٢، ٢١٩، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٨، ٢: ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٣٧، ٤٢١، ٤٤٧، ٥٦٣

عبيدة بن الحارث ٢: ٥٦٠

عتاب بن أسيد ٢: ٣١٧، ٥٥٩، ٥٨٨

عتبة بن خلف ١: ٤٠

عتبة بن ربيعة ١: ٢١، ٣٠، ٢:

٤١٠، ٤١٩، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٩٠

عتبة بن غزوان ١: ٣٣، ٢: ٣٣٧

عثمان بن حنيف ٢: ٣٢٨، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٧٢

عثمان بن أبي طلحة العبدري ٢:

٤٣٧، ٤٢١

عثمان بن عفان ١: ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٢، ٤٣، ٧٢، ١٢٤، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٨٩

٢٣٤، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢:

٣٣٧، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٧٥، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٤٨، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦٣، ٤٧٩، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٣

أبي عثمان عمرو بن عبيد ٢: ٦٢١

عدى بن حاتم ١: ٢٧٥، ٢: ٥٣٠

عدى بن الحمراء ٢: ٤٩٨

العزير (نزار بن معد) ١: ١١٧، ٢: ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠٩، ٦١٤، ٦٥٤

عزير بن أبي عزير ٢: ٤٩٤

عطية ٢: ٣٨٧

ابن أبي العقب ١: ٧٥

عقبه بن معيط ١: ١٥، ٢٨، ٣٠، ٤٠، ٦٢، ٢: ٣٤٦، ٤١٩، ٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٨

أبو عقيل ٢: ٤٧٣

ولد عقيل ١: ١٧

عقيل بن الأسود بن المطلب ٢: ٣٤٥

عقيل بن جعفر ٢: ٥٦٨

عقيل بن أبي طالب ١: ١٧، ٢٤٠، ٢: ٥٥٥، ٥٨٤

عكرمة بن أبي جهل ٢: ٤٥٠، ٤٨١، ٥٨٨

أبو العلاء بن الحضرمي ١: ٢٥٤

أبي علي بن الياس ٢: ٥٨٢

أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ٢: ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨

علي بن الحسين ١: ٢٤٩

علي بن حمدان ١: ١٦٨

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١:

١٧، ١٨، ٢٢، ٢٤، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٤٥، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٧٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٤، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨،

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٩٠

٢٨٠، ٢٨١، ٢: ٣٤١، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٣، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٢٨

٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٤،

٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦٠٩

ولد علي ١: ١٧، ٢٥٦

علي بن عبد الله بن العباس ١: ١٦

أبو علي عمر بن يحيى العلوي ٢:

٣٩٤

علي بن عيسى بن داود الجراح ٢:

٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢

علي بن محمد بن بكر الاسفداني ٢:

٥٢١

أبو علي محمد بن عبد الله العلوي ٢:

٥٦٧

أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ١: ٦٤، ٦٩، ٧٨، ١٩٨، ٢: ٥٢١، ٥٢٩، ٥٣٩، ٦٢٨، ٦٤٠

علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن البكري ٢: ٦٦٢

علي بن مسمار ٢: ٣٧٩

علي بن وصيف الجلاء (أبو الحسن) ٢: ٥٥٨

عمارة بن جيفر ١: ٢٣

عمارة بن الوليد بن المغيرة ١: ٤٩

عمار بن ياسر ١: ٢١، ٣٣، ٢٣٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢: ٢

٣١٨، ٣٢٧، ٤٦٠، ٤٧٩، ٤٨١، ٥٣٣، ٥٤٥

عمران بن الحصين ٢: ٥٣٠، ٥٧٢

أبو عمر الباهلي ٢: ٥١١

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١: ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٦٢، ٦٣، ٧٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٤، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥،

٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٦٦،

٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢: ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٩١

٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٤٠٢، ٤١٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٦٦،

٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧

فرعون ١: ٢٦، ١٠٦، ١٠٩، ١١٧، ٢٠٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٥٠٠، ٥٦٦، ٦٢٤

الفضل ١: ٧٤

أبو الفضل جعفر بن حرب ٢: ٥٣٩

الفضل بن العباس ١: ٢٤٦

أبي الفضل العباس بن عمرو الغنوي ٢: ٣٨٠، ٣٩٥

ابن فلاح (علي بن جعفر بن فلاح الكتامي) ٢: ٣٩٧، ٦٠٧

أبي الفوارس الحسن بن محمد الميمدي ٢: ٥٩٤

فولوص ١: ٩٨

فيروز الديلمي ٢: ٤٤٥

فيلاطس الرومي ١: ٩٤، ٩٩، ١٢١، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٩٣

حرف القاف قارون ٢: ٥٦٦، ٦٠٥

أبو القاسم بن الأبيض العلوي ٢:

٥٩٧

القاسم بن إخشيد الفرغاني ٢: ٣٩٦

أبي القاسم البخاري ٢: ٥٩٤

أبو القاسم البلخي ١: ٦٢، ٦٣، ٢: ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٢٤، ٦٢٥

أبو القاسم الحسن بن حوشب ١:

١٠٧، ١٣٠، ٢: ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٠

أبي القاسم بن أبي الحسن بن عمار ٢: ٦٠٢

القاسم بن سيما الفرغاني ٢: ٦٠٠

أبو القاسم عيسى بن موسى ٢: ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٢

أبا القاسم المصري الاقليدسي ٢: ٦٥٥

القاهر ٢: ٣٩٣

القائم ٢: ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٢

أبو قبيس ١: ٢١٥

أبو قتادة (قتادة بن النعمان الأنصاري) ٢: ٣٣٨

ابن قتيبة ٢: ٣٥٢

أبو قحافة ١: ٢٧١، ٢٧٢

ولد القداح ٢: ٦٠٧

قرظة بن كعب ١: ٢٧٩

قزوم بن كعب ٢: ٤٩٥

قسطن بن لوقا ١: ٧٥، ١٩٢، ٢:

٦٢٣

قسطنطانوس ١: ٩٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٩٣، ١٩٤

الققعاع بن عمرو ٢: ٥٤٦

ابن قمئة ٢: ٤٢٢

قويرى ١: ٧٦، ١٩٢

قيس بن سعد ١: ٢٧٥، ٢: ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٥٣

قيس بن الفاكه ٢: ٤٩٩

أبو قيس بن الفاكه ٢: ٤٩٨

أبو قيس بن الوليد ٢: ٤٩٩

قيصر ١: ٤٣، ١٥٧، ٢: ٣١٤، ٣٣٦، ٣٦٣، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٧٥، ٤٨٤، ٥١٢، ٥٣٩

حرف الكاف كافور الخصي ٢: ٣٩٦، ٣٩٧، ٦٠٤

ابن أبي كيشة ٢: ٥١٤

كسرى ١: ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٤٣، ٧٣، ٨١، ١٧٥، ٢: ٣١٤، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٨٤، ٥٠٤، ٥١١، ٥١٧، ٥٣١

٥٣٩، ٦٤٥، ٦٤٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٩٤

كعب بن أسد ٢: ٤٤٩، ٤٩٥، ٤٩٧

كعب بن مالك الأنصاري ١: ١٦٩، ٢: ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨

أم كلثوم زوج الرسول عليه السلام ١: ٢٤٦، ٢: ٣٣٨

أم كلثوم بنت فاطمة رضی الله عنها ١: ٦٥٣

ابن كلس ٢: ٥٦٤

كليب الجرمي ٢: ٥٤٦

ابن الكميت ٢: ٣٩٩

كميل بن زياد النخعي ١: ٤٦

كنانة ١: ٧٠

كنانة بن أبي الحقيق ٢: ٤٩٤

الكندي (يعقوب) ٢: ٣٧٤، ٥٠٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١

حرف اللام ابن لاوى اليهودي ٢: ٣٥٧، ٤٠٧

أبو لبابة بن عبد المنذر ٢: ٤٥٥

أبو لهب ١: ١٤، ٢٠، ٢٢، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٢٣٥، ٢: ٢

٣٤٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٩٧، ٥٢٣، ٥٦٦، ٥٩٣

لوط عليه السلام ١: ١١٧، ١٩٠، ٢١٨

لوقا ١: ١٥٥، ١٩٦

حرف الميم مارية القبطية ٢: ٤٤٤

- ابن ماسويه ٢: ٦٢٥
 ما شاء الله بن أبرى اليهودى ١: ٧٤
 مالك ٢: ٥٩٥
 مالك بن الأشتر ١: ٤٦
 مالك بن دينار ٢: ٦٤٦
 المأمون ١: ٧٢، ٧٤
 مانى ١: ٨٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٤، ٢: ٦٤٠، ٦٤١
 متى ١: ١٢٠، ١٥٥، ١٩٩، ٢٠٠
 متى بن يونس ١: ٧٦، ٢٠٨
 المتقى (الخليفة العباسى) ١: ٢٨
 المتوكل ١: ٢٨
 مثنى بن حارثة ٢: ٥٠٣
 المحسن ١: ٢٣٩، ٢٤٠، ٢: ٥٩٥
 مدينة بن مالك ١: ٥٨
 مرارة بن ربيعة ٢: ٤٧٦، ٤٧٧
 مربع بن قيسى ٢: ٤٩١
 مربعة بن الأحنف ٢: ٦٣٣
 مرداويج ٢: ٥١٨
 مرقس ١: ١٤٣، ١٥٥، ١٨٢
 مروان بن الحكم ١: ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢: ٥٥٦، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٩٢
 تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٦٩٥
 مروان بن عبد الملك ١: ٢١٢، ٢٥٠
 المروزى ٢: ٦٢٨
 مريم عليها السلام ١: ٢٦، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٥٠٧: ٢
 مريم المجدلية ١: ١٤٤، ١٤٩
 المستكفى ١: ٢٨
 مسطح بن أثالة ٢: ٤٦٨
 أبى مسعود البدرى ٢: ٥٣٢
 مسعود بن عمرو ١: ٢١
 أبى مسلم بن حماد الموصلى ٢: ٣٩٢
 مسلم بن عقبة ١: ١٨
 مسلم بن عقيل ١: ١٨، ٢٤٠، ٢: ٥٣٣، ٥٤٢، ٥٤٣

- مسلمة بن الحارث ٢: ٤٩٨
- مسيلمه ١: ٣٢، ٤٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢: ٣٧٢، ٤٨٤، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨
- مصباح الطائي ١: ١٧١
- مصعب بن الزبير ١: ٢٨٢
- مصعب بن عمير ٢: ٥٠٤
- مصقلة بن هبيرة ٢: ٣٧٥، ٥٣٣
- مضر ١: ٨٠
- المطيع لله ٢: ٣٩٦، ٤٠٦، ٤٠٧
- معاذ بن جبل ١: ٣٣، ٢: ٣٢٦، ٣٣٧، ٤٤٧، ٥٧٩
- معاذ بن الحصين النبهاني (أبو كامل) ١: ٢١١، ٢١٦
- معاوية ١: ٣٢، ١٢٨، ١٣٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢: ٣٧٤، ٣٧٥، ٤١٩، ٤٨١، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣
- معبد بن العباس ٢: ٥٥٥
- المعتصم ١: ٢١٠، ٢: ٣٤٠، ٤٢٩، ٤٣٠
- المعتضد ٢: ٣٨١
- المعتمد ٢: ٣٤١
- المعز لدين الله ٢: ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦
- معمر ١: ٧٧
- المغيرة بن شعبه ١: ٢٤٢، ٢: ٤٥٣، ٥٨١
- مفروق بن عمرو ٢: ٥٠٢، ٥٠٣
- ابن مقاتل ٢: ٣٩٤
- المقتدر بالله ٢: ٣٤٢، ٣٨٠
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٤٩٦
- ٣٨١، ٣٩٣، ٤٠٠
- المقداد ٢: ٤٠٣
- المقداد بن الأسود ٢: ٤٨٣
- مقدونيوس ١: ١٤٣
- ابن المقفع ١: ٧٢
- المقوقس ٢: ٣٦٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٥
- المكتفي ٢: ٣٨١
- ابن أم مكتوم ٢: ٣٢٦، ٤٨٢
- ابن ملجم ١: ٢٧٦، ٢: ٤٠٢

- ميكائيل ٢: ٥٤٧، ٥٤٤
- حرف النون ابن النابغة (عبد الرحمن) ٢: ٥٧٩
- نافع بن أبي نافع ٢: ٤٩٥
- النجاشي ١: ٢١، ٤٣، ٤٩، ٢: ٢
- ٣٥٠، ٣٦٣، ٤٤١، ٤٤٥، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٥، ٥٢٦
- نحرير الأزغلي ٢: ٦٠٥
- نحرير شوزان ٢: ٦٩٥
- نزار (أبو المنصور بن معد) ٢: ٦٠٩، ٦١٢، ٦٢٤، ٦٤٧
- نسطورس ١: ١٦٤
- السنفي ٢: ٣٢٥
- نصر بن أحمد ٢: ٥١٨، ٥٩٩
- النضر بن الحارث بن كلدة ١: ٣٠، ٤٠، ٤٣، ٥٣
- ٢: ٣٤٦، ٣٦٣، ٤١٩، ٤٧٩، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٩
- النعمان بشير الأنصاري ١: ٣٢، ٢: ٥٨١، ٦٥٣
- النعمان بن شريك ٢: ٥٠٤
- النعمان بن شريك ٢: ٥٠٤
- النعمان بن مقرن ١: ٣٣، ٣٤، ٢: ٣٢٠، ٣٢٩
- النعمان بن المنذر ٢: ٣٢٥
- نعيم بن مسعود ٢: ٤٢٥
- نوح عليه السلام ١: ٦٩، ٨٧، ٨٨، ١٠٨، ١١٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢١٨، ٢: ٣٨٦، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٣٦، ٥٤٨، ٥٥٢
- حرف الهاء هارون عليه السلام ١: ٣٤، ٨٧، ٩١، ١٠٨، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٣٣، ١٤٩، ١٥١، ١٩٠، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٤٩
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٠
- ٢٥٧، ٢٢٢، ٧٧: ٣٧٢، ٥٦٤، ٥٦٩
- هارون الرشيد ١: ٧٧، ٢٢٤
- هاشم ٢: ٤٨٥
- أبو هاشم (عبد السلام بن محمد الجبائي) ١: ٦٩، ١٩٨، ٢: ٦٤٠، ٥١١، ٦٢٨
- هامان ٢: ٥٦٦
- أم هانئ بنت أبي طالب ١: ٤٦، ٥٠
- هانئ بن عروة المرادي ٢: ٥٤٣
- هانئ بن قبيصة ٢: ٥٠٣

- أبو الهذيل ٢: ٥١١، ٥٣٨، ٦٥٧
- الهربذ ٢: ٣٣٠، ٦٤٧
- هرقل ٢: ٣٢٦، ٥٧٥
- هرمس المثلث ٢: ٤٣٠
- هشام بن الحكم ١: ١١٨، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢: ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٣
- هشام بن العاص ٢: ٥٠٩، ٥٨٨
- هلال بن أمية ٢: ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٩٩
- هند ٢: ٥٩١
- هود عليه السلام ١: ٩١، ٢: ٣٧، ٤٠١، ٦٤٥
- أبي الهيجاء (عبد الله بن حمدان) ٢: ٣٨٢
- هيرودس ١: ٢٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢
- هيلانة ٩٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ٢٢٣
- حرف الواو واصل بن عطاء ١: ١٨
- و أنس ١: ٩٩
- أبي الوفا الديلمي ٢: ٥٩٥
- الوليد ٢: ٥٧٢
- الوليد بن عبد الملك ١: ١٣٤، ٢١٢، ٢: ٥٥٦
- الوليد بن عقبة ١: ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣
- الوليد بن المغيرة ١: ١٥، ٣٠، ٤٠، ٥٤، ٢: ٣٣٨، ٣٤٤، ٤٧٩، ٤٩٨
- الوليد بن يزيد ١: ١٩، ٢: ٥٨٢
- وهب بن حذافة ٢: ٤٩٩
- وهب بن يهوذا ٢: ٤٩٥
- حرف الياء أبي ياسر بن أخطب ٢: ٤٩٤
- أبي يتيم الرباي ٢: ٥٩٤
- يحيى بن خالد ٢: ٦٣٣
- يحيى عليه السلام ١: ٩١، ١٠١
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠١
- ١١٠، ٢: ٤٤٠
- يحي الطحاني ٢: ٥٢٢
- يحيى الظمامي ٢: ٣٧٩
- يحيى بن عدى ١: ٧٦، ١٩٣
- يحيى بن حسين العلوي ٢: ٣٧٨

- يحيى بن علي ٢: ٣٧٩
 يزدان كشت ٢: ٣٣٣
 يزدجرد بن شهريار ١: ٣٢، ٢٤٧، ٢: ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٠
 أبو يزيد مخلد بن كيداد ١: ١٠٧، ٢: ٣٩٠، ٤٠٢، ٤٠٣
 يزيد بن معاوية ١: ١٨، ١٣٤، ٢١٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢: ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦
 يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١: ١٩، ٢: ٥٧٥
 أبي يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنباري ٢: ٤٠٤، ٤٠٥
 يعقوب بن إسحاق الكندي ٢: ٤٣٠
 أبو يعقوب الشحام ٢: ٣٤١
 يعقوب عليه السلام ١: ٣٤، ٨٧، ٩١، ١٠٨، ١٦٤، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٠، ٢: ٤٠١
 يعقوب بن كلثوم ٢: ٥٦٤
 يعقوب النجار ١: ١٩٩
 يعقوب بن يوحنا ٢: ٤٢٨
 يهوذا ١: ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ٢٠٠، ٢٠١
 يوحنا السليح ١: ١٠٠
 يوحنا الصائغ ١: ١٤٢
 يوحنا ١: ١١٢، ١٥٥، ١٩٩
 يوحنا القس ١: ٧٦
 يوسف بن دحية ٢: ١٤٩
 يوسف بن عمر الثقفي ١: ١٨
 يوسف عليه السلام ١: ٨٠، ٨٩، ٩١، ١١٧، ١١٩، ٢٥٩، ٢: ٤٩٥، ٥٢٦، ٥٣٨
 يوسف بن الغروي ٢: ٣٩٦
 يوسف بن القائم ٢: ٤٠٣
 يوسف النجار ١: ٢٦، ١٤٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
 يوشع عليه السلام ١: ١١٤، ١٢٠، ١٩٠
 يونان النبي ١: ٢٠١
 يونس عليه السلام ٢: ٤٢٧، ٤٩٣
 تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٢

فهرس الأماكن و القبائل و الأمم

- حرف الألف أحد ٢: ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٤٩، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٧٥، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٦٠
 أحاديث ٢: ٤٠٣
 الأحزاب ٢: ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٩٥، ٥٢٥، ٥٥٧، ٤٥١

الأحساء ١: ١٠٧، ٢: ٣٣٩، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٥٨٢، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٩

آل الأخيصر العلويين ٢: ٣٨٠

أذربيجان ١: ٣٢، ١٨٢، ٢: ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٨٦، ٤٤٣

أذرعان ٢: ٣٣٦

أذنة ٢: ٦٠٤

أراش ٢: ٤٨٦

أردشير حرة ٢: ٥٣٣

الأردن ١: ١٩٩

أرطاس ٢: ٥٢٦

الأرمن ١: ١٥٤، ١٥٩، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٢٠

أرمينية ١: ٣٢، ١٨٢، ٢: ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٠

أرواد ١: ١٨٢

الأسباط ١: ٣٤

بنى أسد ١: ٢١٦، ٢٧٢، ٢:

٥٨٨

بنو اسرائيل ١: ٨، ٩، ٢٦، ١٠٠، ١١٣، ١٢٠، ١٢١، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٩،

٢٧٧، ٢: ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٩، ٤٩٣، ٥١٩

اسقلية ٢: ٦٠٢

الاسكندرية ٢: ٣٤٣، ٤٣٩

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٣

أسلم (قبيلة) ١: ٢٣

اصطخر ٢: ٣٣٤، ٥٣٣

الأصفر ٢: ٤٧١، ٥١٤

أصفهان ١: ٢٤٧، ٥٥٥، ٢:

الأعراب ٢: ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٧٤، ٥٨٧، ٦٣٧

افريقية ١: ٢٤٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٠٥، ٢:

اقريطش ١: ١٨٢، ٦٢٠، ٢:

الأكراد ٢: ٤٤١، ٤٤٣

الأمقاب ٢: ٥٧٨

بنو أمية ١: ١٦، ١٧، ٧٣، ١٢٨، ١٣١، ٢٥٠، ٢٨٢، ٢: ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٨٤، ٥١٨، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨١، ٥٩٢، ٥٩٣

الأندلس ١: ١٦، ٢٣٩، ٢: ٣٨٦، ٣٩٢

أنطاكية ١: ١٥، ٢: ٣٢٣، ٣٢٦

الأهواز ١: ٣٢، ١٤٦، ١٨٠، ٢: ٣٧٨، ٥٩٧، ٦٣٠

- أورشليم ١: ١٩٧، ١٩٨
الأوس ١: ١٣٢، ٢٣٦، ٢٦٧، ٢: ٤٠١، ٤٠٢، ٤١١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٥، ٥٠٤
حرف الباء بنى أبي البغل ٢: ٥٩٩، ٦٠٠
بجيلة (قبيلة) ٢: ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤
البحرين ١: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٨٠، ٢١٦، ٢٥٤، ٢٧٢، ٢: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٢، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٦٧، ٤٦٩
بخارى ٢: ٣٣٩، ٣٩٢، ٤٣١، ٤٣٢
بدر ١: ٥٤، ٨٢، ٢: ٤٠٣، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٦٤، ٤٨٩، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٨
٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٣
البنذ ٢: ٣٤٠
برامهرمز ٢: ٤٣٠
البربر ١: ٢١٦، ٢: ٤٤٣، ٥٩٨
البرجان ١: ١٨٣
البرغر ١: ١٨٣ تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار ج ٢ ٧٠٣ فهرس الأماكن و القبائل و الأمم ص : ٧٠٢
يده ٢: ٥٢١
بنو بسطام ٢: ٣٨١، ٥٩٩، ٦٠٠
البسماق (جبل) ٢: ٥٩٥
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٤
بصرى ٢: ٥١٢، ٤٢٨
البصرة ١: ٤٩، ١٧٩، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢: ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٢، ٣٩٦، ٥٣٩، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٧، ٦٢٨
٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٧٢، ٥٧٣، ٦١١
البطحاء ٢: ٥٢٤
البيطحة ٢: ٤٤٣
بغداد ١: ١٧٩، ٢: ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٦، ٥٣٩، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٧، ٦٢٨
بلخ ٢: ٣٢٦، ٤٢٤
البنذيجيين ٢: ٤٣٠
بيت المقدس ١: ٤٧، ٤٩، ٨٨، ١٢٥، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٢٣، ٢: ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٩، ٥١٢، ٥١٥
حرف التاء التامة ٢: ٥٠٣
تبوك ٢: ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٥٩، ٤٤٩
الترك (بلاد) ١: ١٧٨، ٢: ٣١٥، ٣٣٠، ٣٥٤، ٤٤٤، ٥٣٥
تغلب ٢: ٣٢٦
تنوخ ٢: ٣٢٦

- تهامة ٢: ٤٨٤، ٥٨٩
- بنى تيم ١: ٢٧٢
- تيماء ٢: ٦٤٩
- حرف الجيم الجابية ٢: ٣٣٥
- الجيل ٢: ٥٥٥
- جرجان ١: ٣٢، ٢٤٧
- الجزيرة ١: ٣١، ٥٩، ٦٣، ١٤٦، ١٦٢، ١٩١، ٢١٠، ٢: ٣١٤
- جزيرة العرب ١: ٣٢، ١٥٣، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢: ٣١٤، ٣٨٦، ٤٠٢، ٥٢٢، ٥٥٤، ٦٤٣
- الجزيرية ٢: ٣٣٩
- الجفير ٢: ٥٧٢
- جنابة ٢: ٣٧٩
- الجند ١: ١٣٠، ٢: ٥٥٨
- جنديسابور ٢: ٦٣٦
- جهينة (قبيلة) ١: ٢٣
- جور ٢: ٣٣٤، ٥٩٧
- جيحون ٢: ٥٥٨
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٥
- جيشان ١: ١٣٠، ٢: ٣٧٦، ٣٨٩
- حرف الحاء بنى حارثة ٢: ٤٥١، ٤٩٢
- الحبشة ١: ٢٠، ٢١، ٢٤، ٤٣، ٤٩، ٦١، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٤٦، ٢٤٨
- ٢: ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٣، ٥٠٤، ٥٢٢، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٩٠
- الحجاز ١: ٣١، ٩٢، ١٨٠، ٢: ٤٠٢، ٤٤٩، ٥٥٨
- الحجر ٢: ٤٨٧، ٤٨٨
- الحديبية ١: ٦٠، ٢: ٣١٨، ٥١٦، ٥٢٦
- حران ١: ١٠٨، ١٤٦، ١٦٢، ١٦٣
- الحرّة ١: ١٨، ٢: ٥٧٥
- بنى الحسن ٢: ٥٣٥
- بنى الحسين ٢: ٥٣٥
- بنى حمدان ٢: ٤٤٣
- حمص ١: ١٧٨، ١٧٩، ٢:
- ٣٢٣، ٣٢٧، ٥١٢، ٥١٥
- حنين (وقعة) ٢: ٤٨٩، ٥٥٩
- الحيرة ١: ٣٢

- حرف الخاء خراسان ١: ١٧، ١٩، ٣٢، ١٧٩، ١٨٠، ٢٤٩، ٢: ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٤٤، ٥١٨، ٥٥٥، ٥٩٩، ٦١٧، ٦٠٠
- خزاعة (قبيلة) ١: ٢٣، ٢: ٣٤٤
- الخزرج ١: ١٣٢، ٢٣٦، ٢٦٧، ٢: ٤٠١، ٤٠٢، ٤١١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥٥٣
- الخنديق (غزوة) ٢: ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠، ٥٢٦
- خوارزم ٢: ٣٩٨
- خيبر ١: ٣٠، ٢: ٤٣٥، ٤٩٦، ٥٥٦
- حرف الدال دار الندوة ٢: ٣٦٤
- دجلة ٢: ٥٥٨
- دمشق ١: ١٥٦، ٢: ٣٢٣، ٣٣٦، ٤٤٤، ٤٧٤، ٥١٢، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٩٥
- دومة الجندل ٢: ٥٧٤
- الديلم ١: ٧٣، ١٠٧، ١٨٠، ٢: ٤٤٣، ٤٤٥، ٥٢١، ٥٣٥، ٥٩٤، ٦٠٤، ٦٤٧
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٦
- حرف الذال ذا الفقار (سيف النبي صلى الله عليه وسلم) ٢: ٤٢١
- ذبيان ٢: ٤٤٨
- ذى قار ٢: ٣٢٥، ٥٤٠
- ذى القصة ٢: ٤١٨
- ذى المجاز ٢: ٥١٩
- حرف الراء الراذة ٢: ٣٧٨
- الربذة ٢: ٤١٨، ٥٤٠
- ربطرة ٢: ٣٤١
- ربيعه ١: ٢٢، ٢٣، ٢١٦، ٢٣٥، ٢: ٥٠٢
- رقادة ١: ١٠٧، ٢: ٣٤٢، ٣٩٠
- الرقه ١: ١٤٦، ٢: ٣٨٣
- الرملة ٢: ٥٩٥، ٦٠٥
- الروحاء ٢: ٤٢٤
- الروم ١: ٣٠، ٣٢، ٤٣، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧١، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ١٢١، ١٢٥، ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٧.
- ٢: ٣١٥، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٨٦، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨١، ٤٩٣، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥
- ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٣٥، ٥٥٩، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٧، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٢
- رومة ٢: ٥٩٨

- رومية ٢: ٥١٦
الرى ١: ٢٤٧، ٢: ٥٢١، ٥٩٩
حرف الزاى بنو زرقان ٢: ٣٨٧
زمزم ٢: ٦١٦، ٦١٧، ٦١٩
تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٧
بنو زهرة ١: ٥٣، ٢٤٩
بنى زهرون ٢: ٦٢٢
حرف السين الساقاة ٢: ٣٣٤
سجستان ١: ٣٢، ٢: ٣٣٠، ٥٨٢
سجلماسة ٢: ٣٨٩، ٥٩٧، ٥٩٨
السرطان ١: ١٦٠
سز من رأى ١: ١٧٩
سقيفة بنى ساعدة ٢: ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٨٦
سلع ٢: ٤٧٨
بنى سلمان ٢: ٣٨٧
بنو سلمة ٢: ٤٧٧، ٤٧٨
سلمية ٢: ٥٩٧
سمرقند ١: ١٧٥
سميصاط ١: ١٨٣
بنو سنبر ٢: ٣٧٩
السند ٢: ٣١٥
السواد ١: ٣٢، ٢٣٠
سولاسم ٢: ٣٣٣
سويقة عباسة ٢: ٦٢٢
سيحون ١: ١٨٣، ٢: ٥٥٨
حرف الشين الشام ١: ٣٢، ٤٨، ٥٠، ٦٣، ١٥٠، ١٨٠، ١٩١، ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢: ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٩، ٣٣٣،
٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٧٥، ٤٩٥، ٥١٢، ٥٢٢، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٥،
٥٤٩، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٩، ٦٤٣، ٦٦٠
الشامة ٢: ٥٠٣
الشراة ٢: ٣٩١
شيبان بن ثعلبة (قبيلة) ٢: ٥٠٢
حرف الصاد صعدة ٢: ٥٩٤
الصعيد الأعلى ١: ٣٢، ٢: ٣٤٣

الصفحة ٢: ٤٨٤

صفيين ٢: ٥٣٣، ٥٤١، ٥٤٢

صنعاء ١: ٢٤، ٢: ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٤٩

صور ٢: ٥٩٥

الصين ١: ١٧٩، ٢: ٣٦٠، ٣٨٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٨

حرف الطاء الطائف ١: ٢٤٠، ٢: ٣٥٠، ٥٠١، ٥٥٩، ٥٩١

طباطبا ٢: ٣٨٢، ٣٨٣

طبرستان ١: ٣٢، ٢٤٧، ٢: ٥٩٤، ٦١٨

طرابلس ٢: ٦٠٢

طرسوس ٢: ٦٠٠، ٦٠٤

طي (قبيلة) ٢: ٥٢٤

حرف العين عاد ١: ٥٣، ٨٥، ١٠٧، ١٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٧، ١٥٣، ٢: ٤٨٥، ٤٨٦

بنو العباس ١: ١، ١٧، ١٩، ٢٨، ٣٧، ٧١، ٧٣، ٧٥، ١٣١، ١٧٥، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٥٢

٢: ٣٤٢، ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٤٣، ٥١٨، ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٠٤، ٦٠٧، ٦١٦

بنو عبد الدار ١: ٥٣

عبد القيس (قبيلة) ١: ٢٣٥، ٢: ٥٢٤

بنو عبد المطلب ٢: ٣١٧، ٥٤٧، ٥٨٩

بنو عبد مناف ١: ٢٢٦، ٢٥٥، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢: ٣٤٦، ٤٦٨، ٤٨١، ٤٩٨، ٥١٢، ٥٧١، ٥٨٥

العبرانية ٢: ٥١٦

عبس ٢: ٤٤٨

العتيق ٢: ٣٢٥

العجم ١: ١٣٥، ٢٥١، ٢: ٣٢٤، ٤٣٧، ٤٥٣، ٥٢١، ٥٣٧، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٧٥

عدن ١: ١١٣، ٢: ٣٧٦، ٣٨٩، ٤٩٦، ٦٤٩

العذيب ٢: ٣٢١

العراق ١: ٣١، ٣٢، ٤٩، ١٤٦، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩١، ٢: ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٢، ٥٢٢، ٥٣٠، ٥٤١، ٥٤٢

٥٤٩، ٥٦٤، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٣٥

العرب ١: ١٣، ١٩، ٢٢، ٢٧، ٣٧، ٥١، ٥٣، ٦٦، ٧١، ٨٥، ١٠٧، ١٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٧، ١٥٣، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٧

٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢: ٣٢٢، ٣٤٤، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧٠٩

٤٠٠، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٩

٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٤، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٩٠، ٥٩٧، ٦٣٦، ٦٥٦

العريش ١: ٢٥٨

- بنو العزاقري ٢: ٣٨١
العزى ٢: ٤٢١، ٤٨٧
عسقلان ٢: ٤٤٤، ٥٩٥
عسكر مكرم ٢: ٥٢١، ٦٣٠
بنو عفرة ٢: ٥٨٤
بنو عقيل ٢: ٣٩٥، ٥٤٣
عكا ٢: ٥٩٥
عكاظ ٢: ٥١٩
عمان ١: ٢٣، ٣١، ٢٧٢، ٢: ٣٨٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٥٥٥، ٥٨٨، ٦٤٣، ٦٤٩
عمران ٢: ٤٤٣
عين التمر ١: ٣٢
عين ذرية ١: ١٨٢، ٢: ٦٠٤
عين الوردة ١: ١٨
حرف الغين الغار ٢: ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٩١، ٥٢٣، ٦٠١
غزة ٢: ٤٤٤
غسان (قبيلة) ١: ٢١٠، ٢: ٣٢٦، ٤٤١، ٤٧٧
غطفان ٢: ٥٨٨
غفار (قبيلة) ١: ٢٣
حرف الفاء فاران ٢: ٣٥٢
فارس ١: ٢٨، ٣٢، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٢، ١٦٤، ١٨٠، ١٩١، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢: ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٣٨، ٤٥٠، ٤٥١، ٥١٥، ٥٢١، ٥٣٥، ٥٦٤، ٦١٨
فدك ٢: ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨
الفرات ٢: ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٥٨
آل الفران ٢: ٥٩٩، ٦٠٠
الفرس ١: ١٣، ٣٠، ٤٣، ٥٣، ٧١، ١٣١، ١٥٤، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٠، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢: ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٨
تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧١٠
٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٦٣، ٤٤٤، ٤٨١، ٥٢٢، ٥١٧، ٦٤٥
فزارة (قبيلة) ١: ٢٣، ٢١٦، ٢: ٤٤٨
الفسطاط ٢: ٤٧٧، ٤٧٨
فلسطين ٢: ٥٥٤
حرف القاف القادسية ١: ٣٢، ٢: ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥
آل القاسم بن عبد الله ٢: ٦٠٠

مولتان ٢: ٣١٦

موليان ٢: ٣٩٨

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧١٣

حرف النون بنى ناحية ٢: ٥٣٣

النبط ١: ٧١، ٢: ٤٤٣

بنو النجار ٢: ٣٦٧

نجران ٢: ٦٤٩

بنو النضير ١: ٣٠، ٢: ٤٣٥، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥٥٦

نهاوند ١: ٢٤٧، ٢: ٣٣٠

النهران ٢: ٥٤٢، ٥٥٤

آل نوبخت ٢: ٦٠٠

بنو نوفل ١: ٣٣

نيسابور ٢: ٣٩٦، ٦١٨

النيل ٢: ٣٧٩، ٥٥٨

حرف الهاء بنو هاشم ١: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢: ٣٢٧، ٣٦٢

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٨٣، ٤٨١، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٩٣، ٦٤٩، ٦٥٣

هبل ٢: ٤٢١

هجر ٢: ٣٨٠

هراة ٢: ٦١٧

همدان ١: ٢٤٧

الهند ١: ١٣، ٣٠، ٣٥، ٤٩، ٧١، ١٠٦، ١٣١، ١٥٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٧، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢: ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٣٨، ٣٨٦، ٥٣٥، ٥٤٤

٥٥٥، ٦١٧

حرف الواو وادي القرى ٢: ٤٩٦، ٦٤٩

واسط ١: ١٧٦، ٢: ٦٢٨

حرف الياء يترب ٢: ٤٥١، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٥

سوق يحيى ٢: ٥٥٨

بنو يربوع ١: ٢١٦

اليرموك ٢: ٥٨٧

أرض اليمامة ١: ٢١٦، ٢٧٢، ٢: ٣٨٠

اليمن ١: ٢٣، ٣١، ١٣٠، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٧١، ٢٧٢

٢: ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٧٦

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧١٤

٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٩٦، ٥٢١، ٥٤٥، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٩١، ٥٩٤، ٦٤٩

اليونان ١: ٧١، ١٦٤، ٢: ٦١٧

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧١٥

فهرس العقائد و الملل و النحل

الإباضية ٢: ٦٠٢

الأشعرية ١: ٩٠

الإمامية ١: ٥١، ١٣٤، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨١، ٢: ٣٥٤، ٣٧١، ٣٩٨، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧، ٥١٠، ٥٣٣، ٥٥٠، ٥٥١

٥٥٢، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٧٦، ٦٤٩، ٦٥٩

أهل الردة ٢: ٥٨٦، ٥٨٨

الباطنية ١: ٨٠، ١٠٦، ١١٨، ١٣٥، ٢: ٣٧٤، ٤٥٦، ٥٠٨، ٥٨٢

بدعة (القدر) ١: ٢٤

البهشية

الحرورية ٢: ٥٣٥

الحنبلية ١: ٢١٠، ٢١١

الحنفية ٢: ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٢٣

الخرمية ٢: ٣٤٠، ٣٩٥

الخوارج (بدعة الخارجة) ١: ٢٤، ٢: ٣٤١، ٥٣٠، ٥٧٤، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٢

الدهرية: ١: ١٠٨

الديسانية ١: ١٩٠، ٢٢٥

الرافضة ١: ٢٤، ٤٥، ٩٠، ٩١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١١١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢: ٣٥٤، ٣٧١، ٣٩٨، ٥١٠، ٥٢٨

٥٣٥، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٨٦

الراوندية ١: ٢٥١

الزنادقة ١: ٥٢، ٩٠، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٩، ٢: ٤١٤، ٤١٨، ٥٠٨، ٥٨١، ٦٠٣، ٦٠٧

الزنج أو (الزط) ٢: ٣٤١، ٣٩٥

الزيدية ٢: ٥٣٥

السبئية ٢: ٥٤٨

السريانية ١: ١٠٠، ١٥٤

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ج ٢، ص: ٧١٦

السوفسطائية ٢: ٣٦١

الشيعة ١: ٢٩، ٣٥، ٤٢، ٦٢، ٦٣، ١٠٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢: ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١

٣٩٤، ٤٤٣، ٤٧٩، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٩٩، ٦٠٠

٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٠، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥٩

الصابئة ٢: ٦٢٢، ٦٢٧

٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥١٨، ٥٤٥، ٥٩٧، ٥١٣، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٤٤

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطقي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعة، و... - منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيه و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة
المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ "ما بين شارع "بنج رمضان" و"مفتق" و"فائى"/ "بنايه" القائمية"
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)
رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-(٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢-(٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

